

ديوان الرضائي

أتم شرحه وصححه

مصطفى السقا

الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الرابعة

بها قصائد لم تنشر من قبل

١٣٧٣ — ١٩٥٣

مكتبة الطباعة والنشر
دار الفكر العربي

مطبعة لإعتاد بمصر



الشاعر معروف الرصافي في أخريات حياته

١٨٧٥ - ١٩٤٥

أمثل الشاعر « المعروف » يبق	رهين البيت في عيش كفاف
فقم واندب مآثره وارخ	بعُذم مات معروف الرصافي
١٣٦٥ هـ	١١٦ ٤٤١ ٣٩٦ ٢١٢

عبد الكريم العلاف

الجزء الأول

مقدمة الطبعة الثالثة

لديوان الرصافي

ظهرت الطبعة الأولى من ديوان شاعر العراق الأكبر، الأستاذ « معروف الرصافي البغدادي » سنة ١٩١٠ م ، نشرتها « المكتبة الأهلية ببيروت » في جزء متوسط ، صفحاته ٢٣٢ ، وقد عني بترتيبه وتبويبه ، وتصحيحه وتقديمه ، الأستاذ « محي الدين الخياط » ، وشرح بعض قصائده الشيخ « مصطفى الغلاييني » صاحب مجلة « النبراس » البيروتية ، لكن المنية عاجلته قبل إتمام طبع الديوان ، فجاء بعض قصائده غفلا لم يشرح .

وقد رُتبت أشعار الطبعة الأولى في أربعة أبواب ، هي : الكونيات ، والاجتماعيات ، والتاريخيات ، والوصفيات . وألحق بآخر الديوان فهرس لموضوعات القصائد ، ومطلع كل قصيدة .

وفي سنة ١٩٣٢ ، أي بعد اثنتين وعشرين سنة ، ظهرت الطبعة الثانية لديوان « الرصافي » ، أخرجتها « مطبعة دار المعرض ببيروت » في مجلد واحد تبلغ صفحاته ٥٢٤ ، فهي تزيد على ضعف الطبعة الأولى عدد صفحات . وتمتاز بأنها أحسن من الطبعة الأولى تقسيما للأشعار ، فقد صارت أبواب الديوان فيها أحد عشر بابا ، هي : الكونيات ، والاجتماعيات ، والفلسفيات ، والوصفيات ، والحريقيات ، والمراثي ، والنسائيات ، والتاريخيات ، والسياسيات والحريات ، وللمقطعات .

وتمتاز كذلك بمقدمة تحليلية ونقدية لشعر الرصافي ، كتبها الأستاذ الكبير « الشيخ عبد القادر المغربي » عضو الجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية الآن . هذا إلى مزايا أخرى في الورق والطبع والتصحيح ، وكثير من الصور الفنية .

وقد ظهرت هاتان الطبعتان في حياة الشاعر ، ولكننا لا ندرى مقدار مشاركته في الإشراف على ترتيب ديوانه وتبويبه واعتماد أصوله ، ثم تصحيحه وطبعه .

وبعد نحو عشرين سنة أخرى ، تظهر هذه الطبعة الثالثة من ديوان «الرصافي» ولكنها تظهر بعد أن ودع الشاعر الحياة في سنة ١٩٤٥ م ، وترك من شعره ثروة ضخمة لأبناء هذا الجيل والأجيال المقبلة ، من أبناء العروبة ومحبيها والدارسين لها ، وهي ، كما يراها القارئ ، جزءان في مجلد واحد ، تبلغ صفحاتهما نحو ٥٨٨ صفحة ، تنشرها « المكتبة العصرية ببغداد » ، وتطبعها مطبعة « دار الكتاب العربي بالقاهرة » .

وقد رغب إلى حضرة الناشر « محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية ببغداد » وحضرة صديق الأستاذ سعيد جودة السحار ، صاحب مطبعة « دار الكتاب العربي » أن أقوم بتصحيح هذه الطبعة ، وأن أشرح بعض الغريب من الألفاظ ، فأجبت رغبتهما ، وأخرجنا هذه الطبعة الثالثة ، التي يسرنا أن نهدّيها إلى قراء العربية .



تتماز هذه الطبعة عن الطبعتين السابقتين بمزايا :

أولها : غزارة مادة الشعر الذي تحويه ، فقد اشتملت على طائفة من الأشعار والمقطوعات التي لم تنشر قبل في كلتا الطبعتين ، وقد اجتهد الناشر في الحصول عليها فأضاف إلى الديوان حسنة جديدة ، وأثخف قراء العربية بطرائف لم تكن مجتمعة في موضع واحد من شعر «الرصافي» ، وقد نشرت المجلات والجرائد بعض أشعار الرصافي ومقطوعاته هذه ، ولكن طائفة كبيرة منها بقيت مخبوءة ، وقد ظفر بها الناشر مكتوبة بخط الشاعر نفسه ، وتحته إمضاءه «الرصافي» .

وقد أوصينا حضرة الناشر بأن يحتفظ بهذه القصائد والمقطوعات التي عليها خط

الشاعر نفسه ، لما لها من قيمة أدبية وتاريخية، فهي وثائق شاهدة بالمعتمد من نصوص. أشعاره ، قبل أن تمتد إليها أيدي التحريف والمسخ والنشويه . ذلك إلى أن فيها مجالاً لدراسة خط الشاعر ، وتطور إنشائه القصيدة ، ومبدأ تقييده للخواطر الأولى عند سنوحها بعقله ، ثم تصرفه في المعاني بعد نقدها وتمحيصها وترتيبها . ومن حسن الحظ أن بعض هذه القصائد التي بخط الشاعر مسودات لم تبيض ، ولا توجد منها نسخة أخرى غير التي كتبها الشاعر كتابة غير منظمة ، بل غير واضحة أحياناً ؛ ولكنه على الرغم من ذلك اعتمدها ، ووضع اسمه «الرصافي» تحتها ، فلم يبق شك في نسبتها إليه .

وقد التزمنا أن نلحق هذه الزيادات ، من القصائد والمقطوعات في أواخر الأبواب ، ما عدا المقطوعات التي لا فن ولا غرض يجمعها ، فلم نلتزم فيها أواخر الأبواب ، بل وزعت في مواضع متفرقة ، لأغراض مطبعية فنية .

وأشرنا في فهرس الموضوعات إلى هذه الزيادات بهذه العلامة (*)

وتمتاز هذه الطبعة كذلك بشرح كثير من القصائد التي لم تشرح في الطبعتين السابقتين . ولم نشأ أن نتوسع في هذا الشرح ، بل قاربنا بينه وبين الشرح الذي وجدناه في الطبعتين السابقتين : نشرح اللفظ الغريب المستغلق بإيجاز ، حتى ينكشف المعنى ، فإذا لم ينكشف بشرح الغريب ، أوضحناه بالعبارة المطولة ، حتى يظهر مقصد الشاعر .

وفي شعر «الرصافي» قصائد كثيرة لا تحتاج إلى شرح ، لقربها من أفهام السادة ، وهم متوسطو الثقافة من قراء العربية ، ولذلك لم نتكلف شرح هذا النوع . على أن ذبوع المعاجم في عصرنا ، لا يجعل للقارئ عذراً في ترك البحث عما يهمه من الألفاظ . بل إن القارئ لا يتقدم في دراسته ومعرفته ، إلا إذا استقل بنفسه في البحث عما يعنيه من الألفاظ والمعاني ، ولم يتكل على هذه الشروح والتعليقات الخفيفة ، التي يمد بها أصحاب الشروح ، ولعل كثيراً منها لا يشبع نهمته ، ولا يحقق غرضه .

ومن مزايا هذه الطبعة ضبط الشكل المبهم من الألفاظ ، ولا أعنى الضبط الكامل ، فإنه غير ضرورى لأمثال قراء هذا الديوان . إنما الضبط الكامل لصغار تلاميذ المدارس ، ليحفظوا صيغ الكلمات صحيحة ، حين يكونون أكثر استعداداً للحفظ ، وأقبل لما يرد عليهم من صور الأشياء . وقد كادت الطبعتان السابقتان من هذا الديوان تكونان عاريتين عن الضبط ، إلا فى الأقل النادر ، أما هذه الطبعة فقد سلكنا فيها مسلكاً وسطاً بين الإفراط والتقريط .

وقد ألحقنا بالديوان فهرسين : أحدهما لموضوعات الأشعار ، والثانى للقوافى ، لتسهيل المراجعة والبحث فى الديوان .

* * *

هذا . وإن ما قرأناه من أشعار « الرصافى » فى هذه الطبعة ليدل دلالة واضحة على أنه كان من كبار شعراء هذا العصر ، ذوى الافتنان فى الشعر ؛ وقد ظهر فى شعره الكونى والفلسفى نزعات قوية دالة على عمق تفكيره . كما أبان شعره الوصفى عن دقة وقوة فى تصوير الأشياء ، لعلها لم تتح لكثير ممن زاولوا الوصف فى الشعر العربى . أما شعره الاجتماعى والسياسى ، فهما غنيان بالعواطف القوية الجياشة ، التى تدل على أنه كان سياسياً ووطنياً ، بل كان إنساناً من الطراز الأول فى جيله ، يتمنى الخير لبلاده ولقومه ، بل للعرب جميعاً ، وللشرق كله ، وتذوب نفسه حسرات عندما يرى البؤس والضعف فى شتى مظاهره .

على أن للرصافى مزايا أخرى فى أسلوبه وتعبيره ، فالقارىء لشعره يحس كأن تياراً من التعبير الفخم الجزل ، واللفظ المونق العذب ، ينساب رنينه فى روحه ، فيملأ النفس قوة ونشوة ، لا يزال يتردد صداها فى أعماق قلبه ، وكل ذلك من صميم العربية ولبابها ، ومعدنها ونجارها .

ما أجدر شباب العربية باستيعاب ديوان « الرصافى » قراءة ، والتوفى عليه

مبحثاً ودراسة ، فقد أتاحت لهم المواد الأولى من شعر الشاعر مطبوعة قريبة من عقولهم وأيديهم .

لقد عالج بعض الكتاب دراسة شعر « الرصافي » ؛ ولكننا لا نقنع بكتاب أو كتابين عن شاعر كبير مثله ، أشقى نفسه نحو نصف قرن في خدمة الأمة بعقله وشعره ، حتى خرج من هذه الدنيا لم يشيد داراً ، ولا بنى أسرة . فهو حقيق أن يشغل جيلاً من الباحثين والدارسين ، يكتبون سيرته مفصلة ، ويحللون شعره . وإن في كل باب من أبواب ديوانه لمجالاً لبحث واسع ، تكتب فيه الرسائل القصيرة ، بل الأسفار المطولة ، وتمنح عليه الجوائز ، بل الإجازات الدراسية العالية .

مصطفى السقا

المقاهرة في ٦ من ذي القعدة سنة ١٣٦٨
٣٠ من أغسطس سنة ١٩٤٩

مقدمة الطبعة الثانية

بقلم العلامة الأستاذ عبد القادر المغربي

أهديّ إلى الجزء الأول من ديوان شاعرنا الرصافي سنة ١٩١٠ م ، فكان مما قلته في تقييده :

« إنا إذا التمسنا لشعراء العصر المناضي عذراً في وقوف شعرهم عند الحد الذي رسمه لهم من سبقهم من الشعراء ، وانتحلنا من سنن العمران أسباباً لهذا الوقوف ، فلا ينبغي أن نعذر شعراءنا اليوم وقد تمهدت أمامهم العقاب ، وتيسرت الأسباب ، لرحضة الشعر العربي عن موقفه القديم ، والسير به في الطرق الجديدة التي سلكها شعراء الغرب ؛ فإن اللغة العربية نشطت من عقالها لهذه الآونة ، وألقت عنها أغلال الركافة ، وأثقال الصنعة ، التي بهظتها قروناً طويلة ، فأصبحت تساعد أدباءنا على ما ينتغونه منها ، من حسن التعبير ، وجمال الأسلوب ، والافتنان في الوصف .

هذا من جهة اللفظ . أما من جهة مقاصد الشعر التي تتطلبها حضارتنا الحديثة ، فإنها أيضاً تيسرت لنا ، بسبب اختلاطنا بأرباب هذه الحضارة ، ووقوفنا على شأنها ومقوماتها ، وتصفحنا أقوال كتابها وشعرائها ، فلا ينتظر منا بعد هذا إلا احتذاء مثاهم ، والنسج في الشعر العصري على منوالهم . وقد كان حظ الشعر العربي في مختلف الأقطار العربية ، على قدر حظ هذه الأقطار ، من اقتباس تلك الحضارة ، وارتقاء ملكة اللغة العربية في نفوس أهلها ، فكانت مصر في طليعة تلك الأقطار ؛ ومن ثم نبغ فيها شعراء أدركوا أن الشعر أرفع من أن يخدم كيس الغنى ، وحسن الشعر ؛ وأن الشعراء في الشعب بمنزلة الحداة في الركب : فهم يوجهون إلى الرقي تيار عزمته ، ويذكون في حب الإصلاح الاجتماعي نار حميته .

ولكن لم يكن يخطر ببالنا أن يقوم في بلاد العراق على تأخرها ، بالنسبة إلى

مصر ، شاعر يبدِّ النَّابِغِينَ ، ويتلقى رواية الشعر الاجتماعي باليمين ، أريد به السيد معروفًا الرِّصافي ؛ فقد تصفحت ديوانه تصفحاً يليق به ، وبمكانة صاحبه ، ثم لما أتيت على آخره ، لم أجد وصفاً ينطبق عليه ، أحسن مما قاله صاحبه فيه :

طابقتُ لفظي بالمعنى فطابقه خلوا من الخشو مملوءا من الدرر

إني لأنتزع المعنى الصحيح على مُعْرِي فَأَكْسُوهُ لَفْظاً قَدْ مِنْ دُرَرٍ

هذا ما يقال في الديوان من حيث لفظه ومعانيه الجزئية ؛ أما مطالبه أو أغراضه الشعرية العليا ، فهي من أشرف الأغراض وأنبهها ، وأعلقها بمصلحة الأمة التي نشر هذا الديوان بين أبنائها ؛ فهو يصف الكائنات وأسرار الخليفة وصف العارف بها ، الملم بما قاله علماء الطبيعة من أمرها ؛ وإذا تكلم عن مساوينا الاجتماعية ، نحاف القول منحي المصلحين ، المتفطنين لموضع الداء الدفين ؛ وهكذا إذا تكلم في نقد السياسة والأخلاق والآداب والعادات والتقاليد . وربما لم يقم إلى اليوم في بلادنا شاعر مثله ، أبدع القول في وصف حياتنا الحاضرة ومطالبها العليا إبداعه ، حتى صدق عليه ما قاله هو عن شعره :

وأجود الشعر ما يكسوه قائله بوشى ذا العصر لا الخالي من العصر

على أنه إذا شاركه في هذه الأغراض الشعرية الاجتماعية مشارك ، فإنه في وصف البؤس والبؤساء منقطع القرين ، وفي إثارة الشفقة عليهم لم يشبهه أحد من الشعراء المعروفين . اهـ

هذا ما قلته في وصف شاعرنا الرصافي وشعره منذ أكثر من عشرين سنة ، وأنا اليوم بعد ما اطلعت على ديوانه هذا ، ما زلت على رأيي أمس ، وإذا كان هناك شيء أقوله من جديد ، فهو أن ملكة الشعر في الرصافي أراها قد بلغت حدّها من النمو والنضج ، فلم يعد الشعر بالنسبة إليه صنعة يتكلف لها ، ويجهد قريحته سعياً وراء استرضائها ، بل أصبحت صناعة النظم طبعاً طبعاً ، لا يلبث إذا استوحى أن يتفجر بالبيان ، وينثر على سامعيه النياقوت والمرجان ، على حد قوله :

وأرسلته عفواً فكان كما ترى قوافي تجتنب البلاد سراها
ويشبه أن يكون شاعرنا ملّ الحياة الشعرية وتكاليفها المنصبة . وسئم ممارسة
النظم ، وأن يأبه لقول الشعر ؛ فلماذا التكلف له وهذه ملكته مؤاتية : إذا هتف
بها لبت بما يراد منها ، وأوحت بمعجز من آياتها .

وليس هذا بدعا من حال الرصافي ؛ فإنه ذأب الأفذاذ من عباقره أهل الفن
والأدب ، ولقدّمين في صناعات النظم والنثر ، فإنهم إذا امتد بهم الزمن في ممارسة
فنهم أو أدبهم ، سئموا التكلف له ، والتأنق فيه ، فإذا قالوا قولاً ، أو نظموا شعراً ،
أرسلوا طبعهم على سجيته ، فجاء النثر أو الشعر عفواً لا عناء معه ، وسيلا لا وعورة
فيه ، وجلياً لا غموض عليه .

ومما رواه صديقنا الأمير شكيب أرسلان عن أناتول فرانس ، أنه قال : « إني
في أول نشأتي كنت أنضح عرقاً حتى أبلغ الأسلوب العالي الفخم ، وأما الآن فإني
أفرّ منه فراراً » .

وهذا القول يذكرنا بالأمير شكيب نفسه ، إذ قد أصبح في نفرته من التكلف
للأسلوب الفخم ، وفراره منه ، كأننا طول فرانس ، ولم يعد يعباً من تزاين النثر
إلا بالبيان ؛ وهكذا شاعرنا « الرصافي » فإنه لم يعد يعباً من تزاين الشعر إلا بالبيان
أيضاً . فمن ثمّ وجب أن يُلقب بأمير البيان في الشعر ، كما لقب الأمير شكيب بأمير
البيان في النثر ؛ وكأنهما كليهما تواردا على العمل بوصية إمام نهضتنا الأدبية
« الشيخ محمد عبده » رحمه الله ، فقد قال :

« إن الكتاب والشعراء هم حملة مصابيح الهداية بين يدي أممهم ، فإذا بعدوا
عنها ، فلا حاجة لها بهم ولا بمصابيحهم » . وأراد بقوله : « بعدوا عنها » أن يكلموها
بأسلوب غامض ، مثقل بأوقار الصنعة ، وبعيد الاستعارات والكنائيات .

وكان رحمه الله يتأسف لكونه لا يقدر أن يكتب كتابة تتناولها جميع أفهام
القرّاء ، وكان يعد ذلك عجزاً ، ويقول : إنه يشعر من نفسه بالقدرة على النفع بالتعليم ،
أكثر من قدرته على النفع بالتأليف .

ولعل الذى حبب الرصافى وشعره إلى النشء العربى الجديد ، أنه يمشى بمصباح بيانه بين أيديهم ؛ فهو يقول ما يفهمون ، ويعبر بما يقول عما يحسون ويشعرون .

ونحن فى حالتنا الحاضرة المملوءة حيرة واضطرابا ، من الوجهتين السياسية والاجتماعية ، فى حاجة إلى زعماء يعرفون كيف يحدثون يقظة فى نفوس الجمهور ، ويتركون فيها من الاقتناع أثراً ينعماً . فالزعماء إذا لم يكونوا أدباء فى بيانهم ، وبلغ خطابهم ، لا يمكنهم أن ينقدوا أممهم من حيرتها ، ولا أن يستوقدوا نار الحمية فى نفوس ناشئتها ، إذ لم يعد الأدب اليوم كما كان قديماً : أدباً فياضاً بالصنعة ، براقاً بترازين البديع ، مما لا يعجب إلا قائله ، ولا يطرب إلا صاحبه ، وإنما الأدب أصبح عاملاً من عوامل تكوين الأمم ، وإبلاغها رشدها ، وإثباتها استقلالها .

والطريق الموصل إلى هذا الاستقلال — يقولون — هو السياسة . نعم ، ولكن هناك سياسة هى أتم وأكمل فى هذا الإيصال ، أعنى بها سياسة الأدب والثقافة ، وهى « السياسة العليا » كما سماها الأستاذ « مكرم عبيد » فى خطابه فى القدس . وهذه السياسة « سياسة الأدب » لا تقي بالعرض ، ولا تنقذ الأمة من ربقة الجهل والاستعباد ، ما لم تكن ذات لغة تجمع بين الصحة فى اللفظ والأسلوب ، وبين الوضوح فى المعنى والمقصود ، بحيث يتأثر بها جمهور أبناء الأمة ، فتجمع كلمتهم ، وتوحد ميولهم ، وتوجه إلى المثل الأعلى عزائمهم .

وهذا ما نكاد نلمسه لمساً فى كل جانب من شعر الرصافى ؛ ولا يحتاج القارىء إلا أن يتصفح ديوانه ، فيرى الشواهد الكثيرة عليه .

هذه مزية البيان فى شعر الرصافى ، من الوجهة القومية . أما مزيته من الوجهة التعليمية ، فهى أيضاً من أكبر المزايا التى تجعل شعره مدرسة ممتازة بطابعها ، يتخرج عليها طلابنا فى صناعة الشعر والأدب ، وتحصيل ملكتها . فشعر الرصافى صالح للحفظ والاستظهار ، وذلك لسهولة ، وحسن ديباجته ، وصفاء عبارته ؛ فإن الطالب لا يلبث إذا تلا شعره أن يستشف معانيه من وراء ألفاظه ، كما تستشف درر الحصاء

من خلال صفاء الماء ؛ ومثل هذا الشعر هو الذى يغرى الشداة بحفظه ، وتكرير تلاوته ، واحتذاء مثاله ؛ فلا تغم ملكة الشعر أن تستحكم فى نفوسهم ، وتنبوا المكان الأرفع من سلاتهم . وأت حذائق الأساتذة والمعلمين يعلمون ذلك ، فلا يروون تلاميذهم إلا ما كان من هذا القبيل ؛ أما حملهم على كد أذهانهم فى حفظ المعقد من الشعر ، والغث من القول ، فهو مفسد للملكة ، مشوه للسليقة ، مضعف للاستعداد والقابلية .

والرصافى فى مزيجى السهولة ومنمة الديباجة ، شبيه بالبحترى ، فالكلمات فى أبياتها مختارة متقاة ، رُتبت بحسب ترتيب المعنى ، وفصلت على قدره ، فلا تقديم ولا تأخير ، ولا حشو ولا تعقيد ، ولا استعارات بعيدة ، ولا كنيات غامضة ؛ ولو عمدت إلى كثير من قصائدها ، وحاولت تحويلها إلى مقال من النثر ، لأمكنتك ، وانقادت طائفة مختارة . وقد تتلى عليك القصيدة من شعر الرصافى ، فلا تدرى — وأنت تسمعها — إن كنت تسمع نظماً منشوراً ، أو نثراً موزوناً ، كما قال هو نفسه يصف شعره :

وأرسلته نظماً يروق . انسجامه فيحسبه المصغى لإنشاده نثراً

ومثله قوله :

فإني ما أطلعتُ شمسَ حقيقةٍ لمستمع إلا لتغرُب في السمع
ولست أبالي بعد إفهام سامعي أكان بخفض اللفظ ماقلت أم رافع

خذ مثلاً على ذلك قصائده : « من أين من أين يا ابتدأى ؟ » ، و « الحياة الاجتماعية والتعاون » ، « والمدارس ونهجها » ، وغيرها . وكما أشبه الرصافى بالبحترى فى هذا ، فكانا شاعرى ألفاظ ، وناشرى ديباج ، أشبه أبا الطيب المتنبي ، فكان معه شاعر معان ، وحكيم حجة وبرهان ؛ فهو فى كثير فى مواقفه يستخرج المعانى لدقيقة ، ويعبر عنها بألفاظ جزلة ، وأسلوب فخم ، ويضم من شعره الأمثال والحكم ،

والتلاميذ إلى قضايا العلم والفلسفة والتاريخ . وكثيراً ما سلك طريق التهويل والغلو في الوصف ، حتى ليخيل إليك أنه المتنبي ، لولا كلمات أو تعابير تجدها أحياناً في شعره ، تنبهك إلى أنك إنما تقرأ شعراً للمعاصرين ؛ وهذا كقوله :

لعمرك إن الحرَّ لا يتقيَّدُ	ألا فليقل ما شاء فيَّ المَفنَّدُ
إذا أنا قصدت القصيد فليس لي	به غير تبيان الحقيقة مقصَّدُ
نشدت بشعري مطلباً عزَّ نيله	وإن هان عند الشعر ما كنت أنشدُ
فلنجم بعدد دون ما أنا ناشد	ولدرٍ قدر دون ما أنا منشد
وكم جنبتي عزة النفس منهالاً	يطيب به لكن مع الدُّل مَوْرَدُ
وما أنا إلا شاعرٌ ذو لبانة	أنوح بها حيناً وحيناً أغرَّدُ
ولي بين شذقي المريتين صارمٌ	يسل على الأيام طوراً ويُعَمِدُ
ولا عجب أن عابني الشاعر الذي	يقول سخيـف الشعر وهو مقلد
فإن ابن بُرد وهو أكبر شاعر	تنقصه في الشعر حمادٌ عَجَرْدُ
تعودتُ تصرُّجي بكل حقيقة	والمرء من دنياه ما يتعودُ

فقوله « تبيان الحقيقة » و « تصرُّجي بكل حقيقة » و « وهو مقلد » : تعابير لولاها لحسبنا قائل الشعر منبئ القرن الرابع ، لا الرابع عشر .

وقد نظم الرصافي في أغراض الشعر المختلفة : كالمَدح ، والفخر ، والغزل ، والرثاء ، والمجاء ، والعتاب ؛ لكنه في نظامه فيها كن يجرى على مثال سابق ، وبرنامج مقرر ، فلم يكن له فيها الفضل الذي له في أغراض أخرى من الشعر لم يعرفها الأقدمون ، ولم يحوِّد أو لم يكثُر منها المعاصرون ؛ وهذا بشعره الذي ضمنه إشارات إلى ما تقرر في العلوم الاجتماعية ، والعلوم العصرية ، والاختراعات الحديثة ، فقصائده « تجاه الازمهاية » ، و « من أين من أين » ، و « نحن على منطاد » ، و « الأرض » ، و « ألكنى يا ضياء » ، و « معترك الحياة » ، وغيرها ، ولو حولت إلى نثر لكانت من خير المقالات التي وصفت بها الكائنات وصفاً منطبقاً على آخر نظريات العلم

الحديث ؛ ففيها بيان أو شرح لوحدة المادة ، والجاذبية . والأثير ، والكهرية ، وأشعة رنتجن ، وآراء « دارون » في النشوء ، ومذهب « ديكارت » في التوصل إلى اليقين بالشك ، ومبادئ الاشتراكيين ؛ في أن تكون للعامل حصة من إنتاجه .

تركوا السعى والتكسب في الدنيا وعاشوا على الرعية عالة
ياكلون اللباب من كد قوم أعوزتهم سخينة من نخاله
يتجلى النعيم فيهم فتبكي أعين السعى من نعيم البطالة
ليس هذا في مذهب الاشتراكية إلا من الأمور المحاله

وقصيدة « المطلقة » ليست سوى مقال في الإصلاح الإسلامي ، فهو بعد أن وصفها وصفا حزينا ، عاد فاستبشع الطلاق عن غير قصد إيقاعه ، أو إيقاعه ثلاثاً بلفظ واحد ، وعاب الجود في الفقه ، وترجم على ابن القيم وشيخه ابن تيمية المصلحين العظمين .

والشواهد على شعره الاجتماعي لا تكاد تحصر ، فمنها قوله :

لئن وادوا البنات فقد قبرنا جميع نساءنا قبل المات
وقوله : ولم يصلح فساد الناس إلا بمال من مكاسبهم مشاع
وقوله : فنحن أناس لم نزل في بطلاة كأننا يهود ، كل أيا منا سبت
وقوله في الشرقيين ونسائهم :

ألم ترهم أمسوا عبيداً لأنهم على النذل شبوا في حجور إماء
وهان عليهم حين هانت نساؤهم تحمل جور الساسة الغرباء

ويصعب تتبع الشواهد لكثرتها ، وإنما نحيل القارئ على « الاجتماعيات والنسائيات » من الديوان ، ففيها بلاغ . في كل هذه الفنون العصرية والاجتماعية نظم وأكثر وأبدع ، وقد وفق أحسن توفيق في جمعه بين الأسلوبين ، وإجادته في التعبيرين : التعبير اللغوي الفصيح ، والتعبير العامي الصريح .

ومما امتاز به وصفه لما يقع تحت نظره من مشاهد الوجود ، على اختلاف أنواعها ،

فهو يتتبع جزئياتها ، ويستقصى دقائقها ، حتى تكاد تلمسها لمسا ، وتحسبها ماثلة أمامك عيانا وحسا ؛ من ذلك قصائده في وصف « غروب الشمس » ، و « راقصة للمهى » ، و « القاطرة والقطار » ، و « كرة القدم » و « حرائق الآستانة » . أما قصيدته في الأتوموبيل — وقد وضع له لفظ « تومبيل » — فلم تدلّ على دقة الوصف فقط ، بل تدل أيضا على تمكنه من اللغة العربية ، وحذقه في استعمال فصيحها وشواردها ، مما يذكرنا بأبي العلاء المعريّ وحذقه في ذلك ، على أن لقصيدته « التومبيل » دلالة ثانية على اتساع لغة العرب ، وصلاحيه أساليبها وكلماتها لوصف المخترعات الحديثة ، وطواعيتها في تقرير مسائل الفنون العصرية ، إذا أجيد استعمالها لإجادة الأستاذ الرصافي لها .

ولم نذكر في مزايا الرصافي متانة قوافيه ، لظهور ذلك واشتহার أمره ، وأشد ما تتجلى براءته حينما تبنى القوافي على نواذر الصيغ والحروف ، أمثال « جلوازه ، وعكازة » و « الفراديسا ، والطواويسا » ، و « المدملك ، والمترهوك » ، و « متلصص ، ويتبصبص » ، و « أبواز ، وهزهاز » ، و « ثلطوا ، ويسترط » ، و « مأزوزا ، وتهويزا » .

وقد استباح لنفسه أن يرى من الآراء ، ويصف في شعره من الشئون والمنازع ؛ مالا تهواه السياسة ؛ أو لا يرضى رجال الدين عنه ؛ أو لم يعتد الناس سماع مثله ؛ ولم ينشر من هذا في ديوانه شيء ؛ أو نشر النزر القليل منه ؛ وكان هو يمتنى لو ينشر كله ؛ ويحتجّ لنفسه في نظمه ؛ ولزوم نشره ، بأنه أمر واقع ؛ وحقيقة ثابتة ، وهل السكوت عنه ؛ والاستحياء من ذكره ؛ إلا وهنٌ في النفس ؛ ونخادة للجمهور ، وطمس للحقيقة ؟ وهذا ما عناه في قصيدته التي عنوانها « حرية الفكر » :

وَجَرَدَتْ شعري من ثياب رِيائيته	فلم أكسه إلاّ معانيه انغرا
أضمّنه معنى الحقيقة عاريا	فيحسبه جهالها منطقيها هجرا
ويحمّله الغاوى على غير وجهه	فيوسعني شتما ؛ وينظرني شزرا

رؤيدك ؛ إن الكفر ما أنت قائل وإن صريح العرف ما خلته نكرا
 هل الكفر إلا أن ترى الحق ظاهراً فتضرب للأنظار من دونه سترا
 إذا كان في عري الجسوم قباحة فأحسن شيء في الحقيقة أن تعري
 غير أن له في الصفحة (١٨٧) قولاً جريئاً لا نواقفه عليه ؛ وكنا نشمى لو جرد
 ديوانه منه . وكما وجد مؤرخو الآداب العربية في شعر « أبي نواس » و « المعري »
 و « الخيام » ما يدعو إلى حسن الظن بهم ؛ فإنى كذلك وجدت في شعر الرصافي
 ما يثلج له القلب ؛ ويخفف من حدة العتب ؛ من ذلك قوله في تنزيه الباري :

وغاية جهدي أنني قد علمته حكماً تعالى عن ركوب المظالم
 وقوله : لعمرك ما هذى الحياة وما الذي يراد بنا فيها من الخير والشر ؟
 على أننا نمضي إلى أمر ربنا كما أننا آتون من ذلك الأمر
 وقوله : اقرأ كتاب الكون تلق بمنته آيات ربك فصلت تفصيلاً
 سبحان من جعل العوالم أنجماً يسبحن عرصات الأثير وطولاً !
 وقوله : رماني القوم بالإلحاد جهلاً وقالوا عنده شك مرئب
 فمن ذا منكم قد شق قلبي وهل كشفت لكم في الغيوب
 فعند الله لي معكم وقوف إذا بلغت حناجرها القلوب
 يقيني شر فريتكم يقيني بأن الله مطلع رقيب

وفي قصيدة « حرية الفكر » و « سياسة لا حماس » و « تنبيه النيام » و « إلى
 الأمة العربية » وغيرها نبرات حادة . ونعرات صاخبة . أثار فيها حفاظ شبان الوطن ،
 وشدد من عزائمهم في سبيل الدود عن حرية أوطانهم . وألا ينخدعوا بأحاييل
 السياسة التي تلقى أمامهم . ولا يبذروا المواعيد التي تنثر حوالهم . وفي قصيدة
 « ما هكذا » وفي « ليلة نابغة » نقد لاذع لمن اعتقد أنهم أساءوا إلى وطنهم . وقد
 قال في قصيدته التي جعل عنوانها « تنبيه النيام » :

عجبتُ لقوم يخضعون لدولة يسوسهم بالموبقات عميـدها

وأعجب من ذا أنهم يرهبونها وأموالها منهم ومنهم جنودها
ومعنى هذين البيتين مأخوذ من بيتين للسيد توفيق البكري .
والرصافي عدة أبيات توارد فيها أو أخذ معانيها من غيره من الشعراء . والتوارد
والأخذ فيها ظاهر ، حتى كأنه اقتباس لا أخذ ؛ من ذلك قوله :

فمتاع الحياة أصغر من أن يستقرّ القلوب بالأحقاد
وهذا من قول المتنبي :

ومراد النفوس أصغر من أن تتعادي فيه وأن تتفاني
ومثله قوله .

وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا كمشيت وإن يقعد أولئك أقعد
وهو من قول دريد بن الصمة .

وهل أنا إلا من غزيرة إن غوت غويت وإن ترشد غزيرة أرشد

ويشبه أن يكون شاعرنا « الرصافي » أحب أن يقتبس بيتي المتنبي ودريد ،
ويدخلهما في شعره ، فاقتبسهما على هذا الوجه ، وهو ضرب من الاقتباس طريف .

ومن لطيف قول « معروف » ما خاطب به « صلاح الدين الأيوبي » يستنمضه
من قبره ، ليرى ما فعله الجنرال اللنبي في بيت المقدس :

حنانك يا قبر ابن أيوب فانصدع لينهض ثاوي في مطاويك مفضال
إليك صلاح الدين نشكو مصيبة أصيب بها قلب العلي فهو مغتال

ويشبه هذا ما قال أديب الترك « نامق كمال » في بيتيه اللذين خاطب بهما قبر
السلطان عثمان في « بروسه » ، ثم نفى من أجلهما ، وهما :

أويان أوتق أويان أي حضرت عثمان ذي همت

أوياندر كورنه حاله كيردى تأسيس اتديكك دولت

يتش إمدادينه بي كس قالان أرباب إيمانك

يتش كه سرنكون أولدى لراي نصرت ملت

ومهما تجنب الرُّصافي الصنعة البديعية ومحسناتها في شعره ، فقد وقع له منها الكثير المستملح ، الذي جاء عفواً في غير تكلف ، وطوعاً من دون استكراه .

من ذلك قوله :

ليوثٌ إذا ما عبست في ملمةٍ تبسمت الدنيا تبسمَ ناصرٍ
وقوله : ولم تأخذوا للأمر يوماً عتاده فجاءت أمور ساء فيكم عتيدها
وقوله في فتك الأيام بالناس :

ولو لم تنو حرباً ما تبدى بها شكل الأهلة خنجرياً
وقوله : أيها المولون في مصر مهلاً إنَّ إيلاكم لنا إيلام
وقوله : يقينى شر فريتكم يقينى بأن الله مطلع رقيب

وقوله من قصيدة في الحضر على التبرع المصابين بإحدى حرائق الآستانة مقتبساً :
ياقومُ هذى سبيل العرف واضحةً فليمض فيها بكم وخدٌ وإرقال
ومن تلك الحال فيها لا تساعدهُ «فليسعد النطق إن لم تسعد الحال»
أما رأيه الخاص فهو تجنب أنواع البديع ما أمكن ، والعناية بأن يكون الشعر سلساً مفهوماً ، ولذا تسمعه يقول :

لست بالشاعر الذى يرسل اللفظ جزافاً لى يصيب جناسه
أنا لا أبتغي من اللفظ إلا ما جرى في سهولة وسلاسه
إنما غايى من الشعر معنى واضحٌ يأمن اللبيب التباسه
وله في خلال أبياته نكت مشورة ، وملح مأثورة ؛ من ذلك قوله :

أما والله لو كنا قروداً لما رضىت بحالنا القروداً
وقوله : حتى رجال الصين تحترمُ النساء أفنحن ننقص عن رجال الصين
وقوله : كم نشربُ الظن فلا نرتوى ونأكل الخدس فلا نشبع
وقوله يخاطب الكائنات العالوية :

وقالوا الأرض بنتك غير ممين فهل أبناء بنتك يصدقونا

وقوله : وكم مدعٍ فضل التمدن ما له من الفضل إلا أكله بالملاعق
وقوله : وتكره نفسى كل عبدٍ مذلٍ فقد كرهت حتى الطريق المعبدا
وقوله فى أن شربه للتبغ ضارٌّ كشرب الآخرين للخمر :

إنى لأمتصُّ جحراً نفَّ فى ورقٍ إذ يشربون لهيباً ملء كاساتٍ
وقوله : أمرٌ فتَنظرُ الأبصارُ شُرّاً إلى كأنما قد مرَّ ذيب
وقوله : وأتركُ ما قد تشبهى النفسُ نيله لما تشبهه قلةٌ فى دراھى
وقوله فى الذين ارتقوا فى الحضارة ، وتركوا فى الحضيض :

وعلوّاً بحيثُ إذا شَخَصنا نحوهم من تحتهم ضحكوا علينا من علٍ
وقوله فى رهبة الناس من السلطة القاهرة :

تنحو بنا طرُق البوار تحيفاً وتسومنا سوء العذاب الأهول
هذا ونحن مجدِّلون تجاهها كالنَّار مرتعداً تجاه الخيطل
وقوله : دَع الأنامى وانسبى لغيرهم إن شئت للشاء أو إن شئت للبقرِ
فإن فى البشر الراقى بخلقته من قد أنفت به أنى من البشر
وقوله فى وصف أهل هذا الزمان :

لا يغضبون لأمر عم باطله كأنهم غير مخلوقين من عصبٍ
وليس تندى من النكراء أوجهم كأنما القوم منجورون من خشبٍ
وقوله : فأكثرُ القوم من ذلٍّ ومسكنة تلقى الذباب على آناهم يسم
وقوله فى خوف اليونانيين من مصطفى كمال :

إذا ذكروا سمالك ولو مناماً تحاموا ذكره بسوى التهجى
وسمالك : أى اسمك :

أما استخراجُه للمعانى الدقيقة ، والمعانى المبتكرة ، فقد فاز منها بسهم وافٍ ،
وخرج من ميدانها بجدٍ عاثر ، وقد أشار إلى ذلك بقوله :

لا يحسن الشعر إلا وهو مبتكر وأى حسن لشعر غير مبتكر ؟
وبقوله يصف شاعريته :

على أن لي طبعاً لبيطاً يوشيه نزوعاً إلى أبكاره دون عونته
ويوشك أن تكون قصيدته «العالم شعر» بحملتها من قبيل الإبداع والابتكار ،
لما تضمنته من جمال الأسلوب ، وحسن التنسيق ، والتفنن في إيراد الأغراض .

ومعظم معانيه المبتكرة تجدها في وصفه الحياة الكونية ، وكرورها عوداً على
بدء : انتهاء ثم ابتداء : اندثار ثم بناء ، وفي وصفه العوالم العلوية ، وهدوء الليل ،
وراحة الموت ، والفرور والكبر ، واليؤس والشقاء ؛ واقراً إذا شئت « المطلقة »
و «أم اليتيم» ، و «اليتيم في العيد» وغيرها ، تجد أمثلة لما ذكرنا . ويشبه أن يكون
من معانيه المبتكرة ، قوله في أن الموت شفاء من آلام الحياة :

إنما هذه الحياة جروح^ه أئحنتنا والموت مثل الضماد
وقوله : تنظمنا الأيام شعراً وإنما تردُّ المنايا ما نظمنا إلى شر
وقوله : إن يكن أعهد الردى منه في القبر حساماً فذكره مسلول
وقوله : والليب الذي تعلم إتيانا ن المعالي من خسة الأوغاد
وقوله : حدود^ه جرى ماء الشبية فوقها ففيه عقول الناظرين من الغرقى
وقوله : قد يحسب الإنسان آماله والموت مصغ نحوه يسمع

وهذا يذكر بقول الحماسي : « والموت خزيان ينظر » .

وقوله . ونحن كالماء جرى نابعا لـكن علينا خفي المنبع^ه
وهذا يذكر بقول أحد شعراء الفرس : «العالم ككتاب مخروم الأول والآخر» .

وقوله : لعمرك إن الدهر تغلى خطوبه^ه وإن عويل الصارخين أنشيش
وقوله : كم كذب الدهر في فعائله وسؤدد الجاهلين من كذبه
وقوله في مخادعة الدهر :

كأن ليالى الدهر غصبي على الورى فتنظر^ه شزراً بالهجوم الشوارى

ولو لم يحنس كل يوم مواربا لما كان فجره كاذباً قبل صادق
وقوله : وهو من ملحه :

يا قومُ قد هـرَمَ الزمانُ من التمدادِ في انقلابه
فلذلك عندَ الهاجرا تيسيلُ شئٍ من لعبه
وقوله : وحبَّ الذي عاداك إن رمتَ قتله فإني رأيتَ الحبَّ أقتل للعدا

وقوله في الفنون الجميلة وإسعادها الحياة :

إن الذي جعل الحياة رواعداً جعل « الفنون » من الحياة بروقا
وقوله في إسعاد العلم للبشر :
ألغزَ الدهرُ في الحقائق لكن أفهم العلم أهله ألغازه
وقوله في رثاء شيخه الألوسي :

أما العراق فأمسى الرقدان به سطرين للدمع في خديه قد سالا
وقوله في أنين « أمَّ اليتيم » :
أرى حمةَ الظلماء عند أنينها فاعجبُ منها كيف لم تتضرَّم
وقوله في وصف سجن بغداد :

وقد عميت منه النوافذ والكوى
وقوله : أرى أنف الحوادث مشمخراً
ويوشك أن يمزقَ منخرية
وقوله : وإن فتى الدهر من يدعى
وقوله : وإني لأبصر في بيروت قاتبة
وقوله يصف تراكم الكروب عليه :

يقلَّ كروباً بعضها فوق بعضها إذا ما رمى كرباً رأى تحته كرباً
وليس هذا في الحسن بأدنى من قول أبي الطيب :
« فصرتُ إذا أصابتني سهامُ تكسرتِ النصال على النصال »

وقال في وصف الظلام وشدته :

تمطى على الآكام منه بغيهيب تكاثف حتى خلته قد تحجرا
وكاد دُجَاهُ يمكن الكف منه فلو سار سار في دُجَاهُ نعثرا
وقوله في من يخالف قوله عمله ، يقول الحق ويفعل الباطل :
رجل قد تنكب الحق قوساً ومن البُنطل ظل يرمى سهاماً

وقوله في المتعلم الذى لا يخصص به ، ل يشارك في كل علم :

هبه أبدى من العلوم نجوماً في ليال من المشا كل دهم
أو ليس البدر التمام وإن كان وحيداً يربو على ألف نجم
وقوله في امرأة مجلبة بالسواد حزناً :

« فكانت لها سود الجلابيب حلية » ولا عجب أن الدجى من حلى البدر
كان تلاميح الأسى في جبينها بقايا ظلام الليل في غرة الفجر

وللرصافى طائفة من القصائد ضمنها قصصاً ، يخيل إلى سامعها أنها واقعية
لا خيالية ، كقصيدة « النقر والسقام » ، و « المطلقة » ، و « اليتيم في العيد » ، وغيرها .
وأدباؤنا المواعون بالتجديد يترقبون إحداث « القصة » في النثر ، وهذا الرصافى
قد سبق ، فأحدثها في الشعر منذ أكثر من عشرين سنة .

على أن قصص « الرصافى » هذه ليست مما ينطبق عليه اسم « الشعر القصصى » ،
كإلياذة هوميروس ، وشاهنامة الفردوسى ، إذ أنهم اشترطوا فيه أن يكون قصيدة
مقصدة ، لا تقل أبياتها عن بضعة آلاف بيت ؛ وأن يستقن فيها بسرد أساطير الأئمة
في فجر حياتها ، ووصف حروبها ، وبطولة أبطالها ، ممزوجاً كل ذلك بأخبار ألفتها .
ويقال بالاختصاص : إنهم اشترطوا أن يكون « الشعر القصصى » مضروباً على غرار
إلياذة « هوميروس » المشهورة .

فاذا كان هذا الشرط صحيحاً ، فليس في شعر الرصافى ولا في شعر غيره من
شعرائنا الأقدمين والمحدثين ، إلياذة ، أو « ملحمة » من هذا النوع .

وإذا كان شاعر مصر الكبير «أحمد شوقي بك» عمل على سدّ ثُلمة في أدبه القوميّ ، بوضعه الروايات الشعرية المسرحية ، فحُدير بشاعر العراق الكبير «معروف الرصافي» أن يسد ثُلمةً أخرى ، فيضع ملحمةً عربية في عشرة آلاف بيت أو أكثر: يصف لنا فيها أساطير العرب ، وحروبهم ، وشجاعة أبطالهم ، وأخبار آلهتهم ، كالثلاث والعزّي ، ومائة الثالثة الأخرى ، من أقدم تاريخهم الخرافي في الجاهلية ، إلى صدر تاريخهم في الإسلام .

وإن للرصافيّ من قصة «عذرة» ، و «بنى هلال» ، وفتوح الشام المنسوبة للواقديّ ، وغيرها من القصص ، مادة غزيرة ، تساعد على عمله : إذ أن فيها أخيصة واسعة ، ومفاجآت مذهشة ، ومبالغات عجيبة . وإذا أراد جلالته «فيصل الأول» ملك العراق ، أن يجعل الرصافيّ يفرغ لهذا العمل ، ويكون لجلالته الفضل الأكبر فيه — إذا أراد لجلالته ذلك فعل ، إن شاء الله .

ومما يساعد الرصافيّ على الإجادة في إليادة العرب الجديدة ، ما أوتي من سهولة شعر ، وانقياد طبع ، وسعة خيال ، ومواتاة قريحة في نظم القصص ، وسلامة ذوق في اختيار كلمات اللغة ، والتأليف بين ما كان منها متلائم الجرس ، متناسب «الموسيقية» . وسهولة الألفاظ وموسيقيتها ، ينبغي أن تكونا أول ما يشترط في «الملحمة» ، لأنها يتغنى بها ، وينشد لها للاطراب أبناء الشعب ، على اختلاف طبقاتهم . ملحمة مثل هذه تكون من أكبر العوامل في إنعاش ما خُل من ذكر العرب ، وخذ من نار حميتهم ، ووهن من منة عزيمتهم ، وإن قصيدة «أبو دلالة والمستقبل» ربما كانت نموذجاً حسناً لإجادة شاعرنا «معروف» في ما نبغيه منه ، ومن نظم إليادة عربية . فليراجعها القارئ ص (٣٦٨) من هذا الديوان .

وقد رأينا للرصافيّ تعابير لم نسمعها لغيره ، من ذلك قوله . «وغى العيش» ، والوغى . جلبة الحرب ، فجعل للعيش والزحام على الحياة وغى ، يكثر فيها الصخب

والجليلة . وقوله « خنا الطبع » وأصل الخنا : الفحش في القول ، وخنا الدهر : نوائبه ، وذلك مذ قال :

وكم رام إسكاتي أناس أبي لهم خنا الطبع إلا أن يروا إلى حسدا
وقوله : (هزّة سرورية) وقوله (بقظة نهوضية) نسبة إلى النهوض ، مذ قال :
أرى - بعد نوم طال في الشرق يقظة نهوضية فيها طموح إلى الجدد
وله غير ذلك من التعابير الحديثة المقبولة . كما أن له تعابير أخرى فيها لين ،
ومسحة من ابتذال ، بسبب تردها على الأفواه ، ودورانها في لغة التخاطب ، وإن
كانت في أصلها فصيحة لفظاً ومعنى . من ذلك قوله :

إلى كم نطل لأغراضنا نعارض من دون أدنى سبب
وقوله في أبيات أخرى « يستوجبون احتراماً » و « استوجب العطف » « نأخفين
في الشباة » « عيش بسيط » « جهولا يتعنفس » « ولو من أجلها ضربت عنقي » .

وقوله : لم أدر والآثار منه كثيرة في الغرب لم نزلت وقلت عندنا ؟
وقوله : أنا أبكى عليه من جهة العالم وأغضى عن خوضه في السياسة
قد أبت هذه السياسة إلا أن تكون الغشاشة الدساسة
ما تعاطى غير الخداع « غلادستون » فيها كلا ولا « دلكاسه »
لو أردنا إفاضة في هجائها لكتبنا لكم به كراسه
وقوله : قد بكنه مدارس عامرات هو فيها المدرس المسئول
نما قد ذكرت بعض مزايا ه وإلا فشرحهم يطول
وقوله : إذا ما دئمنا الدهر يوماً وأهله فإنك من تلك المذمات مستثنى

ويوشك أن تكون قصيدة « يا محب الشرق » التي خاطب بها المستر (كراين)
كلها من هذا القبيل ، في النعومة ولين الأسلوب .

أما مواضع المؤاخذه في شعر شاعرنا فقليلة جداً . ولقد كددت ذهني لأجمع
منها شيئاً ، فلم يقع لي إلا التليل .

فالعامض من أبيات شعره قد يكون بقدر الواضح في شعر كثير من شعرائنا المشهورين .

وقد يكون الغموض في شعره ناشئاً من كلمة استعملها في غير المؤلف من معناها مثل قوله :

وقد يفترى المال الفضائل للورى وليس لهم مما افتراه نصيب
أى أن المال يحدث لبعض الناس فضائل ومناقب ، مع أنهم عِراة منها ، فأراد
بيفترى : يحدث ويوجد . والمشهور فيه استعماله بمعنى الاختلاق والكذب في القول .
ومثل ذلك أيضاً قوله « فتاة راع نضرتها الشحوب » أواد براع . شوّه ،
والمشهور المتبادر من معنى (راع) غير هذا .

ومثله قوله .

جَلَّتِ الطبيعة في رباه بدائعاً تكسو الكهول غضاضة الشبان
أراد بالغضاضة . النضارة والطراوة ، يقال . نبات غضّ ، ولكن أكثر
بما تستعمل كلمة « الغضاضة » في معنى الذلة والمنقضة ، لحقته غضاضة ، وهذا الأمر
عليه فيه غضاضة .

ومثله قوله .

أيها الأرض سِرَّتْ سيرك مثنى ذا يتاجين فى زمانٍ أحادٍ
إنما يكثُر فى استعمال « مثنى ، وأحاد » وأخواتها ، أن يقال . جاءوا مثنى ،
وأحاد أى اثنين اثنين ، وواحداً واحداً ، ويظهر أن كلمة « أحاد » غير موفقة فى شعر
كبار شعرائنا ، أليس المتنبى ، يقول .

« أحاد أم سداسٌ فى أحادٍ ليلتنا المنوطة بالتناد »

ومن مواضع المراجعة فى شعر الرصافى قوله على لسان (فاطمة) لمن يحزن أخاها
الفقير ، فى قصيدة (الفقر والسقام) .

أيها الواقفون لا تُهملوه دونكم أدمى بها غسلوه
ثم بالتوب ضافياً كفنوه وادفنوه لكن بقلبي ادفنوه
لا تواروا جبينه بالتراب

فقوله «ثم بالتوب» أليس صوابه «بالشعر» ، ونعني به شعرها .
وقوله في قصيدة «تنبيه النيام» :

إذا جاهل منكم مشى نحو سُبَّة مشى غيركم من غير قصد يُريدها
كأنكم المعزى تهاوين عند ما نَزَا فنزت فوق الجبال عتودها

أليست «الجبال» سبق قلم ، وصوابه «الدَّحَال» جمع «دَحَل» وهو كما قال
الأصمعيّ . «هوَة تكون في الأرض ، وفي أسافل الأودية فيها ضيق ثم يتسع» .
فالعُتود . أى الجدى إذا في الدَّحَل تهاوت وراءه المعزى ، فهلكت . ويضرب
الفرنسيون المثل بخروف «بانورج Panurge» ، وهو بطل إحدى روايات الكاتب
الفرنسي «رابله» (Rabelais) ، فإن «بانورج» هذا كان في سفينة مع راعي غنم ،
فلم يبعه خروفاً إلا بثمن عظيم ، فاشتراه بعد مساومة عنيفة ، وأراد الانتقام منه ،
فقدف خروفه الذى اشتراه من الراعى في البحر ، فتهاوت وراءه خرفان الراعى
المسكين ، فهلكت كلها .

وهذه الكلمات وأمثالها في ديوان الرصافى من تحريف الطبع في غالب الظن ،
كمثل قواه «نقاب الحسن» وهو يصف المطلقة الحزينة :

وقد خلب العقول لها جبينٌ تلوح على أسرته النكوب
ألا إن الجبال إذا علاه «نقاب الحسن» منظره عجيب

فإنها محرفة عن «نقاب الحزن» كما هي كذلك في الطبعة الأولى من الديوان .
ومع أن الرصافى لا يتخرج من استعمال الكلمات المولدة والمعربة ، فإنك تراها
مليلة جداً في شعره ، من ذلك كلمة «احتار ، يختار» فإنه استعملها ، وهى غير قاموسية
لم تذكر في القواميس .

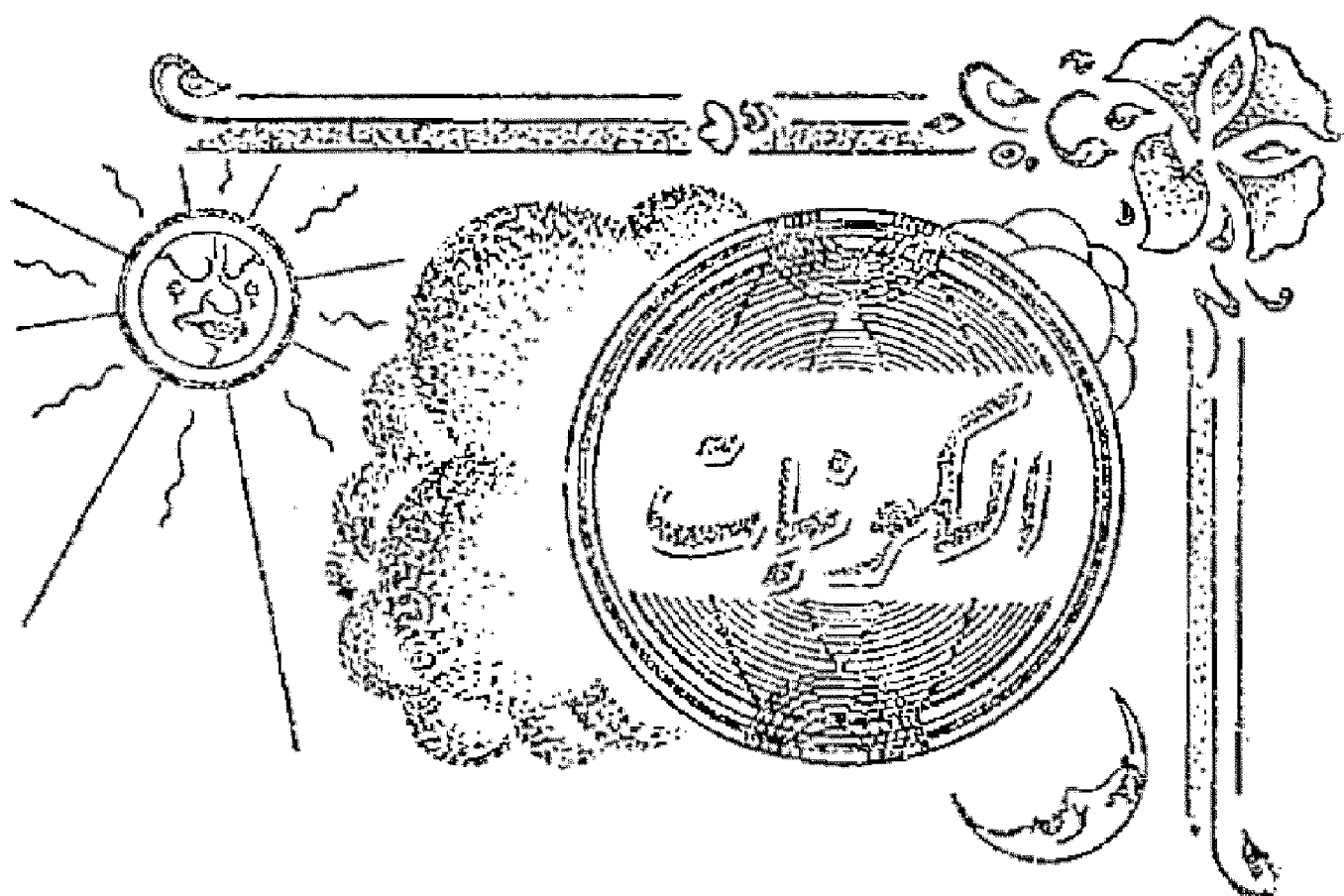
ومثلها كلمة « افتنان » بمعنى البارع في أحد الفنون ، كالنحت والتصوير
والتمثيل ؛ وهي في اللغة بمعنى حمار الوحش ، الذي يعدو فنونا ، أى ضرو بامن العدو،
واستعملها إخواننا المصريون في معنى البارع في الفن . وإن من يتسامح في استعمال
أمثال هذه الكلمات . يعيبه (المحافظون) . ويتهمون به بإفساد اللغة . وإحياء التقييد .
وإماتة الفصيح .

ولا يصح أن يستعمل الرصافي بمثل هذه التهمة . فإن الدخيل في شعره قليل جداً
كما ذكرنا . بينا الفصيح أو الغريب كثير .

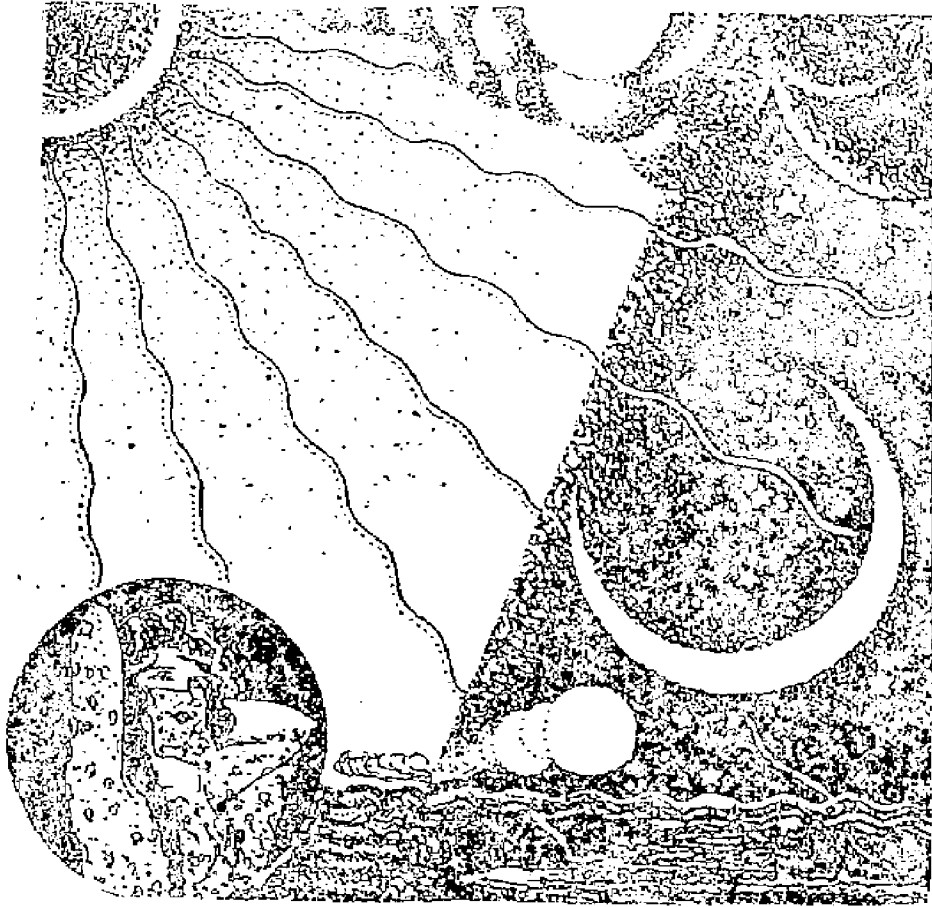
من ذلك كلمات (مكوثد) أى (أرْعَش) من الكبير . (الخشام) الألف .
(آزمتا الذئب) . ناباه (تمزَع) . تسرع . (عجار) . المصارع الذي لا يُطاق .
(شحا بفمه) . فتحه أشد فتح (الألال) . الباطل . (السعار) . شدة الجوع .
(مخلبة الشرب) . ماء فيه حمأة . وغير ذلك من فصيح اللغة . الذي تجد منه في
القصيدة الواحدة من قصائده كلمات قليلة . لا تتجاوز البضع . وقد لا تجد شيئاً منه
أصلاً . وفي استعمالها مع توطئة السياق لفهمها . نشر اللغة . وإحياء لغيتها . وهو
طريق من طرق تنميتها . وتوسيع دائرة التخاطب بها .



هذه كلمة في الرصافي وشعره . أسوقها بين يدي ديوانه . وأنا خجل من تفاهتها .
وقلة فائدتها .



في مشهد الكائنات



جمالك يا وجه الفضاء عجيب . . .

جمالُكَ يا وجهَ الفضاءِ عجيبٌ وصدرُكَ يا بَني الانتهاءِ رحيبُ
وعينُكَ في أمِّ النجومِ كبيرة تضيءُ على أنّ الضياءِ لهيبُ^(١)
وما زلتَ تُغْضِيها فنُحْطِىءُ قِصْدَنَا وتفتَحُها برّاقَةٌ فنُصِيبُ^(٢)
فيحمرُّ منها في الغدِيَّةِ مَطْلَعُ ويصفرُّ منها في العِشِيِّ مَغِيبُ
ويخلُقُها البدرُ المنيرُ حَفِيدُهَا وعنِها إذا جَنَّ الظلامُ يَنُوبُ^(٣)

(١) لما أنبت للفضاء وجها وصدره في البيت الأول ، ناسب أن يعبر عن الشمس التي في الفضاء بقوله : وعينك . العين لفظ مشترك بين الشمس والبصرة . أم النجوم : المجرة ، و«على» في البيت المصاحبة بمعنى مع .

(٢) يقال أغضى الرجل عينه : أى طبق جفنيها . والضمير من تغضيها عائد إلى العين التي هي بمعنى الشمس في البيت المتقدم ، وأراد بإغضائها إخفاءها عند الغروب .

(٣) الحفيد : ولد الولد . وجعل البدر حفيدا للشمس ، لأنه منفصل من الأرض المنفصلة من الشمس ، فهو منها بمنزلة ولد الولد .

وليل كَأَنَّ البدر فيه مَلِيحَةٌ أَغَارَهَا والنَّـيِّرَاتُ رَقِيبٌ
سَرِيَتْ بِهِ وَالبَحْرُ رَهْوٌ بِجَانِبِي وَرَدْنُ النَّسِيمِ الْغَضُّ رَطِيبٌ^(١)
فشاهدت فيه الحسنَ أَزْهَرَ مَشْرِقًا لَهُ فِي الْعُلَى وَجْهٌ أَغْوًى مَسِيبٌ
ورحت وأهل الحَيِّ فِي قَبْضَةِ الْكَرَى وَفِي اللَّيْلِ صَمْتُ بِالسَّكُونِ مَشُوبٌ^(٢)
فَكَنتُ كَأَنِّي أَسْمَعُ الصَّمْتَ سَارِيًّا لَهُ بَيْنَ أَحْشَاءِ الْفَضَاءِ دَيْبٌ^(٣)
وَلَوْ أَنَّ صَمْتَ اللَّيْلِ لَمْ يَكْ مُطْرَبًا لَمَّا هَزَّ أَعْطَافَ النَّسِيمِ هَبُوبٌ

* * *

أَلَا إِنَّ وَجْهَ الْبَحْرِ بِالنُّورِ ضَالِكٌ طَلِيقٌ وَثَغْرُ الْمَاءِ فِيهِ شَنِيبٌ^(٤)
تَرْقُقُ مَنَسَابًا بِهِ الْمَاءُ وَالسَّنَى فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ اللَّامَعِينَ يَسِيبُ^(٥)
وَلِلْبَدْرِ نُورٌ يَمْنَحُ الْبَحْرَ رَوْقًا فَيَبْدُو كَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ ضَرْبٌ^(٦)
إِذَا جَشَّ الْبَحْرُ النَّسِيمُ تَهَلَّلَتْ أَسَارِيرُ فِيهَا لِلضِّيَاءِ وَثُوبٌ^(٧)
وَقَفْتُ وَلِلْأَلَاءِ السَّنَى يَسْتَخْفَنِي فَتَطْرِبُ نَفْسِي وَالكَرِيمُ طَرُوبٌ

* * *

أُرَدِّدُ بَيْنَ الْبَدْرِ وَالْبَحْرِ نَاطِرِي فَيَصْعَدُ طَرْفِي مَرَّةً وَيَصُوبُ

- (١) سرية به : أى فيه . رهو : أى ساكن .
(٢) معنى أنهم فى قبضة الكرى : هو أن النوم مستول عليهم أى هم نائمون . وأراد بالصمت عدم الصوت ، وبالسكون عدم الحركة . ومعنى كون الصمت مشوبا ، أى مخلوطا بالسكون ، أنه ليس هناك صوت ولا حركة .
(٣) أراد بقوله أسمع الصمت أى أدركه بواسطة السمع . وذلك أن المرء إذا أصاح فى الليل فلم يسمع صوتا ولا حركة ، أدرك أن فى الليل صمتا ، ولا غرابة فى ذلك ، لأن الصمت ليس بعدم محض ، وإنما هو عدم الصوت أو الكلام ، فهنا تبين لك معنى قوله أسمع الصمت .
(٤) يقال : ثغر شنيب ، أى فيه شنب ، وهو ماء ورقة فى الأسنان .
(٥) ترقق . أى جرى جريا سهلا ، ومنسابا أى متدافعا فى جريه ، والسنى : النور . ويسيب : يجرى ذاهبا كل مذهب .
(٦) يمنح : يعطى . وروقا أى حسنا وإشراقا . والضرب : انجليد والصقيع .
(٧) التجميش الملاعبة ، يقال جش الجارية إذا لاعبها وداعبها بالقرص ونحوه . وتهللت : تلالأت . والأسارير : الخطوط التى تكون فى جبهة الانسان ، شبه خطوط الأمواج الصغيرة بخطوط الوجه ، أى بالأسارير ، وقال إنها تلالأت . بب ملاعبة النسيم للبحر . فتلوح أشعة النور متواتبة بين تلك الأسارير .

تأملت في حسن العوالم مؤمنا
كأنى وغلوى العوالم عاشق
فقام له مستشرفا ويمينه
ولما رأيت الكون في الأصل واحدا
ألا إن بطننا واحدا أنتج الورى
وإن فضاء شاسعا قد تضاربت
وإن اختلاف الأدميين سيرة
وأعجب ما في الكائنات ابن آدم
يذمم فكل سوء وهو حليفه

فجاش بصدري الشعر وهو نسيب^(١)
أطل من الأهل عليه حبيب
تشد ضلوعا تحتين وجيب^(٢)
عجبت لأن الخلق فيه ضروب
كثيرين في أخلاقهم لرغب^(٣)
بأبصاره أيدى القوى لرهب
وهم قد تساوا صورة لعجيب
فما غيره في الكائنات مريب
ويحمد قول الصدق وهو كذوب

* * *

رأيت الورى كئلا يراقب غيره
ومن أجل هذا قد ترى كل فاعل
فكم حجل في مجمع القوم يتقى
ولو باح كل بالذى هو كاتم
وليس يجد المرء إلا تكلفا
ويجنب المرء العيوب لأنهم
رياء قديم في الورى شقيت به

فكل عليه من سواء رقيب
إلى الناس في كل الفعال يذيب^(٤)
به ثعلب عنده أخلاء وذيب^(٥)
لما كان في هذا الأنام أديب
وذلك لأن الطبع فيه لعوب
لدى عائبه لا لديه عيوب
قبائل منهم جنة وشعوب

- (١) الوهن : وقت الوهن من الليل ، ويكون نحو نصف الليل ، وهو في البيت منصوب على الضرفية . وجاش : بمعنى هاج . والنسيب : هو الشعر الرقيق في النساء .
- (٢) مستشرفا : أى متصفا رافعا بصره باسطلا كفه فوق حاجبه كالمنظّل ، وكذلك يفعل الناظر إذا نظر إلى شيء مرتفع أو بعيد . والوجيب : خفان القلب واضطرابه .
- (٣) رغب : أى واسع ، يقال هو رغب البطن ، أى واسع الجوف .
- (٤) يذيب . يرجع أى لما كان كل من الناس رقبيا على غيره مترصدا لسواه ، صار كل واحد منهم يذيب في أفعاله إلى الناس ، ليدفع عنه يذالك سوء ظنهم به ، ومن هنا نشأ فيهم الرياء والتقويه ، كما قسر ذلك في البيت الذى يليه .
- (٥) الباء في قوله يتقى به : للسببية أو للتجريد ، مثلها في قولك : لقيت يزيد أسدا .

ورُبَّهٖ أَخْلَاقٍ يَرَاهَا خَيْشَٔةٌ أَنَاسٌ وَعِنْدَ الْآخَرِينَ تَطْيِبُ
وَحِلْمُ الْفَتَى عِنْدَ الضَّعِيفِ فَضِيلَةٌ وَلِئِكَفَهُ عِنْدَ الْقَوِيِّ مَعْيِبُ

• • •

وَقَدْ يَفْتَرِي الْمَالُ الْفَضَائِلَ لِلْوَرَى وَلَيْسَ لَهُمْ مِمَّا افْتَرَاهُ نَصِيبٌ ^(١)
وَالْفَقْرُ بَيْنَ النَّاسِ وَجْهٌ تَبَيَّنَتْ بِهِ حَسَنَاتُ الْمَرْءِ وَهِيَ ذُنُوبُ
لَقَدْ أَحْجَمَ الْمَثْرَى فِسْمُوهُ حَازِمًا وَأَحْجَمَ ذُو فَقْرٍ فَقِيلَ هَيُوبُ
وَإِنْ يَتَوَاضَعُ مَعْدَمٌ قَوِيَ صَاغِرٌ وَإِنْ يَتَوَاضَعُ ذُو الْغِنَى فَتُجِيبُ
وَذُو الْعَدَمِ ثَرَاؤُهُ بِكَثْرِ كَلَامِهِ وَذُو الْوُجْدِ مِنْطِيقٌ بِهِ وَلَيْبِيبُ
وَالنَّاسُ عَادَاتٌ كَثِيرٌ تَقُودُهُمْ فَكُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ لَهُنَّ جُنُوبُ
وَهَنٌّ إِذَا مَا يَأْكُلُونَ أَكْمَلُهُمْ وَهَنٌ إِذَا مَا يَشْرَبُونَ شَرِيبُ
أَبَوْا أَنْ يَحْمِدُوا ضَلَاةً عَنْ طَرِيقِهَا وَإِنْ مَسَّهُمْ مِنْ أَجْلَمِنَ لُغُوبُ
هِيَ الدَّاءُ أَعْيَا الْأَوَّلِينَ فَهَلْ لَهُ عَلَى عُقْمِهِ فِي الْآخَرِينَ طَيِّبُ ؟

(١) يفتري المالى الفضائل : أى يختلقها ، فكأنه جعل فضائل الأغنياء كذبا محضا تفترية أموالهم . ومعنى قوله « وليس له مما افتراه نصيب » : أنهم براء من هذا الافتراء ، إذ ليس لهم نصيب من الفضائل .

العالم شعر*



وما المرء إلا بيت شعر . . .

قرأتُ وما غير الطبيعة من سفرٍ صحائف تحوى كل فن من الشعر^(١)
أرى غرر الأشعار تبدو نضيدةً على صفحات الكون سطرًا على سطر^(٢)
وما حادثات الدهر إلا قصائد يفوه به السامعين فم الدهر
وما المرء إلا بيت شعر عروضه مصائب لكن ضربه حُفرة القبر^(٣)
تنظمنا الأيام شعرًا وإنما تردُّ المنايا ما نظمنا إلى النثر^(٤)

(*) من الديوان الأول . (١) السفر : الكتاب . (٢) نضيدة : منسقة .

(٣) العروض في علم الشعر . الجزء الأخير من الشطر الأول من البيت ؛ والضرب . الجزء الأخير من الشطر الثاني . ومعنى البيت أن الإنسان أوله المصائب وآخره الموت .

(٤) النثر : التفريق .

فَنَّا طَوِيلٌ مَسْبَبٌ بِحَرِّ عَمْرِهِ وَمَنَا قَصِيرٌ الْبَحْرُ مُحْتَصِرٌ الْعَمْرِ (١)
وَهَذَا مَدِيحٌ صَيِّغٌ مِنْ أَطْيَبِ الثَّنَا وَذَلِكَ هَجَاءٌ صَيِّغٌ مِنْ مَنْطِقِ هُجْرِ (٢)

• • •

وَرَبَّ نِيَامٍ فِي الْمَقَابِرِ زَرْتَهُمْ بِمَنْهَلٍ دَمْعٌ لَا يَنْهِنُهُ بِالزَّجْرِ (٣)
وَقَفْتُ عَلَى الْأَجْدَاثِ وَقَفَّةً عَاشِقٍ عَلَى الدَّارِ يَدْعُو دُرُوسَ الطَّلَلِ الْقَفْرِ (٤)
فَمَا سَالَ فِيضُ الدَّمْعِ حَتَّى قَرْنَتْهُ إِلَى زَفَرَاتٍ قَدْ تَصَاعَدْنَ مِنْ صَدْرِي
أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ هَلَّا ذَكَرْتُمْ عَيُودًا مَضَتْ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى الظُّهْرِ
رَضَيْتُمْ بِأَكْفَانِ الْبَلَى حُلًّا لَكُمْ وَكُنْتُمْ أَوْلَى الدِّيَابِجِ وَالْحُلَلِ الْحَرِّ
وَقَدْ كُنْتُمْ تُؤْذِي الْحَشَايَا جَنُوبَكُمْ فَكَيْفَ رَقَدْتُمْ وَالْجَنُوبُ عَلَى الْعَفْرِ (٥)
إِلَّا يَا قُبُورًا زَرْتَهَا غَيْرُ عَارِفٍ بِهَا سَا كُنَّ الصَّحَرَاءُ مِنْ سَا كُنَّ الْقَصْرِ (٦)
لَقَدْ حَارَ فِكْرِي فِي ذَوِيكَ وَإِنِّهِ لِيَحْتَارَ فِي مَثْوَى ذَوِيكَ أَوَّلُ الْفِكْرِ (٧)
فَقُلْتُ وَلِلْأَجْدَاثِ كَفِّي مَشِيرَةً أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ مِنْ أَفْجَعِ الشَّعْرِ (٨)

وَلَيْلٍ غَدَا فِي الْجَنَاحِينَ بَنَةً أَسَامِرٌ فِي ظِلْمَائِهِ مِنْ وَاقِعِ النَّسْرِ (٩)
وَأَقْلَعَ مِنْ سَفَنِ الْخَيْسَالِ مَرَاسِيًا فَتَجَرَّى مِنَ الظَّالِمَاءِ لُجْجٌ خَضِرٌ (١٠)

(١) مسهب : طويل . (٢) الهجر : القبيح من الكلام .

(٣) انهل الدمع : سال . لا ينهته : لا يكف .

(٤) الأجداث : القبور . درس المسكان : انحنى . والطلال : ما بقى من آثار الديار .

(٥) الحشايا : جمع حشية وهي الفراش المحشو . العفر : التراب .

(٦) الصحراء : الأرض الفضاء لاشيء فيها .

(٧) المثوى : المقام . (٨) أفجع : أوجع .

(٩) غدا في الجناحين : أسودها . نسبة إلى الغداف وهو الغراب . النسر : اسم لنجمين ، يقال له النسر الواقع ، والآخر يقال له النسر الطائر . وفي البيت تورية لأنحنى .

(١٠) لجج : جمع لجة ؛ وهي في الأصل معظم الماء . خضر : سود ، يقال أخضر بمعنى أسود ، والخضرة والسواد يستعمل كل منهما مكان الآخر .

أرى القبة الزرقاء فوق كأنها (١)
ولولا خروق في الدجى من نجومه
خليلٍ ما أبهى وأبهج في الرؤى (٢)
إذا ما نجوم الغرب ليلاً تغوّرت
تحوّلت من حسن الكواكب في الدجى
إلى أن رأيت الليل ولت جنوده (٣)
فيالك من ليل قرأت بوجهه
قلت وطرفي شاخصٌ لنجومه (٤)
وقبح ظلام الليل في العرف والنكر (٥)
على الدّهم يقفوا إثرها الصبح بالشقر (٦)
نظيم البها في نثر أنجمه الزهر
ألا إن هذا الشعر من أحسن الشعر

• • •

ويوم به استيقظت من هجعة الكرى (٧)
فأطربني والديك مشجٍ صياحه
ومما ازدهى نفسي وزاد ارتياحها
فقتت وقام الناس كلُّ لشانه
وقد طلعت شمس النهار كأنها (٨)
وقد قدّ درع الليل صمصامة الفجر (٩)
ترنمُ عصفور يزقزق في وكر (١٠)
هبوب نسيم سجّسج طيب النشر (١١)
كأنا حجيج البيت في ساعة النفر (١٢)
ملك من الأضواء في عسكر مجر (١٣)

(١) القبة الزرقاء : السماء . الروان : سقف في مقدم البيت . أو هو الحبة .

(٢) الدجى : الليل . وأراد بالأمل الأصابع ؛ وهي في الأصل رءوسها .

(٣) الرؤى : المنظر . أجواز الدجى أوساط الليل . (٤) تغوّرت : غابت .

(٥) تجوّرت : كذا بالجم ; كما في الأصل ؛ ولم أجده هذه الصيغة في مادة (جال) . ولو روى بالحاء المهملة لكان أحسن وأوفى بالمراد .

(٦) الدّهم : جمع أدهم ؛ وهو الأسود من الخيل . يقفوا إثرها : يتبعها . الشقر : جمع أشقر . والشقرة في الخيل : حرة صافية يحمر معها العرف والذنب ؛ وأراد بالدهم : الظلمات ، وبالشقر : أشعة الشمس مجازاً .

(٧) الهجعة : من الهجوع وهو النوم . الكرى : النعاس . قد : شق . والمراد بدرع الليل ظلمته . الصمصامة : السيف ، والمراد بصمصامة الفجر : شعاعة . (٨) مشج : مطرب .

(٩) ازدهى نفسي : استفزها . ريح سجّسج : لينة الهواء . معتدلة النشر : الرائحة .

(١٠) الحجيج : الحجاج . والمراد بالبيت البيت الحرام في مكة . النفر : مصدر نفر الحجيج إذا اندفعوا من منى إلى مكة .

(١١) المجر : الجيش العظيم .

بَدَتْ مِنْ وَرَاءِ الْأُفُقِ تَرْفُلٌ لِلْعُلَى
غَدَتْ تَرْسُلُ الْأَنْوَارِ حَتَّى كَأَنَّهَا
إِلَى أَنْ جَلَتْ فِي نُورِهَا رَوْنَقَ الضَّحَى
وَأَهْدَتْ حَيَاةَ فِي الشَّمَاعِ جَدِيدَةَ
فَقَلْتُ مُشِيرًا نَحْوَهَا بِحَفَاوَةٍ

رَوِيدًا رَوِيدًا فِي غَلَاثِلِهَا الْحَرِ (١)
تُسِيلُ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى ذَائِبَ التَّبَرِ (٢)
صَقِيلًا وَفَوْ، بِحَرِّ النَّضَاءِ غَدَتْ تَجْرَى (٣)
إِلَى حَيَوَانِ الْأَرْضِ وَالنَّبْتِ وَالزَّهْرِ
أَلَا إِنْ هَذَا الشَّعْرُ مِنْ أُبْدَعِ الشَّعْرِ (٤)

وَبِيضَةُ خَدْرٍ إِنْ دَعَتْ نَارِجَ الْهَوَى
مَنْ اللَّاءِ يَمْلِكُنِ الْقُلُوبَ بِكَلِمَةٍ
تَهَادَتْ تَرِنِي الْبَدْرِ مُحَدَّقَةً بِهَا
فَلِلَّهِ مَا قَدْ هَجُنَ لِي مِنْ صَابِغَةٍ
تَصَافَحَ إِحْدَاهُنِ فِي الْمَشَى تَرَبُّهَا
مَرْرَنَ وَقَدْ أَقْصَرَتْ خَطَاوَى تَأَدَّبًا
فَطَاطَأَتْ لِلتَّسْلِيمِ مِنْهُنَّ أَرْؤُسًا
فَأَلْقَيْتُ كَفِي فَوْقَ صَدْرِي مُسَلِّمًا
وَأَرْسَلْتُ قَلْبِي خَلْفَهُنَّ مُشِيعًا
وَقَلْتُ وَكَفَى نَحْوَهُنَّ مُشِيرَةً

أَجَابَ أَلَا لَيْكَ يَا بِيضَةُ الْخَدْرِ (٥)
وَيَحْيَيْنَ مَيِّتَ الْوَجْدِ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ (٦)
أَوَانَسُ إِحْدَاكَ السَّكَاكِبَ بِالْبَدْرِ (٧)
أَلَفْتُ بِهَا طَيَّ الضَّلُوعِ عَلَى الْجَرِّ (٨)
فَنَحَرْتُ إِلَى نَحْرِ وَخَصَرْتُ إِلَى خَصَرِ (٩)
وَأَجَمَعْتُ أَمْرِي فِي مُحَافَظَةِ الصَّبْرِ
عَلَيْهَا أَسْكَلِيلُ ضُفْرَيْنَ مِنَ الشَّعْرِ
وَأَطْرَقْتُ نَحْوَ الْأَرْضِ مِنْحَنِي الظَّهْرِ
فَرَاخَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى حَيْثُ لَا أَدْرِي
أَلَا إِنْ هَذَا الشَّعْرُ مِنْ أَجْمَلِ الشَّعْرِ

(١) ترفل : تجر ذيلها وتبخر . غلاثلها : أراد بها ثيابها ، وفردتها غلالة ، وهي شعار .
يلبس تحت الثوب وتحت الدرع .

(٢) الثرى : الأرض والتراب والندى .

(٣) رونق الضحى : إشراقه وحسنه . صقيلا : مجلوا .

(٤) الحفاوة : التلطف والمبالغة بالأكرام .

(٥) أراد ببيضة الخدر : الجارية الحسناء ، لأنها مكنونة في خدرها ، نازح الهوى : نائية وذاهبة .

(٦) اللاء : اللاتي . الوجد : الحب . النظر الشرر : هو نظر فيه لإعراض ، أو نظر الغضب .
بؤخر العين ، أو النظر عن عين وشمال ، وهذا التفسير أقرب لمعنى البيت .

(٧) أحدق بالشئ : أحاط به . الطي : مصدر طوى .

(٨) يقال هذا ترب فلان ، وهذه ترب فلانة ، إذا كانت على سنمها ، وأكثر ما يستعمل
في المؤنث . النحر : موضع القلافة من العنق .

- ومائدة نسج الدمقس غطاؤها (١)
 رقى من أعاليها الفخرف منبرا
 وفي وسط الدنادى سراج منور
 فراح ياذن العلم ينطق بقولا
 فطورا خطيبا يخزن القلب وعظه
 يقوه فصيحًا بالألفاء وهو أبكم
 أمين أبي التدليس في القول حاكيا
 تراه إذا لقتته القول حافظا
 فيالك من صنع به كل عاقل
 فقلت وقد تمت شقائق هدره
 بمجلس شبان هم أنجب العصر (٢)
 محظا بأعجاب غطارفة غر (٣)
 فتحسبه بدرًا وهم هالة البدر (٤)
 عرفنا به أن البيان من البحر
 وطورا يسر السمع بالعزف والزم (٥)
 ويسمع الخان الغنا وهو ذو وقر (٦)
 قسمعه يروى الحديث كما يحوى (٧)
 تمر الياالى وهو منه على ذكر (٨)
 أقر لأديسون بالفضل والفخر (٩)
 ألا إن هذا الشعر من أعجب الشعر (١٠)

• • •

- وأصيد مأثور المكارم في الورى
 يروح ويغدو في طيالة الغنى
 تحسونه ريب الزمان فأولعت
 يريك إذا يلفاك وجه فتى حر (١٠)
 ويقضى حقوق الجد من ماله الوقر (١١)
 بإخلاصها ديباجتيه يد انققر (١٢)

- (١) الدمقس : الديباج والحبر الأبيض . (٢) الغطارفة : السادة .
 (٣) الهالة : دائرة القمر ، كاطفاوة لدائرة الشمس .
 (٤) العزف : الضرب بالمعازف ، وعى آلات الطرب .
 (٥) الينا : اللغات ، وهى جمع لمة . الوقر : الصمد ، وهو ذهب اسمع .
 (٦) التدليس في الحديث : هو أن لا يذكر الحديث في حديثه من سمعه منه ، ويذكر من هو
 أعلى من حديثه ، يوم أنه سمعه منه . والمدلس لا يقبل حديثه .
 (٧) الذكر ، بضم الال : التذكر . (٨) أديسون : هو مخترع الصدى « الفخرف »
 (٩) تمت شقائق هدره : سكت ، والشقيقة فى الأصل : لغة البعير ، وثيل شئ كالرئة
 يخرج منه من فيه إذا حاج ، وبنان القصيح : حشرت شقيقته .
 (١٠) الأصيد : الرجل الذى لا يلفت من زهوه وخيلانه .
 (١١) طيالة : جمع طيلسان ، وهو نوع من الثياب يلبسه الخواص . الوقر : الكثير .
 (١٢) أولع به بالبناء المجهول : علق به شديدا . الإخلاص : مصدر . أخلق الثوب : أبلاه .
 ديباجتيه : خديته . ومعنى البيت : خاذه الزمان ، وعلقت به يد الفقر ، فوضعت من شرفه ، وذلت
 خديته بعد أن كانا مصرعين .

فأصبح في طُرُق التّصعلك حائرًا يحول من الإملاق في سَمَلٍ طَمَرٌ^(١)
 كأنّ لم يَرُحْ في موكب العز راكبًا عِتاق المذاكي مالك النهى والأمر^(٢)
 ولم تزدحم صَيِّدُ الرجال ببابه ولم يَغْمُرِ العافين بالنائل الغمر^(٣)
 فظل كثيب النفس ينظر للغنى بعين مُقِلِّ كان في عيشة المُثْرَى^(٤)
 إلى أن قضى في علة العدم نَحْبَه فجهَّزَه من ما لهم طالبو الأجر^(٥)
 فرُحْتُ ولم يُحْفَلْ بتشييع نعشه أشـيـعه في حامله إلى القبر
 وقلت وأيدى الناس تحشو ترابه ألا إن هذا الشعر من أفجع الشعر^(٦)

ونأخذه تبكى الغداة وحيدها بشجو وقد نالته ظلمًا يد القهر^(٧)
 عزاه إلى إحدى الجنايات حاكم عليه قضى بَطْلًا بها وهو لا يدري^(٨)
 فويل له من حاكم صَبَّ قلبه من الجور مطبوعًا على قالب الغدر
 من الروم أما وجهه فشوّه وقاح وأما قلبه فمن الصخر^(٩)
 أضرَّ بعفّ الذيل حتى أمضه ولم يلتفت منه إلى واضح العذر^(١٠)
 تخطفه في مخاب الجور غيلةً فنجَّ به من مظلم السجن في القعر
 تنوء به الأقياد إن رام نهضة فيشكو الأذى والدمع من عينه يجرى^(١١)

(١) التّصعلك : الافتقار . الإملاق : الفقر . سمل طمر : ثوب بال .

(٢) المذاكي : الخيل التي تم سنّها وكملت قوتها .

(٣) صيد : جمع أصيد وقد تقدم معناه . يغمر : يبالغ في الاحسان . العافين : الفقراء . النائل

الغمر : العطاء الكثير

(٤) المقل : ضيق ذات اليد . والمثرى : الغنى ، (٥) العدم : الفقر .

(٦) تحشوا ترابه : تصبه . (٧) الشجو : الحزن .

(٨) عزاه : نسبّه . (٩) وقاح بفتح الواو : ذو وقاحة ، يطلق على المذكرات والمؤنث ،

(١٠) عف : عفيف .

(١١) الخلب : هو في الأصل بظفر كل سبع من الماشى والطائر . غيلة : يقال قتله غيلة : أى

خدعة فذهب به إلى موضع فقتله . زج به : طرحه .

(١٢) تنوء به : ثقله . الأقياد : جمع قيد .

تفاديه والسجان يكسر زجرها عجوز له من خلف عالية الجدر^(١)
 بُنيَ أظن السجن مسك ضربه بُنيَ بنفسى حل ما أصابك من ضر
 بُنيَ استعن بالصبر ما أنت جانيًا وهل يخذل الله البرىء من الوز^(٢)
 فبجئت أعطيها العزاء وأدمعي كاد معها تنهل منى على النحر
 وقت وقد جاشت غوارب عبرتي ألا إن هذا الشعر من أقتل الشعر^(٣)

تجاه اللانهاية

أبعد الدهر في الفضاء مكره عالقاً في مكره بالجره
 إن أم النجوم بنت زمان لم تزل حادثاته مستمرة
 في فضاء لو سافر البرق فيه ألف قرن لما أتى مستقره
 ولو الشمس ضوعت ألف ضعف لم تكن في أثره غير ذره
 ولو الفكر غاص فيه مُغداً لم يكن بالغاً يد الدهر قعره
 سعة تحسب الجرة فيها حاقة ألقيت بصحراء قعره
 يقف الفكر دونها مكوئداً متشعراً وتأخذ العقل حيرة
 لو أضفنا إلى الفضاء فضاء مثله لم تزد ولا قيد شعره
 إن تسكن هذه الجرة نهراً مستفيضاً فشمسنا منه قطره
 أو تكن أرضنا من الشمس جزءاً فهي سقط من جرة مستحرة
 إن تسائل عنا فنحن هباء ذر من صنعة التقوى بمذره
 صادفتنا أشعة من حياة فظهرنا وهل لأول مره
 كل من جاوز الأشعة منا فهو هاوٍ في ظلمة مكفه
 فعلام الحقود يضر حتماً وعلام الجهول يظهر كبره

(١) الجدر : جمع جدار .

(٢) الوز : الذاب .

(٣) جاشت : فاضت . غوارب الماء : أعلى موجه . العبرة : الدفعة .

من أين وإلى أين ؟

من أين من أين يا ابتدائي	ثم إلى أين يا انتبائي ؟
أمن فناء إلى وجود	ومن وجود إلى فناء ؟
أم من وجود له اختفاء	إلى وجود بلا اختفاء ؟
خرجت من ظلمة لأخرى	فما أمانى وما نورانى ؟
ما زلت من حيرة بأمرى	معانق اليأس والرجاء
إن طريق النجاة وعر	يكبر به الطرف ذو النجاء ^(١)
يا قوم هل فى الزمان نطس	يهدى إلى تاجع الدواء ^(٢)
لأى أمر ذه الالىالى	تأتى وتمضى على الولاء ؟ ^(٣)
فتطلع الشمس فى صباح	وتغرب الشمس فى مساء
أرى ضياء يروق عيني	ولست أدرى كنه الضياء ^(٤)
وما اهتزاز الأثير إلا	علالة نزرة الجلاء ^(٥)
نحن على رغم ما علمنا	نعيش فى غيبب الماء ^(٦)
نشرب ماء الظنون عباً	فلم نعد منه بارقواء ^(٧)
تأتى علينا مشاهدات	نروح منهمن فى مرآ ^(٨)

(١) الطرف : الكريم من الخيل . النجاء : الاسراع والسبق .

(٢) النطس : الطبيب الخاذق .

(٣) ذه : اسم إشارة بمعنى هذه . على الولاء : متتابعة دون فصل .

(٤) كنهه : حقيقته . والشطر الثانى من البيت فيه استعانة فاعان على وزن مفعولن وقد درج على ذلك بعض الشعراء فى مخلم البسيط ، غير أن علماء الفن لم يذكروا ذلك ، وفى هذه القصيدة عدة أبيات كذلك .

(٥) الأثير فى اصطلاح العلم : شىء ألطف من الهواء ، مملوء به الفضاء . العلالة : هى ما يتعلل به ويتلجج . نزرة الجلاء : قليلة الوضوح . يقولون إن الضياء حاصل من اهتزاز الأثير ، والشاعر يقول إن قولهم هذا قليل الوضوح ، فهم يتلوهون بهذا التفسير . لأنهم لم يدركوا الحقيقة .

(٦) الغيبب : الظلمة .

(٧) عب الماء عباً : شربه بلا تنفس .

(٨) المرآ : الخلاف والجدل .

وكم نرى فعل فاعلات من القوى وهي في الخفاء^(١)
يا ويا حس إنه عن حقيقة الأمر في غطاء
فإن أجزاء كل جسم مبتعدات بلا التقاء
وفي دقاق اتحاد عرك يتهم الحس بالخطأ^(٢)

يا قوة الجذب أطلتيني من ثقلة أوجبت عنائي
لولاك لولاك يا شكالي انطرت كالنور في الفضاء^(٣)
أنت عماد السماء لكن خفيت عن عين كل راء
ربطت كل النجوم في بعضها ببعض ربط اعتناء
فدورن في الجوّ جاريات كأنها السفن فوق ماء
نحن بنى الأرض قد علمنا بأننا من بنى السماء
لو كنت في المشتري لبانت أرضي سماء بلا امتراء^(٤)
فليس فوق وليس تحت ولا اعتلاء لذي اعتلاء
وإنما نحن فوق نجم نحيا محاطين بالهواء
فليت شعري أي ارتقاء للروح يبقى أي ارتقاء
وأنت يا كهر باء سرّ بدا وما زال في غشاء^(٥)
عجائب الكون وهي شتى فيك انطوت أيما انطواء^(٦)
أضأت إن شئت كل داج لنا وأدريت كل ناء^(٧)
فأنت للكائنات روح إن كانت الروح للبقاء

(١) القوى : جمع قوة ، وأراد بها القوى الطبيعية .

(٢) أراد بدقاق الجماد : ذراته ، وذرات كل شيء ، على ما حققه العلم ، في حراك مستمر ، مع أن الحس في الظاهر يدركها ساكنة ، وهذا معنى قوله يتهم الحس بالخطأ .

(٣) الشكال : الوفاق يقيد به . (٤) المشتري : أحد النجوم السيارة .

(٥) غشاء : غطاء . (٦) شتى : متفرقة .

(٧) داج : مظلم . أدريت : قربت . ناء : بعيد .

وكم تقاضاك فيلسوف حقيقةً صحيحةً الأداء^(١)
فقال والقول منه ظن ما تكون إلا بالكهرباء

• • •

وليلةٍ بثَّها أنادى نجومها أبعد النداء
أخذ منهم بالتداني فبكراً ويأخذن بالتناي
فأثنى باكياً بشعري ويطرب الليل من بكائي
وربما كرت بعد وهن فكري فألني بعض الشفاء^(٢)
فأرجع القهقري أغنى وما سوى الشعر من غناء
أقول والنسر فوق رأسي وطالع النجم في إزائي^(٣)
يا أيها الأنجم الزواهي لله ما فيك من بهاء
أما كففاك السني جبالاً حتى تجلت بالسناء^(٤)
يا أنجم النعش فاصدقني أمات ذو النعش بانطفاء^(٥)
إني إذا كنت في حداد إليك أهدى حسن العزاء
وأنت يا نسر من كلال وقعت أم طليمة الغذاء^(٦)
أخوك هل طائر لوكر أم قاصد مقتبى القضاء^(٧)
كان أم النجوم سيف سَلَّ على الليل ذو مضاء^(٨)
رُصِّع متناه بالدراري فراق في الحسن والرواء^(٩)
كان نجم السها أديب في أرض بغداد ذو ثواء^(١٠)

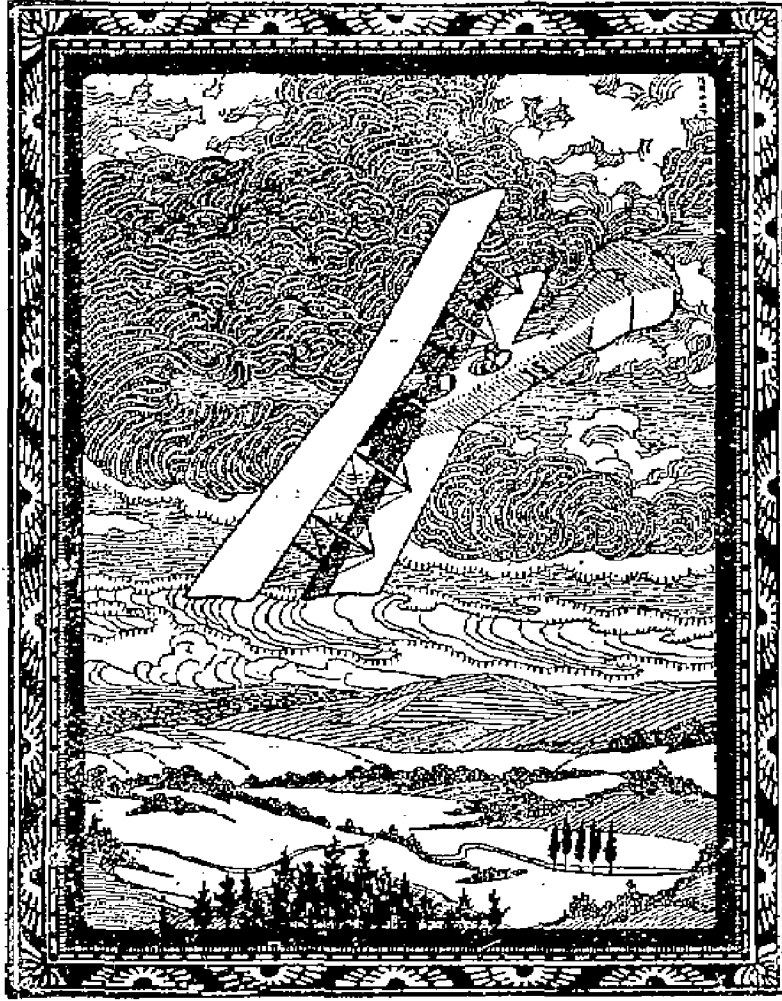
(١) تقاضاك : طلبك . (٢) الوهن : الضعف .
(٣) النسر : اسم كوكب . النجم : الثريا . لرائي : مقابلي .
(٤) السني : الضوء . السناء : الرنعة .
(٥) أنجم النعش : هي الأنجم التي تسمى بنات نعش : ذو النعش : هو البيت .
(٦) أراد بالنسر : الواقع ، وهو اسم نجم . الكلال : التعب .
(٧) أخوك : خطاب النسر الواقع ، وأخوه هو النجم المعروف بالنسر الطائر .
(٨) ذو مضاء : حاد قاطع . (٩) متناه : جانباه . الرواء : حسن المنظر .
(١٠) السها : نجم خفي تمتلئ الأبصار برؤيته . الثواء : الإقامة .

كأن خط الشهاب مدل^(١) لأسفل البئر بالرشاء^(٢)
 كأنما أنجم الثريا في شكلها الباهر الضياء
 قفاز كف به فصوص من حجر الماس ذى الصفاء^(٣)

برئت للموت من حياة ما نكبت مهيع الشقاء^(٤)
 لم يكفها أنها احتياج حتى غدت حومة البلاء
 يأبى المترف المهنا يمرح في ثوب كبرياء^(٥)
 مهلاً أخت الكبر بعض كبر ألت تقنى بعض الحياء
 أنت ابن فقر إلى أمور بهن تدعى يا ابن الثراء^(٥)

(١) مدل : من أدلى الدلو أو الحبل إذا أرسله في البئر . الرشاء : الحبل .
 (٢) القفاز : لباس اليد ، وهما قفازان . الفصوص : جمع ، فص بفتح الفاء وضمها وكسرهما ، وهو ما يركب في الخاتم من المعادن كالياقوت والماس ونحوها .
 (٣) نكبت : مجهول نكبه الطريق ، بمعنى نجاه وأبعده عنها . المهيع : الطريق .
 (٤) المترف : المنعم .
 (٥) الثراء : الغنى .

نحن على منطاد



نحن من أرضنا على منطاد . . .

نحن من أرضنا على منطاد جائل في شواسع الأبعاد^(١)
 طائر في الفضاء عرضًا وطولًا بجناح من القوى غير باد^(٢)
 أيها الأرض سرت سيرك مثنى ذا نتاجين في زمان أحاد^(٣)
 فتقلبت في نهار وليل ذا مضيل وذاك للناس هاد

(١) المنطاد : هو ما يصار به في الفضاء ، وهو ما يسمونه « البالون » . جائل : اسم فاعل من الجولان . الشواسع : البعيدة ، من شسع المكان بمعنى بعد . الأبعاد : جمع بعد .

(٢) غير باد : غير ظاهر .

(٣) إنما كان سير الأرض مثنى ، لأن لها في الزمان الواحد دورتين ، نتيجان نتاجين ، دورة ينتج عنها اختلاف الليل والنهار ، وهذه تتمها بأربع وعشرين ساعة ، ودورة ينتج عنها اختلاف الفصول ، وهذه تتمها في سنة كاملة .

في بلادٍ يكون سيرك تأويباً من أنه سرى في بلاد^(١)
 فيك دفع^(٢) وفيك يا أرض جذب لك ذا سائق وذا لك حادى؟^(٣)
 فلك دائر على الشمس طوراً في اقتراب وتارة في ابتعاد
 ليت شعري وما حصلت من الآراء إلا على خلاف السداد
 لبقاء ثقلنا الأرض في تسليارها أم ثقلنا لنفاد؟^(٤)
 نحن في عالمٍ تقصّف فيه عارض النائبات بالإرعاد^(٥)
 شأنا العجز فيه نوجد أنى قدفتنا يد الخطوب الشداد
 ضاع جذر الحياة عنا فخلنا أنها كالأصم في الأعداد^(٦)
 شغلنا الدنيا بلبو ولعب فغفلنا والموت بالمِرصاد
 ضلّ من رام راحة في حياة نحن منها في معرك وجلاد^(٧)
 إنما هذه الحياة جروح أنحننا والموت مثل الضّاد^(٨)
 كلّ أمر يهون إن أطلقت أر واحداً أو ثقت بالأجساد
 لا تلمنى إذا جَزَعَت فإنى ما ملكت الخيار في إيجاد
 طال عتي على عِدات الليالى مثما طال مَظَلها بمرادى^(٩)
 كدّرت عيشي الحوادث حتى لا أرى الصفو غير وقت الرقاد^(١٠)

(١) التأويب : السير جميع النهار . السرى : السير في الليل . يقول : أيها الأرض إن سيرك النهارى في بلاد هو في الوقت نفسه سير ليلي في بلاد أخرى ، وذلك لأن الكرة يكون نصفها مضطاً وهو ما يقابل نور الشمس ، النصف الآخر يكون مظلماً وهو مالا يقابلها . ويتناسل ما تنير الشمس من الأرض ترسل الظلام على قسم آخر .

(٢) حادى : من حدا الدابة إذا غنى لها لنجود في السير .

(٣) ثقلنا : ثقلنا .

(٤) العارض في الأصل : السحاب الذى يعترض في الأفق . النائبات : المصائب .

(٥) خلنا : ثقلنا . الأصم في اصطلاح اصحابيين : هو العدد الذى لا يؤخذ جذره ، معنى أنه لا يكون حاصلًا من ضربه بنفسه كالخمسة والثلاثة والأحد عشر وغيرها . معنى البيت : أننا جعلنا أصل الحياة ، فقلنا لا أصل لها ، كالعدد الأصم الذى لا جذره .

(٦) الجلاد : مصدر جالدوا ، بمعنى تضاربوا بالسيوف .

(٧) أنحننا : أوهننا وأضعفنا ، الضّاد : العصابة التى يربط بها موضع الجروح .

(٨) عِدات : جمع عِدَة ، بمعنى الوعد . (٩) الرقاد : بمعنى النوم .

صاح ما دلَّ في الأمور على الأشكال — إلاً تفحص الأضداد
 فاعتبر بالسفيه نَسَّ حليماً وتعرف بالغى طرق الرشاد
 واللييب الذى تعلم إتيا نَ المعالى فى خِسة الأوغاد^(١)
 أيها الغرّ لا تغرك ديفا ك يكون مصيره لفساد
 خفَّ من غاص فى الغرور كما فى لجة الماء خفَّ ثقل الجماد^(٢)
 يا خليلي والخليل الموامى منكما من يقوم فى إسعادى^(٣)
 خاب قوم أتوا ونغى العيش عزلاً من سلاحى تعاون واتحاد^(٤)
 قد جفتنا الدنيا فهلاً اعتصمنا من جفاء الدنيا بحبل وداد
 لو عقلنا لما اختشى قط محسو دون وقع الأداة من حُساد
 فتناع الحياة أحقر من أن يستقرّ القلوب بالأحقاد
 أنا والله لا أريد بأن أو قع شرّاً ولو على من يعادى
 إنَّ لى إن سمعت أنة محزو ن أنيناً مرجعاً فى فؤادى
 إن نفسى عن همها ذات شغل بهوم العباد كل العباد
 لا أحب التسميم إلا إذا هب على كل حاضر أو باد

* * *

أيها الناس إن ذا العصر عصر العلم والجدِّ فى العلى والجهاد
 عصر حكم البخار والكهربائيّة و « الماكينات » والمنطاد
 بُنيت فيه للعلوم المباني وأقيمت للبحث فيها النوادي
 قاض فيض العلوم بالرغم ممن ضربوا دونهم بالأسداد^(٥)
 إن للعلم فى الممالك سيرا مثل سير الضياء فى الأبعاد

(٢) خف : من خفة العقل

(١) الأوغاد : جمع وغد ، وهو التميم .

(٣) الموامى : المعين .

(٤) ونغى العيش : شدته ، والوغى فى الأصل : أصوات الحارين فى الحرب . عزلاً : جمع أعزل ،

(٥) الأسداد : جمع سد .

وهو الذى لا سلاح معه .

أطلع الغربُ شمسَه فحبا الشرِّ قى اقتباسًا من نورها الوقاد
 إنَّ للعلمِ دولةً خضعت دو ن علاها عوالم الأضداد
 ما استفاد الفقى وإن ملك الأر ض بأعلى من علمه المستفاد
 لا تُسابق في حلبة العزِّ ذا العلم — هم فما للمهجين شأؤ الجواد^(١)
 إن أموات أمة العلم أحياء حياة الأرواح والأجساد
 وكأين في الناس من ذي خول صار بالعلم كعبة القصاد

ربَّ يوم وردت دجلة فيه موردًا خاليًا عن الوراد
 حيث ينصب في سكوت عميق ماؤها لاثمًا ضفاف الوادى
 وهبوب النسيم يكتب في الما ء سطورًا مهتزة في أطراد
 يمجى بعضها ويظهر بعض فهى تنساب بين خاف وباد^(٢)
 وتن المياها لى بخير كأنين السقيم للعواد^(٣)
 قمت فى وجهها أردد طرفى ساكتًا والضمير مئى يفادى
 واقفا تحت سرحة ناح فيها طائر فوق غصنها المياد^(٤)
 منشدا فى النواح شعرا غريزيًا — حزينا كأنه إنشادى
 جاوبته أفنانهم — بأنين من حفيف الأوراق والأعواد^(٥)
 أيها الطائر المرجع فوق الـ غصن هل أنت نأح أم شاد
 بين ماء جار ولحن شجى منك يا طائر استطار فؤادى
 يامياها جرت بدجلة تجتا ز مرورًا بجانبى بغداد
 إن نفسى إلى الحقيقة عطشى أفتشفين غلة من صاد^(٦)

(١) المهجين من الخيل : هو الذى ولدته برذونة من حصان عربى .

(٢) تنساب : تسرع . (٣) العواد : الزوار .

(٤) السرحة : الشجرة العظيمة . المياد : المائل .

(٥) أفنانها : أغصانها . الحفيف : صوت أوراق الشجر .

(٦) الغلة : العاش ، العادى : العطشان .

كنت تجرين والرُصافة والكر نخ خلأ من رائج أو غاد
أيها الماء أين تجري ضياءً وحواليك قاحلات البوادي؟^(١)
فمتى تظن النفوس فيحيا بك سقياً موات هذى البلاد
لو زرعنا بك البقاع خبواً لحصدنا النضار يوم الحصاد^(٢)
أفيدري خليج فارس ماذا فـهـ منك بالبع بازدراد
أنت والله عسجد ولجين لو أتينا الأمور باستعداد^(٣)
فاجر يا ماء إن جريت رويداً بأناة ومهلة واتآد^(٤)
علمنا نستفيق من رقدة الفـر فنغنى بفيضك المزداد
سلكتك السما ينابيع في الأر ض أمدتك أيماً إمداد
فتفجرت في السفوح عيوناً نبعت من مخازن الأطواد^(٥)
وإذا ما انتهيت في جريانٍ عدت للبدء في متون الغوادي^(٦)
هكذا دار دائر الكون من حي ث انتهى عاد راجعاً للمبادي

كلمة معتبر

أقوى مصيف القوم والمربع فالدار قفر بعدهم بلقع^(٧)
سارت بنا الأرض إلى غاية لنا وللأرض هي المرجع
ونحن كالماء جرى نابعاً لكن علينا خفي المنبع

(١) أرض قاحلة : لآبات فيها .

(٢) النضار : الذهب .

(٣) العسجد : الذهب . اللجين : الفضة .

(٤) الأناة والمهلة والأتآد : ألفاظ مترادفة بمعنى التأني .

(٥) السفوح : جمع سفح ، وهو أسفل الجبل . الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل .

(٦) التون : جمع متن ، وهو جانب الشيء . الغوادي : السحاب الذي يكون فيه المطر . يقول ، إن الماء بعد ما ينتهي جريانه يرجع كما كان في باديء الأمر سحاباً بواسطة التبخر ، ثم ينزل مطراً ، وهكذا قال أبو العلاء :

فيأجسد المرء ماذا دهاك وقد كنت من عنصر طيب

تعود طهوراً إذا ما رجعت إلى الأصل كالطر الصيب

(٧) المصيف : مكان الإقامة صيفاً ، والمربع : مكانها ربيعاً . البلقع : الأرض الخالية من السكان .

يخون فيها القول منطقته كما تخون البطل الأدرع^(١)
 ما أقدر الموت فمن هوله لم ينج لا كسرى ولا تبع^(٢)
 يارافع البنيان كم للردى من سلم يدرك ما ترفع
 ويا طبيب القوم لا تؤذهم إن دواء الموت لا ينجع^(٣)
 لا بد للغرور من مندم بالعض تدعى عنده الأصبع
 وما عسى تغني وقد حشرجت ندامة ليست إذن تنفع^(٤)
 يا برقع الخلقة وأها لما فيك وأها منك يا برقع
 قد زاعت الأبصار فيما ترى إذ فات عنها شرك المودع
 ونيس في الإمكان عند النهى أبدع مما خلق المبدع

الكنى يا ضياء

أجذك يا كواكب لا تُرينا بيانًا منك يُخبرنا اليقين^(٥)
 كأن العالم العلوي سقر نطالعه ولسنا مفصحين
 نحاول منه إعراب المعاني بتأويل فترجع معجمينا^(٦)
 كواكب في الجرة عائمات حكمت في بحر فسحتها السفينا^(٧)
 سرت زهر النجوم وما دراها فلاسفة مضت ومنجمونا

(١) المنطق : البلغ .

(٢) كسرى : اسم كل ملك كان يحكم القرس . ونبع : اسم كل ملك كان يحكم اليمن ، كقيصر للروم . وخاقان للترك ، والنجاشي للحبشة ، وفرعون للقبط ، والعزير لمصر .

(٣) لا ينجع : لا يؤثر .

(٤) حشرجت . الضمير راجع لأروح . والحشرجة : الفرغة عند الموت .

(٥) أجد : بفتح الجيم وكسرهما ، والهمزة للاستفهام . وهذه من الكلمات التي لا تستعمل إلا مضافة . ومعناها أجد منك هذا العمل . وقيل معناها بفتح الجيم استعلاف بالجد ، أي البخت والحظ ، وبكسرهما معناها استعلاف بالجد . أي الحقيقة والاجتهاد . والجد الذي هو ضد الهزل .

(٦) الإعراب : الإظهار . معجمين : غير مفصحين .

(٧) الجرة : مجموعة نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر . وإنما ينتشر ضوءها كأنه بقعة بيضاء . حكمت : أشبهت . السفين : السفين : جمع سفينة .

شموس في السماء عَمَّتْ وَجَلَّتْ فظنوا في حقيقتها الظُّنونا
سوانح في الفضاء لها شئون ولما يعلموا تلك الشُّنونا
وما ارتجفت بجَنَح الليل إلَّا لتضحك فيه مما يزعمونا
لعلَّ لها بهذا الجوّ شأنًا سوى ما نحن فيه مرجحونا^(١)
تلوح على الدجى متالئثات فتبهج في تلالئها العيونا
وأنى يدرك الرأى مداها وإن ألقى لها نظرًا شفونا^(٢)
تودُّ الغايات إذا رأتها لو انتظمت لها عقدًا ثمينًا
تقلده على اللَّيَّات منها وتطرَّح الدماغ والبرينا^(٣)

• • •

ألكنى يا ضياء إلى الدرارى رسالة مُسِيرٍ فيها الجفونا^(٤)
لعلك راجع منها جوابًا يزيل عمايةً التحيرينا
فقل ، إنى تحير فيك فكرى كذاك تحير المفكرونا
فيا أم النجوم وأنتِ أمُّ أيولد فيك كالأرض البنونا^(٥)
وهل فيك الحياة لها وجود فيمكن للردى بك أن يكونا
وهل بك مثل هذى الأرض أرض

وفيها مثلنا — متخالفونا
وهل هم مثلنا خلقًا وخلقًا هنالك فياً كلون ويشربونا
وهل هم في الديانة من خلاف نصارى أو يهود ومسلمونا

(١) مرجون : فائون بما لا أعلم .

(٢) مداها : غايتها . شفن شفونا : رفيع طرفه ناظرًا لشيء . كالنَّعْجَب أو كالسَّكَّارَة . فهو شافن وشفون . بفتح الشين .

(٣) تقلده : أى تقلده بمعنى تلبسه كالقلادة . اللابات : جمع لبة وهى النجر ، الذى هو موضع القلادة من العنق . الدماغ : جمع دملج ، وهو حلى يلبس فى المعصم . البرين : نوع من الحلى ، وهو جمع برة (يضم الباء وفتح الراء) على غير قياس .

(٤) ألكنى إلى فلان : أى كن رسولاً إليه ، وتحمل رسالتى إليه . الدرارى : أراد بها النجوم الزواهر .

(٥) أم النجوم : هى المجرة .

وهل طابت حياة بنيك عيشاً
وهل حُصيت بك الأيام حتى
وهل بالموت نحن إذا خرجنا
فتبقى عندك الأرواح منّا
فأحبب بالمتون إذن وأحبب
بها إن كان سُلّمك المنونا^(١)

• • •

أينى ما وراءك يا درارى
قد اتسع الفضاء لك اتساعاً
وصغرَكَ ابتعادك فيه حتى
فهل كان ابتعادك من دلال
خوالد في قضاءك أنت ؟ أم قد
وقالوا ما لعدّتك انتباه
وقالوا الأرض بنّك غير مَيّن
وقالوا إن والدك المُفدى
ترصدك الأنام وما أتانَا
(فهرشل) ما شفى منّا غليلاً
و (كبير) قد هدى أو كاد لّا
فنهجن نخاله بعداً شطونا^(٢)
فهل أبعاده بك يثمينَا
إليك استشرف المتشرفونا^(٣)
علينا أم بعدت لتخضعينا
يحل بك الفناء فتذهبينَا
فهل صدقوا أو ارتكبوا الجونا^(٤)
فهل أبناء بنّك يصدقونا^(٥)
أثير في القضاء أبى السكونا^(٦)
بعلم ككيانك المترصدونا^(٧)
ولا (غالييل) أنبأنا اليقيننا^(٨)
أبانك يا نجوم تجذبينا^(٩)

(١) مرتقون : مرتفعون .
(٢) تصان : تحفظ . جنفا : ظلم .
(٣) يقول : أيتها المجرة ، هل نحن نرتفع إليك إذا منّا ؟ فإن كان كذلك فما أحلى الموت
إن كان سلماً للوصول إليك .
(٤) بئر شطون : بعيدة القمر . وغزوة ونية شطون : بعيدة .
(٥) استشرف الشيء : رفع بصره ينظر إليه . اشوف إلى الشيء : تطلع إليه .
(٦) المجون : إرسال القول أو الفعل من غير مبالاة كالهزل .
(٧) البين : الكذب .
(٨) الأثير : مادة منتشرة في كل خلاء أعطف من الهواء .
(٩) الكيان : الطبيعة .
(١٠) هرشل وغالييل وكبير : علماء فلكيون .
(١١) أبانك ؟ أظهرتك .

إلى كم نحن نلبس فيك لبساً ومن جرّاك ندرع الظنونا^(١)
 لعل النجم في إحدى الليالي سبيعت للورى نوراً مبينا
 تقوم له الهواتف قائلات خذوا عني النهى ودعوا الجنونا

الأرض

خبّر في الأرض أوحته السما لأولى العلم برُسل الفكر
 أنّ هذى الأرض كانت أولاً ما ترى بجراً بها أو جبلاً
 أوسهولاً أو رُبّاً أو سُبلاً أو رياضاً زهرها الغضّ نَمّا^(٢)
 من سحاب جادها بالمطر
 إنما كانت كتلك الأخوات من نجوم سائرات دائرات
 حول شمس هي إحدى النيرات كنّ من قبل عليها سدّما^(٣)
 كتلة واحدة في النظر
 ثم بعد انفصلت من ذا السديم قطع منها صغير وجسيم
 ضمن أفلاكٍ بها الدّور تدِيم فاستقر الكل فيها أجمما
 حول غير الشمس لم تستدر^(٤)
 أوّلاً « نبتون » منه انفصلا ثم « أورانس » يهْدَى زُحلاً^(٥)

- (١) من جرّاك : من أجلك . (٢) الغض : الطرى .
 (٣) السدم : جمع سديم ، وهو الضباب ، أى كانت النجوم التى هى فى العالم الشمسى حول الشمس بمنزلة الغيوم .
 (٤) الأرض وأخواتها من النجوم السابحة التى يتألف منها النظام الشمسى ، كانت جميعها مع الشمس كتلة واحدة ، ثم انفصلت وصار كل نجم على حدة ، مرتبطاً مع أخواته بنظام واحد . وإلى ذلك الإشارة فى قوله تعالى فى القرآن الكريم :
 « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما » .
 (٥) نبتون : هو النجم السيار الذى لم يعرف فى القديم . أورانس : هو نجم سيار لم يسكن معروفاً من قبل ، وإنما عرف أخيراً ، ويسمى أيضاً هرشيل باسم مكتشفه . وهذه النجوم التى ذكرها بعد أورانس هى السبعة السيارة الأصلية ، التى تخطر حول الشمس ، ولم يذكر القمر ، لأنه قد ثبت أنه يدور حول الأرض . وهى تدور حول الشمس .

ثم للمشـترى مريـخ تـلا ثم هـذى الأرض فالزهرة ما

بعدها غير أخيهـا الأشهر^(١)

وأخو الزهرة بالشمس اقتدى ولها أقرب سيار غدا

وهى سارت خلفه طول المدى فأمام الأرض ذات انتظما

خافها المريـخ ثم المشـترى

أرضنا كانت لظى مشتعلـة مذ من الشمس غدت منفصلـة

لم تزل فى دورها منتقلـة كثائـة فيها اللهب احتمدا

وهى ترمى فى انفضـا بالشرر

كان فيح النار منها مصعدا وهجا فى الجو عنها مبعدا

حيث لا يمكن أن ينعقدـا فوقها منه بخار ديمـا^(٢)

هاطلات بالحيا المنهمـر^(٣)

بقيت حينـا وهذا أمرها وهى بالإشعاع يخبو حرثـا^(٤)

وانثنى يبرد من ذا ظهرها فاكتست قشرـا يحاكي الأدمـا^(٥)

واستمرت بطنها فى سُـعر^(٦)

ثم قد صار على مر الزمان قشرها يعلظ آنا بعد آن

بيد أن النار عند الهيجان قد أعادت قشرها منخرما

بصدوع مُدهـشات البصر^(٧)

(١) أراد بأخيها الأشهر : عطارد ، وهو أقرب سيار إلى الأرض ، وليس بين الزهرة والأرض سيار سواه .

(٢) الديم : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق ، والمراد به هنا المطر مطلقا .

(٣) الحيا : المطر . النهر : السائل ، أى أن شدة الحرارة المتصاعدة من الأرض كانت تمنع البخار من أن ينعقد سحابا مائرا .

(٤) يخبو : يسكن . يحمد : يسكن .

(٥) يحاكي : يشابه . الأدم : البشرة وهى ظاهر الجلد .

(٦) البطن : مذكر ، وتأتيه لغة . وعليها مشى الشاعر ، ويجوز أن يكون الضمير فى استمرت عائدا إلى الأرض . فتسكون جملة بطنها فى سحر ، فى موضع الحال من الضمير . السحر : الحر . وأراد به الاشتعال والهيجان . والسحر فى الأصل بتسكين العين ، وضم هنا للضرورة .

(٧) صدوع : شقوق .

شَخَصَتْ أَطْرَافَ هَاتِيكَ الصَّدُوعَ بِجِبَالٍ شَمَخَتْ مِنْهَا الْقُرُوعُ
وَمَا فِي الْعَيْنِ أَشْكَالُ تَرُوعٍ تَقْدِفُ الْأَفْوَاحَ مِنْهَا حُمَمًا^(١)

صَارَ مَتْنِ رُكَامِ الْحَجَرِ^(٢)

حَصَلَتْ مِنْ قَذْفِ هَاتِيكَ الْمَوَادِّ حَيْثُ يَحْمِلُنَّ جِبَالُ وَوَهَادٍ^(٣)
وَرِكَازٍ وَصَخُورٍ وَجَمَادٍ بَعْضُهَا دَقٌّ وَبَعْضُهَا عَظْمٌ^(٤)

وَهُوَ صَلْبُ الْجِسْمِ صَعْبُ الْمَكْسِرِ

وَهَنَّاكَ انْعَقَدَتْ فِيهَا الْغَيُومُ مِنْ بَحَارٍ كَانَتْ فِي الْجَوِّ رُيُومُ
رَدَّةَ الْبَرْدِ مِيَاهًا فِي التَّنْخُومِ خَفَرَى السَّيْلِ عَلَيْهَا مَفْعًا^(٥)
كُلَّ غُورٍ فَوْقَهَا مَنَحْدِرٌ^(٦)

عَمَّهَا السَّيْلُ فَغَطَّى حِينَ سَالَ سَطْحَهَا بِحُتْرَفٍ مِنْهَا الرَّمَالُ
فَطَمَ الْمَاءُ وَلَكِنَّ الْجِبَالَ شَخَصَتْ فِي الْمَاءِ لَمَّا أَنْ طَمًا^(٧)
وَعَلَتْ كَالسُّفُنِ فَوْقَ الْأُبْحَرِ

غَمَرَ الْمَاءُ بِهَا مَا غَمَرَ ثُمَّ خَلَّى بَعْضُهَا مَنَحْسِرًا^(٨)
مُحْدَثًا فِي السَّطْحِ مِنْهَا جُزُرًا أَنْزَلَ الْمَاءُ بِهَا مَا حَطَمًا^(٩)
مِنْ طُقُفَالٍ وَحُتَاتٍ الْمَدَرِ^(١٠)

(١) ترويع : تخفيف . الحمم : جمع حمة . وهي ما تقذفه البراكين عند ثورانها .

(٢) الركام : الشيء المتراكم بعضه فوق بعض . (٣) الوهاد : الأماكن المنخفضة .

(٤) الركايز : المعادن . دق : صغر . (٥) التخنوم : الفواصل بين الأرضين . مفعما : مائلًا .

(٦) الغور : هو ما انحدر من الأرض ، متى تساطعت حرارة الشمس على الأرض امتصت رطوبتها ، فتصاعد تلك الرطوبة بخاراً في الجو ، ومنى بلغ الطبقة الباردة من الهواء يتجلل ويتساقط مطراً ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى في القرآن الكريم : « ألم تر أن الله يرزق سحاباً ثم يؤلف بينه . ثم يجعله ركاماً ، فترى الودق يخرج من خلاله » . الودق : المطر .

(٧) طما : ارتفع . (٨) منحسرا : منكشفاً .

(٩) الجزر : جمع جزيرة . على غير قياس ، والقياس : جزائر .

(١٠) الطُقُفَال : بفتح الطاء وضمها هو الطين اليابس . الحتات : بضم الحاء : هو ما تنثر من كل

شيء . المدر : التراب المتبلد .

بسيول الماء كم فيها ارتكم^(١) من رمال رسبت فيها أكم^(٢)
ولكم خدّت أخاديد وكم^(٣) قد بئت من طبقات علما^(٤)
نصدت فيه صفيح المرمر^(٥)
ثم صارت وهى من قبل موات^(٦) تصلح الأقطار منها للحياة^(٧)
فانبرت تذبّت في البدء النبات ثم أبدت من قواها النسا^(٨)
وارتقت فيها لنوع البشر^(٩)
فغدت إذ ذاك تزهو بالرياض^(١٠) وبها الأدواح تنمو في الغياض^(١١)
ثم ترميها أكف الانقراض^(١٢) بانحطام حيث تسمي فخا
حجـريّا بمسرور الأعصر^(١٣)
من حطام الخلق في الأرض هضاب^(١٤) كوتهن أكف الانقلاب^(١٥)
ما تراب الأرض والله تراب^(١٦) إنما ذاك حطام قداما
من جسوم باليات الكسر^(١٧)
كم على الأرض رفات باليات^(١٨) من جسوم طحنتها الدائرات^(١٩)

(١) ارتكم الشيء : اجتمع مع ازدحام وكثرة . رسب الشيء في الماء : وصل إلى أسفله .
أكم : جمع أكمة . وهى التل .

(٢) خدت : شقت . الأخاديد : جمع أخدود ، وهو شق مستطيل في الأرض . العلم : الجبل .

(٣) نصدت الشيء : بمعنى جعلت بعضه فوق بعض مسقا أو مركوما . صفيح المرمر : أراد به حجارته .

(٤) الأرض الموات : هى الجراب . أوالى لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد . الأقطار : الزواحي

والجهات ، مفردا قطر .

(٥) النسيم : جمع نسمة وهى نفس الروح ، وأراد بالنسيم الأرواح أنفسها .

(٦) يظهر أن الشاعر يميل إلى مذهب النشوء والارتقاء كما يفهم من هذا المقطع . وقد

اضطربت الآراء في أن هذا المذهب يعارض نصوص الدين ؛ وعندى أنه لا يعارضها ، ولم يزل علماء

الكون في حيرة من تحقيق هذا المذهب .

(٧) الأدواح : الأشجار العظيمة .

(٨) الحطام : ماتكسر وتفتت من الأشياء اليابسة وحطام الخلق : ماتكسر من عظامها

وتحطم . الهضاب : جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض .

(٩) الرفات : الحطام . وهو مفرد مذكور ، أراد به الشاعر معنى الجمع ، فجعل صفته وأثنا .

فاحتفِر في الأرض تلك الطبقات تجد الأتقاض فيها ربما^(١)
هي للأحياء أو للشجر
كل وجه الأرض للخلق قبور خفف الوطاء على تلك الصدور
والعيون النجل منهم والثغور إتما أنت ستفنى مثما^(٢)
قد فنوا والموت دامي الظفر
ظلت الأرض على كرّ الدهور تُبحر الأجل فيها والبحور^(٣)
فوقها تُجبلُ والماء يغور وعلى ذاك استدل الحكم
بجبال السمك المستحجر
علماء الأرض لم تبح ترى حيوان البر لما دثرا^(٤)
منه في الأبحر أبقى أثرا وكذا في البر ألقى العلماء
أثرا من حيوان الأبحر
كل ما في الأرض من فقر وبيد وجبال شهقت فوق الصعيد^(٥)
عن زهاء الربع منها لا يزيد وسوى ذلك منها انكنا
تحت ماء البحر لم ينحسر
في صعيد الأبحر المنعمين مثل ما يوجد فوق اليابس
من جبال ناتئات الأروس ووهاد تستنزل القدم^(٦)
وربا مختلفات القدر^(٧)

(١) الاتقاض : الأبنية المنهدمة . الرسم : ما بلى من العظم ، مفردا رمة . وأراد بها الشاعر ما هو أعظم .
(٢) النجل : العيون الواسعة الحسناء .
(٣) تبحر الأجل : أي تصيرها بحرا . والأجل : جمع جبل . تجبل : تصير جبالا — يعرض للأرض بسبب ما في جوفها من القوى والفواعل المختلفة اضطرابات وانقلابات ، وقد تسبب هذه الفواعل تغوير الجبال الشاهقة ، فيغمرها الماء ، فتصير بحرا ، وقد تسبب ظهور جبال وجزائر في البحر . وقد استدل علماء الكون على ذلك بما شاهدوه من الأسماك المتحجرة في رؤوس الجبال ، ومن آثار الحيوانات البرية في أغوار البحار .

(٤) دثرا : إلى وإحى .

(٥) البيد : جمع بيداء ، وهي القلاة لأماء فيها ولا أنيس . الصعيد : وجه الأرض .

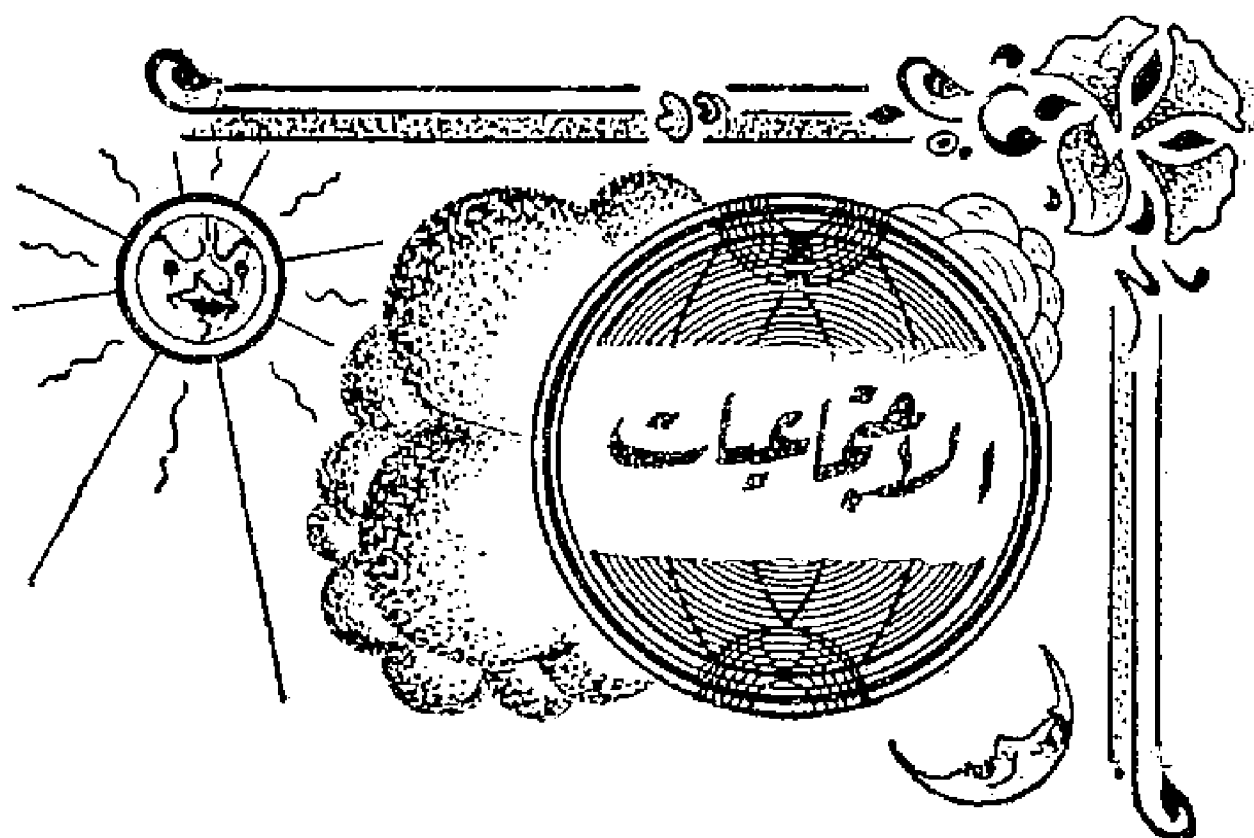
(٦) ناتئات : مرتفعات . تستنزل : تزلق . (٧) ربا : جمع ربوة ، وهي المرتفع من الأرض .

ما نرى اليوم من الماء الحميم والبراكين التي تحكى الجحيم^(١)
ومن الزلزال ذى الهول العظيم دلّ أن الأرض فيما قدّما
ذات جرم ذاتب مستعر^(٢)
كل ما كان بحال السيلان فهو يغدو ككرة بالدوران
وكذاك الأرض فى ماضى الزمان كروياً قد غدا ملتباً
جرمها من سيلان العنصر
ثم إن الأرض من قبل الجود ولدت منها وليست بالولود^(٣)
قراً دار عليها بسعود وجلال فى الليل عنها الظامأ
فهى بنت الشمس أم القمر^(٤)

(١) الحميم : الساخن الحار . البراكين : جبال تقذف ناراً ودخاناً وماءً ووحلاً ومواد ذائبة ، فيبدو منها إذ ذاك بمجموع حوادث تظهر فيها النار أعمالها الغريبة . وأسباب تلك الحوادث غير معروفة . وربما بقيت على الدوام إذ لا وسيلة إلى معرفتها . ومفرد ما بركان ، وهو لفظ قد اصطلح عليه ، ولفظه العربى الصحيح فلقان : جمع فلق . بفتح الفاء واللام ومعناه جهنم ، ثم استعمل لجبل النار .
(٢) مستعر : ملتهب .

(٣) الولود بفتح الواو : الكثيرة الأولاد . الأرض قبل أن تجرد بعد انفصالها عن الشمس انفصل عنها القمر .

(٤) هى ، أى الأرض بنت الشمس ، لأنها متفصلة عنها ، وهى أم القمر ، لأنه منفصل عنها .



نحن والماضي

عهدتك شاعر العرب المجيدا فما لك لا تطارحنا الشيدا^(١)
 فنحن إليك بالأسماع نصغي فهل لك أن تفيد فنستفيدا
 بشعر لا تزال تنوط منه بمجد بدائع الدنيا عقودا^(٢)
 إذا أنشدته الحسناء تاهت كأن قرطتها ذرا فريدا^(٣)
 وأنت إذا قرعت به عبيدا رددت إلى الحرار به العبيدا^(٤)
 ولو تستهض الجبناء يوما به لتفحموا الهيجا أسودا
 ولو كررته للقوم ألفا لأقسم سامعوه بأن تعيدا
 وكم تهتز أعطاف المعالي إذا ما قلت قافية شرودا
 فلو أنشدتنا في الفخر شعرا تذكرنا به العهد البعيدا
 تذكرنا الأوائل كيف سادوا وكيف تبوعوا الشرف المديدا^(٥)

* * *

فقلت له وقد أبدى ارتياحا إليّ إذ ارتحلت له القصيدا
 أجل إن القبائل في معدٍ علوا فتسمنوا المجد المجيدا^(٦)
 وإن لهاشم في الدهر مجداً بناه لها الذي هشم الثريدا

(١) قوله « لا تطارحنا الشيدا » : أي لا تجاوبنا منشدا ، يقال طارحه الكلام والشعر والغناء : إذا نظره وجاوبه .

(٢) تنوط : تعلق . والجيد : العنق أو مقلده أو مقدمه .

(٣) تاهت : : كبرت . وقرطتها : أي ألبستها قرطاً ، والقرط بالضم : هو الذي يعلق فيه شحمة الأذن ، : ذرة أو نحوها .

(٤) قرعت : ضربت . والحرار بالفتح : العتق والحرية .

(٥) تبوعوا الشرف : امتدوا فيه وأدركوا غايته . والشرف المديد : أي الممدود الطويل .

(٦) أجل : حرف جواب بمعنى نعم . وتسمنوا المجد : أي علوه . ومعد : هو معد بن عدنان .

وَمُنْذَرٌ قَامَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِيهِمْ
وَأَنْهَضَهُمْ إِلَى الشَّرَفِ الْمُحَلَّى
فَأَصْبَحَ وَارِيًّا زَنْدَ الْمَعَالَى
فَنَهْمٌ فَتَحُوا الْبِلَادَ وَدَوَّخُوهَا
وَهُمْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ بَأْسًا
وَأَرْجَحَهُمْ لَدَى الْجَلِيِّ حُلُومًا
وَلَكِنْ أَئِيَّهَا الْعَرَبِيُّ إِيَّيْ
وَمَا يُجْدِيُ افْتِخَارُكَ بِالْأَوَالَى

° ° °

أَرَى مُسْتَقْبِلَ الْأَيَّامِ أُولَى
فَمَا بَلَغَ الْمَقَاصِدَ غَيْرَ سَاعٍ
فَوَجَّهْ وَجْهَ عَزْمِكَ نَحْوَ آتٍ
وَهَلْ إِنْ كَانَ حَاضِرْنَا شَقِيًّا
تَقَدَّمَ أَئِيَّهَا الْعَرَبِيُّ شَوْطًا
وَأَسَّسَ فِي بَنَائِكَ كُلَّ مَجْدٍ
فَشَرَّ الْعَالَمِينَ ذُووِ خُمُولٍ
وَخَيْرَ النَّاسِ ذُو حَسَبٍ قَدِيمٍ
تَرَاهُ إِذَا ادَّعَى فِي النَّاسِ فِخْرًا
فَدَعْنِي وَالْفَخَارَ بِمَجْدِ قَوْمٍ
قَدْ ابْتَسَمَتْ وَجُوهُ الدَّهْرِ بِيضًا

بِمَطْمَحٍ مِنْ يَحَاوِلُ أَنْ يَسُودَا
يُرَدِّدُ فِي غَدٍ نَظْرًا سَدِيدَا
وَلَا تَلَفَتْ إِلَى الْمَاضِينَ جِيدَا
نَسُودَ يَكُونُ مَاضِينَا سَعِيدَا
فَإِنْ أَمَامَكَ الْعَيْشُ الرَّغِيدَا^(٤)
طَرِيفٌ وَاتْرُكِ الْجَدَّ التَّالِيدَا^(٥)
إِذَا فَاخَرْتَهُمْ ذَكَرُوا الْجُدُودَا
أَقَامَ لِنَفْسِهِ حَسَبًا جَدِيدَا
تُقِيمُ لَهُ مَكَارِمَهُ الشُّهُودَا
مَضَى الزَّمَنُ الْقَدِيمَ بِهِمْ حَمِيدَا
لَهُمْ وَرَأَيْنَا فَعَبَسَ سَوْدَا

(١) ابن عبد الله : يعنى محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) دَوَّخُوهَا : أى قهروها واستولوا على أهلها .

(٣) الحُلَى : الخطب العظيم ، والأمر الشديد ، وهى مؤث الأجل .

(٤) الشَّوْط : الجرى مرة إلى القاية .

(٥) المجد الطاريف : الحديث المكتسب . والتليد : القديم الموروث .

وقد عَهِدُوا لَنَا بِثَرَاتٍ مُثْلِكَ أَضَعْنَا فِي رِعَايَتِهِ الْعَهودَا^(١)
وعاشوا سادة في كل أرض وعشنا في مواطننا عبيدا
إذا ما الجبل خيمَ في بلاد رأيت أسودها مُسِخَتْ قُرودا

مَعْتَرَكُ الْحَيَاةِ

هو الدهر لم يترك مَشَنَّ غَوَارِهِ على سابق من ليله أَوْنِهَارِهِ^(٢)
يشير غبارَ الحادثات بِصَكْرِهِ وهل نحن إِلَّا من مُتَارِ غِبَارِهِ
وكم عِبَرٍ مَطْوِيَةٍ في صُرُوفِهِ فهل من مُجْمِلٍ فِيهِ طَرَفَ اعْتِبَارِهِ
خَلِيلِي إِنَّ الْأَرْضَ غَرْبَالٌ قُدْرَةُ نَجَمَّتْ الْأَحْيَاءُ بَيْنَ إِطَارِهِ^(٣)
تَمِيدُ بِهِ كَفَّ الزَّمَانُ تَحَرُّكًا لِحَوْ ضَعِيفٍ أَوْ لِإِثْبَاتِ قَارِهِ^(٤)
فَيَبْقَى بِهِ الْأَقْوَى قَرِينَ ارْتِقَائِهِ كما يَسْقُطُ الْأَوْهَى رَهِينَ انْدثارِهِ^(٥)
فَلَا عَيْشَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ بِهَا قَدِيرًا حَتَّى دَفَعَ الْأَذَى وَالْمَسَارِهِ

لَعَمْرِكَ مَا هَذِي الدُّنْيَا بِمَلْبَسٍ لِمَنْ حَيَّكَ مِنْ عَجْزِ نَسِيجِ شَعَارِهِ
وَلَكِنْ لِمَنْ أَمْسَى بِأَيْدٍ وَقَوَّةٍ يَجْرُ عَلَى الْأَيَّامِ فَضْلُ إِزَارِهِ^(٦)

- (١) قوله يَهِدُوا لَنَا بِثَرَاتٍ مُثْلِكَ ، التراث : ما يخلفه الرجل لورثته ، أى يَهِدُوا لَنَا بِثَرَاتٍ هُوَ مِلْكٌ ، فلاضافة بيانية .
(٢) الغوار : كالآغارة ، مصدر غاور العدو إذا غار عليهم . ومشن : مصدر ميسى بمعنى الشن . وشن الغارة نفرقتها وصحبها من كل جهة . يقول : إن الدهر لا يقعد عن شن الآغارة بمحادثته المتتالية ، وهو على جوارى سابقين ، هما الليل والنهار .
(٣) يشير بهذا والذي بعده إلى قانون الاصطفاء الطبيعي ، وهو قانون بناء الأنسب ، فهو يعمل عمله في الأرض الدائرة حول الشمس ، فيضمحل في أثناء دورانها الضعيف من المخلوقات ، ويبقى بها القوى القادر على دفع كل ما يقاوم حياته فيها ، فهى في ذلك بمنزلة الغربال ، الذى يسقط عند تحريكه كل دقبق صغير ، ويبقى فيه ما هو كبير . وإطار الغربال : اللوح المحيط به
(٤) تميد به : أى تدور به وتحرك . والفاره : المديح النشط ، والمراد به هنا : ما يقابل الضعيف ، وهو القوى .
(٥) الأوهى : الأضعف ، وهو مقابل الأقوى في الشطر الأول .
(٦) بأيدٍ : أى بقوة ، فعطبت القوة عليه من قبيل عطف التفسير . والباء هنا للعصاحبة . =

أرى الشمس تُخفى ضوءها كل تبارق
وما ذاك إلا أنها في تلمب
فلم يستطع نجم طلوعاً تجاهها
كذلك ضعيف القوم إن كان جاره
وما الليث نولا بأسه في عرينه
ومن غاور الأيام غير مدجج
ومن لم يهن صرّف الزمان برحلة
وما شرف الدرّ الثمين فريده
وإن كان ينبو الطرف عن مُستناره
يموج بنور ساطع وقد ناره
إذا لم يُعذ بالليل غب اعتكاره
قويًا يكن شلواً أكيلاً لجاره^(١)
بأشرف من صبّ الفلا في وجاره
فلا يطمعن في مغنم من مغاره^(٢)
شبهه صروف الدهر في عُقر داره^(٣)
إذا هو لم يبرح بطون بحاره^(٤)

أرى كل ذي فقر لى كل ذي غنى
ولم يعطه إلا اليسير وإنما
ويلبس من تذليله العزّ ضافياً
يَشُدُّ الغنى أزرَ الفتى في حياته
وليس الغنى إلا غنى العلم إنه
ولا تحسبن العلم في الناس منجياً
أجيراً له مستخدماً في عقاره^(٥)
على كده قامت صروح يساره
وينظره شزراً بعين احتقاره
وما الفقر إلا مكسر في فقاره
لنور الفتى يحلو ظلام افتقاره^(٦)
إذا نكبت أخلاقهم عن مناره

== وقوله يجر على الأيام فضل إزاره : كناية عن القوة والقدرة ، لأن جر فضل الأزار إنما هو قبل الجبايرة والأغنياء ، فكأنه يقول لمن أسمى قرياً ذا قدرة وعظمة .

(١) ضرب في الآيات المتقدمة مثلاً لتغلب القوى على الضعيف ، بما ذكر من الشمس التي لا تستطيع النجوم طلوعاً تجاهها ، فلا تطلع إلا إذا غابت الشمس واعتكر الظلام . ثم قال : وكذلك ضعيف القوم إن جاور القوى كان مغلوباً له . والشلو : المصو من المحجم .

(٢) المدجج : اللابس السلاح .

(٣) عُقر الدار : وسطها . أى من لم يرحل الدفع نواب الدهر عنه ، فانه تلك النوايب وهو في وسط داره .

(٤) المحار : الصدق الذي يكون فيه المؤلؤ ، واحده محارة .

(٥) يقتصر بهذه البيت وما بعده لمذهب الاشتراكية ، حيث ذكر منزلة التقير تجاه الغنى ، وعيش

الغنى من كبد الأول .

(٦) يشير بهذه الآيات إلى أن الذي الحقيق هو غنى العلم لا المال ، وأن العلم لا يجدى نعماً إذا لم يقترن بالأخلاق العادلة .

وما العلم إلا النور يجلو دُجى العمى ولكن تزيغ العين عند انكساره^(١)
فما فاسد الأخلاق بالعلم مفلحاً وإن كان مجراً زاحراً من بحاره

سل الفلك الدوار عن حر كانه فمـل هو فيها دائر باختياره
وهل هو في هذا الفضاء مسافر له غاية مقصودة من سفاره
وهيئنا جهلنا بداه من تقادم فهل يدرك العقل انتهاء مداره
متى ينجلي ليل الشكوك عن النهى وترفع كف العلم مَرخى ستاره
ألا ورى في زند الزمان فتهتدى بسقط ضئيل من سقيط شراره
أرى الدهر ليلاً كله غير مبصر وإن كان في راد الضحى من نهاره
وأهليه ساروا خابطين ظلامه وإن ركبوا في السير متن بخاره

لعمرك إن الدهر يجرى لغاية فإن شئت أن تحيا سعيداً فخاره
وها هو ذا يعدو فينتدر المدى وينهب أعمار الورى في ابتداره
لقد فاز من بارى جديديه جدّة وخاب الذى فى جدّة لم يُبّاره
وليست حياة الناس إلا تجددًا مع الدهر فى إيباسه واخضراره
وما الناس إلا الماء يُحييه جرّيه ويرديه مكث دائم فى قراره

لك الخير هل للشرق يقظة ناهض فقد طال نوم القوم بين دياره
ألم تر أن الغرب أصلت سيفه عليهم وهم لاهون تحت غراره
وبادرهم كالسيل عند انحداره وهم فى مهاوى غفلة عن بداره

(١) العلم : يشبه بالنور من جهة أنه يجلو ظلام العمى ، أى الجهل . كما أن النور يجلو ظلام الليل ، وكذلك يشبه النور من جهة أنه إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يؤدى بصاحبه إلى الزيغ عن الهدى . كما أن النور إذا انعكس شعاعه عند نفوذه فى الأجسام الشفافة كالهواء والماء . يزوغ عين الرأى . أى تنحرف بسبب انعكساره عن رؤية المرئى كما هو فى نفس الأمر . وتحرير المعنى أن العلم إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يكون كالنور المنعكس . الذى يزوغ به البصر عن إدراك حقيقة المرئى كما هى .

أما آن للساھین أن یأبھوا له وقد أصبحوا فی قبضة من إساره^(١)
تراھم جمیعاً بین حیران واجم وآخر یطری ماضياً من فخاره^(٢)

أم الیتیم (*)

رمت مسمی لیلاً بأنة مؤلم وباتت توالی فی الظلام أنینها^(٣)
وبت لها مرعى بنهشة أرقم^(٤)
غیھفو بقلبی صوتها مثلما هفت بقلب فقیر القوم رنة درهم^(٥)
إذا بعثت لی أنة عن توجع بعثت إلیها أنة عن ترحم^(٦)
تقطع فی اللیل الأنین كأنها تقطع أحشائی بسیف مثل^(٧)
یھز نیاط القلب بالحزن صوتها إذا اهتز فی جوف الظلام الحیم^(٨)
تردده والصمت فی اللیل سائد بلحن ضئیل فی الدجنة مبهم^(٩)
كان نجوم اللیل عند ارتجافها تصیخ إلی ذاك الأنین المجمع^(١٠)
فما خفقان النجم إلاً لأجلها وما الشهب إلاً أدمع النجم ترتی^(١١)
لقد تركتني موجع القلب ساهراً أذا مدمع جارٍ ورأسٍ مھوم^(١٢)
أرى فحمة الظماء عند أنینها فأعجب منها كيف لم تنضم^(١٣)
فأصبحت ظمان الجفون إلی الكری

وإن كنت ریان الحشا من تألی^(١٤)

وأصبح قلبي وهو كالشعر لم تدع له شعراء القوم من مترد^(١٥)

(١) أن یأبھوا له : أى أن یفطنوا له . (٢) واجم : أى ساكت لشدة حزن أو غم .
(*) من الدیوان الأول . (٣) الضیغ : الأسد . (٤) الأرقم : أخبث الحیات وأطلبها للناس .
(٥) یھفو : ینفخ . (٦) مثل : مقلل مكسر الحد . (٧) النیاط : عرق غلیظ یطوبه القلب إلی الوتین . والنیاط فی الأصل : ما یعلق علیه أى شیء .
(٨) الدجنة : الظلمة . (٩) تصیخ : تستمع . حجم الكلام : أى أم یبینه .
(١٠) هوم الرجل تهویعاً وتهوم تهوماً : أى هز رأسه من النعاس .
(١١) تنضم : تشتمل . (١٢) الكری : المترد : المرقع الذی یرقع
(١٣) تنضم : تشتمل . (١٤) المترد : المرقع الذی یرقع

وبيتٍ بكت فيه الحياة نحوسة
به ألفت الأيام أثقالاً يؤسها
كأنى أرى البنيان فيه مهدماً
ولكن زلزال الخطوب هوى به
دخلت به عند الصباح على التى
فألفيت وجهاً خدد الدمع خده
وجسماً نحيفاً أنهكته همومه
لقد جئمت فوق التراب وحولها
تراه وما إن جاوز الخمس عمره
بكى حولها جوعاً فغذته بالبكا
وأكبر ما يدعوا القلوب إلى الأسى

ولاحت بوجه العابس المتجهم^(١)
فهاجت به الأحزان فاغرة الفم^(٢)
وما هو بالخاوى ولا المتمسك^(٣)
إلى قعر مَهْوَاة الشقاء الجسم
سقانى بكاه فى الدجى كأس علقم^(٤)
ومحمر جفنٍ بالبكا متورم^(٥)
فكادت تراه العين بعض توهم
صغير يرنو لها بعيني ميم^(٦)
يدير لحاظ اليافع المتفهم^(٧)
وليس البكا إلا تَعَلَّة مُعْدِم^(٨)
بكاء يقيم جائع حول أيم^(٩)

وقفت وقد شاهدت ذلك منهما
وقفت لسيها والأسى فى عيونها
وساءلتها عنها وعنه فأجهشت
ولما تنافحت فى البكاء تضاحكت
ولكن دموع العين أثناء ضحكها
فقد جمعت ثغراً من الضحك مُقَعَّمَاً
فتذرى دموعاً كالجمان تناثرت

لمريم أبكى رحمة وابن مريم
يكلمنى عنها ولم تتكلم
بكاء وقالت أيها الدمع ترجم^(١٠)
من اليأس ضحك المأزى المتهم
هو اطل منها يسجُم الضحك تسجُم^(١١)
إلى يحجر بك من الدمع مُقَعَّم^(١٢)
وتضحك عن مثل الجمان المنظم^(١٣)

- (١) المتجهم : هو الذى يستقبلك بوجه كريب .
(٢) فاغرة : فاتحة .
(٣) الدجى : الليل . الملقم : الحنظل وكل شئ مر .
(٤) خدد : شق .
(٥) يرنو : يدم النظر .
(٦) اليافع : الذى ترعرع وناهز البلوغ .
(٧) التعلَّة : هو الشرب بعد الشرب تباعاً . والمراد هنا : أنه كان يبكى مرة بعد مرة . ليعمل نفسه . ويشغلها بذلك . المعدم : الفقير .
(٨) الأيم التى فعدت زوجها .
(٩) أجهشت بالبكاء : أى همت به وتهيات له .
(١٠) يسجُم الدمع : يسال .
(١١) مقعماً : مملووا . المحجر : مادار بالعين وبداء من البرقع .
(١٢) الجمان : الأولاد .

فلم أرَ عيناً قبلها سال دمعها بكاءً وفيها نظرة المتبسّم
فقلت وفي قلبي من الوجد رَعشة أجنونة يا ربّ فارحم وسلم

✱ ✱ ✱

ومذ عرضت للإبن منها التفاتة أشارت إليه بالمدامع أن قم^(١)
فقام إليها خائر الجسم فأنثت عليه فضمته بكف ومِعصم^(٢)
وظلمت له ترنو بعين تجوده بفدّ من الدمع الغزير وتوعم^(٣)
فقال لها لما رآني واقفاً أرددُ فيه نظرة المتوسّم^(٤)
سلى ذا الفتى يا أمّ أين مضى أبي وهل هو يأتينا مساءً بَطَعم^(٥)
فقال له والعين تجرى غروبها وأنفاسها يقذفن شُعلةً مُضرم^(٦)
أبوك ترامت فيه سفرة راحل إلى الموت لا يرجى له يوم مُقدّم^(٧)
مشى أرميناً في المعاهد فارتمت به في مهاوى الموت ضربة مسلم^(٨)
على حين ثارت للنواب ثورة أتت عن حزازاتٍ إلى الدين تنشى^(٩)
فقامت بها بين الديار مذابح^(١٠) تخوض منها الأرمنيون بالدم
ولولاك لاخترت الحمام تخلصاً بنفسى من أتعاب عيش مُدَمّم^(١١)
فأنت الذي أخرت أمك مرّيناً عن الموت أن يودى بأملك مرّيم^(١٢)
أمرهم مهلاً بعض ما تذكرينه فإنك ترمين القواد بأسهم
أمرهم إن الله لا شكّ ناقم^(١٣) من القوم في قتل النفوس الحرم
أمرهم فيما تحكّمين تبصرى فإن أنت أدركت الحقيقة فاحكمى
فليس بدين كل ما يفعلونه ولكنه جهلٌ وسوء تفهم^(١٤)
لئن ملكوا الأرض الفضاء جرائماً ففهم أجزموا والدين ليس بمجرم

(١) المصم : موضع السوار من الساعد . (٢) الفد : الفرد . التوعم : الملوذ مع غيره .
في بطن ، من الاثنين فصاعداً . (٣) المتوسم : المنفوس . (٤) غروبها : دموعها .
(٥) ترامت به : أبعدته . (٦) يشير بذلك إلى فتنة أظنة التي ثارت بسبب حق الأرمن .
وجاهلاء المسلمين . (٧) الحمام : الموت . (٨) أودى به : أهلكه .

ولكنهم في جنت ليل من العمى
وقد سلكوا تيهاء من أمر دينهم
ولما رأيت اللوم لؤماً تجاهها
وأطرت نحو الأرض أطلب عفوها
وظلت لها أبكى بعين قريحة
بكيت وما أدري أبكى تضجراً
تمشوا بمطموس العلائم مبهم^(١)
فكم منجد في المخزيات ومبهم^(٢)
سكت فلم أنبس ولم أنبرم^(٣)
ولا أنا بالجاني ولا بالمتيم^(٤)
جرت من أفاقها عصارة عندم^(٥)
من القوم أم أبكى لشقوة مريم^(٦)

السجين في بغداد (*)

سكتاً ولم بسكن حراك التبذر
عفا رسم مغنى العز منها كما عفت
بلاداً أناخ الذل فيها بكل كل
معاهد عنها ضل سابق عزها
أحاطت بها الأرزاء من كل جانب
مواطن فيها اليوم أئمن من غد^(١)
« نخوة أطلال بركة نهمد »^(٢)
على كل مفتول السبيلين أصيد^(٣)
فهل هو من بعد الضلالة مهتد
إلى أن محتها معهدا بعد معهد^(٤)

(١) جنت الليل : طائفة منه . بمطموس : أى بطريق مطموس . والعلائم : جمع علامة ، وهى شئ منصوب فى الطريق يهتدى به .

(٢) التيهاء : الأرض التى يتوه بها الإنسان . المنجد : قاصد النجدة ، أى المكان المرتفع . ولتهم : قاصد تهامة أى السكان المنخفض .

(٣) لم أنبس : لم أتكلم . أنبرم : أتضجر .

(٤) الجاني : المجرم . المتيم : الذى تيمه العشق أى ذلله وعبيده .

(٥) الأماق : جمع مؤنث ، وهو طرف العين مما إلى الأنف . العندم : البقم ، وهو شجر له ساق أحمر يصنع بطيخه .

(٦) التبذر : التفرق . أئمن : أسعد .

(٧) عفا : انحنى . الرسم : ما كان لاحقاً بالأرض من آثار الديار . المغنى : المنزل الذى أقام به أهله ثم رحلوا . نخوة : اسم امرأة . الأطلال : جمع طلل ، وهو الباقى من آثار الديار . بركة : نهمد : اسم موضع .

(٨) أناخ : ألقاه . الككل : الصدر . السبيلين : ثنية سبل ، والسبل : جمع سبل ، وهى شجر الشارين . الأصيدة : الذى يرنح رأسه زهراً ونجياً .

(٩) الأرزاء : المصائب .

وَحَلَقَ فِي آفَاقِهَا الْجُورَ بَازِيًا مُطَالًا عَلَيْهِمَا صَائِنًا بِالْتِهَادِ^(١)
وَيَنْقُضُ أَحْيَانًا عَلَيْهِمَا فَتَارَةً يَرُوحُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَغْتَدِي
فِيخْطَفُ أَشْلَاءَ مِنَ الْقَوْمِ حَيَّةً وَلَمْ يَقْدِرْ الْمَقْتُولَ مِنْهَا وَلَمْ يَدِ^(٢)
وَيَرْمِي بِهَا فِي قَعْرِ أَظْلَمِ مُوحَشٍ بِهِ أَيْنَ تَسْقُطُ جَذْوَةُ الرُّوحِ تُخَمِّدُ^(٣)
هُوَ السِّجْنُ مَا أَدْرَاكَ مَا السِّجْنُ إِنَّهُ جِلَادُ الْبَلَايَا فِي مَضِيقِ التَّجَلُّدِ
بِنَاءٌ مُحِيطٌ بِالتَّعَاسَةِ وَالشَّقَا لَظْمٌ بَرِيءٌ أَوْ عَقُوبَةٌ مُعْتَدِ

زُرَّ السِّجْنُ فِي بَغْدَادِ زُورَةٍ رَاحِمٍ لِتَشْهَدَ لِلْأَنْكَادِ أَفْجَعُ مَشْهَدِ^(٤)
مَحَلٌّ بِهِ تَهْفُو الْقُلُوبُ مِنَ الْأَسَى فَإِنْ زُرْتَهُ فَارْبِطْ عَلَى الْقَلْبِ بِالْيَدِ^(٥)
مَرْبَعٌ سُورٍ قَدْ أَحَاطَ بِمَثَلِهِ مُحِيطٌ بِأَعْلَى مِنْهُ شَيْدٌ بِقَرْمَدِ^(٦)
وَقَدْ وَصَلُوا مَا بَيْنَ ثَانٍ وَثَالِثٍ بِمَعْقُودِ سَقْفٍ بِالصَّخُورِ مُشِيدِ
وَفِي ثَالِثِ الْأَسْوَارِ تَشْجِيكَ سَاحَةٍ تَمُورُ بِبَيْتَارٍ مِنَ الْخُسْفِ مُزِيدِ^(٧)
وَمِنْ وَسَطِ السُّورِ الشَّمَالِيِّ تَنْتَهِي إِلَيْهَا بِمَسْدُودِ الرِّتَاجِينَ مُوَصَّدِ^(٨)
هِيَ السَّاحَةُ النُّكْرَاءُ فِيهَا تَلَاعَبَتْ مَخَارِيقُ ضَمِيمٍ تَخْلُطُ الْجِدَّةَ بِالْدَدِ^(٩)
ثَلَاثُونَ مِثْرًا فِي جِدَارٍ مُحِيطُهَا بِسَمَكٍ زُهَاءٍ الْعَشْرِ فِي الْجَوْ مُصْعِدِ

(١) البازي : اسم فاعل من بزا عليه بمعنى تطاول ، وفيه تورية بالبازي ، وهو نوع من الطيور الجارحة ، التي تسمى الصقور . صائنا : مصوتا .

(٢) أشلاء الإنسان : أعضاؤه . لم يقدر المقتول : لم يقتل قاله . لم يد : لم يعط الدية ، وهي مال يعطى لولي القتيل بدل النفس .

(٣) جذوة الروح : شعلتها .

(٤) الأنكاد : جمع نكد ، وهو الرجل المشثوم ذو العسر . (٥) تهفو : تضطرب .

(٦) أي هو مربع سور . يصف بهذا البيت وما بعده بناء السجن وشكله . أي هو سور مربع أحاط بسور آخر مثله ، وهذا أيضا أحاط بسور ثالث أعلى منه .

(٧) هو السور الذي تليه ساحة السجن . تشجيك : تمزك . تمور : تضطرب . الخسف : الإهانة والذل . مزيد : هائج .

(٨) الضمير في قوله إليها يعود إلى الساحة في البيت السابق . الرتاج : الباب العظيم . موصد : مغلق .

(٩) المخاريق : ما يلعب به الصبيان من الخرق المقتولة . الضميم : الذل . الدد : الالهو .

تواصلت الأحزان في جنباتها
تصعد من جوف المراحض فوقها
هناك يودُّ المرءُ لقاء نفسه
فقف وسطها وانظر حواليك دأراً
مقابر بالأحياء غصت لحودها
وقد غميت منها النوافذ والكوى
تظن إذا صدر النهار دخلتها
فلو كان للعباد فيها إقامة
يزور هبوبُ الريح إلا فناءها
تضيق بها الأنفاس حتى كأنما
وحتى كأن القوم شدت رقابهم

بميت متى يبل الأسى يتجدد
بخار إذا تمر به الريح تفسد
وأطلقها من أمر عيش منكّد^(١)
إلى حجرٍ قامت على كل مقعد
بخمس مئين أنفس أو بأزيد
فلم تكتحل من ضوء شمس يمرود^(٢)
كأنك في قطع من الليل أسود
لصلوا بها ظهراً صلاة التهجد^(٣)
فلم تحظ من وصل النسيم بموعد^(٤)
على كل حيزوم صفائح جلد^(٥)
بجل اختناق محكم الفتل محصد^(٦)

* * *

بها كل مخطوم الحشام مذلل
يبيت بها والهم ملء إهابه
يميت بمكذوب العزاء نهاره
ينوء بأعباء الهوان مقيداً

متى قيد مجروراً إلى الضيم ينقد^(٧)
بليلة منبول الحشا غير مقصد^(٨)
ويحيى الليالي غير نوم مُشرّد
ويكفيه أن لو كان غير مقيد^(٩)

- (١) فاء نفسه : أى أخرج روحه من جسده كالقوى .
(٢) الكوى : جمع كوة ، وهى شئ فى الجدار أشبه بالنافذة إلا أنه لا ينفذ . المرود : الليل الذى يكتحل به .
(٣) التهجد : الصلاة فى الليل . (٤) القناء : الوصيد ، وهو ساحة أمام البيت .
(٥) الحيزوم : وسط الصدر . الصفائح : الحجارة المراض . الجلد : الصخر .
(٦) محصد : محكم الفتل .
(٧) الحشام : الأنثى العظيمة ، ومخطوم الأنثى : أى جمل فى أنفه خطام . والمعنى ظاهر . قيد : سحب .
(٨) الإهاب : الجلد . منبول : مصاب بالنبل . والحشا : ما انضمت عليه الضلوع . مقصد : اسم مفعول من أقصده السهم ، أى أصابه فقتله .
(٩) ينوء بأعباء الهوان : تثقله أعماله .

وتقذفهم تلك القبور بضغطها عليهم كحرّ الساحة لتتوقد
فيرجع بعض من حصير ظلاله ويجلس فيها جلسة المتعب
ولست تقيّسه الحر إلا تعلةً لنفس خات من صبرها المتبدد^(١)
وبالشوب بعض يستظل وبعضهم

بنسج لعاب الشمس في التقيظ يرتدى^(٢)
فمن كان منهم بالحصير مظلاً يعدّونه ربّ انطراف الممدّد^(٣)
تراهم نهار الصيف سفعاً كأنهم أنافئ أصلاها الطهاة بموقد^(٤)
وجوه عليها للشحوب ملامح « تلوح كبنى الوشم في ظاهر اليد »^(٥)
وقد عمّهم قيد التعاسة موثقاً فلم يتميز مطلق عن مقيّد
فسيدهم في عيشه مثل خادم وخادمهم في ذلّه مثل سيد
يخوضون في مستنقع من روائح تدور رموس القوم من شمّ نثنها
تراهم سكارى في العذاب وما هم تحسبهم دوداً يعيش بحماة
وما هو من دود بها متولد^(٦)

• • •

ألا ربّ حرّ شاهد الحكم جائراً يقود بنا قود الذلول المعبد^(٧)

- (١) التعة : ما يتعال به ، أى يتأذى .
(٢) التقيظ : شدة الحر . ومعنى قوله « بنسج لعاب الشمس يرتدى » أنه عارى الجسم لا ثوب له .
(٣) الطراف : بيت يصنع من الأدم ، أى الجلد ، للعنوك والرؤساء خاصة .
(٤) سفعاً : وجوههم متغيرة مسودة : الأنافئ : أحجار يوضع عليها القدر ، مفردتها أنفة .
أصلاها : أحرقها . الطهاة : جمع طاه ، وهو الطباخ .
(٥) الشحوب : تغير اللون . الوشم : هو أن تغرز الإبرة في الجلد ، ثم تذر عليه مادة خاصة معروفة .
(٦) الحماة : الطين الأسود المتين ، أى هم يشبهون الدود الذى تولد في غير الحماة ، ثم ألقى في الحماة ، فإنه يموت فيها ، بخلاف الدود المتولد في الحماة ، فإنه يعيش فيها ولا يموت .
(٧) الذلول : البعير السهل القيادة . المعبد : المذل .

فقال ولم يجهر ونحن بمتندى به غير مأمون الوشاية ينتدى^(١)
على أى حكم أم لأية حكمة يغداد ضاع الحق من غير منشد^(٢)
فأدريت للنجوى فى نحو سمعه وقلت لأن العدل لم يتبغدد^(٣)
رعى الله حيًا مستباحًا كأنه من الذعر أسراب النعام المطرد^(٤)
وما صاحب البيت الحثير بناؤه بأفزع من رب البلاط المررد^(٥)
وما ذاك إلا أنهم قد تحاذلوا ولم ينهضوا للخصم نهضة ملبد^(٦)
فناموا عن الجلى ونمت كنومهم سوى نوحه منى بشعر مغرد^(٧)
وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا مشيت وإن يقعد أولئك أقعد^(٨)
وكم رمت إيقاظًا فأعيا هبوبهم وكيف وعزم القوم شارب مرقد^(٩)
نهوضًا نهوضًا أيها القوم للعلى لتبنوا لكم بنيان مجد موطن^(١٠)
تقدمنا قوم فأبعد شوطهم وقد كان عنا شوطهم غير مبعد^(١١)
وسد علينا الاعتساف طريقنا فأجحف بالغورى والمتنجد^(١٢)
أفى كل يوم يزحف الدهر نحونا يجند من الخطب الجليل مجند^(١٣)
فيارب نفس من كرب عظمة ويارب خفف من عذاب مشدد^(١٤)

(١) ينتدى : يجتمع فى النادى . والعنى : نال ذلك القول ونحن فى ناد يجتمع فيه من لم نكن نأمن من تجسسه ووشايته .

(٢) منشد : مصدر ميبى من نشد المضاعف : أى نادى وسأل عنه .

(٣) النجوى : حديث السر . لم يتبغدد : لم ينتسب ابغداد . ومعنى الأبيات الأربعة : أن ذلك الحر جهر فى ذلك النادى الذى يجتمع فيه غير الأمتاء ، قائلاً : لم يضيع الحق فى بغداد من غير أن نطالبه ونسأل عنه ؟ فقلت له سرًا : ذلك لأن العدل غير بغدادى .

(٤) الذعر : الخوف . الأسراب : جمع سرب ، وهو القطيع من النعام والنساء وغيرها .

(٥) المررد : المجلس المنظم . (٦) الملبد : من أسماء الأسد . (٧) الجلى : الأمر العظيم .

(٨) أعيا : يريد أعياى ، أى أتعبنى . هبوبهم : استبقاظهم من الخمول ، وإسراعهم إلى المعالى . انزقد : دواء يرقد شاربه أى يذيبه كالأفيون . يقول ، كيف يهبون إلى المجد وهم شاربون من الخمول والاستبداد ما أفقدهم السداد .

(٩) الاعتساف : الظلم . أجحف به كلفه ، لا يطيق . الغورى : قاصد الغور ، وهو المطمئن من الأرض . المتنجد : قاصد النجى ، وهو المرتفع منها .

الدهر والحقيقة

أرى الدهر لا يألو بستر الحقائق
يحر ذبول الخطب فوق طريقها
ولو لم يجثنا كل يوم موارباً
كان ليالى الدهر غضبي على الورى
وما طلعت كى تهدي القوم شمسهُ
وقد تنطق الأيامُ بالحق أعجماً
وكم مدّع فضل التمدّن ما له
وكم عاقل قد عدّه الناس أحمقاً
وربّ ذكى لم يكن من ذكائه
وقد تعرّض الأسماع عن ذى فصاحة
ومن شيم الأيام فى الناس أنها
والطف جور الدهر جور نرى به
وما كان كذب القوم فى القول وحده
وأقبح مین فى الزمان خرافةً

إذا افتر عن صبح تلاه بغاسق^(١)
ليعقوّ منه ما به من سلائق^(٢)
لما كان فجر كاذب قبل صادق
فتنظر شزرا بالنجوم الشوارق^(٣)
ولكن لتصليهم جحيم الودائق^(٤)
وتسكت عن تبليانه كل ناطق
من الفضل إلا أكله بالملأعق
وما هو لو يبلى سوى متحامق^(٥)
سوى ما روه من ذكاء اللقائى^(٦)
وتصنّى إلى ذى الأكنة المتشادق^(٧)
تجوز عليهم باقتطاع العلائق
تدلّ معشوق وذلة عاشق
ولكنّه فى كتبهم والمهراق^(٨)
تخطّ بها طرساً يراعى نامق

-
- (١) غاسق : ظلام دامس . (٢) سلائق جمع سليفة ، وهى الطيعة .
(٣) النظر الشزر ، ما كان يؤخر الطرف ، وهو نظر احتقار وكبر . وذو : أضاء أو طلع .
والشارق : الطالع .
(٤) الودائق : جمع وديقة ، وهى حر نصف النهار .
(٥) المتحامق : المتشبه بالحمقى فى أفعاله وليس بأحق .
(٦) اللقائى : جمع لقى ، وهو ضرب من الطير طويل العنق والمنقار ، يأكل الحيات .
(٧) الأكنة : الحبسة فى اللسان . المتشادق : المتفامج .
(٨) المهراق : الصحف . أخذ من حرير أبيض مصمغ مصقول ، يكتب عليها الكتب الجلدة ،
كالعامدات ونحوها .

ضلالاً على مرّ الجديدين لم تزل
فعدت عن الأيام إذ لم نجد بها
نفقت من الدنيا يدى لأننى
فما أنا وقاف بها عند منزل
ولا عذبتى فى العذيب صباية
تعشقت فيها حسن كل حقيقة
ولى عند إخوان الصفا أريحية
إذا ما عقدنا مجلس الأئس بائطالا
أقوم إلى كبرى الزجاجات مدهقاً
فأقرع بالكأس الروية جبهتى
أسابق ندمائى إلى السكر طائرا
فما هى إلا بعد شرب سوية
فنادمت أصحابى على غير حشمة
وأغنيهم عن نقائهم فى شراهم
ولم يبد فى السكر عند اشتداده
تعودت سبى فى الفخار فلم أرد
كما اعتاد سبقاً فى المكارم خزعل
أمير نمته للمكارم والعلی

بغاربنا من أمره كالمشـارق
سوى لقط يزرى بقضل المنطق
تعرفت منها ما بها من خلائق
ولا أنا بك من حبيب مفارق
ولا شاقى برق لربع يبارق
وأعرضت عن حسن الحسان الغرائق^(١)
إلى كل خل فى الزمان موافق^(٢)
فبينى وبين السكر خمس دقائق^(٣)
بمسقطى من خالص التمر رائق
بشرب كما عب القطا متلاحق^(٤)
بجنح من الأئس المضاعف خافق
وقد دب من رأسى الطلافى المفارق
وقلت لهم ما قلت غير منافق
بمز طرى من نقول الحقائق
سوى شكر خلى أوسوى حمد خائى
من السكر أن أحظى به غير سابق
بلا سابق فيها عليه ولاحق
ججاجح من كعب كرام المعارق^(٥)

(١) الغرائق : جمع غارقة ، وهى الشاية المثلثة .

(٢) أريحية : ارتياح . (٣) الطلا : الحر .

(٤) الروية : الملوحة .

(٥) نمته : نبتته . والججاجح : جمع ججاجح ، وهو السيد الكريم . والمعارق : جمع عرق . وهو الأصل والحسب .

كذلك أعلى الله في الناس كعبه
إذا سار سار المجد في طيٍّ بُرده
فيرحل من أنسابه في مواكب
وإن جاء أغضى من رآه تهيياً
ومنها :

أبا الأمراء الصيِّد جئتكم شاكياً
أجرني رعاك الله منها فإنها
أترضى وإنى صقر بغداد أننى
لئن أنكروا حتى فسوف تحقه
أصوغ بها حرَّ الكلام لخزعل
إليك جنایات الزمان المماذق
رمت كل عظم فيَّ منها بعارق^(٢)
تقدَّمنى فيها فراح العقاقق^(٣)
شواهد أقلام بكفى نواق
مديحاً كعقد اللؤلؤ المتناسق

(١) المؤنل : الثابت القديم .

(٢) عرق العظم يعرفه فهو عارق : أكل ما عليه من اللحم .

(٣) العقاقق : جمع عقمى ، وهو طائر صغير ذو لونين : أبيض وأسود ، طويل الذنب ،

وصوته العمقة ، قيل : وهو نوع من الغربان .

في سبيل حرية الفكر

أنشئت في حفلة منتدى التهذيب السنوية
ببغداد بتاريخ ٢ أيار سنة ١٩٢٦ م



كتبت لنفسى عهد تحريرها شعراً وأشهدت فيما قد كتبت لها الدهراً
ومن بعد إتمامي كتابة عهدها جعلت الثريا فوق عنوانه طغراً^(١)

(١) الثريا نجم مؤلف من عدة أبحر صغيرة ، والطغراء ، ويزال لها المطرقة ، هي علامة توضع في كتب الملوك شعاراً لهم ، والنقش يجعل في حاشية التوب .

وعَلَّقْتَهُ كَيْ لَا تَنْأَوَّلَهُ يَدٌ
لِذَاكَ جَعَلْتَ الْحَقَّ نَصَبَ مَقَاصِدِي
وَجَرَّدْتَ شَعْرِي مِنْ ثِيَابِ رِيَائِهِ
وَأَرْسَلْتَهُ نَظْمًا يَرُوقُ أَنْسِجَامُهُ
فَجَاءَ مُضِيئًا لَيْسَ لَهُ كُنْهَارُهُ
أُضْمِنَهُ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ عَارِيًّا
وَيَجْعَلُهُ الْغَاوِي عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ
رُوَيْدَكَ إِنْ الْكَفَرُ مَا أَنْتَ قَائِلٌ
هَلْ الْكَفَرُ إِلَّا أَنْ تَرَى الْحَقَّ ظَاهِرًا
وَأَنْ تَبْصُرَ الْأَشْيَاءَ بَيَاضًا نَوَاصِعًا
إِذَا كَانَ فِي عُرَى الْجِسْمِ قَبَاحَةٌ
فَيَكْسُهَا مَنْ مَارَسَتْ عَيْنُهُ عَمًى
أَحَبُّ الْفَتَى أَنْ يَسْتَقِلَّ بِنَفْسِهِ
وَأَكْرَهُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ مَقْلَدًا
وَمَا هَذِهِ الْأَوْطَانُ إِلَّا حَدَائِقُ
وَمَا حُبُّهَا إِلَّا لِأَجْلِ تَحَرُّرٍ
وَمَا حُسْنُهَا إِلَّا بِأَنْ سَمَاءُهَا
إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ لِلنَّاسِ غَايَةٌ
فَأَوْطَانُكُمْ لَنْ تَسْتَقِلَّ سِيَاسَةً

بِمَنْبِيعِثِ الْأَنْوَارِ مِنْ ذِرْوَةِ الشَّعْرَى^(١)
وَصَيَّرَتْ سِرَّ الرَّأْيِ فِي أَمْرِ جِهْرًا
فَلَمْ أَكْسِهِ إِلَّا مَعَانِيَهُ الْغُرًّا
فِيحْسِبُهُ الْمَصْنَعِي لِإِنْشَادِهِ نَثْرًا
وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَزْعُمُهُ كَفْرًا
فِيحْسِبُهُ جَهَّالَهُ مَنَظْمًا هُجْرًا^(٢)
فَيُوسَعُنِي شَتْمًا وَيَنْظُرُنِي شَزْرًا^(٣)
وَإِنْ صَرِيحُ الْعُرْفِ مَاخَلَتْهُ نَكْرًا^(٤)
فَتَصْرَبُ لِلْأَنْظَارِ مِنْ دُونِهِ سِتْرًا
فَتُظْهِرُهَا لِلنَّاسِ قَانِيَةً تُحْرًا
فَأَحْسَنُ شَيْءٍ فِي الْحَقِيقَةِ أَنْ تَعْرِى
وَيَبْصُرُهَا مَنْ كَابَدَتْ أُذُنُهُ وَقْرًا^(٥)
فَيَصْبَحُ فِي أَفْكَارِهِ مَظْلَقًا حُرًا
فَيُحْشَرُ فِي الدُّنْيَا أَسِيرًا مَعَ الْأَسْرَى
بِهَا تَنْبِتُ الْأَفْكَارُ مِنْ أَهْلِهَا زَهْرًا
يَكُونُ إِلَى الْعُلِيَاءِ بِالنَّاسِ مُنْجَرًّا
تَضَاحِكُ مِنْ أَحْرَارِهَا أَنْجَمًا زُهْرًا
فَخِرِيَةِ الْأَفْكَارِ غَايَتُهَا الْكِبْرَى
إِذَا أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِلُّوا بِهَا فِكْرًا

(١) ذِرْوَةُ الشَّيْءِ : أَعْلَاهُ . وَالشَّعْرَى : كَوَكَبُ نِيرٍ . يَطْلُعُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ .

(٢) الْهُجْرُ : الْفَحْشُ فِي الْكَلَامِ .

(٣) الْغَاوِي : الضَّالُّ أَوِ الْجَاهِلُ . وَيُوسَعُنِي شَتْمًا : يَبَالِغُ فِي شَتْمِي . وَيَنْظُرُنِي شَزْرًا : يَرْمُقُنِي بِاحْتِقَارٍ يُوْخِرُ عَيْنَهُ .

(٤) رُوَيْدَكَ : تَهْمَلُ وَلَا تَعْجَلُ . وَالنَّكْرُ : النَّكْرُ ، ضِدُّ الْعُرُوفِ .

(٥) الْوَقْرُ : ثَقُلَ السَّمْعُ .

إذا السيف لم يعضده رأى محرر
سواء على الإنسان بعد جموده
إذا لم يعيش حرّاً بموطنه الفتى
أحرّيتى إني اتخذتك قبلة
وأمسك منها الركن مستغلاً له
إذا كنت في فقرٍ اتخذتك مؤنساً
وإن نابى خطب ضممتك لائماً
وإن لامنى قوم عليك فإننى
للمتمس للقوم من جهلهم عذرا

فلا تأملن من حدّه ضربة بكر^(١)
أحلّ بقفر الأرض أم سكن المصرا
فسمّ الفتى ميماً وموطنه قبرا
أوجه وجهى كل يوم لها عشرا
وفي ركنها استبدلت بالحجر الحجرة^(٢)
وإن كنت في ليل جعلتك لى بدرا
فقبلت منك الصدور والنحر والثغرا
للمتمس للقوم من جهلهم عذرا

إلى أبناء المدارس

كفى بالعلم فى الظلمات نورا
فكم وجد الدليل به اعتزازاً
تزيد به العقول هُدًى ورشداً
يبين فى الحياة لنا الأمورا
وكم نبس الحزين به سرورا
وتستعلى النفوس به شعورا

* * *

إذا ما عتق موطنهم أناس^(٣)
فإن ثيابهم أكفان موتى
وحقّ لثلبهم فى العيش ضنك
ولم يبنوا به للعلم دُورا^(٤)
وليس بيوتهم إلا قبورا
وإن يدعوا بدنياهم ثبورا^(٤)

* * *

(١) لم يعضده : لم يؤازره . والضربة البكر : التى لم يضربه قبلها مثنها .
(٢) الحجر ، بتجريك الجيم : هو الحجر الأسود الذى فى ركن من أركان الكعبة . والحجر ، بكسر الخاء وتسكين الجيم ، مكان بجانب الكعبة . وفى اللفظ تورية ، لأنه بطلق أيضا على العقل وهو المزداد به فى البيت .

(٣) عقه يعقه عقوقا : لم يوف له بعهده وحقه .

(٤) حق لهم كذا : استحقوه . والضحك : الضيق والذل . أن يدعوا ثبورا : أن يطلبوا المهلاك فى الدنيا . يريد أن من قصر فى حق العلم استهدف للإهلاك .

أرى أبا العلي أدباً وعلماً بغيرها العلي أمست قشورا

أبناء المدارس إن نفسي تؤمل فيكم الأمل السكيرا
فسيقاً للمدارس من رياض لنا قد أنبتت منكم زهورا
ستكتسب البلاد بكم علواً إذا وجدت لها منكم نصيرا
فإن دجت الخطوب بجانبها طلعت في دجتها — ما بدورا^(١)
وأصبحتم بها للعز حصناً وكنتم حولها للمجد سورا

إذا ارتوت البلاد بفيض علم فعاجز أهلها — يمسى قديرا
ويقوى من يكون بها ضعيفاً ويغنى من يعيش بها فقيرا
ولكن ليس منتفعاً بعلم فتي لم يحرز الخلق النصيرا
فإن عماد بيت المجد خلق حكى في أنف ناشقه العبيرا
فلا تستنفعوا التعليم إلا إذا هذبتم الطبع الشريرا
إذا ما العلم لابس حسن خلق فرج لأهله خيراً كثيراً
وما إن فاز أغزنا علوماً ولكن فاز أسامنا ضميرا

أبناء المدارس هل مصيخ^(٢) إلى من تسألون به خبيرا^(٢)
ألا هل تسمعون فإن عندي حديثاً عن مواطنكم خطيرا
ورأياً في تعاونكم صواباً وقلباً من تحاذلكم كسيرا
قد انقلب الزمان بنا فأمست بغاث القوم تحقر النسورا^(٣)

(١) دجت الخطوب : أظلمت الحوادث واشتدت . والدجنة : الظلمة .

(٢) مصيخ : مستمع .

(٣) البغات ، مثلث الباء : صغار الطير وضعافها .

وساء تقلب الأيام حتى حمدنا من زعازعها الدُّبورا^(١)
 وكم من فارة عمياء أمست تسمى عندنا أسداً هصورا^(٢)
 فكيف تروم في الأوطان عزاً وقد ساءت بساكنها مصيرا
 ولم يك بعضنا فيها لبعض على ما ناب من نخطب ظهيرا^(٣)
 ألسنا الناضمين عقود مجد بزین من العصور بها النجورا
 إذا لجج الخطوب طمت بئينا عليها من عزائنا جسورا
 لتبتدر العبور إلى المعالي بحيث نطاول الشعري العبورا^(٤)

* * *

ألا يا ابن العراق إليك أشكو وفيك أمارس الدهر المكورا^(٥)
 تنفض من غبار الجهل واهرع إلى تلك المدارس مستجيرا^(٦)
 فهن أمان من خشى الليالي وهن ضمان من طلب الظهيرا

المطلقة (*)

بدت كالشمس يحضنها الغروب فتاة راع نضرتها الشحوب^(٧)
 منزهة عن الفحشاء حود من الخفرات آنسة عروب^(٨)

(١) الزعازع : جمع زعزع ، وهي الريح الشديدة . والدبور : هي الريح التي تأتي من الجنوب ، وهي مكروهة عند العرب .

(٢) الهصور : الشديد الافتراس .

(٣) ظهيرا : وعونا ومساعدة .

(٤) الشعري : كوكب مضيء يطلع في الحر ، وهما شعريان : العبور والغيماء .

(٥) المكور : الشديد السكر .

(٦) أهرع : أسرع . (*) من الديوان الأول .

(٧) راع : شوه ، وراع في الأصل : بمعنى أنزع وأخاف . نضرتها : روتها وحسنها .

(٨) الحود : المرأة الشابة . الخفرات : جمع خفرة ، وهي المرأة التي تستحي أشد الحياء . الآنسة : التي يؤنس بحديثها . العروب : المرأة المتعجبة إلى زوجها .

نوار تستجدُ بها المعالي وتبلى دون عفتها العيوب^(١)
 عفا ماء الشباب بوجنتيها فحامت حول رونقه القلوب
 ولكنَّ الشوائب أدرى منه فساد وصفوه كدور مشوب^(٢)
 ذوى منها الجمل الغض وجرأ وكاد يحفّ ناصحه ارطيب^(٣)
 أصابت من شببتها الليلي ولم يدرك ذوائبها المشيب^(٤)
 وقد خلب العقول لها جبين تلوح على أسرته النكوب^(٥)
 ألا إن الجمال إذا علاه نقاب الحسن منظره عجيب

* * *

حليّة طيب الأعراق زالت به عنها وعنه بها الكروب
 رعى ورعت فلم تر قط منه ولم ير قط منها ما يريب
 توثق جمل ودّها حضوراً ولم ينكث توثقه المغيب^(٦)
 فغاضب زوجها الخلطاء يوماً بأمر للخلاف به تشوب^(٧)
 فاقسم بالطلاق لهم يمينا وتلك أليّة خطأ وخوب^(٨)
 وطلقها على جهلي ثلاثاً كذلك يجعل الرجل الغضوب^(٩)
 وأفتى بالطلاق طلاق بتّ ذو فنيّا يعصمهم عصب^(١٠)

(١) النوار : المرأة النور من الريبة . ونوار اسم امرأة كانت زوجا للغزدي ، فطافها ثم خدّم ، وفي البيت إشارة إلى ذلك .

(٢) الشوائب : الأمور التي تغير الشيء . مشوب : مخلوط .

(٣) ذوى : ذبل . (٤) الذؤابة : الناصية وهي مقدم الرأس ، أو هي الطارة .

(٥) الأسرة : هي خطوط في الجبهة والكف ، وفي كل شيء ، والغالب استعمالها لخطوط الجبهة . النكوب : جمع نكب ، وهي المصيبة .

(٦) توثق : تقوى . ينكث : ينقض . (٧) التشوب : تشب الشيء تشوبا ، بمعنى علق .

(٨) أليّة : قسم . الحوب : الذنب . الحلف بالطلاق حرام ، لذلك كان الحالف به مذنباً .

(٩) عصب : شديد .

(١٠) بانت : بعدت ، بسبب هذه الفتيا الباطلة الخاطئة . التام : العيب — جهل الناس الحكمة

من مشروعية الطلاق ، وعبد من يسمون بالعلماء ألقاها السكتب التي درسوها ، فأفتوا بغير علم صحيح فضلوا وأضلوا ، وأوقعوا الناس في حرج عظيم .

فبانت عنه لم تأتِ الدنيايا ولم يعلق بها الدمام المعيب
فظلت وهي باكية تنادى بصوتٍ منه ترتجف القلوب

* * *

لماذا يا نجيب صرمت حبلى وهل أذنبت عندك يا نجيب^(١)
ومالك قد جفوت جفاء قال وصرت إذا دعوتك لا تجيب^(٢)
أبن ذنبي إلى فدتك نفسي فأني عنه بعدئذ أتوب
أما عاهدتني بالله أن لا يفرق بيننا إلا شعوب^(٣)
لئن فارقتني وصددت عني فقلبي لا يفارقه الوجيب^(٤)
وما أدماء ترتع حول روضي ويرتع خلفها رشاً ريب^(٥)
فما لفتت إليه الجيد حتى تحطفه بأزمته ذيب^(٦)
فراحت من تحرقها عليه بداء ما لها فيه طيب
تشم الأرض تطلب منه ريحاً وتتعب والبغام هو النحيب^(٧)
وتمزع في الفلاة لغير وجه وآونة لمصرعه تنوب^(٨)
بأجزع من فؤادي يوم قالوا برغم منك فاركك الحبيب^(٩)

* * *

- (١) صرمت : قطعت .
(٢) شعوب : اسم للموت .
(٣) الأدماء : الظبية المشرب لونها يابض . الرشاً : ولد الظبية الذي قد تحرك ومشى .
(٤) الوجيب : الخفطان .
(٥) ريب : ملازم لها .
(٦) الجيد : العنق . الأزمتان : الثابان .
(٧) تتعب : تبكي وبكاؤها أشبه بالسعال . البغام : صياح الظبية إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها .
(٨) تمزع : تسرع . لمصرعه : لمكان هلاكه . تنوب : ترجع .
(٩) بأجزع : الجار والمجور وخبر لقوله وما أدماء في بيت سابق . يقول عن لسان المطلقة :
إن هذه الظبية التي صفتها كيت وكيت ليست بأشد جزعاً واضطراباً مني حين بانني أنك طلقني .
فليتبصر بمثل هذا القول المتسرعون بإيقاع الطلاق ، وحل عقدة النكاح الموثقة .

فأطرق رأسه خَجَلًا وَاغْضَى
نَجِيمةً أَقْصَرَى عَنِّي فَإِنِّي
وما والله هَجْرَكَ باختيارى
فليس يزول حبك من فؤادى
ولا أسلو هواك وكيف أسلو
سلى عنى الكواكب وهى تسرى
فكم غالبتها بهواك سهداً
خذى من نور رَنْتَجْنٍ شُعاعاً
وَأَلْقِيهِ بِصَدْرِى وانظرينى
وما المكبول أُلْقِىَ فى خِصَمِ
فراح يَغُطُّهُ التَّيَّارُ غُطًّا
بأهلك يابنة الأبحاد نمتى

وقال ودمع عينيه سَكُوب .
كفانى من لَطَى النَّدَمِ اللَّهِيبِ
ولكن هكذا جرت الخطوب
وليس العيش دونك لى يطيب
هوَى كالروح فى له ديب
بجُحِّ الليل تطلع أو تغيب
ونجم القطب مَطْلَع رَقِيب
به العين تَدَكْشِف الغيوب (١)
تَرَى قَلْبى الجريح به ندوب (٢)
به الأمواج تصعد أو تصوب (٣)
إلى أن تمَّ فيه له الرسوب (٤)
إذا أنا لم يعد بك لى نصيب

* * *

ألا قل فى الطلاق لِمُوقِعِهِ
غُلُوتِم فى دياتكم غُلُوءاً
أراد الله تيسيراً وأنتم
وقد حَلَّتْ بَأَمْتِكُمْ كُرُوب
وهى حبلُ الزواج ورقٌ حتى
كخيطٍ من لُعَابِ الشَّمْسِ أَدَلَّتْ
عِزَّةً من الأفواه نَفْثُ

بما فى الشرع ليس له وجوب
يضيق ببعضه الشرحُ الرحيب
من التفسير عندكم ضروب
لكم فيهنَّ لا لهم الذنوب
يكاد إذا نفخت له يذوب
به فى الجوّ هاجرةً حُلُوب (٥)
ويقطعُه من النسم والهبوب

(١) رنتجن : هو مخترع الأشعة المعروفة باسمه . (٢) الندوب : آثار الجروح .

(٣) المكبول : المقيد . الخضم : البحر . تصوب : تنخفض .

(٤) الرسوب : العرق إلى القمر .

(٥) لعاب الشمس : شئ كأنه ينحدر من السماء وقت شدة الحر ؛ تراه مثل تسج العنكبوت .

أدلت : أرسات : الهاجرة : شدة الحر ، والهجرة الحلوب : هى التى تجلب العرق لشدة حرارتها .

فدى ابن القيم الفقهاء كم قد دعاهم للصواب فلم يجيبوا^(١)
 ففي «إعلامه» للناس رشد^(٢) ومزدجر^(٣) لمن هو مستريب^(٤)
 نحا فيما أتاه طريق علم نحاها شيخه الخبر الأريب^(٥)
 وبين حكم دين الله لكن من الغالين لم تعه القلوب^(٦)
 لعل الله يحدث بعد أمراً لنا فيجيب منهم من يجيب

اليتم في العيد(*)

أطل صباح العيد في الشرق يسمع ضجيجاً به الأفراح تمضي وترجع
 صباح به تبدى المسرة شمسها وليس لها إلا التوهم مطلع
 صباح به يختال بالوشى ذو الغنى ويعوز ذا الإعدام طمر مرقع^(٥)
 صباح به يكسو الغنى وليده ثياباً لها يبكي اليتيم المضيع
 صباح به تغدو الحلائل بالحلى وترفض من عين الأرامل أدمع^(٦)
 ألا ليت يوم العيد لا كان إنه يجدد المحزون حزناً فيجزع
 يُرينا سروراً بين حزن وإلما به الحزن جد والسرور تصنع
 فمن يؤساء الناس في يوم عيدهم نحوس بها وجه المسرة أسفع^(٧)

- (١) ابن القيم : هو العلامة المحدث الفقيه المشهور .
 (٢) يشير إلى كتاب « إعلام الموقعين » لابن القيم المذكور ؛ وهو من أفضل الكتب التي ألفها . ومزدجر : مصدر ميمي من ازدجر ؛ بمعنى زجره ومنعه . مستريب : شاك .
 (٣) أراد شيخه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .
 (٤) الغالين : هم المتشددون في الدين حتى تجاوزوا الحد ؛ قال تعالى « لا تغلوا في دينكم » : لم تعه : لم تحفظه ؛ ولم تتدبر معناه .
 (*) من الديوان الأول .
 (٥) الوشى : نوع من الثياب الموشية بالحسنة . أعوزه الشيء : احتاج إليه فلم يقدر عليه .
 الإعدام : الفقر ، الطمر : التوب البالي .
 (٦) الحلائل : النساء ذوات الأزواج . (٧) أسفع : أسود

قد ابيض وجه العيد لكن بؤسهم رى نكنا سوداً به فهو أبقع^(١)

✽ ✽ ✽

خرجت بعد النحر صباحاً فلاح لى مسارح للأضداد فيهن مرتع
خرجت وقرص الشمس قد ذرّ شارفاً

ترى النور سيالا به يتدفع
هى الشمس خوذ قد أطلت مصيخة

على الأرض من أفق العلى تتطلع^(٢)
كان تفاريق الأشعة حولها على الأفق مِرْخاة ذوائب أربع^(٣)
ولما بدت حمراء أيقنت أنها بها خجل مما تراه وتسمع
فرحت وراحت ترسل النور ساطعاً

وسرت وسارت فى العلى تترفع

بحيث يسير الناس كل لوجهة فهذا على رسلٍ وذاك مسرع^(٤)
وبعض له أنف أشم من الغنى وبعض له أنف من الفقر أجدع^(٥)
وفى الحى مزمار لمشجى نعيه غدا الطبل فى درّابه يتقعقع^(٦)
فجئت وجوف الطبل يرغو وحوله شباب وولدان عليه تجمعوا^(٧)
لقد وقفوا والطبل يهترئ صوته فتهتز بالأبدان سوقاً وأكرع^(٨)
ترى ميعة الإطراب والطبل هادر تفيض وفى أصابعهم تميمع^(٩)

(١) نكنا : نقطا سودا . أبقع : مختلف اللون .

(٢) الخود : المرأة الشابة . مصيخة : مستمعة . (٣) الذوائب : الضفائر .

(٤) على رسل : أى على مهل .

(٥) أنف أشم : مرتفع كبرا . أجدع : مقطوع . وهو كناية عن الذل .

(٦) نعيه : صوته . الدرداب : صوت الطبل .

(٧) يرغو : يضح ويصوت .

(٨) سوق : جمع ساق . وأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق .

(٩) ميعة : كل شيء أوله . تميمع : تنميل .

فقد كانت الأفراح تفتح بابها لمن كان حول الطبل والطبل يُقرع

وقفت أُجبل الطرف فيهم فراعني
صبي صبيح الوجه أسمر شاحب
يرين حجاجيه اتساع جبينه
عليه دريس يعصر اليم رُدنه
يليح بوجهه للكتابة فوقه
على كثر قرع الطبل تلقاه واجما
كان هدير الطبل يقرع سمعه
يرد ابتسام الواقفين بحسرة
ويرسل من عينه نظرة مجهش
له رجفة تنتابه وهو واقف
هناك صبي بينهم مترعرع
نحيف المبانى أدعج العين أنزع^(١)
وفي عينه برق الفطانة يلمع^(٢)
فيقطر فقر من حواشيه مدقع^(٣)
غبار به هبت من اليم زعزع^(٤)
كان لم يكن للطبل ثمة مقرر^(٥)
فلم يلف رجعا للجواب فيرجع
تكاد لها أحشاؤه تنقطع
وما هو بالبالي ولا العين تدمع^(٦)
على جانب والجو بالبرد يلسع^(٧)

يرى حوله الكاسين من حيث لم يجد

على البرد من برْد به يتلفع^(٨)
فكان ابتسام القوم كالثلج قارسا
لدى حسرات منه كالجر تلزع

فله شجاني حاله وأفرني وقت وكلّي تجزع وتوجع^(٩)

(١) شاحب : أى متغير اللون . أدعج العين : أسودها معسمة فيها . الأنزع : المنحسر الشعر عن جانبي جبهته .

(٢) حجاجيه حاجبيه ، وأصل الحجاج العظام المحيط بالعين .

(٣) الدريس : الثوب البالي . الردن : أصل الكم . فقر مدقع : شديد كآته ياصق صاحبه بالدقاء ، وهي التراب .

(٤) واجما : ساكنا عاجزا عن التكلم من كثرة الغم أو الخوف . ثمة : هناك .

(٦) المجهش : الهام بالبكاء المتهىء له ؛ وماضيه أجهش .

(٧) تنتابه : تصيبه . (٨) البرد : الثوب المخطط . تلقع بالثوب : تلف به .

(٩) شجاني : حزني .

ورحت أعاطيه الحنان بنظرة
وأفتح طرفي مُشَبَّعًا بتعطُّفٍ
هناك على مهل تقدمت نحوه
أيا بن أخى من أنت ما أسمعك ما الذى
فهبَّ أُمَامى من رقاد وجومه
وأعرض عني بعد نظرة يأسٍ
فَعَقَّبَتْهُ مُسْتَطَلَعًا طَلَعَ أمره
وبيناهُ ماشٍ حيث رُحْتُ خلفه
لحُت على بعد إشارة صاحب
فأومأت أن ذكرته مُوعِدًا لنا
وعدتُ فأبصرت الصبيَّ معرجًا
فلما أتيت الدار بعد دخوله
دنوت إلى باب الدَّوِيرَةِ مطرقًا
سمعت بكاء ذا نشيج مردِّدٍ
فخرت وعيني ترمق الباب خلسة
أأرجع أدراجى ولم أكُ عارفاً

كما راح يرنو العابد المتخشع
فيرتد طرفى وهو بالحزن مُشَبَّعٍ
وقلت بلطف قول من يتضرع
عراكُ فلم تفرح فهل أنت مُوجع؟^(١)
كما هبَّ مرعوبُ الجنان المهجَّع
وراح ولم يَنبِسْ إلى حيث يُهرع^(٢)
على البعد ألقوا الأثر منه وأتبع^(٣)
أدبُ ديب الشيخ طوراً وأسرع^(٤)
يبنادى أن ارجع وهو بالثوب مُلمع
وقلت له اذهب وانتظر فسأرجع
ليدخل داراً بابها متضعع^(٥)
وقت حيال الباب والباب مُرجع^(٦)
وأصغيت لا عن رنية أسمع^(٧)
تكاد له صمُّ الصفا تنصدع^(٨)
وللنفس فى كشف الحقيقة مَطْمَع
جلية هذا الأمر أم كيف أصنع؟^(٩)

فهرت عجوز فى الطريق وخلفها فتاة يغشَّيها إزار وبرقع^(٩)

- (١) عراك : أصابك . (٢) لم ينبس : لم يتكلم .
(٣) ألقوا الأثر منه : أى أتبع أثره .
(٤) الشيخ : هو الذى انتهى شبابه ؛ وقيل هو من بلغ الأربعين ؛ وقيل الخمسين .
(٥) عرج : مال من جانب إلى آخر .
(٦) حيال الباب : قبائله .
(٧) الدويرة : تصغير دار . أطرق : سكت ولم يتكلم .
(٨) النشيج : الغصة بالبكاء من غير انتحاب .
(٩) يغشَّيها : يغطيها .

تعرضتها مستوقفاً وسألتهما
فأدنيهما متى وقلت لها اسمي
فقلت وأنت أنة عن تنهد
أيا بني ما يعنيك من نوح أئتم
فقلت لها إني امرؤ لا يهمني
وإني وإن جارت على موطن
أبوزع متى عمرك الله بالذي
فقلت أعن هذي التي طال نحبها
ألا إنها سلمى تعيسة معشر
وصارعهم بالموت حتى أبادهم
فلم يبق إلا زوجها وشقيقها
ولم يلبث المقدور أن غال زوجها
فرتب ابنها سعداً وقام بأمره
فأذهب عنه الخال دهر غشمشم
جرت هنة منها على خاله انطوى
فرج به في السجن بعد تجرم

عن الاسم ، قالت إني أنا بوزع
حنانيك ما هذا الحنين الموجع
وفى الوجه منها التعجب موضع
لها من رزايا الدهر قلب مفعج^(١)
سوى من له قلب كقلبي مروّع^(٢)
فؤادي على قطائنهن مؤزع^(٣)
سألت فقد كادت حشاي تمزع
سألت فعندي شرح ما تتوقع
من الصيد أقوت دارهم فهي بلقع^(٤)
من الدهر عجاز شديد مصرع^(٥)
خليل وأما الآخرون فودعوا
سعيداً فأودى وهي إذ ذاك مريض^(٦)
أخوها إلى أن كاد يقوى ويضلع^(٧)
بما يوجع الأيتام مغرئ ومولع^(٨)
بقلب رئيس الشرطة الخقد أجمع^(٩)
عليه بجرم ما له فيه م صنع^(١٠)

- (١) الأيم : هي من فقدت زوجها . مفعج : موجع .
(٢) مروّع : أصابه الروع وهو الخوف . (٣) قطائنهم : سكانهم .
(٤) الصيد جمع أصيد ؛ وهو الرجل الذي لا يلتفت من كبره ؛ وأراد بالصيد : أولى النعمة .
بلقع : خالية من السكان .
(٥) العجاز : المصارع ؛ الذي لا يطاق جنبه في الصراع .
(٦) غال : أهلك . أودى : أهلك . (٧) يضلع : يقوى واشتد أضلاعه .
(٨) الغشمشم : هو من يركب رأسه فلا يثنيه عن مراده شيء ؛ وقيل هو الكثير الظلم .
(٩) هنة : أي شيء ما وهي مؤنث الهن ؛ وكلاهما يكون كناية عن كل اسم جنس ؛ ومعناها
شيء . الشرطة : رجال البوليس والضابطة .
(١٠) تجرم عليه : أي أدعى عليه بجرم لم يفعله .

عزاه إلى إيقاعه موقعا به
ولكن غدر الحاقدين رمى به
فحق لسلمى أن تنوح فإنها
فلا غرو من أم اليتيم إذا غدت
وما هو يا ابن القوم للجرم موقع^(١)
إلى السجن فهو اليوم في السجن مودع
من العيش سماء ناعما تتجرع^(٢)
ضحى العيد يبيكيها اليتيم المضيع

* * *

فعدت وقلبي جازع متوجع
ألا ليت يوم العيد لا كان إنه
وجئت إلى معيادنا عند صاحبي
فأطلعهم طلع اليتيم فأفتموا
فقلت دعوا التأفيف فالعار لا صق
ألسنا الألى كانت قديما بلادنا
فما بالناس مستقبل الضيم بالرضا
شربنا حميم الذل ملء بطوننا
فلو أن غير الحى يشرب مثلنا
نهوضا إلى العز الصراح بعزيمة
ولا فاكثبوا صك النهوض إلى العلى
وقلت وعيني ثرة الدمع تهمع^(٣)
يحدد المحزون حزنا فيجزع
وقد ضمه والصحب ناد وجمع
وخبرتهم حال السجن فرجعوا^(٤)
بكم واتركوا الترجيع فالأمر أقطع
بأرجائها نور العدالة يسطع^(٥)
ونعنو لحكم الجائرين ونخضع^(٦)
ولا نحن نشكوه ولا نحن نبيج^(٧)
هوانا لأمسى قالسا يتموع^(٨)
تحرر لمرماها الطعنة وتركع

فإني على موقتي به لموقع^(٩)

(١) موقعا : منزلا به ما يسوءه .
(٢) الترة ، من العيون والسحاب : الغزيرة . تهمع : تدمع .
(٣) الترة ، من العيون والسحاب : الغزيرة . تهمع : تدمع .
(٤) رجعوا : أى قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٥) الأرجاء : الأطراف .
(٦) الهوان . نحنوا : نخضع .
(٧) الحميم : أصل معناه الماء الحار .
(٨) العير : الحمار . قلس : خرج من بطنه طعام أو شراب إلى الفم ، سواء ألقاه أم أعاده إلى بطنه ، فإن غلب فهو القيء والتبوع .
(٩) الصك : هو ما يكتب عليه الاقرار بالمال وغيره . موقع : كاتب التوقيع .

سياسة لا حماسة (*)

الشعر مفتقر منى لمبتكر
دعوت غرّ القوافى وهى شاردة
وسلمتني عن طوع مقادتها
إذا أقمت أقامت وهى من خدمى
عصفت فيهن أقلامى ورحت بها
ملكن من رقة رِقّ النفوس هوى
سقيتهن المعانى فارتوين بها
كم تشرب لها الأسماع مصغية
طابقت لفظى بالمعنى فطابقه
إنى لأنزع المعنى الصحيح على
سل المنازل عنى إذ نزلت بها
وأجود الشعر ما يكسوه قائله
لا يحسن الشعر إلا وهو مبتكر
ومن يكن قال شعراً عن مفاخرة
وإعما هى أنفاس مُصَعَّدة
وهنّ إن شئت منى أدمع غُرر
أبكى على أمة دار الزمان لها
كم خلد الدهر من أيامهم خبراً
ولست أدّكر الماضين مفتخرًا

ولست للشعر فى حالٍ بمفتقر
فأقبلت تتمشى مشى معتذر
فرحت فيهنّ أجرى جرى مقتدر
وأينما سرت سارت تقتفى أثرى
أعرّف الناس سحر السمع والبصر
من حيث أطر بن حتى قاسى الحجر
وكنّ فيها مكان الماء فى الثمر
إذا تنوّشدين بين البدو والحضر
خلّوا من الحشو مملوءاً من العبر
عُرّى فأكسوه لفظاً قدّ من دُرر
بيتاً من الشعر لا بيتاً من الشعر
بوشى ذا العصر لا الخالى من العصر
وأئى حسن لشعر غير مبتكر
فلست والله فى شعريّ بمفتخر
ترى بها حسراتى طائر الشر
أبكى بهن على أيامنا الغرر
قبلاً ودار عليها بعدُ بالغير^(١)
زان الطروس وليس الخبر كالخبر
لكن أقيم بهم ذكرى لمدّكر^(٢)

(*) من الديوان الأول . (١) الغير : الحوادث . (٢) أدكر : أذكر .

وكيف يفتخر الباقون في عمه
لحنى على العرب أمست من جمودهم
أين الجحاح من ينتمون إلى
قوم هم الشمس كانوا والورى قر
راحوا وقد أعقبوا من بعدهم عقباً
أقول والبرق يسرى في مراقدهم
يأيها العرب هبوا من رقادكم
كيف النجاح وأنتم لا اتفاق لكم
مالى أراكم أقل الناس مقدرةً

بدارس من هدى الماضين مندثر^(١)
حتى الجمادات تشكو وهى فى صجر
ذؤابة الشرف الوضاح من مضر^(٢)
ولا كرامة لولا الشمس للقم^(٣)
ناموا عن الأمر تفويضاً إلى القدر
«ياساهر البرق أيقظ راقداً السمر»^(٤)
فقد بدا الصبح وانجابت دجى الخطر^(٥)
والعود ليس له صوت بلا وتر
يا أكثر الناس عداً غير منحصر

إلى الشبان (*)

أدب العلم وعلم الأدب
بهما يبلغ أعلى الرتب
شرف النفس ونفس الشرف
كل رام منهما فى هدف

• • •

أيها السابح فى بحر الفنون
أنت والله على رغم المنون
قرنك الحاضر من أرقى القرون
فإذا شئت بلوغ الأرب
فالمعالى أودعت فى الكتب
غانصاً فى لججها الملتطم
ذو وجود قاتلٍ ليعدم
خضع السيف به للقم
فاغترف من بحره وارشف
كاللآلى أودعت فى الصدف

- (١) العمه : الضلال . الدارس : المتبحر . مندثر : بال دارس .
(٢) الجحاح : السادة . الذؤابة : فى الأصل معانها : الضفيرة فوق اناصية ، وذؤابة الشرف : أعلاه .
(٣) ذلك لأن نور القمر مقتبس من نور الشمس ، فلا كرامة له لولاها .
(٤) المراقدة : جمع مرقد ، وهو مكان النوم . السمر : النجوم يجتمعون المسامرة .
(٥) انجابت : انكشفت .
(*) هذه القصيدة أنشدت يوم افتتاح المنتدى الأدبى الذى أسسه شبان العرب فى الآستانة ،
وقد طلبوا إلى الرصافى أن ينظم لهم قصيدة تشرح فى يوم الافتتاح المذكور ، فنظم لهم هذه القصيدة .
(•)

أنت يا جاهل من قبل الممات^(١) مئت يمرح ما بين البيوت^(١)
 أو ما تعلم في هذه الحياة أن رب العلم حي لا يموت^(١)
 إذ لم تقضى للعلم رب الكائنات بالعلی فهو زمام الملكوت^(١)
 وعلى الجاهل قضى بالعطب فهو في الناس دليل التلف^(١)
 فافتكر إن شئت علم السبب هل يكون النور مثل السدف^(٢)

* * *

يارعى الله زماناً لو يدوم كان للدهر كأيام الصبا^(٣)
 أشرقت فيه من العلم النجوم ظن كل الناس أن لن تغربا^(٣)
 زمن قد ضحكت فيه العلوم ونراها اليوم تبكى العربا^(٣)
 حيث منهم فقدت خير أب واغتدت من يتمها في شظف^(٣)
 يا عهود العلم ما شئت اندبى يا عيون المجد ما شئت اذرفي^(٣)

* * *

هل أتاك الدهر فيما قد أتى بحديث العرب في الأندلس^(٤)
 حيث بالعزم أماطوا العنتا وبنور العلم ليل الهوس^(٤)
 فاسألن الغرب عما ثبنا في ربوع خلفوها دُرُس^(٤)
 هل ترى ثمة من لم يجب عن معاليهم ولم يعترف^(٤)
 آه لو يرجع ماضى الحقب آه لو عاد زمان الشرفي^(٤)

* * *

(١) يمرح : يتبخر ويختال فرحاً ونشاطاً . والحيلة صفة لميت . والفرض من وصفه بها بيان الفرق بينه وبين الميت الحقيقي ، كما يدل عليه قوله من قبل الممات ، أى أنت ميت مجازاً قبل أن تموت حقيقة .
 (٢) السدف : بفتحتين الظلمة ، ويجوز أن يكون بضم ففتح ؛ على أن يكون جمع سدف كظلمة ؛ وزناً ومعنى .

(٣) الشظف : بالتحريك : ضيق العيش وببسه وشدة .

(٤) العنت : مصدر عنت إذا فسدت ، أو وقع في أمر شاق أو لقي الشدة وهالك . والهوس : بفتحتين : طرف من الجنون وخفة العقل .

سَلِّ رُبًّا بِغَدَادِ عَمَّا قَدْ مَضَى لَبْنَى الْعَبَّاسِ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ
وَأَسْأَلَنَّ الشَّامَ عَمَّا قَدْ أَضَا الْمَعَاوِيَيْنِ فِيهَا مِنْ فَخَارِ
كَمْ تَرَى لِلْمِجْدِ سَيْفًا مَمْتَضًى كَمْ تَرَى لِلْعِلْمِ فِيهَا مِنْ مَنَارِ
عَجَبِي يَا قَوْمَ كُلِّ الْعَجَبِ هَذِهِ الْآثَارُ لِمَنْ لَا نَقْتَفِي
أَهْ مِنْ رَقْدَتِنَا وَاحْرَابِي أَهْ مِنْ غَفْلَتِنَا وَاسْفِي^(١)

يَا أَبَاةَ الضِّمِّ مِنْ عَلِيَّا نِزَارِ أَيْنَ مِنْكُمْ ذَهَبَتْ تِلْكَ الطَّبَاعِ
كُنْتُمْ كَالسِّيفِ مَشْحُودَ الْغِرَارِ وَالَّذِي حَلَّ حَاكِمَ لَنْ يِرَاعِ^(٢)
كَمْ إِلَى الْعِلْمِ أَقْتَمَ مِنْ مَنَارِ بِعَقُولِ هِيَ أَسْنَى مِنْ شِعَاعِ
قَطَّقْتُ أَبْوَاعَكُمْ عَنْ كَثَبِ كُلِّ مَجْدٍ شَاهِقٍ الْمُقْتَطَفِ^(٣)
تِلْكَ وَاللَّهِ مَزَايَا الْعُورِ أَوْرَثُوهَا خَلْفًا عَنْ سَائِفِ

أَنْتِ يَا شَمْسُ عَلَى كَرِّ السَّنِينِ قَدْ تَقَلَّبْتَ طُلُوعًا فِي الْوَرَى
حَدَّثْنَا بِحَدِيثِ الْأَوَّلِينَ فَلَقَدْ شَاهَدْتَ تِلْكَ الْأَعْصِرَا
أَفْكَانُوا مِثْلَنَا مُخْتَلِفِينَ لَا يُعْمِشُونَ إِذَا خُطِبَ عَرَا^(٤)
إِنَّا يَا شَمْسُ فِي مُضْطَرَبِ قَدْ أَلْفَنَاهُ فَلَمْ تَأْنَفِ
إِنْ بَقِينَا هَكَذَا فَاحْتَجِبِي عَنْ بَنِي الْغُبَرَاءِ أَوْ فَاكِسْفِي

يَا بَنِي يَعْزُبُ مَا هَذَا الْمَنَامُ أَوْ مَا أَسْفَرَ صَبِيحَ الْقَوْمِ

(١) واحربي : وا : حرف ندبة للتوجع أو التفجع . والحرب بفتحين : الهلاك ، يقال واحربا
وواحربي ترجعا أو تأسفا وكذلك وا أسنى ووأسفا .

(٢) الغرار : بالكسر حد السيف ، ومشحود الغرار : أى ماضى الحد .

(٣) الكشب : بفتحين : القرب ، يقال رماه من كشب ، وعن كشب : أى من قرب وعسكن

(٤) عرا يعرفون : أى عرض وألم . والخطب هنا : الأمر المكروه .

أَيْنَ مَنْ كَانَ بِكُمْ يَرعى الدَّمَامَ وَيَلبى دَعْوَةَ الْمُتَضَمِّ (١)
أَفْلا يَلِدْكُمْ مِنْى الْمَلَامَ فَلَقَدْ أَلْفَظَ جَهْرًا مِنْ فَمِى
خَارِحًا عَنْ نَفْسِى كَالنَّابِ مَحْرَقًا مَهْجُومَةً قَابِى الدَّنِفِ
أَنَا لَوْلَا فِىضُ دَمْعِى أَلَسَكِبِ لَتَحْرَقْتُ بِنَارِ الْأَسْفِ

* * *

يَا شَبَابَ الْقَوْمِ لَوْلَا كُمْ لَمَّا سَاغَ لى الْعَذْبِ وَمَا إِنْ لَدَى
إِنِّى أَبْصِرُ مِنْكُمْ أَنْجَمًا لَامَعَاتِى فِى ظِلَامِ الْأَمَلِ
فَاصْبِرُوا الْيَوْمَ عَلَى حَرِّ الظَّامِ كَى تَنَالُوا الرِّىَ فِى الْمُسْتَقْبَلِ
وَاتَعَبُوا الْيَوْمَ فُعُقْبَى التَّعَبِ رَاحَةً مُشْبَعَةً بِالتَّرَفِ
لَتَقُونَا أَسْوَأَ الْمُنْقَلَبِ إِذْ بَنَاءُ الْقَوْمِ هَارِى الْجُرْفِ

* * *

يَا شَبَابَ الْقَوْمِ هُبُّوا لِلرَّازِ فَبِكُمْ يَبْسِمُ ثَغْرِ الْوُطَنِ
وَارْفَلُوا إِمَّا بَثُوبِ الْإِعْتِرَازِ أَوْ بَثُوبِ هُوِ الثَّوبِ الْكَفَنِ
وَأَعِدُوا الْعِلْمَ لَا السِّيفَ الْجُرَازِ إِنَّهُ عُدَّةُ هَذَا الزَّمَنِ (٢)
بِسِوَاهِ الْعِزِّ لَمْ يُكْتَسَبِ وَهُوَ الْمُتَصِفُ لِلْمُتَصِفِ
إِنَّهُ وَاللَّهِ لَا عَنْ كَذِبِ شَرَفِ النَّفْسِ وَنَفْسِ الشَّرَفِ

الدَّهْرُ (*)

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا أَعْجَمَى أَخَاطِبُهُ فَمَا لى إِلَى فِهِمُ الْحَدِيثُ أَجَازُهُ
أَيِّثْنِى إِلَى وَجْهِهِ اللَّئِيمِ بِوَجْهِهِ وَيَرْتَدُّ مَزُورًا عَنْ الْحَرِّ جَانِبُهُ (٣)

(١) المتضَم : بصيغة المفعول : المظالم .

(٢) الجُرَاز بالضم : صفة للسيف ، ومعناه القاطع .

(*) هذه القصيدة لم تنشر هنا بكاملها بل حذف منها زهاء أحد عشر بيتًا .

(٣) يثنى : يعطف . والباء فى بوجهه زائدة فى المفعول ؛ ومزورًا : منحرفًا .

أراه إذا طارحته الجدة لأعبا
ويضرب أطناب المنى لى هازلّا
وبيناه يُبدى لى ابتسامة خادع
لقد أضحكت غير الحليم شُؤنه
وما أنا ممن يا أميم يلاعبه^(١)
وما أنا مخدوع بما هو ضاربه
يقطب حتى لا تبين حواجبه^(٢)
وأبكت سوى عين السفية نوابه
شكاية دهر حاربتكم مصائبه
وأقلامكم وهو الأصم تعاتبه^(٣)

• • •

هو الدهر لم يسلم من الغى أهله
إذا آنسوا نور الحقيقة رابهم
تضاربت الأهواء فيهم فناكب
طبائهم شتى على أن بينهم
كما الليل لم يأمن من الشر حاطبه^(٤)
فتجتو على الأبصار منهم غياهبه^(٥)
عن الشر يقصيه وآخر جالبه
كريمًا تواليه ووعدًا تجانبه
فقد خولفت بالموجبات سوالبه^(٦)
دوافعه فعالة وجواذبه
لما دار في هذا الفضاء كواكبه

• • •

- (١) يقال طارحه الكلام والشعر وغير ذلك : إذا ناظره وجاوبه .
(٢) بيناه : الألف كافة لبين أو هي مختصرة من مالسكافة : والأصل بينا : فحذفت الميم من ما .
وكذلك القول في الضمير المتصل بها أنه مختصر من هو : والأصل بينا هو : فالضمير ضمير رفع .
وقوله يقطب : أى يزوى ما بين عينيه .
(٣) أى هو يحمل عليكم بالسيوف قهراً بالقتل والجرح ، وأقم نقابلونه بالأقلام عتاباً ، وهو مع ذلك أصم غير سامع للعتاب . والبيت تمثيل لحالة الأدباء مع الدهر .
(٤) حاطب ليل : مثل عندهم في التخليط ، ومنه قولهم : المكثرات حاطب ليل : أى يجمع بين الجيد والردى : أو أن الحاطب في الليل لا يأمن الشر إذ ربما جمع الأفاعى في الحطب الذى احتطبه وهو لا يدري . ففي البيت تشبيه الدهر بالليل ، وأهليه بالحاطب فيه ، فهم لا يسهون من الوقوع في الباطل كما أن حاطب الليل لا يأمن من الوقوع في الضر ، وكما في البيت : مثلها في قول الشاعر :
كما سيف محروم نخته مضاربه
(٥) آنسوا : أبصروا . رابهم : أوقعهم في الراب . وضمير الفاعل في رابهم يعود إلى الدهر .
(٦) يريد بهذا البيت وما بعده : أنه لا يحب في اختلاف طبائع الناس ، وكونهم شتى بين كريم ولئيم ، إذ هذا التخاليف جار في جميع ما في الكون فالبرق ومنه موجب ومنه سالب ، ولولا اختلاف القوتين الجاذبة والدافعة لما تم نظام هذا العالم ، ولا دارت في هذا الفضاء كواكبه .

سبوتُ زمانى بالنهى ونَحَضَه
لم أستشرْ فى الناس إلا تجارِى
فلا ترتكب قرب اللئام فإنهم
وما عجبى فى الدهر إلا لواحد
وذلك أن العيش فيه مطيب
ولو كان فى أعماله الدهر عاقلاً
ولو لم يكن فى كل ما فيه خادعا

بتجربتي حتى تجلت عواقبه
وهل يصدق الإنسان إلا تجاربه
لكالبجر محمول على الهول راكبه
وإن كثرت فى كل يوم عجائبه
لمن خبثت بالخزيات مكاسبه
لما كان مثلى فى الورى من يحاسبه
أ أم فيه صادق الفجر كاذبه (١)

ألارب شيطان من الإنس قدغدا
فقلت له أخساً إنما أنت خائب
فولى على الأعقاب يحبو وقد درى
فأتبعه منى شهاب تسامح
ولو شئت أرسلت الخديعة خلفه
ولكن أبى منى الخداع مهذب

يخاتلنى خلسا وعينى تراقبه (٢)
وقبلك أعياء الجن ما أنت طالبه (٣)
ولله درى إني أنا غالبه (٤)
يشق ظلام الجهل بالحلم ثاقبه (٥)
تطارده حتى تضيق مذاهبه
تعود فعل الخير مذ طرَّ شاربه

وذى سَفَهٍ أغضيت عنه تكرُّما
فصمت له بالنعل ضربا فلم تزل

فدبت على رجلى غدراً عقاربهُ
يدأى به حتى اطمأنت غواربه (٦)

(١) أم فلان القوم : إذا تقدمهم . وصادق الفجر : مفعول مقدم . وكاذبه : فاعل مؤخر .
والمنى أن كل ما فى الدهر خادع ، فلذلك ترى الفجر الصادق يتقدمه الفجر الكاذب .
(٢) يخاتلنى : أى يخدعنى عن غفلة . والخلس : مصدر خلس الشيء إذا أخذ . فى الخاتلة ، وهو
فى البيت مفعول لأجله ، أو هو مفعول مطلق ، لأنه بمعنى الخاتلة .
(٣) أخساً : أى أبعد وانزجر ، وهى كلمة زجر وطرده للكلب .
(٤) المنى المراد من قوله « فولى على الأعقاب يحبو » : أنه ذهب كالكلب يمشى على أربع ،
(٥) أتبعه : بمعنى تبعه أى لحقه . وشهاب تسامح : أى شهاب صفيح وعفو عنه .
(٦) فلم تزل يدأى به حتى اطمأنت : أى لم تزل يدأى تمارسه أو موقعة به . تقول العرب :
مازلت وزيداً حتى فعل : أى مازلت أحاوله .

وجنبته السيف الجراز لأنه تعالت عن الكلب العقور مضاربه
لقد عابني جبلاً ولم يدر أنه أقل فداءً للذي هو عابيه
له نسبة مجهولة غير أنه مغامزه معلومة ومعايبه^(١)

إلى أبناء الوطن

أنشدها في حفلة أقيمت له بعد رجوعه إلى بغداد سنة ١٩٢٣

سرٌّ في حياتك سيرَ نابه^(٢) ولم الزمان ولا تحابه^(٣)
وإذا حلت بموطنٍ فاجعل محلك في هضابه^(٤)
واختر لنفسك منزلاً تهفو النجوم على قبابه^(٥)
ورمّ العلاء مخاطراً فيما تحاول من لبابه^(٦)
والجد ليس يناله إلا المخاطر في طابه^(٧)
وإذا يخاطبك الله — فسمِّ سمعك عن خطابه^(٨)
وإذا انبرى لك شاماً فارباً بنفسك عن جوابه^(٩)
فألروض ليس يضـيره ما قد يُظنطن من ذبابه^(١٠)
ولربّ ذئب قد أتاك من ابن آدم في إهابه^(١١)
ما امتاز قط عن ابن آوى شخصه بسوى ثيابه^(١٢)
وإذا ظفرت بذي الوفا ء فخط رحلك في رحابه^(١٣)
فأخوك من إن غاب عنه لك رعى ودادك في غيابه^(١٤)
وإذا أصابك ما يسو ء رأى مُصابك من مُصابه^(١٥)

(١) المغامر : جمع مغامر . وهو المظن ، فبى كالمغايب معنى .

(٢) النابه : المشهور ، ضد الخامل .

(٣) هضابه : جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على الأرض . والمراد : المنازل المرتفعة .

(٤) تهفو : تسرع . يقال هفت نفسه إلى الشيء : إذا أسرع إليه .

(٥) انبرى له : عارض وصنع مثل صنعه . ارباً بنفسك : ارفع نفسك .

(٦) يضيره : يؤذيه . يظنطن : يصوت ويحدث طنيناً .

(٧) أصل الإهاب : الجلد قبل أن يدبغ . والمراد : الجلد مطلقاً .

(٨) خط رحلك في رحابه : أى انزل عنده فى أرضه . والمراد تمسك بأخائه ولا تتحول عنه .

وتره يَجْعُجُ إنْ شَكَوْ تْ كَأَن مَّا بَكَ بَعْضُ مَا بِهِ (١)

يا قوم قد هَرَمَ الزَّما ن من التَّمَادَى في انْقِلَابِهِ
فلَذاكَ عِنْدَ الهَاجِرَا ت يَسِيلُ شَيْءٌ مِنْ لَعَابِهِ
مَا زَالَ مِنْ خَرَفٍ بِهِ لِلنَّاسِ يَهْذِرُ فِي كِذَابِهِ (٢)
يَأْتِي بِكُلِّ عَجِيبَةٍ تَدْعُو اللَّيِّيبَ إِلَى ارْتِيَابِهِ
وَالنَّاسُ فِي عَطَشٍ تَسِي——ر إِلَى ارْتَوَاءٍ مِنْ سَرَابِهِ
فَمَتَى يَجُودُ لَنَا الزَّما ن وَلَوْ بِمَذْقٍ مِنْ وَطَائِهِ (٣)
وَالِى مَتَى هُوَ سَائِرُ وَجْهِ الْحَقِيقَةِ فِي ضَبَابِهِ (٤)
يَتَلَوُّ بِصَرْفِ الْحَادِثَا ت لَنَا فُصُولًا مِنْ كِتَابِهِ
كَمْ يَدَّعَى وَطَنِيَّةً مِنْ لَمْ تَكُنْ مَرَّتْ بِيَابِهِ
فَتَرَاهُ يَنْفُخُ لَأَغْيَا فِيهَا وَيَنْفُخُ فِي جِرَابِهِ
لِيَكُونَ مَكْتَسِبًا بِهَا مَالًا تَهَالِكُ فِي اكْتِسَابِهِ
فَكَأَنَّمَا هُوَ صَائِدٌ وَكَأَنَّمَا هِيَ مِنْ كَلَابِهِ
وَتَرَاهُ يَرْمِي الْمُخْلِصَ بَيْنَ كُلِّ سَهْمٍ مِنْ جِعَابِهِ
وَيُعِيبُ قُومًا بِالْخِيَا نَةِ وَالْخِيَانَةِ بَعْضُ عَابِهِ (٥)

لَا بَدَّ لِلْوَطَنِ الْعَزِيزِ مِنْ الْمَسْكَنِ لِاضْطِرَابِهِ
مَنْ مَجْلِسٍ لِلشَّعْبِ يَنْظُرُ بِالتَّأَمُّلِ فِي مَا بِهِ
وَيَنْتَوِبُ عَنْ أَبْنَائِهِ إِنْ صَادَقُوهُ عَلَى مَنَابِهِ

- (١) يقال : وجع في الماضي ، ويوجع ويجمع ويجمع في المضارع . يريد أنه يتوجع لما ينوبك .
(٢) الخرف : الهذيان والهلوس مثل كلام المغموم والمجنون ، والمراد أنه يخلط فيما يأتي به من الحوادث ولا يستقيم له قصد .
(٣) المذقة : اللبن المزوج بالماء ، يريد غير الخالص . والوطاب جمع وطب ، وهو سقاء يوضع فيه اللبن .
(٤) يريد أن وجه الحقيقة ليس ظاهراً ، وإنما يخفيه الضباب ، يعني ما يأتي به الدهر من الخير والشر ليس واضحاً .
(٥) عابه : عيبه .

حتى نرى أمر البلاد به يعود إلى نصابه
أبته حكومتنا له والشعب ليس له بآبه
أترى الحكومة تتبعه ونحن نعرض عن طلابه
هذا لعمر أليك ما يدعو الحليم إلى انتخابه
هلا يقوم القاعدون مسارعين إلى انتخابه
كى ينقذ الوطن الذى صرف الزمان له بنابه
وغدا يهدد بالبوار بفيه بور فى ترابه
إن لم تكونوا مدركيه فلا محالة من خرابه

* * *

آب المسافر للديار على اضطرار فى إياه
لو كان يجنح للإيا ب لما تعجل فى ذهابه
قد كان يرح فى التغر ب بالحفاوة من صحابه
لا تعجبن لخاملي لبس البهامة فى اغترابه
فالسيف أحسن مايكو ن إذا تجرد من قرابه
أما العراق فإن لى كل الرجاء بأسد غابه
ينجسب يأسى بالرجا ء إذا نظرت إلى شبابه
من كل ما هو فى ظلا م الليل أضوا من شبابه
لمع الذكاء بوجهه كالبرق يلمع فى سحابه
يا من زكت أحسابهم فأتوا بأخلاق نوابه^(١)
ووجوههم بالنسيرا ت من النجوم لها مشابه
إنى لأشكر فضلكم شكر المئاب على ثوابه
كالروض يشكر وابلًا حيًا الأزاهر بانسكابه

(١) زكت أحسابهم : برأت أصولهم من الدنس . نوابه : جمع نابه ؛ أى شريف عال

في المعتمد العلي

أعمرك إنَّ الحرَّ لا يتقيَّدُ إلا فليقل ما شاء فيَّ المُنقَدُ^(١)
 إذا أنا قصَّدتُ القصيدَ فليس لي به غير تبيان الحقيقة مَقْصِدُ
 نشدت بشعري مَطْلِباً عَزَّ نِيَاهُ وإن هان عند الشعر ما كنت أنشُدُ
 فلنَجْمَ بعدُ دون ما أنا ناشد وللدَّرِّ قدرٌ دون ما أنا مُنْشِدُ
 وكم جَنَّبَتْنِي عِزَّةُ النفسِ مَنَهلاً يطيب به لكن من الذلِّ موردُ
 وما أنا إلا شاعر ذو لبانة أنوح بها حيناً وحيناً أغرَدُ
 ولي بين شذقي الهريتين صارمٌ يُسَلُّ على الأيام طورا ويُعْمَدُ^(٢)
 ولا عجبٌ إن عابني الشاعر الذي يقول سخيْفَ الشعر وهو مَقْلَدُ
 فإنَّ ابن بُردٍ وهو أكبر شاعر تنقَّصه في الشعر حمَّادٌ عَجْرَدُ^(٣)
 تعودت تصرِّحي بكلِّ حقيقة والمرء من دنياه ما يعود
 إذ رمت نصائحجت بالنصح وراضحاً وما كان من شأني الكلام المَعْقَدُ
 وقد أبصر الداء الدفين الذي بنا كما أبصر الأمواه في الترب هُدُودُ^(٤)
 يقولون لي سننمض إلى العلم قومنا بشعر معانيه تَقِيمُ وتَقْعِدُ
 أما علموا أنَّ الحياة بعصرنا مدارس في كلِّ البلاد تُشِيدُ
 وما ينفع القول الذي أنت قائل إذا لم يكن بالفعل منك يُؤَيِّدُ
 فيا قومنا إن العلوم تجددت فإن كنتم تهوونها فتجددوا

(١) المُنقَدُ : اللأم العائب .

(٢) الشدق الهريت : الواسع ، وأصله من صفات الأسد ، وصارم : لسان حاد مثل السيف .
 يغمد : أي يوضع في غمده وهو قرابه .

(٣) ابن برد : هو الشاعر بشار بن برد ، شاعر فارسي ، وحماد عجرد شاعر أيضاً في عصر
 بشار كان مولعاً بهجائه ، وكلاهما عاش في صدر الدولة العباسية .

(٤) يعني الشاعر أنه لطول تجربته وممارسته شئون الحياة يستطيع أن يميز الصحيح من الفاسد
 مالا يستطيعه غيره ، وشبه نفسه بالهدهد الذي يرى الماء الغائر في الأرض بعد نظره .

وخلّوا جمود العقل في أمر دينكم
وإن شئتم في العيش عزًّا فأقدموا
وأمضوا سديد الرأي دون تردد
ولا تقبلوا قيدًا بقول مجرّد
وأطال علم لا تزال شواخصا
أراها فأبكي وهي رهن يد البلي
وما أنا سأل عهدا حين لم تسأل
فإن تكبروا تسديد دمي لأجلها
ومعهم — علم أسسته عصاية
شباب مشوا للمكرّمات بعزيمة
سأستودع الأيام كل قصيدة
أقول لهم قولاً به أستزيدهم
أما وخلال فيكم عريسة
يسرّ العلي أن ينهض القوم للعلي

فإن جمود العقل للدين مفسد
فكم نيل بالأقدام عزّ وسودد
فما يبلغ الغايات من يتردد
فما قيّد الأحرار قول مجرّد
تذكر بالعهد القديم وتشهد
بدمع كما أرفض الجنان المنضد
دموعي ولكني امرؤ متجلّد
فإن دمي من أجلها سيبدد
من القوم تسعى للنجاح وتجهّد
تقاعس عنها الكوكب المتوقّد
يطيب لهم فيها الثناء الخلد
وأشكرهم شكرا جزيلا وأحمد
وذا قسم لو تعلمون مؤكّد
وأن يجمع الشبان للعلم معهد

في ممتدى التهنيد

أنشدتها في حفلة افتتاح منتدى التهنيد في بغداد
 تريدني الأيام أن أتقيَّدا وأطلب فيها أن أكون الجددا
 وتعتقد بي دون المدى في خطوبها وغاية هم النفس أن أبلغ المدى
 كفي لصريح العقل قيِّداً لمطلق من الناس ينبغي أن يكون مقيدا
 لعمر الهدى إن النهي ليس من صَوِي

سواها لمن ضلُّوا الطريق إلى الهدى^(١)
 فما بال هذا العقل أمسى معطلاً لدينا كأن الله أوجده سدى^(٢)
 أيخلفنا بكرَّ الجديدين ضلة ولم نتقمص فيهما ما تجددا^(٣)
 فيما منجدي فيما أريد من العلي ولولا العلي لم أطلب الدهر منجدا
 أعني على ما لو تحقق كونه لما كان لي بل للأناسي مسعدا
 تجهز من الحسنى بما أنت قادر عليه ولا تقبل سوى العقل مرشدا
 وأحسن إلى من قد أساء تكرُّما وإن زاد بالإحسان منك تمردا
 وجب الذي عاداك إن رمت قتله فإني رأيت الحب أقتل للعدا
 فليس مضرًا في العلي بالذي أرى على كل حال أن تحب من اعتدى
 إذا دُفع الشر القبيح بمثله تحصل شرٌّ ثالث وتولدا
 وأمست دواعي الشر ذات تسلسل مديد وصار الشر في الناس سرمدا
 فما الرأي عندي إن تمخضتِ الوغى

سوى أن يظلل أنسي في الغمد مغمدًا

(١) النهي العقل وأصله جمع نهية ، وهي ما ينهى المرء عن القبيح . والصوى : جمع صوة ، وهي العلامة تنصب في الطريق ليمتدى بها السائرون في الصحارى ونحوها . يريد أن العقل من معدن الهداية .

(٢) سدى ضياعا ، بلا فائدة .

(٣) يخلقنا يبلينا . ويقال ، فلان يفعل كذا ضلة ، إذا لم يوفق للرشاد ، وكأنه منصوب على الحال ، أي ضالا . وتقمص الشيء : كالتقميص .

وَأَنْ تَجْمَعَ الدُّنْيَا عَلَى رَدِّ طَامِعٍ
فَإِنْ كَانَ هَذَا فِي الْعُصُورِ الَّتِي خَلَتْ
فَإِنْ جَمِيعُ الْأَرْضِ أُمْسَتْ كَبَلْدَةً
وَلِي خَلْقٌ يَأْتِي عَلَى انْطِبَاحِهِ
وَأُضْرِبَ عَنْ جَهْلِ الْجَهُولِ وَلَمْ أَكُنْ

لَا أُضْرِبَ فِي الْأَيَّامِ لِلْغَدْرِ مَوْعِدًا
إِذَا أُيْقِظْتَنِي لِلْعَدَاءِ اعْتِدَاءً
وَتَكْرَهُ نَفْسِي كُلَّ عَبْدٍ مُذَلٍّ
إِذَا مَا اتَّقَتْ نَفْسٌ رَدَاها بِذَلَّةٍ
وَلَوْ طَلَبَتْ نَفْسِي الْغَنَى بِامْتِنَانِهَا
وَلَكِنِّي آلَيْتُ إِلَّا أَذِيقَهَا
سَجِيَّةَ نَفْسٍ لَمْ أَحُلْ عَنْ عَهْدِهَا
وَمَا ضَرَّنِي إِذْ عَضَّنِي مُتَشَادِقٌ
وَلِي وَطَنٌ أَفْنَيْتُ عَمْرِي بِحُبِّهِ
وَلَمْ أَرَ لِي شَيْئًا عَلَيْهِ وَإِنَّمَا
تَعَلَّقْتَهُ مِنْذُ الصَّبَا مَغْرَمًا كَمَا
وَسَيَّرْتُ فِيهِ الشَّعْرَ فَرَا فَطَالَمَا
وَكَمْ رَامَ إِسْكَاتِي أَنْاسٌ أَبِي لَهُمْ
وَمَنْ عَجَبَ أَنْ يَعْشَقَ الرُّوضَ بَلْبِلٌ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا اثْنَانِ فِي الشَّرْقِ كُلِّهِ

(١) المتشادق : يريد به المتشوق ، وهو المتفاحص الذي يملأ شوقيه بالكلام ، وقيل هو المستهزئ بالناس ، يلوى شوقيه بهم وعليهم . وتشادق في كلامه : فتحفه واتسع . شجا الرجل فاه فتحه ، وشجا فوه انفتح ، منعد لازم . والباء زائدة أو على تضميند معنى نطق بهم . والأرد ، صفة من الدرد ، وهو سقوط مقدم الأسنان .

ولم أرَ مثل الفضل في الشرق مخفقا ولا مثل جدّ المرء للمرء مُسعدا
تأمل قليلا في بنيه مفكرا لتشهد منهم للعجائب مشهدا
فتبصر أيقاظا يطيعون هُجدا وتبصر أحرارا يخافون أعبدا
وكم فارة في الشرق تحسب هرةً وكم عتق في الشرق سُمى هُهدا
ألا ربَّ شاكٍ قال لي وهو آسف أما آن للتهذيب أن يتبغدا^(١)
فقلت له أبشر بخير فإنه ببغداد للتهذيب أسس مُنتدى

في زحله

قالها سنة ١٩٢٣ أنشدها في حفلة أقيمت له ولاريحاني في زحلة
حببت العلي منذ الصبا حبّ شاعر وقت إليها ساعيا سعي قادر
أقدر فيها أن أصبح للأُم وقد ملكت مني جميع المشاعر^(٢)
تقول ابنة الأَقوام وهي تلومني وأدمعها رقراقة في الحاجر^(٣)
إلى كم تجدّ البين عني مسافرا أما تستلذّ العيش غير مسافر^(٤)
وأسكتها عني نسيج فلم تزل تردده منها بأقصى الحاجر
إلى أن تفاني الصبر فافتقر مدمعي كدمعها عن لؤلؤ متناثر
ولا غرو أن أبكي أسي من بكائها فأعظم ما يشجي بكاء الحرائر
وقلت لها إني امرؤٌ لي لبانة منوطٌ مداها بالنجوم الزواهر
تعوّدت أن لا أستنيم إلى المنى وألا أرى إلا بهيئة ثائر
وأن أمضيَ الهم الذي هو مُقلقي بطيّ القياقي أو بخوض الدياجر^(٥)

(١) تبغدا : أي يصير ويتحول إلى بغداد .

(٢) أصاخ له : استمع وأنصت .

(٣) رقراقة : جائلة متحركة . والمعاجر : جمع بحجر ، وهو مدار بالعين من العظم .

(٤) تجدّ البين تجدد سفرا بعد سفر .

(٥) أمضي هم : نفذ ما عزم عليه وهم به . وطى الفيافي : قطع الصعاري . والفيافي : جمع فيفاة ، والدياجر : جمع ديجور ، وهو الظلمة ، وأصله الدياجر .

أما تَرَيْنَ الوجّه منى شاحبا
ولست أبالي أننى عادم الغنى
ذرينى أزرّ فى هَضْب لبنان أربعا
بحيث أرى تلك الليوث خوادرا
ليوث إذا ما عَبَّست فى مُلَمَّةٍ
وألقت جيوش الفاخرين سلاحها
فأكرم بلبنان مَقَرًّا لنابه
ألا إنما لبنان فى الأرض عاهل
وزَحَلَةٌ فى لبنان تاج لرأسه
وما هى إلا روضة أنبتت له
أزحمة إني تارك فيك مُهِجَتِي
فَتَشْكُرُكَ الشكر الذى أنت أهله
وفاء اسرى ما عوّد الغدر نفسه
ومن عجب أن الشويعر لأمنى
ومن كان مثلى شاعرا لا تسوّه
على أننى من عاذريه وإن يكن
وكم فى ربّ لبنان من ذى فصاحة
ومن أهل آداب كشارقة الضحى

لكثرة ما عرّضته للهواجر^(١)
إذا كان جدّى فى العلى غير عاثر
تعالّت بحيث العز مُرَخًى الضفائر
تسارق الحاظا عيون الجآذر
تبسمت الدنيا تبسم ناصر
إذا خفقت راياتها بالمفاخر
ومأوى لمنكود ومهدى الحائر
تبوّأ عرشا من جليل المآثر
قد ازدان من أبنائها بالجواهر
أزاهير من تلك الحسان الغرائر^(٢)
تعاطيك من بعدى محبة شاكر
طوال الليالى خالدا فى الدفاتر
ولا رُدَّ إلا مُخْلِصا فى الضمائر
بيروت لوم الشاتم المتجاسر
مقاذعة جاءته من متشاعر^(٣)
لى الحق فى عذرى له غير عاذر
مُجيد بيوم الحفل قَرَعَ المنابر
ومن أهل علم كالبحار الزواخر

(١) الشحوب : الصفرة والتغير . والهواجر : جمع هاجرة ، وهى شدة الحر وسط النهار .
(٢) الغرائر : جمع غريرة ، وهى التى لم تجرب شئون الحياة لنعمتها وحدائتها .
(٣) مقاذعة : مهاجاة ومسابة .

الفنون الجميلة



نأنيك ربته بشعر صامت . . .

إن رُمتَ عيشاً ناعماً ورقيقاً فاسلكِ إليه من الفنون طريقاً
واجعلِ حيانك غُصةً بالشعر والتَّـمِثِلَ والتصوير والموسيقى
تلك الفنون المشتبهة هي التي غصنُ الحياة بها يكون ورقياً
وهي التي تجلو النفوس فتتملى منها الوجوه تلالُوا وبريقاً
وهي التي بمذاقها ومشاقها يمسى الغليظ من الطباع رقيقاً

تمضى الحياة طرية في ظلها والعيش أخضر والزمان أنيقا
 إن النى جعل الحياة رواعدا جعل الفنون من الحياة برؤقا
 وأدرّها غيث اللذافة منبتا زهر المسرة سوسنا وشقيقا
 وأقام منها للنفوس حوافزا تدع الأسير من القلوب طليقا
 فتحلّ عقسدة من تراه معقدا وتلك ربة من تراه ربيقا
 تلك الفنون فطر إلى سعة بها إن كنت تشكو في الحياة الضيقا
 وإذا أردت من الزمان مضاحكا فتحسّ منها قرقفا ورحيقا
 ما فاز قط بوصلها من عاشق إلا وكان لصارفيه عشيقا
 فهي ابتسامات الدنى وبغيرها ما كان وجه الحادثات طليقا

رطب حياتك بالغناء إذا عرا همّ يحقّف في الخلق الريقا
 إن الغناء لمحدث لك نشوة في النفس تطفئ في حشاك حريقا
 واترك مجادلة الذين توهّموا هزج الغناء خلاعةً وفسوقا
 أفانت أغلظ مبهجةً من نوقهم فقد استحثوا بالخداء الذوقا
 أرق الشعوب تمدنا وحضارةً من كان منهم في الفنون عريقا
 وأحطهم من إن سمعت غناءهم فن الضفادع قد سمعت نقيقا
 فالغن مقياس الحضارة عند من حازوا الرقى ، وناطحوا العيوقا

الشعر فن لا تزال ضروبه تتلو الشعور بألسن الموسيقى
 ويمجد تقطير العواطف للورى فتحاله لقـلـوبهم أنيقا

ومسارح التمثيل أصغر فضلها جعل الكليل من الشعور ذليقا^(١)
 وإذا رأى فيها الوقائع غافل من نوم غفلته يكون مفيقا

(١) الكليل من السلاح : النى لا يقطع . والذليق : الماضى الحاد .

تمنى الحميد من الخصال وتنتقى ما كان منها بالفخار خليقا
وتجىء من عبر الزمان بمشهد يُلقى خشوعا في النفوس عميقا
ويكون منظره الرهيب ممهداً لمشاهدته إلى الصلاح طريقا

أما المصوّر فهو فنّان يرى ما كان من صور الحياة دقيقا
تأتيك ريشته بشعر صامت ولقد يفوق الشاعر المنطيقا^(١)
وبدائع التصوير من حسناتها أن يستفيد بها الشعور سموقا^(٢)
فهى الجديرة أن تكون ثمينة وتكون أنفق من سواها سوقا^(٣)
إن الحياة على الكدورة لم تجد مثل الفنون لنفسها رأووقا^(٤)

الحياة الاجتماعية والتعاون

أُنشئت في حفلة تأسيس جمعية حماية الأطفال في بغداد سنة ١٩٢٨

يعيش الناس في حال اجتماع وتكثر للتعاون والتفادى ولو ساروا على طرق انفراد
رأيت الناس كالبنيان يسمو فيمسك بعضه بعضا فيقوى
كذلك الناس من عجم وعرب قد اشتبكت مصالحهم فكلُّ
ولولا سعى بعضهم لبعض فتحدث بينهم طرق انتفاع
على الأيام بينهم الدواعى لما كانوا سوى همج رعا^(٥)
بأحجار تُسَمِّعُ بالسَّياع^(٦) ويمنع جانيبه من التداعى
جميعا بين مرعى وراع لـسكلٍ في مجال العيش ساع
لعاشوا عيش عادية السباع^(٧)

(١) المنطوق : الفصيح .

(٢) أنفق : أروج .

(٣) الهمج والرعاع : السفلة من الناس . وأصل الهمج : صغار البعوض .

(٤) تسيم بالسَّياع : أى تطلّى بما يطلّى به البناء بعد بنائه ، ليكمل شكله ومنظره .

(٥) عادية : أى مقترسة .

إذا رب الحسام ثناه عجزاً تدارك عجزه رب اليراع
وإن قلم الأديب عراه زيغ تلاقى زيغه سيف الشجاع
وإن صقرت يدٌ من ريع زرع أعيد ثراؤها بيد صنّاع^(١)
بذاك قضى اجتماع الناس لما
يساند بعضهم في العيش بعضاً
فتعلو في ديارهم المباني
وتستعلي الحياة بهم فتسمى
وما مدنيّة الأقوام إلا
ولم يصلح فساد الناس إلا
تشاد به الملاجيء لليتأوى
وتبنى للعلوم به مبان
وإلا فالشقاء لهم حليف
ومّا سرّنى أنى أناجى
سعوا لحماية الأطفال منّا
فقاموا بالذى يعلى ويسلى
وما هذى الحياة سوى صراع
وما سادت شعوب الخلق إلا
إذا لم يُعنَ بالأطفال قوم
ولا تزكو المناشىء فى أناس
وما هاج العواطف فى فؤاد
فشكراً للكرام وكل شكر

تدارك عجزه رب اليراع
تلاقى زيغه سيف الشجاع
أعيد ثراؤها بيد صنّاع^(١)
أن اعتصموا بحبل الاجتماع
مساندة ارتفاق وانتفاع
وتخصب فى بلادهم المراعى
من العيش الرغيد على يفاع^(٢)
تعاونهم على غرّ المساعى
بمال من مكاسبهم مشاع
وتمتار المطاعم للجبايع
تفيض العلم مؤتلق الشعاع
وما حمل الشقاء بمستطاع
رجالاً فى الفخار ذوى ابتداع
بما أوتوه من كرم الطبايع
يصونون الضعاف من الضياع
يتم بفوز مفتول الذراع
بتهيئة البنين لذا الصراع
فمضبة مجدهم رهن انصداع^(٣)
يرون الطفل من سقط المتاع^(٤)
كحال الطفل فى زمن الرضاع
لمن عضدوا الكرام بدّ ياع^(٥)

(١) صقرت : أى صارت صفراً خالية . وريع الزرع : يريد ثمرته وفائدته التى تجنى منه .

واليد الصنّاع : الماهرة ، وهى ضد اليد الخرقاء ، وهى التى لا تحسن عملاً .

(٢) اليفاع : المرتفع . (٣) انصداع : تشقق وتكسر .

(٤) سقط المتاع : أردأ وأرخس ما فى البيت من متاع وأدوات كالمسكنة والكور ونحوها .

(٥) عضده يعضده ، يضم الضاد فى المضارع ، قوى عضده وشدازره يريد عاونوا بعد أيديهم بالمال .

في سبيل الوطنية

كتب إليه صديقه نغرى البارودى وهو إذ ذاك بيروت ،
يخبره بأنه ألف في دمشق شركة للمتسوجات الوطنية ، ويطلب
إليه أن يكتب فيها قصيدة يدعو بها القوم إلى مؤازرتها
والانضمام إليها ، فكتب القصيدة الآتية وأنفذها إليه في دمشق

من كان في الجند المؤئل راغبا	فليطلبه بهمة البارودى
نغرى الذى ابتكر المفاخر واغتدى	منهن مفخراً بكل جديد
وأبى سوى غر المساعى إذ سعى	متشبثاً منها بكل مفيد ^(١)
وبنى له بدمشق محداً طارفاً	من بعد مجد في دمشق تليد ^(٢)
إن كان محمود الفحال فإنه	ورث المكارم عن أب محمود
نفع البلاد بمساعىه وسعيه	وبحسن رأى في الأمور سديد
ورأى الشتات بها مقام موحداً	فيها المساعى أيما توحيد
ودعا الرجال بها فآلف شركة	ترعى إلى غرض أغر حميد ^(٣)
تغنى البلاد بسعيها عن غيرها	وتعيد عهد ثرائها المفقود
وتقوم بالعمل المفيد لأهلها	من نسج أردية لهم وبرود
حتى تكون عن الأجانب فى غنى	وتعيش غير أسيرة التقليد
أو ما ترى أهل البلاد تقيّدوا	للغرب من حاجاتهم بقيود
الغرب يكسوهم ملابس هم بها	يعرّون من مال لهم ونقود
وتراه يسلّخهم بمصنوعاته	سلخ الشياه فهم بغير جلود
هذى سفائنهم تروح وتغتدى	ببضائع لم تحصّ بالتعديد
فكأنما هى لامتنصاص دمائنا	بعض المحاجم أو كبعض الدود ^(٤)

(١) غر المساعى : جمع أغر ، وهو الذى فى وجهه بياض .

(٢) الطارف والطارف : المكتسب الحديث . والثائد والتليد : الموروث القديم .

(٣) الشتات : التفرق .

(٤) المحاجم : جمع محجم ، وهو كأس صغير يسحب به الدم من الانسان . والدود : هو العلق الأسود ، يستعمل كالحجيم لامتصاص بعض الدم من الجسم .

حتى متى نشقى ليسعد غيرنا ونذلّ القربى لعزّ بعيد
وبجانب الوطنى من أشيائنا ولو أنه من أحسن الموجود
إن البلاد لتشتكى من أهلها وتقول ^(١) قول الرازح المجهود
يا سادة الأوطان لستم سادة ما عشتُم من فقركم كعبيد
أفسيّد من عاش وهو لغيره فى حاجة بل ذاك عيش مسود
إن السيادة تستدير مع الفنى فى حالتى عَدَم له ووجود ^(٢)
لا يستقلّ بسيفه الشعب الذى لا يستقلّ بنقده المنقود ^(٣)
من كان محلول العرى فى ماله وجب انحلال لوائه المعقود
يا قومنا أتم كفارس كرمة وسواه منها فاطف العنقود
كم تزرعون بأرضكم ولغيركم ثمّا زرعتم حبّ كل حصيد
فتبصّروا يا قوم فى أحوالكم وتنبّهوا من غفلة ورقود
من شاء منكم أن يُعزّ بلاده فليسعّ معى مُعزّها البارودى

فى المدرسة : دار التفيض

نعمت الدار للتفيض دارا قد أقيمت للطالين منسارا
هى دار ينتابها ولد قوم جعلوا العلم للحياة مدارا
نحن قوم نرى المفاخر إلا من طريق العلوم ثوبا معارا
ما قصدنا بسنّ السيف إلا ردّ ليل الجبل المميت نهسارا
هل شددنا الرحال فى الأرض للأد فار إلا لنكتب الأسفارا ^(٤)

- (١) الرازح المجهود : هو الذى لحقه الاعياء من حمل ثقل .
(٢) يريد أن المرء لا يوصف بأنه سيد إلا إذا استغنى عن غيره ، فأما إذا احتاج إلى غيره فهو عبد له . وقد قيل : « استغن عن شئت تكن أميره ، واحتاج إلى من شئت تكن أسيره » .
(٣) يريد أن الاستقلال الاقتصادى للبلاد ينبغى أن يقدم على الاستقلال السياسى .
(٤) الأسفار الأولى : جمع سفر ، بفتح الفاء ، والثانية : جمع سفر ؛ بكسر السين ومكون الفاء ، وهو الكتاب .

كم طويّنا من قبل في طلب العدا
 واقتحمنا لأجله كل هول
 ولقد هانت النوائب فيه
 إنما تصغر الخطوب لدى القوا
 سل بنا العلم والفنون جميعا
 سل بنا العدل في جميع الرعايا
 سل بنا الغر من كبار المساعي
 سل بنا هذه الدماء الدوامي
 سل بنا هذه النجوم الدراري
 كم رفعنا للعلم في الأرض برجا
 لا يكن منك في الذي قلت شك
 يعلم الله ذو الجلالة أنا
 إنما هذه المدارس روض
 تتغذى بها النفوس غذاء
 جلّ فعلا إكسیرها المتعالی
 يدخل الناشئون فيها من النا
 رب نفس كدرهم قد جلاها
 نضرت هذه المدارس روضا
 تمنح العاجز الضعيف اقتدارا
 كانت الناس في القديم عبيدا
 فعليكم فيها بتحصيل علم
 م فجاجا وكم شققنا بحارا
 وركبنا لأجله الأخطارا
 إذ لبسنا الصبر الجميل شعارا
 م إذا كانت النفوس كبارا
 هل ملكنا بغيرها الأقطارا^(١)
 هل عمرنا بغيره الأمصارا
 هل طلبنا بغيرهن فخارا
 هل غسلنا بغيرهن العارا
 هل رضينا تحت النجوم قرارا
 وبنينا له كعُمدان دارا
 وإذا شئت فانظر الآثارا
 لسوى الله ما رجونا وقارا
 يُنبئ المجد والعلی والفخارا
 هو يُنمى العقول والأفكارا
 كيف يحلو القلوب والأبصارا
 س تُحاسا ويخرجون نضارا
 علم حتى أعادها دينارا
 من بنى القوم مُنبئا أزهارا
 مُوشكا أن يغالب الأقدارا
 وبها اليوم أصبحوا أحرارا
 يُرغِد العيش ، يُسعد الأعمارا

(١) سل بنا : سل عنا . وفي الكتاب العزيز : « فاسأل به خبيرا » .

المدارس ونهجها

أنشئت في حفلة وضع الحجر الأساسى لىبناية مدرسة النفيض
الأهلية التى أقيمت عصر ١٨ كانون الثانى سنة ١٩٣٩ .

أبنوا المدارس واستقصوا بها الأملا	حتى نطاولَ فى بِنائها زُحلا
جودوا عليها بما درّت مكاسبكم	وقابلوا باحتقار كل من بخلا
إن كان للجَهل فى أحوالنا عِلَلٌ	فالعلم كالطَّبِّ يشفى تلكمُ العِلا
سيروا إلى العلم فيها سير معتزمٍ	ثم اركبوا الليل فى تحصيله جَملا
لا تجعلوا العلم فيها كل غايتكم	بل علّموا النشء علما يُنتجُ العَملا ^(١)
هذى مدارسكم شروى مزارعكم	فأنبتوا فى ثراها ما علا وغلا ^(٢)
لا تتركوا الشوك ينمو فى منابتها	أعنى بذلكمُ الأهواء والنحلا
وأسسوها على الأعمال قائمة	ممهدين إلى الحيا بها سُبلا
يلقى بها النشء للأعمال مخترعا	وللطباع من الأدراَن مُعْتَسلا
وأماطروا روضها علما ومقدرة	حتى تفتح من أزهارها الأملا
فتنبت العالم الفنَّان مخترعا	وتنبت الفارس المغوار والبَطلا
وتنبت الحارث الفلاح مزدربا	وتنبت المِدرّة المنطيق مرتجلا
واسقوا التلمذ فيها خمر مكرمة	عن خمر الكرم تسمى عنده بدلا
حتى إذا ما غدا خريجُها طاربا	من عزّة النفس خيل الشارب الثَملا
ربّوا البنين مع التعليم تربية	يمسى بها ناطق الأخلاق مكتملا
وثقّفوهم بتدريبٍ وتبصرة	ثقافة تجعل المعوجَّ معتدلا

(١) يريد : لاتوجهوا كل اهتمامكم إلى التعليم القولى النظرى ، بل وجهوا عنايتكم إلى الشؤون العملية ، كالعلوم التطبيقية التى تفيد فى ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وما إليها .

(٢) شروى : مثل .

وجنبوهم على فعل معاقبة
 إن العقاب يزيد النفس شرًّا بها
 بل أنشؤنا شئ الأحدث وهو على
 بحيث يمسى إذا شأته شائنة
 من يترك الشرَّ خوفاً من معاقبة
 فحشوا جيش علم من شبيبتنا
 إن قام للحرب ردَّ الأرض ممرِّعة
 وإن غزا مستظلاً ظل رايته
 إنا لمن أمة في عهد نهضتها
 هذا هو العلم لا ما تدأبون له
 ماذا تقولون في نقدي مذاهبكم
 وأي نفع لمن يأتي مدارسكم
 فأجمعوا الرأي فيما تعملون به
 ثم انهجوا في بلاد العرب أجمعها
 حتى إذا ما اتدبنا العرب قاطبة
 إن العقاب إذا كررته قتال
 وليس ينكر هذا غير من جهلا
 حب الفضيلة في محياه قد جبلا
 من فعله احمرَّ منها وجهه خجلا
 فليس يحسب ذا فضل وإن فضلا
 عرمرم ما تضرب الدنيا به المثلا
 أو قام للحرب دكَّ السهل والجبلا
 هزَّ البلاد وأحيا الأعصر الأولي
 بالعلم والسيف قبلا أنشأت دولي
 مما تكون به عقباكم الفشلا
 وقد كفتكم التفصيل والجملا
 إن كان يخرج منها مثما دخلا !
 ثم اعملوا بنشاط ينكر المللا
 نهجا على وحدة التعليم مشتملا
 كنا كأنا انتدبنا واحدا رجلا

العلم والإجازة (*) فيه

إن من حاز في العلوم إجازةً لجدير بترتبة ممتازة
 وخلق بعيشة مرتضاه وافتخار بفضل ما قد حازه

(*) الإجازة : هي الشهادة تمنحها المدارس والمعاهد الطلاب الذين أتوا دراستهم كلها أو بعضها
 وسميت بذلك لأن شيوخ العلم من سلف المسلمين كانوا يجيزون المنتهين من الطلاب برواية مروياتهم
 وقراءة مؤلفاتهم ، لأنهم أصبحوا أهلاً لذلك ، وكان الطلاب يمتزون بشهادة أستاذهم لهم ،
 ويذكرونها في تراجمهم وتواريخ حياتهم .

إنما هذه الأجازة صاكَّ بيد المرء ضامنٌ إعزازه
وهي تعويذة له من عيون بالمساوى همّازة غمّازه
فهنئنا لمن أحيى وشكراً للذي في علومه قد أجازه

معهدُ العلم وهو حرزٌ يفوق الـ أبلقُ الفردَ منعةً وحرّازه^(١)
تليجاً الناس في الحياة إليه هرباً من جهالةٍ وخّازه
حبذا العلمُ يكسبُ المرءَ عزّاً وبقية في عيشه إعزازه
في نقوس الذين لم يُرزقوه حسراتٌ وفي القلوب حّزازه
إنما العلم من معاجز عيسى كم جهول أحياء وهو جنازه
صاحب العلم يركب المجد طرفاً جاعلاً غاية العلى مهمّازه^(٢)
ويهرّ الدنيا رجاءً وخوفاً بيدٍ من درايةٍ هزّازه
نحن سقّرة وما الرواحل والزادُ سوى العلم والحياة مفازه^(٣)
كل من لم يُعده لاجتياز لم تيسّر يد النجاح اجتيازه
إن عتل الفتى ليصبح بالعلم رزينا بكف من قد رازه^(٤)
والطبائع العرجاء في كل شخص تقتضى من ثقافة عكّازه
ألغز الدهر في الحقائق لكن أفهم العلم أهله ألعازة
وإذا الأمر قد غشته الغواشي ضمن العلم للورى إبرازه

كان للعلم في القديم طريق غير رحب يشقُّ أن يجتازه

(١) الأبلق الفرد : حصن معروف للسوءل بن عادباء اليهودى بأرض قباء من بلاد العرب ، قال فيه الشاعر :

هو الأبلق الفرد الذى سار ذكره ينز على من رامه ويطول

(٢) المظرف : الحصان الكريم ، والمهمّاز ما يبحث به الفرس على السير .

(٣) مفازة : صحراء يهلك فيها السائر الذى لم يستعد لها .

(٤) رازه : اختبره بيده ليعرف ثقله .

فجرى اليوم فى طريق جديد جُعِلَ الشك واليقين طرازه
هو صيدٌ ولم يَعدْ يجعل المصطادُّ منه غير التجارب بازه^(١)
قد عرفنا حقيقة القول فيه وتركنا للغافلين مجازه^(٢)
وبحثنا عن جوهر الحق فيه قبلنا دفينه وركازه^(٣)
بله إطناب شرحه بقياس إن فى تجرباته إيجازه^(٤)
هو فى الناس قدره متعال لم يطل صرح إيفل أنشازه^(٥)
وإذا الملك لم يؤيده علم فارتقب سلبه ورج ابتزازه^(٦)
وإذا العلم فاه يوماً بوعده ذهب اليأس آملاً إنجازه^(٧)
وإذا أنشط الجبان لحرب صال يرغو حمسةً وحازه
قلم المرء فى بلوغ للمعالى فائق فى وغى الحروب جُرازه^(٨)
صاحب العلم فى الأمور أمير قد غدا كل حادث جِلازه^(٩)
يبصر الخطب من هواديه حتى يلتهى فيه مبصراً أعجازه^(١٠)
فلهذا ، نعم لهذا أهنى كل من حاز فى العلوم إجازه

-
- (١) شبه العلم بصيد ، وجعل التجربة كالبايزى ، وهو الصقر الذى يستعان به على الصيد .
(٢) يقول : استعنا فى عصرنا على تحقيق العلم بالتجربة الموزنة ، واستغنينا بها عن الشرح الطويل ، والقياس المنطوقى النظارى .
(٣) الركاز : المعادن المدفونة فى الأرض .
(٤) يقول : فى عصرنا على تحقيق العلم بالتجربة .
(٥) صرح إيفل ، أو برج إيفل : بناء عال جداً فى فرنسا ، والآثار جيم نثر ، وهو كل شئ مرتفع ، يقول : إن قدر العلم وشرقه عال جداً لا يساميه برج إيفل علواً .
(٦) يقول : إن الملك الذى لا يقوم على دعائم العلم لا يلبث أن يضيع ويسلب .
(٧) إذا وعد العلم بتحقيق غرض ، فلا بد أن يناله ، وإن ظنه الناس مستحيلاً أو بعيداً .
(٨) الجراز : السيف .
(٩) الحلواز : بمعنى الشرطى .
(١٠) هواديه : أوائله وقدماته

العلم

إلى شبان السكينة الانكليزية في القدس

لا يبلغ المرء منتهى أربه
فأور إلى ظله تعش رغداً
واتعب له تترح به أبداً
ولذة العلم من تذوقها
وإن للعلم في العلى فلكا
فاسع إليه بعزم ذى جلد
وأبدل له ما ملكت من نسب
لا تتكل بعده على نسب
واطرح المجد غير طارفه
ما أبعد الخير عن فتى كسل
كم رفع العلم بيت ذى ضعة
حتى تمنى أعلى الكواكب لو
وودت الشمس في أشعتها
وإن يسد جاهل فسودده
يرى امرؤ مجد جاهل عجا
كم كذب الدهر في فعائله
العلم فيض تحيا القلوب به
كل فخار أسبابه انقطعت
للعلم وجه بالحسن منتقب

إلا بعلم يجد في طلبه
عيشاً أميناً من سوء منقلب
فراحة المرء من جنى تعب
أضرب عن شهده وعن ضرب
كل المعالي تدور في قطبه
مصمم الرأي غير مضطرب
فالعلم أبقي للمرء من نشبه
فالعلم يغني النسيب عن نسبه
واجتنب الفخر غير مكتسبه
يسرح في لهوه وفي لعبه
فقصر الناس عن مدى حسبه
يحل بيتاً يكون في صقه
لو كنّ يحسن من قوى طنبيه^(١)
بعد قليل يفضى إلى عطبه
لو صح عقلاً لكف عن عجه
وسودد الجاهلين من كذبه
فامتحن بسجل الحياة من قلبه^(٢)
إلا فخاراً يكون من سبيه
وسافر منه مثل متقبه

(١) الطنب : جبل تشد به الخيمة .

(٢) السجل : الدلو . والقلب : جمع قلب ، وهي البئر .

ما حسن وجه الفتى بمفخرة
ما أقدر العلم إن صحته
من تحذ العلم عدة لوغى
فانتدب العلم للخطوب فما
العلم كالنور بل أفضله
سقيًا ورعيًا لروض معده
ما الناس إلا رؤّاد نجعته
ومن غدا هاديًا يعلمه
ومعهد أسست قواعده
شيده للعلوم مدرّسه
قد غرّد المجد في جوانبه
وأصبح العلم فيه مزدهرًا
بمثاله في البلاد قاطبة
أضحت فلسطين منه مُمرّعة
تاهت به إيلياء فاخرة
شكرا لبانيه ما أقام به

إن لم يؤيّد بالحسن من أدبه
يعن منها الخميس في هربه^(١)
أغناه عن درعه وعن يكّبه^(٢)
خاب لعمرى رجاء منتدبه
ما أفقر النور أن يشبه به
وطالبيه وقارئ ككّبه
وناشروه وكاشفو حجّبه
وراح يشفى الجهول من وصبه
في بلد شفى هوى عربه
من كان نشر العلوم من دأبه
فاهتزّ عطف الفخار من طربه^(٣)
بكل ذاكى الذكاء ملتبه
يشفى عقور الزمان من كلبه^(٤)
مذ جادها بالغزير من سحبه^(٥)
على دمشق الشّام أو حلبه
شبانه القاطنون فى قبّبه

(١) الخميس : الجيش ، لأنه خمس فرق : قلب ، وجناحان ، ومقدمة ، ومؤخرة . يعن : يبالغ .
(٢) عدة الحرب أدواتها ، والياب : الترسة أو الدروع من الجلود ، أو جلود نخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرءوس خاصة .
(٣) العطف : الجانب .
(٤) شبه الزمان بالكلب العقور ، وهو المصاب بالكلب ، فإذا عض إنسانا عقره أى أهلك .
(٥) الممرع : المخصب . جادها : أنزل بها المطر الجود الغزير .

دار الأيتام

أو مدرسة سنلر في القدس

لدار سنلر في القدس فضلٌ	به تنسى تيتّمها اليتامى
ويحمده من الفقراء طفلٌ	يذمّ لفقد والده الحماما
بها يجد اليتيم له مقامًا	إذا ما الدهر أفقده المقاما
يرى عن أمّه أمّا عطوفا	عليه وعن أبيه أبّا هاما
تمت نهارها فيه ليحيا	وتحي الليل فيه لكي يناما
فتشرب نفسه حبّ المعالي	وتطعم جسمه منها الطعاما
وترأم كل من فجعوا بيّتم	صغاراً قبل ما بلغوا الفطاما ^(١)
ويدخلها يتيم القوم طفلاً	فتخرجه لهم يفعاً غلاما
عليماً بالحياة يسير فيها	على علم فيخترق الزحاما
وقد لبس الفضيلة وارثاها	وشد عليه من حزم حزاما

* * *

وقفت بها أعاطيها التحايا	وأستقى لساكنها الغماما
وأشكر فضلها والشكر عجز	إذا هو لم يكن إلا كلاما
أدار سنلر لا زلت مأوى	لأبناء الأرامل والأيامي
أثابك مالك الملوك عنهم	مؤوبة كل من صلّى وصاما
ضممت لهم رغيد العيش حتى	أخذت على الزمان لهم ذماما
وجار الدهر معتديا عليهم	فكنت لهم من الدهر انتقاما
إذا ما أبكت الدنيا يتيما	أعدت بكاءه منه ابتساما
لقد هوّنت رزء اليتيم حتى	غفرنا للزمان بك الأثاما

(١) رثمت الأم ولدها : شتمته وعطفت عليه .

وكاد إذا رأى مَنُفَكَ راء
ليكت فيك مغتبطا سعيدا
ويعلم كيف يدَّرع المعالي
وما فقد المسيح الناسُ لما
فُتبت عن المسيح وقت حتى
ولا عجب فقد جدَّت منه
شمخت على ربِّا القدس اعتلاء
ولحت بأفقا بدرأ منيرا
ألا إن النجوم بشعريها
هزرت الطور فيو يكاد يمشي
وجاذبت الكرامة خير قبر
تُباهي القدس مكة فيك حتى
فلا برحت رُبوعك عامرات
يودَّ بأن يكون من اليتامى
ويكسب عندك الشرف الجساما^(١)
ويعرف كيف يبتدر المراما
أعدت لهم خلائقه الكراما
لقد شكر المسيح لك القياما
عواطف كان عم بها الأناما
فكنت لمن من شرف وساما
جلا من ليل أيوسها الظلاما
لنحسد من مَرابعك الرغاما^(٢)
إليك على تقدسه احتراما
به دفن المسيح ومنه قاما
تفاخر فيك مشعرها الحراما
نسل على الشقاء بها حساما

الفقر والسقام^(*)

أَيّ مضى يمدّها باكتاب
يتشكى والليل وحف الإهاب
صَفَعْتَهُ فقال كفُّ الخراب^(٤)
أنَّ تترك الحشا في الثهاب
ضمن بيت جشا على الأعقاب^(٣)

تسمع الأذن منه صوتا حزينا راجعا في حشا الظلام كينا

(١) الشرف الجسام : الجسم .

(٢) الشعريان : الشعرى العبور ، والنميصاء : كوكبان مضيئان ، والرغام : التراب .

(*) من الجزء الأول .

(٣) الوحف : الشعر الكثير الأسود . لإهاب : الجلد . يصف سدة ظلام الليل . جشا على

الأعقاب : يريد أنه قارب أن يهدم . (٤) كف : فاعل صفعت .

يلاً الليل بالدعاء أنينا ربّ كن لى على الحياة معينا
 ربّ إن الحياة أصل عذابي
 وجّع في مفاصلى دقّ عظمى ودهانى ولم يرقّ لعدى^(١)
 عاقنى عن تكسّى قوت يرمى ربّ فارحم فقرى بصحة جسمى
 إن فقرى أشد من أوصابى^(٢)
 يا طبيباً وأين منى الطبيبُ حال دون الطبيب فقر عصبى^(٣)
 لا أصاب الفقير داء مصيب إن سقم الفقير شئ عجيب
 بطلت فيه حكمة الأسباب

u * o

رجلٌ معسر يسمّى بشيراً كان يسعى طول النهار أجيراً
 كاسباً قوته زهيداً سيراً مانكاً فى المعاش قلباً شكوراً
 راجياً فى المعاد حسن المآب^(٤)
 عالٍ اختار حكمة خلقاً نزيها عانساً جاوز الزواج سنيها^(٥)
 لزمت بيت أمها وأبيها مع أخيها تعيش عند أخيها
 مثله فى الطعام أو فى الشراب
 كلّ يوم له ذهاب ومأتى فى معاش من كده يتأتى^(٦)
 هكذا دأبه مصيفاً ومشتى فاعتراه داء المفاصل حتى
 عاقه عن تعيش واكتساب
 بينما كان فى قواه صحيحاً ساعياً فى ارتزاقه مستميجاً^(٧)

(١) العدم : الفقر .

(٢) الأوصاب : الأمراض . (٣) عصب : شديد .

(٤) أى أن ذلك المفضى الذى مر ذكره فى أول القصيدة هو رجل معسر الخ .

(٥) عالٍ اختار : كفلها وكفهاها معاشها . العانس : هى التى طال مكثها فى بيت أهلها بعد إدراكها ولم تتزوج .

(٦) يتأتى : يتهبأ . (٧) مستميجاً : طالبا .

إذ عراه الضنى فعاد طليحاً ورمته يد السقام طريحاً^(١)
جسمه من سقامه في اضطراب

بات يبكي إذا له الليل آوى بعيون من السهاد نشاوى^(٢)
فترى وهو بالبكاء يتداوى قطرات من عينه تنهاوى
كشهاب ينقض إثر شهاب^(٣)

إن سقماً به وعُتماً ألمّا تركاه يذوب يوماً فيوماً
فيوحيناً يشكو إلى السقم عُدماً وهو يشكو حيناً إلى العدم سقماً
باكياً من كليهما بانهـباب

ظل يشكو للأخت ضعفاً وعجزاً إذ تعزّيه وهو لا يتعزى
أيها الأخت عزّ صبرى عزّاً إن للداء في المفاصل وخزاً^(٤)
مثل طعن القنا ووخز الحراب^(٥)

قد تمادى به السقام وطالاً وترآى له الشفاء محالاً
إذ قلاباً به السقام استحلالاً كان مقيماً فصار داءً عضالاً^(٦)
ناشبا في الفؤاد كالنشاب^(٧)

ظل ملقى وأعوزته المطاعم موثقاً من سقامه بالأداهم^(٨)
منققاً عند ذاك بعض دراهم ربحتها من غزلها الأخت فاطم
قبل أن يبتلى بهذا المصاب

(١) الطليح : الممزول . (٢) نشاوى : سكارى ، جمع نشوان .

(٣) الشهاب : هو ما يرى كأنه كوكب قد سقط .

(٤) الوخز : الطعن غير النافذ بـرج أو إبرة أو غير ذلك .

(٥) القنا : جمع قنّاء ، وهى الرمح .

(٦) القلاب : داء القلب . داء عضال : شديد متعب غالب .

(٧) ناشبا عالقاً .

(٨) أعوزته المطاعم : احتاج إليها فلم يقدر عليها . موثقاً : مقيداً . الأداهم : القيود .

قال والأخت أخبرته بأن قد كُوبِت عندها الدراهم تنقَد^(١)
أخبري السقم علَّه يتبعـد أيها السقم خُلَّ عيشي المنكَد
لا تعقني في عيشي عن طلاي

مرّضيني شقيقتي مرّضيني وعلى الكسب في غدٍ حرّضيني
وإذا مسك الطّوى فإرفضيني أو على الناس الصبيح اعرضيني^(٢)
علّهم يشـتروني ممّا بي

رام خبزاً والجوع أذكى الأوارا في حشاه فعللته انتظارا
ثم جاءت بالماء تبدى اعتذارا وهل الماء وهو يطفىء ناراً
يطفىء الجوع ذاكيا في التهاب

خرجت فاطم^ة إلى جارتيتها وهي تُدرى الدموع من مقلتيها
فأبانت برقة حالتهمـا من سقام ومن سعار لديها^(٣)
وشكت بعد ذاك خلوا الوطاب^(٤)

فأثنت وهي بين ذل وعزّ تحمل التمر في يد فوق خبز^(٥)
وبأخرى سمناً وبعض أرزاً منحوها به وذو العرش يجزى
من أغان الفقير حسن الثواب

* * *

لياسة تنشر العواصف ذُعرا في دجاها حيث السحاب اكفها^(٦)
ذا هزيم يمجّ في الأذن وقرأ حين تبدى صوالج البرق تثرى^(٧)
كهربائية سرت في السحاب

(١) كُوبِت : كادت . (٢) الطوى : الجوع . (٣) السعار : بضم السين : شدة الجوع .
(٤) الوطاب : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن من الجلد ، وخالو الوطاب كناية عن الفقر والحاجة
(٥) أثنت : رجعت . (٦) ذُعرا : خوفاً . اكفها : تراكم واشتدت ظلمته .
(٧) الهزيم : الرعد وصوته . يمج : يلقى . الوفر : الصمم . صوالج : صولجان وهو ما يضرب
به الأكرة . وصوالج البرق : هي الرياح التي تسوق السحب بشدة ، فيحصل منها الاحتكاك الذي
يولد البرق ، فإن كان الاحتكاك اعظم حصل مع البرق صوت الرعد .

مدَّ فيها ذاك المريض الأكفا في فراش به على الموت أوفى^(١)
 طرفها كالشها يبين ويخفى حيث يُغضى طرفاً ويفتح طرفاً^(٢)
 عاجزاً عن تكلم وخطاب
 فدعته والعين تذرّى الدموعا أخته وهى قلبها قد ريعا
 يا أخى أنت ساكن أفجوعا ساكت أنت يا أخى أم هُجوعا^(٣)
 فاشفنى يا أخى برجع الجواب
 فرأت منه أنه لا يجيب فتدانت والدمع منها صبيب
 ثم أصغت وفى الفؤاد وجيب ثم هابت والموت شئ مهيب^(٤)
 ثم قامت بخشية وارتباب
 خرجت فاطم من البيت ليلاً حيث أرخى الظلام سِدلاً فسدلاً^(٥)
 وهى تبكى والغيث يهطل هطلاً مثل دمع من مقلتيها استملاً
 أو كماء جرى من الميزاب
 رب أدرك باللطف منك شقيقى وامنع الغيث رب عن تعويقى
 ومُر البرق أن يضىء طريقى ببريق يبيده إثر بريق
 فعى أهتدى به فى ذهابى
 قرعت فى الظلام باب الجار وهى تبكى الأسى بدمع جار
 ثم نادى برقة وانكسار أم سلمى ألا بحق الجوار
 فافتحى إننى أنا فى الباب
 فأتتها سعدى وقد عرفتها وعن الخطب فى الدجى سألتها^(٦)

(١) أوفى : أشرف .

(٢) الشها : نجم خفى تمتحن الأبصار برؤيته . يغضى : يغمض .

(٣) الهمة : الاستفهام ، والفاء عاطفة ، وجوعا : مصدر منصوب على أنه مفعول لأجله من ساكت . وأصل العبارة : أدأنت ساكت جوعا أم ساكت هجوعا ، أى نوما .

(٤) الوجيب : الحفطان والرجفان . (٥) السدل : السر .

(٦) الخطب : الأمر .

ثم سارت من بعد ما أعلمتها تقتفيها وبنتها تبعتها
 فتخطين في الدجى بانسياب^(١)
 جئن والشَّحْبُ أقامت عن حياها وكذلك الرعود قلَّ رُغَاها^(٢)
 حيث يأتى شبه الأنين صداها غير أن البروق كان ضياها
 مُومِضاً في السماء بين الرَّباب^(٣)
 فدخلن الحِلَّ وهو نحيف حيث إن السَّكُوت فيه كثيف^(٤)
 وضياء السراج نزر ضعيف وبه في الفراش شخص نحيف
 دب منه الحِمام في الأعصاب^(٥)
 قالت الأخت أمَّ سامى انظريه ثكَّلت روح أمه وأبيه^(٦)
 فرأت منه إذ دنت نحو فيه نفساً مبطئاً التردد فيه
 ثم قد غاله الردى باقتضاب^(٧)
 وجمت حيرة وبعد قليل رمقت فاطماً بطرف كليل^(٨)
 فيه حمْلٌ على العزاء الجميل فعلا صوت فاطم بالعويل
 وبكت طول ليلها بانتحاب
 فاستمرت حتى الصباح توالى زفراتٍ بنارها القلبُ ضال^(٩)
 فأتاها ودمعها في انهمال بعض جاراتها وبعض رجال
 من صعاليك أهل ذلك الجَناب^(١٠)
 وقفوا موقفاً به الفقر ألقى منه ثقلاً به المعيشة تشقى

-
- (١) الانسياب : الانسراع في المشي . (٢) الحيا : المطر . الرغاء : صوت الرعد .
 (٣) الرباب : بفتح الراء : السحاب الأبيض الذي أراق مائه .
 (٤) شبه كثرة السكوت بجيش كثيف أى عظيم .
 (٥) الحمام : الموت . (٦) ثكلته أمه : فقدته .
 (٧) غاه : أهلك . الاقتضاب : الانقطاع والانتزاع .
 (٨) وجمت : سكنت من كثرة النعم والحزن . (٩) صال : محترق .
 (١٠) الصعاليك : الفقراء . مفردهما : صعوكة . الجباب : هو المسكان القريب من محلة القوم .

فَرَأَوْا دَمْعَ فَاطِمَ لَيْسَ يَرْقَا وَأَخُوهَا مَيِّتٌ عَلَى الْأَرْضِ مُلْقًى^(١)
مُدْرَجٌ فِي رِثَائِثِ الْأَثْوَابِ^(٢)

فَعَدَّتْ فَاطِمُ تَرَنَّنَ رَيْنِنَا بَيْكَاءَ أَبْكَتَ بِهِ الْوَاقِفِينَ
ثُمَّ قَالَتْ لَهُمْ مَقَالًا حَزِينًا أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ هَلْ تَرْجُونَا
مِنْ مُصَابِ دَهَا وَأَيِّ مُصَابِ

أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ لَا تَهْمَلُوهُ دُونَكُمْ أَدْمَعِي بِهَا فَاغْسِلُوهُ
ثُمَّ بِالثُّوبِ ضَافِيًا كَفْنُوهُ وَادْفِنُوهُ لَكِنْ بَقَلْبِي ادْفِنُوهُ
لَا تَوَارُوا جِينَهُ بِالْتَرَابِ

بَعْدَ أَنْ ظَلَّ لَافْتِقَادَ الْمَالِ وَهُوَ مُلْقًى إِلَى أَوَانِ الزَّوَالِ
جَادَ شَخْصٌ عَلَيْهِ بَعْدَ سُؤَالِ بَرِيَالٍ وَزَادَ نِصْفَ رِيَالِ
رَجُلًا حَاضِرًا مِنَ الْأَنْجَابِ^(٣)

كَفَّنُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا تَمَّ غُسْلُهُ وَتَمَشَّوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ حَمَلًا
فَتَرَى نَعْشَهُ غَدَاةً اسْتَقْلًا نَعَشَ مِنْ كَانَ فِي الْحَيَاةِ مُقْلًا^(٤)
دُونَ سِتْرِ مَكْسَرِ الْأَجْنَابِ

نَاحَتْ الْأَخْتَ حِينَ سَارَ وَصَاحَتْ أَخْتُكَ الْيَوْمَ لَوْ قَضَتْ لَاسْتِرَاحَتْ
ثُمَّ سَارَتْ مَدْهُوشَةً ثُمَّ طَاحَتْ ثُمَّ قَامَتْ تَرْنُو لَهُ ثُمَّ رَاحَتْ^(٥)
تَسْكِبُ الدَّمْعَ أَيْمًا تَسْكَابُ

أَيُّهَا الْحَامِلُوهُ لَا مَشَى رَكُضٍ إِنْ هَذَا يَوْمُ الْفِرَاقِ الْحَضِ^(٦)
فَاسْأَلُوهُ عَنْ قَصْدِهِ أَيْنَ يَمْضِي إِنَّهُ قَدْ قَضَى وَلَمْ يَكُ يَقْضِ
وَاجِبَاتِ الصَّبَا وَشَرَحَ الشَّبَابِ^(٧)

(١) لَيْسَ يَرْقَا : لَا يَجِفُّ . وَأَصْلُهُ : يَرْقَا بِالْهَمْزِ ، تَخَفَفَ .

(٢) مُدْرَجٌ : مَكْنً . رِثَائِثُ الْأَثْوَابِ : الْبَالِي مِنْهَا .

(٣) الْأَنْجَابُ : جَمْعُ نَجَبٍ ، وَهُوَ الدُّخَى الْكَرِيمُ .

(٤) اسْتَقْلًا : أَرْتَمَعَ مَقْلًا : فَقِيرًا .

(٥) طَاحَتْ : سَقَطَتْ .

(٦) شَرَحَ الشَّبَابُ : أَوَّلُهُ .

(٧) الْمَضَى : الْمَوْجِعُ الْمَأْلَمُ .

إن قلبي على كريم السجايا طاح والله من أساء شظايا^(١)
 قائل الله يا بن أمي المنايا أنا من قبل مذ حسبت الرزايا
 لم يكن زرع موتكم في حسابي
 إن ليلي وليس من راقديه كلما جاءني وذكريه^(٢)
 قلت والدمع قائلاً لي إيه يا فقيداً أتاب الموت فيه^(٣)
 يبكاني وهل يفيد عتابي

رحت يوماً وقد مضت سفنان أتمشي « بشارع الميدان »
 مشى حيران خطوه متدان أثقلتني الحياة بالأحزان^(٤)
 وسقته كأساً كطعم الصاب^(٥)
 بينما كنت هكذا أتمشي عرضت نظرة فأبصرت نعشا
 بادياً للعيون غير مغشى نقش الفتر فيه للحزن نقشا
 فبدأ لوح أبيؤس واكتئاب
 قلت سرّاً والنعش يقرب مني أيها النعش أفت أنعشت حزني
 للأسى فيك حالة ناسبتني إن بدا اليوم فيك حزن فإني
 أنا للحزن دائماً ذو انتساب

رحت أسعى وراءه مذ تعدّي مسرعاً في خطاي لم آل جهداً^(٦)
 مع رجال كأنهم النعش عدا هم به سائرون سيرا مُجداً^(٧)
 فتراهم يمر مرّ السحاب

(١) طاح : معناها هنا ذهب . من أساء : من حزنه . شظايا : قطعاً ، وهي جمع شظية ،

ونطاق على كل فلفة من شيء .

(٢) راقديه . التأخيم فيه .

(٤) متدان : متفارب .

(٦) تعدّي : تجاوز

(٧) أي عدد حاملي النعش كعدد أنجم يات نعش ، وهي سبعة .

(٣) إيه . كلمة يطلب بها استعادة الحديث .

(٥) الصاب : شجر مر .

منذ لحدنا ذاك الدفين وعدنا قلت والدمع بلّ مني رُدُّنا^(١)
 إن هذا هو الذي قد وعدنا فأبينوا من الذي قد لحدنا
 فتصدّى منهم فتى جوابي
 قال إن الدفين أخت بشير أخت ذاك المسكين ذاك الفقير
 بقيت بعده يعيش عسير وبطرف بكٍ وقلبٍ كبير
 وقضت مثله بداء القلاب
 قلت أقصر عن الكلام فحسبي منك هذا فقد تنزل قلبي
 ثم ناجيت والضراعة ثوبى ربّ رحماك ربّ رحماك ربى^(٢)
 ربّ رشداً إلى طريق الصواب
 ربّ إن العباد أضعف أن لا يمدوا منك ربّ عفواً وفضلاً
 فاعفُ عن أخذهم وإن كان عدلاً أنت يارب أنت بالعفو أولى
 منك بالأخذ والجزا والعقاب
 قد وردنا والأرض للعيش حوض واحدٌ كلنا لنا فيه خوض
 فلمّا ذا به مشوبٌ ومحض عظمت حكمة الإله فبعض^(٣)
 فى نعيم وبعضنا فى عذاب
 أيها الأغنياء كم قد ظلمتم نعيم الله حيث ما إن رحمتكم
 سهر البائسون جوعاً ونتمم بهناء من بعد ما قد طعمتم
 من طعام متنوع وشراب
 كم بذلتم أموالكم فى الملاهى وركبتم بها متون السفاه
 وبخلتكم منها بحق الإله أيها الموسرون بعض انتباه
 أفقدرون أنكم فى تباب^(٤)

(١) الردن بضم الراء : أصل الكم .

(٢) الضراعة ثوبى : أى وأما لابس ثوب الضراعة .

(٣) مشوب : مخلوط . محض : خالص من الكدورة .

(٤) التباب : الحسران .

تنبؤيه النيام (*)

أما آن أن يغشى البلاد سعودها وينهب هذى النيام هجودها
متى يتأتى فى القلوب انتباهها فينجاب عنها ريبها وجمودها^(١)
أما أسدٌ يحمى البلادَ غضنفره فقد عاث فيها بالمظالم سيدها^(٢)
برئت إلى الأحرار من شرٍّ أمة أسيرة حكام ثقال قيودها
سقى الله أرضاً أحملت من أمانها وقد كان رواد الأمان ترودها^(٣)
جرى الجور منها فى بلادٍ وسيعه فضاق على الأحرار ذرعاً حدودها

* * *

عجبت لقوم يخضعون لدولةٍ يسوسهم بملوبات تميمها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها وأموالها منهم ومنهم جنودها
إذا وليت أمر العباد طاعتها وساد على القوم السراة مسودها
وأصبح حرُّ النفس فى كل وجهه يُردُّ مهاناً عن سبيلٍ يريدُها
وصارت لناس الناس تعلقو كرامها وعاب لبيداً فى النشيد بليدها^(٤)
فأنت إلا أيها الموت نعمة يعزُّ على أهل الحفاظ جحودها^(٥)

* * *

ألا إنما حرية العيش غادة منى كل نفس وصلها ووفودها

(*) من الجزء الأول .

(١) الرين : ماغنى على القلب بحيث يحجبه عن رؤية الحقيقة .

(٢) عاث فيها : أفسدها . السيد : اللأب .

(٣) الرواد : جمع رائد ، وهو الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه . يقال

منه راد المكان يروده ، وارتاده يرتاده ، بمعنى طلبه .

(٤) لبيد : علم الشاعر المشهور .

(٥) أهل الحفاظ المحامون عن عوراتهم ، والمدافعون دون أن يصل إليهم الضيم .

يُضَيِّعُ دَجَنَاتِ الْحَيَاةِ جَبِينَهَا وَتَبْدُو الْمَعَالِيَ حَيْثُ أَتْلَعُ جِيدَهَا^(١)
لَقَدْ وَاصَلْتُ قَوْمًا وَخَلَّتْ وِرَاءَهَا أَنَسًا تَمْنَى الْمَوْتَ لَوْلَا وَعُودَهَا
وَقَدْ مَرَضْتُ أَرْوَاحَنَا فِي أَنْتَظَارِهَا فَمَا ضَرَّهَا وَالْهَفْتُ لَوْ تَعُودَهَا^(٢)

* * *

بَنِي وَطَنِي مَا لِي أَرَاكُمْ صَبَرْتُمْ عَلَى نُوبِ أَعْيَا الْخُصَاةِ عَدِيدُهَا
أَمَّا آدَاكُمْ حَمَلُ الْهَوَانِ فَإِنَّهُ إِذَا تُحْمَلَتْهُ الرَّاسِيَاتُ يَثُودُهَا^(٣)
قَعَدْتُمْ عَنِ السَّعْيِ الْمُوْدَى إِلَى الْعَلَى عَلَى حِينِ يُزْرَى بِالرِّجَالِ قَعُودُهَا
وَلَمْ تَأْخُذُوا لِلْأَمْرِ يَوْمًا عَتَادَهُ بِجَاءَتِ أُمُورُ سَاءَ فِيكُمْ عَتِيدُهَا^(٤)
أَلَمْ تَرَوْا الْأَقْلَامَ بِالنَّسْعِ خَلَدَتْ مَا تَرَى يَسْتَقْصِي الزَّمَانَ خَلُودُهَا
وَسَارُوا كِرَامًا رَافِلِينَ إِلَى الْعَلَى بِأَثْوَابِ عَزٍّ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُهَا

* * *

قَدْ اسْتَحْذَرْتُ يَا الْخُسَارَ عَلَيْكُمْ شَيَاطِينَ إِنْسٍ صَالٍ مِنْكُمْ مَرِيدُهَا^(٥)
وَمَا اتَّقَدْتُ نَارَ الْحِمِيَةِ مِنْكُمْ لَفَقَدَ اتِّحَادَ فَاسْتَطَالَ خَمُودُهَا^(٦)
وَلَوْلَا اتِّحَادُ الْعَنْصَرِينَ لَمَّا غَدَا مِنَ النَّارِ يَذْكُو لَوْ عَلِمْتُمْ وَقُودُهَا
إِذَا جَاهَلَ مِنْكُمْ مَشَى نَحْوَ سُبَّةٍ مَشَى جَمْعُكُمْ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ يَرِيدُهَا^(٧)

(١) أَتْلَعُ عُنُقَهُ : مَدَهُ مَتَطَاوَلَا . (٢) تَعُودُهَا : تَرُورُهَا : مِنْ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ .

(٣) آدَاكُمْ : أَنْقَلَكُمْ . يَثُودُهَا : يَتَقَلَّبُهَا .

(٤) الْعَتَادُ : الْعِدَّةُ لِأَمْرٍ مَا تَهَيَّؤُهُ وَمَا أُعَدُّ مِنْ سِلَاحٍ وَدَوَابٍ وَآلَةٍ حَرْبٍ . الْعَتِيدُ : الْحَاضِرُ الْمُهَيَّأُ . يَقُولُ لَمْ اسْتَعْدَدُوا لِلرَّقِّ فَيَا مَضَى ، جَاءَ كُمْ يَوْمٌ سَاءَ كُمْ فِيهِ حَاضِرُكُمْ ، وَيَبْقَى بِالْحَاضِرِ مَا كَانَتْ تَقَاسِيهِ الْأُمَّةُ مِنْ جَوْرِ الْحُكَامِ وَاسْتِعْدَادِ الطَّافَةِ ، وَهُوَ يَصْلُحُ سَالَتَنَا الْحَاضِرَةُ أَيْضًا ، وَيَكُونُ حَاضِرَنَا السَّابِقُ مَاضِيًا ، وَحَرِيقَتَنَا الْآنَ حَاضِرًا لَنَا ، فَانْهَاجَتْ عَلَيْنَا غَيْرَ اسْتِعْدَادٍ مِنْهَا لَهَا بِمَا أَفْسَدَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ نَفْسِنَا فَأَسَانَا اسْتِعْمَالَهَا وَلَمْ نَحْسِنْ فَعَمَّهَا بِسَبَبِ مَا يُوَحِّيه الْمُتَقَهِّقُونَ إِلَى زَعَانِفِ الْقَوْمِ وَمَا يَبْثُونَهُ فِي نَفُوسِهِمْ مِنَ الشُّرُورِ : تَارَةً بِاسْمِ الْوَطَنِيَّةِ . أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَحْوَالَ وَجَعَلَ كَيْدَ الرَّجْعِيِّينَ فِي ضَلَالٍ .

(٥) الْمَرِيدُ : الْحَبِيبُ الْمُنْتَمِرُ الشَّرِيرُ .

(٦) أَيْ أَنَّ نَارَ حِمِيَّتِكُمْ لَمْ تَنْقُذْ لَأَنْفُكُمْ لَمْ تَتَّحِدُوا ، فَإِنْ اشْتَعَلَ النَّارُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاتِّحَادِ الْعَنْصَرِينَ : الْأَكْسَجِينَ وَالْكَرْبُونِ .

(٧) السُّبَّةُ : الْعَارُ .

كأنكم المعزى تهكؤين عندما نزا فنزت فوق الجبال عتودها^(١)
وما ثلة^(٢) قد أهنتها رعاتها بمأسدة^(٣) جاءت لعشر أسودها^(٤)
فباتت ولا راع يحامى مراحمها فرائس بين الضاريات تبيدها
بأضيع منكم حيث لا ذو شهامة يذب^(٥) الرزايا عنكم ويذودها^(٦)

* * *

أنطمع هذى الناس أن تبلغ متى ولم تور في يوم الصدام زنودها^(١)
فهل لمعت في الجوّ شعلة بارق وما ارتجست بين الغيوم رعودها^(٢)
وأدخنة النيران نولا اشتعلها لما تم في هذا القضاء صعودها
وإن مياه الأرض تعذب ما جرت ويفسدها فوق الصعيد ركودها
ومن رام في سوق المعالي تجارة فليس سوى بيض المساعي تقودها

سوء المنقلب (*)

بغداد^(١) حسبك رقدة وسبات أو ما تمضك هذه النكبات^(٢)
ولعت بك الأحداث حتى أصبحت أدواء خطبك ما هن أساة^(٣)
قلب الزمان إليك ظهر مجنّه أفكان عندك للزمان نرات^(٤)

(١) نزا : وثب . العتود : الجدى الذى استكرش ؛ أو هو مارعى . وقوى وأتى عليه حول ، يريد بذلك أنه إذا قام قائم منا بأمر تتابعه عيه من غير أن تعلم ما هو ولا أن ندرى أ كانت عاقبته شراً أو خيراً .

(٢) اثلة بفتح التاء : الجماعة الكثيرة من الغنم . وأما الثلة بضم التاء : فهي الجماعة من الناس . المأسدة : المكان الذى تكثر أو تربى فيه الأسود .

(٣) يذب : يدفع ومثله يذود .

(٤) أورى الزند : أخرج ناره . والزند : العود الذى يقتدح به النار والأسفل يقال له زنده .

(٥) ارتجست السماء : رعدت ، وارتجست البناء : رجف وتحرك حركة سمع لها صوت .

(*) من الجزء الأول .

(٦) السبات : النوم . تمضك : توجعك .

(٧) الأحداث : الزوازل . أدواء : جرداء . أساة : أطباء .

(٨) المجن : الترس ؛ وقلب له ظهر المجن : أى صارحه بالعداوة . نرات : عداوات ، وهى

جمع قرة .

ومن العجائب أن يحسك ضرره
إذ من ديانة وفقرات ووجلة
إن الحياة لفي ثلاثة أنهر
قد ضلّ أهلك رشدهم وهل أهتدى
قوم أضاعوا مجدهم وتفرّقوا
لقد استهانوا العيش حتى أهملوا
يا صابرين على الأمور تسومهم
لا تهملوا الضرر اليسير فإنه
قالنار تنهب من سقوط شرارة
لا تستقيموا للزمان توكلاً
فإلى متى تستهلكون حياتكم
تالله إن فعالكم بخلافه
أقترعون بأن ترك السعى في
إن صحّ نقاكم بذلك فبينوا
لم تلقَ عندكم الحياة كرامة
شقيت بكم لما شقيتم أرضكم
وجهتم النهج السوي إلى العلى

من حيث ينفع لو رعيت رعاة^(١)
أمت تحلّ بأهلك الكربات
تجري وأرضك حولن موات
قوم أجاهلهم هم السروات^(٢)
فتراهم جمعاً وهم أششتات
سعيًا مغبة تركه الإعانات^(٣)
خسفاً على حين الرجال أباة^(٤)
إن دام ضاقت دونه الفلوات^(٥)
والماء تجمع سبيله القطرات
فالدهر نزاء له وثبات^(٦)
فوضى وفيكم غفلة وأناة^(٧)
نزل الكتاب وجاءت الآيات^(٨)
هذى الحياة توكل وثقاة^(٩)
أو قام عندكم الدليل فهااتوا
في حالة فكأنكم أموات
فلها بكم ولكم بها غمرات^(١٠)
فترادفت منكم بها العثرات

(١) رعاة : جمع راع .

(٢) السروات : السادة والرؤساء .

(٣) المغبة : العاقبة . الاعنات : الاذلال والايقاع في الشدة وفي أمر يخاف منه .

(٤) سامه الخسف : أذله وأهانته . أباة : لا يرضون الضيم والاهانة .

(٥) الفلوات : الأراضي المذسعة .

(٦) نزاء : وثاب .

(٧) الأناة : الحلم .

(٨) الثقاة : الثقوى .

(٩) (١٠) الغمرات : الغنائم .

(٨) الفعّال بفتح الفاء : بمعنى الفاعل .

بالعلم تنتظم البلاد فإنه
إن البلاد إذا تحاذل أهلها
تلك الرصافة والمياه تحفها
سالت مياه الوادين جوارفا
فتهاجم الماءان من ضفتيهما
حتى إذا اتصل الفرات بدجلة
زحفت جيوش السيل حتى أصبحت
فسمت بيوت الكرخ شر مقيئ
واستنقعت فيها المياه فطحلت
حتى استحال الكرخ مشهداً أبؤس
طرقاته مسدودة ودياره
يا كرخ عز على المروءة أنه
فلئن أمانتك السيول فإنما
لرقى كل مدينة مرقاة
كانت منافعها هي الآفات
والكرخ قد ماجت به الأزمات^(١)
فطفحن والأسداد مؤتكلات^(٢)
فتناطحا وتوالت الهجمات^(٣)
وتساوت الوهّادات والرّبوات^(٤)
بالكرخ نازلة لها ضوضاء^(٥)
منها فقاءت أهلها الأبيات^(٦)
بالمكث ترغو تحتها الحمات^(٧)
تبكي به الفتيان والفتيات
مهدومة وعراضه قذرات^(٨)
لجج المياه عليك مزدهحات
أمواجهن عليك ملتطحات^(٩)

• • •

(١) الأزمات : الشدائد .

(٢) الأسداد : جمع سد . مؤتكلا : آكل بعضها بعضا .

(٣) ضفتيهما : جانبيهما . والضفة بتشديد الفاء وخففها الشاعر للضرورة وكان له مخلص من هذه الضرورة وذلك بأن يقول من ضفتيهما لأن الضفوين مثنى ضفا . والضفة والضفة بمعنى واحد .

(٤) الوهّادات : جمع وهدة وهي المنخفض من الأرض ؛ والرّبوات جمع ربوة وهي المرتفع منها .

(٥) الضوضاء : الحلبة وأصوات الناس .

(٦) شبه الماء الداخلى إلى البيوت بما يشربه الانسان من المقيئات ؛ فسكما يخرج الانسان مافى

جوفه بعد شرب المقيئ ؛ فكذلك البيوت أخرجت ما فيها من السكان بعد دخول الماء .

(٧) طعلبت : علاما الطعلب وهي خضيرة تلعوالماء الزمن . الحمات : جمع حاة وهي الطين الأسود ؛ أراد بها جثث الذين لم يستطيعوا الخروج من البيوت .

(٨) العراض : جمع عرصة ؛ ساحة الدار . وهي البقعة الواسعة بين الدور التي ليس فيها بناء .

(٩) يقول : إذا كانت السيول سبب موتك فإن أمواجها تنظم حزنا عليك .

من مبلغ المنصور عن بغداده
 أمست تناديه وتندب أربعاً
 وتقول : يا أبا الخلائف لو ترى
 لغدوت تذكرني وتخرج قائلاً
 أين البروج بغيرهن مَشِيدَة
 أين الجنان بحيث تجرى تحتها إل
 أترى أبو الأمناء يعلم بعده
 لا دجلة يا للرزية دجلة
 كان الفرات يمد دجلة مأوّه
 إذ بين دجلة والفرات مصانع
 يأنهر عيسى أين منك موارد
 ما ذا دهى نهر الرّفيل من البلى
 إذ قصر عيسى كان عند مصبه
 أم أين بركة زُلْزُل وزلاها السلطان تسرح حوله الطّبيّات^(٩)
 خبراً تقيض لثله العبرات^(١)
 طمست رسوم جلالها الهَبّوات^(٢)
 أركان مجدى وهى متهدّمت^(٣)
 بعمجب ما هذه التّخرّبات
 أين القصور علت بها الشّرفات
 أنهار يانعة بها الثّمرات
 بغداد كيف تروّعها النّكبات
 بعد الرشيد ولا الفرات فرات
 يجداول تُسقى بها الجنّات^(٤)
 تفتّر عن شنب بها السنوات^(٥)
 عذبت وأين رياضك الخَضِلات^(٦)
 حيث الجارى منه مندرسات^(٧)
 وعليه منه أطلّت العُرفات^(٨)

- (١) المنصور : هو المنصور بالله العباسى أبو جعفر ثانى خلفاء بنى العباس ؛ وهو أول من
 مصر بغداد وجعلها مدينة .
 (٢) أربع جمع ربيع وهو الدار . الرسوم : جمع رسم . وهو ما لصق بالأرض من آثار التّبار .
 الهَبّوات : جمع هبة وهى العبرة .
 (٣) يا أبا الخلائف : هو قدا : استنائة .
 (٤) الجداول : الأنهار الصغيرة .
 (٥) المراد بالشّرب هنا : الخصب . والرى والشّرب فى الأصل : هو الماء والرقّة والبرد والعذوبة
 فى الأسنان . ويقال أفتر الحبوب بمعنى ضحكك واقتر عن أسنان كالبرد .
 (٦) الخضلات : المروة .
 (٧) الرّفيل : نهر يصب فى دجلة ببغداد .
 (٨) قصر عيسى : هو قصر عظيم فى بغداد وكان مبنيّاً على شاطئ نهر الرّفيل عند مصبه فى
 دجلة وهو ينسب إلى عيسى بن على بن عبد الله بن عباس وهو أول قصر بناء الهاشميون فى أيام
 المنصور فى بغداد وإلى عيسى هذا ينسب نهر عيسى فى بغداد .
 (٩) بركة زلزل : بركة فى بغداد كان قد بناها رجل يقال له زلزل وكان مشهوراً بضرب
 العود حتى ضرب به النّمل ؛ وكان فى أيام المهدي والهادي والرشيد .

يا نهر طابق لا عدمتك منبلاً
أم أين كرخايا تمدّ مياهه
أم أين نهر الملك حين تسلسلت
قد كان تزدرع الحبوب بأرضه
أم أين نهر بطاطيا تأتيه من
وله فروع أصلين لشارع الـ
تنمو الزروع بسقيه فغلاله
لحقى على نهر المعلى إذ غدت
نهر هو الفردوس تدخل منه في
كالسيف منصلتا تضاحك وجهه الـ
إذ نهر بين عند كلواذى به
ويقربه من نهر بوق دارة
يا قصر باب التبر كنت مقرّاً
أين الصّراة تحفّها الروضات^(١)
نهر الدجاج فتكثر الغلات^(٢)
فيه المياه وهنّ مطرّات^(٣)
قتسحّ فيه بفيضها البركات^(٤)
نهر الدجيل مياهه الحجراة^(٥)
كبش الحجارى منه منتهيات
كل العراق ببعضها يقتات
لا تستبين جناؤه النضرات^(٦)
قصر الخلافة شعبة وقناة
أنوار وهى عليه ملتزمات^(٧)
ملى العصور تهزّها النسيات^(٨)
تنفى الهموم مروجها الخضرات^(٩)
والنقى يصدر منك والإثبات^(١٠)

(١) نهر طابق : فى بغداد يصب فى نهر عيسى . الصّراة : نهر على فرسخ من بغداد يأخذ من نهر عيسى .

(٢) كرخايا : نهر كان ببغداد يأخذ من نهر عيسى . نهر الدجاج : نهر ببغداد كان يأخذ من كرخايا قرب الكرخ من الجانب الغربى .

(٣) نهر الملك : هو نهر ببغداد بعد نهر عيسى . (٤) نسح : تسبل .
(٥) نهر بطاطيا : نهر يحمل من دجيل ؛ ودجيل نهر يخرج من أعلى بغداد ؛ أو هو شعبة من دجلة .

(٦) نهر المعلى : نهر فى بغداد ينسب إلى المعلى بن طريف مولى المهدي ؛ وكان من كبار قواد الرشيد وقد جمع له من الأعمال ما لم يجمع لكبير وقدولى المعلى البصرة وفارس والأهواز البصرة والبحرين . ويسمى هذا النهر أيضاً نهر الفردوس ؛ وكان يجرى تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة العباسية .

(٧) منصلتا : مجردا .

(٨) نهر بين : نهر بالعراق . كلواذى : قرية قرب بغداد . ملد : جمع أملد وغصن أملد : النعم

(٩) نهر بوق : نهر فى سواد بغداد .

(١٠) دله باب التبر بالنون : وهى محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق .

أيام تطلعك العدالة شمسها وترِف فوقك للهدى رايات
أيام تبصرك الحضارة فى العلى بدرا عليك من الثنا هالات^(١)
أيام تذكرك العلوم نشيدها فتعود منك على العلوم صلات^(٢)
أيام تقصدك الأفاضل بالرجا فتقبض منك لهم جدا وهبات^(٣)
أيام يأتيك الشكى بأمره فيروخ عنك وما لديه شكاة
تمضى الشهور عليك وهى أنيسة وتمرّ باسمه بك الساعات
ماذا دهاك من الهوان فأصبحت آثار عزك وهى منطمسات
قد ضيّعت بغداد سابق عزّها وغدت تجيش بصدرها الحسرات^(٤)
كم قد سقاها السيل من أنهارها ضرّاً وهنّ منافع وحياة
واليوم قلت بجانبها أرخوا دفع السيول فهاجت الأزّمات

العادات قاهرات(*)

كلّ ابن آدم مقهورٌ بعادات لهنّ ينقاد فى كل الإرادات
يجرى عليهنّ فيما يبتغيه ولا ينفكّ عنهنّ حتى فى الملمات
قد يستلذ الفتى ما اعتاد من ضرر حتى يرى فى تعاطيه المسرات
عادات كل امرئ تأبى عليه بأن تكون حاجاته إلا كثيرات
أنى لفى أسر حاجاتى ومن عجب تعوّدى ما به تزداد حاجاتى
كل الحياة افتقار لا يفارقها حتى تنال غناها بالمنيات^(٥)
لو لم تكن هذه العادات قاهرة لما أسيغت بحال بنت حانات^(٦)

(١) هالات : جمع هالة ، وهى الدارة التى تحيط بالقمعر .

(٢) صلات : عطايا .

(٤) الجدا : العطية .

(*) من الجزء الأول .

(٥) المنيات : جمع منية وهى الموت .

(٦) بنت الحان : هى الخمر .

ولا رأيت سكرات يدخنها قوم بوقت انفراد واجتماعات
إن الدخان لثان في البلاء إذا ما عُدَّت الخمر أولى في البليات

* * *

وربَّ بيضاء قيد الأصبع احترقت . في الكف وهي احتراق في الحشاشات^(١)
إن مرَّ بين شفاه القوم أسودُ ألـقى اصفراراً على بيض الثنيات^(٢)
وليتها كان هذا الحظ شاربها بل قد تفت بكفيه المرات
عوائد عمت الدنيا مصائبها وإنما أنا في تلك المصبات
إن كلفتني السكارى شرب خمرتهم شربت لكن دخانا من سكراتي
واخترت أهون شر بالدخان وإن أحرقت ثوبي منه بالشرارات
وقلت يا قوم تكفيكم مشاركتي إياكم في التذاذ بالمضرات
إني لأمتصُّ جراً نفَّ في ورق إذ تشربون لهيباً ملء كاسات
كلاهما حُقق يفتر عن ضرر يسَّم من دمنا تلك الكريات
حسبي من الحُقق المعتاد أهونه إن كان لابد من هذى الحماقات
يا من يدخن مثلي كل آونة لمنى أملك ولا ترض اعتذاراتي
إن العوائد كالأغالل تجمعنا على قلوب لنا منهنَّ أشتات
مقيدين بها نمشي على حذر من العيون فتأتى بالمداجاة^(٣)
قد تُنكر الفعل لم تألفه عادتنا وإن علمنا من بعض المباحات
وربَّ شعاء من عادتنا حسدت في زعمها وهي من أجل الشتاعات

• • •

(١) أراد بالبيضاء : اللقانة من التبغ . وقيد الأصبع أى مقداره . الحشاشات : جمع حشاشة وهي بقية الروح في المريض والجريح ، أو هي رمق من حياة النفس .
(٢) الشفاه : جمع شفة . الثنيات والثايا : هي أربع أسنان في مقدم الفم اثنتان من فوق واثنتان من أسفل ، ومفرداتها ثنية .
(٣) المداجاة : الخدعة والرياء .

عناكب الجهل كم أَلْقَتْ بأدمغة
فخرّموا وأحاطوا حسب عادتهم
حتى تراهم يرون العلم منقصةً
وحجّبوهنَّ خوف العار ليتهم
لم تحصّ سيئة العادات مقدّرتي
فكم لها بدعٌ سودٌ قد اصطدّمت
لو لم يكُ الدهرُ سوقاً راج باطلها
ولا استمرَّ دخان التبغ منتشراً
لو استطعت جعلتُ التبغ محتكراً
وزدتُ أضعافاً أضعافٍ ضريبته
فيستريح فقير القوم منه ولا

من الأنام نسيجاً من خرافات^(١)
وشوّها وجه أحكام الديانات
عند النساء وإن كنَّ العقيقات
خافوا عليهنَّ من عار الجهالات
مهما تفنّنتُ منها في عباراتي
في الناس منهنَّ آفات بآفات
ماراجت الخمر في سوق التجارات
بين الوري وهو مطلوب كأقوات
فوق احتقارٍ له أضعاف مرات
حتى يبيعوه قيراطا ببدرات^(٢)
يبلى به غيرُ مئردى سفاهات

• • •

الحُرُّ من خرق العادات منتهجاً
ومن إذا خذل الناس الحقيقة عن
ولم يخف في اتباع الحق لأئمة
وعامل الناس بالأنصاف مدرعاً
أغنى البرية أرفاهم لعادته

نهج الصواب ولو ضدّ الجماعات
جهل أقام لها في الناس رايات
ولو أتته بمدّ المشرفيات^(٣)
ثوب الأخوة من نسج المساواة
وأعقل الناس خرقاً لعادات^(٤)

(١) العناكب : جمع عنكبوت ، وهي دودية تنسج من لعابها خيوط في الهواء وعلى رأس
البئر تصيد بها طامها وتبني لنفسها بيتاً محكمًا في الأرض ونعرف بالرنّيل وهي نوعها منها وهي مؤنثة
وذكرها يقال له العنكب ويجمع العنكب على عناكب وعناكب وتجمع العنكبوت على عناكب
وعنكبوتات .

(٢) البدرات : جمع بدرة ، وهي عشرة آلاف درهم .

(٣) المشرفيات : السيوف .

(٤) أغنى : اسم تفضيل من الغاوة . أرفاهم : اسم تفضيل من قولهم رفاً الثوب : أي أصلح
خروقه وضمها إلى بعضها . يقول إن أجهل الناس من يدفع من عادته التي اعتادها ولو كانت
فاسدة وأعقلهم من لا يعبأ بالعادات ، بل يعمل على إلزائها وتغيير الناس من شروها .

بعد الدستور (*)

سقوط كامل باشا

سقتنا المعالي من سلاقتها صرفا وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفا^(١)
وزقت لنا الدستور أحرار جيشنا فأهلاً بما زقت وشكراً لمن زفاً
فأصبح هذا الشعب للسيف شاكراً وقد كان قبل اليوم لا يشكر السيفا
ورحنا نشاوى العزيمهتف بعضنا ببعض هتافاً يصعق الظلم والحيفا^(٢)
ولاحت لنا حريرة العيش عندما أماطت لنا الأحرار عن وجهها السجفا^(٣)
أنت عاطلا لا يعرف الحلّى جيدها ولا كحلت عينا ولا خضبت كفاً^(٤)
فجاءت بمطبوع من الحسن قدقضى على الشعر أن لا يستطيع له وصفا
فلم نرض غير العلم تاجاً لرأسها ولا غير شنف العدل في أذنّها شفا^(٥)
ولم نكسها إلا من العرف حنة وهل يكتسى الديباج من يكتسى العرفا^(٦)
نشرنا لها منّا لفيف اشتياقنا ونحن أناس نحسن النشر واللفا^(٧)
حللنا الحباً لما أتنا كرامة وقفنا على الأقدام صفا لها صفاً^(٨)

(*) من الجزء الأول .

(١) السلافة : أفضل الخمر ، وهو ما تحب وسال قبل العصر .

(٢) نشاوى : سكارى ، يصعق : يهلك . الحيف : الظلم .

(٣) أماطت : أزالّت ، السجف : السر .

(٤) عاطلا : أى لم يكن عليها حلّى ، جيدها : عنقها .

(٥) الشنف : هو ما يعلق في الأذن من الحلّى .

(٦) العرف : المعروف . الديباج : الثوب الذى سدها ولحمته حرير .

(٧) اللفيف : المجموع ؛ ويطلق على ما اجتمع من الناس من قبائل شتى ، واللف والنشر معروفان وفيهما تورية باللف والنشر عند علماء البلاغة .

(٨) الحيا : جمع حبة . وهى ما يحتج به الرجل من عمامة أو ثوب .

عقدنا لها عقد اللواء تعشقا
رفعتنا لواء النصر يهفو أمامها
فلم ترَ غير الرفق فينا سجية
ورحنا على صَرف الزمان لها حِلَقا^(١)
وإن كان بعض القوم أبدى لها عنفا

• • •

نحمل أعباء الصدارة كامل
طوى كشحه منها على غير لطفها
نحا أن يتم الدست فيها لحزبه
وقد فاتهُ أنا أولو ألمعية
وأنا نرى من قد تأبط شره
لنا فطنة ترمى الزمان بنورها
رمانا بشزر اللحظ مزور طرفة
فما نحن بعد اليوم مهما تنوعت
مددنا إلى كف الأخاء أكفنا
فطالب لنا منه العتاق وضمنا
أذلا وهذا العز صرح سابعنا
إذا نحن قننا مُحَنِّقِينَ رأيتنا
ونحن إذا ما الحرب أغنت جيانا
فناء به ما لم يخفَ وما خفا^(٢)
وأظهر من وجه الخداع بها اللطفا^(٣)
علينا وظنَّ الأمرَ فيما نحا يخفى^(٤)
بها نخطف الأسرار من قلبه خطفا^(٥)
بعينٍ تقدُّ الإبط أو تخلع الكتفا^(٦)
فيبدو حجاب الغيث منه وقد شفا^(٧)
فضحنا به أن غُضَّ يا كامل الطرفا^(٨)
عناصرنا من أمة تحمل الحسفا
نصالحه شوقا فمدَّ لنا الكفا
إليه فقبَلناه من عينه ألقا
علينا إذن فالعز أن ندرك الختفا^(٩)
ندك جبال الظلم تنسفها نسفا
قتالاً ركبنا الموت في حربنا حُرِّفا^(١٠)

- (١) يهفو : يتحقق . الحلف : الصديق يحلف لصاحبه أنه لا يقدر به .
(٢) فاء به : أنقله .
(٣) طوى كشحه عنها : أي : أعرض عنها
(٤) الدست : الحيلة والحديسة . ويطلق على ما يكون فيه القلب في الشطرنج .
(٥) أولو ألمعية : أصحاب ذكاء وفطنة .
(٦) تأبط شره : جعل الشر تحت أبطه . تقد : نشق .
(٧) شف الثوب : لم يحجب ما محته .
(٨) النظر الشزر : هو نظر الغضبان يؤخر العين . المزور : المنحرف المعرض .
(٩) سابقا : تالما . الختف : الموت .
(١٠) الطرف : الكريم من الخيل .

ترجع في صدر الوزارة كامل
وأُنحى عليها بالجفاء مشتتاً
لقد أغضب الدستور فعلاً ونيةً
قد استوضحوه الأمر والأمر واضح
ولم يطلب الإمهال إلا لأنه
كذلك من صاغ الكلام ملفقاً
ومن قال حقاً قاله عن بديهة
فيأيها « الصدر » الجديد اتعظ به
ويا مجلس النواب سِرْ غير عاثر
ودعْ عنك مذموم التجافي فإنما
ألم ترَ أرجاء البلاد محولةً
بلاد جفاها الأمن فهي مريضة
فإن لأهلها عليك لذمةً
وما أنت إلا أمة قد تقدمت
ولا تنسَ مغبرَّ العراق وأهله

فخطَّ من النقصان في وجهها حرفاً
نجاحاً بركניה الركينين ملتفاً
ومن أعلنوا الدستور والشعب والصحفا
فأعياء إيضاح الحقيقة فاستعفى
رأى عذره أن لم يُطْل سبكه زيفاً^(١)
تمهل حيناً يكثر الخطأ والخذفا
ويحتاج للتفكير من مَوَّه الخلفا^(٢)
فإياك أن تطغى وأن يثنى العطفا^(٣)
إلى المجد لا تلقى كلاً ولا ضعفا
لغير التجافي اختارك الشعب واستعفى
من العلم فاستمطر لها الدِّيم الوُطفَا^(٤)
فحقق لها من طبِّ رأيك أن تشفى
ومثلك من راعى الذمام ومن وفى
أماماً وقد خلت تقهرها خلفا
فإنَّ البلاء الجَمَّ من حوله احتفاً

(١) الزيف : المردود غير المقبول . في البيت إشارة إلى طلب مجلس الأمة الإيضاحات من كامل باشا عن أعماله ، فطلب الامهال ريثما يتمكن من ذلك ، فلم يمكنوه . فاستعفى .
(٢) الخلف : هو أن تعد عدة ولا تنجزها .
(٣) أراد بالصدر الجديد : حسين حلمي باشا . العطف : الجواب . رثى العطف : كناية عن الاعراض والجفاء .

(٤) محولة : مجذوبة لامرعى فيها ولا كلاً . الديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون ، بلا رعد ولا برق . الوطف : جمع وطفاء ، وهي السحابة المسترخية لكثرة ماؤها .

فدجلة أمست كالذجيل شحيحة وإن «الفرات» العذب أمسى مرتقا
 سل «الحلة» الفيحاء عنه فإنها نياويل قوم في العراق قد انطووا
 ولم يذكروا مجداً لهم كان ضاربا وكانوا به شمّ العرائن فاغتدوا
 يرجون من أهل القبور رجاءهم فلا أنبتت زرعاً ولا أشبعت ظلفاً^(١)
 به الماء يجفو أو به الماء قد جفا^(٢) حكت شهداء الطف إذ نزلوا الطفا^(٣)
 على الذل إذ أمست قلوبهم غلفاً^(٤) رواقاً على هام الكواكب قد أوفى^(٥)
 يقاسون أهوالاً به تجدع الأنفا^(٦) ومن يحمل الدبوس أو يضرب الدفا^(٧)

أيقاظ الرقود^(*)

إلى كم أنت تهتف بالنشيد وقد أعيك إيقاظ الرقود^(٨)
 فليست وإن شددت غرا القصيد بمجد في نشيدك أو مفيد
 لأنّ القوم في غي بعيد إذا أيقظم زادوا رقاداً وإن أنهضتهم قعدوا وثاداً

(١) الذجيل : شعبة من نهر دجلة . الظلف : المراد به ما كان له ظلف من الحيوانات كالبقرة والشاة والظبي ، والظلف لكل حيوان يحتر بمنزلة القدم أو الظفر للانسان ، وكالحافر للفرس ، وكالحف للبعير ، وقد يستعار الظلف للفرس وغيره ، كما استعمله الشاعر هنا .
 (٢) مرتقا : مكديرا غير صاف .

(٣) الحلة : قرية في طرف دجيل بغداد ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ . الطف : أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية ، وفيها قتل الحسين بن علي عليه السلام .

(٤) قلب أغلف : أي لا يعي ، كأنه حجب عن الفهم بغلاف ، وقلوب غلف .

(٥) الرواق : سقف في مقدم البيت . أوفى : أشرف .

(٦) العرائن : جمع عرين ، وهو الأنثى ، يقال : فلان أشم الأنثى : إذا كان ذا أنفة وكبر . تجدع : تقطع .

(٧) يشير بهذا البيت إلى قوم تركوا النصوص الشرعية القاضية بالسعى والاعتماد على النفس ، ولجئوا في طلب الخير والنصر إلى الأموات أو الدجالين الذين يحملون الدبابيس ، ويضربون الدفوف والمزاهر ، ادعاء أنهم من أهل البيت وخيرة رجالة ، وما هم إلا أهل لهو وبطالة .

(*) من الجزء الأول .

(٨) الرقود : النائمون .

فسبحان الذى خلق العبادا كأن القوم قد خلَقوا جَماداً
وهل يخلو الجِداد عن الجود

أطلت وكاد يعينى الكلام مَلاماً دون وقعته الخسام
فما انتبهوا ولا نفع الملام كأن القوم أطفال نيام
تهز من الجهالة فى مهود

إليك إليك يا بغداد عني فإني لست منك ولست مني
ولكني وإن كُبر التَّجَنِّي يعز علي يا بغداد أني (١)
أراك على شفا هول شديد (٢)

تتابع الخطوب عليك تترى وبذل منك حلوا العيش مرّاً (٣)
فهلّا تُنجِّين فتي أغراً أراك عَقَمْتَ لا تلدين حرّاً (٤)
وكنْتَ لثـمـه أركى ولود

أقام الجهلُ فيك له شهوداً وسامك بالهوان له السجوداً (٥)
متى تُبدِّين منك له ججوداً فهلّا عُدْتَ ذاكرةً عهوداً
بهن رَشَدْتَ أيام الرشيد

زمان نفوذ حكمك مُستمرُّ زمان سحاب فيضك مُستدرُّ (٦)
زمان العلم أنت له مقررُّ زمان بناء عزك مُشْمَخِرُّ (٧)
وبدرُ علاك فى سعد السعود

بَرَحْتَ الأوج ميلاً للحضيض وضِقتِ وكنْتَ ذاتَ عُلَى عَرِيض (٨)
وقد أصبحتِ فى جسم مريض وكنْتَ بأوجهٍ للعزِّ بيض
فصرتِ بأوجهٍ للذلِّ سود

(١) التجنى : الادعاء على شخص بذنب لم يفعله . (٢) الشفا : طرف كل شيء .
(٣) تنجيين فتي : تلدينه نجيباً . الأغر : الكريم الافعال الواضحة . وقوله وكنْتَ لثمه أركى
ولود : يشير به لما كانت عليه بغداد أيام عزها فى أوائل أيام بنى العباس .
(٤) سامك السجود : أجبرك عليه . (٥) مستدر : كثير هاطل .
(٦) مشمخر : مرتفع عال . (٧) الحضيض : أسفل الجبل .

ترقى العالمون وقد هبطنا وفى درك الهوان قد انحططنا
وعن سنن الحضارة قد شحطنا فقطنا يا بنى بغداداً قطناً^(١)
إلى كم نحن فى عيش الترودر
ألم نك قبلنا الأجداد تبني بناء للعلوم بكل فن
ماذا نحن . يا أسرى التأتى أخذنا بالتقهقر والتدنى^(٢)
وصيرنا عاجزين عن الصعود
كان زحل يشاهد ما نديننا لذاك أحر من حنق علينا
فقال موجهاً لوماً إلينا لو أنى مثلكم أمست هيناً^(٣)
إذن لنضوت جباب الوجود^(٤)
ركدتم فى الجمالة وهى تعشى وعشتم كالوحوش أخص عيش^(٥)
أما فيكم فتى للعز يمشى تبارك من أدار بنات نعش^(٦)
وصفدكم بأصفاد الركون^(٧)
حكيتم فى توقفكم جدياً فصيرتم كالسها شعباً خفياً^(٨)
ألا تجرون فى تخرى الثرى تؤم بدورها فاكاً قصياً^(٩)
فتبرز منه فى وضع جديد

* * *

حكومة شعبنا جارت وصارت علينا تستبد بما أشارت

-
- (١) شحطنا : بعدنا . قطنا : حسبنا وكافينا .
(٢) أسرى : جمع أسير .
(٣) هيناً : ذليلاً ضعيفاً .
(٤) نضوت : نزلت .
(٥) ركد الماء : سكن . تعشى : تسيء البصر وإراداتها تعى القلب .
(٦) بنات نعش قسبان : كبرى وصغرى ، وكل منهما سبعة كواكب ، أربعة نعش ، وثلاثة بنات .
(٧) صفدكم : قيدكم . الأصفاد : القيود .
(٨) الجدى : أحد البروج الاثني عشر . وأصله غير مصر . السها : نجم خفى تمتنع الأبدان برؤيته .
(٩) قصياً : بعيداً .

فلا أحدا دعته ولا استشارت وكل حكومة ظفمت وجارت
 فبشرها بتمزيق الحدود
 حكومتنا تميل لباخسيها مجانية طريق مؤسسيها^(١)
 فلا يغررك لين ملابسها فهم كالنار تحرق لاسيها
 وتحسن للنواظر من بعيد
 لقد غص « القصيم » بكل نذل وأمسى من تخاضهم بشغل^(٢)
 فريقا خطتي غي وجبل كلا الخصمين ليس له بأهل
 ولكن من لتنكيل المرید^(٣)
 إليهم أرسلت بغداد جندا إليهم لك فيه من عبث ويفدي
 لقصد ابن الرشيد أضاع قصدا فلا يابن الرشيد بلغت رشا
 ولا بلغ السعود ابن السعود^(٤)
 مشوا يتحركون بعزم ساكن ورثة حالهم تبكي الأماكن
 وقد تركوا الحلائل في المساكن جنود أرسلت للموت لكن^(٥)
 بفتك الجوع لا فتك الحديد
 قد التفعوا بأسمال بوال مشاة في الشهور وفي الجبال^(٦)
 يُجدون المسير بلا نعال بحال للنواظر غير حال^(٧)
 وزبي غير مازي الجنود

-
- (١) أراد بالباخسين : الذين يخذعونها ويفشونها لماربهم وملء جيوبهم .
 (٢) القصيم : اسم محل . (٣) المرید . بفتح الميم : هو الخبيث المتمرد الشرير .
 (٤) ابن الرشيد وابن السعود : أمير نجد . وقد أشار بذلك الى استنصار ابن الرشيد الدولة
 على ابن سعود . وتلبية الدولة في أيام السلطان عبدالحميد الخلويع . طلبه بتجهيز حملة من عساكرها
 تحت إدارة ابن الرشيد .
 (٥) الحلائل : جمع حلياة . وهي الزوجة والحلياة أيضا الجارة . ومن ، تقيم معك في دار واحدة .
 (٦) التفعوا : التحفوا . الأسمال : الثياب البالية .
 (٧) غير حال : غير معجب ولا مرض .

مشوا في منبج جهوده منبجاً يخبون الفلا فبجاً ففجاً^(١)
 إلى حيث السلامة لا ترجى فيا لئني على الشبان ترجى^(٢)
 على عبث إلى الموت المبيد^(٣)
 وكل من غداوا للبيت أمّا فودع أهله زوجاً وأمّا^(٤)
 وضمن ولیده بيدٍ وشماً بكى الولد الوحيد عليه لماً
 غدا يبكي على الولد الوحيد
 تقول له الحليّة وهو ماش رؤيداً لا برحت أخا انتعاش
 فبعدك من يحصل لي معاشي فقال ودمعه يادى الرشاش
 وكنتمكم إلى الربّ الودود
 عساكر قد قضاوا غريباً وجوعاً بحيث الأرض تبتلع الجموعاً^(٥)
 إلى أن صار أغنامهم ربوعاً لفرط الجوع مرتضياً قنوعاً
 بقدر لو أصاب من الجلود^(٦)
 هناك قضاوا وما فتحوا بلاداً هناك بأسرهم نفدوا نقاداً
 هناك بحيرة عديموا الرشاداً هناك لرؤعهم فقدوا الرقاداً
 هناك عروا هناك من البرود
 أناديهم ولي شجن منبج وأذكرهم فينبعث النشيج^(٧)
 ودمع محاجري بدم مزيج ألا يا هالكين لكم أجيح^(٨)
 ذكاً بحشائى محتدم الوقود^(٩)

(١) فجاً ففجاً : أى طريقاً فطريقاً . وأصل الفج : الطريق الواسع بين جبليين .

(٢) ترجى : تدفع . (٣) المبيد : المهلك .

(٤) أم : قصد . (٥) قضاوا : ماتوا .

(٦) القد ، بكسر القاف : هو القطعة من الجلد غير المدبوغ والنمل الذى لم يجرد من الشعر .

(٧) الشجن : الهم والحزن . النشيج : مصدر نشج الباكى ، بمعنى غص بالبكاء فى حلقه ، من

غير انتعاب .

(٩) ذكاً : اتقد . محتدم : مشتعل .

(٨) الأجيح : الاتهاب

سكنّا من جهالتنا بقاءً يحور بها المؤمن ما استطاعا
فكدنا أن نموت بها ارتياحاً وهبنا أمةً هلكت ضياعاً
تولّى أمرها عبدٌ الحميد

أيا حرّية الصّحف ارحمنا فإنّا لم نزل لك عاشقينا
متى تصلين كما تطلقينا عدينا في وصالك وامطئنا
فإنّا منك ننعى بالوعود

فأنت الروح تشفين الجروحا يخرج فقدك البلد الفسيحا^(١)
وليس لبلدة لم تحو روحاً وإن حوت القصور أو الصروحا
حياة تستفاد مستفيد^(٢)

أقول وليس بعض القول جدّاً لسلطان تجبر واستبدّاً
تعدى في الأمور وما استعدّاً ألا يأيها الملك الفدى
ومن لولاه لم تك في الوجود

أنهم عن أن توس الملك طرفاً أقم ما تشهى زمرًا وعزفاً
أطل نكر الرعية خال عرفاً سم البلدان مهما شئت خسفاً
وأرسل من تشاء إلى اللحد

فدتك الناس من ملك مطاع أين ما شئت من طرق ابتداع
ولا تخش الإله ولا تراعى فهل هذى البلاد سوى ضياع
ملكك أو العباد سوى عيب

نعم في قصورك غير دار أعاش الناس أم هم في بوار^(٣)
فإنك لن تطالب باعتذار وهب أن الممالك في دمار
أليس بناء « يلدز » بالمشيد

(١) يخرج : يضيق

(٢) حياة : مرفوع بليس ، لأنه اسمها ، وخبرها الجار والمجرور « البلدة » .

(٣) غير دار : غير عالم ، وهو مشتق من الدراية . البوار والدمار : بمعنى الإهلاك .

جميع ملوك هذى الأرض فلكُ وأنت البحر فيك ندَى وهلكُ
فأتى يبلغونَ وذاك إفاكُ لئن وهبوا النقودَ فأنت ملكُ (١)
وهوبُ للبلادِ وللنقودِ

الصديق المضاع (*)

علامَ حُرْمَنا منذُ حينٍ تلاقيا أفى سفرٍ قد كنتَ أمَ كنتَ لاهيا
عهدناك لا تلهو عن الخُلِّ ساعةً فكيف علينا قد أطلتَ التجافيا
ومالى أراكَ اليومَ وحدك جالسا بعيداً عن الخلانِ تأبى التدانيا
أنا بك خطبُ أم عراكَ تعشُّقُ فإنى أرى حُزْنا بوجهك باديا
وما بالُ عينيكَ اللتين أراهما تُديران لحظاً يحمل الحزنَ وانياً (٢)
وأى جوى قد عُدتَ أصفر فاقعاً به بعد أن قد كنتَ أحمر قانيا
تكلمُ فما هذا الوجومُ فإنى عهدتكَ غريداً بشعرك شاديا (٣)
تجلدُ تجلديا (سليمُ) ولا تكنُ بما ناب من صرْف الزمانِ مباليا
ولا تبتئسُ بالدهر إنَّ خطوبه سحابة صيفٍ لا تدوم ثوانيا

فقال ولم يملك بوادِر أدْمَعِ تناثرَ حتى خلتَهنَّ لآليا
لقد عَجبتنى يا أحمَدُ اليومَ بالأسى وذكَرتنى ما كنتَ بالأمس ناسيا
أتعجب من حزنى وتعلم أننى قريعُ تباريحٍ تُشيب النواصيا (٤)
لقد عشتُ فى الدنيا أسيفاً وليتنى ترحلتَ عنها لا على ولا ليا (٥)

(١) الافك : الكذب .

(*) من الجزء الأول

(٢) وانيا : فاترا ضعيفا .

(٣) الوجوم : السكوت على غيظ ، أو عن عجز عن الكلام .

(٤) القريع : الغالب فى المقارعة . التباريح : كلف المعيشة بعشقة ، وهو من الجوع التى لا واحد لها

(٥) أسيفاً : حزينا .

وقد كنت أشكو الكاشحين من العدى

فأصبحت من جور الأخلاء شاكياً^(١)

وما رحت أستشفى القلوب مداوياً من الحقد إلا عدت عنها كما هياً
وداريت حتى قيل لي متملقٌ وما كان من داء التلق دائياً
وحتى دعاني الحزم أن خل عنهم فإن صريح الرأي ألا تدارياً
وربّ أخ أوقرت قلبي بحبه فكنت على قلبي بحبه جانياً^(٢)
أراد انقيادى للهوان وما درى بأنى حرّ النفس صعب قيادياً
إذا ما سمأى جاد بالذل غيئها أبئت عليها أن تكون سمائياً
ألا فأبك لي يا أحمد اليوم رحمة ودغنى وشأنى والأسى وفؤادياً
فإن أحق الناس بالرحمة امرؤ أضاع وداداً عند من ليس واقياً
وما كان حظى وهوى الشعر ضاحكٌ ليظهر إلا فى سوى الشعر باكياً
ركبت محور الشعر رهوا وماجا وأقحمت منها كل هول يراعياً^(٣)
وسيرت سقنى فى طلاب فنونه وألقت فى غير المديح المراسياً
وقلت أعصني يا شعر فى المدح إننى

أرى الناس موئى تستحق المراثيا ولو رضيت نفسى بأمر يشينها
وكم قام ينعى حين أنشدت مادحا لى الندى ناع فأنشدت راثياً^(٤)
وكم بشرتني بالوفاء مقالةً فلما انتهت للفعل كانت مناعياً^(٥)

(١) الكاشح : العدو الباطن العداوة .

(٢) أوقرت : أنقأت .

(٣) الرهو : السير السهل . أقحمت يراعى : قذفته وأدخلته بشدة .

(٤) الناعى : من يعلن بوفاة الميت . والندى : الكرم . يقول : إذا أنشدت مادحا قام الناعى

يعنى إلى الكرم . أى يخبرنى بموته ، فأبدلت مدحى بالثناء .

(٥) المناعى : أخبار الموت ، مفردها منعى ومناعة .

فلما بكى أمسكتُ فضلَ ردائه وكفكتُ دمعاً فوقَ خَدَّيه جاريًا^(١)
وقلتُ له هوّن عليك فإنما تنوبُ دواهي الدهر من كان داهيًا^(٢)
وما ضرَّ إن أصفيتَ وُدَّكَ معشرا من الناس لم يَجْنُوا لك الودَّ صافياً
كفى مفخراً أن قد وفيتَ ولم يفُوا

فكنتَ الفتي الأعلى وكانوا الأدانيَا

لعلّ الذي أشجاك يُعقِب راحة فقد يشكر الإنسان ما كان شاكياً^(٣)
ألا ربَّ شرٍّ جرَّ خيراً ورَّماً يجرُّ تجافينا إلينا التصافياً
فلو أن ماء البحر لم يك مالخاً لرُحنا من الطوفان نشكو الغواديَا^(٤)
ولولا اختلاف الجذب والدفع لم تكن نجومٌ بأفلاكٍ لهنَّ جواريا^(٥)
وكيف نرى للكهرباءِ ظواهرًا إذا هي في الإثبات لم تلقَ نافيةً^(٦)
تموت القوى إن لم تكن في تباينٍ ويحيينَ ما دام التباين باقيةً^(٧)
فلا تعجبن من أننا في تنافرٍ ألم ترَ في الكون التنافر سارياً
وهبهم جفوك اليوم بخلا بودهم ألم تَعْن عنهم أن ملكت القوافيا^(٨)

(١) الفضل : الزيادة . وفضل الرداء : يريد به طرفه . كفكت : مسحت .

(٢) تنوب : نصيب . الداهي : العاقل ، وصاحب الرأي الجيد . يقول : إن المصائب لا نصيب إلا العقلاء .

(٣) أشجاك : أحزنك .

(٤) الغوادي : السحب الممطرة . وأصل معناه السحب التي تنشأ غدوة . يقول : إن الشمر ربما جلب خيراً ، فإن ماء البحر مالخ ، ولو كان حلوا لكثرة تبخره ، فكان من ذلك كثرة الأمطار التي تسبب الطوفان ، غير أن الجواهر الملبعة التي فيه تعين تبخره .

(٥) يقول : إن الاختلاف شر ، ولكنه قد يجلب خيراً ، كالاختلاف في الجذب والدفع لمتلاقين بالنجوم ، فانه سبب لربطهما بنظام مخصوص .

(٦) الكهرباء : قسمان : رانجية وزجاجية ، وتسمى الأولى موجبة ، والثانية سالبة أو نافية . ولا تظهر فواعلها إلا إذا لقيت السالبة الموجبة . فهو يقول : بالاختلاف تظهر الفائدة .

(٧) القوى الطبيعية إن اتحدت فلا فائدة منها ، فسكأنها غير موجودة . في تباينها . أي اختلافها .

(٨) ألم تنن : ألم تستغن .

فَطَرٌ فِي سَمَوَاتِ الْقَرِيضِ مُرَقَرًا
فَأَنْتَ امْرُوءٌ تُعْطَى الْقَوَافِي حَقًّا
يُجِيبُكَ عَفْوًا إِنْ أَمَرْتَ شَرَّوْدَهَا
وَأُطْلِعَ لَنَا فِيهَا النُّجُومَ الدَّرَارِيَا
فَتَبْدُو وَإِنْ أَرْخَصْتَهُنَّ غَوَالِيَا
وَتَأْتِيكَ طَوْعًا إِنْ دَعَوْتَ الْعَوَاصِيَا^(١)

* * *

فَقَالَ وَقَدْ أَلْقَى عَلَى الصَّدْرِ كَفَّهُ
لَقَدْ جِئْتَنِي بِالْقَوْلِ رَطْبًا وَيَابَسًا
فَإِنِّي وَإِنْ أَبْدَى لِي الْقَوْمَ جَفْوَةً
وَمَا أَنَا عَنْ قَوْمِي غَنِيًّا وَإِنْ أَكُنْ
إِذَا نَابَ قَوْمِي حَادِثُ الدَّهْرِ نَابِي
وَمَا يَنْفَعُ الشَّعْرُ الَّذِي أَنَا قَائِلُ
وَلَسْتُ عَلَى شَعْرَى أَرْوَمَ مَسْئُوبَةٍ
وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَصِيحَةً
وَلَيْسَ سَرَى الْقَوْمِ مَنْ كَانَ شَاعِرًا
فَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ التَّقَدُّمُ فِي الْعَلَى
وَأَبْلَى جَدِيدَ الْغَى مِنْهُمْ بِرُشْدِهِ
وَسَافِرَ عَنْهُمْ رَائِدًا خَصْبَ نَفْعِهِمْ
وَإِنْ أَفْسَدْتَهُمْ خَطَّةً قَامَ مُصْلِحًا
فَشَدَّ بِهَا قَلْبًا مِنْ التَّوَجُّدِ هَافِيَا^(٢)
فَدَاوَيْتَ سَهْمًا وَهَيَّجْتَ ثَانِيَا
أَمْنِي لَهُمْ مِمَّا أَحَبَّ الْأَمَانِيَا^(٣)
أَضُولُ فِي الْعَزِّ الْجِبَالِ الرُّوَسِيَا
وَإِنْ كُنْتَ عَنْهُمْ فَارَحَ الدَّارِ نَائِيَا^(٤)
إِذَا لَمْ أَكُنْ لِلْقَوْمِ فِي النِّفْعِ سَاعِيَا
وَلَكِنْ نَصَحَ الْقَوْمَ جُلُ مَرَامِيَا
تُنَشِّطُ كَسَلَانًا وَتُهَيِّضُ ثَاوِيَا
وَلَكِنْ سَرَى الْقَوْمِ مَنْ كَانَ هَادِيَا
وَمَنْ أَى طُرُقٍ يَنْتَفِعُونَ الْمَعَالِيَا
وَجَدَّ رَشْدًا عِنْدَهُمْ كَانَ بَالِيَا
يَسْقُ الطَّوَامِي أَوْ يَجُوبُ الْمَوَامِيَا^(٥)
وَإِنْ لَدَغْتَهُمْ فِتْنَةً قَامَ رَاقِيَا^(٦)

- (١) المَثَاقِيَةُ الشَّرُودُ : المَآثِرَةُ فِي الْبِلَادِ . (٢) الْوَجْدُ : الْغَضَبُ . هَافِيَا : مُضْطَرِبًا .
(٣) أَمْنِي : مُضَارِعٌ مِثْلُهُ ، بِمَعْنَى جَعَلَ لَهُ أَمْنِيَّةً ، وَالْأَمْنِيَّةُ هِيَ الْمُصَوِّرَةُ الْخَاصَّةُ فِي النَّفْسِ مِنْ تَعْنِي
النَّيِّمِ ، وَجَمْعُهَا الْأَمَانِي .
(٤) فَارَحَ الدَّارِ يَعْنِيهَا .
(٥) رَائِدًا : خَالِيًا . الطَّوَامِي : أَرَادَ بِهَا الْبَحَارَ . وَأَصْلُهَا : مَنْ طَمَأَ الْمَاءَ وَالْبَحْرَ ، أَيْ امْتَلَأَ .
يَجُوبُ : يَقْطَعُ . الْمَوَامِي : جَمْعُ مَوْمَاءَ ، وَهِيَ الْفَلَاةُ الَّتِي لَامَاءُ فِيهَا وَلَا أُنَيْسُ .
(٦) لَدَغْتَهُمْ : لَسَعْتَهُمْ . وَالرَّاقِي : هُوَ الَّذِي يَهْرَأُ وَيَنْفَثُ ، دَفْعًا لِأَذْيَةِ اللَّدَغِ .

بعد البين (*)

لقد طوّحتني في البلاد مُضاعَا
فبارحتُ أرضاً ما ملأتُ حقائبِي
عَتَبْتُ على بغدادَ عتبَ مُودِّعٍ
أضاعَتني الأيامُ فيها ولو دَرَّتْ
لقد أَرْضَعَتني كلَّ حَسْفٍ وإِنِّي
وما أنا بالجانِي عليها وَإِنَّمَا
وَأَعْلَتُ أَقْلَامِي بِهَا عَرِيَّةً
ولو كنتُ أَدْرِي أَنَهَا أَعْجَمِيَّةٌ
ولو شئتُ كَالَيْتُ الَّذِينَ أَنْطَوُوا بِهَا
ولكنْ هِيَ النَّفْسُ الَّتِي قَدَّأْتُ لَهَا
أَيَّيتُ عَلَيْهِمْ أَنْ أَكُونَ بِذَلَّةٍ
على أَنِّي دَارَيْتُ مَا شَاءَ حَقْدَهُمْ
وَأَشَقَى الْوَرَى نَفْساً وَأَضِيعَهُمْ نَهْيً
تَرَكْتُ مِنَ الشَّعْرِ الْمُدْمِجِ لِأَهْلِهِ
وَأَنْشَدْتُهُ يَجْزُو الْحَقِيقَةَ بِالنَّهْيِ

طَوَائِحُ جَاءَتْ بِالْخَطُوبِ تِبَاعاً^(١)
سِوَى حَبِّهَا عِنْدَ الْبَرَّاحِ مَقَاعاً^(٢)
أَمْضَتْهُ فِيهَا الْحَادِثَاتُ قِرَاعاً^(٣)
لَعَزَّ عَلَيْهَا أَنْ أَكُونَ مُضَاعَا
لَأَشْكُرَهَا أَنْ لَمْ تُنَمَّ رَضَاعَا
نَهَضْتُ خِصَامًا دُونَهَا وَدِرْقَاعَا
فَلَمْ تَبْدُ إِضْعَاءً لَهَا وَسَمَاعَا
تَحَذَّتْ بِهَا السِّيفُ الْجُرَّازُ يَرَاعَا^(٤)
عَلَى الْحِقْدِ صَاعاً بِالْعِدَاءِ فِصَاعَا
طِبَاعَ الْمَعَالَى أَنْ تَسُوءَ طِبَاعَا
وَتَأْبَى الضَّوَارِي أَنْ تَكُونَ ضِبَاعَا
فَلَمْ يُجِدْ نَفْعاً مَا أَتَيْتُ وَضَاعَا
لَيْبٌ بِدَارِي فِي نَهَاهِ رِعَاعَا^(٥)
وَنَزَّهْتُ شِعْرِي أَنْ يَكُونَ قِذَاعَا^(٦)
وَيَكْشِفَ عَنْ وَجْهِ الصَّوَابِ قِذَاعَا^(٧)

(*) من الجزء الأول .

(١) طوّحتني الطوائح : قذفتني القواذف .

(٢) الحِقَاب : جمع حَقِيبة ، وهى خريطة يحملها المسافر لئلا زاد ونحوه ، وهى تصلح أن تطابق على ما تسميه العامة اليوم : « شنطة » .

(٣) أَمْضَتْهُ : أوجعته . الْقِرَاع : مصدر قَارَعَ فلان فلاناً : إذا تضاربا بالسيف .

(٤) الْحَقْد : الدل والهوان . (٥) الْجُرَّاز : الناقط .

(٦) النَّهْي : العقل . الرِعَاع : سقط الناس وسقطتهم وغوغاؤهم ، مفردها رِعَاعَة .

(٧) قِذَاعَا : سفاهة ومشاعة .

وأرسلته عنواً فجاء كما ترى قوافي نجتاب البلاد سِراعاً^(١).

* * *

وقفتُ غداةَ البين في الكرخِ وقفةً لها كَرَبْتُ نفسي تطير شعاعاً^(٢)
أودّع أصحابي وهم مُحدِّقون بي وقد ضِقت بالبين المُثْت ذراعاً^(٣)
أودعهم في الكرخِ والطَّرْفُ مُرْسِلٌ إلى الجانبِ الشرقيِّ منه شعاعاً^(٤)
وأدعمُ رأسي بالأصابعِ مُطرقاً كَأَنَّ برأسي يا أُمِّمُ صُداً^(٥)
وكنت أظن البين سهلاً فمذُ أتى شَرَى البينُ مني ما أُرَاد وباعاً
وإني جَبَانٌ في فِرَاقِ أَحَبِّي وإن كنت في غير الفِرَاقِ شجاعاً
كأني وقد جدَّ الفِرَاقُ سفينةً أَشَالْتُ على الريحِ الهَجُومِ سِراعاً^(٦)
فمالتُ بها الأرواحُ والبحرُ مائجٌ وقد أوشكت ألواحها تَدَاعِي^(٧)
فتحسبني من هِزَّةٍ في أفدعاً تَرَقَّى هِضاباً زُلْزَلَتْ وتَلاها^(٨)
فما أنا إلا قَوْمَةٌ وانحناءٌ وسرٌّ أذاعته الدموعُ فذاعاً^(٩)
رعى الله قوماً بالرِّصافةِ كلَّما تَذَكَّرْتُهُم زاد القوادِ نِزاعاً^(١٠)
أبيتُ وما أقوى المَهمومِ بمضجعٍ تصارعني فيه المَهمومِ صِراعاً
وألهو بذِكْرائهم على السِيرِ كلما هَبَطْتُ وهاداً أو علوت يفاعاً^(١١)

(١) نجتاب : تقطع .

(٢) كربت : كادت . تطير شعاعاً : تتبدد وتتفرق من الحزن أو الخوف ونحوها .

(٣) البين المُثْت : البعد المفرق . ضاق بالأمر ذرعاً وذراعاً : أي ضعفت طاقته ، ولم يجد من

مكروهه مخلصاً . (٤) شعاعاً : مفعول مرسل .

(٥) أدعم : أسند . أميم : أصلها أميمة ، وهي تصغير أم ، وحذفت تاءها لأنها منادى مرخم .

(٦) أَشَالْتُ : رفعت . (٧) الأرواح : جمع ريح . تَدَاعَى : تنساقط .

(٨) الأفدع : الموج المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها ؛ وهذا أقرب معانيه إلى مقصد

الشاعر . المضطرب : أعالي الجبال . التلاح : جمع تلعة ، وهي التلعة المرتفعة من الأرض .

(٩) القومة والانحناء : المرة من القيام والانحناء . أذاعته ؟ أفشته .

(١٠) الرصافة : محلة في بغداد ، ينسب إليها صاحب الديوان .

(١١) الوهاد : الأماكن المنخفضة : اليعاق : المرتفع من الأرض .

هُمُ الْقَوْمُ أَمَّا الصَّبْرُ عَنْهُمْ فَقَدْ عَصَى
 لَقَدْ حَكَمُونِي فِي الْأُمُورِ فَلَمْ أَكُنْ
 فَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ أَنْ جَدَّ بَيْنَهُمْ
 سَالِمٌ عَلَى وَادِي السَّلَامِ وَإِنِّي
 لَهُ اللَّهُ مِنْ وَادٍ تَكَاسَلُ أَهْلُهُ
 رَأَهُمْ عَيْدًا فَلَسْتُ بَدَّ بِمَاءِهِ
 جَرَى شَاكِرًا صُنْعَ الطَّبِيعَةِ إِنَّهَا
 وَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ الْمَيَاةَ بِدَجَلَةٍ
 وَلَوْ أَنَّهَا تَسْقِي الْعِرَاقَ لَمَارَمَتْ
 وَمَا وَجَدَتْ رِيحًا وَإِنْ قَدِ تَنَافَحَتْ
 سَأَجْرِي عَلَيْهَا الدَّمْعَ غَيْرَ مُضَيِّعٍ
 وَأَذْكَرَ هَاتِيكَ الرَّبَاعَ بِحُسْنِهَا
 وَأَمَّا اشْتِيَاقِي نَحْوَهُمْ فَأَطَاعًا
 لِأَنْطِقِي إِلَّا أَمْرًا وَمُطَاعًا
 زَجَرْتُ كَلَابًا أَمْ قَحَحْتُ سِبَاعًا^(١)
 لِأَجْعَلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ وَدَاعًا
 فَبَاتُوا عِطَاشًا حَوْلَهُ وَجِياعًا
 وَلَمْ يَجْرُ بَيْنَ الْمُجْدِبَاتِ مُشَاعًا^(٢)
 أَبَانْتُ يَدًا فِي جَانِبِيهِ صَنَاعًا^(٣)
 وَإِنْ هِيَ تَجْرِي فِي الْعِرَاقِ ضِياعًا
 بِهِ الشَّمْسُ إِلَّا فِي الْجَنَانِ شُعَاعًا
 مَهَبًا بِهِ إِلَّا قُرَى وَضِياعًا^(٤)
 وَأَنْدُبُ قَاعًا مِنْ هُنَاكَ فَقَاعًا
 فَتَعَمْتُ عَلَى شَحْطِ الْمَرَارِ رِبَاعًا^(٥)

يقولون !

يَتَوَلَّوْنَ فِي الْإِسْلَامِ ظُلْمًا بِأَنَّهُ
 فَإِنْ كَانَ ذَا حَقٍّ فَكَيْفَ تَقَدَّمْتُ
 وَإِنْ كَانَ ذَنْبَ الْمُسْلِمِ الْيَوْمَ جَهْلُهُ
 هَلِ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا فَرِيضَةٌ
 يَصُدُّ ذَوِيهِ عَنْ طَرِيقِ التَّقَدُّمِ
 أَوَائِلُهُ فِي عَهْدِهَا الْمُتَقَدِّمِ
 فَمَاذَا عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ جَهْلٍ مُسْلِمٍ
 وَهَلِ أُمَّةٌ سَادَتْ بِغَيْرِ التَّعَلُّمِ^(٦)

- (١) بينهم : بعدهم . ففهم المفازة : دخلها وطواها غير مبال بها .
 (٢) المجدبات : الأراضي المقحطة . مشاعا . مشتركاً فيه غير مقسوم .
 (٣) يد صناع : ماهرة في الصنعة ، ورجل صنائع البيدين حاذق في الصنعة .
 (٤) تنافحت الرياح : هبت مرة صبا ومرة شمالاً ومرة جنوباً . مهبا : منصوب على التمييز
 لنسبة التناوح . قرى : مفعول ورجت .
 (٥) الرباع : جمع ربع ، وهي الدار . شحط : بعد .
 (٦) يقول : إن ذنب المسلم اليوم هو الجهل ، فالذنب ذنبه لا ذنب الإسلام ، لأن تعلم =

لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلی
وحلّت له الأيام عند قيامه
فأشرق نور العلم من حجراته
ودكّ حصون الجاهلية بالهدی
وأنشط بالعلم العزائم وابتنى
وأطلق أذهان الورى من قيودها
وفكّ إसार القوم حتى تحفّزوا
فخلّوا طريقاً للبداوة مجبّلاً
فدوّت بمستنّ العلی نهضاتهم
وعما قليل طبّق الأرض حكمهم
وقد حاکت الأفكار عند اصطدامها
ولاحت تباشير الحقائق فأنجحت

بصائر أقوام عن المجد نَوْم
حُبَّاهَا وَأَبْدَتْ مَنْظَرَ الْمَتَبَسِّمِ (١)
عَلَى وَجْهِ عَصْرِ بِالْجِهَالَةِ مَظْلَمِ (٢)
وَقَوَّضَ أَطْنَابَ الضَّلَالِ الْحَمِيمِ
لَأَهْلِيهِ مَجْدًا نَيْسَ بِالْمَتَهْدِمِ
فَطَارَتْ بِأَفْكَارٍ عَلَى الْمَجْدِ حَوْمِ (٣)
نَهَوْضًا إِلَى الْعُلِيَاءِ مِنْ كُلِّ مَجْمَمِ (٤)
وَسَارُوا بَنَهَجٍ لِلْحَضَارَةِ مَعْلَمِ (٥)
كَزَعَزَعَ رِيحٌ أَوْ كَتَيَّارٌ عَيْلِمِ (٦)
بِأَسْرَعٍ مِنْ رَفْعِ الْيَدَيْنِ إِلَى الْقَمِ (٧)
تَلَأَلَوْا بَرَقَ الْعَارِضِ الْمَتَهَزِّمِ
بِهَا عَنْ بَنَى الدُّنْيَا شَكُوكُ التَّوَهُّمِ (٨)

== العلم = الاسلام فرض والأهم لانسود إلا بتعلم العلم . وحاصل المعنى تأكيد تبرئة الاسلام بما عليه المسلمون اليوم من الجهل .

(١) قول حبّاهَا : جمع حبوة ، وهي ما يحتج به الرجل من عمامة أو ثوب ؛ وكانت العرب إذا قعدت في مجالسها تحتج بثيابها ، وذلك بأن يجمع الواحد منهم بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ليستند ، إذا لم يكن للعرب في البوادي جدران تستند إليها في مجالسها . وحلّ الحبَا : كناية عن القيام ، يقال حل الرجل حبوته إذا قام ، كما يقال عقد حبوته إذا قعد ؛ فعنى البيت هنا : أن الاسلام لما قام حاث له الأيام حبّاهَا ، أى قامت له تعظيما .

(٢) قوله من حجراته يفتحتين : أى من نواحيه ، جمع حجرة ، وهي الناحية .

(٣) قوله حوم : أى دياراته . وهو جمع حائم : من حام الطائرة على الماء ، إذا دار به .

(٤) قوله تحفّزوا : أى استوفزوا وتهبّئوا للقيام . والمجْمَم : محن الجشوم أى الاصق بالأرض عند القعود .

(٥) طريق مجبّله بفتح الميم : لا يمتدى فيه . ونهج معالم : فيه علامة يستدل بها .

(٦) دوت : سمع لها دوى ، أى صوت . ومستنّ العلى : طريقها الواضح . وقوله كزَعَزَعَ

ريح : أى كريح شديد المهبوب ترعزع الأشياء . والتيار : الموج . والعيلم : البحر .

(٧) طبق الأرض : أى غشاها وعمها بتطبيق أسرع من رفع اليد إلى القم : أى في مدة يسيرة .

(٨) التباشير : أوائل الصبح التي تبشر به ، وقد استمارها هنا للحقائق ، ففى الكلام استعارة بالسكنانية ، حيث شبه الحقائق بالصبح ، وحذف المشبه به ، وذكر المشبه ، وأثبت له ما يلائم المشبه به ، على طريق الاستعارة التخيلية .

وما ترك الإسلام للمرء ميزةً
فليس لثري نقصه حقٌّ مُعْدِمٌ
ولا فخرٌ للإنسان إلا بسعيه
وليس التقى في الدين مقصورةً على
واكبتها ترك القبيح وفعل ما
فتقوى الفتى مسعاه في طلب العلى
فهل مثل هذا الأمر يا لأولى النهى
وإن لم يكن هذا إلى الجحد سُلماً
ألا قل لمن جاروا علينا بحكمهم
فلا تنكروا شمس الحقيقة إنَّها
علوُّنا وكنتم سافلين فلم نسكن
ولم نترك الحسنى أو أن جدالكُم
فأما استدثار الدهر بالأمر نحوكم
فلا تأمنوا الأيام إنَّ صروفها
على مثله ممن لآدم يتنمى
ولا عربى بخسه فضل أعجم^(١)
ولا فضل إلا بالتقى والتكرم
صلاة مُصل أو على صوم صيم^(٢)
يؤدى من الحسنى إلى نيل مغنم
وما خُصَّت التقوى بترك الحرم
يكون عشاراً في طريق التقدّم^(٣)
فأى ارتقاء بعد أم أى سُلّم
رؤيداً فقد قارفتُم كل مأتم
لأظهر من هذا الحديث المرجم
لنبدى إليكم جفوة التبهكم
وتلك لعمرى شيمَةُ التحلم
كشفتُم لنا عن منظر متجهم
كما هى إذ أودت بعادٍ وجزمهم

(١) مائر : خبر ليس مقدم . ونقصه اسمها مؤخر . وهو مصدر مضاف إلى الضمير . من إضافة المصدر إلى فاعله . وحق معدم : مفعوله . وكذا القول في قوله : ولا عربى بخسه فضل أعجم .
(٢) التقى : جمع تقاة بمعنى التقوى . أراد بهذا البيت والبيتين اللذين بعده أن يبين أن التقوى لا تنحصر بمثل الصلاة والصوم من الأفعال التبعيدية . كما أنها لا تنحصر بترك المحرمات في الدين . فيكون منهاها سلبياً . بل هى تعم فعل كل حسن . وترك كل قبيح .
(٣) الام في قوله يا لأولى النهى : مفتوحة ، وهى لام الاستغاثة ، داخله على المستغاث به ، والمستغاث لأجله محذوف ، أى لهذا الأمر .

في سبيل الوطن

إلى إخواننا — المسيحيين

أما آن أن تُنسى من القوم أضغانُ
أما آن أن يُرمى التخاذل جانباً
عَلَامَ التعاды لاختلاف ديانةٍ
وما ضرَّ لو كان التعاون ديننا
إذا جمعنا وحدةً وطنيةً
إذا القومُ عنهم أمورٌ ثلاثة
فأئى اعتقاد مانع من أخوة
كتابان لم ينزلها الله ربنا
فن قام باسم الدين يدعو مفرقاً
أنشئ بأمر الدين وهو سعادة
ولكن جهل الجاهلين طحا بهم
فهاوما بتيه الأباطيل كالذى
فبئنى على أسِّ المؤاخاة بُنيانُ
فتكسب عزاً بالتناصر أوطانُ
وإنَّ التعاды فى الديانة عُدوانُ
فتعمر بلدان وتأمين قُطانُ
فإذا علينا أن تعدد أديان
لسان وأوطان وبالله إيمان
بها قال إنجيلٌ كما قال قرآن
على رسد إلا لیسعد إنسان
فدعواه فى أصل الديانة بهتانُ
إذن فاتَّبِع الدين يا قومُ خُسرانُ
إلى كل قول لم يؤيده برهانُ (١)
تخبَّطه من شدة المسّ شيطانُ (٢)

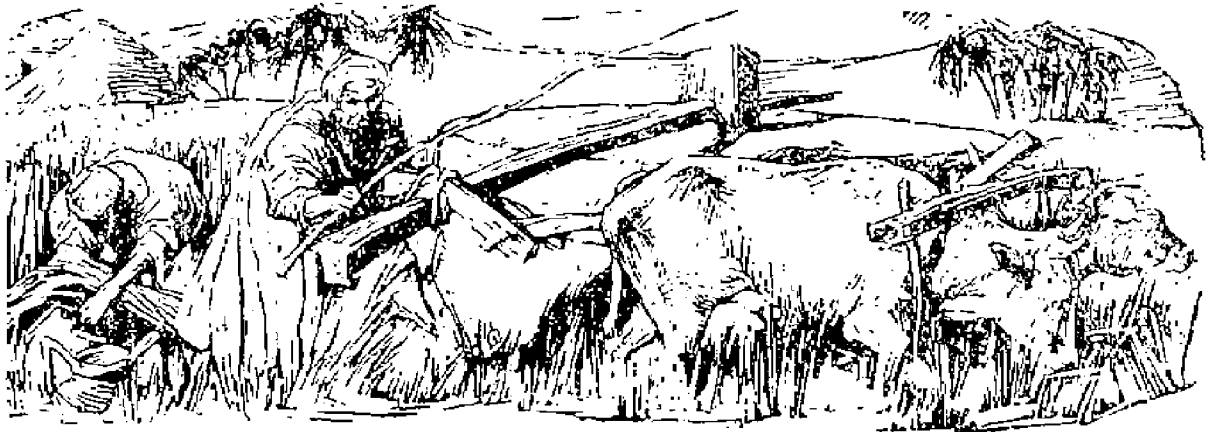
مواطنكم يا قوم أم كريمة
ففى حضنها مهد لكم ومبأة
تدر لكم منها مدى العمر ألبانُ (٣)
وفى قلبها عطف عليكم وتحنانُ (٤)

(١) طحا بهم : ذهب بهم ودفعهم .

(٢) أرض تيهاء : أى مضلة يضل فيها الطريق ، والإضافة فى قوله بتيه الأباطيل ، بيانية أى بتيه من الأباطيل ، أى هى الأباطيل .

(٣) تدر لكم : يقال در اللبن إذا غزر وكثر . ومدى العمر بفتح الميم : منتهاه وغايته ، وهو ظرف معاق بتدر .

(٤) المهد : هو الموضع يهيا للعبى ويوطأ . والمبأة : المنزل .



فما بالكم لا تحسنون وواجباً
أصبراً وقد أمسى العدو بيننا
أجل إنكم تأبى الحياة نفوسكم
ألستم من القوم الذين علاؤهم
نعمكم إلى المجد المؤثّل تغلب
فلا تنكروا عهد الإخاء وقد أتت
أجب أيها الذئب المسيحي مسلماً
فلا تحرماً الأوطان أن تتحالفوا
ألا فانهضوا نحو العدا وكلا كما
وقولا لمن قد لام صه ويك إننا

على الابن للآم الكريمة إحسان^(١)
أما فيكم شهم على الآم غير أن
إذا لم يكن فيها على المجد عنوان
تقاعس عنه الدهر وانحط كيوان^(٢)
كما قد نعمتكم للمكارم غسان^(٣)
تصافحكم فيه زرار وعدنان
صفالك منه اليوم سر وإعلان
يداً بيد حتى تؤكّد أيمان^(٤)
لصاحبه في المأزق الضنك معوان^(٥)
على كل حال في المواطن إخوان

* * *

فمن مبلغ الأعداء أن بلادنا مأسد لم يطرق ذراهن سرحان^(٦)

- (١) قوله وواجب : الواجالية ، وواجب مبتدأ ، وسوغ الابتداء به وقوعه بعد واو الحال ، أو عمله في الحار والمجرور بعده - وإحسان : خبره .
- (٢) تقاعس عنه الدهر : تأخر . وكيوان : اسم زحل بالفارسية ، معرب .
- (٢) تغلب وغسان : قبيلتان من نصارى العرب .
- (٤) قوله يدا بيد : حال ، أى متقابلين ، بوضع يدا في يدا .
- (٥) المأزق ، كجلب : موضع الحرب . والضنك : الضيق .
- (٦) مأسد : جمع مأسدة ، وهى المكان الذى تكثرفيه الأسود . والذرا ، بفتح الذال : فناء الدار ونواحيها - والسرحان ، بالكسر : الذئب .

وإنّا إذا ما الشر أبدى نيوبةً رددناه عنا بالطّي وهو خزّيان^(١)
سنستصرخ الأساد من كل مربض

فتمشي إلى الهيجاء شيب وشبان^(٢)
أسود وغى تأبى الحياة ذميمةً وتلبس بالعز الردى وهو أكفان
مقاهيم تصلى المععان مشيخة

إذا احتدمت في حومة الحرب نيران^(٣)
وتكسو العراء الرحب مسح عجاجة

يمجج بها السيف الردى وهو عريان^(٤)
سننهض للمجد الخلد نهضةً يقرّ بها حوران عينا ولبنان
وتعتزّ من أرض الشام دمشقها ومهتزّ من أرض العراقين بغداد
وتطرب في البيت المقدس صخرة وترتاح في البيت الحرام أركان
وتحسن للعرب الكرام عواقب فيحمدنها ممتّ ويشكر مطران
ولو أنصفتنا ساسة الغرب لاغدت

دمشق لها من ساسة الغرب أعوان
ورقت قلوب للعراق وأهله وأصغت إلى شكوى فلسطين آذان
ولكنهم رانت عليهم مطاعم فأمسوا وهم صم عن الحق عُميان^(٥)
لقد قيل إن الغرب ذو مدنية فقلت وهل معنى التمدن عدوان

(١) أبدى نيوبة : أى اشتد وتفاقم . والنيوت : جمع الب .
(٢) سنستصرخ الأساد : سنستصرها ونستهضها مستغيثين بها . والمربض : محل روض الأسد .
(٣) مقاهيم : جمع مقحام ، وهو الذى يخوض فجأة الشدائد ، أى معظماها ، والمراد بالمععان :
مععان الحرب ، وهو شدة حرها ، وتصلى المععان : تشغل فيه ، وتقاسى حره . ومشيخة : جادة
مانمة لا وراء ظهرها . واحتدمت : اضطربت ، واشتد حرها . وحومة الحرب : موضع القتال .
(٤) العراء : الفضاء . والمسح بالكسر : الكساء من شعر ، وإضافته إلى عجاجة بيانية ،
أى مسحاً من عجاجة .
(٥) رانت عليهم : غلبت عليهم .

وأى فخار كائن في تمدنٍ إذا لم يقيم في الغرب للعدل ميزان
إذا كانت الأخلاق غير شريفة فماذا عسى تجدى علوم وعرفان

• • •

بنفسى أفدى في العراق منابتاً يفوح بها شيعٌ ويعبق حوذان^(١)
رياضٌ رعتها النائبات بأذؤب من الجور فارتاعت ظباءً وغزلان^(٢)
لقد كان فيها الرند والبان زاهياً فأصبح لا رندٌ هناك ولا بان
وأصبح مرصوداً بها كل منهل عليه من الترنيق بالظلم تُعبان^(٣)
وظل ابنها عن كل حوض محلاً يحوم على سأساله وهو عطشان^(٤)
سأبكي عليها كلما هبت الصبا فالت بها من حول دجلة أغصان
ومن ذرفت آماقه الدمع لؤلؤاً ذرفت عليها أدمعى وهى مرجان^(٥)

بين تونس و بغداد

أنشئت في حفلة التأهيل والترحيب بالزعيم التونسي :
الأمين الكبير عبد العزيز الثعالبي ، عند قدومه
بغداد سنة ١٩٦٥ .

أتونسُ إن في بغداد قوماً ترِف قلوبهم لك بالوداد^(٦)
ويجمعهم وإياك انتسابٌ إلى من خص منطقتهم بضاد
ودين أوضحت للناس قبلاً نواصعُ آية سُبُل الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قُربى وإن قضت السياسة بالبعداد

(١) الشيخ : نبات طيب الرائحة ، وكذا الحوذان .

(٢) قوله : رعتها النائبات « من الرعاية : أى وليت أمرها وساستها بأذؤب .

(٣) مرصودا : مرقوبا . والترنيق : التكدير .

(٤) محلاً : أى مطرودا ممنوعا عن ورود الماء .

(٥) « ذرفت آماقه الدمع » : أسالته . ومعنى البت : من بكى عليها دمعاً بكبت عليها دماء .

(٦) ترف قلوبهم رفيقاً : تحفق وتضرب حباً .

وما ضَرَّ البِعَادَ إِذَا تَدَانَتْ أَوَاصِرُ من لسان واعتقاد
وإن المسلمين على التآخي وإن أغرى الأجانب بالتعادي

• • •

أَتُونِسَ إِنَّ مَجْدِكَ ذُو انْتَاءِ إِلَى عَلِيٍّ نَزَارٍ أَوْ إِيَادٍ^(١)
لَنَا بِشَعَالِيكَ خَيْرٌ مُلْقٍ عَلَى أَشْتَاتِنَا حَبْلَ اتِّحَادٍ
وَأَكْبَرُ حَامِلٍ يَبْدُ اعْتِرَازٍ حُبِّ بِلَادِهِ عِلْمَ اتِّفَادٍ
وَأَسْمَى مِنْ سَمَا أَدْبَا وَعِلْمًا وَأَفْصَحُ مِنْ تَكَلَّمَ عَنْ سَدَادٍ
دَعِ الْقَوْلَ الْمُرِيبَ وَقَائِلِيهِ وَبَلَّغْ عَنْهُ الْمُنَايِرَ وَالنُّوَادِي^(٢)
تَجِدُهُ خَطِيبَهَا فِي كُلِّ خَطْبٍ وَمِدْرَهَهَا لَدَى كُلِّ احْتِشَادٍ^(٣)
فَتَى صَرُحَتْ عَزَائِمُهُ وَجَلَّتْ عَنْ الرَّوْعَانِ فِي طَلَبِ الْمِرَادِ
تَغَرَّبَ ضَارِبًا فِي الْأَرْضِ يَبْغِي مَدَى مِنْ دُونِهِ خَرَطَ الْقِتَادِ^(٤)
فَأَوْغَلَ فِي الْمَغَاوِزِ وَالْمَوَاجِي وَطَوَّفَ فِي الْحَوَاضِرِ وَالْبُوَادِي^(٥)
وَكَانَ طَوَافُهُ شَرْقًا وَغَرْبًا لَغَيْرِ تَكْسِبٍ وَسِوَى ارْتِفَادٍ^(٦)
وَلَكِنْ سَاحٍ لَاسْتِنْهَاضِ قَوْمٍ حَكَّوْا بِمَجْمُودِهِمْ صِفَةَ الْجِمَادِ^(٧)
يَغَارُ عَلَى الْعُرُوبَةِ أَنْ يَرَاهَا مِنْ مَهْدَةِ الْمَصَالِحِ بِالْفُسَادِ

(١) يريد أن أهل تونس ترجع أنسابهم إلى العرب . نزار : ابن معد بن عدنان . وإياد : ابن نزار .

(٢) النوادي : جمع النادي ، وهو المكان يجتمع فيه القوم ويتحدثون .

(٣) الدرر : الحامى المدافع عن القوم .

(٤) خراط القتاد : قطع ورقة باليد ، بأن تقبض على أعلاه ، ثم تمر يدك على أسفله . والقتاد : نبت نرعاه الإبل ، فتسمن عليه . ويصعب خراط ورقه لكثرة شوكة وقوته .

(٥) أوغل في الشيء : أبعد فيه وأمعن . والمغاوز : جمع مغازة ، وهي الصحراء المهلكة والمواحي : جمع موماة ، وهي الصحراء أيضا .

(٦) الارتفاد : طلب الرشد ، وهو العطاء . يريد أنه لا يبقى من تطوافه كسب مال .

(٧) استنهاد القوم : بعثهم من مرقدهم ، وتحريكهم نحو طلب المجد .

فَتَنَّى سَارَ كَانَ لَهُ هَدِيرٌ يَهْرُ دَوِيَّهُ أَقْصَى الْبِلَادِ^(١)
وَكَمْ قَدْ قَامَ فِي نَادٍ خَطِيباً بِمُحْكَمَةِ الْمَقَاصِدِ وَالْمَبَادِي^(٢)
تُنِيرُ بِكِبَرِ بَائِي الْمَعَانِي أُمُوراً كَنْ كَالظَّلَمِ الدَّاءِي^(٣)
تَحُلُّ مِنَ الْقُلُوبِ إِذَا وَعَتْهَا مَحَلَّ الْحُبِّ مِنْ شَغَفِ الْفَوَادِ^(٤)
إِلَى أَنْ جَاءَ حَاضِرَةً نَمَاهَا أَبُو الْأَمْنَاءِ ذُو الشَّرَفِ التَّلَادِ^(٥)
فَكَانَ نَزُولُهُ فِي سَاكِنِيهَا نَزُولَ الْمَاءِ فِي الْمُهْجِ الصَّوَادِي
فِيَا عَبْدَ الْعَزِيزِ أَقِمْ عَزِيزاً بِحَيْثِ الْأَرْضِ طَيِّبَةُ الْمَرَادِ
يَحْيِيكَ الْعِرَاقُ بِرَافِدِيهِ تَحِيَّةَ مُخْلِصٍ لَكَ فِي الْوِدَادِ

في حفلة شوقي

أُمَارِسْ دَهْرًا مِنْ جَدِيدِي دَاهِرًا وَمَا زَالَ لَيْلِي بِالْعِرَاقِينَ سَاهِرًا^(٦)
أَبَى الْحَقُّ إِلَّا أَنْ أَقُومَ لِأَجَلِهِ عَلَى الدَّهْرِ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ ثَائِرًا^(٧)
وَأَنْ أُمَادِي فِي جِدَالِ خُصُومِهِ وَأَقْرَعَ مِنْهُمْ بِالْبَيَانِ الْمُكَابِرَا
وَإِنِّي لِأَهْوَى الْحَقَّ كَالطَّيِّبِ سَاطِعًا وَكَالْمَرْحِ هَبَّابًا وَكَالشَّمْسِ ظَاهِرَا
سَتَبْقَى لِنَفْسِي فِي هَوَاهِ سَرِيرَةً إِذَا الدَّهْرُ أَبْلَى مِنْ بَنِيهِ السَّرَائِرَا

- (١) هدير : أي صوت شديد كصوت الفحل الهايج ، والدوى ، بوزن غنى : الصوت الشديد كقصف المدافع ، وانفجار القذائف ونحو ذلك .
(٢) محكمة المقاصد : أي بخطبة مسددة الأغراض والمراي .
(٣) الداءى : جمع دأداً بالفتح ، أو دؤدؤ ، بالضم ، وهي آخر ليلة في الشهر . وأصله الداءىء بالهمز ، ثم خفف .
(٤) شغف الفؤاد وشغافه : هي الجلدة الرقيقة التي تحيط بالقلب .
(٥) التلاد والتلبد والتلد : الشيء الموروث من مال وشرف ونحوها . وهو ضد الطريف والطارف ، وهو المكتسب المستحدث من ذلك .
(٦) يريد أن أنه أرقه أمر مهم ، وهو رغبته في الدفاع عن الحق ، وحبه لجِدَالِ خُصُومِهِ ومنكريه ، الذين يزخرفون الباطل وينصرونه .
(٧) الضمير في لأجله : يعود على الحق .

وتكره نفسى أن أكون مخادعاً لأدرك نفعاً أو لأدفع ضائراً
ومن أجل مقى للمخائيل أنكرت يدى أن تُحلى فى الجنان أساوراً
وما العجز إلا أن أكون مكاتماً إذا ما تقاضتنى العلى أن أجاهراً^(١)
وما أنا ممن يُبهم القول لاحقاً فيضمّر فيه للجلس الضمائراً
ولولا طموحى فى الحياة إلى العلى
سكنتُ البوادر واجتنبت الخواضر

* * *

يقولون لى فى مصرَ للعلم نهضة^١ تفتق أذهاننا وتجلو بصائرنا
وإن بها للعلم قدراً وحرمة^٢ وإن بها للحقّ عوناً وناصراً
وإن لأهل العلم فيها نوادياً وإن لأهل الفضل فيها دساكراً^(٣)
ألم تر أن القوم فى كل محفلٍ بها رفعوا للقائلين المنايرا
وقد ضربوا وعداً لتكريم شاعر تملك صيتنا فى الأقاليم طائراً
هو الشاعر الفحل الذى راح شعره
بإنشاده فى البر والبحر سائراً
فلو قلتَ بعضَ الشعر فى يوم حفلهم^٤
تشدُّ به مناً لمصرَ الأواصر

قلتُ أجَلُ والشعر ليس بمعجزى
ولن تعدّوا منى على الشعر قادراً
ألا إن شوقى شاعر جدّ شاعرٍ يفوق الأوالى بل يبرز الأواخر^(٣)
تملك حرَّ الشعر فهو رقيقه وقام عليه بالذى شاء أمر^(٤)

(١) تقاضتنى : طالبتنى . يقال : تقاضيته الدين : طالته بأدائه .
(٢) الدساكر : جمع دسكرة ، ومن معانيها بناء كالقصر حوله بيوت ومنازل للخدم ؛ والمراد أن للعناء وأهل الفضل منندبات وبجائمه مجتمعون فيها .
(٣) الأوالى : جمع أول ، وأصله أوائل ثم قلب . وعم ضد الأواخر ، جمع آخر ، بكسر الخاء .
(٤) يريد أن شوقى تملك رقاب المعانى ، وحر الشعر : خالصة من الميؤب ، وفى الرقيق تورية .

إذا رام جزلاً منه أنشد زاحرا وإن رام سهلاً منه أنشد ساحرا^(١)
فلا عجبٌ من أهل مصر وغيرهم إذا عقدوا منهم عليه الخناصر
بنى لهم مجدا رفيعا بشعره لذا جعلوا حسن الثناء وكائرا^(٢)

* * *

ولكننى قد أنظرُ الحفلةَ التي تقام له ذا اليوم في مصرَ ساخرا
إذا احتفلت مصرُ بشوقٍ فما لها تقيم على الأحرار في العلم حاجرا
فقد أسمعنا ضجةً أمطرت بها علياً وطه حاصباً متطائرا^(٣)
فما بال هذا عدّ في مصر مارقا وما بال هذا عدّ في مصر كافرا
إذا لم تك الأفكار في مصر حرة فليس لمصر أن تكرّم شاعرا
أيرقع قدرُ العلم ينطق ناظما ويوضع قدرُ العلم ينطق ناثرا
ويختصّ بالتبجيل من جاء منشدا ويقذف بالتجهيل من جاء فاكرا
ألا أن هذا الشعر ليس بطائلٍ إذا كان عما يبلغ العلم قاصرا
كما أن هذا العلم ليس بنافعٍ إذا لم تكن فيه النفوس حرائرا
وتكرّم ربّ الشعر ليس بمفخرٍ لمن كان عن حرّية الفكر جائرا
وإلا فعصر الجاهلية قبلنا له السبق في تكريم من كان شاعرا

(١) الجزل : القوى الفخم من الألفاظ ، ضد السهل .

(٢) الكائر : جمع وكبرة ، وأصله الطعام يعمل عند الفراغ من بنيان الوكر ، أو عند شرائه فيدعو إليه ، استعاره الشاعر هنا حفلة التكريم .

(٣) على : هو حضرة الحسيب النسيب والوزير الكبير الأستاذ علي عبد الرزاق صاحب كتاب الاسلام وأصول الحسب ، وقد حدثت عند تأليفه إياه ضجة مشهورة .

وطه : هو أستاذ الجيل ، وموجه الثقافة الأكبر ، الدكتور طه حسين أستاذ الأدب العربي بجامعة فؤاد الأولى ، ومن تأليفه التي أحدثت دويّا شديدا في العالم العربي كتاب « في الشعر الجاهلي » ، وله كتب أخرى كثيرة في الأدب والنقد ، ذات أثر بالغ في توجيه أدباء هذا الجيل .

الامة العربية

ماضيها و باقيا

هَمُّ الرِّجَالِ مَقِيسُهُ بِزَمَانِهَا وَسَعَادَةُ الْأَوْطَانِ فِي عُمُرَانِهَا ^(١)
وَأَسَاسُ عِمْرَانِ الْبِلَادِ تَعَاوُنٌ مُتَوَاصِلُ الْأَسْبَابِ مِنْ سُكَّانِهَا
وَتَعَاوُنُ الْأَقْوَامِ لَيْسَ بِحَاصِلٍ إِلَّا بِنُشْرِ الْعِلْمِ فِي أَوْطَانِهَا
وَالْعِلْمُ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِلَّا إِذَا أَجْرَتْ بِهَا الْأَعْمَالُ خَيْلَ رِهَانِهَا
إِنَّ التَّجَارِبَ لِلشُّيُوخِ وَإِنَّمَا أَمَلُ الْبِلَادِ يَكُونُ فِي شُبَّانِهَا ^(٢)
هَذِي لَدَى الْعَرَبِ الْكِرَامِ مَبَادِيءُ نَزَلَتْ بِهَا الْآيَاتُ فِي قُرْآنِهَا ^(٣)
وَالْعَرَبُ أَكْبَرُ أُمَّةٍ مَشْهُورَةٍ بَفَتْوحِهَا وَعُلُومِهَا وَبَيَانِهَا
كَمْ قَدْ أَقَامَتْ لِلْعُلُومِ مَدَارِسًا يَعِيَا ذَوُوا الْإِحْصَاءِ عَنْ حِسَابِهَا
وَبَنَتْ بِأَقْطَارِ الْبِلَادِ مَصَانِعًا تَحْجِرُ الْأَفْكَارَ فِي بُنْيَانِهَا
فَالْجَدُّ مَأْثُورٌ بِكُلِّ صِرَاحَةٍ عَنْ قَيْسِهَا أَبَدًا وَعَنْ قَحْطَانِهَا
طُبِعَتْ عَلَى حُبِّ الْعِلَاءِ فَسَعِيهَا لِلْمَكْرُمَاتِ يُعَدُّ مِنْ دَيْدَانِهَا ^(٤)
تَهَضَّتْ بِمَاضِي الدَّهْرِ تَهَضُّتِهَا خَضَعَتْ لَهَا الْأَفْلَاكُ فِي دَوْرَانِهَا
حَسَدَتْ عَوَاقِبُ أَمْرِهَا حَتَّى لَقَدْ بَهَرَتْ بِنِي الدُّنْيَا جَلَالَةُ شَانِهَا
فَهُمُ الْأَلَى فَتَحُوا الْبِلَادَ وَشَرُّوا رَايَاتٍ مَعْدَلَةٍ عَلَى قُطَّانِهَا
وَهُمُ الْأَلَى خَضَعَتْ لَهُمْ أُمُّ الْوَدَى مِنْ تَرْكِهَا طَرًّا إِلَى أَسْبَابِهَا

(١) معنى هذا البيت والآيات الثلاثة التي بعده : أن سعادة الأوطان بعمرانها ، وأن عمرانها بتعاون سكانها ، وتعاون سكانها لا يكون إلا بنشر العلم فيها ، وأن العلم لا ينفعها إلا إذا اقرن بالعمل .
(٢) أى أن الرأى للشيوخ الذين حكمتهم التجارب ، والشبان لهم العمل الذى به يتم أمل البلاد فى المستقبل .

(٣) قوله هذى : إشارة إلى القضايا المتقدمة فى الآيات السابقة .

(٤) الديدان بالفتح : النداب والعادة كالديدن .

والروم قد نزلت لهم عن ملكها والفرس عما شيد من إيوانها
يا أمة عاش البرية أعصراً في عدلها رغداً وفي إحسانها
ثم انقضت تلك العصور فجاءها زمن به انقادت إلى عبدانها
فنضت ملابس عزها وتثاقلت في النل راسفةً بقيد هوانها (١)

في إيلياء

إلى فاضليها النشاشيبي والسكاكيني

أرى الأيام ظامئةً وليست بغير دم الأنام تريد ربياً
ولو لم تنو حرباً ما تبدى بها شكل الأهلة خنجرياً (٢)
ودل على قلبها انقلاب لجرم الأرض حين غدا كرى (٣)
وأصلدت الحقيقة في الليالي فلمّا بقتدح زندا وورياً (٤)
نقضت يدي من أبناء دهر أهانوا الشهم واحترموا الزرياً (٥)
وقل حيائهم حتى رأينا ظنين القوم يتهم البرياً (٦)
وساد الجاهلون فلست أدري أعزى العلم أم أبكى الدرياً
لهم عين تراعى الشرّ يقظي وقلب ظل في عمه كرى
تقلدت السيوف رعاة معز وكانت قبل تحتمل الهرياً (٧)
فجرد منهم الرعديد عضباً وهز أخوال الجبانة سمهرياً (٨)

(١) نضت : خلعت ونزعت . وراسفة : أي ماشية مشى المقيد .

(٢) خنجرياً : مشبها للخنجر .

(٣) جرم الأرض : جسمها . والكرى والكروى : السندير المشبه للسكره .

(٤) أصلد : لم يور .

(٥) الزرى : ذو العيوب المحقر .

(٦) الظنين : المتهم الذي لا يوثق به .

(٧) الهرياء : العصي ، وهو جمع هرواء على غير قياس ، وهي العصا الغليظة .

(٨) جرد السيف : سله من غمده . والرعديد : الجبان المستطار الفؤاد . والعضب : السيف

القاطم . والسمهري : الرمح الصلب الشديد .

وكم تَرَبَّ تَجَسَّ نَلَأَعَادَى فَأَصْبَحَ مِنْ تَجَسُّهُ تَرِيًّا
وساعِ كان يَسْرَحُ بَنُؤَانِي فَأَمْعَى مِنْ سَعَايَةِ شَرِيًّا
وإنَّ لِسَلَةِ الدِّنْيَا لَتَلْبَا قَسِيًّا فِي السَّيَاسَةِ مَرَمِيًّا
قد اتَّخَذُوا الْحِمَامَ لَهُمْ لَسَانًا فَقَالُوا الْبُطْلَانُ وَاخْتَلَقُوا الْفَرِيًّا
وكيف تُسَلِّسُ مَمْلَكَةً جَدَل إِذَا مَا الْحُكْمُ أَصْبَحَ عَمَكِيًّا

• • •

ألا ما بَالُ دُمَى لَيْسَ بِرَقَا كَأَنَّ بِمَقْلَقِ عِرْقَا صَرِيًّا
إِذَا ذُكِرَ الْعِرَاقُ بَكَيتَ شَجْوَا بِدَمْعِ طَمٍّ سَالَهُ الْقَرِيًّا
وَلَا سِرْتُ فِي جَبَلٍ وَسَهْلٍ وَكَابَدْتُ السَّمَامَ وَالْعَرِيًّا
نَزَلْتُ يَابِلِيَا عَلَى حُكْرَامٍ وَخَيْمِ الْمَيْثِ عَادَ بِهِمْ مَرِيًّا
فَكَدْتُ بِقُرْبِهِمْ أَنْسَى بِلَادِي وَأَسْلُو الْطِفَّ ثَمَّةً وَالْقَرِيًّا
وَلَمْ أَرَ كَالنَّشَاطِيْبِيِّ تَذْبَا إِلَى السَّيَاءِ مَبْتَدِرًا جَرِيًّا
فَتَى سَعَتِ الْمَفَاخِرُ وَهِيَ عَطَشَى إِلَى آدَابِهِ فَأَصْبَحَ رِيًّا
تَجَدَّدَ فِي الْعِلَاءِ فَكَانَ يَدْعَا فَشَاشَ بِمَصْرِهِ رَجُلًا طَرِيًّا
وَأَحْرَزَ فِي الْوَرَى شَرَفًا رَفِيًّا وَضَيْتَا فِي الْمُلَى إِسْكَندَرِيَّا
وَلَمْ أَرَ سَيِّدًا كَأَبِي سَرِيٍّ وَلَا مِثْلَ ابْنِهِ وَلَدَا سَرِيَّا
هَما مُتَشَابِهَانِ فَمَبْقَرِيٍّ مِنَ الْآبَاءِ أَنْجَبَ عَبْرِيَّا
أَبٌ فِي الْمَجْدِ أَرْوَعُ أَحْوَزِيٍّ نَمَى لِلْمَجْدِ أَرْوَعُ أَحْوَزِيًّا^(١)
إِلَى الشَّهْمِ السَّكَائِيْنِ أَهْدَى ثَنَاءً لَا يَزَالُ بِهِ حَرِيًّا
فَتَى غَرَسَ الْمَكَارِمَ ثُمَّ مِنْهَا جَنَى ثَمَرَ الْعُلَى غَضًا طَرِيًّا
يَعْفُ مَعَاشَهُ إِلَّا شَرِيفًا وَيَأْبَى الْمَجْدَ إِلَّا جَوْهَرِيًّا

(١) الأحوزي : الجاد في أمره ، والمحسن الباقية للأور . قالت عائشة في عمر : كان واقف أحوزيا ليسج وحده . وروى بالمثل أيضا ، وهو قريب من الأحوزي ، وهو السائق الخفيف .

تجاه الرياحاني

شكواى الخاصة

لهذا اليوم فى التاريخ ذكرٌ به الآناف يقغمهن طيبٌ
ويحسن فى المسامع منه صوت له تهتز بالطرب القلوب
ففى ذا اليوم نحن قد احتفينا بريحانيّنا وهو الأديب
فتى كثرت مناقبه فأضحى له فى كل مكربة نصيب
نجالس منه ذا خلق كريم له بجليسه أثرٌ عجيب
وأقسم لو يجالسه سفيهٌ فوفاً لاغتدى وهو الأريب^(١)
كذاك يكون زهرُ الروض لما تمرّ عليه ناسمة تطيب
ولم ينسب إلى الريحان إلا له قلمٌ به تحيا المعانى
وتشرق فى مماء الشعر منه كما طارت بشهرته شمالٌ
وطبق صيته الآفاق حتى تعرفه القبائل والشعوب
فديتك هل تُصيح فإن عندى شكاةً لا تُصيح لها الخطوب
إلى كم أستغيث ولا مغيث وأدعو من أراه فلا يجيب
أقمتُ بيّلةً ملئتُ حقوداً على فكل ما فيها مُريب
أمرٌ فتتظار الأبصار شزراً إلى كأنما قد مرّ ذيب
وكم من أوجه تُبدى ابتساماً وفى طيّ ابتسامتها قُطوب
سكنت الخان فى بلدى كأنى أخو سفر تقاذفه الدروب
وعشت معيشه الغرباء فيه لأنى اليوم فى وطنى غريب

(١) فوانا : أى قمر فوان ، وهو مدة ما بين الحلبتين .

وما هذا وإن آذى بدائي ولا هو أمره أمر عصيب
ولكنني أرى أبناء قومي يدبر أمرهم من لا يصيب
يقدم فيهم الشرير دفعا لشرته ويحتقر الأديب
فهذا الداء منتشِب بقلبي وفي قلب العلى منه وجيب
فكيف شفاؤه ومتى يرجى وأين دواؤه ومن الطيب
وإنك قد شكوت فاشكائي إلى ذي خلة شيء معيب
سأنصِب للهواجر حرَّ وجهي يعود إلى الشروق به الغروب
وأضرب في البلاد بغير مكث أجوب من المهامير ما أجوب
إلى أن أستظل بظل قوم حياة الحر عندهم تطيب
وإلا فالحياة أمر شيء وخير من مرارتها شُبوب

بني الأرض (*)

بني الأرض هل من سامع فبته حديث بصير بالحقيقة عالم^(١)
جئنا على حب الحياة وإمها مخيفة أحلام أطافت بحالم^(٢)
سعى الناس والأقدار محبوة لهم وناموا وما ليل الخطوب بناهم^(٣)
جرت سفن الأيام مشحونة بنا على بحر عيش بالردى متلاطم^(٤)

• • •

تأملت في الأحياء طرًا فلم أجد بهم باسمًا إلا على ألف واجم^(٥)
ورب سعيد واحد تمَّ سعده بألف شقي في المعيشة راغم^(٦)

(*) من الجزء الأول .

(١) به الحديث : أطلعه عليه .

(٢) الأحلام ، جمع حلم يضم الحاء ، وهو إيهاء المنام .

(٣) الخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر صغر أو عظم .

(٤) الردى : الهلاك .

(٥) الواجم : الساكن غيظا وغما .

(٦) راغم : كاره .

وما المرء إلا دَوَّحَةٌ في تنوِّفَةٍ مَلَوَّحَةٌ أَغْصَانُهَا بِالسَّامِ (١)
لَهَا وَرَقٌ قَدْ جَفَّ إِلَّا أَقْلَهُ وَعِيدَانِهَا بَيْنَ النَّيُوبِ الْعَوَاجِمِ (٢)
وَلَا يَدَّ أَنْ تُجْتَثَّ يَوْمًا جُذُورُهَا وَتَقَعَّيْهَا إِحْدَى الرِّيحِ الْمَوَاجِمِ (٣)

أَرَى الْعُمْرَ مَهْمَا ازْدَادَ يَزْدَادُ نَقْصُهُ إِذَنْ نَحْنُ فِي نَقْصٍ مِنَ الْعُمَرِ دَائِمٍ
وَلَوْلَا انْهِدَامُ فِي بِنَاءِ جِسْمِنَا لَمَا احْتِيجَ فِي تَعْمِيرِهَا لِلْمَطَاعِمِ
لَحَى اللَّهُ بِأَسَاءِ الْحَيَاةِ كَأَنَّا نَكْبَلُ مِنْ حَاجَاتِهَا بِالْأَدَامِ (٤)
نُروحُ كُلَّ نَعْدُو نَجَاهِدُ دُونَهَا أُمُورًا دَعَتْنَا لِارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ
فَلَوْ كُنْتُ فِي هَذَا الْوُجُودِ مَخْجَرًا وَفِي عَدَمِي لِاخْتَرَتِهِ غَيْرُ نَادِمٍ (٥)
هَلِ الْمَوْتُ إِلَّا سَالِكٌ وَحَيَاتُنَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ مُسْتَبِينِ الْمَعَالِمِ (٦)
وَمَا زَالَ هَذَا الدَّهْرُ غَضَبَانٍ آخِذًا عَلَى النَّاسِ مِنْ سَيْفِ الْمُنُونِ بَقَائِمٍ (٧)
تَبَصَّرَ تَجِدُ هَذِي الْبَسِيطَةَ مَنْزِلًا كَثِيرَ الْيَتَامَى عَامِرًا بِالْمَاتِمِ (٨)
وَالَيْسَ الَّذِي آتَى لَهُ فَقَدْ هَالَكَ وَلَكِنْ ضِيَاعُ الْمَفْجَعَاتِ الْكَرَائِمِ (٩)
أَرَامِلُ تَسْتَدْرِي الدَّمُوعَ وَحَوْلَهَا يَتَامَى كَأَفْرَاحِ الْقَطَا وَالْحَمَائِمِ (١٠)

- (١) الدوحة : الشجرة العظيمة . التنوِّفَة : المفازة والغلاة لأماء فيها ولأُنس .
(٢) النيوب : جمع ناب ، وهي السن التي خلف الرابعة . العواجم : الأسنان ، لأنها تعجم لما كُول .
(٣) تجتث : تهتلع . جذورها : أصولها . المواجهم : جمع هاجمة .
(٤) يقال لحى الشجرة : بمعنى قشرها ؛ ويستعمل الحى بمعنى الشتم والسب مجازاً كما هنا .
نكبل : نقيد . الأدام : القيود .
(٥) اخترته : أى اخترت العلم .
(٦) مستبين العالم : واضح الطرق .
(٧) المنون : الموت . وقائم السيف : مفيضه .
(٨) الماتم جمع ماتم : وهو كل يجتمع من رجال أو نساء في حزن أو فرح ؛ ثم قصر على يجمع النساء في المصائب .
(٩) آسى : أحزن . المفجعات : اسم مفعول من ألجمته المصيبة : بمعنى أوجعته . والكرائم : جمع كريمة : يقول : ليس ما أحزن عليه هو هالكاً قد فقدته ؛ ولكنى أحزن على نساء كرائم قد أوجعتهن المصائب .
(١٠) تستدري : تستنزل . القطا جمع قطاة ؛ وهي طائر في حجب الحمامة . الحائم : جمع حمامة .

وكائنٌ ترى مخدمته في جلالها

سعت حيث أبكاها الردى سعى خادم^(١)

فليت المنايا حين قوَّضن بيتها بدأن بها من قبل هدم الدعائم^(٢)

• • •

أرى الخير في الأحياء ومُضَّ سحابة

بدا خَلْبًا والشرَّ ضربةً لازم^(٣)

إذا ما رأينا واحداً قام بانيا هناك رأينا خلفه ألفَ هادم

وما جاء فيهم عادل يستميلهم إلى الحق إلا صدَّه ألف ظالم

جهلت كجهل الناس حكمة خالقٍ على الخلق طُراً بالتعاسة حاكم

وغاية جهدى أننى قد علمته حكيماً تعالى عن ركوب المظالم

• • •

دأبتُ لنفسي في الحياة كأننى من العيش ملقًى في شُدوق الضراغم^(٤)

يخاصمنى منها على غير طائلٍ أناس فابدى الصقح غير مخاصم^(٥)

وأقنع بالقوت الزهيد لطيبه حذار وقوعى في خبيث المطاعم

وأترك ما قد تشتهى النفس نيلاً لما تشتهيه قِلَّةٌ في دراهمي

وكم لى في بغداد من ذى عداوةٍ وما أنا في شيءٍ عليه مجارم^(٦)

إذا جئت بالقلب السليم يجيئني بقلب له من كثرة الحقد وارم

(١) كائن : بمعنى كم لكثير . (٢) قوَّضن : هدمن .

(٣) الومض : البرق الخفيف . البرق الخاب : هو الحُداغ الذى لامطر فيه .

(٤) شُدوق جمع شُدق : وهو قطعة القم من باطن الحدين . الضراغم : الأسود .

(٥) على غير طائل : على غير جدوى ولا فائدة .

(٦) جارم : مذنب .

الحمد للمعلم

(إلى المعلم نخلة زريق)

وليل به قد بئت أختلس الكرى
تمطى على الآكام منه بضييب
وكاد دُجَاهُ يَمُكِن الكَفَّ لَمُسُهُ
لقد بَسَّه وإلهم مُعْتَلِج به
يَقْلِبُنِي فِيهِ الْجَوَى وَتَهْزِي
أرى الزُّهْر فِيهِ يَضْطَرُّ بِكَ خَابِطٍ
كَأَنَّ نَجْمَ اللَّيْلِ غَضِبَ عَلَى الدُّجَى
إِلَى أَنْ بَدَأَ الصَّبْحُ يَحْكِي عَمُودَهُ
فَتَى كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ خُبْرَتُ فُضَاهِ
لَهُ خَلْقٌ بَادٍ إِبَاءً وَنُخْوَةٌ
تَرَى مِنْهُ إِنْ لَا يَنْتَهَ ذَا دِمَائِهِ
لَقَدْ عَلِمْتُ هَذِي الْمَدَارِسُ فَضْلُهُ
تَقَضَّتْ لَهُ فِيهَا ثَلَاثُونَ حِجَّةً
وَجَهَّزَ بِالْآدَابِ أَبْنَاءَ قَطْرِهِ
بِذَلِكَ أَحْيَا لِلْأَعَارِبِ لَهْجَةً
إِذَا اسْتَبِيهَتْ طُرُقُ الْفَصَاحَةِ مَارَهَا

بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْهَا تَهَرَّرَا
لَنَا الْيَوْمَ جَيْشٌ مِنْ تِلَامِيذِ عِلْمِهِ
بِهِ الْجَهْلُ وَلَّى مَدْبِرًا وَتَقَهَّرَا
هَمَّ الْجَيْشُ سَدُّوا ثَغْرَ كُلِّ جَهَالَةٍ
إِذِ اتَّخَذُوا فِي كُلِّ ثَغْرٍ مَعْسَكَرَا

له الفضل في تعليمهم أفصح ألفاً
وغير القوافي والكلام الحبراً
فكل فتى منهم أديب تقيمه
ليفتي درساً أو ليقرع منبراً
لك ابن زريق منة سرمدية
سيد كرها في دهره من تذكراً
إذا ما سمعنا ناطقاً بفصاحة
من الناس أثينا عليك تشكراً
كفى بالنسكا كفى في القدس شاهداً

بما لك من فضل عميم على انورى
فقد كان قبل اليوم تلميذك الذى
غدا اليوم أستاذاً كبيراً مفكراً

عرس مصر

قالها لى أقيم في مصر عرس الكريمة الحديو عند اقترانها بابن الدمام
فريد باشا : وكان ذلك في أثناء حرب البلقان الملعونة .

أطربتهم بلحنها الأنعام
حين أدمت قلوبنا الآلام
فأقاموا مجالس الأنس حتى
رقص العار بينهم والذام
أضحكوا أوجه السفاهة ضحكاً
قد بكت في خلاله الأحلام
إن في مصر الكريمة عرساً
سوف تفتى بشرحه الأقدام
أوقدوا فيه لمسرور سراجاً
عم من نوره البلاد ظلام
ذاك عرس تكسر اللؤلؤ فيه
عن نيوب كائن سبام
وتعنت تقوم فيه قيات
أنكر العهد صوتها والذمام
فلبعين الحليم فيه بكاء
ولنغر السفيه فيه ابتسام

أيها المؤمنون في مصر مهلاً
إن إيلامكم لفا إيلام
أتعنيكم القيان بيوم
قام في مآتم به الإسلام
ليست هذه البلاد حداداً
وتحات بوشيا الأهرام
وجرت أعين القرات دموعاً
وجرى النيل ثغره بسام

أشمتنا بالمسلمين وقد دا رت عليهم بنحسبها الأيام
إذ رمتهم يد الزمان بخطب جَلَل ما لنقضه إبرامُ
فهوت مصارع الحكم منهم جثت تملأ الفضاء وهامُ
وتحلوا عن البلاد وأبقوا حرّماتٍ تدوسها الأقدامُ

* * *

يا بني مصر صَغِيَّةٌ لسؤالٍ فيه عَتَبٌ لكم وفيه مَلَامُ
أَتَنَاطُ الْفَتْوُخُ فِي خِنَصِرِ الْكَفِّ ازديانا إِنْ قَطَّتِ الْإِبْهَامُ
أَدْمَاءُ الْقَتْلِ لَدَيْكُمْ خِضَابُ أَمْ أُنِينَ الْجَرْحَى لَكُمْ أَنْغَامُ
أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا كَقَوْمِ أَسْكُرْتَهُمْ بَيْنَ الْقُبُورِ مُدَامُ
أَمْ أَصْحَنُمْ إِلَى الْأَغَارِيدِ كَيْ لَا تَسْمَعُوا كَيْفَ تَنْجَبُ الْآيَتَامُ
لست أدري وقد سمعت بهذا يَقْظَةً مَا سَمِعْتَهُ أَمْ مَنَامُ

من مضحكات الدهر

سأبدى لدهري ناجذ المتضحك ولو كان يجري بالذى هو مهلكي
فما أنا راجٍ بعد ذا اليوم خيرهُ ولا خائفٌ من شره المتحرك
إذا الدهر لم يعتب من الناس جازعا فأضعُ لما فيه شكاية مُشْتَكِ (١)
على أن ضحكى منه لا عن سفاهة ولكن كضحك العف من مبهتك
ولو سبَر الناس الحوادث بالنهى لما حصلوا منها على غير مضحك
وما حادثات الدهر إلا خوابٌ كعشواء تمشي مشية المترهوك (٢)
وتنهض للإيقال في غير منهض وتبرك أحيانا على غير مبرك

(١) لم يعتب : مضى . أن أعيبه : إذا أعطاه العتبى وأرضاه ؛ أى أزال عتبه ؛ فلهزمة فيه للسلب في أشكاه : أى أزال شكايته .

(٢) العشواء : النانه التي لانصر أمامها . فبى تحبظ بديها كل شيء ؛ إذا مشيت لا تتوق شيئا . والمترهوك : المضطرب ؛ الذى تراه كأنه يهوج في مشيته .

وما حكم هذا الدهر إلا تحكم^(١) كحكم فصوص النرد في نقل مهرلك^(٢)
 كأننا من الدنيا بيت تقامر^(٣) حوى من سهام القمر كل مدملك^(٤)
 فمن قامر قد فاز باليسر قدحه وآخر مقمور بقدح التصلك^(٥)
 وما الحرف الآتى يُجيد احترافها سوى شبك منصوبة للتملك^(٦)
 وإن طيب القوم ناصب كفة^(٧) ليصطاد فيها بالدواء المصطك^(٨)
 ومن مصحكات الدهر حامل سُبحة تُقبل جهلاً كفة للتبرك^(٩)
 وآخر تركي تعرب وأدعى على عرَبِي هُجَنَة المترك^(١٠)
 وتحديث غرٍ مطرياً عدل دولة برايتها رسم الصليب المشبك^(١١)
 وما الناس إلا خادع أدرك المني وآخر مخدوع لها غير مدرك^(١٢)
 فلا تُبد من زير النساء تعجبا ولا تعتر بالزاهد المتنسك^(١٣)
 فما دارت الأفلاك إلا وقطبها بحكم الهوى حب الكعاب المفلك^(١٤)
 وإن أبصرت عينك يوماً حقيقة تخالف ما قد قلته فتشكك^(١٥)

(١) قوله : لا تحكم : أى بجائزة للعق في الحكم . والنر : شئ . يلعب به ؟ وأراد بفصوص النرد الكعاب التى يلعب بها . والمهرك : واحد المهارك ؟ وهى قطع مستديرة من خشب أو غيره يلعب بها فى النرد . وهو معروف « مهرة » بالفارسية . والمعنى أن حكم الدهر غير منطبق على المفعول ، وإنما هو تحكم كالحكم الناتج من رى الكعاب فى نقل المهارك فى النرد ، فان اللاعب لا ينقل المهارك كما يريد ، بل ينقلها حسبما تأتى به الفصوص عند رميها .

(٢) سهام القمر : قداحه التى يفارع بها فى القمار . والمدملك : من السهام الخلق ، أى السوى الممس . لا جعل أحكام الدهر فى البيت المتقدم كأحكام كعاب النرد ، ناسب أن يجعل الدنيا فى هذا البيت بيت مقامرة ، والناس فيها بين قامر ومقهور ، وأوضح ذلك بالآيات التالية .

(٣) الكفة : حباله الصائد التى يصيد بها الطباء ، وهى بضم الكاف ونسكس . والدواء لمصطك : الخيط بالمصطكى .

(٤) حاسل معنى البيت أن من المضحكات تركيا تعرب . فصار يعبر بالهجنة عربيا قد تترك . يصور بهذا البيت شدة اختلاط الناس فى هذا العصر ، واندماج بعضهم فى بعض . فسكتيرا ما ترى من يتعصب للعرب وهو تركي الأصل ، ومن يتعصب للترك وهو عربي الأصل .

(٥) زير النساء : الذى يحب محادثة النساء . ويكثر مغازلتهم .

(٦) الكعاب : كسحاب : الجارية الناهد . والمفلك بصيغة الفاعل . واللام مشددة : التى استدار تديها . يقال فلانك الجارية : استدار تديها وصار كفلانك المنزل .

فإنك لم يُنبئك مثلُ مُجَرَّبٍ خبير ولم ينصحك مثلُ مُحَنِّكٍ^(١)
 فهذا لعمرُ الله رأيي فخذ به فقد فرتَ منه بالجُذيلِ المحكِّ^(٢)

الشارع الكبير ببغداد

نكَبِ الشارع الكبير ببغدا د ولا تمش فيه إلّا اضطرارا
 شارعٌ إن ركبَ متنيه يوماً تَلَقَّ فيه السهول والأوعارا
 تتراعى سنايك الخيل فيه إن تقحَّمنَ وعُتِه والخبارا
 فمى تحشو التراب فيه على الأو جه حشواً وتقذِف الأحجارا
 لو ركبَت البراق فيه أو البرِّ قَ نهاراً لما أمنت العشارا
 تحسب العابرين فيه سُكاري من هواء تنسموه غبارا
 ساطعاً يملأ الفضا مستطيراً حاملاً في ذرّاته الأقذارا
 مستجيشاً من الجراثيم جيشا مسبطراً عرمرما جرّارا
 هو إن رُشَّ جاش وحلاً وإلّا جاش تقعا على الوجوه مُثارا
 تصهر الشمس فيه أدمغة القو م إذا هم تحبّطوه نهارا
 وإذا ما مشيت في جانبه فتجنّب رصيفه المنهارا
 وإذا ما أرسلت فيه إلى الأطراف لحظا أنكرته إسكارا
 لا ترى فيه ما يسرُّك بالصنعة حسنا ويبيح الأَبصارا
 بل ترى العينُ فيه كل جدار تسكره العين أن تراه جدارا
 فجدار عال وفي الجنب منه متدانٍ تقيسه أشبارا

(١) مجرب : بصيغة الفاعل . باعتبار أنه اختبر الأمور . والمحكك أيضا بصيغة المفعول : الذي أحكمته التجارب .

(٢) الجذيل المحكك : الذي يشتق برأيه . و الجذيل : تصغير جذل . وهو عود كانوا ينصبونه في العطن لتحتك به الإبل الجربى . ثم صار يضرب مثلا للذي يشتق برأيه . ويمتد عليه . كما قال الحباب بن المنذر لما خطب يوم السقيفة : « أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب » .

ودكا كين كالأفاحيص تمتد يميناً بطوله ويساراً
 أين هذا من الشوارع في الأمصار زانت بحسبها الأمصاراً
 عبدوها ومهدوها فجاءت لا اعوجاجاً بها ولا ازويراراً
 وأعدوا بهن كل رصيف يحمّد السير فوقه من ساراً
 وأقاموا لهم بها كل صرح مشمخر بناؤد اشمخراراً
 فعلى الجانبين كل بناء خيل في الحسن كوكبا قد أناراً
 ثم لم يكتفوا بذلك حتى غرسوا في ضفافها الأشجاراً
 فوقتهم ظلالها وهج الشمس وسرّ اخضرارها الأنظاراً
 هكذا فلتكن شوارعنا اليوم وإلا فما عمرنا الدياراً

على الخوان

أكب على الخوان وكان خفياً فلما قام أثقله القيام^(١)
 ووالى بينها لقمًا ضخامًا فما مرّت له اللقم الضخام^(٢)
 وعاجل بالعين بغير مضغ فهنّ بفيه وضع فالتهم^(٣)
 فضائق بطنه شبعًا وشالت إلى أن كاد ينقطع الحزام^(٤)
 فأرسلت اللحاظ إليه شزراً وقلت له رويدك يا غلام^(٥)

- (١) الخوان : بالكسر وبالضم : ما يوضع عليه الطعام ليؤكل . وأكب عليه : أقبل عليه ولزمه . وكان خفياً بالكسر : أى خفيفاً . وأثقله القيام : جعله ثقيلاً .
 (٢) والى بينها : أى تابع بين القم . فما مرّت له : أى ماساغت . وكانت مرثنة : أى حميدة المنبة . ولما : تمييز للضمير المضاف إليه في قوله بينها .
 (٣) الالتهم : الابتلاع بمرّة ، وفي التعبير بالمصدر مبالغة في المعنى المراد . أى هن بفيه موضوعة فلتهمه بلا فاصل .
 (٤) البطن : مذكر . وتأنّيته لغة جرى عليها الشاعر هنا . وقوله شبعاً : مفعول مطلق على حذف مضاف . أى ضيق شبع ؛ أو هو منصوب بنزع الخافض . وشالت أى أرتمت .
 (٥) فأرسلت اللحاظ : أى النظر . فهو هنا مصدر لاحظته : إذا نظره وراقبه لنظر . وقوله شزار : أى أشزّه شزراً . وهو النظر بجانب العين . انظر الغضبان . رويدك : أى أمهل نفسك .

- أرى اللقَمَات تأخذها حَلَالاً
قد انتَضَدَتْ بِجَوْفِكَ مَفْرَدَات
أَتَزْدَرِدُ الطَّعَامَ بِغَيْرِ مَضْغٍ
فَلَا تَأْكُلُ طَعَامَكَ بِازْدِرَادٍ
أَلَا إِنَّ الطَّعَامَ دَوَاءٌ دَاءٌ
فَدَاؤُ سَقَامِ جَوْعِكَ عَنْ كَفَافٍ
وَمَا أَكُلُ الطَّاعِمِ لِالتَّذَاذِ
طَعَامِ النَّاسِ أُعْجِبُ مَا أَحْبَبُوا
يَقُودُهُمُ الزَّمَانُ إِلَى الْمَنَايَا
وَأُعْجِبُ مِنْهُ أَنَّ النَّاسَ رَامُوا
إِذَا اسْتَعَصَى الْقَفَارُ عَلَيْكَ أَكَلًا
حَذَارٍ حَذَارٍ مِنْ جَشَعٍ فَإِنِّي
وَأُعْجِبُ الْعَالَمِينَ فَقَى أَكُولُ
وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ صِيَامَ دَهْرِي
وَلَكِن لَّا أَصُومُ صِيَامَ قَوْمٍ
فَإِنْ وَضَحَ النَّهَارُ طَوَوُا جِياعًا
- فَتَدْخُلُ فَافَكَ وَهِيَ بِهِ حَرَامٌ
تَخْلَلُ بَيْنَهَا الدَّاءُ الْعُقَامُ (١)
عَلَى أَيَّامِ صِحَّتِكَ السَّلَامُ (٢)
مَعَاجِلَةً فَيَأْكُلُكَ الطَّعَامُ
بِهِ ابْتَلَيْتَ مِنَ الْقِدَمِ الْأَنَامُ
فَإِ كَثُرَ الدَّوَاءُ هُوَ السَّقَامُ
وَلَكِن لِّلْحَيَاةِ بِهَا دَوَامُ
فَمِنْ حَيَاتِهِمْ وَبِهِ الْحَمَامُ
وَمَا غَيْرَ الطَّعَامِ لَهُمْ زَمَامُ
تَنَوَّعَهُ إِلَّا بَيْسَ الْمَرَامُ
كَفَاكَ مِنَ الْقَرَارِجِ لَهُ إِدَامُ (٣)
رَأَيْتَ النَّاسَ أَجْشَعُوا اللَّثَامُ (٤)
لَقَطْنَتَهُ يَبْطِنَتُهُ انْهَرَامُ
لَصُمْتُ فَكَانَ دَيْدَنِي الصِّيَامُ (٥)
تَكَاثَرَ فِي فَطْوَرِهِمُ الطَّعَامُ (٦)
وَقَدْ نَهَمُوا إِذَا اخْتَلَطَ الظَّلَامُ (٧)

(١) قوله « قد انتضدت » : أى قد تراكت في جوفك . بعضها فوق بعض . وكل منها مفردة عن أختها . كما كانت عند دخولها . وقد تخلل بينها : أى دخل في خلالها الداء العقام . الذى لا يرجى له برء .

(٢) أتزدرد الطعام : أى أتبتلع الطعام .
(٣) القفار . بالفتح : صفة لمخدوف . أى الحيز القفار . ويقال حيز قفار : أى غير مأدوم .
وأكلا : تمييز للنسبة . محول عن الفاعل . والقراح بالفتح : الداء الحائض . الذى لم يخالطه شيء يطيب به . من غسل أو زيب أو غير ذلك . ومعنى البيت ظاهر .

(٤) حذار : اسم فعل بمعنى احذر . وتكراره هنا للتأكيد . والجشع بفتح الجيم : أشد الحرص على الطعام وأسوأه .

(٥) ديدنى : أى دأبى وعادنى .
(٦) تكاثر هنا : بمعنى كثر .
(٧) وضح النهار : بان وانجلي . وقوله « وقد نهمو » : أى شرهوا وأفرطوا الشهوة فيه . وكانوا لا عقل لهم أعينهم ولا يشبعون . ويجوز أن يقرأ : نهمو ، بالبناء المفعول . واختلط الظلام : اعتسكر .

وقالوا يا نهار لئن تُجِئنا فإنَّ الليل منك لنا انتقام
وناموا مُتَخَمِّينَ على امتلاءٍ وقد يتَجَشَّئون وهم نيام^(١)
فقل للصائمين أداء فرضٍ ألا ما هكذا فُرض الصيام!

تحية سر كيس

أنشدها في حفلة أقيمت في القدس لتكريم الكاتب
الشهير سليم سر كيس . عند قدومه إليها زائراً .

كم فاضلٍ أكبرته قَبْلَ اللِّقَا
حتى إذا كان اللقاء وجدت ما
إِلَّا الفتى سر كيسَ أَيْ وتشرَّف في
جالسته في القدس أولَ مرَّةٍ
في مجلس نظم الزمانُ بصدوره
إذ كان يسكرنا بخمر حديثه
يُحْيِي السرور المَيّتَ منك بنكتةٍ
وإذا أفاض من الحديث بحكمةٍ
وإذا تحدّثَ مازحاً فَنِكَاتِهِ
لو يستدرّ يد الشحيح بظرفه
جالسته فَكِهَ الكلام مناقراً
فمجالس الأدباء أنت رئيسها
أولستَ رَبَّ حَجَلَةٍ أدبية
في كل شهر بالفنون ترقبها
قد جئتَ في تحبيرها متنطساً
فسجرتُ فيه من الثناء وطيساً
يُعزّي إليه العُلَى معكوساً
بلقائه ، إِلَّا الفتى سر كيساً
فأحسَّ قلبي من هواه رسيماً
عقداً من الصِّيد الكرام نفيساً
فُيدير منه على الجالوس كئوساً
فِيرِيك معجزة ابن مريم عيسى
خِلْنَا محدّثنا أرسطاليساً
بالضحك تصفع من تراه عبوساً
بوماً لجاد له وحلَّ الكيساً
أَكْرَمُ بِمِثْلِكَ يا سليم جليساً
أَخْلَقَ بِمِثْلِكَ أَنْ يَكُونَ رئيساً
تُرْزى بأزهار الرياض طروساً
عذراء باهرة الجمال عروساً
تشفى بنفث يراعك المألوساً

(١) ناموا متخمين : أي لهم تخمة كظلمة . وهي داء يصيب الإنسان من أكل الطعام الوخيم .
وقوله « يتجشئون » التجشؤ : هو إخراج صوت مع ريح من الفم عند الشبع .

تبدو الخقائق من خلال سطورها فتضىء في ليل الشكوك شموساً
لما قدمت القدس قصصاً زيارية فمجت وحشة أهلها تأنيساً
قنا لفضلك ياسليم تجلّة نخني الظهور مطاطين رعوساً

إلى البلاغ

أرسلها وهو في الآستانة إلى محمد باقر . لا أصدر جريدة البلاغ في بيروت

أبأقر لم تدع للقوم عذراً . بما أصدرت من حجج البلاغ
فقد صغت النصائح خالصات فجاءت وهي فائقة المصاغ
وأوضحت الخقائق رائقات لدى الأذواق طيبة المساغ
ولكن أين من يضغى ومن ذا نحاول منه قلباً غير صاغ
لقد حلّم الأديم فليت شعري أينفع ما تريد من الدباغ
أست ترى بنى الإسلام أمسوا حيارى بين منتصف وباع
فقوم في مقاصفهم وقوم يلوكون القفار بلا صباغ
وكم داع رأوه لهم « مفيدا » وما هو في « الحقيقة » غير لاغ
وكم صُحِف لهم فغرت حلوقا لتضنهم بأسنان شواغ
وما أخذتهم نفثاً ولكن تصحّ كلّها الإبل الرواغ
على أنى وإن أبدت سُخْطاً فما أدعوك فيه إلى الفراغ
فلا تترك بلاغك عن ملال فيفرح من ملالك كل طاغ
فقم في القوم مُتَضِياً يراعاً يفلق هام أرباب الرواغ
وخاطبهم بشقشة المنادى وآونة بدنة المناعى
فأنت قنّى إذا بلغت أمراً تؤيدك البلاغة في البلاغ
وأنت وإن خلقت نحيف جسم تفوق سواك في كبر الدماغ

في حفلة الزهاوى

أرى بغداد من بعد اغبرار زهت بكبيرها أديبا وعلمها
 زهت بطبيب عاتيا المداوى وكادت مصر تسبقنا فخارا
 به لو ظل وهو هناك ثاوى ولكن عاد محتقبا إليها
 فخار الأرض والشرف السماوى فأهلا بالحكيم وأنف أهل
 بمن لا زال مُرشد كل غاوى وما الآداب فى بغداد لولا
 يراع جميلها إلا دعاوى إذا ما قال فى بغداد شعرا
 رواه له بأقصى الأرض راوى تفرّد فى بديع الشعر من معنى
 فجلى عن المُعادِل والمساوى أعينك يا جميل الشعر من أن
 يسوءك نقد أرباب المساوى يداوون القيم من المعانى
 بفهم كان أجدر بالتداوى ألا لا تعجبين وهم ذئاب
 إذا هم أفرعوك بصوت عاوى لقد تقدوا قريضك فقد أعمى
 يدل على الضعائن فى المطاوى فأحيم لهم حديد الشعر حتى
 تذيق نفوسهم حرّ المسكاوى فهم قوم يروّون الحلم عجزا
 إذا ما ناءوك ولم تنأوا ولا تضرّ بهم إن شئت إلا
 بضغت من نبات الشعر ذاوى فهم مثل الذباب يطير ذعرا
 بهزّ مذبة وهوى هاوى وليسوا نحوجيك إلى معين
 وهم ما بين مهزول وضاهى فنفض منك يعلمهم هباء
 ويسقطهم إلى سفلى الهاوى وما احتاج القوى إلى معين
 إذا كان الضعيف هو المقاوى

إلى صاحبة الحياة الجديدة

أرسلها إلى السيدة حبوبة صاحبة مجلة الحياة الجديدة في بيروت

هَلُمَّ يا قومُ نسعى	إلى حياةٍ سعيدةٍ
فإن فينا افتقارًا	إلى أمورٍ عديدةٍ
إلى اتحادٍ وسعيٍ	إلى المساعي المفيدةِ
إلى عزائمٍ نرمي	بها المرامي البعيدةِ
إلى معاهدٍ نفني	بها الشرور المبيدةِ
إلى مدارس تعلو	على القصور المشيدةِ
إلى عقولٍ كبارٍ	إلى نفوسٍ رشيدةِ
إلى جسومٍ نقاوى	بها الخطوب الشديدةِ
إلى صلاحٍ نداوى	به فساد العقيدةِ
وإن أريد اكتفاءً	بكلمةٍ عن قصيدةِ
فكل ما نبغيه	هو الحياة الجديدةِ
هو الذى تدعيه	حبوبةٌ فى الجريدةِ
تلك الصحيفة تأتى	لنا بكل شريدةِ
تلك المجلة تحوى	من كل عقدٍ فريدةِ
حبوبةٌ استمشدنى	إن شئت كل نشيدةِ
فأنت خير فتاةٍ	حميدةٍ ومجيدةِ
الشرق فيه قيود	وقد فككت قيودهِ
وفيه داءُ جهودٍ	وقد شفيت جهودهِ
أراؤك الغرُ فيه	صحيحةٌ وسديدةِ
من لا يريد أمورًا	لهن أنت مريدةِ
إلا الذى عاش غرًّا	وطوق الأسر جيدةِ
فذاك ما عاش إلا	لقصعةٍ وثريدةِ

إلى المتعلم

- (١) أَخْصَى فِي الْعِلْمِ إِنْ أُرِدَتْ كَلَامًا وَوَصُولًا إِلَى الْفَخَارِ الْأَتَمِّ (١)
 وَإِذَا رُمِيَ فِي التَّعَلُّمِ حَذَقًا فَاتَرَكَ النَّفْسَ وَالَّذِي هِيَ تَرْمِي (٢)
 وَاجْتَنَبَ قَسْرَهَا عَلَى مَا أَبْنَتْ إِنَّ قَسْرَ الطَّبَاعِ أَكْبَرُ ظَلَمٍ
 إِنَّمَا الْمِيلُ فِي الْغَرَائِزِ تَبَيَّنَ رُومَنَ ذَا يَرْدٍ تَيَّارٍ يَمُّ
 أَطْعِمَ الْعَقْلَ مَا اشْتَهَاهُ مِنَ الْعِلْمِ وَإِلَّا اسْتَقَاتَ مِنْ سُوءٍ هَضَمَ
 لَيْسَ فِي أَرْوُسِ الرِّجَالِ دِمَاجٌ هَاضِمٌ فِي ذِكَاثِهِ كُلُّ عِلْمٍ
 فَمَنْ النَّقْصُ أَنْ تَحَاوِلَ أَنْ تَضْرِبَ رِبَّ فِي كُلِّ ذِي الْعُلُومِ بِسَمِّهِ (٣)
 حُسْنُ فَهْمِ الْأَخْصَى أَكْثَرُ نَفْعًا لَدَوِيهِ مِنْ قَبْحِ فَهْمِ الْأَعْمِ
 وَبُعَادَةُ الْعُلُومِ مِثْلُ رُمَاةِ الصَّيْدِ فَاعِلٌ وَلَيْسَ مَتَمٌّ كَمُصَمًى (٤)
 وَإِذَا مَا اشْتَعَلَتْ بِالْجِدِّ سَاعًا تَفْهَازِلُ سَوِيعةً وَاسْتَجَمَ (٥)
 وَتَرَفَّقَ إِذَا جَهْدَتْ فَإِنَّ الزَّرْفَ يَذْكِي الْفَوَادِ وَالْعَنَفُ يُعْمِي
 وَلَقَدْ يَبْلُغُ الْعَجُولُ مَدَاهُ بِالتَّائِي بِلَوْغٍ خَضَمَ بِقَضَمٍ (٦)

- (١) قوله أخصى : فعل أمر من أخصى طالب العلم . إذا نعلم علما واحدا وطريقة الاختصاص في العلوم هي التي وصل بها أهل الغرب إلى ما وصلوا إليه .
 (٢) الواو في قوله « والذي هي ترمي » : واو المعية . واسم الموصول مفعول معه . وترمي : تقصد . من رمى المكان إذا قصده . وعائد الموصول محذوف . أى والذي هي ترميه .
 (٣) قوله « من النقص » : الجار والمجرور خبر مقدم . « وأن تحاول » مبتدأ مؤخر . « وأن تضرب » : مفعول لتحاول . والمحاولة لإرادة . وقوله « أن تضرب في كل ذي العلوم بسهم » : معناه أن تأخذ من كل العلوم نصيباً ؛ يقال ضرب في كذا بسهم ؛ إذا أخذ منه نصيباً .
 (٤) قوله « وليس من كصم » المنمى : اسم فاعل . من قولهم أتتني الصياد الصييد : إذا رماه فأصابه ولم يقتله . ثم ذهب عنه ثبات : والمصمى : اسم : فاعل من قولهم أصمى الصييد . إذا رماه فقتله مكانه وهو يرماه . وفي الحديث كل ما أصعبت . ودع ما أنتجت . والمعنى : أن طالب العلم كرامى الصييد . فإذا أخصى في العلم وأتته كل الاقنان . كان كالمصمى الذي ينتفع بصيده . وإلا كانت كالمصمى الذي رمى الصييد فأصابه ولم ينتفع به شيئا . فهذا هو معنى قوله « وليس من كصم » .
 (٥) الجيد بالكسر : ضد الهزل . وقوله استجم : أى استرح .
 (٦) المراد بالخضم هنا : الأكل كل ملء الفم . والغضم : الأكل بأطراف الأسنان قليلا قليلا .

كل من كانت العلوم لديه جمّة كان نفقه غير جمّ (١)
 أي فضل العلم غير بدّع ليس في العلم يربحى اللهم
 سار شوطا لكل علم وإن كان لم ينل فيه غاية المستتم (٢)
 هبه أبدى من العلوم نجوما في ليال من المشاكل دهم
 أو ليس البدر التام وإن كان ن وحيدا يربو على ألف نجم
 كن قويا في كل ما تدعيه إنما الفوز للقوى الملم (٣)
 أيها العاجز الضعيف رويدا أقرن الضأن فأتك بالأجم (٤)

اليتيم المخدوع (*)

قضى والليل معتكرا بهم ولا أهل لديه ولا حميم
 قضى في غير موطنه قتिला تمج دم الحياة به الكوم (٥)
 قضى من غير باكية وباء ومن يبكي إذا قتل اليتيم
 قضى غص الشبيبة وهو عفا مطيرة مآزره ككرم

= وقد ضمن هذا البيت المثل وهو قولهم « قد يبلغ الخضم بالقضم » . أي الشبعة تبلغ بالأكل
 بأطراف الفم . أي الغاية البعيدة تدرك بالرفق .

(١) جمّة : كثيرة . وغير جمّ : غير كثير .

(٢) شوطا : مفعول مطلق . والشوط : هو الجرى مرة إلى الغاية .

(٣) الملم . بكسر الميم وفتح اللام . وفي آخره ميم مشددة : هو الشديد من كبل شيء . يقال :

رجل ملم .

(٤) الأقرن من الضأن : الذي له قرنان . والأجم : الذي لاقرن له . والمعنى : أن القوى

فاتك بالضعيف لاحتالة . (*) من الجزء الأول .

السيب الذي دعا شاعرنا إلى نظم هذه القصيدة : أن رجلا يهوديا مطربا من حلب اسمه (سليم) .

خدع غلاما مسيحيا يأتي من أهاليا ، وأتى به بغداد ، فأراد منه المنكر بعض أهلها ، فأبت نفس الغلام

الزكية الطاهرة ذلك ، فجاءه يوم وهو سكران والغلام في نادي طرب يضم المئات من الناس ،

وأطلق عليه الرماس . فسقط ذلك اليتيم المخدوع على الأرض . فحمل إلى مستشفى الغرباء هناك ؟

وقبض على الجاني . وزج به في السجن . فنظم معروف أفندي هذه القصيدة حاكيا بها هذه

الحادثة المؤلة .

(٥) الكوم : الجروح .

سقاها من الردى كسًا دهاقا
تجرعها على طربٍ ولكن
على حسين الرّابة في نواح
بحيث رقائق الألحان كانت
كأن ترنم الأوتار نعي
لنجاء الموت ملتفعا بخزي
فأطلق من مسدسه رصاصا
فخرّ إلى الجبين به « نعيم »
فبان مودعا بعد ارتثاش
نحن لم تبك من أسفٍ عليه
ولو درت النجوم له مصابا
عسى الشهباء تثاره فتبدي
ولم يقتله « إبراهيم » فيما
أليس « سليم » الملعون أغوى
وأخرجه من الشهباء غرا
وجاء به إلى بغداد حتى
سأبكيه ولم أعبا بلاج
ولما أن ثوى ناديت أرخ
عفاف النفس والعرض السليم^(١)
بكف اليم ليس له نديم
يساجلها به العود الرحيم
بها الأشجان طافية تعوم
وصمت السامعين لها وجوم^(٢)
وملء إهابه سفة ولوم^(٣)
به في الرمي تنخرق الجسوم
كما انقضت من الشهباء الوجوم^(٤)
حياة لا تناط بها الوصوم^(٥)
سفاهتنا فقد بكت الحلوم^(٦)
بكته على ترفعها النجوم
إلى الزوراء ما يبدى الخضم^(٧)
أرى بل إن قاتله « سليم »
« نعيما » فهو شيطان رجيم
يتيا ما له أبدا زعيم
تخرمه بها قتل اليم
وأندبه وإن سخط العموم
ثوى قتلا بلا مهل « نعيم »

(١) دهاقا : ممتد .

(٢) الوجوم : الاطراف لشدة الحزن أو الغيظ .

(٣) الاماب : الجلد قبل أن يدنع .

(٤) الوجوم : ما يرجم به . مفرد ما رجم .

(٥) ارتث ارتثانا . بالبناء المجهول : حمل من المعركة بجرحها : الوصوم : العيوب .

(٦) الحلوم : العقول .

(٧) الشهباء : حلب . والزوراء : بغداد . تثاره : تصالب بدمه .

ميت الأحياء وحي الأموات (*)

تَبْقَظُ فَمَا أَنْتَ بِالْخَالِدِ وَلَا حَادِثُ الدَّهْرِ بِالرَّاقِدِ^(١)
فَخَلَّدَ بِسَعْيِكَ مَجْدًا يَدُومُ دَوَامُ النُّجُومِ بِلَا جَاوِدِ
وَأَبْقَى لَكَ الذِّكْرَ بِالصَّالِحَاتِ وَخَلَّ النَّزْوِعَ إِلَى الْفَاسِدِ^(٢)
وَرِدَّ مَا يَنَادِيكَ عَنْهُ الصُّدُورُ أَلَا دَرَّ دَرْكٌ مِنْ وَارِدِ^(٣)
وَسِرَّ بَيْنَ قَوْمِكَ فِي سِيرَةٍ تَمِيتَ الْخُقُودَ مِنَ الْخَافِدِ
فَإِنْ فَتَى الدَّهْرَ مِنْ يَدَّعَى فَتَأْتِي أُعَادِيهِ بِالشَّاهِدِ
وَلَا تَأْكُ مَرْمَى بَدَاءِ السَّكُونِ فَتَصْبِحُ كَالْحَجَرِ الْجَامِدِ
وَكِنْ رَجُلًا فِي الْعُلَى حَوْلًا تَفَنَّنَ فِي سِيرِهِ الرَّاشِدِ^(٤)
إِذَا أُطْرِدَتْ حَرَكَاتُ الْحَيَاةِ وَمَرَّتْ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدِ
وَلَمْ تَتَنَوَّعْ أَفَانِيهَا وَدَامَتْ بِوَجْهِهَا بَارِدِ^(٥)
وَلَمْ تَتَجَدَّدْ لَهَا شَمْلَةٌ مِنْ السَّعَى فِي الشَّرَفِ الْخَالِدِ
فَمَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُ السَّوَامِ تَجُولُ مِنَ الْعَيْشِ فِي نَافِدِ^(٦)

وَمَا يَرْتَجَى مِنْ حَيَاةٍ أَمْرِي كَاءٌ عَلَى سَبْخَةٍ رَاكِدِ^(٧)
وَأَيْسَ لَهُ فِي غُصُونِ الْحَيَاةِ سَوَى النَّفْسِ النَّازِلِ الصَّاعِدِ
يَغُضُّ عَلَى الْجَهْلِ أَجْفَانَهُ وَيَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ بِالسَّكَدِ
فَذَلِكَ هُوَ الْمَيِّتُ فِي قَوْمِهِ وَإِنْ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ الْخَاشِدِ

(*) من الجزء الأول .

(١) الراقِد : النائم .

(٢) النَّزْوِع : النيل .

(٣) الصُّدُورُ عَنْ الْأَمْرِ : الرجوع عنه . دَرَّ دَرْكٌ : أى كثر خيزرك . وَأَصْلُ مَعْنَى الدَّرِّ : التَّابَنُ

(٤) الْحَوْلُ : هو الشديد الاحتياج .

(٥) أَفَانِيهَا : أنواعها . وَالْأَفَانِي : فى الأصل : الأغصان .

(٦) السَّوَامِ : الحيوانات السائمة . (٧) السَّبْخَةُ : الأرض ذات التراب والملح .

وما المرء إلا فتى يغتدى
سعى للمعارف فاحتارها
وطالع أوجه أقمارها
فأبدى الحقائق من طيها
إذا هو أصبح نادى: البدار
فكان المجلى في شأوه
وإن بات بات على يقظة
وأحدث مجداً طريفاً له
وما الحق إلا هو الإكمال
فذاك هو الحى حى الفخار
إلى العلم في شرك صائد
وصاد الأنيس مع الآيد^(١)
بعين بصير لها ناقد
وألقى القيود على الشارد
وشمر للسعى عن ساعد
بعزم يشق على الحاسد^(٢)
بطرف لنجم العلى راصد
وأضرب عن مجده التالد^(٣)
على شرق جاء من والد
وإن لحدته يد اللاحد

نحن في بغداد (*)

أيأ سائلاً عنا ببغداد إننا
علت أمة الغرب السماء وأشرق
وهم ركضوا خيل المساعى وقد كبا
فنحن أناس لم نزل في بطلالة
خضعنا لحكام تجور وقد حلا
بهاشم في بغداد أعوزها النبت^(٤)
علينا فظلمنا ننظر القوم من تحت
بنا فرس عن مقنب السعى منبت^(٥)
كأننا يهود كل أيامنا سبت
بأفواهها من مالنا ما كل سحت^(٦)

(١) الآيد : النائر .

(٢) المجلى : السابق الأول في حلبة الرهان . الشأو : الغاية .

(٣) المجد الطرب : الجديد الحادث . والتالد : القديم الموروث .

(*) من الجزء الأول .

(٤) أعوزها النبت : أى افتقرت إليه .

(٥) ركض فرسه : غمزه برجله ليعدو ويسرع . كبا : عثر . المقنب : جماعة من الخيل

تجتمع للغارة . منبت : منقطع .

(٦) السحت : المكسب الحرام .

وكما قامرتنا ساسة الأمر خُدعةً فقم علينا بالخداع لها الدست^(١)
 لماذا نخاف الموت جُبناً فلم نقم إلى الذب عنا من أمور هي الموت^(٢)
 إذا كنت لا ألتنى من الموت موتاً فهل نافعى أن خِفْتُهُ أو تَهَيَّبْتُ^(٣)
 والموت خير من حياة تشوبها شوائب منها الظلم والذل والمقت^(٤)

رقية الصريح (*)

يا عدلُ طال الإنتظار فعجِّل يا عدلُ ضاق الصبر عنك فأقبل
 يا عدلُ ليس على سواك مُعوِّل ههنا عطفت على الصريح المُوِّل^(٥)
 كيف القرار على أمور خُكومة حادت بهنَّ على الطريق الأمثل
 في الملك تفعل فغائع جورها ما لم تقل ، وتقول ما لم تفعل
 ملأت قراطيسَ الزمان كتابةً للعدل وهي بحكمها لم تعدل
 أضحت مناصبها تباع وتُشترى فعدت تفوِّض للغنى الأَجيل
 تُعطى مؤجلة لمن يبتاعها ومضى اتقضى الأجلُ المسمى يُعزَّل
 فبروح بشرى ثانيا وبما أُرثى قد عاد من أهل الثراء الأَجزل
 فيظلَّ في دار الخلافة راشيا حتى يعود بمنصب كالأوَّل
 سوقُ تباع بها المراتبُ سُميت دار الخلافة عند من لم يعقل
 أبت السياسة أن تدوم حكومة خُصت برأى مقدِّس لم يُسأل
 مثَلُ الحكومة تستبدُّ بحكمها مثَلُ البناء على نِقا متِهِّل^(٦)

(١) الدست : سدرالبيت ، والخدمة ، والدست أيضا : هو الذي يكون فيه الغلب على الشرائع وهذا المعنى أقرب المعاني ليناسب معنى المقامرة .

(٢) الذب : المداغة . (٣) موتاً : ملجأ .

(٤) تشوبها : تخالطها . شوائب : أخلاط .

(٥) من الجزء الأول .

(٦) الصريح : المستغنى . والمعلن : الذي يرفع صوته بالبكاء أو الصياح .

(٧) القطعة من الرمل . متِهِّل : متصيب .

يا أُمَّةً رَقَدَتْ فُطالَ رُقَادُهَا
أَيَكُونُ ظِلُّ اللَّهِ تَارَكَ حَكْمَهُ إِذَا
أَمَ هَلْ يَكُونُ خَلِيفَةُ لِرَسُولِهِ
كَمْ جَاءَ مِنْ مَلِكٍ دَهَاكٌ بِجَوْرِهِ
يَقْضَى هَوَاهُ بِمَا يَسُومُكَ فِي الْوَرَى
وَيُرُومُ صَبْرُكَ وَهُوَ يَسْقِيكَ الرَّدَى
وَقَدْ اسْتَكْنَفَتْ لَهُ وَأَنْتَ مُهَانَةٌ
بَاتَ السَّعِيدَ وَبَتَّ فِيهِ شَقِيَّةٌ
تِلْكَ الْحَاقَّةُ لَا حَاقَّةَ مِثْلَهَا
إِنْ الْحُكُومَةُ وَهِيَ جُمْهُورِيَّةٌ
سَارَتْ إِلَى نَجْحِ الْعِبَادِ بِسِيرَةٍ
فَسَمَوْا إِلَى أَوْجِ الْعِلَاءِ وَنَحْنُ لَمْ
حَتَّى اسْتَقَلُّوا كَالْكُوكِبِ فَوْقَنَا
وَعَبَّأُوا بِمِثِّ إِذَا شَخَّصْنَا نَحْوَهُمْ
لِبَسُوا ثِيَابَ فُخَارِهِمْ مَوْشِيَّةٌ
نَالُوا وَصَالَ مَنَى النُّفُوسِ وَإِنَّمَا
حَتَّى أَقِيمَ مَجَسَّمًا تَمَثَّلًا
تَمَثَّلَ نَاعِمَةُ الشَّائِلِ وَجْهًا

هَبِّي وَفِي أَمْرِ الْمُلُوكِ تَأْمَلِي
مَنْصُوصٍ فِي آيِ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
مَنْ حَادٍ عَنْ هَدْيِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
وَلَوْلَاكَ عَنْ قِصْدِ السَّبِيلِ الْأَفْضَلِ (١)
خَسَفْنَا وَبِنَقِمٍ مِنْكَ أَنْ لَمْ تَقْبَلِي (٢)
وَيُرِيدُ شُكْرَكَ وَهُوَ لَمْ يَتَفَضَّلِ
حَتَّى صَبَّرْتَ لِفَتْكِهِ الْمُسْتَأَصَّلِ (٣)
تُسْتَعْدِمِينَ لَعْنَتَهُ الْمُسْتَرْسِلِ
خُفًّا فَهَلْ هُوَ مِنْ صَحِيحٍ تَعَقَّلِ
كَشَفْتَ عِمَايَةَ قَلْبِ كُلِّ مُضِلِّ
أَبَدْتَ لَهُمْ خُفِّي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
نَبْرَحُ نَسُوجٍ إِلَى الْخَضِيضِ الْأَسْفَلِ (٤)
تَجَاوَزَ الظَّلَامَ بِنُورِهَا الْمُتَهَلِّلِ (٥)
مَنْ تَحَبَّهْمُ ضَحِكُوا عَلَيْنَا مِنْ عُلَى
بَالَعَزَّ وَهِيَ مِنَ الطَّرَازِ الْأَكْمَلِ (٦)
حُرِّيَّةَ الْعَيْشِ الرِّغِيدِ الْمُخْضَلِ (٧)
بَيْنَ الشُّعُوبِ عَلَى بِنَاءِ هَيْكَلِ (٨)
تَزْدَادُ نُورًا مِنْهُ عَيْنُ الْجَمَلِ (٩)

(١) لَوْلَاكَ : صَرْفَكَ . قِصْدُ السَّبِيلِ : أَى السَّبِيلِ الْمُسْتَقِيمَةِ .
(٢) سَامَهُ الْخَسَفَ : أَى أَذَلَهُ . (٣) اسْتَكْنَفَتْ لَهُ : أَى خَضَعَتْ .
(٤) نَسُوجُ : نَفُوسُ . وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى : نَهْوَى ؛ وَلَدْنَا عِدَاهَا بِأَيْ .
(٥) اسْتَقَلُّوا : ارْتَفَعُوا . (٦) مَوْشِيَّةٌ : مَعْشَرَةٌ مَرْبُوبَةٌ .
(٧) مَنَى جَمْعُ مَنِيَّةٍ : وَهِيَ مَا يَبْنِيهِ الْإِنْسَانُ . الْمُخْضَلُ : الْغَدَى . مَا خُودُ مِنْ اخْضَلِ الشَّيْءُ بِمَعْنَى ابْتَدَأَ .
(٨) هَيْكَلُ : الْبِنَاءُ الْمُرْتَفِعُ . (٩) اجْتَمَلَى الشَّيْءُ : نَظَرَ إِلَيْهِ .

أُفِيعِدْ هَذَا يَا سَرَاةَ مَوَاطِنِي نَرْضَى وَنَقْنَعُ بِالْمَعَاشِ الْأَرْضِي
الْعَوْتُ مِنْ هَذَا الْجُودِ فَإِنَّهُ تَالَهُ أَهْوَنُ مِنْهُ حُمُّ الْجَنْدَلِ^(١)
قَدْ أَبْجَرَتْ شَمُّ الْجِبَالِ وَأَجْبِلَتْ لَجَجَ الْبَحَارِ وَنَحْنُ لَمْ تَتَبَدَّلِ^(٢)
مَا ضَرَّكُمْ لَوْ نَسْمَعُونَ لِنَاصِحٍ لَمْ يَأْتِ مِنْ نَسِجِ الْكَلَامِ بِهِلَهِلِ^(٣)
حَتَّامٌ نَبَقَى لُعْبَةً لِحُكُومَةٍ دَامَتْ تَجَرَّعُنَا تَقْنِيعُ الْخُظَلِ
تَنْحُو بِنَا طَرَقَ الْبَوَارِ تَحِيْفًا وَتَسُومُنَا سُوءَ الْعَذَابِ الْأَهْوَلِ^(٤)
هَذَا وَنَحْنُ مُجَدَّلُونَ تُجَاهَهَا كَالْفَارِ مَرْتَعِدًا تُجَاهِ الْخَيْطَلِ^(٥)
مَا بَالُنَا مِنْهَا نَخَافُ الْقَتْلَ إِنْ قُنَا أَمَا سَنَمُوتُ إِنْ لَمْ نَقُتْلِ؟
يَا عَاذِلًا فِيمَا نَفَسْتُ مِنَ الرُّقَى وَعَزَمْتُ فِيهِ عَلَى الصَّرِيعِ الْمَهْمَلِ^(٦)
أَنْظُرْ لَصْرْعَةٍ مِنْ رَقِيَّتِ وَطُولِهَا فَإِذَا نَظَرْتَ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَأَعْذِلْ^(٧)

مثنويات شعرية (*)

أَشْرُ فَعْلٍ الْبَرَايَا فَعْلٌ مُنْتَحَرٍ وَأَفْخَشَ الْقَوْلَ مِنْهُمْ قَوْلَ مُفْتَحَرٍ
إِنْ التَّمَدَّحُ مِنْ عَجَبٍ وَمِنْ أَشْرِ وَالْمُرُءُ فِي الْعُجْبِ مَمْقُورٌ وَفِي الْأَشْرِ^(٨)

يَا رَاحِي الْأَمْرِ لَمْ يَطْلُبْ لَهُ سَبَبًا كَيْفَ الرَّمَايَةِ عَنْ قَوْسٍ بِلَا وَتَرٍ
أَيْسَ النَّسَبُ مِنْ عِجْزٍ وَلَا خَوَرٍ وَإِنَّمَا الْعِجْزُ تَفْوِيضٌ إِلَى الْقَدَرِ^(٩)

- (١) الجندل : الحجارة . مفردة حندلة .
(٢) أبجرت : صارت مجرا . شم الجبال : أعاليها . أجبلت : صارت جبلا .
(٣) الهليل : الثوب الرديء النسيج . (٤) البوار : الهلاك . تحيفا : تظلمها .
(٥) مجدلون : مطروحون أرضا . الخيطل : اسنور . ويطلق على الكلب أيضا .
(٦) الرقى : جمع رقية . وهي العودة التي يحتفظ بها . نفت الراني في العقدة عند الرقية : أى
بوق بزاقا يسيرا . الصريع : من أصابه الصرع . (٧) أعذل : لم .
(*) من الجزء الأول . (٨) الأشتر : البطر .
(٩) التسبب : طلب الأسباب . الخور : الضعف والفتور .

دع الأناسيَ وأنسني غيرهم إن شئتَ للشاء أو إن شئتَ للبقر^(١)
فإن للبشر الراقى بخلقته من قد أنفت به أنى من البشر

• • •

ألْبَسَ حياتك أحوال المحيط وكن كالماء يلبس ما للظروف من جذر
وإن أبيت فلا تجزع وأنت بها عارٍ من الأنس أو كاسٍ من الضجر

• • •

إن رمت عزاً على فقر تكابده فاستغن عن مال أهل البذخ والبطر
فإنما النفس ما لم تنأ عن طمع فريسة بين ناب الذل والظفر

• • •

إذا نظرت إلى الجزئيّ تصلحه فأرقبه من مرقب الكلّي في النظر
فإن نفعت شخصاً واحداً ربما يكون منه عموم الناس في الضرر

• • •

قد يقبّح الشيء وضعاً وهو من حسن كأنعش يدهش مرأى وهو من شجر
فالقبح كالحسن في حكم النهى عرض^(٢) وليس يثبت إلا عند معتبر^(٣)

• • •

لا تعجبينّ لدى عقل يروح به ليُنتج الشرّ خيرًا غير مُنتظر
فإنما لمعات الخير كامنة بين الشرور ككون النار في الحجر

• • •

سبحان من أوجد الأشياء واحدة وإنما كثرة الأشياء بالصور^(٣)

(١) الأناسي : البشر . الشاء : جم شاة .

(٢) النهى : العقل . يقول : إن الحسن والقبح أمران عرضيان أو اعتباريان ، فقد يستحسن شخص ما يستقبّحه الآخر ، وقد يحسن الشيء في موضع ، ويستقبّح في موضع آخر ، والعكس بالعكس .

(٣) يظهر أنّ الشاعر قائل بوحدة الوجود ، غير أنه يميل إلى وحدة الوجود الحادث ، دون الوجود المطلق ، والقائل بالرأى الأخير هم الفلاسفة القدماء والصوفية ، وما قال به شاعرنا معقول ، وأقوال الآخرين غير معقولة .

هَبْ منشأ القوم يبقى مبهماً أبداً فهل ترى فيه عقلاً غيرَ مُنْهِرٍ

الحب والبغضُ لا تأمن خِداءَهُما فكَمْ هما أخذاً قوماً على غُرَرٍ^(١)
فالبغضُ يبدي كدورا في الصفاء كما أن الحبة تبدي الصقو في الكدر

وأشنع الكذب عندي ما يمازجه شيء من الصدق تمويهاً على الفكر
فإن إبطال هذا في النَّهْيِ عَسِرٌ وليس إبطال تحض الكذب بالعسير

قالوا عشقتَ معيبَ الحسن قلتَ لهم كُفُّوا الملامَ فما قلبي بمنزجرٍ
ما العشقُ إلا العمى عن عيب مَنْ عَشِقْتَ هذى القلوبُ ولا أعني عني البصر

قالوا ابْنُ مَنْ أَنْتَ يا هذا فقلتَ لهم أبى أمرؤُ جَدُّه الأعلى أبو البشرِ
قالوا فهل نال مجداً قلتَ وابعجى أتسألونى بمجدٍ ليس من ثمرى !

لَا دَرَّ دَرٌّ قَصِيدٍ راح ينظمه من ليس يعرف معنى الدَّرِّ والدَّرَرِ^(٢)
يمكى الشعورُ لشعر ظل ينقذه من لا يفرق بين الشعر والشَّعَرِ

قالت « نوار » وقد أنشدتها سَحَرًا ممن تعلمتَ نَفَثَ السَّحَرِ في السَّحَرِ
فقلت من سحر عينيك الذى سَحَرْتَ به المشاعر من سمع ومن بصر

(١) غرر جمع غرة ، بالكسر : وهى الغفلة .

(٢) الدر ، بفتح الدال : هو اللبن .

إلى المتقاعدين

من ضباط الجيش

عقل ، وتجربة ، وجدٌّ زائدُ
 جعلوا التقاعد للجنود كرامة
 ليس التقاعد للرجال بطالةً
 لكنه عمل جديد نافع
 بالسعى تزهو الحياة وإنما
 إن الحياة ليقظةٌ فعالة
 لن تبلغ العلياء في ساحاتها
 أنظر تجد شعب الحياة كثيرة
 فكان أشغال الحياة مَراجل
 يأبىها المتقاعدون ألا أتقوا
 علمت تجاربكم وأيقن رأيكم
 فاستمسكوا بعُر المودة بينكم
 كونوا جميعاً في الحياة كأنكم
 في الحرب طاب لكم جِلاذٌ فلتطب
 تركت أكمكم السيوف وعندها
 كل الحياة معارك لكننا
 ولربما كانت سلاحاً نافذاً
 فأتوا من الأعمال ما هو صالح
 وتتبعوا سُبُل الحياة ولا يكن
 وتصرّفوا في أمرها بمهارة
 ما عاب من سلّ المهند أنه
 هذى صفات حازها المتقاعدُ
 كي يسير من الجهاد مجاهد
 إن البطالة للرجال مفسد
 عما تقوم به الحكومة حائد
 لون الحياة بغير سعى كآمد
 فالراقد الكسلان فيها بائد
 همّ مشبّطٌ وعزمٌ راقد
 فيها من السعى الخيث مشاهد
 والسعى نار والبلاد مواعد
 نقداً يصول به عليكم ناقد
 أن الحياة تعاون وتعاصد
 كيلا يكون تباغض وتحاسد
 رجل إذا دعت الدواهي واحد
 في السلم أعمال لكم ومقاصد
 منكم أشد من السيوف سواعد
 فيها سلاح المرء جهدٌ جاهد
 عند اللئام دسائس ومكايد
 للناس فيه مصالح وفوائد
 منكم إلى غير المكارم قاصد
 وذروا السيوف فإنهن جوامد
 لاسيف من بعد التجالد غامد

دار تربية الطفل

أَيُّ قُدْسٍ يَضُمُّ هَذَا الْبِنَاءَ حَسَدَتْ أَرْضُهُ عَلَيْهِ السَّمَاءُ
 إِنْ يَكُنْ فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ شَيْءٌ فِيهِ قُدْسِيَّةٌ فَبِذَا الْبِنَاءُ
 هُوَ مِنْ هَذِهِ الْبَنِيَّاتِ لَكِنْ شَرُفَتْ بِالْمَقَاصِدِ الْأَشْيَاءُ
 كَلَّمَا قَدْ رَأَيْتُهُ تَتَجَلَّى لِي مِنْ تَحْتِ أَسَسِهِ الْعِلْمَاءُ
 هُوَ بَكْرٌ فِي ذِي الْبِلَادِ وَالْأَطْفَالِ فِيهِ حِمَاةٌ عِزَّاءُ
 لَمْ نَكُنْ قَبْلَ ذَا نَفْكَرٍ فِيمَا فَكَّرْتُ فِيهِ قَبْلُنَا الرُّحَمَاءُ
 كَانَ لِلْبُؤْسِ فِي الْمَوَاطِنِ لَفْحٌ مِنْ سَمُومٍ تَدْوِي بِهِ الرُّضْعَاءُ
 رَبُّ طِفْلِ أَوْدَتْ بِهِ قِلَّةُ الدَّرِّ عَلَى أَنْ أُمَّهُ ثَدْيَاءُ
 أُمُّهُ مِنْ أَبِيهِ آمَتْ فَأَمْسَتْ يَنْهَكَ الْبُؤْسُ جِسْمَهَا وَالشَّقَاءُ
 فَحَكِي شَخْصَهَا الْخِيَالَةَ إِذْ لَا حَ ذَبُولٍ بِجِسْمِهَا وَارْتِخَاءُ
 فَهُوَ إِنْ لَمْ يَعِشْ مَوْتَ مُرِيحٍ وَهُوَ إِنْ عَاشَ عَاشَ فِيهِ الدَّاءُ
 هَكَذَا كَانَتْ الْمَوَالِيدُ تَحِيًّا وَلَهَا مِنْ حَيَاتِهَا إِفْنَاءُ
 وَمَنْ اللَّؤْمُ أَنْ تَرَى عِنْدَنَا الْأَطْفَالَ تَفَنَّى لِأَنَّهُمْ فَقَرَاءُ
 لَا غِذَاءَ فِي جُوفِهِمْ لَا كِسَاءَ لَا وَطَاءَ مِنْ تَحْتِهِمْ لَا غِطَاءَ
 إِنْهُمْ غَيْرُ مُعْرِينَ وَمِنْ حَسَنِ السَّجَايَا أَنْ تُرْحَمَ الْعَجَمَاءُ عَلَيْهِمْ
 عَلَّ مَنْ لَوِيعِيشٍ مِنْهُمْ لِأَضْحَى فِيهِ لِلنَّاسِ مَأْمَلٌ وَرَجَاءُ
 رَبُّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ مَاتَ مَعَهُ شَرَفٌ بِأَذْخِ لَنَا وَعِلَاءُ
 لَيْسَ مَوْتُ الْأَطْفَالِ هَيِّنًا فَقَدْ يَذُّ بُعْغٌ مِنْهُمْ نَوَابِغُ أَذْكِيَاءُ
 إِنَّمَا هُمْ كَمَثَلِ أَصْدَافٍ بِحَرِّ لَسْتَ تَدْرِي: دُرٌّ بِهَا أَمْ خَلَاءُ
 وَلَعَلَّ الطِّفْلَ الَّذِي مَاتَ مِنْهُمْ مَاتَ عَقْلٌ بِمَوْتِهِ وَوَدْعَاءُ
 شَأْنُ هَذَا الْبِنَاءِ شَأْنٌ عَظِيمٌ لَمْ تَطَاوُلْهُ فِي الْعُلَى الْجُوزَاءُ
 كَلَّمَا قَدْ رَأَيْتُهُ لَمَعَتْ لِي فِيهِ مِنْ تَحْتِ أَسَسِهِ الْعِلْمَاءُ

ونقد دَلَّ أن من شيدوه سادة في طباعهم كرماء
شكر الله سعيهم من رجال بلغوا من قضاهم ما شاعوا
سوف يبقى لهم على الدهر ذكرٌ فيه حمد لهم وفيه ثناء

شكواى من الدهر

أرى الدهر لا يألو بستر الحقائق
يجرُّ أذيال الخطوب بطرقها
ولو لم يجئنا كل يوم موارباً
كان ليالى الدهر غضبي على الورى
وما طلعت كى تهدي القوم شمسهُ
وكم مدَّع فضل الممدن ماله
وكم عاقل قد عدَّ في الناس أحقاً
وربَّ ذكى لم يكن من ذكائه
وقد تعرَّض الأسماع عن ذى فصاحة
ومن شيم الأيام في الناس أنها
وألف جور الدهر جور يرى به
وما كان كذب القوم في القول وحده
وأقبح مئين في الزمان خرافة
ضلال على مر الجديدين لم تزل

إذا افتقرهن صبح تلاه بغاسق
ليغفوا منها ما بها من سلائق
لما كان فجر كاذب قبل صادق
فتنظر شزراً بالنجوم الشوارق
ولكن لتصليهم جسيم الودائع
من الفضل إلا أكله بالملاعق
وما هو لو يبلى سوى متحامق
سوى ما رَوَّه من ذكاء اللئاليق
وتصنئى إلى ذى الأكنة المتشادق
تجور عليهم باقتطاع العلائق
تذلل معشوق وذلة عاشق
ولكنه في كتبهم والمهراق
تخطُّ بها طرساً يراعة نامق
مغاربتنا من أمره كالمشارق

• • •

فعدَّ عن الأيام إذ لم تجد بها
نقضت من الدنيا يدى لأننى
سوى لفظ يزرى بفصل المناطق
تعرفت منها ما بها من خلائق

فما أنا وقَّافٌ بها عند منزلٍ ولا أنا بالكِ من حبيبٍ مفارقٍ
ولا عذبتني في العذيبِ صبايةً ولا شأفتني برقٍ لربعٍ يسارقٍ
تعشقت منها حسن كل حقيقة

وأعرضت عن حسن الحسان الغرائق

ولى عند إخوان الصفا أريحيةً إلى كلِّ خِلٍّ في الزمان موافقٍ
إذا ماعقدنا مجلس الأنس بالطلا فبينى وبين السكر خمس دقائق
أقوم إلى كبرى الزجاجات مدهمًا بمستقطر من خالص التمر رائقٍ
فأفرع بالكأس الروية جبهتي بشربٍ كما عبَّ القَطَا متلاحقٍ
أسابق نُدْماني إلى السكر طائرا ينجح من الأنس المضاعف خالقٍ
فنادمت أصحابي على غير حشمة وقلت لهم ما قلت غير مُناقٍ
وأغنيهم عن نقلهم في شراهم بتمزَّ طريٍّ من نقول الحقائق
ولم يُبدِ في السكر عند اشتداده سوى شكرٍ خِلٍّ أو سوى حمدٍ خالقي
تعودتُ سبقي في الفخار فلم أُرِدْ من السكر أن أحظى به غير سابقٍ
كما اعتاد سبقاً في المكارم خزعلٌ بلا سابقٍ فيها عليه ولا حقٍ
أمير كَمَنته للمكارم والعلَى ججاجٍ من كعبِ كرام المعارك
كذلك أعلَى الله في الناس كعبه بحظ من الجدد المؤثِّل فائقٍ
إذا سار سار الجدد في طيِّ بُرده يرافقه أكرم من مرافقٍ
فيرحل من أنسابه في مواكبٍ وينزل من إحسابه في سرادقٍ
وإن جاء أغضى من رآه تهيباً سوى نظيرٍ منهم بعيني مسارقٍ
جوادٌ إذا استمطرته جاد كفه بأغزر من ويل الغيوم الدوافق
أحاطت به من كل صوب حدائق كوجهك حسناً في العيون الروامق
وفاحت به للناشقين أزاهرٌ كأخلاقك الغراء طيباً لناشِقٍ
وزان الخليجُ الفارسيُّ بناءه فكان كعقد لبة عاتقٍ

أناف على أعلى السحاب معارضا
حوى منك قرماً بأسه ضامن له
فلا غرو أن ينتابه كل خائف
ويرجع عنه من يوافيك راجلا
فدى كل قصر في العراق ومن حوى
هنيئاً لك العيد الذي أنت مثله
أبا الأمراء الصيد جئتكم شاكياً
أجرني رعاك الله منها فإنها
أترضى وإني صقر بغداد أنتى
لئن أنكروا حتى فسوف تحقه
أصوغ بها حرّ الكلام لمزعزل

بجودك للعافين جود البوارق
بذل أعاديه وعز الأصادق
فيا من من وقع الخطوب الطوارق
على لاحق الأطلال من نسل لاحق
لقصر زها منكم بحامى الخثاق
لدى الناس عيد غير أن لم تفارق
إليك جنايات الزمان الماذق
رمت كل عظم في منها بعارق
تقدمنى فيها فراخ العماق
شاهد أفلامى بكفى نوامق
مديحا كسمط المؤنث المتناسق

خزانة الاوقاف

للمسلمين على ضرورة وفريهم
كنز لو استشفوا به من دائهم
ولو ابتغوا النشء فيه ثقافة
ولو ارتقوا بجناحه في عصرهم
لكهم قد أهملوه وأعملوا
فاذا نظرت رأيت ثمة أرضه
قد تابعوا الموتى عليه وما وقوا
وقفوا به عند الشروط لواقف
تركوا له في العصر نفعا ظاهرا
لم يستجدوا فيه شيئا واكتفوا

كنز يفيض غنى من الأوقاف
لتوجروا منه الدواء الشافي
لثقفوا منه بخير ثقاف
لأطارهم بقى وادم وخوافي
في جانبيه عوامل الإنلاف
تجرى الرياح بها وهن سوافي
أهل الحياة به من الإحجاف
وتعافلوا عن حكمة الإيقاف
وتعاملوا فيسه بنفع خافي
في كل حال منه بالسفساف

قل للذين تقيّدوا بشروطه
 غرسوه غرساً مثمراً لكن جرت
 هل بين شرط الواقفين وبين ما
 أريد أن يققوا الزمان أمورنا
 الأرض مسجدنا فقيم مساجد
 كان الصلاة بمسجد وبغيره
 هلاًّ جعلن مدارساً فياضة
 ينتابها أبناؤكم كي يأخذوا
 فيفيض فيض العلم حتى يرتوى
 إن لم يكن شرف البلاد محصّناً
 وإذا النفوس تسافلت من جهلها
 هذى الخزانة أنشئت فبناؤها
 ييظن ذو عقل بأن بناءها
 تالله ليس بمنكر تشييدها
 أحيوا بها عصر العلوم للدولة
 عصر الرشيد أبي الخلائف إذ غدت
 في عهد فيصلنا المعظم أنشئت
 فإذا هتفت بحمده وبشكره
 ناديت طلاب العلوم مؤرخاً

ماذا التوقف عند رسم عافى
 غير الزمان فعاد كالصفصاف
 نفع العموم تناقض وتنافي
 وأمورنا هي الزمان قوافى
 أمست تعدّ اليوم بالآلاف
 في الحكم واحدة لدى الأسلاف
 من كل علم بالزلزال الصافي
 من كل فن بالنصيب الوافي
 منه بنو الأمصار والأرياف
 بالعلم كان مهدّد الأطراف
 لم يُعلّمها شمم على الآناف
 للأمر فيه تدارك وتلافى
 أمر لشرط الواقفين منافي
 إلا امرؤ خال من الإنصاف
 خلفاؤها من آل عبد مناف
 بغداد رافلة بمجد ضافي
 علماً يشير لأشرف الأهداف
 ردّ الصدى بنيانها لهتافي
 حجّوا بناء خزانة الأوقاف

التعصب الوطني للأدب

مِنْ جَوْرٍ مِصْرَ عَنِ الْعُرُوبَةِ أَنَّهَا
وَتَحِيدَ عَنِ آدَابِ كُلِّ قَبِيلَةٍ
فَتَرَى بِمِصْرٍ تَعْصِبًا لِأَدِيبِهَا
فَإِذَا كَرَأَوْنِي الْأَدَابَ مِنْ غَيْرِ الْأَلِيِّ
وَأَشَدِّ بَيْنَ فِي غَيْرِ مِصْرٍ مَنُوءَهَا
تَحْفَى بِمَشْدَهَا الْقَرِيبَ وَتَدْعَى
فَالشَّاعِرَ الْمِصْرِيَّ فِيهَا فَاضِلَ
وَكَأَنَّمَا أُمِسْتُ مَوَاهِبَ رَبَّنَا
هَذَا لِعَمْرِ اللَّهِ جَوْرٌ عَدَّهُ
آدَابَ كُلِّ مَعَاشِرٍ كَمَعْلُومِهِمْ
لِلْعِلْمِ وَالْآدَابِ فِي كُلِّ الْوَرَى
مَنْ أَيْنَ كَانَتْ مِصْرُ فِي أَقْبَاطِهَا
أَبَتِ الْعُرُوبَةُ أَنْ يَفُوقَ هَزَارَهَا

تَتَعَمَّدُ التَّمْصِيرَ فِي آدَابِهَا
لَمْ تَنْتَحِلْهَا مِصْرُ فِي أَنْسَابِهَا^(١)
مَتَوَالِي النَّزَعَاتِ فِي أَعْصَابِهَا^(٢)
فِي مِصْرٍ يَغْضِبُ مِنْكَ أَهْلَ جَنَابِهَا
مَا إِنْ تَرَى فِيهَا لِقَوْلِكَ آيَهَا^(٣)
أَنْ إِنْ يَكُونُ لَهُ الْبَعِيدُ مِشَابِهَا
وَسَوَاءُ مَفْضُولٍ وَإِنْ يَكُ نَابِهَا
مَقْصُورَةٌ فِيهَا عَلَى كُتَّابِهَا
مَنْ فَرَطَ ضَلَّتْهَا أَوْلُوا أَلْبَابِهَا^(٤)
جَاءَتْ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي اسْتِنَابِهَا
دَارٌ مُحَرَّمَةٌ إِيَّافَةُ بَابِهَا^(٥)
كَمَوَاطِنِ الْأَعْرَابِ فِي إِعْرَابِهَا
صُرَّدَ زَقَى فِي مِصْرٍ زَقَى غَرَابِهَا^(٦)

عتاب وولاء

أَقِيمِ رَايَةَ تَحْمِيدِي وَشُكْرَانِي
أَقِيمِهَا رَمَزَ تَعْظِيمٍ عَلَى نَشْرِ
لِلشَّهْرِ ذِي الْأَدَبِ الزَّاكِي بِمَحْتَدِهِ

لِلشَّاعِرِ الصَّادِقِ الْإِحْسَاسِ نَعْمَانِ
مَنْ الْقَرِيبُ رَفِيعَ لَيْسَ بِالْدَانِي
فَرَعَ الذُّؤَابَةَ مِنْ عَلِيَاءِ عَدْنَانِ

(١) تحيد : تميل . وانتحلها : تدعيها .

(٢) النزعات : جمع نزعة ، وهي الميل مع المهرى .

(٣) آيها : أشدت بك كره وأبه فلان بفلان : فليان له ، واحتفى به .

(٤) ضلتها : ضللتها .

(٥) إيافة الباب : إغلافه .

(٦) صرد : طائر . وزقى : صاح وصوت .

من جاءنى بقواف جد زاهية
قد زانهم بوشى من بدائعه
لما شدوت بموسيقى براعته
ينوط بالسمع من ألفاظها دررا
لقد فعلن بنفسى حين أنشدها
فقلت والنفس تطفو فى مسرتها
يا شاعراً تطرب الدنيا نشأته
أنشدتني رقى تحكى بروعتها
شعر يفيض شعوراً قد نكأت به
إن كان بالشجن الماضى يذكرنى
هذا لعمرى شعر قد سررت به

إليك أرسل يا نعمان قافية
أشربت حب بلاد ما نشأت بها
أخلصت حبي لها حتى نسيت به
يا موطناً لست منه فى موادة
فكل من فيك تغنينى سعادتهم
إن سرك الدهر يوماً سرى وإذا
ما ضرنى أن كل الناس تحقرنى
وليس ينفعنى عز ولا شرف
لو ملكونيك عن قهر بلا ثقة
آليت منذ بلغت الحلم فى وطنى

تنبئك عن شغفى فى حب أوطان
إلا لأدفع عنها كل عدوان
نفسى وأهلى وأحبابى وخلانى
عش بعد موتى عيش الوداع الهانى
وكل أبنائك الأعداء إخوانى
آذاك بالمرجعات الدهر آذانى
إن كنت أنت جليل القدر والشان
إن لم تكن أنت ذا عز وسلطان
ما كنت غير ظلوم فيك خوان
أن لا أقابل نعماء بكفران

وَأَنْ أَكُونَ لَهُ عَوْنًا أَوْ آرْزُهُ
إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَوْفُقْ فِي تَحْرِيرِهِ
لَوْلَا التَّعَاوُنُ بَيْنَ النَّاسِ مَا شَرَفْتُ
لَوْلَا التَّعَادَى الَّذِي تَشَقَّى الْوَحْشُ بِهِ
يَا قَوْمِ إِنِّي مِنَ الدُّنْيَا ضَحِيَّتُكُمْ
وَاسْتَنْصَرُوا اللَّهَ وَادْعُوهُ لِيُنْقِذَكُمْ
لَا تَحْسِبُونِي مِنْكُمْ جَارِعًا ضَجْرًا
إِنِّي أَلَفْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مَخْصَمَتِي
تَحْتَارُ نَفْسِي الطَّوْرَى بِالْعَزْ قَانَعَةٍ
أَعِيشْ عَيْشَةً (غَنَدَى) وَهُوَ ذُو جِلْدَةٍ
الْعَزْ أَعْظَمُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ شَبَعٍ
فَالذَّلُّ يَقْتُلُ نَفْسًا مِنْهُ بَاقِيَةٌ
رَبَّمَا الطَّعَامَ بِمَا كَوْنُ اللَّذَّةِ
وَفِي التَّفَارِ غِنَى الْمُسْتَقِيمِ بِهِ
وَكُلَّ مَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ عَارِيَةً
وَأَنْ ذَكَرْتُ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ بِمَا

بِالنَّصْرِ أَوَّلُ أَنْصَارٍ وَأَعْوَانٍ.
بَنَيْتُ لِلْمَجْدِ فِيهِ خَيْرَ بَنِيَانٍ
نَفْسٌ وَلَا أَزْدَهَرَتْ أَرْضُ بَعْمَرَانٍ
مَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْهَا كُلِّ إِنْسَانٍ
فَقَرَّبُوا مِنْ حَيَاتِي كُلِّ قَرِيبَانٍ
مِمَّا بِكُمْ حُلٌّ مِنْ هَوْنٍ وَخُسْرَانٍ
وَإِنْ يَكُنْ شُطْفِي فِي الْعَيْشِ أَصْوَانِي
قَالَعَمُ وَالْبُؤْسُ عِنْدِي الْيَوْمَ سَيَانٍ
وَتَتْرَكَ الْقَصْفَ فِي ذُلِّ الْمُبْطَانِ
فِي الْهِنْدِ يَمْشِي وَثِيدًا شَبَهُ عَرِيَانٍ
وَالذَّلُّ أَقْتُلُ مِنْ جُوعٍ لَجُوعَانٍ
وَالجُوعُ يَقْتُلُ مِنْهُ جِسْمَهُ الْفَانِي
وَإِنَّمَا هُوَ تَقْوِيمٌ لِأَبْدَانٍ
عَنِ الْمَطَاعِمِ تَخْلِيطًا بِالْوَانِ
يَزُولُ عَنْهُ وَلَوْ مِنْ بَعْدِ أَحْيَانٍ
يَحْيِي الثَّنَاءَ عَلَيْهِ عَمْرَهُ الثَّانِي

• • •

يَا لَاهُجِينَ بَشْتَسِي فِي مَجَالِسِهِمْ
لَوْلَا تَرْفَعُ نَفْسِي فِي سَفَاهَتِكُمْ
جَادَاتُمُونِي فَمَا أَحْسَنْتُمُو جِدْلِي
وَخَضِمِ الْبَاطِلَ الْبَيْدَى بِنَعْرَتِهِ
وَمِنْ عَنَاءِ الْيَلِيلِ أَنْ يَجَادِلَنِي

نَامُوا عَلَى الْأَمْنِ فِي أَحْضَانِ غَفْرَانِي
أَحْرِقْتُمْ مِنْ لُظَى هَجْوَى بَنِيرَانٍ
حَتَّى بَذَيْتُمْ بِذَاءِ الْمَاجِنِ الْخَلَايِ
شَتَّى الْأَقَاوِيلِ مِنْ زُورٍ وَبِهْتَانٍ
مَنْ لَيْسَ يَقْرَعُ بِالْبَرْهَانِ بَرْهَانِي

بل يترك القول من عجز ومن خور
 تأبى المروءة إلا أن أخالفكم
 وأن لى فى إبانى كل شائنة
 ولا أريد قصاصا من شتائمكم
 تلکم سحبة حر النفس يذكرها
 يا متممين إلى عرب وهم عجم
 سمج الملامح فى عشونه صهب
 كيف استويتم صقورا فى مجاثمكم
 وما بكم غير فرد فى جبلته
 إذا تسميتمو عربا فلا عجب
 تستنثرون صفاراً فى معاطسكم
 ورب مستكبر منكم تتلثاه
 فيستكين لهم حتى يكلمهم
 كم تظهرون عفافا فى تدبيركم
 لو كان فى الجن شىء من خباثتكم
 هذى قواف دعائى أن أبوح بها
 ذاك الأديب الذى باهى بسيرته
 وباهرت فى مساعيه مكارمه
 أكرم به يافعا شرح الشباب به
 إلى التمول عن زهو وطغيان
 فالعشر ديدانكم والنصح ديدانى
 عزما يؤيده بالله إيمانى
 بل أتبع العفو عنها بعض إحسان
 عنى الأخلاء من شيب وشبان
 من كل أحمر هيمان بن بيان
 مستعجم القول جافى الطبع مرطان
 ولستم فى السجايا غير غربان
 وأن يكن جاء فى مسالخ إسان
 فى أن يسمى ابن آوى باسم سرحان
 وتشمخون إلى آفاق كيوان
 أيدى الأجانب تل الجارم الجانى
 فى رعدة بنسان الخائف العانى
 وتضمرون ضمير الفاجر الزانى
 أعاذ بالله منها كل شيطان
 شعر أتى من زكى النفس نعمان
 كل الكواكب من قاص ومن دان
 أهل المكارم من أبناء عدنان
 ريان من شرف بالمجد مردان

مناجاة وشكوى

أقول لرب الشعر مهدي الجواهر
فترسلها غرًا هواتفًا بالعُسلَى
وتشدو بها والقوم صُمٌّ عن العلى
أترجو من الحساد عونا وناصراً
كأنك لم تبصر سواد قلوبهم
رؤيدك إن القوم ليسوا كما ترى
فلا تغتر منهم بيد فاعما
رمتهم يد الأيام من جشع بهم
بداءين قتالين حُتَّتْ نفوسهم
وقد فرقت أهواءهم في بلادهم
لذلك ترى كلاً يعيش لنفسه
إذا جثتهم أبدوا إليك بشاشة
وإن غبت عنهم أوسعوك مَدَمَّةً
وقد ينكرن العار فيهم تجاهلاً
فدعهم وما هم فيه من جاهلية
فسوف تراهم من تمادي ضلالهم
ونزّه بليغ الشعر عنهم بتركه
سكبت بحور الشعر قبلك خائضاً
وسيرت من غر القوافي بلجها
بكيت بها الجدة المضاع بأدمع

إلى كم تناغى بالقوافي السواحِرِ
يرود منها سمعه كل شاعر
فلم تلق إلا غير واعي وذاكر
فتدعو منهم خاذلاً غير ناصر
فهل أنت مغرور ببيض المسافر
لدى كل ذي علم بما في السرائر
ظواهرهم منقوضة بالضمائر
ومن بطر فيهم بداء الضرائر
فساد السجيا والتمساح العناصر
أنانية حُتَّتْ عقود الأواصر
على عكس عيش عند أهل الحواضر
وحسن ابتسام من ثغور مواكر
كأن لم يبتوا منك قِيلاً لزاكر
فيلة قلوبهم بالمنظر المتخاير
يدجون منها في الدياحي الكوافر
يعودون في العقبى بصفقة خاسر
لكل كذوب بينهم مقشعر
اعمرك منها كل طام وزاخر
قصائد سارت كالسفين المواخر
من الشعر شروى الملولو المتناثر

ونحت على الماضي الذي كان زاهراً
فلم أَلَفْ إِلَّا مُكْرِينَ مَكَانِي
وكما راعني منهم تَمَاسِيحُ خِسَّةٍ
فقابلتهم بالصفح عنهم ترفعا
أنا اليوم من هذي الحياة على شفا
سأرحل عنهم عائدا من شرورهم
مناحة رَبَّاتِ الْحِجَالِ الحرائر
يَحِيدُونَ عَنِّي كالوحوش النوافر
تريد ازدرادی بالخلق الفواغر
وأعرضت عن شتم السفيه المهاجر
أشارف منه مَرَقَدِي في المقابر
برب كريم قابل التوب غافر

في حفلة الميلاد النبوي

وضح الحق واستقام السبيل
قام يدعو إلى الهدى بكتاب
طلبا من المجد غاية قصوى
ووصولاً إلى مقام رفيع
همة دونها الكواكب نوراً
بعظيم هو النبي الرسول
عربي قرآنه ترتيل
صده عن بلوغها مستحيل
عز من قبله إليه الوصول
واعتلاء يعلوه به ويطول

• • •

جرد الله منه تلحق سيفاً
فيه عزم المهلكات قحوم
ودهاء لو ما كرته دواهي
تدلم الخطوب والرأى منه
كل أوصافه الجليسة بدع
كان ضدين حده والفلول
واضطبار للنائبات حول
الدهر طرا لاغتاها منه غول
في دجاها كأنه قنديل
فهو من عبقرية مجبول

• • •

أطلق الناس من تقاليد جهل
كل فرد منهم بها مغلول

وشقاهم بهديه من ضلال	كل فرد منهم به معالول
أنهض القوم للعلاء وكانت	في دنى القوم رقدة وخمول
فاستقالت به على الدهر يقضى	همم يعريية وعقول
تلك في الدين نهضة هي	للعقل انتباه والهدى تأثيل
نهضة عالمية في وغاها	من أمام البعير فر الفيل
هي كالبرق سرعة والتماعا	كل أفق بفضلها مشمول
خضعت فارس لها عن صغار	وتداعى إيوانها المستطيل
وإني اليوم قائم في الهند منها	أثر مثل طودها لا يزول
يعرف النيل فضلها وعلاها	من قديم ويشهد الدردنيل
وبها الأرض والسماوات ترضى	وتقر التوراة والإنجيل

* * *

غير أنا عن نهجها اليوم حدنا	واستحلنا وكل حال تحول
حيث عدنا وفي النهوض قعود	ورجعنا وفي الصعود نزول
واختلفنا في الدين حتى افترفنا	فرقا لا يسيغها المعقول
والتزمنا الفروع منه فضاعت	بالتزام الفروع منه الأصول
كل حزب بما لديه فخور	ولمن هم مخالفوه خذول
بدع في حياتنا منكرات	غضب الله فوقها مسدول

* * *

حالة ساءت الرسول وساءت	كل آى بها أتنا الرسول
لو رأنا والشر فينا كثير	مستفيض والخير نزر قليل
وثغور الضلال مبتسمات	ووجوه الهدى عليها محول
والدعاوى في الحق منا كبار	طال فيها التزمير والتطويل

نعبد الله والعبادة لمن	عند بعض وعند بعض عويل
ونحج القبور كالبيت حجا	يكثُر المسح فيه والتقبيل
ونعبد الركوع للقبور حلا	وهو في الدين ما له تحليل
ونزجى إلى القبور ندورا	فضحايا مسوقة وحول
ونقول التوحيد قولاً وكل	هو للشرك عامد وفحول
قال مستنكراً لما نحن فيه :	ما بهذا قد جاءنى جبريل
أين دين التوحيد منكم وأين	الأوب لله وحده والتقول
أنا حرمت كل ما كان فيه	شبه للأصنام أو تمثيل
كل من قال منكم إن هذا	هو دين الإسلام فيو جهول
لِمَ لِمَ تحفظون إخوة دين	جاءكم ناطقاً به التنزيل
كان جبل الإخاء فيكم وثيقاً	كيف أمسى وعقده محلول
نست منكم بيأس بل نهوض	منكم بعد فترة مأمول
فأجمعوا الشمل نهضين فإن	الكفر في الدين عجزم والحول

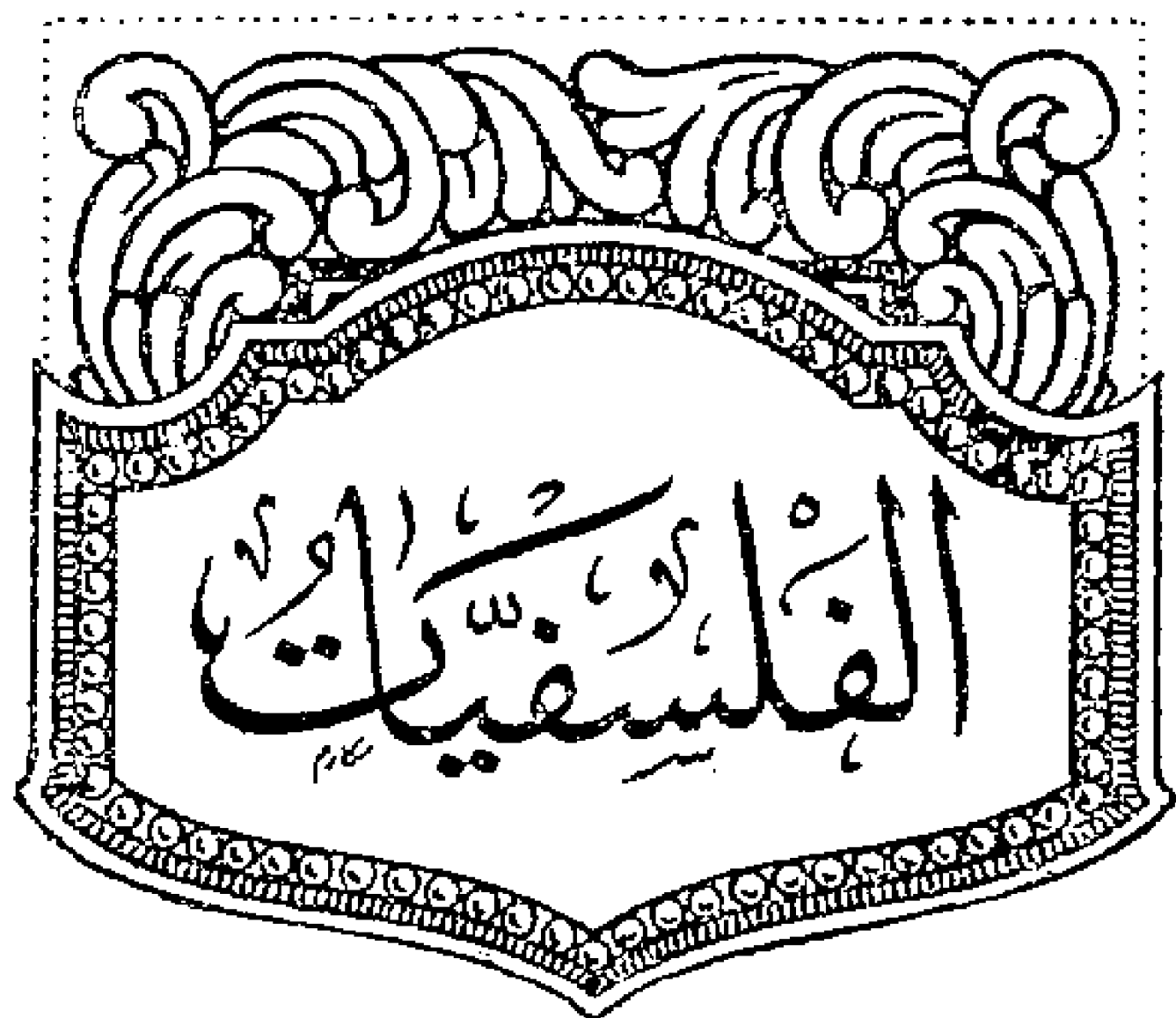
إلى العمال

كل ما في البلاد من أموال	ليس إلا نتيجة الأعمال
إن يطب في حياتنا الاجتماعية	عيش فالفضل للعمال
وإذا كان في البلاد ثراء	فبفضل الإنتاج والابدال
نحن خلق المقدرات وفيها	لا حياة للعاطل المكسال
عندنا اليوم في الحياة نظام	قد حوى كل باطل ومحال
حيث يسعى الفقير يسعى أجير	لغنى مستأثر بالغللال
فترى الكثيرين في طيب عيش	أرغذته لهم يد الاقلال

وترى الغائصين في البحر أمسى
وترى المعسرين في كل أرض
أكثر الناس يكدحون لقوم
واحد في النعيم يلهو وألف
عائلة في معاشنا أسلكتنا
فترانا بعضا لبعض لبسنا
تلك عاد مستهجنات ورثناها
فإلى كم نشقى وحتى م نبي
إنما الحق مذهب الاشتراكية
مذهب قد نحى إليه أبو ذر
ليس فضل الزكاة في الشرع إلا
مبدأ ذو مقاصد ضامنت
موصلات إلى السعادة في العيش
ليس المرء أن يعيش بلا كد
كل مجد يبني على غير معنى
ليس قدر الفتي من العيش إلا
ما رءوس الأموال إلا أداة
مثل شد الأحمال شد المساعي
صاح ماذا تجدى الدنانير لولا
أفتأتى من الطعام بديلا
حاجة المرء أكلة وكساء
إن للعيش حومة في وغاها

لسواهم ما أخرجوا من لآلى
كعبيد والموسرين موالى
قدموا في قصورهم والعالى
في شقاء وأبؤس واعتلال
طرقات الخاتل الختال
من خياناتنا مسح الثعال
قدما من العصور الخوالى
هكذا في عماية وضلال
فما يختص في الأموال
قدما في غابر الأجيال
خطوة نحو مبتغاه العالى
ما لأهل الحياة من آمال
هواد إلى طريقى تعالى
وإن كان من عظام الرجال
فهو مجد مهدد بالزوال
قدر إنتاج سعيه المتوالى
المساعى كالحبل للأحمال
ودنانيرها لها كالحبال
همم الدائبين في الأشغال
أفتغنى عن كسوة ونعال
وسوى ذاك بسطة في الكمال
لا تحق الحياة للبطال

رحاها إلا على الأبطال	إنها مثل حومة الحرب ما دارت
وسوى الكد ما بها من قتال	وسوى الخلق ما بها من سلاح
ومنه الأعمال مثل الصيال	بطل الحرب مثله بطل السعي
مثل إشرائه لسل العوالى	ونشاط منه يبيض المساعي
بينكم فرخص لكم كل غال	أيها العاملون إن اتحاداً
بسوى الاتحاد من إبلال	ما لعيش تشقون فيه سقاما
ومعيناً له على كل حال	فليكن بعضكم لبعض نصيراً
فلا أكون مغال	وإذا قلت أنكم أنتم الناس جميعاً
وارقبوا ما به ستأتى الليالى	فاعملوا دائبين غير كسالى
زمرة العمال	ثم قولوا معى مقالا رفيع الصوت فلتحيي



خواطر شاعر

تجاه شاعرية الريحاني

لعمرك ما كلُّ انكسار له جبرٌ ولا كلُّ سرٍّ يُستطاع به الجهرُ
لقد ضربت كَفَّ الحياة على الحجا ستارًا فعلم القوم في كنهها نذر^(١)
فقمنا جميعاً من وراء ستارها نقول بشوق : ما وراءك يا ستر؟
حكمت سرحة فتواء نبصر فروعها ولم ندر منها ما الأنايش والجذر^(٢)
وقد قال بعض القوم إن حياتنا كليل وإن الفجر مطلعه القبر
فإن كان هذا القول فيها حقيقة فيأشده ما قد شاقني ذلك الفجر
وروح الفتى بعد الردى إن يكن لها بقاء وحس فالحياة هي الخسر
وإن رقيت نحو السماء فخبذا إذا أصبحت مأوى لها الاتجم الزهر

* * *

وأعجب شأن في الحياة شعورنا وأعجب شأن في الشعور هو الحجر^(٣)
وللنفس في أفق الشعور مخايل إذا برقت فالفكر في برقها قطر
وما كلُّ مشعور به من شئونها قديرٌ على إيضاحه المنطق الحر
ففي النفس ما أعيا العبارة كشفه وقصر عن تبيانها النظم والنثر
ومن خاطرات النفس ما لم يقم به بيان ، ولم ينهض بأعبائه الشعر

(١) يقول بهذا البيت والذي بعده : إن لنا من حياتنا سترًا مسدولاً على عقولنا . فليس لنا من العلم بما وراء ستر الحياة إلا النذر اليسير ، ولكن عندنا شوق كبير إلى معرفة ما وراء الحياة ، حتى إن كلامنا قائم عند الستار وهو يسأل قائلاً : ما وراءك يا ستر؟

(٢) السرحة : الشجرة العظيمة . وفتواء : كثيرة الأذن ، واسعة الظل . وأنايش : أصول الشجرة تحت الأرض ، واحدها : أنبوش . وجذر الشجرة : أصلها . بين في البيتين السابقين جمع : بما بعد الحياة ، أي بمنتهىها ، وبين بهذا البيت : جعلنا بما قبلها : أي بمبتدأها .

(٣) الحجر ، بكسر فسكون : العقل ، والشعور أعم من العقل ، لأنه علم الشيء علم حس ، والعقل جوهر تدرك به النفس الكليات من العلوم الضرورية والنظرية . يقول : إن ما للحياة من الشعور لعجيب ، وإن العقل أعجب شأن من شعور الحياة ، فانها بما لها من الشعور والعقل أصبحت من المعينات .

ويارب فكر حالك في صدر ناطق
ويارب معنى دق حتى تخاوصت
أرى اللفظ معدوداً فكيف أسومه
وأفق المعاني في التصور واسع
ولولا قصور في اللغا عن مرامنا
ولست أخص الشعر بالكلم التي
وذاك لأن الشعر أوسع من لغا
وما الشعر إلا كل ما رشح الفتى
وحرك فيه ساكن الوجد فاغتندى
فمن نفثات الشعر سجع حمامة
ومن شذرات الشعر حوم فراشة
ومن صحكات الشعر دمة عاشق

فضاق من النطق التفسيح به الصدر
إليه من الألفاظ أعينها الخزر^(١)
كفاية معنى فاقه العد والحصر^(٢)
يتيه إذا ما طار في جوّه الفكر^(٣)
لما كان في قول الجاز لما عذر^(٤)
تنظم أحياناً كما تنظم الدر
يكون على فعل اللسان لها قصر
كما رنحت أعطاف شاربها الخمر^(٥)
مهبجاً كما يستن في المرح المهر^(٦)
على أيكة يشجي المشوق لها هدر^(٧)
على الزهر في روض به ابتسم الزهر
بها قد شكا الموصل ما فعل الهجر

(١) تخاوصت : أى غضت من بصرها شيئاً . يقال : تخاوص : إذا غص من بصره شيئاً ؛ وكذلك يفعل الناظر إلى شئ . دقيق . والخزر : جمع خزرء ، وهى العين الصغيرة الضيقة . ومعنى البيت : أن من المعاني ما يدق حتى تقصر عن بيانها الألفاظ .
(٢) أسومه : أى أكلفه . يقول إن الألفاظ متناهية ، والمعاني غير متناهية ، فكيف يحيط للمتناهى بغير المتناهى .

الفكر : ترتيب أمور معلومة لتأدى إلى مجهول ، فالفكر نتيجة مترتبة على الشعور والإدراك . يقول : إن الشعور بمنزلة الخبايل للنفس . والخبايل : هى السحب المنذرة بالخطر ، فإذا برقت في النفس تخايلها ، كان قطرها الفكر .

(٤) يقول : إن البلاء لا عذر ذم في استعمال الجاز ، إلا كون الألفاظ قاصرة عن أداء المعاني المطلوبة ، فإن قصورها عن أداء المعنى هو الذى يضطرهم إلى الخروج بها عما وضعت له ، لسكى يتوصلوا بذلك إلى أداء المعنى المراد .

(٥) معنى هذا البيت والذى بعده أن الشعر لا يختص بالكلام المنظوم ، ولا بالمتنوع ؛ بل هو أوسع وأعم من الكلام المؤدى باللسان . ثم بين في الأبيات التالية معنى الشعر ، فقال : هو كل ما أثر في المرء ورنحه كما ترنحه الخمر ، وحرك فيه ساكن الوجد ، ثم أخذ يفصل ذلك بقوله : « فمن نفثات الشعر » الخ . . .

(٦) مهبجاً : منفعل متأثر الوجدان . يستن المهر : يعدو . والمهر : ولد الفرس .

(٧) الهدر : صوت الحمام .

ومن لَمَعَاتِ الشعرِ نظرةٌ غادةٌ بنجلاء تسبي القلب في طرفها قَتَرٌ^(١)
ومن بَهَرَاتِ الشعرِ رَنَّةٌ ثا كل مُفَجَّعةٌ أودى بواحدِها الدهر
ومن نَفَحَاتِ الشعرِ ترجيعٌ مُطَرَّبٌ تعاوَرَ تَجَرَّى صوته الخفضُ والنَّزَرُ^(٢)
وإن من الشعرِ اثتلاقٌ كواكب يَجْنَحُ الدُّجَى باتت يضاحكها البدر^(٣)
وإن لريحانينا شاعرية من الشعر فيها يقال هي الشعر
وما الشعر إلا الروضُ أماً أميناً فريحانة ، وأُخْلِقَ منه هو النَّشْرُ^(٤)
وإن لم يكن شعري من الشعر لم يكن لَعَمَرُ النَّهْيِ للشعر عند النهي قَدَرُ^(٥)

وجه ابن آدم

لله سرٌّ في الأنام مُطْلَسٌ حار الفصيحُ بوصفه والأعجم^(٦)
برأ ابنَ آدمَ وهو إن لم تلقه في الخلق أقدمَ فهو فيه مُقَدَّمُ
وإذا نظرنا في العجائب نظرةً ظهر ابن آدم وهو منها الأعظم
أما العجيبُ من ابن آدم فهو ما نسق الكلام به إذا نطق الفم^(٧)
والوجه أعجب ما رأيت وإنه ليحار في سَحْنائه المتوسِّم^(٨)
هو من طرازِ الله إلا أنه بسرائر النفس الحديثة مُعَلِّمُ^(٩)
أما الحواجب فهي فيه كواشفٌ والعين فيه عن الصَّير تترجم

- (١) نجلاء : عين واسعة .
(٢) تعاوَرَ : تراوَل . التبر : رفع الصوت بالكلام والغناء ونحوهما . (٣) اثتلاق : لمعان .
(٤) النَّشْر : الرائحة الطيبة . (٥) النهي : جمع نهية ، وهي العقل .
(٦) المُطْلَس ، بصيغة المفعول : من طلس الساحر إذا كتب الضلام ، والمراد بكون السر مطلساً أنه كتب عليه طلسم بالأبصار يصل إليه أحد .
(٧) أى أن العجيب من ابن آدم هو القوة الناطقة التي إذا تكلم نسق بواسطتها الكلام .
(٨) السحناء : بحركة وكصجاء : الهيئة واللون . والتوسم : الناظر إليه المتفرس ، الذي يطلب صوته ، أى علامته .
(٩) الطراز : يطلق على الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة ، يقال عمل : هذا الثوب في طراز فلان ، ومن المجاز قولهم الوجه المليح « هو مما عمل في طراز الله » . والمعلم ، بصيغة المفعول : المجهول له علامة ، والمعنى ظاهر .

ولرب خافية يكتُمها الفقى والوجه منه بسرّها يتكلّم
كلُّ يشير إلى السريرة وجهه فكأنّه بضميره متلّم
فالوجه فيه من القرونة مسحة للخافيات بها وضوح مبهم^(١)
صرع النهى فالوهم فيه تيقن تحت الملامح واليقين توهم^(٢)
ولرب وجه فى تبسمه البكا ولرب وجه فى بكاه تبسم
والأنف فى وجه ابن آدم زينة فالوجه لو لا أنفه متجهم
كالهذب فى شفر العيون فإنه لولاه تَشَتَّر العيون وتسجّم^(٣)

إن الوجوه صحائف مطموسة يمحو كتابتها ويثبتها الدم^(٤)
بينك تقرأ حرفها متفهماً يبدو تحرفها فلا تتفهم
فالعقل فيها عالم متجاهل طوراً وطوراً جاهل متعلم
إنى أرى هذى الوجوه نواظراً بالسرّ لسنن نطقهنّ مججم^(٥)
وأرى لحاظ عيونها متحدّثاً عنها ولكن الحديث مرجّم
فكأننى البدوى يسمع راطناً وكأنما هى أعجمى ططم^(٦)

(١) القرونة : النفس ، ومعنى قوله « وضوح مبهم » : أنك ترى ما يخفيه الإنسان واضحاً فى وجهه ، ولكنه مع ذلك لا يزال مبهماً عندك ، إذ لا تعلمه يقيناً .

(٢) المراد بكونه صرع النهى : أنه غلبها . والضمير فى صرع يعود إلى الوجه . والنهى : جمع نهية ، وهى العقل . واللامح : ما بدا من محاسن الوجه ومساوئه ، جم لحة على غير لفظها ، وهو من النوادر ، يقال : فى فلان ملامح من أبيه : أى مشابه . ومعنى البيت : أن العقل مغلوب تحت ملامحه ، فهو يتردد بين الوهم واليقين .

(٣) الهدب : شعر أشجار العيين . وتشتت : أى تكون شتاء ، أى ذات شتاء ، وهو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل ، أو انشقاقه ، أو استرخاؤه . وتسجّم : أى تسيل الدمع .

(٤) مطموسة : محوّة . والمراد بمحو الدم . كتابتها : عدم فهم شىء منها ، وإثباته إياها : فهم شىء منها ، أى أن الناظر فيها بين فاهم وغير فاهم ، كما قد فسر ذلك بالبيت الذى بعده .

(٥) مججم ، بصيغة المفعول : أى غير بين ، من مججم الكلام : إذا لم يبينه .

(٦) راطن : متكلماً بالأعجمية . وأعجمى ططم : فى لسانه عجمة لا يفصح .

وَلَرُبَّ وَجْهٍ يَسْتَبِيكُ بِحَسَنِهِ فَيَتَرَوَّحُ مِنْهُ وَأَنْتَ صَبٌّ مُعْرَمٌ
يَبْدُو إِلَيْكَ وَأَنْتَ خِلْوٌ مِنْ هَوًى وَيَصْدُ عَنْكَ وَأَنْتَ فِيهِ مُتَمِّمٌ
وَإِذَا تَغَيَّبَ فَالْبَدْرُ مُضِيئَةٌ وَإِذَا أَضَاءَ فَكُلُّ بَدْرٍ مُظْلَمٌ
لِلَّهِ فِي وَجْهِهِ ابْنُ آدَمَ حِكْمَةٌ يَعْنُو السَّفِيهَةُ لَهَا وَمَنْ يَتَحَلَّمُ

ما وراء القبر

مَتَى تُطْلَقُ الْأَيَّامُ حُرِّيَّةَ الْفِكْرِ فَيَنْشَطُ فِيهَا الْعَقْلُ مِنْ عُقْلَةِ الْأَمْرِ^(١)
وَيَصْدَعُ كُلُّ بِالْحَقِيقَةِ نَاطِقًا وَيَتَرَكُ مَا لَمْ يَدْرِ مِنْهَا لِمَنْ يَدْرِي^(٢)
أَرَانَا إِذَا رُمْنَا بِيَانِ حَقِيقَةِ عَزَيْنَا مَعَآذَ اللَّهِ فِيهَا إِلَى الْكُفْرِ^(٣)
جَهَنَّمَ أَشَدَّ الْجَهْلِ آخِرُ عُثْرِنَا كَمَا قَدْ جَهِلْنَا قَبْلَهُ أَوَّلَ النُّعْمِ
هَمَّا سَاحِلًا بِحَرٍّ مِنَ الْعَيْشِ مَا مَجَّ فَفِي أَيِّ أَمْرٍ نَحْنُ بَيْنَهُمَا نَحْرِي
وَمِنْ أَيْنَ جِئْنَا أَمْ إِلَى أَيْنَ قَصَدْنَا ؟ وَفِي أَيِّ لَيْلٍ مِنْ تَشَكُّكِنَا نَسْرِي ؟
كَأَنَّا أَتَيْنَا وَالْمَعِيشَةَ لُجَّةً لِنَهْبِرَ وَالْأَعْمَارَ جِسْرًا إِلَى الْقَبْرِ^(٤)
وَمَاذَا وَرَاءَ الْقَبْرِ مِمَّا نُرِيدُهُ وَهَلْ مِنْ مَدَى بَعْدَ الْعُبُورِ عَلَى الْجِسْرِ^(٥)
نَسْأَلُنِي نَفْسِي وَالْمَوْتَ حَمُولَةً أَلَا هَلْ لِكُسْرِ الْمَوْتِ وَيَحْكَ عَنْ جَبْرِ^(٦)
لَعَلَّ حَيَاةَ الْمَرءِ لَيْلٌ سَتَنْجَلِي غِيَا هَبِهِ مِنْ سَكْرَةِ الْمَوْتِ بِالْفَجْرِ^(٧)
فَإِنْ كَانَ ذَا حَقًّا فَإِنْ حَيَاتِنَا كَمَا قِيلَ سِنَّزٌ وَالرَّدَى كَاشِفُ السَّتْرِ
وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الرُّوحَ تَبَقَّى فَبَلِّ لَهَا عُرُوجَ إِلَى الْأَعْلَى إِلَى الْأَنْجَمِ الرَّهْرِ
وَهَلْ تَعْرِفُ الْجَنَانَ بَعْدَ عُرُوجِهَا فَتَمَكَّتْ مِنْهُ فِي السَّمَاءِ عَلَى ذِكْرِ

(١) عقلة : ما تعقل به الرجل وتقيده .

(٢) عزينا : نسينا .

(٣) المدى : الغاية .

(٤) غياهبه . جمع غيب ، وهو الظلمة .

(٥) يصدع : يجهر .

(٦) اللجة : الماء الكثير .

(٧) صولة : قوة . ويحك : رحمة لك .

إذا أرضنا كانت سماء لغيرها
 وهل عَرَجَتْ أرواح مَنْ في عطارِدِ
 خيالٍ به رُحْنَا نعللُ أنفُسًا
 وشبهَ بالنهر الحياةَ معاشرَ
 ولكنهم أعمى عليهم مَصَبُهُ
 فيا ليت شعري أين ينصبّ جارياً
 لعمرِكَ ما هذى الحياة وما الذى
 نحاول عمماً بالحياة وإنَّ ذا
 ونسلك منها في تَجاهلٍ قفرةٍ
 على أننا نَمضى إلى أمر ربنا
 فما من عُرُوج بل نزول إلى القمرِ
 إلى الأرض أم هذا الكَلَامُ من الهذرِ^(١)
 هَزَّ أَنْ به لَمَّا رَجَعْنَ إلى الحجرِ^(٢)
 فمتبعه في رأيهم قَدَمُ الدهرِ
 وإن رَجَّحُوا بالظنِّ في منبع النهرِ
 أعوذاً لبدء أم إلى غايةٍ يجري
 يُراد بنا فيها من الخير والشرِ؟
 منوط إلى ما ليس يُدرِك بالفكرِ
 فتخرج من قفَرٍ وندخل في قفَرٍ
 كما أننا آتون من ذلك الأمرِ

لو

لو أسكرَ الإنسانَ باطلُ أمره
 لو قاس كلُّ فتى سواه بنفسه
 لو أنصف الخُصمان ما اصطاد الرُشَا
 لو أخلص الإنسان في إحسانه
 لو لم يَشْكُ بربه متفلسِفٌ
 لم تلق غير مُعَرِّدٍ سَكْرَانٍ^(٣)
 فيما أراد لما تعادى اثبات
 أهلُ القضاء بما ادَّعى الخُصمان^(٤)
 لم يرجُح أن يُجزى على الإحسان^(٥)
 في الدين لم يحتج بالبرهان^(٦)

(١) الهذر ، بفتح الهاء : الهذيان والكلام الذى لا يجاب به .

(٢) نعلل : نلّى ونلّى . والحجر : العقل .

(٣) يريد : لو كان الباطل مسكراً كالخمر لرأيت الناس كلهم سكارى .

(٤) هذا البيت قريب في معناه من القول المشهور : « لو أنصف الناس استراح القاضي » غير

أن معنى البيت لو أنصف الناس لما فسدت أخلاق القضاة باتخاذهم دعاوى الخصوم آلة لاصطياد الرشاة .

(٥) أى لأن من أحسن وهو يرجو المكافأة على إحسانه لم يكن عسناً في الحقيقة إلا إلى

نفسه ، فهو لذلك غير مخفص في إحسانه .

(٦) أن لأن احتجاجه بالبرهان دليل على ماخامره من الشك .

و أن عقل المرء يغلب حبه
لولا جهود في الشرائع مُمَلِّكَ
لو كان قصد الدين غير سعادة الدُّ
لو أخلص الرجل التقى بدينه
لا خير في تقوى امرئ لو لم يخف
لو كان أمر الحج معنولاً لَمَّا
لو حكَّم العقل الحجيجُ بحجَّهم
لو أخلص الغزى بنصرة دينهم
كذبت قريش لو تقادم عهدُها
لو كان للشيطان معنى غير ما الـ
لو يجعل الناس التعاون دأبهم
لو أن أخلاق الرجال تهذبُ
ومحبة الأوطان لولاها لَمَّا

والنفس لم يلجأ إلى الأديان^(١)
لتغيَّرت بتغيُّر الأزمان
نبا لكان الكفر كالإيمان^(٢)
ما كان ذا طمعٍ بحور جنان
نار الجحيم لَنَجَّ في العُصيان
كان استلام القوم للأركان
أبوا الطواف بتلكم الجدران
ما حلَّ سبي حرائر النِّسوان
في الجند ما خدعت أباغيشان^(٣)
إنسان ما آمنتُ بالشيطان
تتمتعوا بسعادة العُمران
لتكشفت حجب عن النِّسوان^(٤)
عرف الأنامُ عداوة الأوطان^(٥)

(١) لاشك أن حب النفس هو الأصل الوحيد الذي يمكن الرجوع إليه في تعليل أفعال الإنسان كلها ، ومعنى البيت أن حب النفس هو الذي يدفع الإنسان إلى التمسك بما تقوله الأديان من الحياة الأخرى ، لأنه يحب الخلود لنفسه ، ولا يرضى لها أن تفنى وتذهب سدى بعد الموت .

(٢) هذا رد لما يقوله بعض الناس من أن غاية الدين أخروية محضة ، لاعلاقة لها بالدنيا ، وهذا باطل ، لأن الدنيا قطرة الآخرة ، وإذا كانت القطرة غير صالحة للعبور تعمُر الوصول إلى المصوب .

معنى البيت : أنه لو صح ما يقوله هؤلاء ، من أن غاية الدين أخروية محضة ، لتساوى الكفر والإيمان في الدنيا ، ولكنهما غير متساويين في الدنيا ، لأن البهانة تشهد بأن صاحب الإيمان أهدي في أمور دنياه من صاحب الكفر .

(٣) قواه أباغيشان : هو رجل من خزاعة كان يلى سدانة الكعبة قبل قريش ، وأسكده قصى ، واشترى منه مغانج الكعبة بزرق خر ، ثم أفان نادما ، فضرب به المثل في الحق والندم وخسارة الصفقة . ومعنى البيت ظاهر .

(٤) أى أن تحجب النساء عننا معاشر الشرقين لم يكن إلا من نساد أخلاق الرجال ، فلو تهذبت أحلاهم لارتفع الحجب .

(٥) أراد بمحبة الأوطان هنا : المحبة السياسية ، التي يتخذها صاحب السياسة ذريعة إلى تهيج الشعوب إلى الحروب ، ولاشك أن هذه المحبة هي أساس العداوات الوطنية بين الأمم قاطبة .

لو كان خير في المجرة لم يكن في الأرض شرّ دائماً الغليان^(١)
لو تمّ في فلك الثريا سعدُها لم تُمنّ بالغيث والوبران
لو لم يكن فزعاً سهيلاً لم يبت في أفقه متتابع الخفقان

حقيقتي السلبية

أحب صراحتي قولاً وفعلاً وأكره أن أميل إلى الرياء
فما خادعتُ من أحدٍ بأمر ولا أضمرتُ حسواً في ارتغاء
ولست من الذين يرون خيراً بإبقاء الحقيقة في الخفاء
ولا ممن يرى الأديان قامت بوحي مُنزلٍ للأنبياء
ولكن هنّ وضع وابتداع من العقلاء أرباب الدهاء^(٢)
ولست من الألى وهموا وقالوا بأنّ الروح تعرج للسماء^(٣)
لأن الأرض تسبج في فضاء وما تلك السماء سوى الفضاء
ولست من الذين يرون فخراً لمفتخر يهراق الدماء^(٤)
ولا ممن قد ارتبطوا بماض فعاشوا ينظرون إلى الوراء
ولا ممن يرى للناس حكماً سوى الحكام أرباب القضاء
ولا ممن تودّد في حضور وعند الغيب جاهر بالعداء
ولا ممن يرى الأنساب ممّا يمتّ به الأنام إلى العلاء^(٥)

(١) الأرض : كوكب تابع للشمس ، ومنفصل عنها . والشمس : كوكب من كواكب المجرة ، فيصح أن نستدل بما في الأرض على ما في المجرة ، لأنّها أي الأرض جزء من المجرة ، ونحن نرى في الأرض شراً دائماً الغليان ، في المجرة شرّ أيضاً دائماً الغليان . وهذا هو معنى الحديث .

(٢) . هذا البيت ينظر إلى بيت المعري في اللزوميات :

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما دياناكم مكر من القدماء

(٣) نعرج : تصعد . (٤) يهراق الدماء : إسالتها بالحروب ونحوها من ضروب التعدي .

(٥) يمتّ إلى الشيء : يتصل به بسبب .

ولا مَنَّ إِذَا وَبَّؤُوا استعاذوا بتمتمة الدعاء من الوباء^(١)
 ولا من معشر صَلَّوْا وصاموا لِمَا وَعَدُوهُ من حسن الجزاء
 ولا مَنَّ يَرُونَ الله يجزى على الصلوات بالْحُورِ الْوِضَاءِ^(٢)
 ولا مَنَّ يرى الأشياء تفنى بحيث تكون من عَدَمِ هَوَاءِ
 ولكن هُنَّ في جمع وفرق تبدَّلُ منهما صُورُ البقاء
 ولست من الذين يَرَوْنَ فضلاً كبيراً للرجال على النساء
 ولكن دالت الأيامُ حتى بهلَوْنَ هَوْلَاءِ بهَوْلَاءِ

حياة الورى

حياة الورى جِسْرٌ مَدِيدٌ وإنما عليه الورى يمشون مِشْيَةً عابرة
 وللموت كَسْرٌ ليس يمكن جَبْرُهُ بَلْفٌ ضَادٍ أو بَشْدٌ الْجَبَائِرِ^(٣)
 وقتل الردى قتلٌ جَبَّارٌ فلم تكن لِنَتْدُرْكٍ فِيهِ ثَأْرُهَا نفسٌ ثَائِرٌ^(٤)
 فإن مَنَائِمَنَا سَهَامٌ عَوَائِرُ وكيف اثْنَا في السهامِ الْعَوَائِرِ^(٥)
 أرى الناس طُرّاً في الردى غير آتِهِم ثَوَّوْا بين مقبور هناك وقابر
 وما الموت إِلَّا هُوَّةٌ أَدْلَجَ الْوَرَى إِلَيْهَا بِمَسْوَدِ الدُّجَّةِ كَافِرٌ^(٦)
 فهم أبدأ يسَاقُطُونَ لِقَعْرِهَا تَسَاقُطَ عُمِّي في عِمَاقِ الْحَفَائِرِ
 أرى كل حى في الحياة ممثلاً رَوَايَةَ رُؤْيَا من كِتَابِ الْمَقَادِرِ

(١) وبَّؤوا : أصيبوا بالوباء .

(٢) الحور : جمع حوراء ، وهى التى اشتد سواد عينها وبياضها ، وهذا من الجمال عند العرب .
 والوضاء : جمع وضيمة ، وهى الجميلة ، النقية البشرة .

(٣) الضاد : الخرقه تلبس على العضو الكسير أو الجريح . والجبائر : جمع جبيرة ، وهى خشبات تشد بجانب العظم المكسور حتى يصلب ويشتد .

(٤) القتل الجبار : الذى لا دية معه . (٥) السهم العائر : الذى لا يعلم من رماه .

(٦) الإدلاج : السير فى الدلجة ، وهى الليل كله ، أو وقت السحر .

رواية رؤيا قد جرت في ديارنا فجاءتها حتى انتهت في المقابر
لقد قدم الموت الحياة أمامه نذيراً ومن يُنذر فليس بخادر
فلا عجب أنّا نرى كل ساعة أكفّ المنايا دميات الأظافر

حبذا النوم

إلى صاحبة مجلة « الفجر »

قل لنجلاً نجلاً أبي اللّمع إني عاشق نور فجرها الوضاح
هو للعلم خير فجر تجلّى مستنيراً بأشهر الأوضح
وصرير الأقلام في الطّرس منه كصياح الديوك في الإصباح
كم تصفحت فيه من صفحات عطرتي بنشرها الفياح
فكأنّ في النّفس والطّرس منها ناظر في بنفسج وأقاحي
ثم إني قرأت فيه لأسماء كلماتٍ بديعة الإفصاح
أيقظتنا بها إلى أنّ في النّو م ارتياحاً لنا وأيّ ارتياح
صدقت في الذي تقول ففجّوى قولها في غنى عن الإيضاح

• • •

حبّذا النّومُ فهو للرّوح رّوح من عناء الهموم والأفراح
وهو تجديد قوّة ونشّاط لحسوم رّوايح أطلّاح
حبّذا النّومُ ترتقي النفس فيه عالماً فوق عالم الأشباح
« تِلْفُون » به إلى الغيب تُصغى و « تِلْسَكُونُ » إلى الأرواح
حبّذا النّومُ إنه شَرَكٌ يَمْتَدُّ في الجسم لاصطياد ارتياح وهو للنفس من مَرّاقِ المعالي
فهو للنفس من مَرّاقِ المعالي وهو للجسم من دواعي الصّلاح

حبّذا النومُ فهو كالزيت للرؤح به تضيء كالمصباح
وهو معراجنا إلى أفق غيبٍ لن تنأى أبعاده والنواحي
حبّذا النومُ واصلًا بين حيٍّ ذى ثواء وميت ذى برّاح
حبّذا لنوم جامعا بين معشوق مقيم وعاشق ذى انزعاج
إن للنوم لذة هي في الأنفوس أشهى من لذة الأفراح
أدركتها النفوس بالفعل واستغنت بإدراكها عن الإيضاح
أيها القوم إن للنوم سلطا نا قويا لا يتقنى بسلاح
نافذ الحكم في القضاء على الإنسان في حُرّه وفي الأفراح
وعلى الأسد وهي في الغاب تدأى وعلى الطير وهي في الأدواح^(١)

بين الروح والجسد

أرى للروح بالبدن اتصالاً	خفياً لا تبين له رسومُ
تُطيف به الهواجسُ شاعرات	وتعجز عن حقيقته النفوس
فإن الروح للجثمان تسلو	به منها ومنه بها رسوم
يتم كلاهما ههنا بهذا	كذلك تم أمرهما القويم
فلا جسد يقوم بغير رُوح	ولا رُوح بلا جسد تقوم
هما متلازمان فما لكل	بغير قرينه أبداً لزوم
لذلك كانت الأرواح منا	بحيث تهي إذا وهت الجسوم
ولست أظن أن الروح تبقى	إذا محيت من الجسد الرسوم
وربّما يكون لها دوام	ولكن غير شاعرة تدوم

(١) دأى له بدأى دأيا ودأوا : إذا ختله ، والدأب يدأى للغزال ، وهي مشية شبيهة بالختل .
والأدواح : جمع دوح ، والدوح : جمع دوحة ، وهي الشجرة الوارفة الأغصان ، الواسعة الظلال .

وما هبطت من الخضراء ولكن من الغبراء أنبتها الحكيم^(١)

وأما هذه الأجسام منا	فتبينها المآكل والطعوم
وترونها المشارب والحاسي	وتذوئها اللوافح والسموم
ويوهنها التقشف والتضي	ويحسنها التترف والنعيم ^(٢)
وبعض من مطاعنا غذاء	تُحَاك على العظام به اللحوم
وبعض من مطاعنا وقود	تديم به حرارتها الجسوم
له في جوف آكله احتراق	تكون رماده فيها الشحوم

* * *

والأرواح كالأجساد زاد	به تنمو المشاعر والخلوم
هو النعم الرقيق من المثاني	هو الأدب الرفيع ، هو العلوم ^(٣)
فإن الرُّوح تغذوها الأغاني	ويجلو همها الصوت الرخيم ^(٤)
ويصقلها الجمال إذا رآته	وتصدئها القبايح والمُهموم
فلا تنفر بسمعك من غناء	به غنتك شادية بغوم ^(٥)
ولا تترفعن عن الملاهي	ولو شهدت برفعتك النجوم
وكن في المضطربات فتى طروباً	فإن الناس أطربها الكريم
وقيف عند الحدود بلا تعدٍ	إلى ما ليس يحمده الحليم
ولا تشتط في طرب ولهوٍ	فكل مقارف شططاً ذميم
فإن واقفتني وجريت جرّبي	وإلا فانتك الطبع السليم

(١) الخضراء : السماء . والغبراء : الأرض .

(٢) يوهنها : يضعفها . والتقشف : التخشن في العيشة . والتضي : تفعل من الضي ، وهو الهزل والجهد . والتترف : النعم . يقال ترف الرجل وترفه : دله وملكه . وتترف : مطاوع يرفه ، بالتضاد .

(٣) المثال : جمع مثني ، يوزن مفعول ، وهو ما يثنى ويكرر من الكلام ، في الغناء أو الإنشاد .

(٤) الصوت الرخيم : الرقيق الذي ليس غليظاً ولا أجش .

(٥) بغوم : صيغة مبالغة من البغال ، وهو صياح الطيبة إلى ولدها بأرحم ما يكون من صوتها .

من نواميس الحياة

كل شيء من عالم الذرات كل شيء في كونه كالنبات
كل شيء في بدئه من صغير ثم ينمو في ذاته والصفات
هكذا تكبر الصغار وتقوى في نواميس حادثات الحياة
هكذا ترسل الأصول فروعاً عاليات يأتين بالثمـرات

إن للفلس في الثراء محلاً كمحل الجذور في الدوحات
إن أصل الثراء فلس وهل سالت سيول إلا من القطرات
هو في قدره حقير ولكن جمعه موصل إلى العظام
يتساوى فيه السخي وذو البخـل ورب الأقالـ والمثـرة
هو هين على الذي قال ها كم حين يعطيه للذي قال هاتـ

إن ترد غرس نخلة من ثراء فسوى الفلس ما لها من نواة
فاقتصد في موارد العيش فلساً كل يوم من طائل النفقات
واجعل الفلس فوق فلس تجده مسعداً مسعفاً على الخيرات
واقصد الخير في اقتصادك حتى لا يؤول الثراء للآفات
ليس حسن الأعمال في الناس إلا حسن ما يضمرون من نيات
فدع الفعل كيف كان - حميداً أو ذمياً - وانظر إلى الغايات
حسنات الأنام إن لم تكن ذات عموم ضرب من السيآت
يا شباب العراق هبوا إليه وتوخوا بجمعه البركات
إن تكونوا اعترتم الأمر فيه فالبدار البدار قبل الفوات



أنا والشعر

- أرى الشعر أحياناً يحيش بخاطري (١)
وبسكن أحياناً فأشجى وإنما
وقد أتوخي الحزن منه تجارياً
ولكن نفسي وهى نفس حزينه
وقد علم الراون شعري بأنهم
وإني إذا استنبطته من قريحتي
وإني على علم طويت سهوله
وإني لمأخض له بسليقة
وهل يخطر الشعر الركيك بخاطري
ألا لا اهتمدت للشعر يوماً هواجسى
ولا غصت في بحر القريض مخاطرأ
على أن لي طبعاً لبيقاً بوشيه
إذا انتظمت أبياته في قصائدي
- وببذل ما قد عز لي من مصونته (١)
تحرّك شجوى ناشئ من سكونه (٢)
لدهر أراء موعلاً في فحونه (٣)
تميل إلى المشجى لها من حزينه
إذا أنشدوه أطربوا بلحونه
شفيت صدى الراوى ببرد معينه (٤)
ولم أتحير خابطاً في حزونه
أبت غنه واستوثقت من سمينه (٥)
إذا كان في طوعي اختشاب متينه (٦)
إذا هي لم تنزع إلى مستبينه (٧)
إذا لم أفز من درّه بشمينه
نزوعاً إلى أبكاره دون عونته (٨)
تري كل بيت ممسكاً بقرينه

- (١) يحيش : يضطرب ويتحرك ، كما يحيش القدر عند الغليان .
(٢) أشجى : من الشجر ، وهو الحزن .
(٣) أتوخي : أقصد . موعلاً : ذاهباً بعيداً .
(٤) استنبطته : استخرجته . والصدى : العطش . والنعين : الماء الظاهر ، تراه العين جارياً على وجه الأرض .
(٥) الفت : المهزول ، ضد السمين .
(٦) الاختشاب : افتعال من خشب الشعر يحشيه . (من باب ضرب) أى يمرّه كما يحيشه ، ولم يتألق فيه ، ولا تعمل له .
(٧) هجس الأمر بالقلب هجساً ، من باب قتل : وقع وخطر ، فهو هاجس .
(٨) العون : جمع عوان ، وهى من إناث الحيوان : ما كانت وسطاً في السن ، بين الفارض ، وهى المسنة ، والبكر ، وهى الصغيرة ، يقال امرأة أو فرس أو بقرة عوان .

وما كان دَوْحُ الشعور يوماً لَتُجْتَنَى بغير اليد الصُّوْلَى يُمَارُ غصونه
ولم يستقد إلا لذي المَعِيَّةِ يكون كراى العين رَجْمَ ظنونه^(١)
وإني قد مارسته بفظانة يلوح سناها غُرَّةً في جبينه

لعمرك إنَّ الشعرَ صَمَامُ حِكْمَةٍ وإنَّ النهى معدودة من قِيُونِه^(٢)
إذا جنَّي ليل الشكوك سَلَّتْه عليه فقرّاه بفجسر يقينه^(٣)
وما الشعر إلا مؤنسى عند وحشي ومُسلى قَوَادى عند وَرَى شُجُونِه
تقوم مقامَ الدمع لى نَفَثاته إذا الدهر أبكاني برِيب مَنُونِه^(٤)
وأجعله لكون مرآة عِبْرَةٍ فيظهر لى فيها خيال شئونِه
فأبصر أسرار الزمان التى أنطوت بما دار فى الأحقاب من مَنَجُونِه^(٥)
ولشعر عين لو نظرت بنورها إلى الغيب لاستشفقت مافى بطونه
وأذن لو استنصغيتها نحو كاتم سمعت بها منه حديث قُرُونِه^(٦)

وليل إلى شعراه أرسلت فكرتى رسولاً بشعرى حاملاً لِرَقِينِه^(٧)
سلى الليل عنى نَسْرَه وسِمَاكَه ونجم سُبَاه والجُدَى خَدِينِه^(٨)

(١) استقاده الأمر : ذل واتقاد . الأنمية : مصدر صناعى من الألع . والألمع والألمى ، واليلمع واليلمى : الداهى الذى يتطنن الأمور فلا يخطئ . ، وإذا ألمع له أول الأمر عرف آخره ، كنى بظانه دون يقينه ، مشتق من اللمع ، وهو الإشارة الخفية ، والنظر الخفى .

(٢) الصمصام : السيف . والنهى : جمع نهية ، وهى العقل .

(٣) قرّاه بتخفيف الرء وتشديدها : مزقة .

(٤) النفثات : جمع نفثة ، وهى ما يلفظه الانسان من فم من بصاق ونحوه . شبهه خواطره ومعانيه بالنفثات .

(٥) المنجنون : الدولاب ، يستقى به الماء لإرواء الأرض .

(٦) القرون : النفس . (٧) الرقبن : الكتات المزين .

(٨) النسر والسماك والسها والجندى (تصغير جدى) : أسماء نجوم . يريد بسؤالها عنه أنه طالما سهر فى صنع الشعر مراعيًا هذه النجوم ، فبينها وبينه ألفة وصحبة .

فكم بت في نهر المجرة في الدجى من الشعر أجرى مُنشآت سفينه
هو الشعر لا أعتاض عنه غيره ولا عن قوافيه ولا عن فتونه
ولو سلبتنيهِ الحوادث في الدُّنا لِمَا عشت أو ما رُمْتُ عيشاً بدونه
إذا كان من معنى الشعور اشتقاقه فما بعده للمرء غير جنونه

الغروب (*)

قالها سنة ١٨٩٤ وقد وصف فيها ما شاهده
في الأعظمية عياناً من منظر الغروب

نزلت تَجَرُّ إلى الغروب ذيولاً صفراء تشبه عاشقاً مَبْتُولاً^(١)
تهتز بين يد المغيب كأنها صب تملل في القراش عليل^(٢)
ضحكت مشارقها بوجهك بُكرة وبكت مغاربها الدماء أصيلاً
مذ حان في نصف النهار دلوها هبطت تزيد على التزول نزولاً^(٣)
قد غادرت كبداً السماء منيرة تدنو قليلاً نالافول قليلاً^(٤)
حتى دنت نحو المغيب ووجهها كالورس حال به الضياء حُلُولاً^(٥)
وغدت بأقصى الأفق مثل عرارة عطشت فأيدت صفرةً وذبولاً^(٦)
غربت فأبقت كالشواظ عقيها شفقاً بحاشية السماء طويلاً^(٧)
شفق يروع القنب شاحب لونه كالسيف ضَمَخ بالدماء مسلولاً^(٨)

(*) من الديوان الأول .

- (١) الضمير في نزلت : يعود إلى الشمس بقرينه المقام الذي هو وصف غروبها .
- (٢) الصب : وصف من الصباة ، وهي العشق . وتملل : قلب في فراشه من الأرق أو المرض .
- (٣) حُلوك الشمس والنجوم : زوالها عن الاستواء ، ويستعمل في الغروب أيضاً .
- (٤) الأنول : الغروب .
- (٥) الورس : نبت أصفر ، يزرع باليمن ويصنع به . أو هو صنف من الكركم .
- (٦) العرارة : واحدة العرار ، وهو نبت طيب الريح ، قيل هو العرجس البري .
- (٧) الشواظ : بضم الشين وكسر ها : اللهب الذي لا دخان فيه .
- (٨) الشفق الحرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس .

يحكى دم المظلوم مازج أدمعاً هملت بها عين اليتيم هولا^(١)
 رقت أعاليه وأسفله الذى فى الأفق أشبع عُصفراً محولا^(٢)
 شفق كأن الشمس قد رفعت به رُدْنًا يذوب ضيائها مبلولا^(٣)
 كالخود ظلت يوم ودّع إلفها تنو وترفع خلفه المنديلا^(٤)
 حتى توارت بالحجاب وغادرت وجه البسيطة كاسفاً مخدولا
 فكأنها رجُلٌ تحرم عزه قرع الخطوب له فعاد ذليلا
 وانحطَّ من عُرف النباهة صاغراً وأقام فى غار الهوان خمولا

* * *

لم أنسَ قُرب (الأعظمية) موقفي والشمس دافية تريد أفولا
 وعن اليمين أرى مروج مزارع وعن الشمال حداثاً ونخيلا
 وتروع قلبى للدَّوَالى نَعْرَةً فى البين يحسبها الحزين عويلا^(٥)
 ووراء ذاك الزرع راعى ثلَّةً رجعت توئم إلى المراح قفولا^(٦)
 وهناك ذو برذونتين قد اثنى بهما العشي من الكراب نجيلا^(٧)
 وبمنتهى نظرى دخان صاعد يعاو كثيراً تارةً وقليلًا
 مدَّ الفروع إلى السماء ولم يزل بالأرض متصلاً يمدُّ أصولًا
 وتراكبت فى الجوّ سُدَّ طباقه تحكى تلولا قد حمان تلولا
 فوقفتُ أرسل فى المحيط إلى المدى نظراً كما نظر السقيم كليلًا

- (١) الضمير فى يحكى : يعود إلى الشفق فى البيت السابق ، أى أن هذا الشفق يشبه دم مظلوم مازجته دموع بنيم ، لأن الدم إذا مازجه الدمع كان لونه فامحاً وهو مع ذلك مشعر بالحزن .
 (٢) العصفور : نبت أصفر ، يصنع به .
 (٣) الردن : أصل الكرم .
 (٤) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة . والجمع خودات ، وخود بضم الخاء فى الأخير .
 (٥) الدوَالى : جمع دالية ، وهى الناعورة تدبرها القبرة . والدرة : بالفتح : المرة من نعر ، إذا صوت .
 (٦) الثلَّة : القطيع من الغنم . والمراح : المساكن تروح إليه الدواب ، وتأوى إليه بعد المرعى .
 (٧) الكراب مصدر كرب الأرض كرباً وكرباً : قلبها للحرق ، وأثارتها للزرع .

والشمس قد غرّبت ولما ودّعتْ
 غابت فأوحشتِ الفضاء بكثرة
 حتى قضت رُوح الضياء ولم يكن
 وأتى الظلام دجّةً دجّةً
 ليل بغيّبه الشخصُ تلَفَعَتْ
 ثم انثّيت أخوض غمر ظلامه
 إن كان أوحشني الدجى فتجومه
 سبحان من جعل العوالم أنجما
 كم قد تصادمتِ العقول بشأنها
 لا تحتقرّ صِغَر النجوم فإنما
 دارت قديمًا في الفضاء رَحَى القوى
 فاقراء كتاب الكون تلق بمتنه
 ودع الظنون فلا وربك إنها
 أبكت حزنًا بعدها ومُهولًا
 سقم الضياء بها فزاد فحولًا
 غير الظلام هناك عزرائيلًا
 يُرْخى سدولًا جَهَّةً فسدولًا^(١)
 فظَلِلْتُ أحسب كل شخص غولًا^(٢)
 وتخذت نجم القطب فيه دليلًا
 بعثت لتؤنسي الضياء رسولًا
 يسبحن عَرْضًا في الأثير وطولًا
 وسعت لتكشف سرها المجهولًا
 أرقى الكواكب ما استبان ضئيلًا
 فعذا الأثير دقيقها المنحولًا
 آيات ربك فصلت تفصيلًا
 لم تغن من علم اليقين فتيلًا

(١) الدجّة : الظلمة . والسدول : جمع سدل ، وهو السر .

(٢) الغيب : شدة سواد الليل والجمل ونحوه .

لمسلة في ملهى (*)

لما كان الرصافي في الآستانة سنة ١٨٩٨ ، أخذ جماعة
من فضلاء فلسطين ، معهم الأستاذ خليل السكاكيني إلى
مرقص من مرقص الآستانة في إحدى الليالي ، واقترحوا
عليه ان يصفه ، فقال هذه القصيدة :

طَرِبَ الشعر أن يكون نسيباً	مَدَّ أجالت لنا القوامَ الرطيباً
وتجلت في مسرح الرقص حتى	أرقصت بالغرام منا القلوباً ^(١)
أقبلت تنثني بقصدٍ رشيق	ألبسته البرد القصير قشياً ^(٢)
قصرته منه كمه عن يديها	وأطالت إلى النهود الجيوباً ^(٣)
حبس الحصر حيث ضاق ولكن	أطلق النحر بادياً والتريباً
هو زى يزيد في الحسن حسناً	من تزياً به ، وفي الطيب طيباً
خطرت والجمال يخطر منها	في حشا القوم جثيةً وذهباً
وعلى رأس الأصابع قامت	تخطي تبختراً ووثباً
يعبس الأنس أن تروح ذهاباً	ويعمد ابتسامه أن تئوباً
فهي إن أقبلت رأيت ابتساماً	وهي إن أدبرت رأيت قطوباً
نحن منها في الخالتين ترانا	نرقب الشمس مطيعاً ومتعباً
تضحك الجوّ في الصباح طلوعاً	ثم تبكيه في المساء غروباً
أظهرت في المجال من كل عضو	لعبا كان بالقلوب لَعوباً
حيزتنا لما أرتنا عجيباً	فعبجينا من رقصها فعبجياً

(*) من الديوان الأول .

(١) المسرح : المكان تشرح فيه الظباء وتلعب ، وقد استعاره المحدثون للمكان الذي يلعب فيه الممثلون والراقصون أمام النظارة . وبعض الكتّابين يقدم الراء فيه على السين (مسرح) وهو خطأ وقد جرى عليه الشاعر في الأصل .

(٢) القشيب : الجديد فيه خشونة الجدة .

(٣) المراد بالجيب هنا فتحة الطوق ، من عند الرقبة إلى ما بين الثديين ، وليس المراد الفتحة التي يوضع فيها المنديل والسكيس ونحوها .

شابهتْ عَطْفَةَ العُصُونِ انْتِشاءَ
تَلَفَتْ الجِيدَ للَرْجُوعِ انْصِياغاً
ثَبَّ الوَثْبَةُ الخَفِيفَةُ كالْبَرِّ
حَرَكَاتٌ خَالَهَا سَكَنَاتٌ
وُخْطاً تَفْضَحُ العُقُودَ انْساقاً
بَسَّتْ كُوكِباً وَمَرَّتْ نَسِياً
لَوْ غَدَا الشَّعْرُ نَاطِقاً بِلِسَانٍ
أَوْ غَدَا الحَسَنُ شَاعِراً يَنْظُمُ الحُبَّ
هِيَ كَالشَّمْسِ فِي البِعَادِ وَإِنْ كَا
عَمَّتِ النَّاسَ بِالْغَرَامِ فَكُلُّ
زَهْرَةٍ تُبْهِجُ النُّوَاطِرَ حَسَناً
هِيَ دَائِي إِذَا شَكُوتَ مِنَ الدَّاءِ
وَأَتَتْ بَعْدَهَا مِنَ الغَيْدِ أُخْرَى
فَأَرْتَنَا مِنَ الجُبَيْنِ صَبَاحاً
حَمَلَتْ بُنْدُوقِيَّةً صَوَّبَتْهَا
وَاسْتَمَرَّتْ رَمْيَا بِهَا عَنِ بَدَنِ
تَحْسَنُ الرَّمْيَ تَارَةً مُسْتَقِيماً
وَانْكَبَاباً إِلَى الأَمَامِ وَإِقْعاً
وَحَكَّتْ خَطَرَةَ النِّسِيمِ هَيُوباً
كَفْطِيمَ رَأَى عَلَى البَعْدِ ذِيباً^(١)
قَ صُعُوداً فِي رَقْصِهَا وَصُوباً^(٢)
يَقِفُ العَقْلَ بَيْنَهُنَّ سَالِماً
نَظَمَتْهَا تَسْرُعاً وَدِيباً^(٣)
وَشَدَّتْ بِلَبْلَابٍ وَفَاهَتْ خَطِيماً
لَتَغْنَى بِوَصْفِهَا عِنْدَ لِيْلِيَا^(٤)
قَرِيضاً أَبْدَى بِهَا التَّشْبِيهَ
نَ إِلَيْنَا مِنْهَا الشَّعَاعُ قَرِيباً
قَدْ غَدَا عَاشِقاً لَهَا وَرَقِيماً
وَرُؤُوساً وَتُنْعَشُ الرُّوحُ طَيِّباً
وَطَبِي إِذَا أَرَدْتَ طَيِّباً
يَقْتَفِي إِثْرَهَا الْجَمَالُ جَنِيْباً
وَمِنْ اخْتَدَّ كُوكِباً مَشْبُوباً^(٥)
نَحْوُ مُسْتَهْدِفٍ لَهَا تَصَوِّباً^(٦)
لَطْفَهُ ضَامِنٌ لَهُ أَنْ يَصِيبَا
وَإِلَى الخَلْفِ تَارَةً مَقْلُوباً
سَافِراً كَثِيراً إِلَى الْوَرَاءِ عَجِيباً

(١) الجيد : العنق . والانصياغ : التلكوس والرجوع بسرعة .

(٢) صوباً : انحدر .

(٣) الديب : المشى الثقيل ، كمشية الشيخ الهرم .

(٤) العندليب : طائر من الطيور المعردة . (٥) مشبوب : متلهب .

(٦) البندقية : من آلات الرمي في الحرب . عرفت في القرون الوسطى ، وكانوا يرمون بها حصيات في قدر البندق الذي يؤكل ، ولذلك نسبت إليه . وتطور الآن شكلها وطريقة استعمالها ، ويرى بها قذائف من الرصاص تنفذ في الجسم ، وتترديه . والمستهدف ، بصيغه اسم الفاعل أو المفعول : الهدف .

وَهَيَّ فِي كُلِّ ذَا تَصِيبِ الرَّمَايَا مَثَلَمَا طَرْفُهَا يُصِيبُ الْقُلُوبَا
لَوْ أَرَادَتْ رَحَى الْغُيُوبِ وَأَغْضَتْ لِأَصَابَتْ خَفِيهَا الْحُجُوبَا

مَشْهَدٌ فِيهِ لِلْحَيَاةِ حَيَاةٌ تَتْرَكَ الْوَالِدَةَ الْحَزِينَ طَارُوبَا^(١)
قَدْ شَهِدْنَاهُ لَيْلَةً جَعَلْتَنَا نَحْمَدُ الدَّهْرَ غَافِرِينَ الذُّنُوبَا
بَيْنَ رَهْطِ شَمِّ الْعَرَانِينَ يَنْفَى أَلْسِنَهُمْ عَنِ حَلِيثِهِمْ وَالْكُرُوبَا^(٢)
كَرُمُوا أَنْفُسَا وَطَابُوا فِعَالَا وَسَمَوْا مَحْتَدَاً وَعَفُّوا جُيُوبَا
كُلُّ ذِي نَجْدَةٍ تَرَاهُ لَدَى الْفَعْلِ كَرِيمَا فِي الْمَقَالِ أَدِيَا
تِلْكَ وَاللَّهِ لَيْلَةٌ لَسْتُ أَدْرِ فِي بِلَادِي قَضِيَّتَهَا أَمْ غَرِيْبَا
كِدْتُ أَنْسَى بِهَا الْعِرَاقَ وَإِنْ أَبْقَى نُدُوبَا بِمَهْجَتِي فَنُدُوبَا^(٣)
يَا سَوَادَ الْعِرَاقِ بَيَّضَكَ الدَّهْرُ فَأَشْبَهْتَ مَقَاتِي يَعْقُوبَا
شَمَلْتُ رِيحَكَ الْعَقِيمُ وَقَدْ كَا نَت لُقُوحاً تَهْبُ فَيْكَ جَنُوبَا
أَيْنَ أَنْهَارُكَ الَّتِي تَمَلَأُ الْأَرْضَ ضُ غِلَالًا بِسَيْحِهَا وَحُبُوبَا^(٤)
إِذَا حَكَتْ أَرْضُكَ السَّمَاءَ نَجُومَا مَا حَيَاتِ أَنْوَارُهَا الْجُدُوبَا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَضَارَةِ بَغْدَا دَ اسْتَحَالَتْ كَدُورَةُ وَشُحُوبَا
أَيْنَ بَغْدَادُ وَهِيَ تَزْهَوُ عُلُومَا وَزُرُوعَا وَأَرْبَعَا وَدُرُوبَا
أَقْفَرْتُ أَرْضَهَا وَحَاقَ بِهَا الْجَمُّ لَ فُجِشت دَوَاهِيَا وَخَطُوبَا^(٥)

(١) المراد بالطروب هنا : المسرور . وقد يكون المحزون أيضا في غير هذا الموضع .

(٢) أشم العرنيين : مرتفع قبة الألف ، كناية عن الألباء والشمم وعلو النفس .

(٣) الندوب : جمع ندب ، وهو أثر الجرح .

(٤) السيح : النهر يسبح مائه على وجه الأرض ، أى يسيل .

(٥) « فُجِشت دَوَاهِيَا وَخَطُوبَا » : اضطربت من كثرة الدواهي والخطوب .

في انقطار (*)

فلما لم يركب القطار من الآستانة إلى سابلنك سنة ١٨٩٨

تذكرت في أوطاني الأهل والصحبا
فأرسلت دمعاً فاض وابله سكباً

وبت طريد النوم أختلس السكرى
بشاخص طرف في اللجى يرقب الشهباً

كئيب كأن الدهر لم يلق غيره	عدواً فالى أن يهادنه حرباً
يقبل كروباً بعضها فوق بعضها	إذا مارى كريباً رأى تحته كريباً
وإني إذا ما الدهر جرّ جريرة	لتناف نفسي أن أسكمه عتياً
وقد علم القوم الكرام بأننى	غلام على حب المكازم قد شباً
وأنى أخو عزم إذا ما انتضىته	نبا كل غضب عنه أو أنكر الضرباً (١)
وأنى أعاف الماء في صفوه القذى	وإن كان في أحواضه بارداً هذباً
ولكن لى في موقف الشوق عبرة	تساقط من أجفاني اللؤلؤ الرطباً (٢)
إذا ضربت أوتار قلبي شجونهُ	بدت نغمت ترقيص الدمع منصباً

• • •

وقاطرة ترمى الفضاً بدخانها	وتملأ صدر الأرض في سيرها رعباً
لها منخر يبدى الشواطئ تنفساً	وجوف به صار البخار لها قلباً
تمشت بنا ليلاً تجر وراءها	قطارا كصف الدوخ تسحبه سحباً (٣)

(*) من الديوان الأول .

(١) « آلى أن يهادنه » أفسم ألا يهادنه . وحذف لا النافية بعد القسم مألوف ، ومنه في القرآن : « فأنه نعماً تذكر يوسف » .

(٢) يقال : انتضى سيفه : إذا سله من قرابه ، وقد شبه عزمه بالسيف . ونبا السيف عن الضريبة : رجع ولم يقطع .

(٣) شبه دموعه بالليل : ولسكنه جعلها لآلى رطبة .

(٤) الدوخ : جم دوحه ، وهى الشجرة الواسعة الظلال .

فَطَوْرًا كَعَصْفِ الرِّيحِ تَجْرِي شَدِيدَةً وَطَوْرًا رُخَاءً كَالنَّسِيمِ إِذَا هَبًّا^(١)
تَسَاوَى لَدَيْهَا السَّهْلُ وَالصَّعْبُ فِي السَّرَى

فَمَا اسْتَسَهَلْتَ سَهْلًا وَلَا اسْتَصَعَبْتَ صَعْبًا^(٢)

تَدُكُ مَتُونُ الْحَزْنِ دَكًّا وَإِنِّهَا لَتَنْهَبُ سَهْلَ الْأَرْضِ فِي سِيرِهَا^(٣)
يَمُرُّ بِهَا الْعَالَى فَتَعْلُو تَسْقُقًا وَيَعْتَزُّ الْوَادِي فَتَجْتَازُهُ وَثْبًا

وَتَحْتَرِقُ الطُّودَ الْأَشْمَ إِذَا انْبَرَى وَقَدْ وَجَدْتَ مِنْ تَحْتِ قُنْتِهِ نَقْبًا^(٤)

يَرْنُ بِجَوْفِ الطُّودِ صَوْتَ دَوِيَّهَا إِذَا وَجَلَّتْ فِي جَوْفِهِ النَّفَقُ الرَّحْبَا^(٥)

لَهَا صَيْحَةٌ عَثَدَ الْوُلُوجُ كَأَنَّهَا تَقُولُ بِهَا يَا طُودُ خَلِّ لِي الدَّرْبَا^(٦)

وَتَمْضِي مُضَيَّ السَّهْمِ فِيهِ كَأَنَّمَا تَرَى أَفْعَوَانًا هَائِجًا دَخَلَ الثَّقْبَا

تُعَالِبُ فَعَلَ الْجَذْبَ وَهِيَ ثَقِيلَةٌ فَتَغْنَبُ بِالدَّفْعِ الَّذِي عِنْدَهَا الْجَذْبَا

طَوْتُ بِالْمَسِيرِ الْأَرْضَ طَيًّا كَأَنَّهَا

تَسَابِقُ قُرْصَ الشَّمْسِ أَنْ يُدْرِكَ الْغَرْبَا

وَمَا إِنَّ شَكْتَ آيِنَا وَلَا سُمِّتَ سُرَى

وَلَا اسْتَهْجَنْتَ بَعْدًا وَلَا اسْتَحْسَنْتَ قَرْبَا^(٧)

عَشِيَّةُ سَارَتْ مِنْ فُرُوقٍ تَقِلُّنَا وَتَقْدِيفُ مَنْ فِيهَا بَوَاجِ الدَّجَى شُهْبَا^(٨)

فَمَا هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ وَنَهَارُهَا وَمَا قَدْ دَعَوْنَا مِنْ سَلَانِيكَ قَدْ آتَى^(٩)

فَجِئْنَا وَلَمْ يَعْصِ السَّفَارُ مَطِينَا كَأَنَّ لَمْ نَكُنْ سَفَرًا عَلَى ظَهْرِهَا رَكْبَا^(١٠)

* * *

تَعَالَيْتَ يَا عَصَرَ الْبَخَارِ مَفْضَلًا عَلَى كُلِّ عَصَرٍ قَدْ قَضَى أَهْلُهُ نَحْبًا

(١) رخاء : هادئة لينة . (٢) السرى : السفر بالليل .

(٣) المتن : ظهر الأرض . والحزن : الأرض الغليظة كالهضبة ونحوها .

(٤) الطود : الجبل العالى . (٥) النفق : السرب فى الأرض .

(٦) الدرب : الطريق بين جبلين . (٧) الأين : النعب والكلال .

(٨) فُرُوق : اسم القسطنطينية . وتقلنا : تحملنا

(٩) سَلَانِيكَ : بلد باليونان . (١٠) السفار : السفر .

فكم ظهرت للعلم فيك معاجز	بها آمن السيف الذي كذب الكتبا
تظاهرت عن فعل البخار بقوة	يذلل أدنى فعلها المطالب الصعبا (١)
واقسم لو لا المكهرباء فوقه	لقلت على كل القوى ته به عبجا (٢)
هو العلم يعز بالحياة سعادة	ويجعلها كالعلم محدودة انقبى
فكل بلاد جادها العلم أسرعت	رباها وصارت تلبت العز لا العشا (٣)
متى ينشئ الشرق الذي اغبر أفقه	سحابة علم تمطر الشرف العذا
فإن دبور الذل ألوت بعزه	وكادت سموم الجهل تحرقه جدبا (٤)
تبصر إذا دارت رحي الشرق هل ترى	سوى الجهل في أثناء دورها قطبا

الارملة المرضعة

لقيتها ليقنى ما كنت أنقاها	تمشى وقد أثقل الإملاق ممشاها
أثوابها رثة والرجل حافية	والدمع تذرفه في الخد عيناها
بكت من الفقر فاحمرت مدامعها	واصفر كاورس من جوع نحياها (٥)
مات الذي كان يحميها ويسعداها	فالذهر من بعده بالفقر أشقاها
الموت أجمعها والفقر أوجعها	واهم أنحليها والغم أضناها
فنظر الحزن مشهود بمنظرها	والبؤس مرآة مقرون بمراها
كره الجديد قد أبلى عبايتها	فانشق أسفلها وانشق أعلاها
ومزق الدهر ويل الدهر مئزرها	حتى بدا من شقوق الثوب جنبهاها

(١) تظاهرت بقوة : استعنت بها وتقويت

(٢) المكهرباء : يريد الكهرباء ، والكلمة مقصورة ، ولكن المؤلف جرى على استعمالها
محدودة هنا وفي مواضع أخرى من شعره .

(٣) أمرعت : أنصبت .

(٤) الدبور : ريح الجنوب ، وهي حارة . والسموم : الريح الحارة تحمل الغراب والحصى
ونحوه ، وفي الكلام تشبيه للذئب الدبور ، وتشبه الجهل بريح السموم المهلكة .

(٥) الورس : نبت أصفر يصنع به . والحيا : الوجه .

تمشى بأطمارها والبرد ينسجها كأنه عقرب شالت زباهاها^(١)
حتى غدا جسمها بالبرد مرتجفا كأنه من في الريح واصططكت ثناياها

تمشى وتحمل باليسرى وليدتها
قد قمتها بأهدام ممزقة
ما أنس لا أنس أنى كنت أسمعها
تقول : يارب لا تقدر بلا لبن
ما تصنع الأم في تريب طفلتها
يارب ما حيلتى فيها وقد ذبكت
ما بالها وهى طول الليل باكية
يكاد ينقد قبي حين أنظرها
ويأمنها طفلة باتت مروعة
نبكى لتشكو من داء ألم بها
قد فاتها النطق كالجماء أرحمها
ويح ابنتى إن ريب الدهر روعها
كانت مصيبتها بالفقر واحدة

حملًا على الصدر مدعومًا بيمنها
فى العين منشرها سمج ومطواها
تشكو إلى ربها أوصاب دنياها
هذى الرضيعة وارحنى وإياها
إن مسها الضر حتى جف ثدياها^(٢)
كزهرة الروض فقد الغيث أظهاها
والأم ساهرة تبكى لمبكاها
تبكى وتفتح لى من جوعها فاها^(٣)
وبت من حولها فى الليل أرهاها^(٤)
ولست أفهم منها كنه شكواها
ولست أعلم أى السقم آذاها
بالفقر واليتم آها منها آها^(٥)
وموت والدها باليتم ثناها

هذا الذى فى طريقى كنت أسمع
منها فأثر فى نفسى وأشجهاها
حتى دنوت إليها وهى ماشية
وأدعى أوسعت فى الخلد مجراها
وقلت : يا أخت مملأنتى رجل
أشارك الناس طرًا فى بلاياها^(٦)

(١) شالت : ارتفعت . والزبانة : الذنب .

(٢) ينفذ : يذوق .

(٣) تريب : تربية .

(٤) وبلغها : أصله وبل لأمها ، حذف اللام ثم أضيف الأول إلى الثانى ، والويل العذاب .

(٥) ويح ابنتى : بنصب ويح ، أى رحمة لها ، وهو مصدر منصوب ، بفعل من معناه .

(٦) بلاياها : جمع بليّة ، بمعنى البلى والمصيبة .

سمعت يا أخت شكوى تهمين بها في قالة أوجعت قلبي بفجواها^(١)
 هل تسمح الأخت لي أني أشاطرُها ما في يدي الآن أسترضي به الله
 ثم اجتذبت لها من جيب ملحفتي دراهما كنت أستبقى بقاياها^(٢)
 وقلت يا أخت أرجو منك تكرمتي

بأخذها دون ما من تغشأها^(٣)

فأرسلت نظرة رشاء راجفة ترمي السهام وقلبي من رماياها
 وأخرجت زفرات من جوانحها كالنار تصعد من أعماق أحشاها
 وأجهشت ثم قالت وهي باكية واها لملك من ذى رقة واها^(٤)
 لو عم في الناس حس مثل حسك لي ما تاه في فلوات الفقر من تاهها
 وكان في الناس إنصاف ومرحمة لم تشك أرملة ضنكا بدنياها

• • •

هذي حكاية حال جمت أذكراها وليس يخفى على الأحرار مغزاهها
 أولى الأنام بعطف الناس أرملة وأشرف الناس من في المال واساها

عهد الصبا

أو نهر الحياة

عهد الصبا سقيما لأيام الصبا أشبه شيء بأزاهير الربا
 إن الصبا كالورد في نضرتها وعمره واللون منه والشذا
 واها على شرح الشباب المشتبهى خلف ذكراه بقلبي ومضى^(٥)

(١) فجواها : معناها .

(٢) ملحفتي : الرداء الذي ارتدى به فوق ملابسى .

(٣) لنن : إفساد الصنعة بالفخر ونحوه من الأذى .

(٤) أجهشت : أى تهيأت للبكاء ، كما يفعل الطفل .

(٥) شرح الشباب : أوله وعنفوانه .

لقد ذَوَى غصن حياتى بعده وكان رِيَّانَ التصابي والمُنَى
أطيب عيش المرء في شبابه فإن تَوَلَّى فهو هيش مُزْدَرَى

* * *

إنَّ حياة المرء ما عاش تُرى أحوالها مختلفاتٍ في الرُّؤَى^(١)
كالنَّهرِ الجارى الذى تغيَّرتُ أوضاعه في الأرض كلما جرى
فهو لدى المنبع ضَحْضاح وفي مَصْبَهُ تلقاه بحرًا قد طَمَأ^(٢)
بيناه يجرى في التَّرى مُنعطفًا إذا بواديه تَمَطَّى واستوى^(٣)
طَوْرًا كأسياف الوغى منحنيًا في الأرض ينساب وطورًا كالقَنَا
وربما عادت مجاريه به راجعةً من حيث جاء القمَقَرَى^(٤)
وربما صادف غَوْطًا فانهوى فيه وقد خرَّ خيرًا ورغًا^(٥)
والماء فيه قد يَرى منبسطًا وتارةً منزويًا فوق الثرى
وتارةً تلقاه في مَشْجَرَةٍ يجرى وأخرى بين أصلاذ الصفا^(٦)
حتى إذا أبحر مجراه به كان إلى الدُّمَاء منه المنتهى^(٧)
وهكذا أنهار أعمار الورى تجري فتنصبُّ إلى بحر الرَّدَى^(٨)

* * *

وإنما العمر شباب فإذا زال فحزنٌ وشقاءٌ وضئى
ما كان أحلى العيش لو أنَّ الفتى لم يجد الشيبَ إليه مختطًى^(٨)

(١) الرُّؤَى : جمع رؤْيَة ، أى النظر .

(٢) ضَحْضاح : ليس عميقا . (٣) تَمَطَّى : امتد واستقام .

(٤) القمَقَرَى : الرجوع إلى الوراء على الأعقاب .

(٥) غَوْطًا : أرضا منخفضة . ورث البعير : صوت .

(٦) مشجرة . أرض كثيرة الشجر . وأصلاذ جمع صلد . وهو الصخر الجلد . والصفا : جمع صفاة ، وهى الحجر الأملس .

(٧) أبحر مجراه : اتسع كالبحر . والدُّمَاء : البحر .

(٨) مختطًى : مصدر ميمي من اختطى ، بمعنى خطا . يريد ما أحلى العيش لو دُم الشباب ولم تجد الشيب إلى المرء سبيلا .

ليت التقي كالبدر في النشأة إذ
أو ليت كالشجر الغابت إذ
أوليت هذا الشيب إن كان ولا
شبية الإنسان مِرآة المني
والمرء فيها إن تمرأى راجياً
ويح شباب فتك الشيب به
بُردان هذا من وقارٍ وسهى
لكن وقار الشيب لا يعدل ما

عاد هلالاً كل شهر فما
يُورق في الصيف ويعرَى في الشتاء
بد من الشيب أتى قبل الصبا
بدائع الآمال فيها تجتلى
أبدت له مبتسماً ثغر الرجا
إذ لاح كالسيف عليه مُنتضى
حيك وهذا من تصابٍ وهوى
في طيه من لؤثة ومن ونى^(١)

يَا مُسْلِيًّا ذَا الشيب عن شبايه
أَقْصِرْ هَذَا ذِيكَ عَنِ الْقَوْلِ فَلَا
وما الصبا بمانع من الحُجَا
وليس من أصبح يمشى الخيزَلَى
وما إياة الشمس في تظفيلها
وهل يطيب العيش للهيم الذي
يبيت طول الليل في مضجعه
وإن ظهر الأرض يستقل من

بأنَّ وَخْطَ الشَّيْبِ أَزْهَارُ النَّهْيِ
يُقَاسُ ذِيَالِكَ تَاللهُ بِذَا^(٢)
بل هو في الشيخ يكون والفتى
في مَعْرِضِ السَّبْقِ كَاشِيَ الْهَيْذَبِ^(٣)
مثل إياة الشمس في رَأْدِ الضَّحَى^(٤)
إن همَّ بالنهضة خائنه القَوَى^(٥)
مستأنس السُّعْلَةَ وَحَشَى الْكَرَى^(٦)
أَمْسَى يَدِبُ فَوْقَهَا عَلَى الْعَصَا

(١) لؤثة ، بالضم ، أى ضعف .

(٢) هذا ذيك : مثي هذاذ ، أى هذا بعد هذا . والهند . القطيع . يريد كف عما تقوله واقطعه ولا تعد إليه .

(٣) الخيزل : مشية تخاذل وتراجع وتفكك . والمراد أنها مشية بطيئة . والهيذبى ، والهيذبى : ضرب من مشية الخيل سريعة .

(٤) إياة الشمس : شعاعها . والتظفيل : وقت الأصيل . ورأد الضحى : ارتفاعه ورواقه حين يعلو النهار .

(٥) هم : الرجل المسن البالى ، جمعه أهلام .

(٦) أى حاصر السعال ، نأى الكرى .

السفر في التومبيل

- وَقَدَّفِدِ قَاتِمِ الْأَعْمَاقِ مَتَّسِعٍ
بَتُّومْبِيلِ جَرَى فِي الْأَرْضِ مَنَسْرِحًا^(١)
يَنَسَابُ مِثْلَ انْسِيَابِ الْأَيْمِ تَحْمِلُهُ
كَأَنَّهَا وَهِيَ بِالْمَطَاطِ مُنْعَلَةٌ
يَمُرُّ كَالرَّيْحِ لَمْ تَسْمَعْ لِأَرْجَلِهِ
وَتَنَسَكِرُ الْخَيْلُ إِنْ جَارَتْهُ فِي سَنَنِ
تُظَلُّهُ قَبِيَّةٌ فِيهِ مُنَجَّدَةٌ
يَخَالُ مِنْ حَلٍّ فِيهَا نَفْسُهُ مَلَسَكًا
رَكِبَتْهُ وَبِيَاضِ الصَّبْحِ تَحْسِبُهُ
وَالْبَدْرُ فِي الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ مُتَمَتِّعٌ
وَلَنَجُومٍ بَقَايَا فِي جَوَانِبِهِ
وَلَنَسِيمٍ هُبُوبٍ فِي مَدَارِجِهِ
فَطَارَ مِنْ غَيْرِ تَحْلِيْقٍ بَرَاكِبِهِ
وَسَارَ سِيرًا دِرَاكَ مَلَأَ مَهْيَعَهُ
- طَوَّيْتُ أَجْوَاذَهُ صَيَّ الْمَكَاتِبِ^(٢)
كَأَجْرَى الْمَاءِ فِي سَفْحِ الْأَهَاضِيبِ
عَوَامِلٌ عَجَلَاتٍ مِنْ دَوَالِبِ^(٣)
تَمْشِي بِأَخْفَافِ أَنْوَاقِ مَطَارِيبِ
سَوَى حَفِيفِ كَنَفِخٍ فِي الْأَنَابِيبِ^(٤)
مَاتَعَرَفَ الْخَيْلُ مِنْ حُضْرٍ وَتَقْرِيبِ^(٥)
قَدْ زَانَهَا حَسَنُ تَنْجِيدٍ وَتَقْيِيبِ
يُرْهَى بِنَاجٍ عَلَى الْفَوْدَيْنِ مَعْصُوبِ^(٦)
صَدْرُ الْمَلِيحَةِ مَكْشُوفِ التَّلَابِيبِ^(٧)
يَرْنُو إِلَى الْفَجْرِ فِي الْخَاطِطِ مَرْعُوبِ^(٨)
كَأَعْقَدِ مَنَفْرَطًا مِنْ جِيدِ رُعُوبِ^(٩)
مَا يَنْعَشُ الرُّوحَ مِنْ نَشْرِ وَمِنْ طَيْبِ^(١٠)
بَلْ مَرَّ يَمْطُرُ مَطَرًا فَوْقَ مَلْجُوبِ^(١١)
كَأَلَوْ بَلَّ يَتَّبَعُ شَوْبًا بِشَوْبِ^(١٢)

- (١) القَدَفْدُ : القِلَادَةُ الْوَاسِعَةُ لِأَشْيَاءَ بِهَا ، أَوْ الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ ذَاتُ الْحَصَى ، أَوْ الْمَكَانُ الْمَصْدَبُ .
وَالْعَمَقُ : مَا بَعْدَ مِنْ أَطْرَافِ الْمَفَازِ . أَوْ الْمَطْمِنُ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْأَجْوَاذُ : جَمْعُ جُوزٍ ، وَهُوَ وَسْطُ الشَّيْءِ .
(٢) الْأَيْمُ : الْحَيَّةُ .
(٣) الْحَضَرُ : السَّيْرُ السَّرِيعُ . وَالتَّقْرِيبُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ بِطَىءٍ .
(٤) التَّلَابِيبُ : جَمْعُ تَلْبِيبٍ ، وَهُوَ مِنَ الثُّوبِ مَا كَانَ عَلَى أَعْلَى الصَّدْرِ وَالرَّقَبَةِ ، يُقَالُ : أَمْسَكَ بِتَلَابِيهِهِ .
(٥) مُتَمَتِّعٌ ، وَمُتَقَطِّعٌ : مُصْفَرُّ اللَّوْنِ .
(٦) مَنَفْرَطًا : يُرِيدُ مُنْتَثِرًا ، وَلَمْ يَسْمَعْ فِي الْإِنَاءَةِ انْفِرَاطَ عَمَى انْتِثَرٍ . وَالرَّعُوبُ : الشَّابَةُ الْمُمْتَلِئَةُ الْحَسَنَةُ النَّاعِمَةُ .
(٧) مَدَارِجُهُ : مَسَالِكُهُ وَطَرِيقُهُ . وَانْتَشَرَ : الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ .
(٨) الْمَلْجُوبُ : الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ .
(٩) دِرَاكَ : مُتَتَابِعًا . وَالْمَهْيَعُ الطَّرِيقُ . وَالشَّوْبُوبُ : الدَّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ .

فكنت أبصر حولي الأرض جارية
يلوح فصل الربا وصلاً فأحسبها
ما زال يختارني ما في البسيطة من
حتى بلغت به أقصى مدى عجرت
وكم علا بي أنشازاً تسلقها
لا يعرف الأين منه أين موقعه
وكيف يتعب ما لا حس يتبعه
وإنما هو يجري في مسالكه
كمثل تيار بحر وهو يجري بي
من سرعة المر قد صفت بترتيب^(١)
سهل ومن جبل على الشناخيب^(٢)
عنه العتاق من الجرد السراحيب^(٣)
وشاب في السير تصعيداً بنصويب^(٤)
ولو يواصل إدلاجاً بتأويب^(٥)
ولا يسير على ساق وظنوب^(٦)
دفعاً بقوة غاز فيه مشبوب

...

جربته هابطاً أجزاع أودية
وملأها في سهول الأرض ينهبها
فكان أسبق مركوب لغايته
تلك المطية لا ما كان يذكرها
لو امتطأها كبد قبل تاه بها
وطالعا في الثنايا والعراقيب^(٧)
نهباً ويخلط ألحوباً بألحوب^(٨)
وكنت أقرب طلاب لمطلوب
أديب ذبيان من عيرانة النيب^(٩)
على الخواضر قدماً والأعاريب

- (١) يقول : ينخل إلى راكب السيارة من شدة سرعتها ، أن الربا متصل بعضها ببعض من غير فاصل ، لأنه يقرب ما بينها من مسافات ، فتبدو للعين كأنها متصلة .
(٢) الشناخيب : جمع شخوب وشخابة وشخاب ، وهو رأس الجبل .
(٣) الجرد : التي أنجرد شعرها وذهب ، وهو من صفات العتاق . والسراحيب : جمع سرحوب ، وهي الفرس الطويلة الجسم .
(٤) أنشازاً جمع نشر ، بالتحريك ، وهو المرتفع من الأرض .
(٥) الإدلاج : سير الدابة في الليل ، والتأويب : السير بالنهار .
(٦) الظنوب : مقدم عظم الساق .
(٧) الأجزاع ، جمع جزع ، بكسر الجيم ، وهو حيث ينزع الواد والطريق ، أي ينعطف .
(٨) الألحوب : العدو الشديد تلهب منه الأرض الصلبة ، فيخرج منها الشرر .
(٩) أديب ذبيان : هو النابغة الذبياني ، والعيرانة : الناقة تشبه العير ، وهو حمار الوحش ، في وثاقة خلقها وقوتها . والنيب : جمع ناب ، وهي الناقة المسنة .

ولم يَرَم لو رأى ابن العيد منظرها من وصف عَوَجائه في كل أسلوب^(١)
ولأطال ابن حجر وصف مُجَرَّد عالي السَّراة كَمَيَّت اللون يَعْبُوب^(٢)

من ويالات الحرب

مرَّت تقول ألا ياربُّ خذروحي
مَهْزُولَةٌ الجسم من فقرٍ ومن نُسْكَدٍ
بَاتت بغير عشاء وهي طاوية
ضنكُ المعيشة أضوى جسمها فبدتْ
وأذبلتها هموم النفس ناصبةً
ويألمها عيشة نكداء يابسةً
في طرفها نظراً وإن تردده
تلفعت بدريسٍ من تحرقه
فكم ترى العين خرقاً غير مرتفع
كي أستريح بموتى من تباريحي^(٣)
مُصْفَرَّة الوجه من همٍّ وتتريح
وأصبحت وهي غرثي دون تصبيح^(٤)
شروى خيالٍ بطرف العين مأموح^(٥)
فصوّحت وجنتها أيّ تصويح^(٦)
لم تبق من جسمها غير الألواح^(٧)
لمح المريض إذا ما جاد بالروح
تخال طرته بعض التقاريج^(٨)
في جانبه وفتقاً غير منصوح^(٩)

- (١) ابن العيد : هو طرفة بن العبد بن سفيان البكري . وعوجاؤه : ناقته التي وصفها في معلقته بقوله : « بعوجاء مرقال تروح وتفتدي » والعوجاء : المعوجة من شدة الضمر ، وممارسة الأسفار ، فلا شحم لها . أو هي لا تستقيم في سيرها ، من فرط نشاطها .
(٢) ابن حجر : هو عمرو القيس بن حجر السكندى . والمنجرد : القصير الشعر . والسراة : الظاهر . والكमित : الأجر . واليعبوب : الجواد البعيد الغاية في الجري .
(٣) التباريح : كلف المعيشة في مشقة ، وهو من الجمع التي لا مفرد لها .
(٤) التصبيح : هنا بمعنى النداء ، أي مايؤكل صباحاً ، وهو اسم يلى على تعيل ، لامصدر .
(٥) شروى : بمعنى مثل ، أي مثل خيال .
(٦) النصويح : النجيف ، أي جفت وجنتها .
(٧) الألواح : جمع ألواح ، جمع لوح ، فهو جمع الجمع ، وألواح الجسد : عظامه العراض . والمعنى : لم يبق في جسمها غير العظام ؛ يقال للمهزول : لم يبق منه إلا الألواح .
(٨) تلفعت : تلحفت وتغطت . والتقاريج : جمع التقريع ، وهو رأس نبت أو شجرة ينشعب كبدن السكب ، أي تخال جانب ثوبها المتخرق كرأس هذا النبت المنتصب شعباً .
(٩) منصوح : أي مخيط ، من نصح الثوب ؛ إذا خاطه .

تمشى انخزالاً بعبء الفقر مُثْقَلَةً كظالع في الطريق الوعر مَكْسُوحٌ^(١)
خارت قواها فمارت في تخزُّلها يكاد يسقطها هَبٌّ من الريح^(٢)

* * *

لما دنوت إليها كى أسائلها والقلب في خطرٍ أن كالأراجيح
تأوَّهت آهة حمراء داميةً تشفَّ عن ككيدٍ بالهم مجروح
وأجهشت ثم أرخت من محاجرها عنان دمع على الخدين منضوح^(٣)
وأعرضت وهى لم تنبس سوى نظراً

يُغْنِي الألباء عن نطق وتصريح^(٤)
فرحت من عجبى منها ومن جزعى أبكى لها بين ترجيع وتسبيح^(٥)
من ليس يُيكىه من أبناء جلدته بكاؤهم فهو من جنس التماسيح
ولا يقوم بعبء المجد مضطلعا من لا يقوم إلى إنهاض مفدوح^(٦)
وما السعادة في الدنيا بحاصلة إلا بإسعادٍ أطلاقٍ مرازيج^(٧)
إن المروءة شيء لا تناوشه إلا سواعد أجواد مساميح
أرى كنوز المعالي مالأقفأها غير السباح لعمري من مفاتيح
والعيش غيبٌ آمالٍ وليس لنا سوى التعاون فيه من مصابيح

* * *

(١) الانخزال ، كالانخزل : هو المعنى في تشاغل ؟ يقال : انخزل وانخزل : إذا مشى متثاقلاً .
والظالع : الذى يغمز فى مشيه ، أى يميل من رجله ، وكذلك المكسوح ، يقال : جمل مكسوح :
إذا كان به ظلم شديد .

(٢) خارت : سقطت ، يقال : خارت قوة المريض : إذا سقطت قوته . ومارت : أى اضطربت
(٣) أجهشت : همت بالبكاء ، ونهيات له . ومنضوح : مرشوش .

(٤) لم تنبس : أى لم تتكلم ، ولم يستعمل هذا الفعل إلا منفياً .

(٥) الترجيع : هو قول المصاب بحصية : « إنا لله وإنا إليه راجعون » . والتسبيح : هو قول

المتعجب : « سبحان الله » ! ففى الكلام لف ونشر غير مرتب .

(٦) المفدوح : المثقل ، يقال : فداحة الحمل والدين : إذا أثقله وبهظه .

(٧) أطلاق : جمع طليح ، وهو المعنى والمهزول . وكذلك مرازيج ، يقال : إبل مرازيج ، أى
مهزولة ساقطة .

قامت قيامة أهل الغرب فانبعثت هزاهز بينهم عمت بني نوح^(١)
 واستفحلت فتنة عمياء جائحة تمخضت في دم الأرض مسنوح
 وقامت الحرب باللاأواء شاملة كل البسيطة حتى الأبحر الفيح^(٢)
 والأرض قد أصبحت من مكر ساكنها
 نحرمة اللوح أو مغبرة الشوح^(٣)
 ضاقت على الناس وانسدت مسالكها

فعاد كل طريق غير مفتوح
 والحرب أغنت أناساً غنية عجباً وآخرين رمتهم بالمجاليح^(٤)
 ومعشراً أسكنتهم في الذرا غرقاً ومعشراً بطن ملحود ومضروح^(٥)

أما التي أوجعت قلبي بمنظرها وأوهنته بتبضيب وتقرح
 فغادة عضت الحرب الضروس بها عضاً بناب حديد غير مرضوح^(٦)
 أمست تكابد من فقر ألم بها آلام عيش بشيع الطعم مذروح^(٧)
 تنو إلى الناس بالشكوى فتحسبها ظمآن يشكو لآل حرقة اللوح^(٨)

-
- (١) الهزاهز : الفتن التي تهز الناس ، والمراد ببني نوح : البشر كلهم ، لأن نوحاً هو آدم الثاني .
 (٢) اللاأواء : الشدة والمجاعة ، والفيح : جمع أفيج ، يقال : بحر أفيج ، أى واسع .
 (٣) اللوح ، بضم اللام : الهواء بين السماء والأرض . والسوح : جمع ساحة ، احرار اللوح ، واعتبار السوح : كناية عن وفوع القحط والجذب .
 (٤) المجاليح : السنون التي تذهب بالمال ، وهى ذات القحط والجذب .
 (٥) الملحود والمضروح : القبر .
 (٦) عضت بهم الحرب : أى اشتدت عليهم . ومرضو مكسور .
 (٧) مذروح : مسموم .
 (٨) الآل : السراب . واللوح ، بضم اللام هنا ، بمعنى العطش . والمعنى أنها تشكو إلى الناس بلا فائدة . كشكوى الظمآن ظمأه إلى السراب .

على جسر مود

قالها بصف بها ليلة مقمرة وهو على جسر مود ببغداد

لا تبك أربعمهم ولا الأطلا لا وارياً بحبك أن يكون حباً لا^(١)
واترك سؤالك للرسوم فإنها مما يزيدك بالسؤال ضللاً
وانظر إلى حسن الطبيعة إنه حسن يفيدك في الحياة كلاً
حسن يقيّد من رآه بحبه ويفكّ من أفكاره الأغلال
ويطير في جو السرور مرفقاً بالمشكين كتابةً وملاً
أو ما ترى البدر المنير إذا بدا يكسو الدجى من نوره سرباً لا^(٢)

واقف بحسر مود عشيّة والبدر في أفق العلى يتللاً
والليل يلبس من سناه مطارفاً منها يجرّ بدجلة أذناً لا
أمّا النسيم فقد جرى متعطراً وحكى بطيب هبوبه الآمالاً
وجبين دجلة قد صفا متألّقا فحكى السماء محاسناً وجمالاً
فحسبت نفسى في السماء مشاهداً تحقّ بدجلة للسماء مثلاً
ورأيت من فوق السماء حقيقة ورأيت من تحقّ السماء خيالاً
فكأنما الجسر الذى أنا فوقه قد مدّ في جو السماء مثلاً
وكأنما أنا في السماء محلق طورا أسف وتارة أعالى^(٣)

لله ما شاهدته من منظر يدع الكئيب كشارب جريلاً^(٤)
تحفّت جوانبه بكلّ بديعة فرها جمالا واستقلّ جلالاً
حتى نخيل الجانبين جميعها قامت له بحفاوة إجلالاً

(١) الخيال : ضرب من الجنون .

(٢) أسف الطائر : دنا من الأرض

(٣) السربال : القميص .

(٤) الجريال : من أسماء الخمر .

على البسفور

وقفتُ على البسفور والريحُ عاصفٌ وللدَّوْحِ ظِلٌّ دونه متقلِّصٌ
وفي البحر تجرى موجة إثر موجةٍ
كجرى طموح الخيل إذ يتوقَّصُ^(١)
ويزبد أعلى الموج حتى كأنه
هضاب إلى أطرافها الثلج يخلص
كأن رياح الجوّ عند هبوبها
تغنى وهذا الموج في البحر يرقص
كذا حادثات الدهر تمضي رواقصاً
بها العيش يصفو أو بها يتنقص
وفي كل يوم للزمان عجائب
بها الناس تغلو أو بها الناس ترخص
وأعجب ما في الدهر أن هباته
تزيد لمن فيه المروءة تنقص
وربّ أفيك جاء يمدّق وُدّه^(٢)
ولكنه في ودّه الثعلب الذي
يروغ أو الكلب الذي يتبصص^(٣)
تعاليتُ عن تبكيته إذ رأيته
جئولاً على علّاته يتعنّفص^(٤)
وقلت له لا تدن مني فإني
بغضٍ إلى الكاذب المتخرّص^(٥)
وإنك عارٍ من سوى العار فابتعد
فإني بأثواب العلى متقمّص
حرّصت على تكرّيم محضر صاحبي
وإني على ذا في المغيب لأحرص
وما غرّني ذو ظاهر متودّدٍ
إذا كان فيه باطن متلصّص^(٦)
ويا ربّ وجهٍ لم يرقني بياضه
فلما دنا مني إذا هو أبرص

(١) يتوقّص : يثب في عدوه وهو يقارب الخطو .

(٢) أفيك : كاذب . ويمدّق : يخلط . يقال : هو يمدّق اللبن بالماء .

(٣) بصص الكلب بذنبه : حركه تملقاً لصاحبه ، وتبصص الذئب تحركه ، مطاوع بصص ،

وقد ضمن الشاعر الفعل بتبصص معنى يتماق .

(٤) العنّفص : البذية القليلة الحياء من النساء ، وقد اشتق الشاعر من هذا الوصف الفعل بعنّفص

(٥) المتخرّص : الكاذب . (٦) متلصص : خائن .

فيا شعراء القوم كفوا وَغَاكُمْ فشرح العلى في بعض شعري مُلَخَّصُ
دَعُوا كَشَفْ مَكْنُونِ الصُّدُورِ لِفَطْنَتِي

فإني بدا من دونكم متخصّص
ذَكَاءُ لَوْ اجْتَزَتْ الْجِدَارُ بِنُورِهِ أَشْفَى أَعْيَنِي الْجِدَارُ الْمُجَصَّصُ
ولست على الأعقاب في الرأي ناكصًا

إذا كان للمستضعفِ الرَّأْيُ مِنْكَ كَصْ (١)
على أن لي في معرض الشك رِبْصَةً (٢) وَرُبَّ يَقِينٍ نَالَهُ الْمَتْرَبِصُ (٣)
إذا أنا لم أنكر على الدهر جَوْرَةً (٤) فَلَا وَطِئْتُ بِي مَوْطِئَ الْعَزِّ أَحْصُ

إلى غرة آل سعدون

أَعْبَدَ الْحَسَنَ السَّعْدُونَ إِنِّي أُرَاكَ مَنَاطَ أَسْبَابِ الرِّجَاءِ (١)
وَأَبْصَرَ مِنْ فَعَالِكَ بَدْرَ تَحْمٍّ يُلْأَلِيءُ مِنْ فَنَارِكَ فِي سَمَاءِ
لِذَلِكَ قَدْ أَتَيْتُ إِلَيْكَ أَشْكُو رِثَاةَ بَرْتَنِي وَبَيْتِ كَسَائِي (٢)
قَدْ رَقْتُ ثِيَابِي الْيَوْمَ حَتَّى تَكَادَ تَذُوبُ مِنْ مَسِّ الْهَوَاءِ
غَدَتِ شَفَافَةٌ حَتَّى كَأَنِّي لَبِستُ بَهَنَ أَثْوَابِ الرِّيَاءِ
وَلَيْسَ الْعُرَى مِنْ ثَوْبٍ مَعْيِيءٍ لِكَاسِيِ النَّفْسِ مِنْ حُلِّ الْإِبَاءِ
وَمَا ضَرَّ الْمَهْنَدَ فَقَدْ جَفَنَ إِذَا مَا كَانَ مُحَمَّدُ الْمَضَاءِ (٣)
فَإِنْ لَمْ تَدْرِكِ الْأَيَّامُ عُرِيَّ بِثَوْبٍ مِنْكَ يَا غَمَرُ الرَّدَاءِ (٤)
لَبِستُ قَرَارَ بَيْتِي فِي نَهَارِي وَلَمْ أَخْلَعْهُ إِلَّا فِي الْمَسَاءِ

(١) منكس مصدر ميمي : بمعنى النكوس ، وهو الرجوع .

(٢) رِبْصَة : وقفة وانتظار . (٣) مناط الشيء : موضع تعليقه .

(٤) بَرْتَنِي : ثيابي .

(٥) المهند : السيف المصنوع في الهند . والجفن : قراب السيف .

(٦) غمر الرداء : واسع الغطاء .

فإن جاء المساء لبست منه
 وصرت أجول كالخفاش ليلاً
 ولست أريد ثوباً أتحميها
 ولكن بزّة البدوي أبغى
 ومن كوفيّة صحت عقلاً
 فإذا زىي يتم به رجوعى
 وما صيرت ملبوسى خفيفاً
 وكيف وأنت أكرم من حبانى
 ولكنى رغبْتُ عن اكتساء
 وكيف يكون مطلوبى حقيراً
 وهل أنا غيرُ عبدٍ أنت منه
 لأتخذن إخلاصى وصدقى
 وأجعل ما حيت جميلَ شكرى
 ولست أرى الحياة تطيب إلا
 وأعلم أن ما أشكو إليكم
 ويُسَمِّتُ بنى الدين لهم نفوس
 ولم يسمت بأحرار البرايا
 ولكن هوّن البرحاء أئى
 شكوتُ إلى فتى جمّ المزايا
 فتى يؤليك عند البؤس خيراً
 رحيبُ الباع مؤتلق الحيا

ظلاماً ما تمزق بالضياء
 وأجأ فى النهار إلى الضراء^(١)
 ولا من زى أرباب الثراء^(٢)
 فمن ثوب على ومن عباء
 يكون الرأس منها فى غطاء
 إلى عيش بسيط ذى هواء
 لأنى خفت من ثقل العطاء
 بأكرم ما رجوت من الحباء
 يطول به من الدنيا عنائى
 وأنت أجلّ من تحت السماء
 خصصت أبا على بالولاء
 لكم من كل موبقة وقائى^(٣)
 لما أسديت من نعم غذائى
 بحسن تحمدى لك والثناء
 يسرّ الماردين على عدائى
 مريض من العيوب بكل داء
 سوى لؤمائم والأدنياء
 شكوت إلى جدير باشتكائى
 كبير النفس منفرد السناء
 ولا ينسأك فى حال الرخاء
 أصيلُ الرأى وقاد الذكاء

(١) الضراء : الشجر المتلف فى الوادى . يقال : توارى الصيد منه فى الضراء . أو هو ما وارك من أرض

(٢) الأتحمى : الثوب الصفيق المتين النسيج .

(٣) موبقة : مهلكة .

صريحٌ في مقاصده إذا ما أسرَّ القومُ حسُّوا في ارتقاء^(١)
زكتُ أخلاقه فصفتُ ورقَّتْ فبينَ لكلِّ مَكْرُمَةٍ مرأى^(٢)
يلاقى الزائرَينَ يبشرُ وجهِ تجلَّلَ بالمروءةِ والحياءِ
إذا رَأَسَ البلادَ أبو عليٍّ فقد وضعتُ بها طرقَ العلائِ
وإن ولى الوزارة وهو أهلُ فيا حن السياسة والدهاءِ

الوسام

وفخامة رئيس الوزراء

حَسَنَ الوِسامُ بصدر عبد الحسنِ وبدا عليه كزهرَةٌ من سوسنِ
صدر به كفتُ سرائر مجدهِ فاستعصمت منه بأشرف مَكَمَنِ
واستأمنته المَكْرُمات فأصبحتُ من كل شائنةٍ بأكرم مَأْمَنِ
لاح الوِسام بأفق صدرك لأمعا كالنجم في الأفق السعيد الأيمنِ
هو للعلی من فوق صدرك شارةٌ أكرم بصدرک للعلی من معدنِ
شرفٌ حُبِيتَ به فكان مَسْرَّةٌ للمخلصين وحسرة المتخون^(٣)
جعلته لندن للعراق كرامةً إذ أكرمتك به سياسة لندنِ
ليكون فيك علامةً منها على ما تبغيه من اعتزاز الوطنِ
فافخرَ به كل الفخار وسِرَ بنا ماشئت سيرَ حضارة وتمدنِ
تناسبُ الأشياء مع أصحابها شرفا فيعظم حسنُها في الأعينِ
وكذاك صدرك والوسام كلاهما ذونسبة في الجد ذات تفننِ
فكلاهما عنوان مجد قريبه فاعجبُ لحسن مَعْنون بَعْنونِ

(١) الحسُّ : الشرب . والارتقاء : شرب الرغوة التي على اللبن ونحوه . وهذا مثل معناه أنه يظهر أنه يشرب الرغوة ، وهو يحسو اللبن الذي تحتها . يضرب لمن يظهر غير ما يبطن .
(٢) مرأى : جمع مراعاة .
(٣) المتخون : المتنقم .

يا أصدق الوزراء معرفة بما يَهْدِي البلادَ إلى المآبِ الأحسن
سِرّاً بالبلادِ إلى معالمِ عزّها وأبلغُ بهنَّ مَدَى الرقيِّ الممكنِ
إنّا نترجو للعراقِ وأهله بك يا أصيلَ الرأي فضلَ تحسّنِ

نحن

في يومِ حادثةِ الرئيس

شاع كالبرقِ في العراقين يوماً خَبَرَ أترَعَ القلوبِ كآبةً (١)
خَبَرَ قُطُرنا العراقِ قد زلزلَ منه حتى خَشِينا انقلابه
شاع أن الرئيسَ أهوى إليه ذو اعتداءٍ بِمُدِيَةِ فأصابه
إذ رماه بطنعةٍ منه في الزنبدِ وأخرى في رأسه والنَّوَابِه
فيوَى بِمُخِيطِ الصَّعِيدِ صَريعاً بدماءٍ قد ضَرَجَتْ أَثوابه (٢)
خَبَرَ صاحِبَ عنده الناسُ يا لَـللهِ للمجدِ والندى والنجابه
واستمر الكرامِ يرجون أن لو حَقَّقَ اللهُ خُلُقَه وكِذابه
ويقولون من أصيب ؟ أعبدُ اللهَ محسنَ العِبقريِّ لِيثُ الغابه
أسليلُ الدَّاوِديِّ من آلِ سَعْدونَ أربُّ الشَّامِلِ المستطابه
ويَحْكُمُ ما الذي تقولون لنا سَ أَجِدُ مقالكم أم دُعابه
إن يكن صَحَّ ما نقولون لا صَحَّ فَقَدْنا من العلاءِ لُبابه

• • •

ثم مرّت سُويعةٌ فتولّتْ سَحَبُ النعمِ والأسى مُنْجابه (٣)
إذ علمنا أن الرئيسَ بحالٍ غيرِ قَتَّالَةٍ ولا رِيَّابه
وعلمنا الخطبَ الذي أَكْبَرُوه غيرَ خطبِ وإن يكن ذا غَرابه

(١) أترعه : ملأه ، وإناء مترع : ملان .

(٢) ضرجت أثوابه : لطختها بالدماء .

(٣) انجواب : انكشف .

يَدَ أَنْ الَّذِينَ هُمْ أَكْبَرُهُ أَرْجَفُوا نَافَخِينَ فِي الشَّبَابِ (١)
فَإِذَا كُلُّ مَا جَرَى هَذَا أَسَدٌ قَدْ عَدَتْ عَلَيْهِ ذِبَابُهُ
فَهَيْئَتَا لَا لِلرَّيْسِ وَلَكِنْ لِلْعَالِي ، وَلِلنَّهْي ، وَالنَّجَابِ

فِي مَلْعَبِ كُرَةِ الْقَدَمِ

قَصَدُوا الرِّيَاضَةَ لَاعِبِينَ وَبَيْنَهُمْ
وَقَفُوا لَهَا مَتَشَمِّرِينَ فَأَلْقَيْتَ
يَتْرَا كُضُونٍ وَرَاءَهَا فِي سَاحَةِ
رَفْسًا بِأَرْجُلِهِمْ تُسَاقُ وَضَرْبُهَا
وَلَقَدْ تَحَلَّقَ فِي الْمَوَاءِ وَإِنْ هَوَتْ
وَتَحَالَهَا حِينَ قَذِيفَةٍ مِدْفَعٍ
وَلَرَّبَّمَا سَقَطَتْ قَامَ حَيَالُهَا
فَتَحَالَهَا وَتَحَالَهُ كَفَرِيسَةٍ
لَا تَسْتَقَرُّ بِحَالَةٍ فَكَأَنَّهَا
تَنْحُو الشَّمَالَ بِضَرْبَةٍ فَيَرُدُّهَا
وَتَمُرُّ وَائِبَةً عَلَى وَجْهِ الثَّرَى
وَتَدُورُ بَيْنَ اللَّاعِبِينَ فَمُحْجَمٍ
وَكَأَنَّهَا وَالْقَوْمُ يَحْتَوِشُونَهَا
رَاضُوا بِهَا الْأَبْدَانُ بَعْدَ طِلَابِهِمْ
أَبْنَاءَ مَدْرَسَةِ أَوْلَاءَ وَكُلُّهُمْ

كُرَةِ تَرَا ضَ بِلْعِبِهَا الْأَجْسَامُ
فَتَعَاوَرَتْهَا مِنْهُمْ الْأَقْدَامُ (٢)
لِلشُّوقِ مُعْتَرِكُ بِهَا وَصِدَامُ (٣)
بِالْكَفِّ عِنْدَ اللَّاعِبِينَ حَرَامُ
شَرَعُوا الرُّءُوسَ فَنَاطَحَتْهَا الْهَامُ
فَتَمُرُّ صَائِتَةً لَهَا إِرْزَامُ
لِلضَرْبِ عَيْلِ السَّاعِدِينَ هَامُ
سَقَطَتْ فَزَجَحَرُ دُونَهَا الضَّرْغَامُ
أَمَلٌ بِهِ تَتَقَاذِفُ الْأَوْهَامُ
نَحْوَ الْجَنُوبِ مُلَاعِبِ لَطَامُ
مَرًّا كَمَا تَتَوَاثَبُ الْأَرَامُ
عَنْهَا وَآخِرُ ضَارِبِ مِقْدَامُ
قَلْبٌ عَلَيْهِ تَهَاجَمُ الْأَلَامُ
عِلْمًا تَرَا ضَ بِدَرْسِهِ الْأَفْهَامُ
يَفْعُ مَرِيرِ الْمِرْقَقِينَ غِلَامُ

* * *

(١) الشَّبَابُ : نَوْعٌ مِنَ الْمَزَامِيرِ مَوْلَدَةٌ . (٢) تَعَاوَرَتْهَا : تَدَاوَلَتْهَا .

(٣) يَتْرَا كُضُونٌ : يَتَسَابِقُونَ فِي الْعَدُوِّ وَرَاءَ الْكُرَةِ .

لا بدّ من هزّل النفوس فجدها تعبٌ وبعضُ مُزاجها استجمام
فإذا شغلت العقل فألّه سويعةً فاللهو من تعب العقول جِمام^(١)
والفكر منهكة فباستمراره تهنُّ العقولُ وتهزّل الأجسام
إن الجسوم إذا تكون نشيطة تقوى بفضل نشاطها الأحلام
هذى ملاعبهم فجسمك رُض بها واسلك مسالكهم عداك الدّام^(٢)

الاحسان

أنشدت في حفلة افتتاح مدرسة الأيتام التي أسستها الجمعية
الخيرية الإسلامية في بغداد وأنفق على بنائها حضرة المحسن
الكبير مناحيم صالح دانييل من أشرف الملة الموسوية وأغنيائها
في بغداد وذلك سنة ١٩٢٨ :

لو كنتُ أعبدُ فانياً في ذى الدّنا لعبدتُ من دون الإله المحسناً
وجعلت قلبي مسجداً لتعبدي سراً وفهت له بشكري معلنًا
كي لا أكون مرأثياً بعبادتي ولكي أكون بشكره متفنياً
في نُجتنى غرس الخليفة لم أجـد

غرساً سوى الإحسان حُلُو الهـِجتنى
هو في الخليفة ذو عجائب سرّها أعيا الأليـب وأعجز المتفطنًا
بيناه يغدو للنفوس مُقيّداً بالحب يطلق بالثناء الألسنا
يستعبد الأحرار وهو صانعهم ويرد بغض المبغضين تحمّنا
كم بلّ نائرة فأطناً نارها من بين مُشترك الصوارم والقنا
ما لاح كوكبه بموهن غمّة إلّا أعاد ضحى سناء الموهنا^(٣)
ما إن تظلل موطن بظلاله إلّا أعزّ الله ذاك الموطنا

(٢) الدّام : العيب .

(١) جِمام : راحة .

(٣) الموهن : الساعة بعد منتصف الليل .

نَفَحَاتِهِ تَمْحُو مَعَايِبَ أَهْلِهِ من حيث تُعْمِي عَنْ رُؤَاهَا الْأَعْيُنَا
لَمْ أَدِرِ وَالْآثَارَ مِنْهُ كَثِيرَةٌ فِي الْغَرْبِ لَمْ تُزُرْ وَقَلَّتْ عِنْدَنَا
أَفْنَحْنَ نَجْمَهُ وَقَدْ عِلْمُ الْوَرَى فِي الشَّرْقِ نَشَأَتْ رِيْبَا بَيْنَنَا
أَوْ مَا أَمَرْنَا فِي عِظَاتِ كِتَابِنَا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ أَنْ نَتَدَيَّنَا

وَيَسِّرُنِي أَنِّي أَشَاهِدُ مَوْطِنِي قَدْ نَالَ مِنْ بَرَكَاتِهِ بَعْضُ النَّاسِ
وَإِذَا اسْتَرْيَبَ بِمَا أَقُولُ فَشَاهِدِي هَذَا الْبِنَاءُ وَمَنْ حَمَاهُ وَمَنْ بَنَى
قَدْ شِيدَ لِلْأَيْتَامِ مَأْوَى وَاهِيَا يَهْتَمُّ بِالْأَيْتَامِ فِيهِ وَيُعْتَنِي
لِيَكُونَ فِيهِ شَفَاؤُهُمْ مِنْ جَهْلِيهِمْ

وَمَنْ الظُّلْمَا وَمَنْ الطُّوَى وَمَنْ الضَّنَى بِالْمَالِ مُشْتَرِيَا بِهِ كُلُّ الثَّنَا
جَادَابِنْ «دَانِيلَ» الْكَرِيمُ لَذَا الْبِنَا مُسْتَغْرِقَاتٌ بِالثَّنَاءِ الْأَزْمَنَا
فَاسْتَوْجِبِ الْحَمْدَ الَّذِي كَلَّمَاتُهُ إِذْ لَا يَخَاطَبُ مِثْلَهُ بِسُوءِ الْكُنَى
فَلَنَكُنْهُ بِأَبِي الْيَتَامَى بَعْدَ ذَا أَنْ لَيْسَ لِلْإِحْسَانِ دِينَ فِي الدُّنَا
رَجُلٌ عَامِنَا الْيَوْمَ مِنْ إِحْسَانِهِ قَدْ صَارَ طَبْعًا لِلنَّفُوسِ وَدِيدَنَا
لَا يَحْسُنُ الْإِحْسَانُ إِلَّا هَكَذَا حَسَنٌ وَإِلَّا فَهُوَ بئْسَ الثَّمَنَتْنِي
وَالْمَالُ إِنْ جَادَتْ بِهِ يَدُ مُحْسِنٍ عَفَوًا وَعَوَّدَ نَفْسَهُ أَنْ يُحْسِنَا
سَعِدَ امْرُؤٌ بِذَلِكَ الْفَوَاضِلِ لِلرَّيِّ أَدْعُو إِلَى الْإِحْسَانِ مِنْ حَضَرُوا هُنَا
وَالْجَهْدُ مِنِّي هَيْهَنَا هُوَ أَنِّي

الجـرأئـد(*)

وما كانت عليه في الآستانة

إذا شئت أن تسرى بكافرة الصُّوى يدوَّى بقطريها هزيمُ الرواعد^(١)
وتذهبَ مِحْيَارُ الظلامِ تَحْبُطًا وتَعَثَّرُ في ظلماتها بالجلامد^(٢)
وتمشي فما تدرى إلى قعر هُوَّة تروح بها أم للمدى المتباعد
فطالعُ أراجيف الجرائد إننى أرى الويل كل الويل بين الجرائد
جرائد في دار الخلافة أضرمتُ هيب خلاف بينها غير خامد
ولم يكفها هذا الخلاف وإنما أطافت بنقص في الحقيقة زائد
فما بين مكذوب عليه وكاذب وما بين مجحود عليه وجاحد
ترى في فروق اليوم قراء صحفها فريقين من ذى حُجَّة ومعاند
جدال على مرَّ الجديدين دائمٌ بتفنيد رأى أو بتزييف ناقد^(٣)
فدائد مهم عن رمي يردُّه وآخر رامٍ سهمه نحو ذائد^(٤)
وهذا إلى هذى وذلك لغيرها من الصحف يدعو آتيا بالشواهد
وما هي إلا ضجَّة كل صائت بها مدَّ الدنيا حيلة صائد^(٥)
أضاعوا علينا الحق فيها تعدا وعقبي ضياع الحق سود الشدائد
ولم أر شيئا كالجرائد عندهم ، بادته منقوضة بالمقاصد

(*) من الجزء الأول .

(١) كافرة الصوى : كناية عن الصغراء التي لا علم فيها بهتسى به . ويدوى : يكون له دوى .

وهزيم الرواعد : صوت السحب ذوات البرعد .

(٢) الجلامد : جمع جلمد ، وهو الصخر .

(٣) تفنيد الرأى : نسبه إلى النقد ، بالتحريك ، وهو الكذب . وتزييف النقد : نسبه إلى

الزيف ، وهو في الأصل الدرهم غير الجيد . والمراد بإبطال كلامه واعتباره لغوا .

(٤) ادائد : المدافع عن الشيء والمرى : المرمى ، فحيل بمعنى مفعول .

(٥) حيلة الصائد : ما يستعين به من الحيل لاصيد الحيوان .

يَقُولُونَ نَحْنُ الْمَصْلُحُونَ وَلَمْ أَجِدْ
وَكَيْفَ يَبِينُ الْحَقُّ مِنْ نَفْسَاتِهِمْ
فَأَيُّكَ أَنْ تَغْتَرَّ فِيهِمْ فَكُلُّهُمْ
وَكُنْ حَائِثًا عَنْهُمْ جَمِيعًا فَإِنَّمَا
لَهُمْ فِي مَجَالِ الْقَوْلِ غَيْرَ الْمَفَاسِدِ
وَكُلُّ لَهُ فِي الْحَقِّ نَفْسَةٌ مَارِدٌ
يَجْرُ إِلَى قَرْصِيهِ نَارُ الْمَوَاقِدِ
يُضِلُّ أَمْرًا عَنْ غَيْرِهِمْ غَيْرُ حَائِثٍ

• • •

عَلَى رِسَالَتِكُمْ يَا قَوْمُ كَمْ تَسْمَعُونَنَا
أَلَا فَارَحِمُوا بِالصَّفْحِ عَنْ نَهْجِ صُحُفِكُمْ
مَقَالَةً مُحْقُودَةً عَلَيْهِ وَحَاقِدًا^(١)

فَقَدْ أَوْرَدْنَا الْيَوْمَ شَرَّ الْمَوَارِدِ
وَمَا الصُّحُفُ إِلَّا أَنْ تَدُورَ بِنَهْجِهَا
وَأَنْ تَنْشَرَ الْأَقْوَالَ لَا عَنْ طَمَاحَةٍ
وَأَلَّا تَعَانِيَ غَيْرَ نَشْرِ حَقَائِقِ
أَتَبْغُونَ فِي تَلْفِيقِهَا نَفْعَ وَاحِدٍ

وَتَغْضُنُونَ عَنْ إِضْرَارِهَا أَلْفَ وَاحِدٍ
إِلَّا أَنْ صَحُفَ الْقَوْمِ رَائِدٌ نَجَحْتَهُمْ
لِعَمْرِي إِنَّ الصُّحُفَ مِرَاةَ أَهْلِهَا
كَمَا هِيَ مِيزَانُ لَوْزَنِ رُفِيقِهِمْ
أَلَا تَنْظُرُونَ الْغَرْبَ كَيْفَ تَسَابَقَتْ
بِهَا يَهْتَدِي الْقُرَاءُ لِلْحَقِّ وَاضِحًا
وَلَكِنْ أَبَى الشَّرْقُ النَّعِيسَ تَقْدِمًا
فَلَا تَحْمِلُوا حَقْدًا عَلَى مَا أَقُولُهُ
وَمَا هِيَ إِلَّا غَيْرَةٌ وَطَنِيَّةٌ
وَمَا جَازِي فِي حُكْمِ النَّبِيِّ كَذِبَ رَائِدٍ
بِهَا تَتَجَلَّى رُوحُهُمْ لِلْمَشَاهِدِ
وَدِيْوَانُ أَخْلَاقِهِمْ لَهُمْ وَعَوَائِدُ
بِهِ الصُّحُفُ فِي طُرُقِ الْعِلَى وَالْحَمَامِدِ
كَمَا يَهْتَدِي السَّارِي بِضَوْءِ الْفَرَاقِدِ
مَعَ الْغَرْبِ حَتَّى فِي شَتَّى الْجَرَائِدِ
فَإِنِّي عَلَيْكُمْ خَائِفٌ غَيْرُ حَاقِدٍ
فَإِنْ تَجَدُّوا مِنْهَا فَلَسْتُ بِرَاجِدٍ

(١) عَلَى رِسَالَتِكُمْ: أَيُّ تَهْلِيلٍ.

وقفة في الروض (*)

ناح الحمام وغرّد الشُّحُورُ هذا به شَجَن وذا مسرورُ
 في روضة يُشجِي المشوقَ تَرَقُّقُ للماء في جنباتها وخرير
 ماء قد انعكس الصفاء بوجهه وصفا فلاح كأنه بَلُورُ
 قد كاد يمكن عند ظني أنه بالماس يُوْشِرُ منه لى مَوْشُورُ^(١)
 وتسلسلت في الروض منه جداول بين الزُّهور كأنهن سَطُور
 حيث الغضون مع النسيم مَوَائِلُ فكأنهن مَعاطِفٌ وخُصُور

ماذا أقول بروضة عن وصفها يعيا البيانُ ويعجز التعبير
 عُنيَ الربيعُ بوشيتها فتنوعتْ لالعين أنوارُ بها وزهور
 مثلتُ بها الأغصان وهي منابر وتلت بها الخطباء وهي طيور^(٢)
 متعطرٌ فيها النسيم كأنما جيبُ النسيم على الشذا مزور
 للترجس المظلول ترنو أعين فيها وتيسم للأفاح ثُغُور^(٣)
 تحذت خزامها البنفسج خدنها وغدا يشير لوردها المَشُور
 وكأن محمّر الشقيق وحوله في الروض زهر الياسمين يمور^(٤)
 سَمِعَ توقّد في زجاج أحمر فغدا حواليه الفَراش يدور

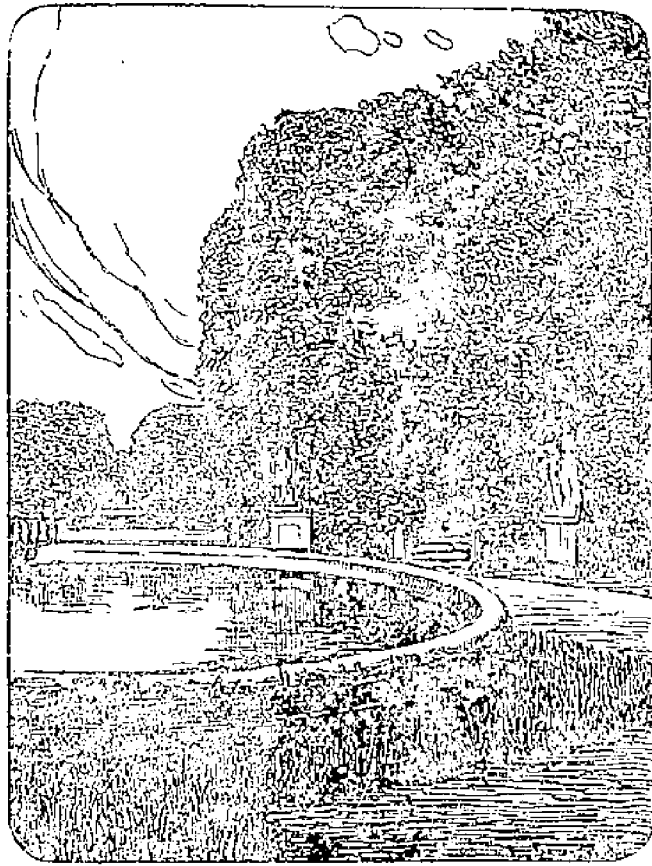
(*) من الجزء الأول .

(١) شبه الماء في البيت الذي قبل هذا بالبلور . ثم زاد في هذا البيت أنه بلور ، وأنه يمكن أن يقطع منه بالماس موشور ، وهو قطعة مستطيلة ذات أضلاع ، إذا مرت خلالها أشعة الضوء انحلت إلى ألوانها السبعة .

(٢) مثلت : انتصبت وقامت .

(٣) المظلول : الذي أصابه الظل ، وهو الندى . والأفاحى : جمع أفتحوان ، وهو نوار أبيض تشبه به الأسنان في بياضها واستوائها .

(٤) يمور : يهتز ويتأيل .



ماء قد انعكس الصفاء بوجهه . . .

وتروق من بُعدٍ بها فوّارة في الجوِّ يَدْفُقُ ماؤها ويفور
يحكي عمودُ الماء فيها آخذاً صُعداً عمودَ الصبح حين ينيرُ
ناديت لما أن رأيت صفاءه والنور فيه مغلغلٌ مكسور
هل ذاك ذوّب الماس يحمد صاعداً أم قد تجسم في الهواء النور
تتناثر القطرات في أطرافها فكأنما هي لؤلؤٌ منشور
ينحلُّ فيها النور حتى قد ترى قوس السحاب لها بها تصوير

* * *

كم قد لبست بها الضحى من روضة فيها علّنتي نضرة وسرور
فأجلت في الأزهار لحظ تعجبي ولفكرتي بصفاتهم مرور
فنظرتهن تحسّيراً ونظرتهن حتى كلانا ناظر منظور
فكان طرف الزهر ثمة ساحر لـ رنا وكأنني مسحور

إن الزهور تُكِنِّنَ براعمَ مثل العلوم تجنِّهن صدور^(١)
وتَضَوِّعُ النفحات منها مثله تبينها للناس والتقير^(٢)
وبتلك قلب الجبل مصدوع كما ثوب الهموم بهذه مطرور
والزهر يُنبِتُه السحاب بمائه كالعلم يُنبِت غرسه التفكير
إن كان هذا في الحدائق بهجة يزهو فذلك في النهى تنوير
أو كان هذا لا يدوم فإن ذا ليدوم ما دامت تسكر عصور

ما رأيت في بك أو غلى^(٣)

قالها عند ما ذهب إلى حى بك أو غلى فى الآستانة سنة ١٨٩٨
وقد كان إذ ذاك معهما ، وذلك قبل أن يستقبل الطربوش بالعمامة .

ذهبتُ لحي فى فروقٍ تزاوجتُ به الخلق حتى قلتُ ما أكثر الخلقا
ترى الناس أفواجا إليه وإنما إلى التلعات الزهر فى درج ترقى
يضئ به شجرُ الحضارة باسمًا بلامع نور علم الشجْب البرقا
رأيت مبانيه وجئتُ بطرقه فما أحسن المبنى وما أوسع الطرُقا !
فكم فيه من صرّح ترى الدهر مُتِلعا يمدُّ إلى إدراك شرفته العُنقا^(٣)
قصور علّت فى الجوّ لم تأق بينها وبين النجوم الزهر فى حسنّها فرقا
هنالك للأرضين أفقٌ برؤُجه تُضاحك أبراج السموات والأقفا
بروج ولكن شارقاتُ شمسها تدور بأفق يجمع الغرب والشرقا
بحيث ترى تُجر (الطرايش) خالطت (برانيط) سودا كالسلاحف أو ورقا^(٤)

- (١) البراعم : جمع برعم الزهر ، وهو غلافه الأخضر . وتجنّهن : استترهن ، وتحفظن .
(٢) نضوع النفحات : تحريكها وانتشارها : والنفحات : جمع نفحة ، وهى رائحة الزهر ،
تصبى فى الهواء . (*) من الجزء الأول .
(٣) المتاع : الذى يمدّ عنقه ، يرى شيئا عاليا أو بعيدا .
(٤) الورق : جمع أوراق أو ورقاء ، وهى التى لونها لون الرماد ، مع حمرة خفيفة .

وتلقى الوجود البيض خمرًا خدودها وتلقى العيون السود والأعين الزرقا
 خدودًا جرى ماء الشبيبة فوقها ففيه عقول الناظرين من الغرقى
 محاسن كالأزهار قد طمها الهوى وهب نسيم العشق من بينها طلقا
 فمن ذات دلٍّ أعجز الشعر وصفها وإن كان فيها الشعر ممتلئًا عشقا
 ومن ذى دلالٍ رنح الحسن عطفه إلى أن رجا من حسنه عطفه الرقيقا^(١)

♦ ♦ ♦

وكم سرح فيه الحسان تلاعبت تمثّل كيف الناس تسعد أو تُشقى^(٢)
 حسان علت في الحسن خلقًا وخلقة وهل خلقة تعلو إذا سفلت خلقة
 تمثّل ما قد مرّ منا وما حلا وما جلّ من أمر الحياة وما دقا
 فتلقى دروسا لو وعثها حياتنا لبذل كذب في سعادتها صدقا
 إذ امتلت شكوى الحزين بكّت لها عيون البلى والزمان لها رقا^(٣)
 وإن صوّرت حقا هوى كل باطل على رأسه حتى تجذل مُدقا^(٤)

* * *

وماذا ترى في——ه إذا زرت حانة

ترى الأُنس يشدو في فم يجهل النطقا^(٥)
 سكوت على قرع الكتوس مغرّد بلحن سرور يترك الهم منشقا
 عليهم سحاب الاحتشام يضلّهم متى هم أرادوا سح من قبل ودقا
 أو انس قد نادى كل غرائق فمنهم من تسقى ومنهم من تسقى^(٦)

(١) يقال : رنح انشرب الرجن : جمعه يتميل سكرًا . والعطف : الجيد .

(٢) السرح : دار التمثيل ، حيث تمثل العبر والعظات .

(٣) البلى : جمع بلية ، وهى الرزية والمصيبة .

(٤) تجذل : سقطت على الجدالة ، وهى الأرض . والمندق : المنكسر .

(٥) الحانة : بيت الخمر .

(٦) الأوانس : جمع آنسة ، وهى المرأة التى يؤنس بحديثها . والغرائق : الفتى الشاب اتّام الحسن

فمن ذا براهم ثم لم يك واعثلا
ألت بمعذور إذا أنا زرتهم
فقد لامننى لما رآنى بحيمهم
فقال أفى الحى الذى شاع فسمه
فقلت أجل إن العائم عندنا
ولكننى ما جئت إلا توصلا
عليهم وإن أمسى يُعدّ الفتى الأتقى^(١)
وساجلتهم شوقا فقل ويحك الحقا
فتى منه قحف الرأس ممثلى^(٢) حقا
تجول ألم تمنع عمامتك الفسقا
لمنع فى لوئائها الفسق والرزقا^(٣)
لذكرى شقاء فى العراق به نشقى

شقاء تمطى فى العراق تمطيا
فإن العراق اليوم قد نشبت به
تمشت به حتى أعادت سواده
فلننى على بغداد إذ قد أضاعها
جزوها عقوقا وهى أم كريمة
أدامت لها الأحداث مخضا كأنها
سأبكى عليها كلما جلت سائحا
وأنديها عند الأغاريد شاربيا
وألقى جراننا لايزحرح واستلقى^(٤)
نيوب الدواهى فهى تعرقه عرقا^(٥)
بياضا ومدت للبوار به ربيا
بنوها فسحقا للبنين بها سحقا^(٦)
والأم أبناء الكريمة من عقا
قد اتخذتها الأحداث لها زقا^(٧)
وشاهدت فى العمران مملكة ترقى
من الدمع كأسا لا أريد لها مدقا^(٨)

(١) الواغل : الداخل على القوم فى مجلس الشراب ولم يدع له ، ثقة بكرمهم .

(٢) الفحف : كل عظم عريض من عظام الرأس .

(٣) لاف العمامة يلومها لوئا : لفها حول رأسه ، اللوئة : المرة من اللوث .

(٤) تمطى الحصان ونحوه : مد مطاه ، وهو ظهره ، بأن يقدم يديه ، ويؤخر رجله ، فيكون .

جسمه أطول ما يكون . وفى الكلام تمثيل الشقاء بالحصان . والجبران : مقدم عنق البعير ، وإلقاء .

الجبران : أن يس البعير الأرض بمقدم عنقه عند بروكه ، وهو كناية عن التمسك والاستقرار .

(٥) نشبت : علق . تعرقه : نأ كل ماعلى العظم من اللحم .

(٦) سحقا : بعيدا .

(٧) الزق : وعاء من جلد يحفظ فيه اللبن والخمر ونحوهما .

(٨) الأغاريد : جمع أغرود ، وهو الغناء . والمذق : الخلط ، مذاق اللبن بالماء : خلطه . يريد .

أنه إذا تشاغل قوم بسجاع الغناء وشرب المدامة ، فإن شغلهم هو أن يصيب باكيا بلاده ، شاربا من .

فيض دموعه كأسا صرفة غير مشوبة بماء .

السد في بغداد (*)

وقال يخاطب حازم بك والى بغداد ، بعد خروجه إلى سد « الحويوة »
من شاطئ الفرات ، الذى انكسر فأغرق بغداد ، وهذه هى الحادثة التى
قال فيها الشاعر قصيدة سوء المنقلب :

نَجَّيْتَ بالسَّدِ بَغْدَاداً مِنَ الْغَرَقِ فَمِمَّهَا الْأَمْنُ بَعْدَ الْخَوْفِ وَالْفَرَقِ^(١)
قَدَّمْتَ بِالْحَزْمِ فِيهَا وَالْيَأْجُزَ أُمُورَهَا فِي نِظَامٍ مِنْكَ مُتَقِ
لَقَدْ نَجَّحْتَ نَجَاحاً لَا يَفُوزُ بِهِ مَنْ خَالَقَ الْحَزْمَ إِلَّا حَازِمُ الْخَلْقِ
وَيَحِ الْفَرَاتِ فَلَوْ كَانَتْ زَوَاخِرُهُ تَدْرِي بِعَزْمِكَ لَمْ تَطْفَحْ عَلَى الطَّرْقِ^(٢)
وَلَا غَدَتِ تَجَرُّفُ الْأَسْدَادَ قَاذِفَةً مِنْهَا بِسِيلٍ عَلَى الْأَنْحَاءِ مُنْدَفِقِ^(٣)
حَيْثُ « الْحَوِيَّةُ » أُمِسَتْ مِنْكَ طَالِبَةً

رَقِيقاً لَسَدٍ بِطَاغِي السَّيْلِ مُنْفَتِقِ
بَاتَتْ تَجِيشُ بَتِيَارَ وَبَاتَ لَهَا
حَتَّى إِذَا أَيْقَنْتَ أَرْضَ الْعِرَاقِ بِأَنْ
تَفْنَى مِنَ الظُّمِّ أَوْ تَفْنَى مِنَ الْغَرَقِ^(٤)
سَمَرْتَ عَنْ هَمِّ تَعْلُو النُّجُومِ وَقَدْ
أَمْسَى الزَّمَانُ إِلَيْهَا مُتْلِعَ الْعُنُقِ^(٥)
فَسَكَدَتْ تَمَلُّاً فَرَّغَ الْوَادِيَيْنِ بِمَا
حَشَرْتَ مِنْ طَبَقٍ يَأْتِيكَ عَنْ طَبَقِ^(٦)
لَمَّا خَرَجْتَ وَكَانَ الْخَرَقُ مَتَسَعاً
وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ ذِي شَكٍّ وَمَتَّقِ^(٧)

(*) من الديوان الأول .

(١) الفرق : الخوف .

(٢) ويح العراق : رحمة له . وزواخرة : جمع زاخر ، وهى أمواجه المتدفقة ، وتطفح : تفيض وتجرى

(٣) تجرف : تنحى وتزيل . الأسداد : جمع سد ، وهو حاجز من البناء يعترض به فى مجرى الماء ، لتنظيم تدفقه .

(٤) الظم : المدة التى يعطش فيها الحيوان بين الشربين ، والمراد هنا مطلق العطش .

(٥) متلع العنق : ماد العنق من التطلع إليها .

(٦) فرغ الواديين : اتساعهما ، والواديان : دجلة والفرات ، وحشرت : حشدت وجمعت والطبق : الجماعة من الناس ، وعن طبق . أى بعد طبق . يريد أنه جمع للعمل فى إصلاح السد المنكسر جموعاً غفيرة من الناس ، ينلوا بعضها بعضاً .

(٧) متق : مفتعل من الوثوق بالشئ .

قالوا : نحاشقة قصوى وما علموا
 فصدق الله ظناً فيك أحسنه
 إذ جئت والسد تحت الغمر مكتسح^(١)
 وثلمة السد كالمهواة واسعة
 سللت صارم رأى قد أزلت به
 فما تموج ماء النهر من غضب
 ثبت عزمك في أمر يذل به
 تقضى النهار برأب الثأى مجتهدا
 حتى بنيت وكان النهر منفلقاً
 أرسيته جبلاً قامت ذراه على
 فراحت الناس تمشي فوقه طرباً
 وصار معكس فخر أنت مرجعه
 وقد ركزت به الرايات خافقة
 من كل أحمر فإن وسطه قر
 فظل حاسدك للغبون منطويا
 ود الفرات حياء منك يومئذ
 بأن عزمك يدنى أبعد الشق^(٢)
 قوم وكذب ظن الجاهل الخرق^(٣)
 والنهر يرغو بموج فيه مصطفق^(٤)
 يهوى بها السيل من فوق إلى العمق^(٥)
 ما كان في السيل من طيش ومن زرق^(٦)
 وإنما أخذته رعدة الفرق
 عزم الحصيف لما يحوى من الزلق
 وتقطع الليل بالتدبير والأرق^(٧)
 سداً عليه رصيناً غير منفلق
 أصل مع الموج تحت الماء معتنق
 والنهر ينساب بين الغيظ والحنق
 كالنور يرجع معكوساً إلى الحدق
 ما بين طاقين مرفوعين في نسق
 يتلوه نجم بلون أبيض يقق^(٨)
 غلى فؤاد بنار الجهل تحترق
 لو غار يسلك تحت الأرض في نفق^(٩)

(١) الشقة : الناحية ، قصوى : شديدة البعد .

(٢) الخرق : الأحمق .

(٣) الغمر : السيل الغزير الشديد . والمكتسح ، بصيغة اسم المفعول ، الذى أزيل عن موضعه . ويرغو : يسمع له هدير كرهاء الإبل ، والمصطفق : الذى تلاطمت أمواجه ، فسمع لها صوت .

(٤) ثلمة السد : الموضع المتهدم منه . والمهواة : الأرض المنهطة المنخفضة .

(٥) الصارم : القاطم . والزرق : الطيش والحق .

(٦) رأب الثأى : إصلاح القاسد ، وهو من الرؤية ، وهى الرقعة بشعب بها الإناء المكسور من الخرف ونحوه .

(٧) فإن وثاقى : شدة الحمرة ، ويقى : يفتح القاف الأولى : أى خالص البياض .

(٨) النفق : طريق تحت الأرض كالداهليز ، مفتوح من أوله وآخره .

لما اقتدحت زناد الرأي مفكرا
فأدبرَ الهمَّ وانشقتْ غياهبُه
إن الأمور إذا استعصتْ توافرها
وإن تصاممتْ الأيامُ عن طاب
تنحلّ بالرأي منك المشكلات لنا
وكما زدتْ تفكيراً بمعضلة
فالفكر منك كأبعاد الفضاء بلا
يحكى الأثيرَ إذا أجرى تلاطمه
لك الثناء علينا أن نخالده
تالله لو بلغت زُهرَ النجوم يدي
رتبتها حيث كلُّ الناس تقرأها

في الخطب ألهمتْ منه فحمة الغسق
كما قد انشق سَجَفُ الليل بالفلق^(١)
أخذتهم من التدبير في وهق^(٢)
أسمعتهم بصوت منك صهْصَلِق^(٣)
كالنور ينحلّ ألوانا من الشرَق
زادت وضوحا لنا حتّى على الشفق^(٤)
حد يسابق خطف البرق في الطلق
أبدى سواطع نور منه منبثق
نقشا على الصخر لا رقما على الورق
من كل جرّم بصدر الليل مؤتلق
سَطّرا بمدحك مكتوبا على الأفق

(١) غياهب : جمع غيب ، وهو الظلمة ، شبهها بجلد أو ثوب أسود انشق فبان ماتحته والسجف : الستر . والفلق : الصبح .

(٢) الوهق : الحبل المفتول يجعل فيه أنشودة ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٣) الصهْصَلِق من الأصوات : الشديد . ورجل صهْصَلِق الصوت : أى شديده .

(٤) الشفق : الحمرة التي ترى في السحاب بعد سقوط الشمس للغروب .

الساعة (*)

وَحَرَسَاءُ لَمْ يَنْطِقْ بِحَرْفٍ لِسَانُهَا
حَكَّتْ لَهْجَةً التَّمَتُّامَ لَفْظًا وَلَمْ تَكُنْ
لَهَا ضَرْبَانِ فِي الْحِشَاءِ قَدْ حَكَّتْ بِهِ
جَرَتْ حَرَكَاتِ الدَّهْرِ فِي ضَرْبَاتِهَا
عَلَى وَجْهِهَا خُطَّتْ عَلَامٌ تَهْتَدِي
مَشَتْ بَيْنَ آثَاتِ الزَّمَانِ تَقْيِيسُهُ
بِهَا يَتَقَاضَى النَّاسُ مَا يُوعَدُونَهُ
غَدَتْ كَأَخِي الْإِيمَانِ تَأْكُلُ فِي مَعَى
تَدُورُ عَلَيْهَا عَقْرَبٌ دَوَّرَ حَائِرٌ
تُرِيكَ مَكَانَ الشَّمْسِ فِي دَوْرَانِهَا
فَأَعْجَبَ بِهَا مَصْحُوبَةٌ جَاءَ صَنْعُهَا
بَنْتِهَا النَّهْيُ فِي الْغَابِرِينَ بِسِيطَةٍ
تَنَادَى بَنَى الْأَيَّامِ فِي تَقَرَّاتِهَا
وَلَا تَهْمَلُوا الْأَوْقَاتَ فَهِيَ بَوَاتِرٌ

سَوَى صَوْتِ عِرْقٍ نَابِضٍ بِحِشَاهَا
لِتَفْصِيحٍ إِلَّا بِالزَّمَانِ لَعَاهَا
فَوَادًا تَغْشَاهُ الْهَوَى وَحَكَاهَا^(١)
وَبَانَتْ مَوَاقِيتُ الْوَرَى بِعَمَّاها
بِهَا النَّاسُ فِي أَوْقَاتِهَا لُمْنَاهَا^(٢)
وَمَا هُوَ إِلَّا مَشِيهَا وَخُطَاهَا
وَيُرْشِدُ ضَلَالَ الزَّمَانِ هُدَاهَا^(٣)
وَمَا أَكَلَهَا إِلَّا أَلْتَوَاءُ مِعَاهَا^(٤)
بَنِيَاءُ غُمَّتْ فِي الظَّلَامِ صَوَاهَا^(٥)
إِذَا حَجَبَتْ عَنْكَ الْغَيُومُ ضِيَاهَا^(٦)
نَتِيجَةُ أَفْكَارِ الْوَرَى وَحِجَاهَا
قَمَّ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ بِنَاهَا^(٧)
أَنْ اسْعَوْا بِجَدِّ بِالْغَيْنِ مَدَاهَا
تَقْطَعُ أَوْصَالَ الْحَيَاةِ شَبَاهَا^(٨)

- (*) من الجزء الأول .
(١) ضربان : أى ضرب وخفق .
(٢) منامها : جمع منية ، وهى ما يرغب فيه الانسان ويتمناه .
(٣) أى أنها تهتدى الجاهل بالوقت إلى معرفة الساعة التى يريد .
(٤) يشير إلى الحديث الذى معناه : « المؤمن يأكل فى معنى واحد » أى أنه يتناول من الطعام والشراب ، ولا يسرف كما يفعل الكافر الذى يأكل فى سبعة أمعاء ، لشربه ونهمته .
(٥) بنىء : صحراء لا يهتدى فيها إلى شىء . وغمت : سترت وحجبت . والصوى : ما ينصب من الأحجار فى الصحارى ، علامة على الطريق .
(٦) يريد أنها تبين حقيقة موضع الشمس من السماء ، إذا سترتها الغيوم .
(٧) النهى : جمع نهية ، وهى العقل . يريد العقل حين فسدت فى حساب الوقت وبيانه ، اخترعت لذلك آلات بسيطة غير مركبة كالزولة ، والزجاجة الرملية ، وانتهى الاختراع بالساعة الدقيقة . وكانت معروفة فى زمن هارون الرشيد الخليفة العباسى .
(٨) بواتر : جمع باتر ، يريد السيف القاطع . والأوصال : جمع وصل ، وهى الأجزاء المتصلة من الجسم . والشبا : جمع شباة ، وهى حد السيف والسكين ، وإبرة العقرب .

ذكرى لبنان (*)

بَرَزَتْ تَمِيسُ كخَطَرَةِ النَّشْوَانِ هَيْفَاءُ تُخْجِلُهُ غُصُونُ الْبَلْبَانِ^(١)
وَمَشَتْ خُفَّ بِهَا الصَّبَا فَمَا يَلَتْ مَرَحًا فَأَجْهَدَ خَصَرَهَا الرَّدْفَانُ
جَالُ الْوَشَاحِ عَلَى مَعَاضِفِهَا اتَّقَى قَعَدَتْ وَقَامَ بِصَدْرَهَا النَّهْدَانُ
تَسْتَبْعِدُ الْحُرَّ الْأَبَى بِمُقَلَّةٍ دَبَّ الْقَتُورُ بِحُفْنِهَا الْوَسْنَانُ
وَإِذَا بَدَتْ تَهْفُو الْقُلُوبُ صَبَابَةً فِيهَا وَتَرْكِعُ دُونَهَا الْعَيْنَانُ
أَخَذَ الدَّلَالُ مَوَاتِقًا مِنْ عَيْنِهَا أَلَّا تَزَالَ مَرِيضَةُ الْأَجْفَانِ
تَمَشَى فَتَنْشُرُ فِي الْفَضَاءِ مُحَاسِنًا بَسَطَ الزَّمَانُ لَهَا يَدَيَّ وَلَهَانُ
وَيُلَوِّحُ لِلنَّظَرِ اتَّقَرِيبَ بَوَاجِبِهَا عَقَلَ الْحَلِيمُ وَعَصَمَةَ الصَّبَّيَانِ
لَمْ أُنْسَ فِي قَلْبِي صُغُودَ غَرَامِهَا إِذْ نَحْنُ نَصْعَدُ فِي رُبَا لُبْنَانِ
حَيْثُ الرِّيَاضُ يَهْزُ عِطْفُ غُصُونِهَا شَدُوُ الطَّيُورِ بِأَطْرَبِ الْأَحْنَانِ
لُبْنَانُ تَفْعَلُ بِالْحَيَاةِ جَنَانَهُ فَعَمَلُ الزَّلَالِ بِقَلَّةِ الظُّمَّانِ
وَتَرْدُ غُصْنِ الْعَيْشِ بَعْدَ ذُبُولِهِ غَضًّا يَمِيدُ بِفَرْعِهِ الْفَيْنَانِ
فَكَأَنَّ لُبْنَانًا عُرُوسًا إِذَا غَدَا يَزْهَوُ بِنَشْرِ غَدَائِرِ الْأَغْصَانِ
وَكَأَنَّمَا الْبَحْرُ الْخِضْمُ سَجَنَ جَلٍّ يَبْدَى خِيَالُ جَمَالِهَا الْفَتَّانِ
جَبَلٌ سَمَتْ مِنْهُ الْقُرُوعُ وَأَصْلُهُ تَحْتَ التَّبْسِيطَةِ رَاسِخُ الْأَرْكَانِ
تَهْفُو الْغُصُونُ بِهِ النَّهَارَ وَفِي الدَّجَى تَهْفُو عَلَيْهِ ذَوَائِبُ النِّيرَانِ
وَتَرَى النُّجُومَ عَلَى ذُرَاهُ كَأَنَّهَا مِنْ فَوْقِهِ دُرَّرَ عَلَى نَيْجَانِ^(٢)
لَهُ لُبْنَانُ الَّذِي دَخَبَاتُهُ ضَحِكَتْ مُتَنَازِلَةً مَعَ الْوُدَيَانِ

(*) من الديوان الأول .

(١) تَمِيسُ : تخاطر وتنايل . والنشوان : السكران ، والصفاء : الضامرة البطن . والبَلْبَانُ : شجر غصونه لدنة تنميل ونهتر .
(٢) ذراه : أعاليه ، جَم ذروة .



(تمشي فتى في النضاء بحاسنا . . .)

يمجرى النسيم الغضُّ بين رياضه
جَلَّتِ الطبيعة في رُياه بدائعاً
يا صاحبي أتذكر أني فإني
إذ كان يغيظنا الزمان ونحن في
في ليلة حسد الضياء ظلامها
متجاولين من الحديث بساحة
والليل يسمع ما نقول ولم يكن
فكان جولتنا بصدر ظلامه

• • •

ما كنت أحسب أن أحلَّ ببقعة
حتى نزلت من الشؤير بجنة
فهصرت أغصان الأمانى ولم يكن
ولقيت شاعرها الذي ارتفعت له
حتى إذا تم اللقاء قصدت من
يا يوم بكفياً وبيت شبابه
وسقى زمانك يادياراً بحسن
فلقد رأيت ضياء مجدك مشرقاً
أفيذكر اللبكي يوم بحسن
أم ليس يعلم أنني أحبته

للحسن مُنبتةً وللإحسان
فيها الحياة كثيرة الألوان
غير السرور بهنَّ قِطْفٍ دان^(١)
كف القريض مشيرةً بينان
ربوات بكفياً ظلال جنان
أفديك من يوم بكل زمان
صوب المسر دأهم التهنان
في وجه كل حلاجٍ ديان
حيث اجتمعنا في حمى كنعان
حباً أذبت بناره سلوانى

(١) الغض : البليل ، ومرعى الذبول : كناية عن التهلل في السير ، والأردان : جمع ردن ، وهو طرف السكم ، (٢) السكهل الذى جاوز سن الشباب ، وغضاضة الشباب : روثه وحسنه .
(٣) يغيظنا : يحسدنا
(٤) عنا : ذل وخضم .
(٥) يتجاولان في مضمار البيان : أى يتسابقان ويتباريان ، وركض : جرى . والعنان : اللجام : أى جرى البيان كما شاء حراً طليقاً .
(٦) هصرت النضن : جذبتة . والقطف : ما يقطف من الثمر .

ليست رباً لبنان ثوباً أخضرا
نثر الربيع بهن زهراً مؤنقاً
فبرزن من وشى الطبيعة بالحلى
وكان صنيئنا أطل مراقبا
تلك الربا أما الجمال فواحد
رجل يسير إلى النجاح وآخر
متخاذلين بها وهم أعوانها
ضعفت مباني كل أمر عندهم
وتفرقوا دنيا كأن لم يكفيهم
وسعوا فرادى للحياة وفاتهم
ياهل ذا الجبل المنيع مكانه
أما محاسنها فهن بمنزل
ومن الفخامة هن في غلوائها
فتبوءوا جناتهن أنيقة
ماذا يثبطكم بها أن تنهضوا
إني لأرجو أن أراكم للعلی
وأود لو تمشون مشية واحد
لا تقرأوا بتشتت آراءكم
أما جرى لبنان طال غيابكم

وزهت بحيث الحسن أحر قان
يزرى بنظم قلائد العقيان
فكأنهن بحسنهن غوان
يرنو هن بمقابلة الغيران
فيها وأما أهلها فائتاف
يسعى وغايته إلى الخسران
ومن البلاء تتخاذل الأعوان
ما بين هادمها وبين الباني
في النائبات تفرق الأديان
أن التضامن رائد العمران^(١)
تفدى مواطنكم بكل مكان
تخط عنه بدائع الأكوان
ومن الشيبية هن في ريعان^(٢)
وابنوا بهن كأكرم البنیان^(٣)
نحو القفار كنهضة اليابان^(٤)
متهيجين تهيج البركان
متكاتفين تكاتف الإخوان^(٥)
فالبدر يمحى عند كل قران^(٦)
أين الحنين إلى رباً لبنان

(١) في الأصل : لنائبات ، في موضع الحياة ، ولا معنى للنائبات هنا .

(٢) العلواء : المنقران والقوة ، وريعان الشيبية : عنفوانها وأولها .

(٣) تبوء المكان : جعله مباءة ومنزلاً له .

(٤) ثبطه عن الشيء : ثنى عزمه عنه .

(٥) متكاتفين : متعاونين ، وفي الأصل : متكاتفين ، بالتاء ، وهو خطأ مشهور .

(٦) يمحى : أى يكون في الحان ، وهو احتياج ضوءه آخر الشهر لحيلة الأرض بينه وبين الشمس .

هذى مواطنكم تريد وصالكم وتئن شاكية من الهجران
أفترحون أنينها أم أنتم لا ترحون أنين ذى أشجان
إني أرى هجر الرجال بلادهم شيئاً يُضيع كرامة البلدان
وإضاعة الوطن العزيز جنابة ضلّ الزمان بها عن الغفران
من كان ذا جدّة فأحرّ بمله ألا يضمن بها على الأوطان^(١)

لبنان

ولع لبنان بالرصافي ، فسارت قصائد شاعر العراق على
أسنة اللبنانيين ؟ ولوع الرصافي بلبنان ، فجاءته قريحته
بقصائد صافية العاطفة ، كدماء هذه الربوع ، عذبة كآهها ،
عليقة كهوائها . وإلى القراء إحدى فرائد الرصافي بلبنان :
(الأحرار — بيروت في ٢٦ آب سنة ١٩٣٦)

أرى الحسن في لبنان أينع غرسه وقارب حتى أمكن الكفّ لمسه^(٢)
إذا ما رآته عين ذى اللبّ مشرقاً تنزّت به في مدرج الحبّ نفسه^(٣)
زكا مغرساً فالذام ليس يؤمّه وطاب جنّي فالسوء ليس يمسّه^(٤)
قسا صخره لكن تفجّر ماؤه فلان بكفّ العيش منه حجسه^(٥)
لقد ليس الجوّ اللطيف فزانه بما فيه من غرّ الحاسن لبسه^(٦)
ففي الليل لم يزعجك برد نسيمه وفي الظهیر لم تلفحك بالحر شمسّه^(٧)
وقد عيّدت للسالكين ضربه وحرّر أهله وبورك أنسه^(٨)
فمن كان في طرّق التواصل عترةً فقد جاز في شرع الحبة دسّه^(٩)
تضىء نجوم السعد واليمن فوقه فينجاب شؤم الدهر عنه ونحسه^(١٠)
ويهرس في أذن الطبيعة جوّه فيضحكها فوق الربّ الخضر همسه^(١١)

(١) الجدة : المال والعنى .

(٢) تنزّت : جانت وتحركت ، ومدرجة الحب : طريقه .

(٣) الذام : العيب .

(٤) عيّدت : ذلت مهنت .

كأن النسيم الطلق بين جناحه
 كأن جبال المتن حذبة عابد
 يقال عن الأضواء في جوف ليله
 تزوج صنين الفتى بنت جاره
 ونبع الصفا والقاع فيه كلاهما
 جرى الماء في واديهما متدفقا
 وإن ترر الشاغور يوما تجد به

من الحسن ما قد خص بالفضل جنسه
 به الماس صنفوا أو هو الماس نفسه
 شديداً على ما يزعم النفس بأسه
 ومن جاءه مستنزها فيو قدسه
 أحسن لعمري منه مالا تحسه
 فلا تعجبوا من أننى اليوم قيسه
 أنا اليوم من بعد الأيادي قسه
 ولم يفتنض حياً ويلشق رَمسه
 تحتم في سجن الحماقة حبسه
 وإن كان قبلاً يأسا منه نطسه (٤)
 ساحله إلا وقد زال مسه
 من الناس إلا تم بالضحك أنسه
 يعيش عزيزاً فيه من ذل فلسه
 فأواه محمود وإلا فمكسه

(١) جرسه : صوته .

(٢) صنين : اسم جبل

(٤) النطس : يسكون الطاء : أصله النطاس بضمها وهم الأطباء الخذاق المدققون . ولعله جمع

نطيس يوزن أمير . وهو العالم بالشيء . (أنظر تاج العروس) .

كمثل الذي لا تصرف الفأس كغف ولو كان دون الفأس يقلع ضره
كتبت كتاب المدح في وصف حسنه

فضاق ولم يستوعب الوصف طرسه
فما كل ما قالت به شعراؤه سوى ثلث ما يحويه بل هو خمسة
ألا إن في لبنان جوا مروفا إذا ماشى السلول لم يحش نكسه^(١)

في مكتبة الأوقاف

أنشئت في حفلة افتتاح مكتبة الأوقاف التي أنشأها معالي
الشيخ أحمد الشيخ داود وزير الأوقاف سنة ١٩٢٨ .

لقد جمع الشيخ هذى الكتب
ورتبها فهي معروضة
وكانت لعمرك رهن الغبار
يمر بها الدهر مطمورة
نسيج العناكب من فوقها
يعيث بها آكلا طرسها
وكانت على علم حراسها
فمد إليها معالي الوزير
فأخرج منها كنوز العلوم
فأنقذها من أ كف العطب^(٢)
لم يتناولها مني كشب^(٣)
مكدسة في زوايا الشجب^(٤)
تعاني الحراب وتدعو الحرب^(٥)
ومن تحتها السوس فيها انسرب^(٦)
كما تأكل النار جزل الحطب^(٧)
تحف الظنون بها والريب
يدا دأبها الغوث عند الكرب
لأهل الفنون وأهل الأدب

(١) مروفا : صافيا مما يكدره من غبار ونحوه ، والسلول : من أصابه السل ، وهو تدرت
الرئة والنكسر : الرجوع إلى المرض بعد البرء منه .

(٢) العطب : الهلاك . (٣) من كشب : من قرب .

(٤) رهن الغبار : أي محبوسة في الغبار والذباب . والمكدسة : الملقى بعضها فوق بعض على
غير نظام ، كأنها أكداس الطعام في الحرين . والشجب الهلاك .

(٥) مطمورة : مدفونة ، وتدعو الحرب : أي تنادى : واحربا . والحرب : التمس والمهوان .

(٦) انسرب : دخل فيها وعاث .

(٧) الطرس : الصحيفة . الجزل : القوى .

فيا إنَّ أرواح من أوقفوا مَرَفَرَةً فوقها من طَرَب^(١)
 كما أن أرواح من ألقوا قد ابتسمت كالتماع الشَّهَب
 لقد رضى العلم عن فعله وإن أخذ الجاهلين الغضب
 فما بال قوم غَدَّوا يَصْرُخُونَ صُراخا به يقصدون الشَّغَب^(٢)
 يقولون هذا خلاف لما لدى الناس في وقفها من أَرَب^(٣)
 فيا للعقول لهذا الغباء ويا للفحول لهذا العَجَب !
 أَللَّشُّوس أوقفها الواقفوا ن ، أم للعناكب ، أم للتَرَب !
 إلى كم نَظَلَّ لأغراضنا نعارض من دون أدنى سبب
 ونجمد في غفلة هكذا ونرح في لهونا واللعب
 أرى هؤلاء ضعاف العقول وإن قد نراهم غِلَظَ الرَّقَب
 تضيق عن الحق أرواحهم وإن لَبِسُوا واسعاتِ الجَب
 فهم يقطعون على المصلحين طريق القيام بما قد وجب
 فسر في طريقك مُستعليا وخلَّ صفادهم تَصْطَلِب
 فالشر ما صَحِب الصاخبون وللخير جمعك هذى الكتب
 لقد صننها من طروق البلى وخلَّصتها من يد السَّتَلِب^(٤)
 وأعددتها لشفاء العقول من الجهل وهو أشد الوَصَب^(٥)
 وما كنت في رأى بالمستبدِّ ولا كنت في الفعل بالمضطرب
 وقد كان عزمك فيما أردت يَفْلُ ظَبِي المَرْهَقَاتِ القُضَب^(٦)
 فمن كان جذلانَ فليبتسم ومن كان غضبانَ فلينتحب^(٧)

(١) رفر الطائر بجناحه : حركهما . والطرب : هنا : نشوة السرور .
 (٢) الشَّغَب : الفتنه والافساد . (٣) من أَرَب : من قصد وغاية .
 (٤) يريد : إنك حفظت الكتب من خطرين : الأول أن تمتد إليها يد البلى ، بسبب قلة العناية بها . والثاني : أن تمتد إليها يد السارق ، الذي طالما امتدت يده إلى أمثالها من تحف الشرق ومفاخرة .
 (٥) الوَصَب : الألم .
 (٦) يفل : بكسر . والظبي : جمع ظبية ، وهي حد السيف . والمرهقات القُضَب : هي السيوف المرققة الحادة .
 (٧) (٨) فلينتحب : أى ليلبك ماشاء .

آل الجميل

آلُ الجميل سرور كل حزين كهف اليتيم وملجأ المسكين^(١)
 تعنو لهم سرّوات كل قبيلة وتهابهم آساد كل عرين^(٢)
 وإذا تماحكت الحصوم فبأسهم يدع الحصيم تجددع العرين^(٣)
 وإذا تلوّثت الجباه بخزبة فجباههم أنقى من النّسرين
 عزّت بهم دار السلام فيهم بها أركان عزّ كالجبال مكين
 فإذا تقطعت المني بك فاعتصم منهم بحبل في الرجاء متين
 تتفاخر الأخرى بفضل دفينهم كتفاخر الدنيا بفخر الدين
 ذاك الذي تجدّ الحدود بمجده قد زيد تمكينا على تمكين
 إنّ ابن عيسى بن الهمام محمد لأجل نجلٍ بالثناء قين^(٤)
 يابن الأكا برقد دعوتك ظامئا ظمأ الحياة فجد بما يرويني^(٥)
 وأنا العليل بحاجة تدرى بها وأظن فضلك ناجدا يشفيني
 قد عاقني الإملاق عن سفرى إلى من طال معتلجا إليه حنيني^(٦)
 وأنا المشوق واست ممن شاقهم بقرّ العذيب ولا ميا يبرين
 لكن قلبي لا يزال يشوقه ضبي أقام بدار قسطنطين
 فأرش جناحي كي أطير بريشه فيكون ظنى في نذاك يتيّني^(٧)
 واعدِر فإني بالحققة لم أبُحْ إلّا إليك وأنت خير قطين
 إني إذا آوى إليك فأعما آوى إلى ركن أشدّ ركين

(١) كهف اليتيم : ملجأه الذي يعتصم به . (٢) تعنو : تخضع وتذل .

(٣) تماحكت الحصوم : تجادلهم بالحجج . الحصيم : الخصم . ومجدع العرين : مقطوع الأنف ، وهو كناية عن انقطاع الحجة ، لأن قوة الحجة تورث الإنسان شموخاً بأنفه ، وكبرا على خصمه .

(٤) فلان قين بكذا : جذير به ، مستحق له .

(٥) الظمأ : العطش . (٦) يعتلج : يشتد .

(٧) رش جناحي : أنبت فيه الريش . والقول ثلاثي ، ولكن الشاعر هنا حسبه رباعيا .

الببليل والورد

إِنَّ بَلِيلًا مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ لَمَّا جَرَى فِي الْمَرْبَعِ الْمُخْمَلِ
أَخْبَرَ رِيَّاهُ أَصَحَّ الْخَبَرِ عَمَّا جَرَى فِي الرُّوضِ لِلْبَلِيلِ
إِذْ هُوَ مُذْ أَلْقَى بِهِ نَاطِرُهُ مِنْ بَعْدِ مَا تُغَرُّ الصَّبَاحُ ابْتِسَمُ
صَادَفَ فِيهِ وَرْدَةً زَاهِرَةً وَالطَّلَّ كَاللَّوْلُو فِيهَا انْتِظَمُ
مُضْمُومَةٌ أَوْرَاقُهَا النَّاضِرَةُ مِثْلَ فَمٍ يَطْلُبُ تَقْبِيلَ فَمٍ

* * *

فَطَلَّ يَرْنُو مُسْتَدِيمَ النَّظَرِ رُنُوَ ظَمَانٍ إِلَى مَنَهْلِ
وَهِيَ غَدَتُ عَمَّا بِهَا مِنْ خَفَرٍ مُحْمَرَّةٌ مِنْ نَظَرٍ مُجْجَلِ
ثُمَّ تَمَادَى غَرْدًا صَادِحًا يُعَلِّنُ لِلْوَرْدَةِ أَشْوَاقَهُ
يَنْطِقُ بِالْحُبِّ لَهَا بِأَحْمَا وَهِيَ الَّتِي تَفْعَلُ إِنْطَاقَهُ
وَتَنْشُرُ الطَّيِّبَ لَهُ نَافِخًا كَأَنَّمَا تَقْصِدُ إِنْشَاقَهُ
حَتَّى غَدَا الْبَلِيلُ مِنْذُ الصَّغَرِ فِي حَبِّهَا مِنْطَلِقَ الْقَوْلِ
يَنْشُدُ فِيهَا شَعْرَهُ الْمُبْتَكَرُ وَلَا يَنْبِي فِيهِ وَلَا يَأْتَلِي

* * *

أَمَا تَرَى الْأَزْهَارَ كَيْفَ اغْتَدَتْ فَرَّاشَةُ الرُّوضِ عَلَيْهَا تَطِيرُ
لَهَا جَنَاحٌ هِيَ مِنْهُ ارْتَدَتْ مَلَأَةً مَوْشِيَةً مِنْ حَرِيرُ
فَهِيَ إِلَى الرُّوضَةِ مُذْ وَرَدَتْ أَرْسَلَهَا الْبَلِيلُ نَحْوَ الْأَمِيرِ
تَحْمِلُ لِلْوَرْدِ أَمِيرَ الزَّهَرِ رِسَائِلَ الشُّوقِ مِنَ الْبَلِيلِ
فَشَاعَ فِي الْأَزْهَارِ هَذَا الْخَبَرُ وَاسْتَوْجِبَ الْعُطْفَ عَلَى الْمُرْسَلِ

* * *

حَتَّى إِذَا الْوَرْدُ مَضَى وَانْقَضَى وَعَادَتِ الرُّوضَةُ كَالْبَلَقَةِ
مَسَّتْ حَشَا الْبَلِيلِ نَارُ الْغَضَى مِنْ حُرْقَةِ الْبَيْنِ الَّذِي أَوْجَعَهُ
لَا تَسْأَلِ الْبَلِيلَ عَمَّا مَضَى فِي زَمَنِ الْوَرْدِ لَهُ مِنْ دَعَاهُ

ولكن اسأل في السماء القمر
إذ كان يُصغى منهما للسمر
عن خير الورد مع البليل
وهو مُطلّ ناظر من عل

فراشة الروضة ظلت إذا
تقبل الزهرة ذات الشذا
تحوّم والأزهار من تحتها
مرّ فقيد الورد من سمّتها
لتخبّر البليل بعض الخبر
لعنه غمته تنجلي
فإنه بات حليف السهر
مذ نزع الورد عن المنزل

أغرودة العندليب

سمعت شعراً للعندليب
إذ قال نفسي نفس رقيقة
تلاه فوق الغصن الرطيب
لم تهو إلا حسن الطبيعة
عشت منها حسن الربيع
أحسن بذاك الحسن البديع

فالعيش عندى فوق الغصون
أطير فيها لفرط وجدى
لا فى قصور ولا حصون
من غصن ورد لغصن ورد
وفى فروع الأشجار بيتى
فالظلّ فوق والزهر تحتى

فسل نسيم الأسحار عني
وسل بشدوى زهر الرياض
كم زهور لما أفوه
يا قوم إني خلقت حرّا
فإن أردتم أن تونسوني
وإن أردتم أن تنطقوني
كم هزّ عطف الأغصان الحني
إني بحكم الأزهار راض
أصغت وقالت لأفضّ فوه
لم أرض إلا الفضا مقرّا
ففي المباني لا تحبسوني
فأطلقوني ، فأطلقوني

الصيف



أُنْظِرْ إِلَى الْحَسَنَاءِ فِي رَأْدِ الصَّحَى

جاء المصيف فحقت الأنداء	وشكت بيوستها به الأشياء
وتوقدت عند المبحيرة شمسهُ	فتلمظت بأعاليها الصحراء ^(١)
وعلى الديار تراكت من شمسهِ	ملء الفضاء حرارة وضياء
فعلى من الشمس المنيرة أصبحت	غضبي تحيش بصدرها الشخفاء ^(٢)
مدت إلينا في الهجير أشعة	كالسكرباءة ناورها بيضاء
فحكت أشعتها حراباً أشرعت	بيضا فما تحديدها أصداء ^(٣)
حتى استجار الليل من لفحاتها	ركب مروا فهدتهم الجوزاء

(١) تلمظ : تتبع بلسانه بقية الطعام فيه ، وأخرج لسانه ، فسحبه شففيه .

(٢) الشخفاء : السدده .

(٣) أشرع الريح : سدده .

نَظَرُ إِلَى الْحَسَنَاءِ فِي رَأْدِ الضُّحَى تَمْشِي فَتَلْفَحُ وَجْهَهَا الرَّمْضَاءُ^(١)
 وَتَمُرُّ لِأَغْبَةٍ وَفَوْقَ جَبِينِهَا عَرَقٌ وَوَجْتُهُ خَذَّهَا حَمَاءُ^(٢)
 إِنْ كَانَ حَرُّ الشَّمْسِ لَوَّحَ وَجْهَهَا فَكَذَلِكَ تَوْدِي الضَّرَّةُ الْوَرَّهَاءُ^(٣)

* * *

إِنِّي لِأَغْفِرَ لِلْمَصِيفِ ذَنْبِهِ وَلَوْ أَنَّ غَارَةَ هَيْضُهُ شَعْوَاءُ^(٤)
 فَالْصِيفُ أَرَأْفُ بِالْفَقِيرِ مِنَ الشِّتَاءِ وَإِذَا تَحَبَّ قَدُومَهُ الْفُقَرَاءُ
 قَلَّتْ بِهِ الْحَاجَاتُ فَالْفُقَرَاءُ فِي أَيَّامِهِ وَالْأَغْنِيَاءُ سَوَاءُ
 مِنْ كَانَ أَعْوَزَهُ كَسَاءُ مِنْهُمْ فَالْصِيفُ مِلْحَفَةٌ لَهُ وَكَسَاءُ
 وَالْأَرْضُ إِنْ طَلَبُوا الرِّقَادَ وَطَأَوْهُمْ مِنْ دُونَ مَنْ السَّمَاءُ غَطَاءُ^(٥)
 وَلَنْ يَكُنْ كَدِرُ النَّهَارِ فَلَيْلُهُ طَلَقَ فِي وَجْهِ السَّمَاءِ صَفَاءُ
 وَلَنْ قَسَا عِنْدَ الْهَجِيرِ فَرِيحُهُ هَبَّتْ بِحَاشِيَتَيْهِ وَهِيَ رُخَاءُ
 أَضْحَى فَطَابَتْ فِي ضُحَاهِ ظِلَالُهُ وَأَتَى الْأَصِيلُ فَطَابَتْ الْأَفْيَاءُ^(٦)
 وَالصِيفُ أَحْسَنُ مَا بِهِ نُمُشَاهِدُ صَبَحَ أَغْرُ وَلَيْلَةٍ قُرَاءُ
 وَأَجَلٌ مَا يُرْتَادُ فِيهِ جَنِينَةٌ تَرَفُّ الظَّلَالُ بِهَا وَيَجْرِي الْمَاءُ
 فَعَلَيْكَ فِيهِ بِسَرَحَةٍ فِي مَنْبَعٍ تَحْنُو عَلَيْكَ غُصُونُهَا الْخَضْرَاءُ^(٧)

(١) رَأْدُ الضُّحَى : وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء .

(٢) لِأَغْبَةٍ : متعبة . (٣) الْوَرَّهَاءُ : الخمقاء .

(٤) الْهَيْضُ : الكسر ، وخاصة بعد الجبور .

(٥) مَنْ عَلَيْهِ بِمَا صَنَعَ مِنْهُ : ذكر وعدده ما فعله له من الخير ، وهو تكدير وتعيير .

(٦) الْأَفْيَاءُ : جمع فاء وهو الظل .

(٧) السَّرَحَةُ : الشجرة الطويلة ، أو التي لاشوك لها .

الشَّيْءُ

قد كانت الأغصانُ مخضرةً وكانت الطيرُ بها تسجعُ
فصارت الأوراقُ مصفرةً تسقطها الرّادةُ والزّرعُ^(١)
ثم غدت جرداءَ مزورةً والغيمُ أُمست عينه تدمعُ^(٢)
من أجل هذا المشهدِ الحزنِ

والليلُ قد طال على مَنْ شتا وصار ليلاً بارداً مُظلماً
لعلَّ هذا الرعدَ مُدّ صوتاً هرب منه تِلْكَمُ الأجمِ
عَلَّامٌ قد غيمَ ليلُ الشتا فارتاعت الأتجمُ مذ غيماً
واحتجبت فيه عن الأعين

والريحُ من برد الشتا صرّصرَ والجو يبدو عابساً مُطرقاً
قد حار فيه التّربُّ المعسِرُ إذ لم يجد فيه له مِرْقاً^(٣)
يأيها الناس ألا فاذكروا من كان منكم في الشتا مُمْلِقاً
وأحسنوا فالفوزُ للمحسن

إنّ الشتا أرحمُ للمُعْدِمِ منكم وإنّ أوجعه برده
لأنه بالعارض المُسْجِمِ يُنبِتُ زرعاً يُرتجى حصّده^(٤)
حتى تفوزَ الناسُ بالأنعمِ مما لهم أنْتبه جوده
ويشبعَ المعدمُ والمغتنى

(١) الرّادة : الريح اللينة المبوب . والزّرع : الريح الشديدة تقلقل الأشياء وترزعها

(٢) مزورة : معوجة .

(٣) التّرب : الفقير المعدم . والمرق : ما يستعان به .

(٤) العارض : السحاب يعترض في السماء . والمُسْجِم : الهائل المطر .

التلغراف

أو الأسلاك البرقية

للبرق أسلاكٌ تؤدّي الأخبارَ
فوق الثّرى مُدّت وتحت الأبحار
ما بين كلِّ عشرات الأمتار
شاخصةً أشباحها للأنظار
للكهربائية فيها تيار
جوانب الأنباء نحو الأمصار
في الأرض مجرى الجليل الأخبار
في كنهه أهل النّهى والأفكار
ولم يزل محتجبا بالأسرار
وكم لها بين الورى من آثار
وتنقل الأخبار ذات الأخطار
فتجعل الأصال مثل الأيكار
وقد نداوى كلّ داء ضرار
والجرح تأسوه بغير مسبار
لها نفوذ في جميع الأقطار
وفي رياح الجوّ ذات الإعصار
وقد سرت في كل غيم مذرار
فتمى بهذا الكون سر الأسرار

(١) البقار : اسم وادء وامن موضع في بلاد العرب .

(٢) أسفر : انكشف . (٣) العقار : الدواء .

(٤) أسى الجرح . دواء . والمسبار : ما يختبر به الجرح .

بيروت والتباريس

إن لِبَيْرُوتَ بَعْمَرَانَهَا أَمَكْنَةً تَعْلُو التَّبَارِيسَا^(١)
 لَا سِيَا أَرْبُعُ لِبَنَائِهَا تَلْكَ الَّتِي تَحْكِي الْفَرَادِيسَا
 فَكَمْ كِنَاسٍ قَدْ حَوَتْ لِلظُّبَا وَكَمْ حَوَتْ لِلْأَسْدِ عَرِيسَا^(٢)
 وَمَا التَّبَارِيسُ سِوَى مَقْمَرٍ يَقْضِي عَلَى اللَّاعِبِ تَقْلِيدِيسَا^(٣)
 يَشَدُّ بِالْإِفْلَاسِ أَيَّامَهُ مَنْ حَلَّ فِي مَلْعَبِهِ الْكِيسَا
 مَعْرَسٌ يَقْصِدُهُ مِنْ نَحَا فِي أُخْرِيَّاتِ اللَّيْلِ تَعْرِيسَا^(٤)
 وَمَرْقَصٌ تَرْقِصُ فِي بَهْوِهِ أَوَانِسٌ تَحْكِي الطَّوَاوِيسَا
 مَا فِيهِ مِنْ بَارِيسٍ إِلَّا الَّذِي يُؤْثَرُ عَنْ غَادَاتِ بَارِيسَا
 لَكِنَّ بَيْرُوتَ بَلْبَنَانَهَا تَكْشِفُ عَنْكَ الْهَمَّ وَالْبُوسَا
 عَرُوسَ لِبَنَانٍ أَمَا وَالَّذِي صَيَّرَ مِرْآتِكَ قَامُوسَا
 مَا أَنْتِ إِلَّا جَنَّةٌ آمِنٌ آدَمُ فِيهَا مَكْرَ إِبْلِيسَا
 فَيْكَ تَجَلَّى اللَّهُ رَبُّ الْعَالَا بِالْحَسَنِ عَرُوبَا وَمَامُوسَا
 لَوْلَا جَمَالُ فَيْكَ مَسْتَوْدَعٌ مَا شَرَحَ الْحَبَّ لَنَا عَيْسَا
 كَنِيسَةً لِلْحَسَنِ فِي حُبَّهَا قُلُوبُنَا صَارَتْ نَوَاقِيسَا
 مَا الْحُسْنُ فِي شَيْءٍ بِمُسْتَحْسَنِ إِلَّا إِذَا كَانَ لَهُ سُوسَا^(٥)
 فَأَيْنَ مِنْ هَذَا تَبَارِيسُكُمْ وَأَيْنَ هَذَا مِنْ تَبَارِيسَا

(١) التباريس : الأراضى السهلة اللينة . ولعله هنا اسم موضع .

(٢) الكناس : بيت القلي . والعريس : بيت الأسد .

(٣) مقمر : ناد للقيار . (٤) المعروس : موضع التعريس ، أى النزول بالليل

(٥) السوس : الأصل والاطع .

في المستشفى الملكي

عاد الرصافي صديقه الفاضل عبد المجيد بك الشاوي في أثناء مرضه ،
وقد طال مكثه في المستشفى الملكي ببغداد ، فأشده هذه الأبيات :

أطَلَّتْ أبا سعدون مُكثَّكَ هِينَا	فُحِّيَ مَتَى تَبْقَى مَقِيماً بِمُسْتَشْفَى
فَدَعُ عَنْكَ طِبّاً هِينَا تَسْتَطِيعُهُ	فَفِي الْجَدِ طَبِّ ضَامِنٌ لَكَ أَنْ تُشْفَى
أَرَى مَجْلِسَ النَّوَابِ أَوْ حَشْتَبَهُوَه	وَقَدْ كَادَ مِنْ صَمْتٍ تَغْشَاهُ أَنْ يَغْفَى ^(١)
فِيهَا هُوَ مُشْتَاقٌ إِلَيْكَ مَرْزُولٍ	يَكَادُ إِلَيْكَ الشَّوْقُ يَنْسِقُهُ نَسْفَا
فَإِنْ لَمْ تَدَارِكْهُ بِوَصْلِ مُعْجَلٍ	تَدَاعَتْ بِهِ الْجُدْرَانُ أَوَّالَتِ السَّقْفَا
وَمَا اسْتَظَارَفَتْ بِبَغْدَادٍ مَذْجُوتَ هَاهُنَا	مَجَالِسَ فِيهَا كُنْتَ تَمْلُؤُهَا ظَرْفَا
فَكَمْ لَكَ فِي تِلْكَ الْمَجَالِسِ نَكْتَةٌ	تَهْزِلُهَا الْآدَابُ مِنْ فَرَحٍ عِطْفَا
إِذَا أَنْتَ أَرْسَلْتَ الْحَدِيثَ مَخَاطِبَا	فَأَيَّةُ أَذْنٍ لَا تَنْوُطُ بِهَا شَنْفَا ^(٢)
رَأَيْنَا صَرِيحَ الْقَوْلِ فِيكَ سَجِيَّةً	فَلَمْ تَرْضَ يَوْماً لِلْحَقِيقَةِ أَنْ تَخْفَى
إِذَا عَنَّا تَبَيَّنَ الْحَقِيقَةُ قَلْبَهَا	وَلَوْ أَغْضَبَتْ أَهْلَ السِّيَاسَةِ وَالصُّحُفَا
هَنِيئاً لِحَزْبِ أَنْتَ مِنْهُ فَإِنَّهُ	يُمَثِّلُكَ فَرْدَا فِي النَّهْيِ يَغْلِبُ الْأَلْفَا ^(٣)
تَلَطَّفْتَ فِي آدَابِكَ الْغَرَّ نَاطِقَا	بِمَا قَدْ حَوَى كُلَّ الْمَلَطَائِفِ وَاسْتَوْفَى
فَتُحْمَرُّ أَحْيَاناً وَتُلْحَنُ تَارَةً	وَلَكِنْ بِلَا حَنْ أَعْجَبَ النُّحُورَ وَالصُّرْفَا ^(٤)
أَدَامَكَ رَبُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ مُعَلِّمَنَا	مَكَارِمَ جَلَّتْ أَنْ نَحِيطَ بِهَا وَصْفَا

(١) غفَى يغفَى من باب ضرب ، وأغفَى يغفَى : نام نومة خفيفة . وقد جعله الشاعر من باب فرح ، ولعلها لغة .

(٢) ناط به الشيء : علقه . والشغف : القوط في أعلى الأذن .

(٣) النهي : جمع نهية وهي العقل .

(٤) الأعراب هنا : الإبانة عن الشيء وصراحة . واللحن : الكناية عن الشيء أو التورية عنه بغيره وليس المراد اللحن الذي هو الخطأ في الكلام .

إلى عبد اللطيف باشا المنديل

أبا ماجدٍ إني عهدتك مُبْصِراً
إذا خفيتُ يوماً عليك حقيقةً
وإن ليلةً اخطب ادلهمت كشفها
وتلك مزايا فيك أعلمت الورى
فهل أختيتُ حالي عليك وقد بدا
أتيتك من بغداد لم أدر ما الذي
وأحل في جنبي نفساً غنيّةً
ولو كنت في بغداد أرضى بذلة
ولكنني قد عفت أن أريد الغنى
وما عدل السعدون بي عن وفائه
ولو أنني بهت الشناء بئابل
وإن حديثي عنك غير مرجّم
سأرحل عن ديوانك اليوم أو غدا
وسوف ترى مني لدى الدهر شاكراً
وأكتب للتأريخ ما أنا كاتب

خفايا أمور أعجزت كل مُبْصِرٍ
نظرت إليها من ذكاءٍ بِمَجْهَرٍ
بأوضح صبح من فعالك مُسْفِرٍ
بأن بني المنديل أكرم معشر
لكل صديق أنها حال مُقْتَرٍ
أني بي إلا أنتي في تحييدٍ
وإن شقيت مني بجهنم مُعْسِرٍ
لما جئت إلا ساحبا فضّل مَزْرِي
ونفسي في قيد من اللئليّ مُعْقِرٍ
ولكن جرى مجرى القضاء المقدر
لما رضيت نفسي بغيرك مشترى^(١)
وإن مقالي فيك غير مُزَوَّرٍ^(٢)
بعزّة لا وإن ولا متفقّر
وإن كنت أعيا عن تمام التشكر
ليجعله أحدىثة كل مخبر

(١) النائل : المطاء .

(٢) الحديث المرجم : حديث الطائون .

يادار قسطنطين

يادار قُسْطَنْطِينَ أَنْتِ فَرِيدَةٌ
 لَقَدْ اجْتَوَيْتُكَ لَا لَفَقْدِ مُحَاسِنِ
 أَبَدًا سَمَاوُكَ وَجَهُّهَا مَتَلَوْنِ
 وَأَرَى هَوَاءَكَ نَاضِجًا بِرَطُوبَةٍ
 تَسْرِى الرُّطُوبَةَ مِنْهُ بَيْنَ عُرُوقِهِمْ
 فَتَلَيْنِ شِرَّتَهُمْ وَلَيْسَ بِهِمْ ضَنْيُ
 وَتَرَى الْفَتَى مِنْهُمْ يَعُودُ مُحَوِّقًا
 رِيحَانٍ تَتَدَفَّعَانِ فِيكَ فَتَارَةٌ
 أَمَّا الشَّمَالُ فَعَقْرَبٌ لَسَاعَةٌ
 لَا كَانَتَا مِنْ ضَرَّتَيْنِ عَلَى الْوَرَى
 وَأَرَى بِكَ الْأَخْلَاقَ ذَاتَ تَلَوْنِ
 وَطِبَاعَ كُلِّ مَعَاشِرٍ كِهْوَانِهِمْ
 أَمْسَى التَّصَنُّعُ فِي بَنِيكَ صِنَاعَةٌ
 فَإِذَا تَلَالَاتُ الثَّغُورِ تَبَسُّمًا
 وَارْتَبَمَا احْتَرَمَ الْبَغِيضُ بَغِيضَهُ
 عَجَبًا فَكَمْ حَمَلٍ رَأَيْتَ وَمَذْنُضًا
 حَامَتِ نُمُورُكَ خُدْعَةً وَنَظَاهَرَتْ
 لَمْ أَلْقَ شَيْئًا فِيكَ غَيْرَ مَغْشَشِ
 هَذِي صِفَاتُكَ يَا فَرُوقُ بِرَغَمٍ مِنْ

فِي الْحَسَنِ لَوْلَا جَوْكَ الْمُتَقَلِّبُ
 لَكِنْ هَوَاؤُكَ عَارِمٌ مُتَذَيِّبُ^(١)
 فَأَرَاهُ يَبْسِمُ تَارَةً وَيَقْطُبُ
 هِمُّ الرِّجَالِ بِهَا تَجْفُ وَتَنْضُبُ
 فَتَكَادُ مِنْ أَعْصَابِهِمْ تَتَحَلَّبُ^(٢)
 وَتُشَيِّبُ أَرْؤُسَهُمْ وَمَا هُمْ شَيِّبُ^(٣)
 حَتَّى يَرْوَحَ لِعِنَّةٍ يَتَطَبَّبُ^(٤)
 صِرًّا تَهَبُّ وَتَارَةً تَتَلَهَّبُ^(٥)
 وَعَنِ الْجَنُوبِ وَذِكْرِهَا أَتَجَنَّبُ
 هَذِي تُجَمِّدُهُمْ وَتَلَاكُ تُذَوِّبُ
 كِهْوَانُكَ الْقَلَابُ بَلْ هِيَ أَعْجَبُ
 سَبَبُ الطَّبَاعِ مِنَ الْهَوَاءِ مُسَبِّبُ
 مِنْ كَانَ يَحْسِنُهَا قَدْ ذَاكَ مَهْذَبُ
 فَالْبَرْقُ فِي تِلْكَ الْمُبَاسِمِ خَلَبُ
 كَيْفًا يَقَالُ بِأَنَّهُ مُتَادِبُ
 ثَوْبِي تَصْنَعُهُ إِذَا هُوَ ثَعْلَبُ
 بِصَدَاقَةِ الْخِرْقَانِ فِيكَ الْأَذْوَبُ
 حَتَّى الْمِيَاهُ تَغْشَى فِيكَ وَتَكْذِبُ
 أَنْتَوْرًا عَلَيَّكَ بَغِيرَ ذَاكَ وَأَطْنَبُوا

(١) اجتويتك : كرهتك . والعارم : الشديد .

(٢) تنحلب : تسيل .

(٣) الشرة : الحدة والنشاط .

(٤) المحوِّق : الضعيف الذي قلَّ أربه في الذبء .

(٥) الصر : البرد الشديد .

فلـكس فارس

إِنَّ فَلَكَسَ بْنَ فَارِسٍ رَجُلٌ بَنَى افْتِقَارُ إِلَى غِنَى أَدِيهِ
 تَمَّ لَهُ السِّبْقُ فِي الْعِلَاءِ بِمَا أَحْرَزَ يَوْمَ الْفَخَارِ مِنْ قَصَبِهِ
 مُنْفَوِّهُ لَوْ رَأَاهُ يَخْطُبُ فِي الْأَمَحْفَلِ قَسٌّ جَثَا عَلَى رُكْبِهِ
 يَنْطَلِقُ عَنْ فِطْنَةٍ لَهَا حِكْمٌ تَبْرِيءُ قَلْبَ الْجَهُولِ مِنْ وَصْبِهِ (١)
 لَمْ يُصْغَرْ مُصْغَرٌ إِلَى خَطَابَتِهِ إِلَّا وَقَدْ رَاقَهُ فَأَعْجَبَ بِهِ
 تَعَوَّدَ كُلُّ الْخُطُوبِ هَيْئَةً إِذَا فَرَعْنَا مِنْهَا إِلَى خُطْبِهِ
 أَتَعَبَ فِي النَّصْحِ نَفْسَهُ فَأَتَتْ رَاحَةَ أَهْلِ الْبِلَادِ مِنْ تَعْبِهِ
 يَطْلُبُ أَنْ تَنْهَضَ الرِّجَالُ إِلَى مَجْدٍ يَجِدُ الْكِرَامُ فِي طَلْبِهِ
 سَلَّ عَنْهُ لَبَانٌ كَمْ تَطَرَّبَهُ مِنْهُ خُطَابٌ فَمَادَ مِنْ طَرَبِهِ
 وَوَسَلَ دِمَشْقَ الشَّامِ عَنْهُ وَمَا بَعْدَ دِمَشْقَ الشَّامِ مِنْ حَكْمِهِ
 كَمْ لَيْلَةٌ لِلشُّكُوكِ دَاجِيَةٌ أَنْارَهَا بِالْيَقِينِ مِنْ شُبُهَيْهِ
 حَرَّ يَوْأَخَى فِي الْحَقِّ كُلِّ فِتْنَةٍ حَرَّ وَلَوْ شَطَّ عَنْهُ فِي نَسْبِهِ
 إِنْ قَالَ قَوْلًا أَوْ انْتَضَى قَلَامًا فَنُصْرَةُ الْحَقِّ مِنْتَهَى أَرْبِهِ
 فَارَكَنُ إِلَيْهِ وَخَلَّ حَاسِدُهُ مُحْتَرَقًا مِنْ جَوَاهِ فِي لَهْبِهِ

(١) الوصب : المرض والوجع الدائم .

ملیكة غناء العرب

هَلُمَّ إِلَى ذَوْقِ طَعْمِ الْأَدَبِ هَلُمَّ إِلَى نَيْلِ أَقْصَى الْأَرْبِ
 هَلُمَّ إِلَى ذَا الْغَنَاءِ الَّذِي مِنْبِرُهُ مِنْهُ أَتَتْ بِالْعَجَبِ
 أَلَيْسَتْ مِنْبِرُهُ فِي عَصْرِنَا مَلِيكَةً فَفَنِّ غَنَاءِ الْعَرَبِ^(١)
 وَلَا غَرَوْ أَنْ مُلِّكَتْ فِي الْغَنَاءِ وَأَنْ أَحْرَزْتَ فِيهِ أَعْلَى الرِّتَبِ
 فَقَدْ أَذْرَكْتَهُ عَلَى رِسْلِهَا وَنَالَتْ أَقْاصِيَهُ مِنْ كَثَبِ^(٢)
 وَأَيَّدَهَا اللَّهُ مِنْ صَوْتِهَا بِأَكْبَرِ عَوْنٍ وَأَقْوَى سَبَبِ
 أَرَى فِيهَا صَيِّغَ مِنْ حِكْمَةٍ وَأَبْجَسَهُ إِنْ أَقْلُ مِنْ ذَهَبِ
 تَلُوحُ قَتَبَتَزُّ بِدْرِ الدَّجَى وَتَشْدُو فَيَعْتَزُّ فَنِّ الْأَدَبِ^(٣)
 بِلَحْنٍ إِذَا امْتَدَّ هَزُّ الْقُلُوبِ وَخَدَّرَ أَبْدَانَنَا وَالْعَصَبِ
 تَرْفُفُ أَرْوَاحُنَا تَحْتَهُ كَمَا رَفَرَفَ الطَّيْرُ لَمَّا انْقَلَبِ
 وَتَحْفُقُ أَحْشَاؤُنَا دُونَهُ كَمَا خَفَقَتْ فِي الرِّيحِ الْعَذَبِ^(٤)
 فَكَادَ إِذَا هِيَ غَنَّتْ نَطِيرَ إِلَيْهَا بِأَجْنَحَةٍ مِنْ طَرَبِ
 وَإِنْ هِيَ قَامَتْ لِإِنْشَادِنَا جَثَوْنَا لَهَا وَثْنَيْنَا الرُّكْبِ
 فَلَوْ سَمِعَ الْقَوْمُ أَلْحَانَهَا لَشَقَّوْا عِمَامَتَهُمُ وَالْجُبِّ
 أَرَى أَلْهَمَ يُتَعَبُّ قَلْبُ الْقَتَى وَعَنْهُ الْأَغَانِي تَزِيلُ التَّعَبِ
 فَبَادِرُ إِلَيْهَا وَلَا تَكْثُرْ لَمَّا جَاءَ مِنْ ذِمِّهَا فِي الْكِتَبِ

(١) مَلِيكَة : أي مَلِكَة ، بمعنى رُبُوسَة هذه الصَّنَاعَة .

(٢) أَذْرَكْتَهُ عَلَى رِسْلِهَا : أي فِي تَمَلُّقٍ وَرَفَقٍ .

(٣) قَتَبَتَزُّ : تَغَنَّى وَتَفَوَّقَ فِي حَسَنِهَا .

(٤) الْعَذَبُ : الْأَطْرَافُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَا يَسْدُلُ إِلَى الْخَلْفِ مِنَ الْعِلَامَةِ .

إلى جميع الغواني

وقفتُ عليكِ قلبي الذي يمرُّ به الحبُّ مرَّ السحابِ
وممكنٌ أحببتُ هاتى وذى وألفيتُ عذاباً بكنَّ العذاب

فممكنٌ بيضاء ما مثلها (عدا حمرة الخدِّ) إلا القمرُ
فتلك التى طاب لى وصلها كما ليلة البدر طاب السمرُ

وممكنٌ حمراء جدابةً حكى وجهها الشمس عند الطلوع
أرى عينها (وهى خلاصة) فأمسك بالكف منى الضلوع

وممكنٌ صفراء فى لونها كأن تردت شعاع الأصيل
إذا ما تمشت على هونها أصحَّت هبوب النسيم العليل (١)

وممكنٌ سمراء تحكى الدُمى وتبعث فى القلب ميت الهوى
على شفتيها يلوح اللَّامى فيضرم فى الصب نار الجوى (٢)

وممكنٌ من هى مثل الرياح لها فى ذرى كل قلب هبوب (٣)
تريد غلاب جميع الملاح وتبغى عذاب جميع القلوب (٤)

وممكنٌ من هى مثل النجوم من البعد ناظرة تنقسم
فتلك عليها فؤادى يحوم وتلك إليها الردى أفتحم

ففيكنَّ طراً بوادى الهوى أهيمن وإن لم تعد عائدة
ألا إن حباً بقلبي انطوى كثير فلم تكفه واحده

(١) مشى على هونها : أى فى رفق وتؤدة . (٢) اللامى : سواد الشفة ، وهو محبوب عند العرب .
(٣) الذرى : الناحية والجانب . (٤) الغلاب : المنازعة .

قصر البحر (*)

وقال وقد نزل في فندق قصر البحر في بيروت .

لَعَسَّكَ إِنَّ قَصْرَ الْبَحْرِ قَصْرٌ به يسألو مَوْطِنَهُ الْغَرِيبُ
وَتَمْتَلِئُ الْعَيْنُ بِهِ ابْتِهَاجًا إِذَا نَظَرَتْ وَتَنْشُرُ الْقُلُوبُ
تَرُوقُ النَّاظِرِينَ بِجَانِبِهِ مَنَاطِرُ دُونِهَا الْعَجَبُ الْعَجِيبُ
فَمِنْ شَمْسٍ يَصَافِحُهَا طُلُوعُ وَمِنْ شَمْسٍ يَعَاقِبُهَا غُرُوبُ
وَمِنْ سَفْنٍ تَجِيءُ بِهَا شِمَالُ وَمِنْ سَفْنٍ تَرُوحُ بِهَا جَنُوبُ
وَأُخْرَى حَوْلَهُ خَدَّتْ لَهَا وَأُخْرَى فِي الْفُؤَادِ بِهَا لَهِيْبُ
أُطْلَى عَلَى الْمِيَاهِ فَقَابِلَتَهُ بُوْجُهُ لَا يَمَازِجُهُ شُحُوبُ
يَقْبَلُ جَانِبِهِ الْبَحْرُ حَتَّى كَأَنَّ الْبَحْرَ مَشْغُوفٌ كَثِيبُ
أَحَاطَ بِهِ فَكَانَ لَهُ رَقِيبًا وَمَغْنَاهُ الْأَنِيقُ لَهُ حَبِيبُ
وَمَا هَذَا التَّمَوُّجُ مِنْ هَوَاءٍ وَلَكِنْ مِنْ هَوًى فَهُوَ الْوَجِيبُ ^(١)
كَأَنَّ الْمَوْجَ فِي الدَّأْمَا رِجَالُ وَهَذَا الْقَصْرُ بَيْنَهُمْ خَطِيبُ ^(٢)
تَخَاطَبُهُمْ مَبَانِيهِ فَيَعْلُو مِنَ الْأَمْوَاجِ تَصْفِيقٌ مَهِيبُ

* * *

تَلُمُ بِهِ الْمَسْرَاتُ ازْدِيَارًا فَتَعْرِفُهُ وَتَجْهَلُهُ الْكَرُوبُ
وَمَا انْفَرَدَتْ بِهِ بَيْرُوتٌ حَسَنًا وَلَكِنَّ الْقُصُورَ بِهَا ضُرُوبُ
تَبَسَّمتِ الْبِلَادُ بِكُلِّ أَرْضٍ وَمَا زَالَ الْعِرَاقُ بِهِ قُطُوبُ
فَهَا هُوَ مِنْ تَكَاثُلِ قَاطِنِيهِ تَجَرَّ عَلَيْهِ كَلَّهَا الْخَطُوبُ
إِذَا تَدْعُو الرِّجَالُ بِهِ خَيْرَ يَجِيبُكَ مِنْ تَخَاذُلِهِمْ نُجِيبُ
فِيَا لَهْفَى عَلَى بَغْدَادٍ أَمْسَتْ مِنَ الْعِمْرَانِ لَيْسَ لَهَا نَصِيبُ

(*) من الديوان الأول .

(١) الوجيب : الحققان والارتجاج .

(٢) الدأماء : البحر .

سأبكي ثم أستبكي عليها إذا نَضَبْتَ من العين الغُروب^(١)
أيا بغداد لا جازتُك سَحْبٌ ولا حَلَّتْ بساحتك الجُدوب
تطاول ساكنوك على ظلماً فضاقت على مغناك الرحيب
وكم نطقوا بالسنه حـداد يسيل بها من الأشداق حُوب^(٢)
رمانى القوم بالإلحاد جهلاً وقالوا عنده شـك مُريب
ألا يا قوم سوف يجدّ جدّى وسوف يخيب منكم من يخيب
فمن ذا منكم قد شق قلبى وهل كشفت لكم فى الغيوب
فعند الله لى معكم وقوف إذا بلغت حناجرها القلوب
يقينى شرّ فرّيتكم يقينى بأن الله مُطَّلِع رقيب
ولم تُخَفَر لكم عندى ذمام ولكن عادة الريح المهبوب

محاسن الطبيعة (*)

إلى حضرة الفاضل ندرة بك المطران

البحرُ رهوٌ والسما صاحيه وانفخت فى الليل شبیه السديم^(٣)
والبدرُ فى ضلعتة الزاهيه قد ضاحك البحر بشعر بسيم

* * *

والصمت فى الأنحاء قد خيما فالليل لم يسمع ولم ينطق
والبدرُ فى مفرق هام السما تحسبه التاج على المفرق
أغرق فى أنواره الأنجما وبعضها عام فلم يفرق
والبحر فى جبهته الصافية قام طريق السنا مستقيم
لم تخف فى أثنائه خافيه حتى ترى فيه اهتزاز النسيم

(١) الغروب : جمع غرب ، وهو عرق فى العين ، أو الدمع ، أو جانب العين .

(٢) الحوب : الإثم . (*) من الديوان الأول .

(٣) رهو : ساكن . وانفخت : ضوء القمر . والسديم : الرقيق من الغباب .

وقفتُ والريحُ سرتُ سَجَجَا وقفةً مبهُوتٍ على الساحل^(١)
 أنظر ما فيه يحار الحِجَا في الكونِ من عالٍ ومن سافل
 يا منظرًا أضحكَ ثغرَ الدُّجَى وردَّ سَحْبَانٍ إلى باقل^(٢)
 ما أنت إلا صُحُفٌ عاليه كم حار في حكمتها من حكيم
 إذا وَعَتَهَا أذنٌ واعيهِ فقد وعَتْ خيرَ كتابٍ كريم

* *

وزان عَرَضَ البحرِ ما قد بدا من زَوْرَقٍ يجرى مَجْدَافَتَيْنِ
 عامَ بذَوْبِ اللّاسِ أو قد غدا يسبحُ في لجة ذوب اللّجَيْنِ
 في صامت الليل جري مفردا وبين جنبيه حوى عاشقين
 من عادة في حسنِها غانيه تبسّم عن لآلَاءِ دُرٍّ نظيم
 ومن فتى أدْمَعَه جاريه قد صافح العشقَ بجسم سقيم

* *

قابِلها والحبُّ قد شَقَّه وقابلت طلعةً بدر السما^(٣)
 وظلَّ يرنو تارة خلفه وتارة ينظرها مُغرَما
 ثم تدانى واضعا كفه في كفها يطلب أن يَلْمَا
 وخرَّ من وَجْدٍ على الناصِيه وقلبه يركض ركض الظلِّم^(٤)
 وهي غدت من أجله جاثيه واحتضنته كاحتضان الفطيم

* *

ثم رمى نظرةً مُسْتَرْحِمَ في الكون طَرَفَ له حائر
 وقال قولَ الكَلِفِ المغرم في حب ذات النظر الساحر
 أيتها الأرض قفى واسلمى من أجل هذا المشهد الزاهر

(١) الريح السجسج : المعتدلة اللطيفة .

(٢) سحبان : خطيب يضرب به المثل في الفصاحة وباقل : يضرب به المثل في العي .

(٣) شقه الحب : هزله وأضناه .

(٤) الظلم : الذكر من النعام .

حتى أرى ليلتنا باقية مخفوفةً من وصلنا بالنعيم
فإن هذى ليلةً حالیه تزهو ببدرين وطلق النسيم

• • •

وأنت يا بدرُ اللطيف السنا في الجوّ قفْ وقفةً غير الرقيب
ما أبهجَ النور وما أحسنا إذا دنا منك لوجه الحبيب
كأنه « ندره » لما دنا نحو المعالي يبتغيها النصيب
فحاز منها جملةً وافيه ما حازها من أحد من قديم
وصار يدعى الرجل الداهيه في الفكر والمجد وخلق عظيم

* * *

يا آلَ مُطْرانَ لكم « ندره » وأكرم الناس هو النادرُ
لكن معاليكم لها كثرة يعجز أن يحصرها الحاصر
من أجلها أمست لكم شهرة عمّ البرايا صيتها الطائر
حيث معاليكم غدت قاضيه لكم على الناس بفضل عميم
فراية المجد لكم عاليه و « ندره » الشهم عليها زعيم

* * *

يا من بنى المجد فأعلى البنا فكان أعلى الناس في مجده
أقبل من العبد جميلَ الثنا وإن يكن قصر عن حده
ومره ثم احكم به إن وني ما يحكم السيد في عبده
إذ أنت بالثقة الساميه قد خصك الله العزيز العليم
فأهنا ودم في عيشة راضيه رغمَ اللعادي وسرور الحميم

ليلة في دمشق (*)

من كان يَارقُ بالهمو م فقد أرقْتُ من السرور
 وطربتُ من صوتِ يحيى ه إلى من غُرِفَ القصور
 صوتِ كان الغانيـا ت أعرته هيفَ الخصور
 ونضجن من ماء الحيا ة عليه في شذب الثغور
 سرى الهموم عن الفؤا د بجوف حالكه الستور
 والعود ينطق بالاحو ن بلهجتى بمَّ وزير
 يرمى به الصوت الرخي م على الدجى لمعات نور
 ملأ الظلام توقداً كالكمرباءة في الأثير
 يحكى الزلال لدى العطا ش أو الثراء لدى الفقير
 أصغيتُ منقطعا إليه عن المواطن والعشير
 فحسبتُ نفسى فى الجنا ن بغير ولدان وحوـر
 وطفقت أدكر العرا ق فعاد صفوى ذا كدور
 فرجعت عن ذاك السما ع وغبت عن ذاك الشعور
 وذكرت من تبكى هنا لك على بالدمع الغزير
 تستوقف العجـلان ثمّة بالرنين عن المسير
 وتقول من مضض القرا ق مقال ذى قلب كبير
 أبني سر سيرة الأما ن من الطوارق فى خفير
 يا أم لا تخشى فإ ن الله يا أُمى مجيرى
 ودعى البكاء فإن قـاـبى من بكائك فى سكير

أعلمت أنى فى دمشق أجّر أذبال السرور
بين الغطارفة الذين تخافهم غير الدهور^(١)
من كل وضاح الجبىءن أغرّ كالبدن المنير
حرّ الشمائل والفعا ثل والظواهر والضمير

حول البسفور (*)

خليلى قوما بى لنشهد للربا • بجانبى البسفور مشهد أسرار
أجيلا معى الأفكار فيها فإنها • مجال عقول للأنام وأفكار
خليلى إن العيش فى ماء شرشر • إذا الشمس تستعلى وفى ماء خنكار^(٢)
سفوح جبال بعضها فوق بعضها • مكلفة حافاتهن بأشجار
يروق بجانبها خير مياها • ويشجى بفطريها ترنم أطيّار
ويجرى النسيم الرطب فيها كأنه • تبخر بيضاء الترائب معطار
معاهد زورها فى الهواجر تلقها • موشحة فيها برقة أسخار
نزلنا بها والشمس من فوق أرسلت • على منحى الوادى ذوائب أنوار
وقد ظل من بين الغصون شعاعها • يوقّع دينارا لنا جنب دينار
كأن التفاف الدوح والنور بينها • جيوب من الأنوار زرت بأزار
تميل إذا هبّ النسيم غصونها • فتأتى بظل فى الجوانب موار^(٣)
ترانا إذا ما الطير فى الدوح غرّدت • تميل بأسماع إليها وأبصار
رياض تنسّمنا بها الريح ضحوة • فمّت لنا من طيبهنّ بأسرار
يلوح بها ثغر الطبيعة باسمها • فيفتّر منها عن منات أزهار
مشاهد فى تلك الربا ومناظر • تجلّت على أطرافها قدرة البارى

(١) الغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد السخى السرى . وغير الدهور : تقلباتها .

(*) من الديوان الأول .

(٢) شرشر وخنكار : موضعان بالقرب من البسفور .

(٣) الموار : المضطرب المتحرك .

تأثير التربية (*)

فالها في بيروت بعد أن شاهد مسرح الحيوانات

إليك ما شاهدت عيني من العجب
خافوا به أن تقوم الأسد واثبة
وحصنوه من الأعلى بمشتبك
به الأسود تمطى في مراتبها
والذئب يبصر جدى المعز مقتربا
أما الكلاب فجاءت وهي كاسية
قامت على أرجلي تمشى معامة
تخشى مؤدبها والصولجان له
ترنو إليه بعين الخوف فاعلة
خضعن للسوط حتى إن أعقدها
وكانت الأسد تجرى في إطاعتها

مجرى الكلاب يحكم الخوف والرهب
محدد الناب قذافا إلى العطب
أن الغرائز لم تطبع على الشغب
لابد فيه سوى الأطباع من سبب
لكن أحواله فراسا يد السغب (١)
بدافع الجوع نحو القتل والسلب
أكسرها وهو من ترب إلى الذهب

(*) من الديوان الأول .

(١) الشغب : جمع قشيب ، وهو الجديد .

(٢) السغب : الجوع .

هذا إذا حَسُنَتْ أما إذا قُبِحت فالمندلى بها يمسى من الخطب^(١)
فكل ما هو فى الإنسان مكتسبٌ فلا تقل فيه شىء غير مكتسب
إنى أرى أسوأ الآباء تربيةً للابن أحرى بأن يدعى أعق أب
والمرء كالنبت ينمو حسب تربته وليس ينبت نبعٌ منبت الغرب^(٢)
من عاش فى الوَسَط الزاكى زكا خلقاً حتى علا فى المعالى أرفع الرتب
فاحرص على أدب تحيا النفوس به فإنما قيمة الإنسان بالأدب

يقظة الشرق

أنشئت فى مأدبة نادى المعلمين ، لتكريم وفد الجامعة
الصرية مساء ٩ شباط سنة ١٩٣١ فى أو تيل «كارلتون» ببغداد.

أرى — بعد نوم طال — فى الشرق يقظةً
هَؤُوسِيَّةٌ فيها طموحٌ إلى المجد
فقى « مصر » شَهِدَتْ للعلوم معاهدٌ
على أسس التحليل والبحث والنقد
فلم تتخذ غيرَ التجارب منهجاً لتحقيقها من جوهر العلم ما يجدى
وفى الأفق « التركى » سارت إلى العلى
جيوش بأعلام التجدد تستهدى
وفى « الهند » قامت للتحرر ثورة
سياسية عزلاء قائدها « غندى »
و« فارس » حلت عقدة من جمودها وحت بمسعاها إلى سالف العهد
وفى « الصين » حرب نارها وطنية تزيد بمرّ الدهر وقداً على وقْد
و « بغداد » بين الأجنبى وبينها مزيد صراع فى السياسة مشدّد

(١) المندلى : عود يتغير به ينسب إلى المندل من بلاد الهند .

(٢) النبع : شجر صلب تتخذ منه السهام والقسى . والغرب : شجرة تتخذ منه الأقداح .

على أن حول « النيل » مثل صراعنا
ولكنه بين الحكومة و « الوفد »
ولم تحمل من أعشابها بتجدد
على جذبها أرض « الحجاز » ولا « نجد »
زمان أتى من كل قوم بنهضة
تباشر صبح لاح بعد نحوسة
فيا وفد مصر أتم خير شاهد
لقد جئتم رؤاد علم وحكمة
ترودون أهل العلم مرعى ومنزلاً
وقد زرتم « دار السلام » زيارة
ومن ذكرها في كل عصر ومواطن
وتمتدين « النيل » منها و « دجلة »
سلام على « مصر » التي أرسلت بكم
لكم عند أهل « الرافدين » تجلة

إلى القزويني

هو المرحوم أبو المنز السيد محمد القزويني العالم المشهور .

قف بالديار الدارسات وحيها
واقر السلام على جاذر حيها (١)
وانشد هنالك للعتيم مهبجة
فنييت من الأهواء في عذريها
وسل المنازل هل عامن بأني
قد شف جفاني الهوى بطبيها
يا قلب أي هوئى أصابك عند ما
أحميت بالاحظات من ثعلبيها (٢)

(١) الجاذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

(٢) ثعلبيها : رام منسوب إلى بني ثعل ، وهم حي من طي مشهورون بالرمي ، قال امرؤ القيس :

رب رام من بني ثعل مخرج كفيه من ستره

رَشَاءٌ إِذَا أُبْدَى ابْتِسَامَةٌ شَائِقُ
شَغَلَ الْقُلُوبَ بِحَبِّهِ وَلَطَامَا
مَنْ لِي بَلِّغْ مُقْبِلٍ مِنْ شَادِنٍ
يَاعَاذِلًا صَدَعَ الْقُلُوبَ بِلُومِهِ
مَنْ ذَا اسْتَطَاعَ يَرُدُّ عَنْ غِيِّ الْهَوَى
دَعُ يَا عَذُولُ أَخَا الْغَرَامِ مَعْظَمًا
كَأَفْضَلِ «الْفِيحَاءِ» حَيْثُ تَفَاخَرَتْ
السَّيِّدُ السُّنْدُ الْهَمَامُ مُحَمَّدُ
كَمْ شَاعَ لِلْفِيحَاءِ بَيْنَ بِلَادِنَا
ذَاكَ الَّذِي كَمْ مِنْ مَنَاهِلِ فَضْلِهِ
يَا سَيِّدَا فِي الْمَجْدِ أَحْرَزَ شَهْرَةَ
وَالْتَبَّكَ نَفْسِي تَرْتَدِي بِكَ سَوْدَدَا
لَمْ لَا أَسْوَدُ بِحُبِّكُمْ فِي أُمَّةٍ
زَهَتْ الْمَكَارِمُ فِيكَ حَيْثُ لَبَسْتَهَا
فَعَشَقْتُ مِنْكَ عَلَى الْبِعَادِ خَالَتَهَا

شغلت — وحقت — مهجتي عن حبيبها

فَالْيَكْبَا عِزَاءً عَزَّ قِيَادُهَا
وَأَفْتَكُ فِي «رَمَضَانَ» تَنْشُرُ مَدْحَةً
لَتَشْدَّ مَعَكَ عُرَا الْوُدَادِ وَثِيقَةً
إِنِّي لِأَغْبِطُهَا إِذَا هِيَ أَنْشَدَتْ
وَعَدْتُ تَجِيدُ الْمَدْحَ مِنْكَ لَسِيدُ
لَوْلَا مَدِيحُكَ لَمْ تَبْحُ بِرُويهَا
عَبِثَتْ نِهَانِيكَ الْحَسَانُ بِطَيْبِهَا
بِيدٍ ، وَلَاؤُكَ كَانَ خَيْرَ حَلِيبِهَا
بَنْدَى عَفِ الذَّيْلُ مِنْكَ ذَكِيَّهَا
شَمُّ الْعَطَارَةِ الْكَرَامِ أَيْبِهَا

(١) الرشاء : ولد الطيبة .
(٢) القبل : الفم . والشادن : ولد الطيبة .
(٣) هي مدينة الحلة . والسري : السيد الشريف السخي . والجحجج : السيد المسارع إلى المكارم .
(٤) المحلاة : العطاش المطرودة عن الماء .

إلى حماة الأطفال

سبق للجمعية حماية الأطفال أن اعتبرت لإنعة مهرجان كبير .
حاولت أن يكون الأول من نوعه ، وقد تفضل شاعر العرب
الحال المرحوم الأستاذ معروف الرصافي ، فأرسل هذه القصيدة .
العصماء ، ووعد أن يلقيها بنفسه ، ونحن فنشرها اليوم ليرى
القراء جانباً من إحساس التقيد العظيم نحو أطفال الوطن .

دارُ السلام تفاخرتُ برجالٍ	قاموا بأمرِ حماية الأطفال
وعُنُوا بتربية البنين عناية	زادوا بها شَمًا على الأجيال ^(١)
وَبَنُوا لهم داراً بما جادت به	أيدى أكارمهم من الأموال
صانوا بها الأنسالَ من أمراضها	ومن الحقوق صيانة الأنسال ^(٢)
دار تقيمهم بالأوقى كلَّ ما	يُخشى من الأوجاع والأوجال ^(٣)
ضمنت لأيتام الأرامل طيبهم	وعِذاءهم وبشائر الإقبال ^(٤)
لم يخش فتك السقم فيها رُضع	في البؤس قد وُلدوا وفي الإقبال
لله تلك الدار من متبواً	بذّ النجوم بقدرة المتعال ^(٥)
هي مفزع المعسرّين وملجأ	يأتيه كل ضن من الأطفال ^(٦)
أحياة أطفال الأيامي إنكم	جُدّاء بالمعظيم والإجلال ^(٧)
مرت لكم تلك السنون وكلّها	غرر تُزَانُ بأنفع الأعمال
كانتمّ الأدوية في أيتامنا	دأباً بغير كلاله وملال

(١) شَمًا : أصل الشم الارتفاع في قصة الأنف ، والمراد هنا الارتفاع مطلقاً : والأجيال : جمع جيل .

(٢) الأنسال : جمع نسل ، وهم الذراري .

(٣) الأوقى : أصناف الوفاق ، جمع وافية . والأوجال : الخواف ، جمع وجل .

(٤) الأرامل : جمع أرملة ، وهي الفقيرة ، أو التي مات زوجها . والإبلال : الخروج من المرض .

(٥) متبواً : مكان التبوؤ ، وهو النزول في المكان . وبذّ : بالنال أخت النال ، وبالزاي أيضاً ،

يقال بزّه وبذّه : أي فاقه .

(٦) مفزع : ملجأ ومعتصم . والضنى : المهزول .

(٧) الأيامي : جمع أيم ، وهي التي لا زوج لها .

فِي حَوْمَةِ الْإِحْسَانِ طَالَ صِيَالُكُمْ حَقًّا فَأَنْتُمْ أَشْرَفُ الْأَبْطَالِ^(١)
 سِيدُومَ مَسْعَاكُمْ وَيَبْقَى دَأْبُكُمْ فِي الدَّهْرِ غَيْرَ مُهَدَّدٍ بِزَوَالِ
 وَلَسَوْفَ يَذْكُرْكُمْ وَيُشْكِرُ سَعْيَكُمْ مَنْ سَوْفَ يَخْلُقُكُمْ مِنَ الْأَجْيَالِ
 اللَّهُ أَنْتُمْ مِنْ أَفْضَلِ خُلُصِ فَاقْوُوا الْأَنَامَ بِأَشْرَفِ الْإِفْضَالِ
 إِنِّي أَحَاوِلُ أَنْ أَكُونَ مُعِينَكُمْ لَوْلَا مَوَانِعُ يَعْتَرِضُ حَوَالِي^(٢)
 لَوْ أَنَّ ذَاتَ يَدَيَّ اسْتَطَاعَتْ رِفْدَكُمْ مَا فَاقَ نَوْلُ الرَّافِدِينَ نَوَالِي^(٣)
 وَلَوْ أَنَّ أَيَّامِي تَجُودُ بِصَحْتِي مَا جَالَ أَقْوَى الْعَامِلِينَ بِجَالِي
 إِنْ لَمْ أَعْنَكُمْ بِالْفِعَالِ فَإِنِّي مَا زَلْتُ مِنْ أَعْوَانِكُمْ بِمَقَالِي
 فَالْيَكُمُ هَذَا الثَّنَاءُ مَخْلُودًا مِنْ مَادِحٍ فِي الْمَدْحِ غَيْرِ مَغَالِ

شاعر البشر

حَيْهَلُ يَا أَخَا مُضَرَ نَذَّرَ خَيْرَ مَذَّكَرٍ^(٤)
 نَذَّرَ شَاعِرَ الْبَشَرِ خَيْرَ مَنْ قَالَ وَافْتَكَرَ

حَيْهَلُ أَيُّهَا الْمَلَأُ نُحْيِي ذِكْرِي أَبِي الْعَلَا^(٥)
 شَاعِرِ شَعْرُهُ اجْتَلَى صُورًا كُلَّهَا غُرَّرَ

(١) الحومة : موضع القتال . والصيال والمصاولة : المنازلة في الحرب .

(٢) حوَالِي : حَوْلِي .

(٣) الرِفْدُ : العطاء . والنَوْلُ والنَوَالُ : العطاء .

(٤) حَيْهَلُ : اسم فعل أمر ، معناه : أَقْبِلْ . وَأَخَا مُضَرَ : هو من : ينسب إلى مضر . وَهَمَّ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ . أَمَّا الْيَمِينُونَ فَأَوْلَادُ يَعْزَبَ بْنِ قَعْطَانَ . وَلَعَلَّ الشَّاعِرَ هُنَا يَرِيدُ جَنْسَ الْعَرَبِ مُطْلَقًا ، مَعَ غَضِّ النَّظَرِ عَنْ أَصُولِهِمُ الْأَوَّلَى ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ الْقَصِيدَةَ فِي الدَّعْوَةِ لَذِكْرِ شَاعِرِ الْبَشَرِيَّةِ الْأَكْبَرِ ، أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ ، وَهُوَ مِنْ تَنُوخَ ، وَتَنُوخُ مِنْ قَعْطَانَ ، لَا مِنْ مُضَرَ . وَنَذَّرَ أَصْلُهُ نَذَرَ بِذَلِكَ مَدْغَمَةً ، فَأَبْدَلَهَا دَالًا .

(٥) الْمَلَأُ : أَصْلُهُ : الْمَلَأُ ، وَهُوَ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ ، أَوْ أَشْرَافُ الْقَوْمِ وَعَلِيَّتِهِمْ .

شاعر يملأ الفضاء نفسه صعبة الرضا
دونه كل من مضى دونه كل من غبر^(١)

• • •

هو بالفكر منذ سما كان من نوره العمى^(٢)
شاعر الأرض والسما شارف الشمس والقمر^(٣)

• • •

حلّ في ذروة الأدب آتيا منه بالعجب
لا تقل شاعر العرب إنه شاعر البشر

• • •

جعل الصدق ديدنا تاركا هذه الدنيا^(٤)
إن تنأى أو ادنى فهو للحق ينتصر

• • •

عبرى بشعره عالمى بفكره^(٥)
يعربى بنجره تشرف العرب إن ذكر^(٦)

• • •

-
- (١) من غبر : من يأتى فى المستقبل . وقد يكون غير بمعنى مضى ، فى غير هذا الموضع .
(٢) كان من نوره العمى : كان العمى سبب توقد ذكائه .
(٣) شارف الشمس والقمر : كاد يبلغهما سناء ومجدا .
(٤) ديدنا : عادة . والدنا : جمع دنيا ، أى أنه قال الصدق ولم يخش أهل هذه الدنيا ، لأنه لم يكن يرجو منهم نفعا يحمله على مدهانتهم ومراءاتهم بقول الكذب .
(٥) عبرى : منسوب إلى عبرى ، ينسب إليها كل شىء نفيس ، وقد زعموا أنها مدينة للجن بأرض اليمن . وعالمى : يعنى أنه لم يقصر شعره على ذكر العرب وحدهم ، وإنما تناول شعره بنى الإنسان عامة ، لأن آفاق فكره فسيحة ، فهو يسبح فيها ويخلق فى ذرها ، واصفا أحوال البشر ، مشيدا بفضائلهم ، ناعيا عليهم مخازيرهم .
(٦) يعربى : منسوب إلى يعرب بن قحطان أبى عرب اليمن . والنجر والتجار : الأصل .

جعل الشعرَ وَحْيَهُ مُوقَظًا فِيهِ وَغْيَهُ
ما وَرَى فِيهِ وَرْيَهُ قَبْلَهُ كُلِّ مِنْ شَعْرٍ^(١)

* * *

خَطَّ سِفْرًا بِهِ ابْتَغَى غُنْيَةَ الرُّوحِ بِالرُّغَى^(٢)
جَامِعًا أَفْصَحَ اللَّغَا حَاوِيَا أَكْبَرَ الْعِبَرِ

* * *

حَكَّمَ الْعَقْلَ وَاجْتَهَدَ وَتَغَابَى عَنِ الْقَدَرِ^(٣)
هُوَ فِي الْقَوْلِ مَا اعْتَمَدَ غَيْرَ مَا ذَاقَ وَاخْتَبَرَ

* * *

شَعْرَهُ شَفَّ عَنْ دَهَا مَالَهُ فِيهِ مُنْتَهَى^(٤)
بِنِظَامٍ هُوَ النَّهْيُ وَحُرُوفٍ هِيَ الدُّرَرُ^(٥)

* * *

شَعْرَهُ شَعْرٌ مُتَقِنٌ فِيهِ شُكٌّ لِمَوْقِنٍ^(٦)
فِيهِ كُفْرٌ لِمُؤْمِنٍ فِيهِ إِيمَانٌ مِنْ كُفْرٍ^(٧)

* * *

نَفْسَهُ وَهِيَ ثَائِرَةٌ تَرَكَتْ (غَيْرَ خَاسِرَةٍ)^(٨)
كُلَّ دُنْيَا وَآخِرَةٍ وَنَفَتْ كُلَّ مَا اسْتَقَرَّ

- (١) « ما وَرَى فِيهِ وَرْيَهُ » أى لم يقدح شاعر زناد فكر ، ولا أتى بمنزل ما أتى به أبو العلاء من المعانى .
(٢) الرغى ، بضم الراء وفتحها : الحديث غير المصرح . « وخبر الحديث ما كان لحنا » .
(٣) تغابى عن القدر : لم ينسب إليه شيئاً من إسماء الناس أو إشقيائهم . يقال : تغابى عن الشيء : إذا تظاهر بالغباء عن فهمه ، وهو فى الحقيقة عارف له .
(٤) شف عنه : أبان عنه .
(٥) النهى : جمع نهية ، وهى العقل . يريد أن نظم أتى العلاء الشعر بحكم إحكامه لا خلل فيه ، كأن من العقل الخالص .
(٦) فيه شك لموقن : يريد أن بعض شعره مما يشكك الموقن فى دينه .
(٧) يريد أن شعر أبى العلاء بعضه مما يكفر بقوله المؤمن ، وبعضه إيمان خالص ، فهو جامع لمظاهر تفكيره الطليق ، وتأمله الحر .
(٨) يريد أن ثورة نفسه جعلته لا يطأ حظاً فى دنياه ولا آخرته .

جعل الحق ذوقه باذلاً فيه طوقه^(١)
شاعره ليس فوقه شاعر من بنى البشر

شاعر الأرض والسما هو بالفكر مذ سما
أبصر الحق بالعمى لم يضره عمى البصر

هو بالشعر إن شدا يتجلى لك الهدى
مدركاً أبعد المدى بالمانى التى ابتكر

جانب الناس واعتزل قائلاً إنهم هم^(٢)
شرهم غير محتمل خيرهم غير منتظر

دينهم من رياهم وهو فى أغبيائهم
ليس فى أذكيائهم غير من مان أو مكر^(٣)

ما بهم غير حاسد دائب فى المكاييد
مبغى كل واحد منهم الجور إن قدر

كوكب قد توقدا فى سماء من الهدى
عند ما غمه الردى أظلم الجؤ واعتكر^(٤)

(١) جعل وجدانه زائده فى تمييز الحق عن الباطل من الديانات . وطوقه : طاقته واستطاعه .

(٢) الحمل من الحيوان : ما ليس له راع يحوطه ويرعاه .

(٣) مان من المين : وهو الكذب . والمكر : الغش والخداع .

(٤) غمه الردى : ستره الموت .

ليس للهوتِ عندهُ من تقاريعِ بَعْدَه^(١)
إن عَرَا الحَيَّ رَدَّه فاقْد الحَسَّ كالحَجَرِ

* * *

فيه قد يأمن الفتى كل ما راع أو عتا
لا مَصِيفَ ولا شِتا لا نَعِيمَ ولا سَقَرِ

* * *

نحن أَسْرَى ذَوَاتِنَا خَشِيَةً من تَمَاتِنَا
كَمْ وَكَمْ في حَيَاتِنَا مَبْتَدَأ ما له خَبِر

ذكرى المآثر التيمورية

وهي من أواخر شعره

« لأحمد تيمور » مآثرٌ لم تَرَكَ تَشِيرُ بتعظيمٍ إليها الأنامل^(٢)
شوامخُ كالأطوادِ عاليةُ الذُرَا وَلَكِنَّهَا لَا تَعْتَرِيهَا الزلازلُ
تَزِيدُ على كَرِّ الجديدين جَدَّةً وَتَبْلَى الدواهي دونها والغوائل^(٣)
إذا ذُكِرَتْ في القومِ حُلَّتْ لها الحُبابُ

وقام لها جمعٌ من القومِ حافل^(٤)
هو العالمُ الخَبِرُ الذي كان علمُه كَأَخلاقه فيه التَّهَيُّ والفضائل^(٥)
إذا لم يَزِنَ علمَ الفتى حَسَنُ خُلُقِه فما هو في شيءٍ على الناسِ طائلُ

(١) تقاريع : كذا بالأصل المخطوط الذي بأيدينا ، وقد قرأ : تقاريع . وهي غامضة

(٢) المآثر : جمع مآثرة ، وهي ما يفتي ويروى خبره من المفاخر .

(٣) الغوائل : جمع غائلة ، وهي المهلكة . وفي الأصل القول عنه ، وهي جريدة « البلاد » التي نشرتها القصيدة : الغوائل . ولعله تحريف .

(٤) الحباب : جمع حبة ، وهي ما يشبه العرنى رجله إلى ظهره من شدة أو غمامة أو نحوها ، إذا جلس في إحدى قومه . وحل الحباب : كناية عن الاهتمام بالأمر ، يقال للشيء المهم : هذا أمرٌ يحلُّ له الحباب . واتَّجَعَ الخافل : الكثير العدد .

(٥) يريد أن علمه تتمثل فيه قوة العقل وأدب النفس .

به فقدت «مصر» العزيزة فاضلا له في مغانيها مَسَاعٍ فواضل
أقام بها ما فاقَ في الفضل نيلها خزانة كُتِبَ تنتجيتها الأفاضل^(١)
مناضدها لتأهين معالم^(٢) وأسفارها للظامئين مَنَاهِل^(٣)
إذا غَمَّ أفق العلم أبدت أثارة^(٤) تقوم بها للحائرين دلائل^(٥)
عليه سلامُ الله ما هيبَ عالم^(٦) وعيب ياهمال التعلم جاهل
ولا برحت مصرٌ ينير لها الدجى رجال عظام من بنيتها أمثال

الأعظمية : ١٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٥

أبو الطيب المتنبي

كان أبو الطيب امرأً قوله يتذكر الشعر مذكيا شعله
صاحب نفس كبيرة شرفت فشرفت حله ومرتحله
كان هو الشاعر الذي انتشرت أشعاره في البلاد منتقلة
أوجد للشعر دولة عظمت به فعزت من قبله دولة
من كل معنى أغر موتلق في لفظة كالعروس في الحجله
وربما برق لفظه فبدت في شعره كل كلمة ثملة
وربما لم تبين مقاصده لأنها فيه غير مبتذله

• • •

فسائلن عن قريضه حلبا كم قطقت من زهره خصله
خلد ذكرا لسيف دولتها أيام وشى بمدحه خلله

(١) تنتجيتها : تصيدها .

(٢) مناضدها : جمع منضد ، وهو الخزان توضع عليه الكتب وترص . والمناهل : جمع منهل ، وهو مورد الماء .

(٣) غم أفق العلم : أظلم . والأثارة : البقية من الشيء ، كذا في جريدة « البلاد » ولعلمها محرفة عن إنارة . يريد إذا غام الأفق بالشبه ظهر منها نور يوضح أمام الحائرين .

فأعجب لسيف لم تبل جدته وشاعر بالمدح قد صقله

ليرحاز موسى مضاء عزيمته	ما تاه في التيه عندما دخله
وهو الذي اجتازه بيْعُمله	تحمل منه الهيام لا التكله
قد بات كافور من جراتها	على المواي بمهجة وجهه
إذا عجزته بالسير عن طلب	لا خيله تخشى ولا أبه
فسل به النيل يوم ناقته	تغمرت منه وانتحت جبله
كيف أتى مصر كالعقاب لكي	يبلغ فيها بشعره أمله
وكيف أحيا بالمدح أسودها	ثم وشيكا بهجوه قتله

في شعره حكمة مهذبة	وروعة بالذكاء مشتعله
ونعمة بالشعور صادحة	وصنعة بالفنون متصله
قدرته في البيان واسعة	يتيه فيها السؤال والسأله
إذا المعاني بشعره ازدهت	ما ربكت في انتقامها حيله
كم شاعر قد قفى له أثرا	وناقده راح يتنقى زلاله
فأخفقوا عاجزين عن درك	لبعض ما كلّه تيسر له

قل لابن عباد أي منقصة	من أجلها كنت مكثرا عذله ؟ !
أمن شعره والعصور ما برحت	تسعى بكل استجدادة قبله
لكنما رمت من مدائحهم	ما لم تكن سالكا له سبله
طماعة منك غير واعية	وهي لعمري حماقة وباله

أكبر من أكبر القريض به وأكبر القاتلين من قتله
يا قاتليه لو تعلمون به إذا قتلتم نفوسكم بدله
قتلتم الشعر والاجادة والأ — م — بداع يا الألم القتله
لستم بهذا القتل من بنى أسد بل أنتم فيه من بنى ورله

لم يزل الدهر بعد مقتله يضرب في الشعر للورى مثله
كان له عند كل بادهة بدائع في القريض مرتجله
يصطاد في الشعر كل شاردة من القوافي بفطنة عجله
فلا تقسه بغيره أدبا ! وهل تقاس المعطار بالتفلة !

كم شاعر يدعي وليس له من شعره غير منطق الحجله
ان أنت انشدت شعره هزءا رجعت منه كأكل البصله
ورب شعر اذا لفظت به من هجنة فيه تأنف السبله
الشعر معنى ألفاظه حسنت فسقت في بلاغة جماله
وكأما قصرت قوالبه عن حسن معناه أوسعت خلاله
حسن المعاني بلفظها شوه كحسن حسناء ثوبها سماله

من ذاق في الشعر طعم معجزه فأحمد الشاعر الذي أكله
أى مقام هيجاءه احتدمت بالشعر يوما ولم يكن بطله
كان عزيزاً يأتي الهوان فما قر عليه يوما ولا قبله

إلى الجواهري

ما أوحته إلى قصيدتك

كتب المرحوم الشاعر معروف الرصافي تحت هذا العنوان القصيدة التالية ،
رداً على قصيدة للشاعر الأستاذ محمد مهدي الجواهري نشرها في صحيفة « البلاد »
وتقدم بين يديها هذه الكلمة :

أردنا — عندما نأغينا الشاعر العربي العظيم الأستاذ « الرصافي » ، أن
يكون له شرف تذكروه وهو في عزائه الموحنة . فكان لنا إلى جانب ذلك
أيضاً شرف ابتعاد شاعريته النذرة ، التي حالت حوائل المرض والامزال
و « النذرة » : دون تمتع المعجينة في شتى الأقطار العربية بتأثيرها .

أما وقد هزرتنا الأستاذ الرضا الضامق ذرعاً بعزبه ، فلتطوى على نفسه
الما وغضبا وكبرياء ، فليكن لنا شرف الاستماع إلى زهيره .

فليضم المتعوق بشعر الأستاذ « الرصافي » هذه التزيمة الجديدة إلى
بحرهم ، وهذه « الزفرة » الخارة إلى السلسلة « المقطوعة » من أخواتها .
وسلام على « عبس » الداعر المتعرب « بالأولى » ، والفكر في
« الأخرى » هذا العيش « الحر الطليق » الذي غاندا كلمة « وفصلت »
في التعبير عن مقدار إعجابنا « بطبيعته » واحترامنا له ولصاحبه .

وسلام على الشعر « الرصافي » المتفتح نوره عن ذهن المشوب ، والفكر
الحار ، والنفس الحائرة ، والمستجيبة بفيضها ، والقلب المراج بالمواليف
الزاهرة ، والزاج بصاحبه في شتى المنادى .

ذلك « شعر » الرصافي « الذي أغينا » ، لأنه لم يكن « جبلا » مرغمة
« آرائه » التي تلتقي والأوخرا . وذلك « عبس » « الرصافي » ، صاحبه
وحاضره المتراكم بعضه فوق بعض بدون « تنسيق » ولا « اختيار » ، بل
يوحي من « الفكر الحر » ، و « الصراحة » ، و « الجرأة » ، و « عبس »
الطبيعة » ، وفي بعض الفترات منه يوحي « الضرورة » . وهذه هي عناصر
عظمته عند وفي هذا جواب « الاستعجاب » الرقيق .

قال الرصافي :

بك الشعرُ لا بى أصبحَ اليومَ زاهراً وقد كنتُ قبلَ اليومِ مثلكَ شاعراً
فأنتَ الذي ألفتَ مقاليدَ أمرها إليه القوافي شُرّداً ونوافراً
إذا قلتَ شعراً قنته في بداعة فكانَ به المعنى بديعاً وناهما
وإن أنتَ أطلقتَ النفوسَ من الأسَى

بإنشاده يوماً أسرتَ المشاعرا

بلغت من الإبداع أرفع ذروة هوى النجم عنها صاغرا متقصرا
وإنك أرقى الناطقين تكلم بحق وأنقى الساكتين ضمائرا
إذا شيء ظلمت للظلم رادعا وإن شيء حق فمت للحق ناصرا

• • •

أئن كنت تُنمى للجواهر نسبة لقد كنت تحلو بالبيان جواهرها
فماك أبّ بالعلم شيد مجده وخلد منه في الزمان المآثرا
ومدّ من الآداب فيه - سرّ ادقا وأكثر فيه للبنيين المفاخرها
فلا عجب أن تنظم الشعر رائعا أنيق المعاني زاهى اللفظ زاهرا
وقد تبصر الماء الزُّلال به القذى فتغمض عنه بالإباء النواظرا
ما أوحته إلى قصيدتك :

ألا إني رغم اتباهى لم أزل بأكثر ما قد قلته أنت حائرا
تحدثت عن ماضٍ حديثا مُجمّعا كأنك فيه لم تكن لى عاذرا
وما كنت مختاراً كما أنت قائل من العيش مألولا ما كنت شاعرا
ولا اخترت عيشا بين مؤسّطا ولا كنت فيما أبتغيه مشاورا
ولكن هي الأقدار تجري بغير ما يريد الفتى جريا على الأمر قاسرا
فتجعل ليث الغاب يتلو فرايقا وتترك صقر الجوّ يخشى القنابرا
وكم أقدرت من كان في الناس عاجزا كما أعجزت من كان في الناس قادرا
وما المرء إلا مُجبر في حياته وإن ظنّ فيها أنه كان خائرا^(١)
ولِدنا وعشنا ثم مُتنا وكلُّ ذا على غير إذن جاء بل جاء دامرا

• • •

أجل كنت من تين الحياتين آخذا بواحدة تأبى التسيم للغيابرا
وجاداني قوم بغير دراية ولست أبالي ذا العناد المكابرا

وَأَسْأَلُ فَاْمُنَّ بِالْجَوَابِ تَفَضَّلَا
أَأَنْتَ الَّذِي فَضَلْتَ عَيْشًا مَعِينَا
فَصُرْتَ بِهِ فِي الْقَوْمِ شَاعِرَ مَجْدِهِمْ
إِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا مِنْكَ وَاقِعَا
عِلَامَ إِذْنٍ تَشْكُو وَشِكْوَالِكُ كُلِّهَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي قَدَّعَاشَ فِي النَّاسِ رَاضِيَا
وَلَوْ كَانَ عَيْشُ النَّاسِ وَفَّقَ اخْتِيَارَهُمْ
سُؤَالًا عَنْ اسْتَعْتَابِي الْخِلِّ صَادِرَا
لِنَفْسِكَ حَتَّى كُنْتَ فِيهِ الْمُشَاوِرَا
إِذَا قُلْتَ شَعْرًا جِئْتَ بِالشَّعْرِ سَاحِرَا
فَقَدْ كُنْتَ فِي حَسَنِ اخْتِيَارِكَ مَا هَرَا
كَشَكْوَايَ تُدْمِي بِالْبِكَاءِ الْحَاجِرَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي قَدَّعَاشَ فِي النَّاسِ شَاكِرَا
لَمَا كُنْتَ تَلْقَى شَاكِيًا أَوْ مُخَاطِرَا

* * *

لَحَى اللَّهُ دُنْيَا كُلَّنَا مِنْ جَرَائِمِهَا
وَنَحْنُ مَدَى الْأَيَّامِ نَشْكُو بَعِيثِنَا
نَرَى وَاحِدًا يَقْتَادُ أَلْفًا لَعِيشِهِ
وَلَوْ وُزِنَتْ أَعْمَالُهُمْ بِاقْتِدَارِهِ
فَمَا عَاشَ فِي مَحْيَاهُ عَيْشًا مُرَفَّهَا
شَقَاءٌ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدِينَ آخِذٍ
نَخْوِضُ الرِّزَايَا رَاكِبِينَ الضَّرَائِرَا
فَسَادَ نِظَامُ يَجْعَلُ السَّكْدَ بَائِرَا
وَيَنْظُرُ لِلْأَلْفِ الْمُسَخَّرِ سَاخِرَا
لَسَكَانِ بِهَا كَيْنُونَةُ الصُّفْرِ شَاغِرَا
مَنْ النَّاسِ إِلَّا مَنْ تَحْيَلُ مَا كَرَا
بِاعْتِنَاقِنَا إِلَّا الْقَلِيلُ الْمَاكِرَا

* * *

وَمَا الشَّعْرُ بِالْحَبْلِ الَّذِي قَدْ ذَكَرْتَهُ
فَمَا الشَّعْرُ إِلَّا مِنْ بَرَقِ دَوَائِرِ
إِذَا لَمَعَتْ فَوْقَ الطُّرُوسِ فِائِنَهَا
وَقَدْ بَرَأَ اللَّهُ الْعَوَالِمَ كُلَّهَا
نَرَى كُلَّ شَيْءٍ عَائِدًا نَحْوَ بَدْئِهِ
تَدُورُ أَوَالِيهَا لِتَلْقَى الْأَوَاخِرَا
تَرُدُّ إِلَى التَّبَرِّ الْمَذَابِ الْحَاجِرَا
دَوَائِرُ فِيهَا حَارٌ مِنْ ظِلِّ فَاكِرَا
إِذَا نَحْنُ حَكَمْنَا النَّبِيَّ وَالْبَصَائِرَا

* * *

إِذْنًا لَمْ أَكُنْ فِي عَالَمِ الشَّعْرِ مُرَغَّمَا
نَعَمْ كُنْتُ فِي تِلْكَ الْأَمَادِيحِ شَانِمَا
لِأَوَّلِهِ حَتَّى يُبْلَقَ آخِرَا
زَمَانًا يُوَالِي كُلَّ مَنْ كَانَ جَانِمَا

وكنْتَ بذاك المدح هاجياً وكنْتَ بذاك الشعر للشعر حاقراً
إذا الدر أمسى كالسحاب مُحقراً شددت به للنابحات سواجراً^(١)
وما العار في هذا على وإنما على من أضاعوا مجدهم والمفاخراً

الثناء المخالفة

ألا بلنوا عنى رسالة مُنشدٍ أبا الماجدِ النجلِ النجيبِ محمدٍ
رسالةً من لا يُنشد الشعر مادحاً به الناسَ إلا شاكراً غير مُجتدٍ
ألا يا بن عيسى بنِ الهمام محمد وأكرمَ من يُنمى لأكرم مُحتدٍ
سأقرض في شكرى لك الشعر خالداً وأرسله نوراً به الناسُ مهتدي
أقيدَه بالمدح والمدح مطلقاً وأطلق فيه الحمد غير مقيدٍ
أرجع في الإنشاد أنعامَ لحنه بصوت كصوت البلبل المتغردٍ
وأجعلهُ شعراً إذا ما تنوشت قوافيه يوماً أسكنت كلَّ مُنشدٍ
عليك به أثنى ثناءً مخلاًداً ومثلك أهلُ للثناء الخلدِ
وقفت من العُلياء في خير موقفٍ وشوهدت بالإحسان في خير مشهدٍ
وجددتَ جُداً غير بالٍ وإنما بمسعاك زادت جِدة المتجددِ

* * *

تفقدتني في العيشة الضنك منيعاً فيالك في الإنعام من مُتفقٍ
على حين قد أنسى الرجال زمانهم ذويهم ومن يختصهم بالتوددِ
ومدَّ أحابيل القطيعة بينهم وأقعدهم للشرِّ في كل مرصدٍ
وأغلى غلاء في المعيشة فاحشاً يروح به ذو الاحتكار ويفتدى

(١) السواجر : جمع ساجور ، وهو القلادة التي توضع في عنق الكلب .

الرصاصي يقرض كتاباً للزهاوي

هذا كتاب فيه يتضح الهدى علنا فتسطح للعقول حقائق
يا ظلمة الشبهات والكذب انجلي فلقد بدا للحق (فجر صادق)

الأفول المشرق

أيها الأنجم التي قد رأينا عبرا في أفولها كالشموس
إن هذا الأفول كان شروفا في دياجير طالع منحوس
وسياتي الزمان منه بسعد تنجلي منه داجيات النحوس
شنقوكم ليلا على غير مثل ثم دسوا جسومكم في الرموس
أفكانوا في ظلمة الليل تجرا هربوا المال من جباة المكوس ؟
هكذا الخائف المريب يوارى فعلة السوء منه بانتفليس
شنقوكم لأنكم قد أبيتم أن تكونوا في ربة الانكليس
فأستحقوا لعن الذي كررته خاليات القرون في ابليس
سيديم الزمان لعنا عليهم شائع الذكر في بطون الطروس

* * *

أيها الأنجم التي تركتنا في أسي من مصابها محسوس
في سبيل الأوطان متم ففزتم بأجل التمجيد والتقدیس
وستبقى الذكري لكم ذات رمز هو تعظيمكم بخفض الرؤوس
وسيجري احترامكم في مجارى شرف خالد لكم قد موس
ان يوما به نعیم الینا يوم يؤس كحرب يوم البسوس
قد حكاها طولا وشؤما وبغيا وتلظ بحر نار الجوس

فيه أبدت منا الوجوه كلوحا في شحوب وغيرة وعبوس
إذ سكنا وفي القلوب ارتجاج مثل تيار لجة القاموس
وأطلنا عن الكلام سكوتا معربا عن نشيجنا المهموس
ووجهنا حزنا ورب وجوم يتأتى من صاحبات النفوس
برأت ذمة المروءة منسا ان نسي يوم شفقكم أو تنوسى

وقال هذه الأبيات مترجما

فيك يا أغلوطة الفكر حار فكرى وانقضى عمرى
سافرت فيك العقول فما ربحت إلا أذى السفر
رجعت حسرى وما وقعت لا على عـين ولا أثر

□ □ □

يا واحد الذات كثير السعى ومن تجلى ظاهرا واحتجب
أنت لدى القرس تسمى خدا أنت تسمى الله عند العرب

□ □ □

أول أنت ولكن أول ماله فى سانح الفكر ابتداء
آخر أنت ولكن آخر ماله فى راجح الحجر انتهاء

إلى طه الراوى

بأى سلام أم بأى تحية إليك أزين اليوم بدء خطابى
فإنك أهل للتحيات كلها وما أنا فيما أدعى بمحبابى

إلى البطل عبد الكريم الريفى

أعبد الكريم وأنت البطل وفيك الرجاء وفيك الأمل
لئن قر سيفك فى غمسه فما ذاك من خور أو ملل
ولكم دهرنا قلب وأيامه من قديم دول
تهز البطولة أعطافها إذا ما جعلناك فيها مثل
سيخلد ذكرك فى الناهضين وثنى عليك الضبي والأسل

بداعة لا خلاعة

مثلت فى دلالها عريانه فأرتنى محاسنا فتانه
حيث طارحتها الغرام بيت بالمرايا قد زوّقوا جدرانها
فكأنى وقد نظرت لمعراها من النور مبصر اسطوانه
وتجلى خيالها فى المرايا حاكيا من جمالها أعيانه
فتأملت فى تقاطيع جسم جعل الحسن كله عنوانه
ظالت أرنو إلى الجمال بعين يشتميه وتتقى هجرانه
فأريها من الغرام فنونا وترينى من حسنها افتتانه
ثم أسامت للمليحة قلبا أوجب الحسن بالهوى إيمانه
وتتحمى موهج الحب حتى أصبح القلب صاليا معبعانه

* * *

هناك من وصفها وإن شئت فاعذر أو فلم تملك الغرام عنانه
هى غمازة الاحاظ لعب ذات دل ظانته ثمانه
بضة ، نعمة ، ليس ، رداح ، غادة ، أحورية ، بهنانه
تأخذ النودلين مخطوطة المتنين خود رجراجة وركانه

خدلة ساقها مبهمة الخصر كهاب ، براقه ، سيفانه
 ذات وجه كأنه بدر تم وقوام كأنه خوط بانه
 نو رآها كسرى الملوك نخلى ملكه تاركاً لها ايوانه
 عقصت شعرها وقد زينته بحلى من تقارس مزدانه
 فحكي شعرها على الرأس تاجاً وحكت فى جلالها خاقانه
 وتدل قرط بالفتيمها رصمت فيه ماسة بحجانه
 فحكي قرطها بقرب الحيا زهرة الجو قارت زبرقانه
 وأظلت جبينها وهو صبح طرة غيبية ، فينانه
 فكان الجبين باقة نسر يسـن تدلت من فوقها ريحانه

• • •

وقفت لى عـريانه فتقدمت إليها بذلة واستكانه
 فتمشت تخالفا وتثنت وتلوت كأنها خيزرانه
 ثم صلت فأدبرت عن دلال ثم عادت فأقبلت عن بحانه
 ولقد راغى وزاد فؤادى ولها ما رأيت تحت المانه
 ركبا ، كعبا ، عضوضا ، مصوصا ناشرا ، ذا بضاضة ورزانه
 مشرف السطح رابثا ذا انتصاب حامى الجوف ضنكه ، ريانه
 قد حكى كومة من اللؤلؤ الـرطب وإن كان فائقا أثمانه
 نعمة العيش أترفته وأخلت أسكتيه من الأذى وعجانه
 عطر الريح قد تشممت منه إذ تشممت شذى أقحوانه
 وشربت الرحيق وهو تجاهى جاشم فاتخذته فنجانه
 لو رآه العنين يوما لأمسى مبرا من رخاوة وعنانه

• • •

شغفتنى تلك المليحة حتى علمتنى بكر الهوى وعوانه
 سلسلت فى انقيادها بعد أن قد أظهرت لى تمننا وحصانه
 فدعتنى إلى الكفاح بغمز كمرتته من عينها الوسنانه
 وغدت فى تجضم واعتلاج بشغاه وردية غيسانه
 واضعا فاهى فوق فيها كل قد أمضى الضجيج منه لسانه
 فغدت فى ارتهازها تتلكا بكلام لا تستم بيانه
 ثم قالت وقد ذوت متانتها وشكت من فؤادها خفقانه
 أظعن الطاعنين لأضار من بالضاد قد أنطقى الآله لسانه

فى دار النقيب

أما وقد طلع الرجاء يشع أنوار السرور
 فى دار مولانا النقيب بوجه مولانا الأمير
 فاذهب نشارك أيها اليأس الحميم فى الصدور

ماذا يريد المرجفون بكل بهتان وزور
 من بعد ما بدت المنى للقوم باسمه الثغور
 فى دار مولانا النقيب بوجه مولانا الأمير

ماذا يخاف القوم من ميل الزعاف للنفور
 بعد اقتران النيرين الساطعين بكل نور
 فى وجه مولانا النقيب ووجه مولانا الأمير

مد النقيب إلى الأمير يد المعاضد والنصير
فلينخر كل مشاعب في القوم يلهج بالشرور
وليحى مولانا النقيب حياة مولانا الأمير

الحق المغتصب

مما كتبه إلى العلامة عبد الوهاب النائب بعد عودته النيابة
بمحكمة الشرعية .

قد أخذ الحق من اغتاصب وعاد ممنوحاً إلى النائب
عالم بغداد وإنسانها والمنهل العذب إلى الشارب
تختلف الناس إلى فضله من ذاهب منهم ومن آيب
في علمه ووعظه تهدي وتقتدى في رأيه الثاقب
والبشر قد لاحت أساريره بمجبة المطلوب والطالب
زدار شرع الله مردانة في جانب تزهو إلى جانب
بعد ظلام دامس أرخوا أشرق شرع الله بالنائب

١٣٢٥ هـ

تحت تصوير النائب

مذ غاب عنا في المنية شخصه فانظر إلى تصويره من غائب
تلقى المعاني المعربات عن العلي في صورة لأبي الحسين النائب

إلى عبد الكريم العلاف

ومحب ذي أدب أتى مستنداً شعراً أنوّه فيه بالعلاف
فأجبتّه عبد الكريم محقق من شعره بقوادم وخوافي
فلسكم سمعت له قوافي جمة كانت لعمر الله خير قوافي



لارصافي عدة قصائد قالها في وصف ما شاهد في الآستانة من
الحريق الذي يكثر وقوعه في تلك المدينة ، فرأينا أن تثبت تلك
القصائد هنا على حدة تحت عنوان الحريقيات . فمنها القصيدة الآتية :

وقفه عند شراغان^(١)

أصبحتُ أعْدِلُ نَوَابًا وَأَعْيَانًا	عَدْلًا كَنَارٍ تَلَطَّتْ فِي « شَرَاغَانَا »
قَصْرٌ أَطْلَّ عَلَى الْبِسْفُورِ مَرْتَعًا	إِلَيْهِ يَتَخَصَّ طَرَفُ الْعَقْلِ حَيْرَانًا
ذَوْرُ خُرْفٍ يُبْهِجُ الْعَيْنَ الَّتِي نَظَرَتْ	حَتَّى تَرَاهُ لَهَا نُورًا وَإِنْسَانًا
رَاقَتْ مَبَانِيهِ إِتْقَانًا وَهَنْدَسَةً	مُسْتَوْفَا صَنْعُهَا مِنْ مَرٍّ عَجَلَانَا
كُلُّ الْقُصُورِ عَبِيدٌ وَهُوَ سَيِّدُهَا	إِذَا كَانَ أَكْرَمُهَا صَنْعًا وَبَنِيَانًا
يَمْشِي الْمُهَنْدِسُ فِيهِ وَهُوَ يَنْظُرُهُ	مَشَى الْمَقِيدِ يَسْتَقْصِيهِ إِمْعَانًا
يُضْمُّ كَفِيهِ لِلْإِبْطِينَ مِنْبَهْرًا	مَقْلَبًا فِي الْأَعَالَى مِنْهُ أَجْفَانَا ^(٢)
عَرْشٌ بِهِ تَعْرِفُ النَّاسُ الْجَلَالََةَ إِذَا	لَاحَ الْجَمَالِ عَلَى مَبْنَاهِ أَلْوَانَا
لَوْ كَانَ عَرْشًا لِبَلْقِيسَ لَمَا خَضَعَتْ	لِلْأَمْرِ حِينَ أَتَاهَا مِنْ سَلِيمَانَا
فِيهِ الْحَوَادِثُ أَمْسَتْ وَهِيَ نَاطِقَةٌ	بِالْلسَنِ دَلَعَتْهَا فِيهِ نِيرَانَا ^(٣)
فَلَوْ رَأَيْتَ وَقَدْ شَبَّ الْحَرِيقُ بِهِ	وَالرَّيْحُ تَصْفِقُ لِلنَّيْرَانِ أُرْدَانَا ^(٤)

(١) « شراغان » : قصر ملوكي على ضفة البسفور في الآستانة ، بناه السلطان عبد العزيز ، وهو أعظم القصور ثخامة في الآستانة ، وأدقها صنعة وأبهجها منظرا . ويقال إنه صرف على بنائه ملايين . ولما أعلن الدستور العثماني اتخذ مجلسا للنواب ، وكان ذلك يسمى من أحمد رضا بك رئيس مجلس النواب ، فشب به الحريق ، وكان الرصافي في الآستانة ، فقال هذه القصيدة .

(٢) ضم اليدين إلى الإبطين : من علائم الحيرة والتعجب عند الإفرنج ، كما هو المشاهد منهم . والمعنى أن المهندس عند ما يمشي في هذا القصر تأخذه الدهشة من بدائع الصنعة فيه ، فيضم كفيه إلى إبطيه ، متعجبا مقلبا أجفانه في أعالي بنيانه .

(٣) أى أن الحوادث قد نطقت في هذا باللسن النيران ؛ ولسان النار : هو لهبها الذي يمتد على شكل اللسان . وقوله دلعته : أى أخرجتها . يقال دلع الرجل لسانه : أخرجته من فيه .

(٤) الأردن : جمع ردن ، وهو أصل السكم ، أو طرفه الواسع .

رَأَيْتَ مَلَكًا كَبِيرًا تَمَّ مُحْتَرَقًا يَذِيبُ مِنْهُ لَهَيْبُ النَّارِ عَقِيَانَا^(١)
طَالَتْ بِهِ أَلْسُنُ النَّارِ تَلَحُّسُهُ لَحَسَا يَدُكَ قُوَى الْبَنِيَانِ إِيهَانَا^(٢)

* * *

يَا دُرَّةً فِي ضَفَافِ الْبَحْرِ ضَعِيفَا قَوْمٌ وَكَانَ بِهَا الْبُسْفُورُ مَزْدَانَا
كَمْ قَدْ أَضَاءَتْ بِوَجْهِ الْبَحْرِ مَشْرِقَةً وَرَصَّعَتْ مِنْ رُيُوسِ الْهَضْبِ تَيْجَانَا
يَأْيِهَا الْقَصْرُ مَذَامُ سَيْتٍ مُحْتَرَقَا أَبَكَيْتِ فِي الْبَحْرِ أَسْمَاكَ وَحَيْثَانَا
لَمْ يَبْقَ مِنْكَ لَهَيْبُ النَّارِ بَاقِيَةً وَلَا لَدَى الْقَوْمِ أَبْقَى عَنْكَ مُلُونَا
مَعْلُولٌ مِنْ شَوَاطِئِ النَّارِ هَادِمَةٌ يَا لَلْعَجَائِبِ كَالْأَطْوَادِ جَدْرَانَا^(٣)
قَنَا أَمَامَكَ وَالنِّيَرَانِ صَائِلَةٌ تَدُكَ مِنْكَ عَلَى الْأَرْكَانِ أَرْكَانَا
كَمْ هَدَّةٌ لَكَ بَيْنَ النَّارِ تَفْزَعُنَا حَتَّى نَخْلُكَ مِنْهَا صَرْتُ بَرْكَانَا^(٤)
يَهْتَزُّ فِيكَ لَهَيْبٌ حِينَ نَبْصُرُهُ نَهْتَزُّ بِالْحُزْنِ أَرْوَاحًا وَأَبْدَانَا
فَأَنْتِ تَمَلُّ صَدْرَ الْجَوِّ أَدْخَنَةً وَنَحْنُ تَمَلُّ صَدْرَ الْأَرْضِ أَحْزَانَا
مَا أَشْرَفَ الْقَوْمَ لَوْ كَانَتْ مَدَامَعُهُمْ مَطَافِنَا لَكَ تُجْرَى الدَّمْعُ غُدْرَانَا
وَيْلٌ لِمُرْتَدِّسٍ قَدْ قَامَ بِمُجْتَهِدَا يَسْعَى بِجَعْلِكَ لِلنُّوَابِ دِيُونَا
حَتَّى إِذَا كُنْتَ لِلنُّوَابِ مُجْتَمَعَا بَانَتِ عَوَاقِبُ ذَلِكَ السَّعَى خُسْرَانَا
لِلنَّارِ فِيكَ حَسِيسٌ كُنْتَ أَحْسَبُهُ ضَحَكًا عَلَى مَنْ بِسُوءِ الرَّأْيِ أَبْكَانَا^(٥)
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ قَلْبًا لَا يَطَاوَعُنِي أَلَّا أَكُونَ عَلَى الْأَوْطَانِ غَيْرَانَا
يَا قَوْمَ إِنْ بِصَدْرِ الشَّعْرِ مَوْجِدَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا سِتْرًا وَكْتَانَا
مَا بَالُ نَوَابِنَا أَمْسَوْا نَوَائِدُنَا إِذَا لَا يَبَالُونَ مَكْرُوهَا تَغْشَانَا

(١) الْعَقِيَانُ : الْذَهَبُ الْخَالِصُ .

(٢) اللَّحْسُ : لَعَنَ الشَّيْءَ بِاللَّسَانِ ، وَلَحَسَا : مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ ، وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهُ : صِفَةٌ لَهُ . وَلِإِيهَانَا :
أَيُّ إِضْعَافًا ، تَمْيِيزٌ بِمَحْوُلٍ عَنِ الْفَاعِلِ ، وَالْأَصْلُ يَدُكَ إِيهَانَهُ قُوَى الْبَنِيَانِ ، أَوْ هُوَ مَنْصُوبٌ بِزَعِ
الْخَافِضِ . أَوْ إِيهَانًا . (٣) الشَّوَاطِئُ : الْهَبُّ الَّذِي لَا دَخَانَ فِيهِ ، أَوْ حَرُّ النَّارِ .

(٤) الْهَدَّةُ صَوْتُ وَقَعَ جِدَارٌ أَوْ صَخْرَةٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ . وَالْبَرْكَانُ : جَبَلُ النَّارِ . وَهُوَ مِنْ مَعْرَبَاتِ الْمُؤَلَّدِينَ .

(٥) الْمُرَادُ بِالْحَسِيسِ هُنَا صَوْتُ اشْتِعَالِ النَّارِ وَتَلَهِّيْهَا .

أما كفى أنهم لم يعملوا عملاً
هم يطلبون قصورا يتعمون بها
ليس الجلس ببهو القصر مفخرة
قد ضيعوا الحزم حتى إنهم ندموا
يعيش ذو الحزم مسرورا ومغبطا
وأحزم الناس من إن نام بات له
أين الطريق إلى العلياء نسلها
لا الشعب يخلع أثواب الخمول ولا
الناس تسعى لدنيا نحن نهملها
حتى أرادوا اجتماعا في شراغنا
ونحن نطلب للأوطان عمرانا
لمن هم اليوم أشقى الناس أوطانا
على الذي كان منهم بعد ما كانا
وتارك الحزم لا ينفك ندمانا
طرف على حدثان الدهر يقطانا
فإننا لم نزل يا قوم عميانا
نوابه يلبسون الصدق قصانا
ما أسعد الناس في الدنيا وأشقانا

أم الطفل في مشهد الحريق^(١)

ما للديار تراءى وهي أطلال
كانت بها السمرات الخضر زاهية
ما بالها وهي أقفاص مبعثرة
هل هدد بنيانها من فوق صاعقة
بل قد عفتها ولم تترك بها أثرا
شب الحريق بها ليلاً مشيدة
أثارت النار في أطرافها رهجاً
حتى حكمت معركاً خرت بساحتها
هل خف بالقوم عنها اليوم ترحال
واليوم لا سمر فيها ولا ضال^(٢)
تغير فيهن أبكار وأصال^(٣)
أو هدد بنيانها من تحت زلزال
ريح لها من لهيب النار أذبال^(٤)
فما أتى الصبح إلا وهي أطلال
من الدخان كأن النار أبطال^(٥)
صرعى بيوت وأموال وآمال

(١) هذه القصيدة قبلت في حريق شب في حارة الفاتح من مدينة إستانبول . وهو حريق هائل اجتاح عدة حارات ، فتركها قاعاً صفصفاً .

(٢) السمرات : جم سمرة بفتح فضم : واحدة السمر ، وهو شجر من العضاء . والضال : شجر من السدر ، والمراد به هنا مطلق الشجر .

(٣) مبعثرة : أى مبددة ومقلوبا بعضها على بعض .

(٤) عفتها : درستها وعمتها . (٥) الرهج : غبار الحرب .

دار السعادة أمست من تحرُّقها دار الشقاء وقد ضاقت بها الحال
ترنو إلى البحر ترجو نفع غلَّها لحظاً المهجر إذ يبدو له الآل^(١)
تنهال كالرمل بالنيران أدورها حتى تكاد لها الأرواح تنهال
ياريح مهلاً فلا تدرى الرماد بها إن الرماد الذى تدرين أموال

قد رحت للحى مذعورا أئيمه ولى عن الزمر الباكين تسأل^(٢)
وفى العراض ديار القوم خاوية وفى الشوارع نسوان وأطفال^(٣)
جلسن والشمس فوق الرأس دانية وللغبار بعرض الحى تجوال
ولا خمار فيرددن الغبار به ولا يقيمن حرَّ الشمس سربال
حتى وقفت وقلبي كله جزع وأدمعى لجج طورا وأوشال^(٤)

ما أنس لا أنس أم الطفل قائلة وفوق وجنتها للدمع تهطل
إني تجرّدت من دنياى حاسرة مالى سوى طفلى الباكي بها مال
أى امرئ بعد هذا اليوم ذى جدّة يعولنى حيث لا زوج ولا آل^(٥)
أودى الحريق بدار كنت أسكنها وكنت من بعضها للقتل أكتال^(٦)
واليوم أصبحت لا دار ولا وزر آوى إليه ولا عم ولا خال
إن الحريق خبّت نيرانه ومضت وما خبت فى فؤادى منه أوجال^(٧)

-
- (١) المهجر : الذى يسير فى الهاجرة . وهى نصف النهار فى القيظ خاصة ، وتكون شديدة الحر . والآل : السراب .
(٢) أئيمه : أقصده .
(٣) العراض : جمع عرصة وهى ساحة الدار ، أو كل بقعة ليس فيها بناء .
(٤) الأوشال : جمع وشل ، وهو الماء القليل .
(٥) ذى جدّة : ذى غنى : ويعولنى : يكتفل معيشتى . والآل : هنا بمعنى الأهل .
(٦) أى ذهب الحريق بدار كنت أسكن فى بعضها ، وأكرى الناس بعضها الآخر ، فأنا مثلك بكرائها قوتى .
(٧) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف .

يَا رَبِّ رُحْمَاكَ إِنِّي الْيَوْمَ عَاجِزَةٌ
يَا رَبِّ قَدْ ضُفْتُ دَرْعًا بِالْحَيَاةِ فَمَا
عَمَّا دَهَا وَبَظَهَرِي مِنْهُ أَثْقَالُ
أَدْرِي حَنَانِيكَ رَبِّي كَيْفَ أَحْتَالُ

وعند ما قد شجاني من مقاتلتها
دنوتُ منها قليلاً وهي باكية
حتى وقفت وإيناساً لوحشتها
وقلت يا أختُ لا تستينسي جزعاً
أتجزعين ابتئاساً بين أظهرنا
مالي أراك بعين اليأس باكية
ألست من أمة أيدي الرجال بها
حتى لقد أصبحوا أبناء واحدة
مستعصمين بحبلٍ من أخوتهم
أمسى التعاضد كالحصن الحصين لهم
فاستبشري اليوم فيما مس من ظمإٍ
وأن حقاك عوّل في مساكنهم

لفظ يقطّعه في البين إغوال
ومن بكأها بقلبي هاج بلبال
حنيتُ رأسي وحنى الراس إجلال
فإنما الدهر إدبار وإقبال
وكلّنا عنك للبأساء حمال
كان أمرك عند القوم إهمال
قد فكّ عنهنّ بالدستور أغلال^(١)
في المرزئات وهم في الحكم أشكال^(٢)
يسمو بهم للعلا فضل وإفضال
إذا تصادم بالأهوال أهوال
بأن وردك عند القوم سئسأل
وما هم بأداء الحق بحال

تلك التي قد شجنتني في مقاتلتها
فهل يصدّق قومي ما ظننت بهم
فالجحد يدرك مرماه البعيد فتى
وأكثر المال حمداً ما يُعان به
يا قوم هذى سبيل العرف واضحة
ومن تكّ الحال فيها لا تساعده

وكم لها في نساء الحى أمثال
حتى تقوم لهم في الجحد أفعال
رحب الذراعين طلق الكف مفضال
من عضهم من نيوب الدهر إقلال
فليمض فيها بكم وخذ وإرقال^(٣)
«فليسعد النطق إن لم تسعد الحال»

(١) لا وقع هذا الحريق كانت الملكة العثمانية قريبة عهد بالدستور، ولهذا يقول ألت من أمة الخ

(٢) وهم في الحكم أشكال : أى متشاكلون متساوون .

(٣) الوخذ والإرقال : كل منهما ضرب من ضروب مشى الإبل .

ثالثة الاثاني (١)

فألها في الحريق الكبير الذي حدث في حارة إسحاق بإشأ من مدينة

إسطنبول ، وكان هذا الحريق ثالث حريق كبير حدث هناك في العهد الأخير .

قَعَدَتْ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ تَنُوحُ^(٢) وَالطُّفْلُ يَجْذِبُ رُدْنَهَا وَيَصِيحُ^(٣)

تَبْكِي وَقَدْ ضَحَكَتِ الْحَرِيقُ بِدَارِهَا كَالْبَرْقِ يَضْحَكُ فِي الدَّحَى وَيُلُوحُ

ضَحِيَّتُ^(٤) وَقَدْ قَلَصَ الظَّلَالُ فَوَجَّهَهَا لِلشَّمْسِ فِي وَجَنَاتِهِ تَلَوِيحُ^(٥)

جَرَّ الْحَرِيقُ عَلَى الدِّيارِ ذِيُولَهُ فَجَرَى لَدَيْكَ دَمْعُهَا الْمَسْفُوحُ

وَلَقَدْ وَقَفْتُ حِيَالَهَا وَمَدَامَعِي تَسْخُو سَوَى أَنْ الْعِزَاءُ شَحِيحُ

فَعَدَا يُنَقِّنِي الْأَسَى مِنْ عَيْنِهَا لَحْظُ بَرْقَرَاكِ الدَّمْعِ سَبُوحُ^(٦)

يَا أَيْمًا أَجْرَى الْعُدَاةَ دَمُوعَهَا بَيْتٌ بِجَانِحَةِ الْحَرِيقِ مَجُوحُ^(٧)

لَا تَهْلِكِي جَزَعًا فَإِنْ بِيوتِنَا مَا لِلْمَلَمِ بِأَهْلِهَا تَسْرِجُ

أَعْلَيْكَ أَنْتِ تَضِيقُ كُلَّ دِيَارِنَا هَذِي وَأَكْثَرُهَا دِيَارٌ فَيَحُ^(٨)

فَاقْنِي عِزَاءَكَ فَالْحَيَاةُ وَإِنْ أُرْتُ بَعْضَ السَّرُورِ فَكُلُّهَا تَتَرَجُ^(٩)

قَفْتُ بِالْديَارِ فَقَدْ أَنَاخَ بِهَا الْبَلَى وَانْظُرْ فَقَدْ قَرَعْتَ بِهِنَّ السُّوحُ^(١٠)

نَزَلَ الْحَرِيقُ بِهَا فَشَتَّتَ شَمْلَهَا قَعَدْتُ عِرَاصًا وَهِيَ قَبْلُ صُرُوحُ

بَكَرَ الشَّوَاظُ بِهَا يَنْضَضُ أَلْسُنَا مِنْ هَوْلٍ مَطْلَعَهَا تَذُوبُ الرُّوحُ^(١١)

نَشْرُ اللَّيْلِبُ عَلَى الْبُيُوتِ مُلَاءَةً حَمَاءُ تَصْفِقُ جَانِبَيْهَا الرِّيحُ

(١) هذه القصيدة قيلت في حريق محلة « إسحاق بإشأ » في الأستانة ، وهو حريق كبير كالذي قبله .

(٢) قارعة الطريق : أعلاه أو معطيه ، وهو موضع قرع المارة .

(٣) ضحيت : أي أصابتها الشمس ، أو انكشفت بعد أن كانت في ستر . وفلس الظلال : أي أقبضت ، وذلك يكون في وقت الظهيرة . وفي وجهها تلويح : أي تغيير وسفع .

(٤) رقرق الدمع : هو الدمع الذي يترقق أي يتحرك في العين ولا يسيل .

(٥) الأيم : المرأة التي فقدت زوجها . والجائحة : المنازلة العظيمة التي تحتاج المال ، أي تستأصله ، ومجوح : أي مستأصل ، وهو صفة لبنت . والمراد أنها أبكها اجنياح الحريق بينها .

(٦) فيح : جمع فيحاء أي واسعة . (٧) فني : حفظ : وادخر . والتترج : الإحزان .

(٨) السوح : جمع الساحة . وقرعت السوح : أي خلت من العاشية .

(٩) بكر الشواظ : أي أتى بكرة . والشواظ : لهب النار الذي لا دخان فيه . وينضض ألسنا .

يحركها . والمراد بألسن الشواظ : ما يمتد على شكل اللسان .

فَتَعَبَسَتْ مِنْهُ السَّمَاءُ وَأَمْطَرَتْ نَارًا وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُيبُ يُسِيحُ
وَعَلَى الدِّخَانِ عَلَى الْبُيُوتِ سَحَابًا بَرَقَ الْمِهَالِكُ بَيْنَهُنَّ لُجُوحُ
أَمَّا السَّرَارُ فَكَانَ وَيْلًا مُنْبِتًا نُوبًا بِرَأْحَةِ الدَّمَارِ تَفُوحُ
وَالشَّمْسُ قَدْ كُسِفَتْ بِجَوْنِ دَخَانِهِ وَبَدَتْ عَلَيْهَا سَفْعَةٌ (١) وَكُلُوحُ (١)

• • •

يَا قَوْمُ سَاءَ مُصِيرُكُمْ فَإِلَى مَتَى لَا تَسْمَعُونَ لِمَا يَقُولُ نَصِيحُ
هَلَّا أَخَذْتُمْ لِلْخُطُوبِ عَتَادَهَا كَيْلًا يَكُونُ لَهَا بِكُمْ تَبْرِيجُ (٢)
هَذَا الْخَرِيقُ وَكُلُّ يَوْمٍ نَارُهُ تَعْدُو عَلَيْكُمْ تَارَةً وَتُروِحُ
فَالنَّارُ مَا بَرَحَتْ تَفُوهَ بِاللِّسَنِ ذُرْبُ وَإِنْ كَلَامُهَا لَفَصِيحُ (٣)
لِمَ لَمْ تَعُوا مَا قَلَنْ قَبْلُ مَكْرَرًا أَوْ مَا كَفَاكُمْ ذَلِكَ التَّنْصِيحُ
نِقْمٌ إِلَى نُوبِ الزَّمَانِ فَإِنْ أَتَتْ قَتْمٌ كَمَا يَتَمَلَّلُ الْمَذْبُوحُ
وَأَهْمُكُمْ أَذَى الْأُمُورِ وَفَاتِكُمْ نَظَرٌ إِلَى الْأَمْرِ الْقَصِيِّ طَمُوحُ
كَمْ فِي الْحَوَادِثِ مِنْ نَذِيرٍ قَدْ أَتَى فِيكُمْ بِأَسْرَارِ الزَّمَانِ يَبُوحُ
أَمَّا الْخَرِيقَانِ اللَّذَانِ تَقَدَّمَا فَكَلَامُهُمَا شِقٌّ لَكُمْ وَسَطِيحُ (٤)
قَدْ أَنْذَرَاكُمْ بِالْخُرَابِ وَأَنْبَأَا أَنَّ التَّرَاخِيَّ فِي الْأُمُورِ قَبِيحُ
عَجَبِي إِلَى تِلْكَ الْمَصَائِبِ كَيْفَ قَدْ نُسِيتَ وَلَمْ تَبْرَأْ لَهْنُ جُرُوحِ
سَرَّعَانِ مَا تَنْسَوْنَ عُظْمَ مُصَابِكُمْ وَلَوْ أَنَّ شَقَّةَ مَنَتهَاهُ طَرُوحُ (٥)
لَا تَسْتَنِيمُوا لِلزَّمَانِ فَأَخَذَهُ خَلْسٌ وَقُوسُ الْحَادِثَاتِ ضَرُوحُ (٦)

(١) بجون دخانه : أى بدخانه الأسود . وقوله سفعة : أى لون أسود مشرب بحمرة .
وكلوح : أى عبوس واكفهرار .

(٢) عتادها أى عدتها . وتبرج : أى جهد وأذى شديد .

(٣) بالسن ذرب ، بضم فسكون : يقال لسان ذرب ، على وزن طرب : أى حديد .

(٤) شق بدون أل : علم لكاهن من كهان العرب ، كان فى أيام سطيح ، وسطيح : لقب لكاهن اليمن المشهور ، واسمه ربيع الدئى .

(٥) شقته منتهاه : أى مسافة منتهاه . وطروح : بعيدة .

(٦) قوس ضروح : أى شديدة الدفع والحفز للسهم .

ديوان الرضائي

الجزء الثاني

أتم شرحه وصححه

مطفى السقا

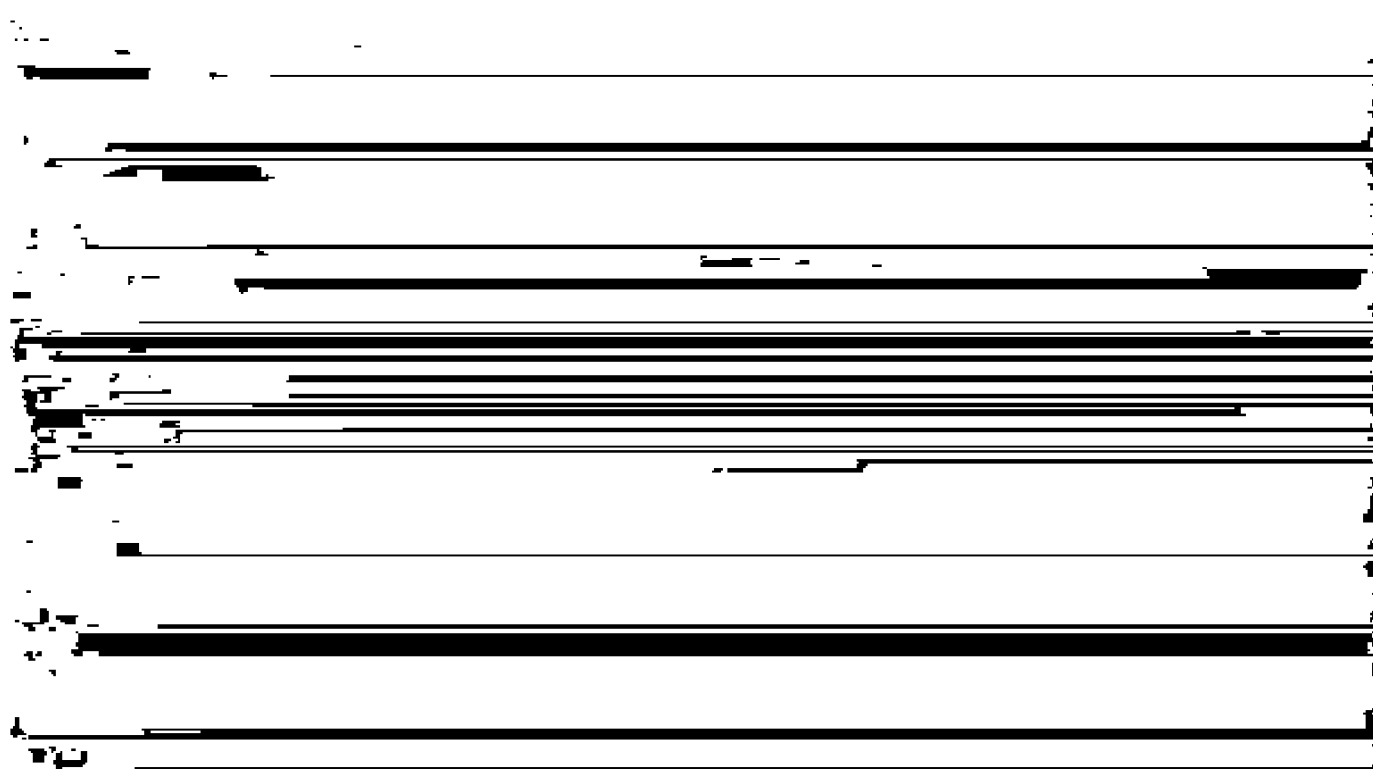
الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الرابعة

بها قصائد لم تنشر من قبل

١٣٧٣ = ١٩٥٣

مكتبة الطبع والنشر
دار الفكر العربي





الغبرة فما هي إلا خبوة ترقى بها.....

واصد ديقاه

فالها وهو في الآستانة ، عندما ما بلغه منعى
صديقه الشيخ محيى الدين الحياط في بيروت .

لأزدادَ إِلَّا حَيْرَةً فِي تَفَكُّرِي إِلَيْهَا بِلَحْظِ الطَّارِقِ الْمُنَوَّرِ^(١) وَلَا أَتَهَيَّ مِنْ أَمْرِهَا لِمُؤَخَّرِ رَجَعْتُ رَجُوعَ النَّاكِصِ الْمُتَهَقِّرِ أَمَّا فِي بَنَى الدُّنْيَا لَهَا مِنْ مُعَبِّرِ لَعِينِي مِنْهَا وَجْهَ ذَلِكَ الْمُؤَثِّرِ^(٢) تَوَقَّدَ فِي مُسْتَنٍّ هُوَ جَاءَ صَرَصَرِ^(٣) أَتَتْهُ كَقِطْعِ اللَّيْلِ هَبْوَةٌ مُعَصِّرِ^(٤) إِلَى ظِلْمَاتٍ صَبَحَهَا غَيْرُ مُسْفِرِ فَأُطْلِمَ مِنْهُ نَيْرًا أَيْ نَيْرِ قَضَى فِيكَ مَحْيَى الدِّينِ مِنْ مُتَصَبِّرِ وَعُرَّ التَّوَافِي وَالْكَلَامِ الْحَبَّرِ كَرِيمِ سَجَايَا النَّفْسِ عَفَّ الْمَوْزَرِ فَمَا ضَرَّهُ أَنْ مَاتَ غَيْرَ مُعَمَّرِ لَدَى النَّاسِ مِنْ بَادٍ وَمِنْ مُتَحَضَّرِ لَدَى نَعْيِهِ أَهْوَى إِلَى مُخْنَجَرِ	تَفَكَّرْتُ فِي كُنْهِ الْحَيَاةِ فَلَمْ أَكُنْ وَكَمْ بَتُّ فِيهَا أَخْبِطَ اللَّيْلِ رَامِيَا فَلَا أَهْتَدَى مِنْ أَمْرِهَا لِمُقَدَّمِ عَلَى أَنِّي مِمَّا تَقَدَّمْتُ نَحْوَهَا وَهَبَّهَا كَمَا قَدْ قِيلَ أَحْلَامُ نَائِمِ تَأَمَّلْتُ آثَارَ الْحَيَاةِ فَلَمْ يَدُلَّ سِوَى أَنِّي آنَسْتُ شَعْلَةَ قَابِسِ فَبَيْنَا سَنَاهَا يُبْهِجُ الْعَيْنَ لَامِعَا فَمَا هِيَ إِلَّا خَبْوَةٌ تَرْمِي بِهَا كَذَلِكَ مَحْيَى الدِّينِ إِذَا غَالَهُ الرَّدَى عَلَيْكَ الْعَفَا بِيْرُوتُ هَلْ لَكَ بَعْدَهَا فَتَّى كَانَ رُكْنًا فِيكَ لِلْعِلْمِ وَالْحِجَا فَقَدَدْنَا بِهِ صَلَّتَ الْجَبِينِ مَهْدَا لَقَدْ عَاشَ شَيْخًا فِي الْعُلُومِ مُقَدَّمَا وَمَا مَاتَ مِنْ أَبْقَى طَيِّبِ الثَّنَا نَعَاهُ لِي النَّاعَى فَكَانَ كَأَنَّهُ
--	---

(١) خبط الليل : سار فيه على غير هدى . والطارق : الآتى ليلا . والمنور : الذى يمد بصره
لعله يرى نورا بالليل .

(٢) القابس : طالب النار . والمستن : الطريق الواضح . والهوجاء : الريح العاصفة التى لا تستوى
في هبوطها . والصرصر : الشديد البرد ، أو الشديد المهبوب .

(٣) الهبوة : الغبار تثيره في الجو الريح الشديدة . والمعصر : الريح ذات الأعاصير .

ولو لم يكن شدى الحيازيم دونه خاليتي عوجا بنى على قبر ماجد
 خربت كما خرت الصريع لمنخر (١)
 بيروت يحوى كل فضل ومفخر
 قفا نحتقر دمع العيون تحلة
 لمن فيه من ذاك الجليل الموقر
 ونسقيه غيث الدمع من كل محجر (٢)
 عسانا بذا نقضى له بعض حقه
 وإن حل أن يقضى بدمع محقر

في الملكوت الأعلى

فالها وهو فى الآستانة يرثى بها محمود شوكت باشا
 الصدر الأعظم ، الذى قتله أناس من حزب الخائفين .
 لقد بت مطروف النواظر بالشهد
 ثقلبنى فوق الفراش يد الوجد
 تساورنى رقصاء من لاعج الجوى
 ويقدح فى قلبى الأسى وارى الزند
 فأرقب تغوير النجوم بمقلة
 ترقق فيها الدمع منفراط العقد
 أقول وفرع الليل أسحج والأسى
 يدب ديب السّم فى العظم والجلد (٣)
 متى يسفر الصبح الذى أنا راقب
 أليس قميص الليل عنه بمنقذ
 إلى أن رأيت الفجر قد لاح خيطه
 كما أصلت السيف الجراز من الغمد (٤)
 فما أنا إلا غفوة خيالة
 لدى العالم العلوى فى ربوة الخلد

رأيت كأنى قتت حول سراق
 من النور مرفوع الدعائم ممتد
 أقاموا لواء الحمد فوق عماده
 وخطوا على حافاته سورة الرعد
 وقد أشرقت ملء السموات حوله
 قناديل خضر تستنير بلا وقد
 وقد لاح لى محمود شوكت جالسا
 به فوق كرسي الجلالة والمجد

(١) الحيازيم : جمع حيزوم ، وهو وسط الصدر . والمنخر : الأنف .

(٢) اللجود : المدفون ، أى الميت وبحجر العين : العظم المائر بها .

(٣) الفرع : الشعر . والأسحج : الأسود . وصف الليل بالسواد ، فأتى له بالشعر لسواده

(٤) الجراز السيف المقطاع .

وفي يده سيفٌ أجيدٌ صقاله
وفي الرأس تاجٌ بالثناء مرصع
وقد جملته بردةٌ سندسية
وبين يديه زُمرَةٌ من ملائِك
تهنئته بالفوز طوراً وتارة
وقد قام من حول السراشق موكب
على أنه من صنعة الله لا الهند
فويق جبين مشرق بسنا الحد
ومن تحتها درع إلهية السرد
مجنحة الأيدي غرائقة مُرد^(١)
تحيمه بالنص الطرى من الورد
عظيم به اصطفت ألوف من الجند

* * *

فلما رآني واقفاً بحيالهِ
أشار أن أقرب يارُصافي مالنا
فجئت وجسمي قد تغشته رجفة
فقممت لدهي وانحنيت أمامه
فقال لقد آنست إذ جئت إنا
ولا ترتجف هوّن عليك فإتما
فأبلغ تحيأتي إلى الوطن الذي
وقل لبنيه إني لست حاقداً
وإني لما أن تمثت قائماً
طلبت لهم عفواً من الله سابغاً
ويا رب إني قد قصدتُ نجاحهم
وإني لأرجو منك مرّجة لهم
فإني أرى موتي بخدمة أمتي
ألا فاهدم يارب للمجد والعلی

وقد كنت بين الجند معتزلاً وحدي
نراك وحيداً قد وقفت على بُعد
كما يرجف المقرور من شدة البرد
فقبّلت بالتعظيم حاشية البرد
عهدناك في زورانا مخلص الود
نزلت قرين الأمن في منزل السعد
سعيتُ إلى إعلائه باذلاً جهدي
عليهم فثلي لا يميل إلى الخقد
بديوان ذي العرش الذي جلّ عن ندي
وقلت له يارب لا تخزهم بعدى
فحقق لهم يارب ما كان من قصدي
وإن قتلوني ظالمين على عمد
حياةً به طعم الشهادة كالشهد
فما من مُضل في الأنام لمن تهدي

(١) القرائقه : جم غريق ، وهو الشاب الأبيض الجميل .

وقال أتدرى من همُّ الجند إنهم
 من استشهدوا في حرب أعدائنا اللدِّ
 ألم ترهم دامين حتى كأنما تسربل كلُّ لبدة الأسد الورْد^(١)
 فسوف بحول الله أرأب صدعهم
 وأغزو العدا فيهم على الضمر الجرد^(٢)

* * *

وأذن في الخيِّ المؤذن غُدوةً فأيقظني التكبيرُ من سِنَّة الرِّقْدِ
 فقمْتُ وبى من خشية الله رعدة
 وأحسست من رؤياى برِّداً على كبدى
 وأصبحت لم أملك بوادرَ عبْرَةٍ تخطَّ سطور الدمع في صفحة الخلد
 سابكى وأستبكي الجيوش على فتى
 فقدناه فقد الغيث في الزمن الصلْد^(٣)
 فتى كان في أفق الوزارة كوكبا
 به في دجى الخطب الخلافة تستهدى
 وقد كان في وجه الخطوب تبسُّماً إذا عبست يوماً بأوجهها الرُّبْد^(٤)
 وما مات محمودُ الخصال وإنما تنقل من هذا الفناء إلى الخلد
 لمن غُيِّب عنا مَرائيه في الثرى فما غُيِّب عنا معاليه في اللحد
 وما هو إلاَّ السيف قد كان مُصَلَّتاً

على الدهر وهو اليوم قد قرَّ في الغمد
 سبقت له الذكر الجميل مؤبداً تمرُّ به الأيام حالية الأيدى

(١) الورْد : الأحمر من الأسود ، وهو شجاع جريء .

(٢) رأب الصدع : أصلحه . والضمر : الخيل اللطيفة الجسم ، الهضبة البطن . والجرد : القليلة الشعر

(٣) الصلْد : الصلب الأملس ، أو الأرض التي لا تنبت شيئاً ، ويعنى به الزمن الشديد .

(٤) الربْد : جمع أربد ، وهو المغير اللون .

والحمد لله

قلت في رثاء محمد فوزى باشا العظم وكان موته فجأة .

أَيُّ خَطْبٍ دَهَا رُبُوعَ الشَّامِ يَوْمَ أَمَسْتُ تَبْكِي بِطَرْفِ دَامٍ
وَبَائِيَّ الْأَمَى رَمَتْهَا اللَّيَالِي فَكَتَسْتُ لِلْحِدَادِ ثُوبَ ظِلَامِ
إِنْ تَكُنْ أَفْجَعْتُ بِشَهْمِ بَنِي الْعَظَمِ فَأَعْظِمِ بِخَطْبِهَا الْمَتْرَامِ
ذَلِكَ الْمَاجِدُ الَّذِي أَدْرَكَ الْجُودَ بِأَيْدٍ إِلَى الْعِلَاءِ سَوَامِ
سَلِّ دِمَشْقًا تَجْبُكُ عَنْ شَيْمٍ فِيهِ تَعَالَتْ عَنْ أَنْ تَزْنَ بِدَامِ^(١)
قَدْ بَكَتْهُ شَجَوًا بِسَهْمِ عَيُونٍ فِي رَبَاهَا تَجُودُ بِالتَّسْجَامِ
وَرَثَتْهُ بِاللَّسَنِ مِنْ مَحَالِيهِ حَدَادٍ تَقُلُّ حَدَّ الْحَسَامِ
فَقُلْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ خَيْرَ نَدَبٍ ذَائِدٍ عَنْ حِيَاظِهَا وَمُحَامِ^(٢)
وَعَدْتُ تَشْتَكِي إِلَى بَرَدَاهَا مِنْ أَحَرِّ الْأَسَى أَحَرَّ الْأَوَامِ^(٣)
لَهَفَ نَفْسِي عَلَيْهِ سَاعَةً أَوْدَى مِنْ كَرِيمٍ غَمَّرَ الرِّدَاءُ نُهَامِ
إِنْ قَلْبِي قَدْ اسْتَطِيرَ بِمَنْعَا هِ اخْتِطَافَا بِمَنْسِرِ الْآلَامِ
فَكَاَنَّ النَّاعِي لَدَى النَّعَى أَهْوَى نَحْوِ قَلْبِي بِمَرْهَفِ صُمَامِ
قَدْ فَقَدْنَا مِنْهُ خَلَائِقَ تَحْكِي زَهْرَ الرُّوْضِ غِيبَ صَوْبِ الْغَمَامِ^(٤)
يَا أَبَا خَالِدٍ وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ مَعْدَّةٍ لِمَقَامِ
إِنْ تَكُنْ هَالِكًا فَكَمْ لَكَ ذِكْرٌ فِي الْعُلَى خَالِدٌ مَدَى الْأَيَّامِ
خَطَفَتْ عَمْرَكَ الْمُنُونُ اخْتِلَاسًا كَاخْتِلَاسِ الْمَنَى يَدُ الْأَوْهَامِ
فَكِدَانُ الْمُنُونِ خَافَتْ عَلَى تِلْكَ الْمَعَالَى ذُبُولَهَا بِالسَّقَامِ
فَلَيْذَا أَحْرَزْتَكَ غَضًّا طَرِيًّا وَكَذَا كَمْ يَكُونُ مَوْتُ الْكَرَامِ
فَسَقَى اللَّهُ تَرْبَةً أَنْتَ فِيهَا ثُوبَ وَطْفَاءٍ مِنْ غَوَادٍ هَوَامِ

(١) تزن بشيء : تنهم به ، والدام : العيب . (٢) الندب : السرب إلى الفضائل .
(٣) بردي : نهر بدمشق . والأوام : العطش . (٤) غيب : يهد ، وإثر . والصوب : المطر .
(٥) الوطفاء : السجاية المسترخية لكثرة ماها . والغوادي : جمع غادية وهي السجاية تنشأ
غدوة . والهواي : جمع هامية ، وهي المطرة .

واسـيخاه !

أزمتَ عنا إلى مولاك ترحالاً لما رأيتَ مُناخَ القوم أوحالاً
 رأينا في ظلام ليس يعتبه صبح فُشِرت للترحال أذيالاً
 كرهتَ طول مُقام بين أظهورنا بحيث تبصرنا للحق خُذالاً
 ولم ترق نفسك الدنيا ونحن بها لسنا نؤكد بالأفعال أقوالاً
 وكيف تحلو لدى علم إقامته في معشرٍ صحبوا الأيام جبالاً
 لذلك كنتَ اعتزت القوم منفرداً حتى أقاربك الأذنين والآلا
 وما ركنتَ إلى الدنيا وزُخرفها ولا أردتَ بها جاها ولا مالا
 لكن سلكتَ طريق العلم مجتهداً تهدي به من جميع الناس ضلالاً
 (محمود شكري) فقدنا منك خبر هُدى

للمشكلات بحسن الرأي حللاً
 قد كنتَ للعلم في أوطاننا جبلاً إذا تُقسَّم فيها كان أجبلاً
 ومجرَّ علم إذا جاشت غواربه نقاذف الدر في لُجَّيه مُنبهلاً
 يا من بشوأل قد شالت نعمته نغصت بالحزن شهر العيد شوالاً^(١)
 أعظم برزئك في الأيام من حدَث هزت على به الأيام عسلاً^(٢)
 أمست لروعته الأبصار شاخصه أمّا القلوب فقد أجفان إجمالاً
 طاشت حصاة العلاء لما نُعيت لها وكل ميزان علم بالأسى شالاً
 إذا نُعيك وافي (مصر) منتشراً جثا (أبوالهول) يشكو منه أهوالاً
 وإن أتى البيت (بيت الله) رُجَّ به

وأوجس (الركن) من منعاك زلزالاً
 أما (العراق) فأمسى (الرافدان به)
 سطرين للدمع في خديه قد سالاً

(١) شالت نعمته : مات .

(٢) العسال : الريح المهتز لينا .

بكى الورى منك حَبْرًا لا مثيل له
 بكوك حتى قد احمرت مدامعهم
 ولو لفظنا لك الأرواح من كمدٍ
 ولا نخصّص في رزء بتعزية
 فإن رزءك عمّ الناس قاطبة
 شكر الأعلامك اللاتى كشفت بها
 كتب في العلم أسفاراً سيدرسها
 أمددتها بمداد ليس يعقبه
 وكنت أنت نطاسى العلوم بها
 يا مطلقاً في سماء الفكر أنجمه
 لو أننى بلغت زهر النجوم يدي
 ما غرّ من بعد ما خلدت من كتب
 إذا ذكرناك يوماً في محافلنا
 إنى أخف لدى ذكرك مضطرباً
 لأشكرناك (يا شكرى) مدى عمرى
 فأنت أنت الذى لفتنى حكماً
 أوجرتنى من فنون العلم أدوية
 فصحّ عقلى وقبلاً كنت مُشْتَكِيّاً
 أنا المقصر عن نعمائك أشكرها
 فاعفر عليك سلام الله ما طلعت

أقواله ضربت في العلم أمثالا
 كأنهم نضحوا فيهنّ جريالاً
 لم تقص من حقل المفروض مثقالاً
 إلا علوما أضاعت منك مفضالاً
 يا أكرم الناس أعمالاً وأحوالاً
 عن أوجه العلم أستارا وأسداً
 أهل البسيطة أجيالاً فأجبالاً
 دمع الأنام وإن يبكرك أحوالاً
 وكنّ في سبرجرح الجهل أميالاً^(١)
 تهدى إلى العلم رُحالاً وقُفّالاً
 نحتها لك بعد الموت تمثالاً
 ألا نرى لك بين الناس أنجالاً
 قنا لذكراك تعظيماً وإجلالاً
 وإن حملت من الأحران أثقالاً
 وأبكينك أبكاراً وآصالاً
 بها اكتسبت من الآداب سربالاً
 شفت من الجبل داء كان قفّالاً^(٢)
 من علة الجبل أوجاعاً وأوجالاً
 ولو ملأت عليك الدهر إعوالاً
 شمس وما ضاء بدر الليل أولالاً

(١) أوجرتنى : سقبتنى .

(٢) الأميال : جمع ميل ، بكسر الميم ، وهو عويد صغير من زجاج يسبر به عمق الجرح .

في موقف الأسمى

لمن تركت فنون العلم والأدب أما خشيت عليها من يد العطب
تلك المدارس قد أوحشتها فعدت خلوا من الدرس والطلاب والكتب
ما إن تركت لها في العلم من وطير ولا لمنتابها في الدرس من أرب
إن (الألوسى) محمودا عرته لدن لا قالك (محمود شكري) خفة الطرب
فاهتز لابن أب في قبره وغدا يبدى الحفاوة خيرا بن خير أب
بحرين في العلم عجّاجين قد ثويا فانصب مضطرب في جنب مضطرب
من فخر أزماننا في العلم أنهما علّامتا هذه الأزمان والحقب
عليك (شكري) غدت شكري مدامعنا

تكفيك أدمعها السّقى من السحب

ما كنت فخر (الألوسيين) وحدهم

بل كل من ساد من صيابة العرب^(١)

ولا رزأت النهى والعلم وحدهما بل قد رزأت صميم المجد والحسب
ولم يخص الأسي دارا نعت بها بل عمّ مبتعدا من بعد مقترب
من العراق ، إلى نجد ، إلى يمن

إلى الحجاز ، إلى مصر ، إلى حلب ،

لقد ترحلت في يوم بنا انقلبت حوادث الدهر فيه شرّ منقلب
حتى تقدم ما في القوم من ذنب فصار رأسا وصار الرأس في الذنب
وبات يحسو الطلا بالكأس من ذهب

من كان يشرب رنق الماء بالعُلب^(٢)

(١) صيابة القوم : لبابهم وخيارهم .

(٢) الطلا : الخمر . ورنق الماء : الماء الكدر .

فأذهب نجوتَ رعاك الله من زمن من عاش فيه دعا بانويل والحرب
تستثقل الصدق فيه أذن سامعه وتطرب القوم فيه رنة الكذب

والخير قد ضاع حتى إن طالبه

لم يلق منه سوى المسطور في الكتب
أما الرجال فنار الشر موقدة
فيهم وهم بين نفاق ومحتطب
لكن تراوغ بين الجد والعب
تلقى القوارص فيها ذات مضطخب
ما شد منها بهم عن خطة الأدب
كأنما الشتم مدعاة إلى الطرب
كما استلذ بحك الجلد ذو جرب
كأنهم غير مخلوقين من عصب
كأنما القوم منجورون من خشب
يذرّفن منسكبا في إثر منسكب
وأى نفس لداعى الموت لم تجب
من فاته السيف منهم مات بالوصب

هذى جيوش الردى في الناس زاحفة

لكنهنّ بلا نقع ولا لجب
بين الدواء وبين الداء معترك
والناس فيه عتاد للحمام فلا
وإن للموت أسبابا يسببها
لا يخلق الله مخلوقا يحول به
ولا يميت بلا داء ولا سقم

وليس ذلك من عجز بخالقنا عن أن يَرْجَّ بنا في قبضة الشَّجَب (١)
لكنَّه جعل الدنيا مسبَّبة لكل أمرٍ بها لا بد من سبب

* * *

يا من إذا ما ذكرناه تقوم له على الأخامص أو نجتو على الركب (٢)
لقد تركت يتيم العلم منتحبا والكتب راثية منه لمنَّحِب
إن كنت في هذه الدنيا لمتقطعا إليه عن كل موروث ومكتسب
أعرضت عنها مُشِيحا غير ملتفت إلى المناصب فيها أو إلى الرتب
أولعت بالعلم تنميه وتجمعه منذ الشباب وما أولعت بالنشَب (٣)
فعمشت دهرًا حليف العلم تنصره حتى قضيت فقيد العلم والأدب

ذكرى الرجال من حياة الإئتم

أراد شبان فلسطين أو يقيموا حفلة تأبين لروحي بك الخالدي ، وكان
الرصافي إذ ذاك في القدس ، فطلب إليه أحد أصدقائه ، وهو عادل أفندي
جبر ، أن يفتدئهم في الحفلة المذكورة ما يناسب المقام ، فقال هذه القصيدة :

لعمرك لو كانت حديدا جسومنا لأبْلَتْهُ من كَرِّ اليبالي مَبَارِدُ
فكيف ولسنا بالحديد وإنما جوارحنا هذى الدماء الجواسِد (٤)
إذا ما افتكرنا بالحياة وأصلها وغايتها هانت علينا الشدائد
وماذا عسى يُجدي التوجع والأسى من الموت إذ كلُّه على الموت وارد
نُعِين منايانا علينا بحزننا فيقرب من آجالنا المتباعد
وليس برزء أن نرى المرء هالكا إذا حييت بالذكر منه المحامد
بل الرزء كل الرزء أن يذهب الفتي وليس له من بعده الدهر حامد

(١) الشَّجَب : الهلاك .

(٢) الأخامص : جمع أخمص ، وهو ما لا يصيب الأرض من باطن القدم .

(٣) النشَب : العقار ، أو المال الآصيل .

(٤) الجواسد : الدماء اليابسة .

وَيُدْفَنُ فِي التُّرْبِ اسْمُهُ دَفْنَ جَسَمِهِ
وَمَنْ تَقَنُّ بَعْدَ الْمَوْتِ آثَارُ مَجْدِهِ
فَتَى أَغْدَتَ مِنْهُ الْمُنُونُ مَهْنَدًا
يُعَدُّ بِأَلْفٍ مِنْ رِجَالِ زَمَانِهِ
لَقَدْ بَقِيَتْ لِلخَالِدِيِّينَ بَعْدَهُ
وَكَمْ حَبَّرَتْ أَقْلَامُهُ مِنْ صَحَائِفِ
نَمَاهُ إِلَى الْمَجْدِ الصُّرَاحِ مُتَمِّمًا

دَعَانَا ابْنُ جَبْرِ أَنْ نُلَمَّ بِذِكْرِهِ
فَقَمْنَا لَذِكْرِي مَجْدَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَنَسْتَشْهَدُ الدُّنْيَا عَلَى حَسَنَاتِهِ
وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أَحْظَ مِنْهُ بِرُؤْيَا
أَلَا يَا ابْنَ جَبْرٍ أَنْتَ أَيْقَظْتَ لِلْعَلِيِّ
فَقُلْتَ اذْكُرُوا يَا قَوْمَ فَضْلَ رِجَالِكُمْ

فِي ذِكْرِ فَضْلِ الْغَابِرِينَ فَوَائِدُ
لِيَنْشَطُ كَسْلَانُ وَيَنْهَضُ قَاعِدُ
تَمَائِيلُ فِي كُلِّ الْبِلَادِ أَوَابِدُ^(٢)
فَأَنْتَ لَنَا فِي نَهْضَةِ الْعِلْمِ قَائِدُ
بِهَا حَسُنْتَ لِلْقَوْمِ مِنْكَ الْمَقَاصِدُ
فَجَاهَدْتَ فِي إِنْهَاضِ قَوْمِكَ جَاهِدُ
وَهَلْ يَذْكُرُ الْأَعْجَادُ إِلَّا الْأَمَاجِدُ
وَفَعَلْتَ مُحَمَّدٌ وَسِيرُكَ رَاشِدُ
وَسِيرُوا عَلَى آثَارِهِمْ وَاهْتَفُوا بِهَا
فَفِي الْغَرْبِ أَمْوَاتُ أُقِيمَتْ لَذِكْرِهِمْ
أَعَادِلُ قَدْ أَنْهَضْتَ لِلْعِلْمِ جُثْمًا
أَقَمْتَ لَذِكْرِي الْخَالِدِيَّ مَقَامَةً
وَجَاهَدْتَ فِي إِنْهَاضِ حَيٍّ بِمَيِّتٍ
ذَكَرْتَ مَزَايَاهُ وَذَكَرْتَنَا بِهِ
فَسَعِيكَ مَشْكُورٌ وَرَأْيُكَ صَائِبُ

(١) الفراق: يقصد بها الفرقة ، وهو نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به .

(٢) الأوابد : الغرائب التي لا مثيل لها .

ذكرى الشيخ الخالصى

أشهدهما في الحفلة التأييدية التي أقامها نادى الإصلاح في بغداد عند منعى الشيخ محمد مهدي الخالصى أحد علماء الجعفرية بمد ما أخرجته الحكومة العراقية إلى إيران .

أُدْهَقَ الدهرُ بالمنية كآسَه من قديمٍ وطافَ يسقى أناسَه^(١)
 كيف يُرجى طولُ البقاءِ حتى جعل الله عمرَه أنفاسَه
 تعست هذه الحياة وإن كا نت لعمرى خلافة حساسَه
 قصرتُها يدُ الحوادثِ لكن قد أطالت بها على الحى بآسَه
 غيرَ أنَّ السعيد من بان عنها وهو مستغرَّبٌ بها أغراسَه
 والذي عاش مؤنسا وحشة النا س مُمِدًّا بفضله إيناسَه
 مثل ذاك الشيخ الذى مُدَّ فَقَدْنَا هُ فَقَدْنَا به النُّهى والكياسَه
 نَعِيَ الخالصى فارتجت الأنفـس حزنًا مضرِّجًا بحماسَه
 هو ذاك (المهدى) أحرز سبقا حين أجزى إلى الهدى أفراسَه
 هو ذاك الحَبْر الذى كان للشر ع مقيا دليـله وقياسَه
 كان فى الدين آية الله أفنى العمـر فيه رِعايةً وحراسَه
 أفق العلم قد بدا مكفهرًا عند ما أطفأ الردى نبراسَه
 إن بكاه الدينُ الحنقى شجوا فَلِأَن كان ركنه وأساسَه
 كان رِداءً للحق مرتدى التـقوى فكانت طول الحياة لباسَه^(٢)
 ولقد كان فى العلوم إمامًا حيث فيها انتهت إليه الرياسَه

أنا أبكى عليه من جهة العلم—م وأغضى عن خوضه فى السياسة
 لا لِأَنى أراه فيها ملومًا بل لِأَنى أعيب فعل الساسَه

(٢) الردء : المناصر والعون .

(١) أدهق الكأس : ملاًها .

ليس في هذه الهنات السياسيات إلا ما ينجلي عن خُصَّاسه
 قد أبت هذه السياسة إلا أن تكون الغشاشة الدسَّاسه
 وأبت أن تصافح الناس إلا بيدٍ من خديعةٍ فَرَّاسه
 كلما مسَّت الأمور بكفٍّ لوثتها بما بها من نجاسه
 إن في هذه السياسة سهما جعل الله باطلاً قرطاسه
 ما تعاطى غير الخداع « غلادستون » فيها كلاً ولا « ديلكاسه »
 إن أحسَّت بقوةٍ من خصيم كانت الظبي لم يُزايِل كُنَّاسه^(١)
 وهي إن آنت من الخصم ضعفاً كانت الليث مُبرِزاً أضرَّاسه
 لو أردنا إفاضةً في هجاها لكتبنا لكم به كُرَّاسه
 فلهذا أجِلُّ عنها رجلاً شغلَّتْهم علومهم بالدراسه

رحم الله شيخنا إنه كما ن بعيدا عما تريد السياسة
 ليت تلك العلوم قد شغلته عن أمور لا تُشترى بنُحاسه
 أنتجت بعده فأوحش أرضاً في العراقين عودت إيناسه
 فقضى بعد نأيه عن أناسٍ طلبوا علمه وراموا اقتباسه

أيها القوم إنَّ هذا رأيي في فقيد لم تشهدوا إرماسه^(٢)
 فإذا كنت قد أصبت وإلا فانبذوا ما أقوله في الكُنَّاسه
 لستُ بالشاعر الذي يُرسل اللفظَ جُزافاً لكي يصيب جنَّاسه
 أنا لا أبتغي من اللفظ إلا ما جرى في سهولة وسلاسه
 إنما غاييتي من الشعر معني واضحٌ يأمن اللبيبُ التباسه

(١) الخصيم : الخصم . وكناس الظبي : بيته في أصل شجرة ونحوها .

(٢) الإرماس : الدفن .

على ضريح النائب

هي دنيا بقاءها مستحيل فاقف عند حده التأمل
 ليس يعني فيها عن المرء شيئاً شرف باذخ ومجد أثيل
 إنما الراحة المرجاة فيها تعب والهدى بها تضليل
 كل شيء في أهلها مستعار من سواه وكل حال تحول^(١)
 ليس ما قد جنى علينا بها الإفـ قمار أدهى مما جنى التمويل^(٢)
 رتلت ألسن اللذائذ أي العيش فيها فغرنا الترتيل
 فرجونا طول البقاء وإن كنا علمنا بأننا سنزول
 وطلبنا تعالاةً لنفوس ليس يشفى غليلها التعليل
 قد قتلت الحياة خبراً ولكن أنا منها بحيرتي مقتول
 كل ما قيل في الحياة ظنون جرّها في افتكارنا التخيل
 قد وهمنا في البدء منها وأما منتهاها فسيرة مسدول
 إن يك العقل في دجى الشك نجماً فخفى مثل الشها وضئيل^(٣)
 وبك إن المعقول ما صحّ عندي فتي صحّ عندك المنقول
 كلنا خابطون في ظلمات حائر بائر بهنّ الدليل
 إن حب الحياة أوهم أن الـ موت نوم تحت الثرى لا يطول
 إنما هذه الجسوم مبانٍ قد بناها من الزمان عمول^(٤)
 نزلتها الأرواح حيناً فأضحت عامرات ما دام فيها النزول
 ثم لا بد أن ترحل عنها فيسمى بالموت ذاك الرحيل

(١) تحول : تنغير من حال إلى حال .

(٢) التمويل : الغنى ، وصيرورة المرء ذا مال .

(٣) السهام : كوكب خفى من بنات نعل الصغرى .

(٤) العمول : المطبوع على العمل .

إنما هذه الجُسوم رُسوم موحشات بعد الردى وطُلول
 ما بسِطَ اللَّوى مَثَنٌ ولكن بسقوط البلى هُنَّ مَثُولٌ^(١)
 ليس يسلى الفقى عن الموت إلا خَلَفَ صالح وذكر جهيل
 مثلاً مات شيخنا «النائب» الحَبْرُ فسات من الدموع سيول
 إن عبد الوهاب عاش جليلٌ أَلْقَدَرُ فرداً ومات وهو جليل
 وقضى عادم المَثِيل فأمسى ما لَمَنَعاه فى الخطوب مَثِيل
 حادث أظلمت به الأرض واستو حش منها حَزُونُها والسَهول^(٢)
 إن أَسِينَا أَسَى عليه كثيراً فكثير الأَمسى عليه قليل
 كان فحل الفحول علماً وفضلاً فلهذا بكت عليه الفحول
 كيف لا تجزع العلوم لَمَنَعَى رجل باعَه بهنَّ طويل
 قد بكته مدارس عامرات هو فيها المدرس المسئول
 وبكاه الكتاب ذو الذكر شجوا وعلوم إلى الكتاب تَسْئُولُ
 وبكته آىَّ به محكماتٌ وبكاه التفسير والتأويل
 وبكته أرامـلٌ ویتامى جُدَّ عنها بموته التنويل
 إن يكن أغمد الردى منه فى القبر حُساما فذكره مساوِلُ
 أو رمى حدَّه الردى بقُلولٍ فَعَالِيه ما بهنَّ فلول^(٣)
 أو خلت منه دُوره موحشاتٍ فَذَرَاهَا بفضله مأهول^(٤)
 كيف لا هؤلاء أبناؤه الغـرُّ شهود بما أقول عدول
 كلهم فى العلاء مثل أبيه حسن الخلق فاضل بهلول^(٥)
 هل تطيب الفروع فى الناس إلا حيث طابت فيهم هنَّ أصول

(١) سقط اللوى : موضع ، ويشير هنا إلى بيت امرئ القيس الذى ذكر فيه هذا الموضع .

(٢) الحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع .

(٣) القلول : جمع قل ، وهو الثلعة فى الحد . (٤) يقال فلان فى ذرى فلان : أى فى ظله

(٥) البهلول : السيد الجامع لكل خير .

عِذْرَةٌ يَا أَبَا الْحُسَيْنِ بِمَاذَا نِصْفَ الرُّزْءِ وَهُوَ رِزْوٌ جَلِيلٌ^(١)
وَإِذَا طَاشَتْ الْحُلُومُ بِيَوْمٍ فِيهِ فَارَقْتَنَا فَمَاذَا تَقُولُ
أَخْرِسَ الشَّعْرُ يَوْمَ مَنَعَاكَ لَكِنْ نَابَ عَنْهُ تَأَوُّهُ وَعَوِيلُ
وَإِذَا أَسَكَّتِ الْقَاوِيلَ حُزْنَ تَرَجَّتْ عَنْهُمْ دُمُوعُ تَسِيلُ
فَصَانَتْكَ الْمَنُونُ عَنَّا وَلَكِنْ أَنْتَ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَا مُوصُولُ
لَاكَ فِي الْعِلْمِ رَتَبَةٌ لَنْ تُسَامَى فَاخْلُ الْقَنُومَ عِنْدَهَا مَفْضُولُ
وَحَيًّا صَلَّتْ الْجَبِينُ طَلِيقُ يَتَلَا كَأَنَّهُ قَنَدِيلُ
وَيَدٌ يَجْمَعُ الشِّفَاءَ عَلَيْهَا كَلَّمَ قَدْ مَدَدَتْهَا التَّقْصِيلُ
إِنَّمَا قَدْ ذَكَرْتُ بَعْضَ مَزَايِكُ وَإِلَّا فَشَرَحْنَهُ يَطْوُلُ
وَإِذَا الْقَوْلُ لَمْ يَقْدَمْ اختصار لَمْ يَقْدَمْ الإِطْنَابُ وَالتَّفْصِيلُ

دموع الصداقة

أُنشِدْتُ فِي الْمَأْتَمِ الَّذِي أَقِيمُ فِي بَغْدَادِ الْمَرْحُومِ عَبْدِ الْمَجِيدِ بَكِ الشَّامِيِّ
عَبْدُ الْمَجِيدِ قَضَى قَوًّا أَسْفَا مَاذَا يُفِيدُ تَأَسَّفِي جَزَعًا
قُمْ وَبَيْتُكَ نَبِيكَ الْجَدِّ وَالشَّرَفَا وَنَعَزَّ طَرْفَ الْعَيْنِ مَا دُمَعَا
فَلَقَدْ فَقَدْنَا سَيِّدَ الظُّرْفَا وَأَجَلَ سَاعِ الْعِلَاءِ سَعَى
لَمْ يَتَّخِذْ غَيْرَ الْعَلَا هَدَفَا عَنْ قَوْسِ هِمَّتِهِ إِذَا نَزَعَا^(٢)
خَبِرَ طَوَيْتُ حَشَايَ مَرْتَجِفَا مِنْ هَوْلِهِ وَسَقَطَتْ مُنْصَدِعَا
أَلْقَى بَوَاجِهُ حَيَاتِنَا كُفْلَا أَوْ عَادَ لَوْنُ الْعَيْنِ مَمْتَقِعَا^(٣)
فَالدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي إِذَا وَكَّفَا جَلَّلَ وَإِنْ أَرْسَلْتَهُ دَفْعَا^(٤)
صَاحِبَتِ مِنْهُ أَخَا نَهْيٍ وَوَفَا يَزْهَوُ النَّدَى بِهِ إِذَا اجْتَمَعَا

(١) العذرة : العذرة . (٢) نزع : رى بالسهم .

(٣) الكلب : جمع كلفة ، ومعى اغبار لون الوجه .

(٤) وكف الدعع : سال قليلا قليلا .

فسمعت من أقواله طرَفاً ورأيت من أفعاله بدعاً
 ساء المكارم كونه دَنِفاً يشكو إلى عَوَّاده الوجعا
 الداء أذهب نفسه تلقاً بَذِل الداء له فـا نجعا
 بيروت منه أحرزت شرفاً لما غدت لعلاه مُضطجعاً
 لكننا قلب العراق هففاً حزناً عليه إذ به فُجعاً
 وكفى بسعدون له خلفاً لفعاله في الجـد مُتبعاً
 يمشى على آثاره الخَطَفَى ويقوم بالأعباء مضطجعاً

عبدُ المجيدِ قضى فواحرباً ماذا يردُّ إليّ واحرِبي
 إن الرزايا قد قضت عجباً مما رُزئناه من الحسب
 رُزءٌ أثار الحزن ملتتهباً في كل قلبٍ أيّ ملتتهب
 وأسأل غرب الدمع منسكباً من كل عينٍ إثر منسكب
 وأمرٌ حلو العيش فائقلباً بمحـاوليه شر منقلب
 فبكاه من بغداد مُنتحباً في جانبيها كل ذى أدب
 يا راحلاً بالداء مغترباً يبغي الشفاء له من الوصب
 أوتيت فضلاً في النهى عجباً يأتي من الآراء بالعجب
 كم كنت تكشف فيه محتجباً وتقال أقصى الأمر من كُتب
 فبنيت مجداً منك مكتسباً من بعد آخر غير مكتسب
 وبك العروبة قد زهت نسباً يُزْهَى بغبطة كل ذى نسب
 قد كنت من عريّة عصياً والحسّ مصدره من العصب
 إنّنا فقدنا الظرف والأدبا وفقدت ياسعدون خير أب
 يا أكرم المتهذّبين أبا صبرا لفقدك أكرم العرب
 إذ كنت أنت لثله عقبا أكرمُ بمثلك أنت من عقب

هلم نبك

هلم نبك النسي والعلم والشرفا
هلم نبك الذى كانت شمائله
هلم نبك الذى لم يغل واصفه
عطا الخطيب الذى آل الخطيب به
تبكى لمبكاكم حزنا بحيث نرى
قد فاجأته المنايا وهو معتدل
قامت بحساده الأطماع هائجة
فعارضوه بسيل من مكابدهم
وعرقلوا بدواعيهم مساعيه
فظل يرسف فى مسعاه مرتطبا
كانوا يمدون سيل الكيد مندققا
حتى قضى راسبا فى مكرهم غرقا
وبعد ما قتلوه هكذا علموا
والمرء تظهر بعد الموت قيمته
لو عجل الله لاجساد اعنته
لكن يؤخرها عنهم إلى أجل

فقد قضى من بهذا كان متصفا
كمثل قطر الغواذى رقة وصفا
بالخير إلا رآه فوق ما وصفا
فتت مصيبتهم أكبادنا أسفا
بدر التمام بأعلى أفتهم خسفا
كالرمح دق على الصفواء فانقصفا^(١)
لما رأوه مجدا يطلب الترفا
قد سال فاكتسح الآمال واجترفا
ومددوا من دواهيهم له كرففا^(٢)
فيما يكيدون حتى خالط التلغا
وكان يبنى له من سعيه رصفا^(٣)
إذ عطل الموت منه الكف والكثفا
بأنهم قد أصابوا المجد الشرفا
كمغرق اليم بعد الإنتفاخ طفا
لكن أسقط منها فوقهم كسفا
يخزى به كل من قد جاور واعتسفا

هم جاوزوا العدل والإنصاف فى رجل

ما كان قط عن الإنصاف منحرفا

فتى رزئاه بالأخطار مضطعا بالجد مشتملا بالفضل ملتخفا

(١) الصفواء : الحجر الصلد الضخم .

(٢) الكفف : جمع كفة ، وهى حباله الصائد وشبكته .

(٣) الرصف : الحجارة المرسوف بعضها إلى بعض فى مسيل الماء .

لما رمى عن قِيبي الرأي مجتهدا لم يتخذ غير أسباب العلا هدا
ما شبَّ إلا على التقوى وكان له قلب سليم بحب الخير قد شُفعا
مهذب الطبع عفا النفس ذو خلق قد شابه الورد مشموما ومقتطفنا
إذا تصورت في يوم خلائقه فقد تصوّرت منها روضة أنفا^(١)
وإن نظرت بإمعان مساعيه فقد نظرت بعيني رأسك الشرفا
بيناه يدرك من دنياه زهرتها إذ جاءه الموت يمشي نحوه الخطفى^(٢)
أعظم به طود مجد طال طائله فكيف في ساعة بالموت قد نسفا
قد شرّفت بقعة الجليل حفرته كما ضريح علي شرف النجفا

دمعة على صديق

قالها في رثاء صديقه الحميم عبد الوهاب المحمد أنفا .
مضى عبد وهاب الهبات لرَبِّه فلاله من ماض إلى ربه حرَّ
مضى وهو محمودُ الخصال مخلفا له عندنا آثار أخلاقه الغرَّ
مضى وله في كل قلب مكانة تُديم له ذكراه بالحد والشكر
كذلك كنّا معه قبل وفاته نبجّاه في السرّ منا وفي الجهر
وما زادنا إلا أسمى بفراقه فأسمى الأسمى فينالاه مالىء الصدر
إذا ما ذكرناه تفوح خالاله فننشق من تذكراها أطيّب المنشر^(٣)
ونلجأ عند الإذكار إلى البكا
أخا سالم ما زلت عندي سالما
تملك الذكرى لعيني جالسا
وتمزح طورا ثم تنصاع ذاهبا
إلى الجد تُغرّي بالحقيقة من تغرى

(١) الروضة الأتق : الجديدة الذبت ، لم يرعها أحد .

(٢) الخطفى : مشية سريعة .

(٣) الحلال : جم خلة وهى الحصلة . ونشق : شم . والنشر : الريح عامة ، أو الطيبة منها .

فتغضب أحيانا وتطرب قارة فتطرب من ذكر الحقيقة في شعري
طواك الردى عنى وشخصك لم يزل بذكراك بعد الطي متصل النشر
فما أنت ميتا إذ خيالك سائح مدى العمر نصب العين في سائح الفكر
ولا عجب ، إن الحياة خيالة

فلا فرق عندى بين شخصك والذكر
سأثر دمعى فيك ثر لآلى وأنظم شعرى في رثائك من در
اعلى بذا أقضى إخاءك حقه وإن كان لا يقضى بنظم ولا ثر

هيئة البطل الاء كبر

أنشدت في دار المرحوم عبد المحسن بك السعدون في اليوم الثالث من انتحاره

هكذا يدرك في الدنيا الكمال هكذا يدرك في موتها تحيا الرجال
هكذا يشرف موت المبتغى شرفا ليس إذا ريم يُقال
من كعبد المحسن الشهم الذى حقه بالوت عز وجلال
ما بعبد المحسن السعدون إذ رام قتل النفس مس أو خبال
بل رأى أوطانه يرهبها من بنى الغرب انتداب واحتلال
فانتضى الهمة كي ينقذها كانتضاء السيف ما فيه كلال
مارس الأحوال حتى إنه شاب في إصلاحها منه القذال^(١)
أعمل رأى وقد جادله فيه بعض القوم واشتد الجدل
خذلوه فاغتدت آراؤه كسهم كسرت منها النصال
كم غدا ينصحهم حتى إذا راء أن الداء في القوم عُضال^(٢)

(١) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

(٢) راء : رأى .

ورأى أن الذى يرجوه من جاد للأوطان منه بدم والفتى الحر له فى موته إنه لما أرادت نفسه مِيتة الأبطال فيها شمم نال بالموت حياة ما لها هو حتى أبد الدهر فما إن يكن قد زایل القوم فما أويكن عن أعين القوم اختفى وإذا التاريخ أجرى ذكره فاندبوا يا قوم منه بطلاً وافتقوا منه نصيحاً مخلصاً وأقيموا عالياً تتماله واقصدوا مرقد حجباً فلا واركوا الغرب وأهليه ولا وعلى أنفسكم فاتكلوا فالمواعيد التى قد وعدوا كلما قال لنا ساستهم هكذا كونوا وإلا فاعلموا طلب استقلالهم شئ محال لسوى أوطانه ليس يسأل سعة إن ضاق بالنفس المجال مِيتة حمراء ما فيها اعتلال طأطأت من دونه الشم الجبال أبد الدهر فناء وزوال ضره من هذه الدنيا انتقال لمساعيه عن القوم زيال فله من أنفس القوم خيال أخذ التاريخ بالفخر اختيال هو للأبطال حسن وجمال هو للإخلاص فى الدنيا مثال فهو للأوطان عز وجلال غرو أن شدت لمثواه الرحال تسمعوا منهم إلى ما قد يقال خاب من فيه على الغير اتكال كلها منهم خداع واختيال نقضت أقوالهم منهم فعال أنما استقلالكم شئ محال

ميتة البطل الأكبر

منظر الرافدين

شبّ الأسى في قلوب الشعب مُستعِرا

يومَ ابنِ سعدونَ عبدِ الحسنِ انتَحرا

يومٌ به كلُّ عينٍ غيرُ مبصرة

إذ كان إنسانها في الدمع منغمرا

يوم به البرق رجّ الرافدين أسى

غداة أدّى إلى أقصاها الخبرا

فلو ترى القوم قاموا في ضفافهما

واستنزفوا من شئون الدمع ما غزرا

خِلت العراقين خدّى ثا كل وها

سَطران للدمع في الخدين قد سَطرا

الشعر والدمع :

لله يومٌ قدّنا فيه مضطلعا

بالأمر يُمعن في تدبيره النظرا

يوم قد انهلّ فيه الشعر منتظما

كما قد انهلّ فيه الدمع منتثرا

فبالدموع بكت في يومه شيعٌ

وبالقوافي بكت في يومه الشعرا

فالشعر قد قرط الأسماع مندقفا

والدمع قد قرّح الأجفان منحدرا

والدمع والشعر من قد بكى بهما

كلاهما حاكيا في يومه الدّرا

كلاهما انسجما حتى كأنهما

تسابقا في انسجام عند ما انهما

فالشعر من هذه الأكبّاد بلّ صدّى

والدمع من هذه الأوطان بلّ ثرى

أبو علي وعزائمه :

أبو علي قويٌّ في عزائمه
أخلاقه كالخضمِّ الرَّهْوِ تحسبه
إذا أتاه شَكِيُّ القومِ قابله
ويهزم الجمعَ مجتثًا مكايده
لما رأى الوطنَ المحبوبَ محتملاً
سعى لإيقاظه بالرأى مجتهداً
كم بات سهرانَ في تحقيقِ مُنيَّته
وكم سعى راجياً تخلصَ موطنه
حتى إذا لم يجد للأمرِ مَتَسَعاً
أرغمى مسدسه في صدره بيدٍ
فيا لها رَمِيَّةٌ حمراءَ داميةً
قد كان يحيا حياة غير خالدة
لو نَقَرْتِ صُحُفَ التاريخِ نساها
لما رأينا كبيراً مات مِيتَتَهُ
ما كان أشرفها من مِيتة تركت
كنا نقاسي ضللاً قبلها فإذا

لورام بالعزم دَحَرَ الجيشَ لاندحرا
سهلاً ولكنَّه صعب إذا زَخَرَا^(١)
بكا النسيم جرى في روضة عَطِرَا^(٢)
بكا العواصف هبَّتْ تَقْلَعُ الشجرَا
من الأجانب ما قد عمه ضررا
بالعزم متشحا بالحزم مؤثرا
وفي الأماني ما يستوجب السهرا
والشعب كان لما يرجوه منتظرا
ولم يجد عن بلوغ العزم مُصْطَبِرا
لا تعرف الضعف في المرمى ولا الخورا
قد مات منها ولكن بعدها نُشِرا
واليوم يحيا حياة تملأ العُصْرا
عَمَّن يساويه في الدهر الذي غَبَرَا^(٣)
ولا وجدنا وزيرا مثله انتحرا
في نفس كل فتى من غِبْطَةِ أثرا
بها الطريقُ إلى استقلالنا ظَهَرَا

(١) الخضم : البحر العظيم ، والرهو : البحر الساكن .

(٢) الشكى : المشتكى .

(٣) اقترى : تتبع واستقصى . وغبر : مضى .

يا أهل لندن :

يا أهل لَنَدَن ما أَرْضَتْ سِياسَتُكم
 إن انتدابَكُم في قلب موطننا
 وللمشورة في أوطاننا شَبَحٌ
 يحول في طَرِقاتِ البَغْيِ مُحْتَبَا
 لم يَكْفِهِ أَنَّهُ لِلْحَكَمِ مُعْتَصِب
 إذا رأى نَهْضَةَ المِجْدِ أَقْعَدَهَا
 فكم ضَعَائِنَ بَيْنَ القَوْمِ أَوْجَدَهَا
 في كل يوم لنا مَعَكُم مِهادَةٌ
 حَقَّتْ بِها سِرْحَةٌ اسْتِقالنا عَطْشا
 تقسو قلوبَكُم لما نِفاوَضَكُم
 أما مواعِدُكم فهِى التي انْكَشَفَتْ
 لا تَفخروا أن كَسَرْتُم غَرْبَ شَوْكِتْنا
 لا فِخْرَ لِلصَقْرِ في أن يَقْتُلَ النِّعْرَ (١)
 لا تَسْتَهينوا بنا من ضَعْفِ قوَّتِنا
 هَذى البلاد اغرسوا فيها مودَتَكُم
 نَكُنْ لَكُم حِلْفَ صَدَقٍ في سِياسَتِكُم
 نَمشي إلى المَوْتِ من جِرائِكُم زُمرا
 لَسنا بِقَوْمٍ إذا ما عَاهَدُوا نَكثُوا
 ولو جَرى الدَّمُ حَتَّى أَشْبَهَ النُّهْرُ

(١) الجرح الغير : الذى اندمل على فساد ثم انتفض .

(٢) احتجب : جمع .

(٣) السرحة : الشجرة الطويلة ، أو التي لا شوك بها .

(٤) اللين : الكذب .

(٥) الغرب : الحدة . والنفر : الليل ، أو قرخ العصافير .

ولا نحالف أحلاقا فنخذلهم
فنحن أوفى الورى بالعهد شئشنة^(١)
ولو لبسنا المنايا دونهم أزرأ
ونحن أرفعهم فى المكرمات ذرأ^(٢)

سعد وسعدون :

سعد وسعدون محمود مقامهما
كلاهما قد فدى بالنفس أمته
فكان بينهما بون وإن غدوا
فإن سعدون داني الشمس منزلة
هذا هنا قد سعى للمجد مبتدرا
يأهل مصر وأنتم مثلنا عرب
إن كان قد أرخص الأموال سعدكم
هذا هنا قد سعى للمجد مبتدرا^(٣)
هذا بمصر وهذا ههنا اشتبرا
لكن سعدون لا سعدا قد انتجرا
فى الشرق أعظم مذكورين ماذ كرا
وإن سعدا بمصر فارن القمرا
وذا هناك سعى للمجد مقتدرا^(٤)
ما قلم عندما أعلمتم الخبرا
فإن سعدوننا قد أرخص العمرأ

أيها البطل :

نم أيها البطل الفادى بمجته
نم نومة تجعل التاريخ محتفيا
فليعتبر بك هذا الشعب مفتديا
فسوف تحمدك الأوطان شاكرا
نم مستريحا فإن الشعب مرتقب
أيتكون الذى قد كنت تطلبه
فالشعب منهم مرید ما أردت له
يا من له مينة بكر معظمة
أوطانه نومة تستيقظ العبرا
بها لنهضة أهل الشرق مدكرا
إن كان شعبك بعد اليوم معتبرا
وسوف يذكرك التاريخ مفتخرا
ماذا ستفعله من بعدك الوزرا
أم هم سيقضون من مطلوبك الوطرا
وليس يقبل عذرا ممن اعتذرا^(٥)
لا غرو أن قلت فيك الشعر مبتكرا^(٦)

(١) الشئشنة : الحلقى والطبيعة . والذرا : جمع ذروة ، وهى القمة .

(٢) ابتدرا المجد : سارع إليه . (٣) المينة البكر : التى لم يمت أحد مثلها من قبل

ذكرى فتي السعدون

إذا ما الفتى فى دهره أحسن الظنّا
وما الحزم إلّا أن نرى الدهر هاجما
وما الدهر إلّا مُبِيرٌ فى طباعه
يروع بنيهِ صائلا بيناته
يَذف عليهم بالظُّبى من خُطوبه
وما شُبهه إلّا مخالب كعده
إذا ما تَشَمَّتَ الزمان وطبعه
فما أدرك المَغْزَى ولا فهِم المعنى
فنبنى من تديرونا دونه حصنا
يفرّر بالأقوام يفتنهم فتننا^(١)
فقدضلّ مَنْ من دهره يطلب الأمانا^(٢)
فكم جدعت أنفا وكم صامت أذنا^(٣)
تُمَدّ بجوف الليل دامية حُجْنا^(٤)
تشمّت من أعماق طينته نَتْنَا

إليك فتي السعدون جئتُ مهتئا
إذا ما ذمنا الدهر يوما وأهله
أتى يومك الدّامى بذكراك حافلا
ففى مثل هذا اليوم بتّ مضرّجا
وفى مثل هذا اليوم فى حفرة البلى
عشيّة أطلقت المسدس ناره
فلله نارٌ قد بردت بحرّها
لئن أفقدت بالموت قلبك نبضة
وكم أنطقت دمع الحاجر بالأسى
فيا طلقة ربيع العراق بصوتها
بما نلتّه عند الإله من الحسنى
فإنك من تلك المذمّات مُستثنى
لجدد فى كل البلاد لنا حُرنا
وبتنا نحاكى فى مدامعنا المزنا
جعلنا بك الآمال مدفونة هنا
على قلبك الخفاق من يدك اليمنى
وإن سال منها دمعا بالجوى سُخْنا
فكم أنبضت بالحزن أفئدة مِنّا
على أنها بالهول أخرست اللّسنا^(٥)
فباتت به الآفاق عابسة دُكْنَا

(١) المبهر: اسم فاعل من أبهر: إذا جاء بالعجب (لسان العرب) .

(٢) بنات الدهر: حوادثه .

(٣) ذف عليه: أجهز عليه . والظُّبى: جمع ظبة، وهى حد السيف أو سنانه .

(٤) الحجناء: العوجاء . جمعها: حجن .

(٥) اللسن: جمع ألسن ولسناء، وهو الفصيح البليغ .

وردد مجرى الزافدين لصونها

صدى الحزن من أقصى العراق إلى الأدنى
لقد جمع الأموال باسمك معشر
وما علموا أن المبادئ كلها
لتخليدكم ذكرك في معهد يبنى
وأعظم تخليداً لذكرك منهم
وإن قويت نفى وذكرك لا يفنى
فعمائك الغراء والخلق الأسنى
وما كنت في يوم على القوم ممتناً
وسعت إلى استقلال قومك مخلصاً
بهمة لا وإن ولا فاكص جبناً^(١)
أصالة رأى قط لم يعرف الأفنا^(٢)
سوى أن خصم القوم في كيده افتناً
فإن كنت لم تنجح فليس لعله

زكت لك نفس بين جنبيك حرّة
فلا أظهرت كبراً ولا أضمرت ضعفنا
لنا المثل الأعلى بحملك والندى
فكم بهما أثنى عليك الذي أثنى
فأحنف ربّ الحلم في الحلم فقتنه
وفي الجود قد فقت ابن زائدة معنا
ألست الذي قد رام قتلك قاتل
فأطلقته عفواً وأوسعته مناً^(٣)
سبقي على الأيام ذكرك خالداً
به صحف التاريخ قاطبة تعنى

فيا بطلاً بالنفس ضحى وإعما
بذلك لاستقلالنا سنة سينا
فعلمنا أن التفادى واجب
على كل قوم حاولوا شرف المغنى
سنمعي إلى ما قد سعت من العلى
بصادق عزم ينكر الضعف والوهنا
وإننا لقوم مستقلون فطرة
إذا أنكر استقلالنا منكر ثرنا
فلو جعلت تبرا سبيكا بيوتنا
ولسنا بحكام أبينا بها السكفي

(١) الوانى : الضعيف . (٢) الأبن : ضعف الرأي . (٣) المن : الإقدام .

يهون علينا في السياسة أننا نصَلِّب في الأعواد أو ندخل السجنا
 واستنا نبالي دون إحياء مجدنا أعشنا على وجه البسيطة أم مُتَنَا
 إذا أدرك المجد المؤئل معشر أحاد ، فإننا نحن ندركه مُتَنِي
 نفوسا وورثناها كبارا أبية أبت في الدُّنَا أن تحمل الضيم والغبنا

ابن جبران

من سامع قصة لي كنت شاهداها على الرب بالخضر من جنات لبنان
 فقد رأيت غلاما صبيغ منفردا بالحسن يصبو إليه كل إنسان
 البدر يبدو حقيرا عند طلعه الشمس تعنو لوجه منه نوراني (١)
 في عينيه حور في ثغره شنب يفتّر عن عقد درّ وسط مرجان (٢)
 إذا رنا ناظرا يرنو بساحرة أو اثني ينتنى عن عطف نشوان
 عليه ثوب بديع النسيج طرته من صبغة المجد قد زينت بألوان
 في جانب منه تلقى الدرّ منتظما والدرّ منتثرا في الجانب الثاني
 وللعواطف في أثائه صور جادت بها ريشة في كف فنّان
 تفاوح الطيب من أردانه عبقا كما تفاوح أزهار بيستان (٣)
 تستخلص النفس من فحوى ملامحه

أن الغرام الذي يُخفيه روحاني
 أبصرته واقفا يبكي وأدّمعه توحى إلى كل قلب وحي أحزان
 يبكي وألحان موسيقاه مُسجّية تهفو بأفئدة منا وآذان
 يبكي وأنغام موسيقاه مطربة تهتزّ منهنّ أرواح بأبدان

(١) عنا : خضع وذل .

(٢) الحور : شدة بياض العين وسواد سوادها .

(٣) تفاوح الزهر : انتشرت رائحته . والأردان : جمع ردن : وهو أصل السهم . والعبق :

الذي تفوح منه رائحة الطيب .

بيكى فيرفض عقد الدمع منتثرًا بغير وزن وأحيانًا بميزان
لما أراني جلال الحسن متمزجًا بروعة الحزن أشجاني فأبكاني
فقت بين أناس حوله وقفوا مستعبرين وكلُّ نحوه ران^(١)
وكلهم وقفوا مستسلمين إلى تهدات وآهات وإرنان
حتى سألت عن الباكي وقصته فقيل هذا هو الشعر ابن جبران
أوه جبران أفناه الردى فعدا من بعده رهن يَم حلف أشجان^(٢)
فقلت لم يقن جبران بميتة من خلف ابنًا كهذا ليس بالقانى
بل أصبحت بابه ذكراه خالدة مادام لبنان مأهولاً بإنسان
إني أرى روح جبران مرفرفة على الربا الخضر من جذات لبنان

جبر ضومط

بكي الفضل لما أن قضى نحبَه جبرٌ وليس لكسر الموت في طَبنا جبرٌ
طوى الموت من جبر ضوامط فاضلاً لغرّ المساعى كان في عيشه نَشْرٌ
مضى بعد ما أمضى حياة سعيدة تبسم فيها العلم والفضل والفخر
وخلف آثاراً خوالد بعده يطيب له مدَّ الزمان بها ذكر
على اللغة الفصحى أياديه جمّة وآثاره في نشر آدابها غُرٌ
وما كان يبدى رأى فيها مُقلداً ولكن له الإبداع والفكرة البكر
وما كان في استقراءه العلم جامداً ولكنّه في العلم كان له فكر
يشق حجاب المشكلات برأيه كما شق بُرد الليل مذ طلع الفجر

(١) المستعبر : الباكي .

(٢) رهن يتم : أى ملازمه .

ومن شك فليُنظر بكل مدينة
فيمصر منهم من حِجاء مثقف
رُزئناه في كلية العلم هادياً
سبكية في كلية العلم منبر
فواجعنا في ذى الحياة كثيرة
ألا إنما هذى الحياة رواية
ولو لم تكن للفاجعات فصولها
مثلة ما كان آخرها القبر

أبو الملوك

بدا وجهُ العروبة في حُلوك
قضى متنازلاً بعد اعتلاء
قضى في المجد ليس بذي نظير
ملكك واصل الإقدام حتى
أقد سلك الطريق إلى المعالي
وجدد للعروبة غرس مجد
وأحدث نهضة في العرب هزت
وأثبت بالسيوف لهم حقوقاً
ولكن غشه الخلفاء حتى
وخانوا لم يقوا بعد انتصار
غداة قضى الحسين أبو الملوك
كذلك الشمس تجنح للدُّلوك^(٢)
وفي العزَمات ليس بذي شريك
أتاه بهلكه يوم الهُلوك
إلى أن مات محمود السلوك
قديم كان كالعذق التريك^(٣)
جنوب الأرض كالريح السهوك^(٤)
مؤيدة بكل دم سفيك^(٥)
أتوه من الثعالب في مسوك^(٦)
بما كتبوه في بطن الشكوك

(١) كثر : كثيرون .

(٢) جنح : مال ، والدلوك : الغروب .

(٣) العذق : عقود العنب ، أو ما يشبهه من النخلة . والتريك : المتروك ، أو الذي أكل كل ما عليه ، أو بقي فيه شيء قليل .

(٤) الريح السهوك : العاصفة الشديدة .

(٥) الدم السفيك : المسفوك .

(٦) المسوك : جمع مسك ، بفتح الميم ، وهو الجلد .

خطبنا وُدَّهم فتقبَّلونا — بعاطفةٍ كعاطفةِ الفُرُوكِ^(١)
 وكم وعدوا بني قحطان وعدا — به انقلب اليقين إلى شكوك
 لقد ستروا شنيع الغدر منهم — بثوبٍ من سياستهم مُحُوك
 فساستهم إذا وقعوا بضنك — أرونا الودَّ في وجه ضحوك
 وأبدوا في الرخاء لنا عُبُوسا — وهذا عدَّ من شيم الهُلُوكِ^(٢)
 ونحنُ العُربُ نأبى غيرَ عزٍّ — ونطمح في الحياة إلى السُّمُوكِ^(٣)
 ويومَ الروع ننقُظُ المنبأيا — ولم تكن السيوف سوى سلوك
 ونمضغ في الهياج الموت دون الـ — على مضغ الأوانس للعلوكِ^(٤)
 وما عاب الفتى جسمٌ هزيل — إذا ما كان ذا شرف وديك^(٥)
 وما الشرف الحميد سوى فَعَال — حميد من معادننا سبيك
 قرينَ القبلتين عليك تبكى — دما بالدمع من طَرَفِ مَسِيكِ^(٦)
 فقدنا منك خير زعيم قوم — وخير نضيج تجربةٍ حَنِيك
 لقد ناح العراق عليك حزنا — وضجَّ من الخليج إلى دهُوك
 وناح المسجِدَ الأقصى جميعا — إلى أرض الشَّامِ إلى تَبُوك
 لقد نُزَّهتَ من غمز ولمزٍ — كما نُزَّهتُ من شعر ركيك

(١) الفُرُوك : المبعضة للناس عامة ، أو التي تبغض زوجها .

(٢) الهُلُوك : الفاجرة ذات الشهوة الشديدة .

(٣) السُّمُوك : جمع سمك ، وهو السقف أو أعلى الشيء .

(٤) العلوك جمع علك ، وهو اللبان . (٥) وديك : سمين .

(٦) الطرف المسيك : العين التي لا تدمع كثيرا . وفي الطبعة الثانية : « وما » في مكان :

« دما » . يريد أننا نبكى عليك دما من عين تبخل بالدموع على غيرك .

الشيخ قاسم

مدرس جامع النعمانية

على قاسم شيخ الطريقة قد بكت
بكاه التقى والعلم والحلم والنهى
فقدنا الذى قد كان فى العلم عيلا
نحن قد طواه الموت عنا فذكره
رُزِئناه حبرا فى الطريقة مرشدا
عفت أربع الارشاد بعد ارتحاله
حليف التقى ما ذنُس الدهر ثوبه
ترحل للأخرى وأبقى منقبا
يصوم نهار الصيف لله طائعا
إذا ما بدا للقوم لاحت بوجهه
ولما مضى للخلد قالت مؤرخا
جواهرُ فضلٍ ملها الدهر قاسم
وحسن السجيا والعلو والمكارم
فماجت لمنعه البحارُ العيالم^(١)
من العلم منشور على الدهر دائم
به اتضحت للناس الكين المعالم
وكانت به منها تُقام الدعائم
بأثم ولامرت عليه المحارم
تضىء من الدنيا بهن المواسم
ويحيى الليالى وهو لله قائم
دلائل من نور الهدى وعلام
«لقد بات فى أعلى الفرايس قاسم»

غريق دجلة

يا مَنْ قضى بين المياه غريقا
قد كنت فينا دُرَّةً فَلْأَجُلْ ذا
سعديك يا (توماس) إنك لم تمت
لكن رقيت إلى السماء لتجتبى
يا كوكبا عجل الردى بأفوله
أذكرى فراقك فى القلوب حريقا
تَحْذِ الحِمَامُ لك المياه طريقا^(٢)
مادام ذكرك فى الحياة عريقا
لله فى أعلى السماء رفيقا^(٣)
من بعد ما ملأ السماء شروفا

(١) العيلم : البحر ، أو البحر الزاخر .

(٢) تحذ : اتخذ .

(٣) اجتباه : اصطفاه واختاره .

إن كنت غيبت عن العيون فإنما
 عشقتك كلُّ فضيلة وعشقتها
 هصرتك أيدي الموت غصنا ناضرا
 إن العراق على بضاضة قطره
 لله منعاك الجليل فإنه
 إن كان شخصك بات في قيد الثرى
 فجميل ذكرك لا يزال طليقا

شهداء الطيران

قضوا شهداء ليس لهم بواء
 قضوا لعزير موطنهم ضحايا
 لهم في موتهم هذا حياة
 تباشرت الجنان بهم فأمست
 وحيا « جعفر الطيار » منهم

• • •

وطائرة مرفعة الذنابي
 يحول بها من البنزين روح
 بعصر الكهرباء أتت فأمسى
 تمر كأنها في الجو نسر
 وتختبط الهواء بساعديها
 بأجنحة الرياح لها ارتقاء
 كما جالت بأوردة دماء
 لعصر الكهرباء بها ازدهاء
 إلى زهر النجوم له انماء
 فتعصف منهما الريح الرشا

(١) ومقه : أحبه .

(٢) هصر : كسر . الوريق : المورق ، أى ذو الأوراق .

(٣) البواء : الثل والنبد .

فتمضى فى الفضاء مضى سهم
 فيبصر كالنجوم لها علو
 وقد ترى الصواعق مخبرات
 قد امتطوا الرياح بها فطاروا
 سموا فتضاءلوا فحكوا نجوماً
 وفيهم كان للأوطان حباً
 عن القوس الضروح له ارتقاء^(١)
 ويسمع كالعود لها رغاء
 بها فى الأرض يندك البناء
 إلى حيث احتفت بهم السماء
 يصغرها بأعيننا السناء
 وفى أوطانهم منهم رجاء

• • •

ألا يا طائرين قد استقلت
 لقد نزل القضاء بكم ألياً
 فتم ميتة بيضاء منها
 لقد عظمت مناحتكم فقامت
 وشقت الجيوب لكم رجال
 غبطنا ميتة قد أعقبتمكم
 لكم بسقوطكم شرف فقيه
 ولا تأسوا على الوطن الملقى
 فهم خلفكم فيما أردتم
 بهم فى الجو ريح جرياء^(٢)
 ولا منجاة إن نزل القضاء
 بأعيننا قد اسود القضاء
 تنوح بها الحرائر والأماء
 ولطمت الحدود لكم نساء
 حياة ليس يدركها الفناء
 لموطنكم نهوض واعتلاء
 ففى شبابه لكم الكفاء
 ولولا ذلكم عز العزاء

(١) الضروح : الشديدة الدفع للسهم .

(٢) الريح الجرياء : ريح الشمال أو بردها .

إلى أمين نخله

حقٌّ للدَّعِ أَنْ يَكُونَ نَشِيدًا فِي رِثَائِي أَبَا أَمِينٍ رَشِيدًا
الْمَعَى تَبَوَّعَ الْمَجْدَ حَتَّى حَازَ مِنْهُ قَرِيبَهُ وَالْبَعِيدَا (١)
وَتَعَالَى إِلَى أَعَالِيهِ حَتَّى نَالَ مِنْهُ قَدِيمَهُ وَالْجَدِيدَا
أَنْجَبَتْهُ أَصُولُ «نَخْلَةٍ» حَتَّى أَطْلَعَتْهُ لِلْمَجْدِ طَلْعَا نَضِيدَا (٢)
فَمَا فِي بَوَاسِقِ الْمَجْدِ فَرْدَا مُسْتَظِلًّا مِنْهُمْ ظِلًّا مَدِيدَا (٣)

كَانَ شَهْمًا إِنْ جِئْتَهُ فِي الْمُلِمَّا تِ وَقِيدًا أُوتِيَ رَكْنَا شَدِيدَا (٤)
وَشَجَاعًا إِنْ جِئْتَهُ يَوْمَ هَيَّجَ تَلَقَّى فِي الْهَيْجِ بُهْمَةً صَنِيدَا (٥)
وَكَرِيمًا زَكَتْ سَجَايَاهُ حَتَّى كَانَ بَدْعًا فِي الْمَكْرُمَاتِ فَرِيدَا (٦)
وَفَصِيحًا إِنْ أَنْشَدَ الْقَوْمُ شَعْرًا كَانَ فِي الشَّعْرِ مُفْلِقًا وَمُجِيدَا (٧)
كَانَ أَطْرُوقَةَ الزَّمَانِ ظَرِيفًا فَكَبَّرَ مَا زَحَا رَقِيقًا سَدِيدَا
رَقَّةً فَاقَتْ النَّسِيمَ إِلَى شَدَّةِ بِأَسْ تَفَقَّتْ الْجُلُودَا
إِنْ شَدَا بِالْقَرِيبِ لَمْ تُبْصِرِ الْأَدَ مَعَ إِلَّا مُسْتَحْضِنَا مُسْتَفِيدَا
سَادَ فِي النَّاسِ يَافِعًا ثُمَّ كَهَلَا ثُمَّ شَيْخَا فِي التَّجَرُّبَاتِ عَمِيدَا (٨)
جَبَلَتْ نَفْسُهُ عَلَى الْخَيْرِ حَتَّى لَمْ يَجِدْهُ إِلَّا لَخِيرَ مَرِيدَا
بَلَغَ الْمَقْتَبَى مِنْ الْمَجْدِ حَتَّى لَيْسَ فِي الْمُسْتَطَاعِ أَنْ يَسْتَزِيدَا

(١) تبوع المجد : مد باعه إليه .

(٢) أطلع : أثمر . والنضيد : المنضد النظام .

(٣) البواسق : جمع باسقة ، وهي العالية .

(٤) الوقيد : الشديد المرض ، المشرف على الموت .

(٥) الهيج : الحرب . والبهمة : الشجاع الذي لا يعرف قرنه من أين يتغلب عليه . والصنديد : السيد الشجاع .

(٦) البدع : الفريد الذي لا مثيل له .

(٧) الشاعر المفلح : المبدع .

(٨) عميد القوم : سيدهم وسندهم .

ياسـليلَ الفقيدَ أعْظَمَ بمجد قد رُزِنَاهُ في أَيْبِكَ مَجِيدَا
أنا شاطِرتُكَ الأسي بدموع كُنَّ للحزن في الفؤاد وَقُودَا
وتَأملتُ مِنْكَ حراً كريماً خَلَفْنَا للفقيد ضاهي الفقيدَا ^(١)
عازِماً في الفِعال أَن يتسامى قادراً باجتهاده أَن يسودَا
فلهُـذا أقول قول مُعَزٍّ لك يرجو عمراً طويلاً سعيدَا
يا أمين الرشيد أودعك الوا لدُ مجدا في الماْجدين تليدا
كيف لا نرتجى وأنت أمين أَن تعيد المجد القديم جديدا
إن يَكُنْ مُبدئين آباؤك العُـرُ فكنْ أَنت يا أمين مُعيدَا

في يوم أبي غازي

الحريفة العصاة التي ألقاها شاعر العرب الكبير
الأستاذ معروف الرصافي في حفلة تأبين فقيد العرب العظيم
المغفور له الملك فيصل الأول ، طيب الله ثراه :

أبو غازي قَضَى فَأَقِيمَ غازي فَأَنْطَقْنَا التَّهْنِئَاتِ والتَّعَازِي
وأُطْلَقْنَا المَدَامِحَ والمَرَاثِي بِإِنْشَاءِ هُنَّ وَبَارِئِ تَجَازِي ^(٢)
وَجِئْنَا حاشدين بِصدرِ يومٍ حكي يَوْمِي عُكَاظَ وَذِي المَجازِ
غَدَاةَ قلوبُنَا امتَلأتْ سرورا وحرزَنَا يَجْرِيان على التَّوَارِي
فهُنَّ بِعَامِلِي فرح وحزن خَوَافِقُ في جَوَانِحِنَا نَوَازِي ^(٣)
فَكُنْ من ابْتِهَاجٍ في هدوء وَكُنْ من اهْتِياجٍ في اهْتِرازِ

• • •

قَضَى بِدُرِّ المَكَارِمِ والمَعَالِي وَحَيَدَرَةُ المَعَارِكِ والمَعَارِي
فيا لله يَوْمَ نَعَاهُ نَاعٍ لِمِرْزِيَّةٍ مَحْتِ كُلِّ المَرَاذِي

(١) ضاهي : شاكل ومائل .

(٢) البارْتِجَازُ : قول الرجز .

(٣) النَوَازِي : المتوَتِّبةُ الحافقة .

رُزِّئْنَا ابْنَ الْحُسَيْنِ فَنَحْنُ مِنْهُ بَرَزَ لِلْحُسَيْنِ أُولُو اجْتِيَازِ
فَمَا مَيَّزَ الْحَرَمَ مِنْ جَمَادِي بَفَرَقَ فِي الْبِكَاءِ وَلَا امْتِيَازِ
لَهُ كَفٌّ تَقْيِضُ نَدَى وَنَبَلَا لَهَا بِهِمَا غَنَى عَنْ حَذْوِ حَاذِي^(١)
بَنِي مَجْدَا عِرَاقِيًّا جَدِيدَا فَاسَّسَهُ عَلَى الْجَدِّ الْحِجَازِي
وَسَارَ مِنَ السِّيَاسَةِ فِي طَرِيقِ بِحَسَنِ الرَّأْيِ مُعَلِّمَةَ الطَّرَازِ
فَمَا تَرَكَ الْجَبُودَ بِلَا نَجَاحِ وَلَا فُرْصَا تَمُرُّ بِلَا انْتِهَازِ
إِذَا اعْتَزَمَ الْأُمُورَ مَضَى وَأَمْضَى وَإِنْ سَلَ الْمُهَيَّدُ قَالَ مَازِ^(٢)

• • •

أَبَا غَازِي فَقَدْنَا مِنْكَ قَرَمًا يُتَاجَرُ دُونَنَا يَوْمَ النَّجَازِ^(٣)
حَلَلْتَ مِنَ الْعِرَاقِ وَأَنْتَ رِكَزٌ بِحَيْثِ الْأَرْضِ جِيْدَةُ الرِّكَازِ^(٤)
فَخَلَّ الْيُسْنُ مِنْذُ حَلَلْتَ فِيهِ وَقَبْلًا كَانَ عَنْهُ ذَا انْحِيَازِ
تَقَدَّ وَفَقَّتْ بِالْقَلَمِ الْمَسْلَى كَمَا وَفَقْتَ بِالسَّيْفِ الْجُرَازِ^(٥)
وَمَهَّدْتَ الْأُمُورَ لَنَا فَفَرَّزْنَا مِنْ الْأَمَالِ بِالْعُرْرِ الْعِرَازِ
وَدَرَّتْ ذَاتُ أَيْدِينَا وَكَانَتْ كَحَلْبِ النَّوْقِ أَيَّامَ الْغَرَازِ^(٦)
وَلَوْلَا سَعْيُكَ الْمَشْكُورُ كُنَّا كَذِي سَقَرٍ يَسِيرُ بِلَا جَوَازِ
إِذَا الْمُكَاءُ أَوْقَى مِنْكَ حَظًا يَطِيرُ إِلَى الْعَلَى بِجَنَاحِ بَازِ^(٧)

• • •

(١) الحذو : الخفاكة .

(٢) المهيد : السيف من صنع المهدي . ومماز الشيء : قرزه عن غيره .

(٣) القرم : السبد . ويتاجر بقاتل .

(٤) الرِّكَز : الرجل الحكيم الكريم . والركاز : ما ركزه الله أي أحده . ودفنه في المعادن من ذهب وفضة وغيرهما .

(٥) السيف الجراز : القاطع .

(٦) درب ذات يده : اتسعت حاله واغتنى . وأيام الغراز : التي لا لين فيها .

(٧) المكاء : طائر من القناير ، له تصبغ وهبوط في الجو ، أبيض اللون ، وله صغير حسن .

والبازي : من الطيور الجارحة .

لأهل الرافدين عليك حزن
فأنت هـدّيتهم سبل المعالي
كأن لبسوا الحداد عليك حزنا
وما هم بالبكاء جزوك شيئا
له بقلوبهم فضل ارتكاز
كما جنّبتهم طرق المخازي
فقد ألبتهم ثوب اعزاز
ولكن الإله هو المجازي

لقد قوّيتنا من بعد عجز
وكنا كالبغاث ففتمت فينا
فنحن اليوم إذ دهمت خطوب
نقوم إلى الهياج بلا توان
فلسنا من صروف الدهر نخشى
ونحن من الالى في كل عصر
نراعى الحق في سلم وحرب
ولو شككت الحقيقة لانزعنا
وقد علمت بنو آثور أنا
فنحن بسيفك الماضي جرّنا
به كنا نجيمد عن البراز^(١)
بما صرنا به مثل البوازي^(٢)
نظرنا للخطوب بطرف هازي
ونبتدر الأمور بلا احتراز
عواذى ذات سلب وابتزاز
عزائم للمكارم كلّ عاز
ونترك في مغارمنا التجازي
شكايتهم — بتضحية المجاز
أولو بأس يعرقب كل ناز
نواصي جمعهم أى اجتزاز

أفَيْصَلُ نَمْ بِقَبْرِكَ مُسْتَرِيحًا فَإِنَّ الْمَلِكَ بِعَدِكَ مَلِكٌ غَازِي

(١) البراز : المبارزة والقتال .

(٢) البغاث : طائر أعبر أصغر من الرخم ، بطيء الطير ، يضرب به المشي في الضعف .

ذكرى الكاظمي

أنددت في حفلة أقيمت في بغداد سنة ١٩٣٥ لتأبين
شاعر العراق الشيخ عبد المحسن الكاظمي وكان توفي بمصر

ليس في غاية الحياة البقاء فلذا خاب في الخلود الرجاء
غير أن الحياة بالعز عند الرجل الحر غاية غراء
أي فخر للناعمين بعيش لم تُجَلِّله عِزَّة قصاء
حسب من رام في الحياة خلوداً أنه بعد موته علواء^(١)
وكفى المرء بعد موت حياة أن ذكره حلو حسناء
قد قضى الكاظمي وهو جدير أن تعزى في موته الشعراء
عاش منسى عارفيه ولما مات فاضت بنعيه الأنباء
ذكرته نعاته بنعوت قبله حاز مثلها العطاء
فلئن كان ما يقولون حقاً أفهم بالذي نسوا لؤماء
كيف ينسون في الحياة أدبياً عبقرية عنت له الأدباء
أفئدسى حياً ويذكر ميتاً إن هذا ما تنكر العقلاء
إن هذا أمر يتيه ضلالاً في بوادي تفسيره الحكماء
ضحكوا منه في الحياة ومذ ما ت تعالى نحيبهم والبكاء
أيها النادبون :

أيها النادبون غيروا غرؤوا برح اليوم لايب الخفاء^(٢)
يكرم الميت بالثناء وتحيا عندكم في المهابة الأحياء
كل من يخبر الأناس خبري لا يبالي أحسنوا أمام أساءوا
أنا جربتهم إلى أن تساوى الـ يوم عندي سبائهم والثناء

(١) (علواء) : كذا رأيتهما في القصيدة بخط الشاعر نفسه ، ولم أقين المراد منها .

(٢) برح الخفاء : زال اليبس والغموض .

غَرَى النَّاسُ بِالْهَوَىٰ فَضَلَّالٌ كُلُّ مَا يَفْعَلُونَهُ أَوْ رِيَاءٌ^(١)
قَدْ تَمَادَى فِي الْقَاتِلِينَ غُلُوٌّ وَتَوَالَى فِي الْفَاعِلِينَ رِيَاءٌ
أَيُّهَا الْكَاطِمِي نَمِّ مَسْتَرِيحًا حَيْثُ لَا مَبْغُضٌ وَلَا إِيْذَاءٌ
عَشْتُ فِي مِصْرَ بِاحْتِرَامٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ الْأُمَائِلُ الْفَضْلَاءُ
إِنْ لِلنَّيْلِ مِنْ جِزَائِكَ شُكْرًا سَتُؤَدِّيهِ دَجَلَةٌ الْإِسْنَاءُ
لَمْ تَعِشْ عَيْشَةَ الرِّفَاحِ وَلَكِنْ لَكَ فِي الْعَيْشِ عِزٌّ وَعِلَاءُ
أَيُّ حَرٍّ فِي الشَّرْقِ عَاشَ سَعِيدًا لَمْ تَشَبْ صَفْوُ عَيْشِهِ الْأَقْدَاءُ
وَهَنِيئًا إِذْ لَمْ تَعِشْ فِي الْعِرَاقِ—مِنْ مِضَاعَا تَنْتَابِكَ الْأَرْزَاءُ
مِنْ شَقَاءِ الْعِرَاقِ أَنْ ذَوِيَ النِّعَمِ—فِيهِ أَجَانِبٌ غُرَبَاءُ
إِنْ جَفْتَنَا بِلَادُنَا فَهِيَ حَبٌّ وَمِنْ الْحَبِّ يُسْتَلَذُّ الْجَفَاءُ^(٢)
لَمْ نَحُلْ عَنْ عَهْدِهَا مَذْجَفْتَنَا بَلْ لَهَا الْوَدُّ عِنْدَنَا وَالْوَفَاءُ
قَدْ بَكِينًا شَجَّوْا عَلَيْهَا وَمِنْهَا وَعَنَانَا سَقَامُهَا وَالشِّقَاءُ^(٣)
كَمْ أَرَدْنَا سَخَطًا عَلَيْهَا وَلَكِنْ غَلَبَ السَّخَطُ فِي الْقُلُوبِ الرِّضَاءُ
إِنَّمَا هَـذِهِ الْمَوَاطِنُ أُمٌّ مُسْتَحَقٌّ لَهَا عَلَيْنَا الْوَلَاءُ
إِنْ خَدَمْنَا فَلَا نُرِيدُ جِزَاءً وَمِنْ الْأُمِّ هَلْ يُرَادُ جِزَاءُ

(١) غرى الناس بالشئ : أولعوا به .

(٢) الجفاء : الإعراض والغلظة .

(٣) شجوا : حزنوا . وعنانا : أهمنا وشغلنا .

رثاء شوقي شاعر مصر الأكبر

(أُلقيت في الحلقة التأسيسية الكبرى في نابلس سنة ١٩٣٢)

الشعر بعد مصابه بكبيره	في مصر جل مصابه بأميزه
بيناه يبكي حافظا بشقيقه	إذا به يبكي أحدا بزفيره
لم يقض بعض حداده لنصيره	حتى أحدا أسي لفقد مجيره
ما أن خبت في الأفق شعله نوره	حتى انطوت في الجولمة نوره
بالأمس ظل مرزاً بميينه	واليوم بات مفجعاً بمنيره
أخذت فرزدقه المنون وضاعفت	جلى مصيبته بأخذ جريره
رزآن ملتهبان قد نضحتهما	على العلى من دمعها بغزيره
فالشعر بعدها استطال بكأوه	وتوجت بالحزن كل بحوره
وهزاره ترك الصداح وليته	أمنت أعاديه سماع زثيره

• * •

يانيرا فجع القريض بموته	فبكته عين وزينه وكسيره
وخلت سماء الشعر بعد أفوله	من مشرقات شموحه وبلوره
ومؤمرا لم تنتفض بوفاته	في الشعر بيعته على تأميره
إذ لن يقوم نظيره من بعده	هيهات أن تأتي الدنى بنظيره
لاك في الخلود مكانة مانالها	فرعون في ديماسه وحفيره
إن الدفين مضمخا بمنوطه	دون الدفين مخنطا بشعوره
إن المتوج فوق عرش ذكائه	يعلو المتوج فوق عرش سريره
مامات من تركت لنا أقلامه	صورا خوالد من بنات ضميره
صورا تمثل ذاته وصفاته	حتى يقمن لنا مقام نشوره
فكأنه وهو الدفين بقايره	حي يعيش بحزنه وسروره

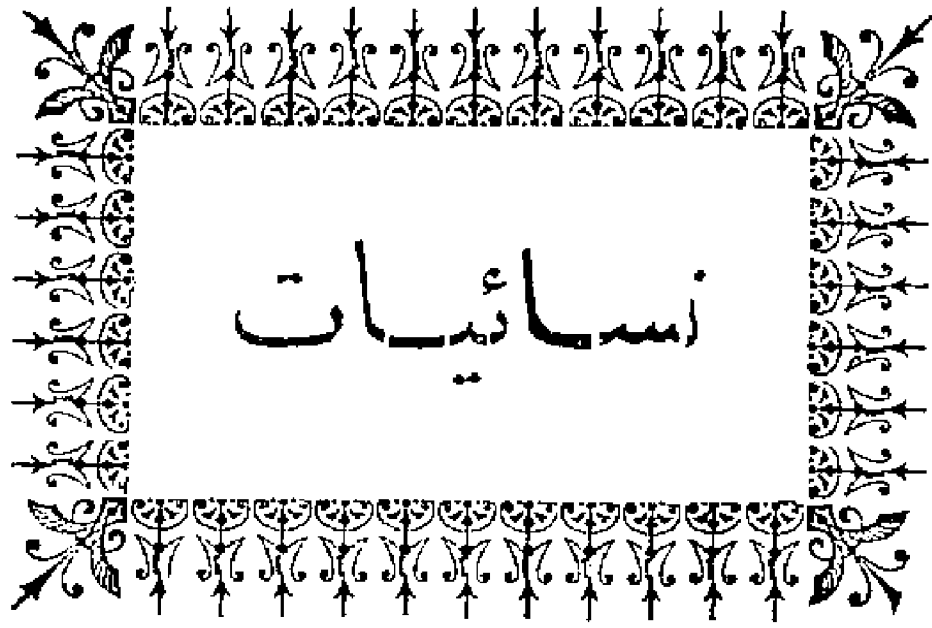
وكانه في القوم ساعة حفاهم متكلم بنظمه — وشيره

* * *

لأبي على من قريحة شعره	وحى أتى من جبرئيل شعوره
كم قد رمى الغيب الخفي فؤاده	بذكائه فأصاب ككشف ستوره
وتصور المعنى الدقيق فرده	كالصبح مفتلقا أوان ظموره
يأتيك بالمعنى الجميل قد اكتسى	من وشى سندس لفظه وحريره
فالشعر قد دكت جبال فنونه	إذ موت شوقي كان نفخة صورته
يا راحلا ترك القوافي بعده	محتاجة الحيا إلى تفكيره
لهفى على ذيلك القلم الذى	يتطرب الأرواح لحن صريره
الشعر كنت أميره وسميره	فمن المسامر بعد فقد سميره ؟
حررته من رق كل تصنع	فبدت فنون الحق فى تحريره
سخرت من أوتاره ما لم يكن	ليطيع غيرك قط فى تسخيريه
ولكم شدوت بنعمة من بمة	ولكم صدحت بنعمة من زيره
تمايل الأبدان فى إنشاده	طربا وليس يمل من تكريره

o o o

يا أهل مصر عزاءكم فصابكم	أمر قضاء الله فى تقديره
الشعر قد ثلت بمصر عروشه	ب وفاة سيده وموت أميره
علمان من أعلامه كانا به	يتنازعان سبق فى تحبيره
لكلبيها الهرمان قد خشعا أسى	والنيل مد أنينه بخزيره



نسائيات

المرأة في الشرق

ألا ما لأهل الشرق في برحاء^(١) يعيشون في ذُلٍّ به وشقاء^(٢)
 لقد حكّموا العادات حتى غدت لهم بمنزلة الأقياد^(٣) للأسراء^(٢)
 إذا تخبرهم في الحياة تجد لهم حياة تخطت خطة السعداء
 وما ذاك إلا أنهم في أمورهم أبوا أن يسيروا سيرة العقلاء
 لقد غمطوا حق النساء فشدّوا عليهن في حبس وطول ثواء
 وما ألزموهن الحجاب وأنكروا عليهن إلا خرّجته بغطاء
 أضاقوا عليهن الفضاء كأنهم يغارون من نورٍ به وهواء
 قد اتبذوا عنهن في العيش جانباً فما هن في أمر من الخلطاء
 وقد زعموا أن لسن يصلحن في الدنيا

لغير قرار في البيوت وباء^(٤)

فما هن إلا متعة من متاعهم وإن صِنَّ عن بيع لهم وشراء
 أهانوا بهن الأمهات فأصبحوا بما فعلوا من الأُمِّ اللّوماء
 ولو أنهم أبقوا هن كرامة لكانوا بما أبقوا من الكرماء
 ألم ترهم أمسوا عبيدا لأنهم على الذل شبّوا في حجبور إماء
 وهان عليهم حين هانت نساؤهم تحمّل جور الساسة الغرباء
 فياقوم إن شئت بقاء فنازعوا سواكم من الأقوام حبْل بقاء
 أيسعد تحيّاكم بغير نساءكم وهل سعدت أرض بغير سماء
 وما العار أن تبدو الفتاة بمسرح تمثّل حالي عِزّة وإياء
 ولكن عارا أن تزيّا رجالكم على مسرح التمثيل زِيّ نساء
 أقول لأهل الشرق قول مؤلّب وإن كان قولي مُسَخِطاً السفهاء

(١) البرحاء : الشدة والأذى ، أو الشر .

(٢) الأقياد : القيود .

(٣) الدنيا : جمع دنيا .

ألا إن داء الشرق في كبرائه
وأقبحُ جهل في بني الشرق أنهم
وأكبر مظلوم هو العلم عندهم
لو اقتصر أهل العلم للعلم منهم
ولاستأصل الموتُ الوحيُّ نفوسهم
ولكنَّ حلمَ الله أبقى عليهم
لقد مزَّقوا أحكام كل ديانة
وما جعلوا الأديان إلا ذريعةً
فما علماء الجهل إلا مساقم
ألا يا شباب القوم إني إلى العلى
أما أن لا أوطان أن تنهضوا بها
فقد صرَّ صوتي واستشاطت جوانحي
على أن لي فيكم رجاء وإن يكن
وما أنا في وادي الخيال بهائم

فبعثوا لهم في الشرق من كبراء
يسئون أهل الجهل بالعلماء
فقد يدعيه أجهلُ الجهلاء
لصَبَّ عليهم منه سوطُ بلاء
ونادى عليهم مؤذِنًا بفناء^(١)
فعاشوا ولو في ذلة وشقاء
وخالطوا لهم منها ثياب رياء
إلى كل شَعْب بينهم وعداء
رمت جهلاء العلم بالقوباء^(٢)
لداغ فهل من يستجيب دعائي
لأدراكِ مجد وابتغاءِ علاء
وقل اضطباري واستطال بكائي
من اليأس مسدودا طريق رجائي
وإن كنت معدودا من الشعراء



(١) الموت الوحي : السمع .

(٢) القوباء : داء معروف .

نساؤنا

إلى صاحبة مجلة الحدر

ألا خلياني في الكلام من السجع
وإن أنا أرسلت الحديث فأصغيا
فإني ما أطلعت شمس حقيقة
ولست أبالي بعد إفهام سامعي
وإني إذا قبلت رأساً ولم أجد
إذا كان علم الأصل عندي حاصلاً
فإن بان لي سير الكواكب لم أبل
شكوت إلى رب السموات أرضه
فقد جار في الأرض البسيطة خلقه
وإن السموات العلى لكثيرة
وإني لأشكو عادة في بلادنا
وذلك أنا لا تزال نساؤنا
وأكبر ما أشكو من القوم أنهم
أفى الشرع إعدام الحمالة ريشها
وقد أطلق الخلاق منها جناحها
فتلك التي ما زلت أبكي لأجلها
بكيت بلا دمع ومن كان حزنه
قيا ربة الحدر اسمعي ما أقوله

ولا تجريا في القول إلا على الطبع
وإلا فما يُجدي لسمعكما قرعى
لمستمع إلا لتغرب في السمع
أكان بخفض لفظ ما قلت أم رفع^(١)
به فضل عقل كان أجدر بالصفع
فقيم اهتامي بعد ذلك بالفرع
أكان يجذب ذلك السير أم دفع
وما الأرض إلا من سماواته السبع
على خلقه جوراً إلى الحزن يستدعي
وإن لم نعد اليوم منها سوى تسع
رحى الدهر منها هضبة المجد بالصّدع
تعيش بجهل وانفصال عن الجمع
يعدون تشديد الحجاب من الشرع
وإسكانها فوق الغصون عن السجع
وعلمها كيف الوقوع على الزرع
بكاء إذا ما اشتد أدى إلى الصرع
شديداً بكى من غير صوت ولا دمع
لعل مقالى فيه شيء من النفع

(١) الخفض والرفع : من مصطلحات النحو ، ومراد الشاعر أنه لا يتأنق ولا يهرب في عبارته .
وليس مراده أنه يجوز رفع المنصوب أو خفضه ، ونصب المرفوع أو خفضه ، لأن ذلك لا يجوز
في الإنشاء الرفيع ، بل في كلام العوام .

أَيَّابَنَةُ « فَنَدَى » إِنَّ الْمَجْدَ غَايَةً
وَإِنِّي أَرَى فِي الْقَوْمِ بَعْضَ خَيَالٍ
فَقَدْ لَا يُرَوِّينَا السَّحَابَ بِمَائِهِ
يَقُولُونَ لِي إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصٌ
فَأَنْكَرْتُ مَا قَالُوهُ وَالْعَقْلُ شَاهِدِي
إِذَا النِّخْلَةُ الْعَيْطَاءُ أَصْبَحَ طَلْعُهَا
وَلَكِنْ عَلَى الْجَذْعِ الَّذِي هُوَ نَابِتٌ
وَوَاللَّهِ مَا إِنْ ضَمْتُ ذَرْعًا بِقَوْلِهِمْ
أَمْزَقَ دَعْوَاهُمْ إِذَا مَاطَعْنُهَا
أَلَا فَاصْدَعِي يَارَبَّةَ الْخَلْدِ الَّذِي
فَأَنْتِ مِثَالُ الْكَمَالِ الَّذِي حَوَى
أَدَامَكَ رَبُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ حِجَّةً

وَإِنِّي فِي إِدْرَاكِهَا بِأَذَلِّ وَسْعَى
وَأَحْذَرُ مِنْ أَنْ يَنْقَشِعَنَّ بِلَا هَمٍّ (١)
وَإِنْ كَانَ فِيهِ الْبَرْقُ مُتَّصِلَ اللَّمَعِ
وَيُذْكَرُونَ فِيهَا هُمْ يَقُولُونَ بِالسَّمْعِ
وَمَا أَنَا فِي إِنْكَارِ ذَلِكَ بِالْبِدْعِ
ضَعِيفًا فَلَيْسَ اللَّوْمُ عِنْدِي عَلَى الطَّلْعِ (٢)
بِمَنْبَتِ سُوءٍ فَالْتَقِيصَةُ فِي الْجَذْعِ
وَلَكِنَّمَا قَدْ ضَاقَ مِنْ فَعْلِهِمْ ذَرْعِي
وَلَوْ أَنَّهَا كَانَتْ مِنَ الدِّينِ فِي دِرْعِ
تَرَيْنَ مِنَ الْآرَاءِ فِي الرَّدِّ وَالرَّدْعِ
مَنْ أَعْلَمَ أَسْبَابًا تَجَلَّى عَنِ الْقَطْعِ
عَلَى مِنْ نَمَى نَقِصَ النِّسَاءِ إِلَى الطَّبْعِ

حرية الزواج عندنا

ظَلَمُوكَ أَيُّهَا الْفَتَاةُ بِجَهْلِهِمْ
طَمِعُوا بِوَفْرِ الْمَالِ مِنْهُ فَأَخْجَلُوا
أَفْكَوْكَبَ تَحْسِيقَارٍ فِي الْوَرَى
فَإِذَا رَفَضْتِ فَمَا عَلَيْكَ بِرَفْضِهِ

إِذَا أَكْرَهُوكَ عَلَى الزَّوْجِ بِأَشْيَبَا
بِفَضُولِ هَاتِيكَ الْمَطَامِعِ أَشْمَبَا (٣)
مَنْ سَعِدَ أَخْبِيَةَ الْعَوَانِي كَوَكْبَا
عَارٍ وَإِنْ هَاجَ الْوَلِيُّ وَأَغْضَبَا

(١) الخيال : جمع مخيلة ، وهي السحابة المبشرة بالخير ، ضربها مثلاً للصفت التي تنبئ عن حسن الاستعداد في الإنسان . والمهمع : الإمطار .
(٢) العيطاء : المرتفعة . والطلع : الثمر .
(٣) وفر المال : المال الكثير . وأشعب : عرني يضرب به المثل في الطمع ، كان في عهد بني أمية .

إِنَّ الْكَرِيمَةَ فِي الزَّوْجِ لِحَرَّةٌ
 قَلْبُ الْفَتَاةِ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُشْتَرَى
 أَتُبَاعُ أَفْتَدَةُ النِّسَاءِ كَأَنَّهَا
 هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ يَا بِي مِثْلُهُ
 بَيْتُ الزَّوْجِ إِذَا بَنُوهُ مَجْدَدًا
 يَأْمَنُ بِسَاوِمِ فِي الْمَيُورِ مَغَالِيَا
 أَقْصِرْ فِكُمْ مِنْ حَرَّةٍ مُذًا نُزَلَتْ
 إِنْ الزَّوْجُ مَحَبَّةٌ فَإِذَا جَرَى
 لَا مَهْرَ لِلْحَسَنَاءِ إِلَّا حَبَّهَا
 خَيْرُ النِّسَاءِ أَقْلَاهَا لَخَطِيئِهَا
 وَإِذَا الزَّوْجُ جَرَى بَغِيرَ تَعَارَفِ
 هُوَ عِنْدَنَا رَمَى الشُّبَاكِ بُلُجَّةٌ
 أَوْ مِثْلُ مُحْتَطَبٍ بَلِيلِ دَامِسٍ
 وَلَقَوْمَنَا فِي الشَّرْقِ حَالٌ كَمَا
 تَرَكُوا النِّسَاءَ بِحَالَةٍ يَرْتَى لَهَا
 قَلٌّ لِلْأَلَى ضَرْبُوا الْحِجَابَ عَلَى النَّسَاءِ
 شَرَفُ الْمَلِيحَةِ أَنْ تَكُونَ أَدِيبَةً
 وَالْوَجْهَ إِنْ كَانَ الْحَيَاءُ نِقَابَهُ
 وَاللَّوْمُ أَجْمَعُ أَنْ تَكُونَ نَسَاؤُنَا
 هَلْ يَعْلَمُ الشَّرْقُ أَنْ حَيَاتِهِ
 وَقَضَى لَهَا بِالْحَقِّ دُونَ تَحْكَمِ

وَالْحَرُّ يَا بِي أَنْ يَعِيشَ مُذَبَذَبًا
 بِالْمَالِ لَكِنْ بِالْمَحَبَّةِ يُحْتَجَى^(١)
 بَعْضُ الْمَتَاعِ وَهَنٌْ فِي عَهْدِ النِّسَاءِ
 مِنْ عَاشَ ذَا شَرَفٍ وَكَانَ مَهْذَبًا
 بِالْمَالِ لَا بِالْحُبِّ عَادَ مَخْرَبًا
 وَيَعْمَلُ فِي أَمْرِ الزَّوْجِ إِلَى الْحَبَا^(٢)
 فِي مَنْزِلِ الرَّجُلِ الْغَنَى بِهَا نَبَاً
 بِسِوَى الْمَحَبَّةِ كَانَ شَيْئًا مَتَعِبًا
 فَبِحَبِّهَا كَانَ الْقِرَانُ مَحْبَبًا
 مَهْرًا وَأَكْثَرَهَا إِلَيْهِ تَحَبُّبًا
 وَتَحَبُّبٌ فَالْخَيْرُ أَنْ نَتَرَهَبًا
 أَتَصِيبُ أَخْبَثَ أَمْ تَصَادِفُ أَطْيَبَا
 أَيْدُوسُ أَفْقَى أَمْ يِلَاسٌ عَقْرَبَا^(٣)
 زِدْتُ افْتِكَارًا فِيهِ زِدْتُ تَعَجُّبًا
 وَقَضَوْا عَلَيْهَا بِالْحِجَابِ تَعْصِبًا
 أَفْتَعْلَمُونَ بِمَا جَرَى تَحْتَ الْعَبَا^(٤)
 وَحِجَابُهَا فِي النَّاسِ أَنْ تَتَهَذَّبَا
 أَغْنَى فَتَاةَ الْحَيِّ أَنْ تَتَنَقَّبَا
 مِثْلَ التَّعَاجِ وَأَنْ نَكُونَ الْأَذْوَبَا
 تَعْلُو إِذَا رَبَّى الْبَنَاتِ وَهَذَّبَا
 فِيهَا وَعَالِمَهَا الْعُلُومِ وَأَدَّبَا

(٢) الحبا : المهر . وأصله : الحياء ، ممدود .

(١) يحتجى : يختار ويصطفى .

(٣) المحتطب : جامع الحطب . والدامس : الشديد الظلمة .

(٤) العبا : أى العباءة .

فالشرق ليس بناهض إلا إذا أدنى النساء من الرجال وقرّبا
 فإذا ادّعت تقدماً لرجاله جاء التأخر في النساء مكذّبا
 من أين ينهض قائما من نصفه يشكو السقام بقالج متوصّبا^(١)
 كيف البقاء له بغير تناسب والدهر خصّص بالبقاء الأنسبا
 والشعر ليس بنافع إنشاده حتى يكون عن الحقيقة مُعربا
 تلك الحقيقة للرجال أزفها ولها أقيم من القوافي موكبا

المرأة المسلمة

لم أرَ بين الناس ذا مَظْلَمَةٍ أحقّ بالرحمة من مُسْلِمَةٍ^(٢)
 منقوصة حتى بميراثها محجوبة حتى عن المكرمه
 قد جعلوا الجهل صِوانًا لها من كل ما يدعو إلى المأثمه^(٣)
 والعلم أعلى رتبة عندهم من أن تلقاه وأن تعلمه^(٤)
 ما تصنع المرأة محبوسة في بيتها إن أصبحت مُعْدِمة
 ضاقت بها العيشة إذ دونها سُدَّتْ جميع الطُرُق المَعْلَمه

كم في بيوت القوم من حُرّة تبيكي من البؤس بعيني أمه
 قد لوّحت نارُ الطّوى وجهها وأَعْمَلُ الفقرُ به ميسمه^(٥)
 عاب عليها قومها ضلّه أن تكسب القوت وأن تطعمه^(٦)

(١) السقام : المرض . والفالج : الشلل يصيب نصف الانسان طولا . والمتوصّب : المريض .

(٢) المظلمة بكسر اللام : ما يطلبه المظلوم عند الظالم .

(٣) الصوان ، بثلاث الصاد : ما يمان به الشيء ويحفظ .

(٤) من أن تلقاه ، بتشديد القاف : أصله تتلقاه ، حذف منه إحدى التامين .

(٥) الطوى : الجوع . ولوّحت نار الطوى وجهها : أى غبرته وسفنته . والميسم : المكواة ،

وهى حديدة يكوى بها .

(٦) ضلّة ، بالكسر : وهى مفعول مطلق ، أى عيب ضلّة ، والواو فى قوله « وأن تطعمه »

معنى .. ، وليست بماطعة ، لأنهم لا يعيبون عليها أن تطعم القوت .

من أى وجهٍ تبتغى رزقها وطرقها بالجهل مُستبهمه
وكيف والقوم رأوا سعيها في طلب الرزق من الملامه

• • •

وكم فتاة قد عدت بعلمها من بعد ما قد ولدت توءمها (١)
فانقطعت في العيش أسبابها وأصبحت للبؤس مُستسلمه
تبیت لم تحمد لفرط الجوى لا قمر الليل ولا أنجمه
من حيث لا تملك من دهرها ما جلّ أو دقّ ولو سيمسه
جفّ على مرضعها ثديها فاضطرّها ذلك أن تقطعه (٢)
فعاش عيش الأم لم يؤفه ملبسه الدهر ولا مطعمه
فشبّ منهوك القوى مثلها يشكو من الدهر الذى أئتمه (٣)

• • •

فهذه حالة نسواننا وهى لعمري حالة مؤله
ما هكذا يا قوم ما هكذا يأمرنا الإسلام فى المسلمه
فهل بكم من راحم للنساء فمن أولى الناس بالمرحمة (٤)



(١) التوءمة : مؤنث التوعم ، وهو المولود مع غيره فى بطن .

(٢) على مرضعها ، بصيغة المفعول : أى على طفلها المرضع . وقوله فاضطرّها ذلك : أى فاضطرّها جفاف ثديها .

(٣) منهوك القوى : أى خائر القوى ، هزيل ضعيفا .

(٤) فهل بكم : أى فهل فيكم ؟ غالباء لاظرفية بمعنى فى .

التربية والأمهات (*)

هي الأخلاق تنبت كالنبات
تقوم إذا تعهد لها المرئي
وتسمو للمكارم بالتساق
تُنْعَش من صميم المجد رُوحاً
ولم أرَ للخلاق من محل
فحِضْنَ الأم مدرسة تسامت
وأخلاق الوليد تقاس حسناً
وليس ربيب عالية المزاي
وليس النبت ينبت في جنان

إذا سُقِيَتْ بماء المَكْرُماتِ
على ساق الفضيلة مُثْمِرَاتِ
كما اتَّسَقَتْ أنابيبُ القنَّاةِ^(١)
بأزهار لها مُتَضَوِّعَاتِ
يُهْدِيهَا كحِضْنِ الأمهاتِ
بتربية البنين أو البناتِ
بأخلاق النساءِ والوالداتِ
كمثل ربيب ساقلة الصفاتِ
كمثل النبت ينبت في القنَّاةِ

• • •

فما صدر الفتاة رَحِبَتْ صدرها
نراك إذا ضممتَ الطفلَ لَوْحاً
إذا استند الوليدُ عليك لاحتَ
لأخلاق الصبي بك انعكاس
وما خَرَبَانُ قلبك غير درس
فأول درس تهذيب السَّجَايا
فكيف نظنُّ بالأبناء خيراً
وهل يُرَجَى لأطفالٍ كمالٌ
ما للأمهات جهان حتى

فأنت مَقَرُّ أسنى العاطفاتِ
يفوق جميع ألواح الحياةِ
تصاويرُ الخفافِ مصوَّراتِ
كما انعكس الخيالُ على المِراةِ
لتلقينِ الخصالِ الفاضلاتِ
يكون عليك يا صدر الفتاةِ
إذا نشئوا بحضن الجاهلاتِ
إذا ارتضعوا تُدَيِّ الناقصاتِ
أتين بكل طيَّاشِ الحِصاةِ^(٢)

(*) من الديوان الأول .

(١) القنَّاة : الزمَج وكل عصا مستوية .
(٢) الطيَّاش : الذي لا يقصد وجهاً واحداً لثمة عقله . والحِصاة : العقل والنزاع ، يقال فلا
دو حِصاة ، أي هو وقور . وماله حِصاة ولا أسافة : أي رزانة . قال كعب بن سعد الفهري :
وإن لسان المرء ما لم تكن له حِصاة على عورانه لدليل

حَنَوْنَ عَلَى الرُّضِيعِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَاعَ حُنُوءُ تِلْكَ الْمَرْضَعَاتِ

• • •

أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نَشْكُو	مَصِيبَتَنَا بِجَهْلِ الْمُؤْمِنَاتِ
فَتِلْكَ مَصِيبَةٌ يَا أُمَّ مِنْهَا	« نَكَادُ نَغْصَّ بِلَمَاءِ الْفِرَاتِ »
تَحِذُنَا بِعَدِّكَ الْعَادَاتِ دِينَا	فَأَشَقَّى الْمَسْلُومُونَ الْمَسْلَمَاتِ
فَقَدْ سَلَكُوا بِهِنَّ سَبِيلَ خُسْرِ	وَصَدَّوهُنَّ عَنْ سَبِيلِ الْحَيَاةِ
بِحَيْثُ لَزِمْنَ قَعَرَ الْبَيْتِ حَتَّى	نَزَلْنَ بِهِ بِمَنْزِلَةِ الْأَدَاةِ ^(١)
وَعَدَّوهُنَّ أَوْعَفَ مِنْ ذَبَابٍ	بَلَا جَنَحٍ وَأَهْوَنَ مِنْ شَذَاةٍ ^(٢)
وَقَالُوا شِرْعَةُ الْإِسْلَامِ تَقْضِي	بِتَفْصِيلِ «الَّذِينَ» عَلَى «الْمُلُوتِ»
وَقَالُوا إِنْ مَعْنَى الْعِلْمِ شَيْءٌ	تَضِيقُ بِهِ صُدُورُ الْغَانِيَاتِ
وَقَالُوا الْجَاهِلَاتِ أَعَفُّ نَفْسًا	عَنِ الْفَحْشَا مِنْ الْمُتَعَلِّمَاتِ
تَقْدَرُ كَذِبُوا عَلَى الْإِسْلَامِ كَذِبًا	تَزُولُ الشَّمُّ مِنْهُ مُزَكَّرَاتِ
أَلَيْسَ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ قَرَضًا	عَلَى أَبْنَائِهِ وَعَلَى الْبَنَاتِ
وَكُنْتَ أَمْنَا فِي الْعِلْمِ بِحَرًّا	تَحُلُ لِسَانُهَا الْمَشْكَلَاتِ
وَعَلَّمَهَا النَّبِيُّ أَجَلَ عِلْمٍ	فَسَكَتَتْ مِنْ أَجْلِ الْعَلَمَاتِ
لِذَا قَالَ ارْجِعُوا أَبَدًا إِلَيْهَا	بَثَلْتُ دِينَكُمْ ذِي الْبَيِّنَاتِ
وَكَانَ الْعِلْمُ تَلْقِينًا فَأَمْسَى	يُحْصَلُ بِانْتِيَابِ الْمَدْرَسَاتِ ^(٣)
وَبِالتَّمَرُّيرِ مِنْ كُتُبِ ضَخَامٍ	وَبِالْقَلَمِ الْمَدَّ مِنَ الدَّوَاةِ
أَلَمْ نَرَ فِي الْحَسَنِ الْعِيدِ قَبْلًا	أَوَانَسَ كَاتِبَاتِ شَاعِرَاتِ

(١) الأداة : الآلة ، يريد بها ما يستعمل في البيوت كالآنية . والشاعر يفرح بذلك بعض من لا أخلاق لهم ، ممن أضاعوا حقوق المرأة ، وسلبوها ما منحها الله من المقام السامي ، غير ناظرين إلى ما ورد فيها من الآيات والأحاديث انفاضية بتكريمها ، وجعلها مساوية للرجل ، وجعله قواما عليها بواسطة .
(٢) لشذاة : كسر العود .

(٣) هذا البيت وما بعده جواب لا اعتراض . تقديره ، تقديره أن الذي لم يعلم عائشة العلم بطريق تعليمها القراءة والكتابة ، بل بطريق التلقين .

وقد كانت نساء القوم قديماً
يكنن لهم على الأعداء عوناً
وكم منهم من أسيرت وذات
فهاذا اليوم ضرر لو التفتنا
فهم ساروا بنسج هدى وسرنا
نرى جبل الفتاة لها عفافاً
ونحنقر الحلائل لا لجرم
ونلزمهن قبر البيت قبراً
أين وأدوا البنات فقد قبرنا
حجبناهن عن طاب المعالي
ولو عدت طباع القوم لوئماً
وتهذيب الرجال أجل شرط
وما ضرر العفيفة كشف وجه
فدى للحلائل الأعراب نفسى
فسكر برزت بحيمهم النعوى
وكم خشف بمرتبهم وظى
ولولا الجبل ثم لقلب مرعى

يرحن إلى الحروب مع الغزاة^(١)
ويضمدن الجروح الداميات
عذاب الهون في أسر العدا
إلى أسلافنا بعض التفات
بمذبح التفريق والشئات
كان الجبل حصن الفتاة
فئودهن أنواع الأداة^(٢)
ونحسهن فيه من الهنات^(٣)
جميع نساينا قبل الممات^(٤)
فمشن بجهلن مهتكات
لما غدت النساء محجبات^(٥)
لجمل نسايم متهدبات
بدا بين الأعفاء الأباة
وإن وصفوا لدينا بالجفاة
حواسر غير ما متربات
يمر مع الجداية والمهاة^(٦)
لمن ألقوا البداة في القلاة^(٧)

(١) أراد بهن البيت وما بهن إمامة الدليل على عدم الحجاب في صدر الاسلام .

(٢) اسلائل : الزوجات .

(٣) الهن : كناية عن كل اسم جنس ، ومعناه شيء ، ومؤنثه هنة ، وجدها هنوات وهنات .
يريد بذلك أننا نحسب المرأة من جهلنا شيئاً من أشياء البيت .

(٤) وآد البنت : دفنها حية .

(٥) السبب في تحجب النساء : فساد طباع الناس ، فلو تجردوا عن أوم الصبيحة لأبيح للمرأة كشف وجهها ، كما كانت في زمن النبي وأصحابه .

(٦) الخشف : انطوى . الغزاة : الجداية والمهاة : النزالة . وفي الكلام مجاز لا ينحى .

(٧) ثم : هناك . مرعى : كلمة يقال عند إصابة الشيء ، كما أن برعى يقال عند الخطأ فيه .

المهجورة

أو مشهد الحسد في الحزن

وبيضاء أغناها عن الحلى ثغرُها
إذا ابتسمت في ظلمة اليأس أشرقاً
نرى وجهها بدرأً محاطاً من السنأ
يذكرني من مطلع الشمس شعرُها
بِسِمَاطَيْنِ مِنْ دُرٍّ مُضِيئَيْنِ فِي الثَّغْرِ (١)
فعدنا من الآمال في أنْجَمِ زُهر
بصُّبحين من ثغر وضيء ومن نحر
ذوائب ترُخى من أشعتها الصُفر



كشفت به ما كان من حجب العي . . .

ترأى فأمّا نفسها فخرينة
بدت في حداد ترسل الطرف وأنيا
رأيت بها بدرأ تردي دجنة
فكانت لها سود الجلايب حلية
تبسم حيناً ثم تجش للبسكا
فمن لؤلؤ تبدى ومن لؤلؤ تدرى (٢)
وأما محياها فكالكوكب الدررى
يغض على وجد ويفتح عن سحر
غداة أميط السجف من جانب الخدر (٣)
ولا عجب أن اللجى من حلى البدر

(١) السمط : العقد . (٢) الدجنة : الظلمة . (٣) أذرى الدمع : أسقطه .

كأن تلاميح الأسي في جبينها
 وكم أبصرت عيناى لما تنهدت
 فقد كان منها الصدر يعاود يرتى
 ومما شجبا نفسى ذبول بخدها
 ولما انقضى صبرى وقفت تجاهها
 فقلت وقد ألفت على الصدر كفها
 لك الخير من حرّ يسائل حرة
 سقانى بكأس الحب حتى شربتها
 فلما رآنى قد سكرت بحبه
 ألا إن قلبى اليوم إذ مسّه الجوى
 ليفزع ممن يدعى الحب قلبه
 على أن قلبى لم يعد عنه صابرا
 إذا أشرقت شمسى تناسيت ذكره
 وإنى على ما نابى من جفائه
 ولما شكت لى حرقة فى قوادها
 أرى قطرات الدمع فى وجناتها
 هنالك أتمت راحتها بوجهها
 وقالت وقد كان النشيج يصدّها
 ساحل ما قد حمتنى يد الهوى
 فقلت أما والله لو أن لى يدا
 لشددت فى زجر الحبين إن جفوا

بقايا ظلام الليل فى غرة الفجر
 تموج بحر الحب من عاصف الهجر
 فبيعت بى شجوا يموج به صدرى
 كما ذبلت فى بيتها باقة الزهر
 أسائل عما ناب من نوب الدهر
 تشد ضلوعا ينطوين على جمر
 شككت هجر بعل لم يكن بالفتى الحر
 ولم أدّر أن الحب ضرب من الخمر
 صحا قلبه من حيث لم أضح من سكرى
 وإذا مال بعل فى هوى إلى الغدر
 كما فزعت قمرية الروض من صقر
 ألا لا آمال الله قلبى إلى الصبر
 وإن جنّ ليلى بت منه على ذكر
 لأقنع منه بالخيال الذى يسرى
 ترقق دمع العين فى خدها يجرى
 فأحسبها الياقوت رصع بالدر
 تكفكف أسرابا من الدمع بالعشر
 عن القول إلا عن كلام لها نزر
 من الوجد حتى يحملونى إلى القبر
 على كل حكم جاء من ظلام الدهر
 وعاقبت منهم من يميل إلى الهجر

إلى الحجابيين

بمناسبة كتاب السفور والحجاب . للآنسة نظيرة زين الدين

قل للحجابيين كيف ترونكم
كشفت بهما كان من حجب العمى
سفر أقام على السفور أدلة
يلاجئين إلى العناد خصومة
هل من نظير بينكم لنظيرة
هدمت نظيرة ما بنت عاداتكم
أفتمكثون على العناد وقد بدا
نحن السفوريين أعلم بالذي
أيكون ما شرع النبي محمد
إن اعزلكم النساء ترفعا
حتى رجال الصين تحترم النساء
كلًا ولكن عادة همجية
من بعد سفر السفور مبين
عنكم «نظيرة» بنت «زين الدين»
تركت ذبابكم بغير طنين
ما كان حصن عنادكم بحصين
أو من قضيه مثلها وفطين^(١)
من كل سحن للنساء مهين
من بعد ليل الشك أصبح يقين
شرع النبي محمد من دين
شيئا يخالف شرعة التمدن
أمره يناقض حكمة التكوين
أف نحن ننقص عن رجال الصين
جعلتكم حربا لكل حسين^(٢)

هو ان المرأة عندنا

ما أهون على ذكراننا
ضعفت فحجتها البكاء لخصمها
هي متعة المستمعين وليتها
فوليها عند الدفاع يبيعها
وكلاهما متحكّم في أمرها
فلقد شجاني ذلها وخضوعها
وسلاحها عند الدفاع دموعها
كانت لزاما لا يجوز مبيعها
وحايلها عند الطلاق يضييعها
هذا يعريها وذاك يجييعها

(٢) الحسين : الحسن .

(١) الفطين : صاحب الفطنة .

التاريخيات

ضلال التاريخ

أقول وطرفي في الحال مُحَدَّقُ	أبا الدهر مَسَّ أم بأهليه أُولَقُ ^(١)
أما لِفَيْزَاءِ الزمان مُنَسَّرُ	فقد حار فيها الألعى المدَّقُ ^(٢)
لقد خامرتني في الزمان وأهله	شكوك عليها يُعَذِّرُ المُنَزِّدُ ^(٣)
أرى الدهرَ في أمرين يعمل دائماً	صَنَاعَ اليدين فيهما يتَأَنَّقُ ^(٤)
يُجَدِّدُ للموتى مناقبَ لم تكن	لديهم والأحياء يُبْلِي وَيُخْنِقُ ^(٥)
فكم من قبور عظم الناس أهلها	بما لم يكن عند النسي يتحقق
ورُبَّ امرئ قد عاش يستقطرُ الثنا	فلما قضى سال الثنا يتدَفَّقُ ^(٦)
سقى الدهرُ للأموال غرسَ مناقب	بمَن فُظِّلَ الغرس ينمو فيبَسُقُ ^(٧)
أرى كل ميت ما تقادم عهده	تُقامُ له سوقُ الثناء فتَنفُقُ ^(٨)
فأقربهم عهداً أقلُّ غضاضة	وأقدمهم عهداً أغضُ وأسمَقُ ^(٩)
كان كراماتِ الفقيدِ بواسق	يؤبِّرها كَرَّ القرون فتُعَذِّقُ ^(١٠)
إذا شَطَّ جيلٌ خط من جاء بعده	أكاذيبَ عنه بالثناء تُرَوِّقُ ^(١١)
فما كتب التاريخ في كل ماروت	لقرائنها إلا حديث مُلَقَّقُ ^(١٢)

(١) الأولى : الجنون .

(٢) لفيزاء : تصغير لفز . والألعى والألمى : الذكي المتوقد .

(٣) خامرتني : داخلتني وذهبت باي . والمُنَزِّدُ : من لا يؤمن بالآخرة ولا الربوبية .

(٤) رجل صنع اليدين وصناع اليدين : حاذق ماهر في العمل بهما .

(٥) مناقب : محامد . جمع منقبة .

(٦) يستقطر الثناء : يطلبه من الناس قطرة قطرة . وقضى : مات .

(٧) المين : الكذب . ويبسُقُ : من البسوق : أي يعلو ويطول في السماء ، كما تبسُقُ النخلة .

(٨) تنفق : تروج . وقوله « ما تقادم » ما هنا : زائدة لا نافية ، لأن المعنى على التحقيق ،

لا على الظنى . يريد قد تقادم عهده .

(٩) الغضاضة : مصدر الغض ، وهو الطرى من النبات والجم ونحوها

(١٠) يؤبِّرها : يلقحها ويصلحها . وتعذق : ثمر .

(١١) ترَوِّق : تخلط وتموه .

(١٢) ملقق : مصنوع من عناصر غير متجانسة ، فهو كذب .

نظرنا لأمر الحاضرين فرأينا فكيف بأمر الغابرين نصدق^(١)
وما صدقتنا في الحقائق أعين فكيف إذن فيمن يصدق مرق^(٢)
وهل قد خصصنا دون من مات قبلنا
بحبث السجايا ، شد ما نتحقق !^(٣)

• • •

لعمرك أقصاني الزمان المفرق فهل أنا من بعد التشاؤم معرق^(٤)
خليلى هل من بالرضافة عالم بأنى إلى من بالرضافة شيق^(٥)
بلاد إذا ما هبت الريح نحوها تمنيت لو أنى بها أتلق
أبيت على شوق وقلبي مؤثق بهمى ودمعى فوق خدى مطلق
إذا ما تذكرت العجوز بكيتها بدمع به الأهداب تطفو وتغرق^(٦)
وما شرقي بالدمع يأم وحده ولكن بروحى عند ذكراك أشرق
ويهفو بقلبي الشوق حتى كأنما تحطفه من بين جنبي سودق^(٧)
فيا أم صبرا إن لافك همة إلى المجد ترمى أو إلى المجد تسبق
تضايق عنها الدهر مستظما لها وأهلوه عنها يا أميمة أضيق^(٨)
أكلف منها الدهر ما لا يطيق فليس بعسارى أننى فيه مخفق
لقد صغرت بغداد عن أن تضمها وما وسعيتها بعد بغداد جلق^(٩)

-
- (١) يقول : إذا قسنا أمر الماضين على ما نشاهده بأعيننا ، ضاعت الثقة بالتاريخ ، لأننا نرى بأعيننا أموراً لا يصدق التاريخ في ذكرها .
(٢) المهرق : نوع خاص من الصحف . كانوا يكتبون عليه كتب المعاهدات ونحوها .
(٣) شد ما نتحقق : ما أشد حاجتنا !
(٤) التشاؤم هنا : الذهاب إلى الشأم . ومعرق : داخل العراق . ويقال أشأم : فهو مشم ، وأعرق فهو معرق .
(٥) شيق : مشداني .
(٦) يريد بالعجوز أمه .
(٧) هنا بقلبه الشوق : ذهب به . والسودق : الصقر أو الشاهين .
(٨) صغر لفظ أم ، لأننا ونحننا إليها . (٩) جلق : دمشق .

ومنها :

أبت كتب التاريخ للحق ملتقى
فإن شَرَقَتْ في الحق فهو مغرب
تجور بها الأهواء جوراً وإنما
فيأيها التاريخ أغرق مغالياً
قتلت الورى خيراً فليس بخادعي
ولى في بنى الدنيا حصاة رزينة
ومنها :

هذا ذيك لا تحفل مقال مؤرخ
كذاب على وجه الطروس مسطر
فدع عنك لغو الناطقين وخذ بما
فإن ذكروا النعمان يوماً فلا تنق
فأصدق منهم في المسمع لهجة
تنورت وجه الحق في ظلماتهم
ملكك من الدنيا حقيقة أهلها
ولا يستغزئك الكلام المشقق^(١)
يخص به العقل السليم ويشرق
رواه من الآثار ما ليس ينطق^(٢)
بأكثر مما قال عنه الخورنق^(٣)
ضفادع في المستنقعات تنطق^(٤)
فلم أر نوراً غير ذا يتألق
وإلى على الدنيا بها أتصدق^(٥)

- (١) الموق : الحاجز بين الشيئين .
(٢) زأقت الرجل : دبت وسقطت .
(٣) أغرق في الشيء : أغمغ فيه وأبمد . والمبالغة : المبالغة في الشيء . يقول مخاطبها التاريخ : قد عرفناك مغالياً في تقدير الأشياء ، فلا يهمننا ما تقول ما دما نعرف سجيبتك .
(٤) النظرية : التزيين والتجسين ، وهي بمعنى التتميق .
(٥) حصاة : عقل . وتنرق : تطيش وتضل .
(٦) هذا : أسرع ، وهذا ذيك : إسراعاً بعد إسراع ، وهو من المصادر المنصوبة مثل حنائيك ، أى حنان بعد حنان . يقول أسرع ولا تلبث عند قراءة التاريخ ، فما يستحق أن يوقف عنده . والكلام المشقق : الفصيح الذى ذنب فيه القائل مذاهب التجمل والتجسين .
(٧) يريد لا تقول إلا على ما تنطق به شواهد الآثار الصامته .
(٨) الخورنق : من آثار ملوك الحيرة ، يريد لا تنق بأخبار الكتب ، وعول على ما ينطق به البناء من عظمة صاحبه .
(٩) تنطق : تصوت .

جالينوس العرب أو أبو بكر الرازي (*)

أَلَا لَفَتَّةً مَنَّا إِلَى الزَّمَنِ الْخَالِيِ فَتَنَبَّطُ مِنْ أَسْلَافِنَا كُلِّ مِفْضَالٍ ^(١)
 تَلَوْنَا أَنَاسًا فِي الزَّمَانِ تَقَدَّمُوا وَكَمْ عِبْرَةٌ فِيمَنْ تَقَبَّسَدُمْ لِلتَّالِيِ ^(٢)
 أَلَا فَاذْكُرُوا يَا قَوْمَ أَرْبَعٍ مُجْدِكُمْ فَقَدْ دَرَسْتُ إِلَّا بَقِيَّةَ أَطْلَالٍ ^(٣)
 تَطَلَّبْتُمْ صَفْوَ الْحَيَاةِ وَأَنْتُمْ بِجَهْلٍ ، وَهَلْ تَصْفَوُ الْحَيَاةَ لُجْهَالٍ ؟
 وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا كَسَكْرَانٍ طَافِحٍ تَحْسَى مِنْ الصَّهْبَاءِ عَشْرَةَ أَرْطَالٍ ^(٤)
 مَشَى بَارْتِمَاشٍ فِي الطَّرِيقِ فَنَارَةً يَقُومُ وَأُخْرَى يَنْهَوِي فَوْقَ أَوْحَالٍ
 يَمُدُّ إِلَى الْجُدْرَانِ كَفَّ اسْتِنَادَهُ فَتَقْدِفُهُ الْجُدْرَانُ قَذْفَةً إِذْلالٍ
 وَيُفْتَحُ لِلطَّرَاقِ مَقْصَلَةً حَانِقٍ فَيُخَمِّضُهَا خَزْيَانٍ عَنْ شَتَمٍ عُدَّالٍ

• • •

رَمَى الدَّهْرُ قَوْمِي بِالْخَمُولِ فَامْتَهَمَ وَأَوْسَعْتُهُمْ عَذْلًا فَلَمْ يُجِدْ تَعَدَّلِي ^(٥)
 فَهَاجَ الْبُكَاءُ يَأْسِي فَلَمَّا بَكَيْتُهُمْ بِدَمْعِي حَتَّى بَلَ دَمْعِي سِرِّبَالِي
 نَظَرْتُ إِلَى الْمَاضِي وَفِي الْعَيْنِ حُمْرَةٌ كَأَنَّ عَلَى آمَاقِهَا نَضْحَ جَرِيَالٍ ^(٦)
 فَشِمْتُ بَرُوقَ الْأَوَّلِينَ مِنْبِرَةٌ عَلَى أَفْقٍ مِنْ ذَلِكَ الزَّمَنِ الْخَالِيِ ^(٧)
 « تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَذْرَعَاتِ وَأَهْلِهَا يَيْثُوبَ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرَ عَالٍ » ^(٨)

(*) من الديوان الأول .

(١) المبتط : تمنى ما هو للغير من غير أن تريد زواله عنه .

(٢) تلونا : تبعنا .

(٣) الأربع : الديار . اندرست : انمجت . الأطلال : آثار الديار .

(٤) تحسى : شرب . الصهباء : الخمر . (٥) العذل والتعذل : اللوم .

(٦) الآفاق : جمع مآق ، وهو طرف الدين مما يلي الأفق ، وهو مجرى الدمع من العين .

النضح : رشاش الماء ونحوه . الجربال : صبغ أحمر .

(٧) شمت : نظرت . والشيم : هو النظر إلى البرق خاصة .

(٨) تنورتها : نبصرتها . أذرعات : بلد بالشام . يثرب : اسم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

أى نظرت إلى دارها وأنا بالشام وأهلها يثرب . والمعنى أن إفراط المشوق يخيّلها لي ، فكأنني =

وقَلَّبْتُ طرفي في سماءِ رجاها
فَأَنسَتْ آثارا وهم سِلْكُ درِّها
ولما طَوَّيْتُ الدهر بيني وبينهم
قعدتُ بأوساط القرون فجاءني
فتى عاش أَعْمَالًا جساما وإنما
حكيمٌ رياضيٌّ طيبٌ منجَّمٌ
أتى فيلسوفاً للنفوس مهذباً
لقد طَبَّبَ الأرواح من داء جهلها

وهم فوق عرشٍ للجلالةِ مُحَلَّل^(١)
وأبصرت أَعْمَالاً وهم جِيدُها الحَالِي^(٢)
على بعد أزمان هناك وأجيال
«أبو بكرٍ الرازي» فقتت لإجلال^(٣)
تقدر أعمار الرجال بأعمال
أديب وفي الكِشْيَاءِ حَلَالٌ إشكال
بأفضل أفعال وأحسن أقوال
كما طَبَّبَ الأجسام من كل إعلال

مولده :

تولد عامَ الأربعين الذي انقضى
إلى زكرياً ينتمى ، إنه له
على حين كانت بلدة الري عادةً
مدارسُ بالشبان تزهو ودونها

لثالث قرْنٍ ذى مآثر أزوال^(٤)
أبٌ تاجرٌ في الري صاحب أموال^(٥)
إلى العلم تعطو جيدها غير معطال^(٦)
كتاتيب للتعليم تزهو بأطفال

== أنظر إلى نازها . والبيت لامرئ القيس بن حجر الكندي ، من تصديده التي مضاعفها :
ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل بعين من كان في العصر الحالى
وقد ضمنه شاعرا .

(١) المحلل : المكان الذى يحل كثيرا ، وهو صفة لعرش .
(٢) آنست : أبصرت . الجيد : المعنى . الحالى : المعلى بالقلادة ونحوها .
(٣) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الحكيم ، صاحب المكتب المصنفة ، مات بالري بعد
منصرفه من بغداد سنة ٣٦١ .
(٤) أزوال : جمع زول ، وهو العجب ، ومنه (سير زول) أى عجيب فى سرعته وخفته ،
وهذا (زول من الأزوال) : أى عجب من الأعجاب ، والعامية عندنا نقول : زول ، بضم
الزاي ، وهو خطأ .

(٥) الري : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن .
(٦) العادة : المرأة الناعمة اللينة الأعطاف . تعطو : ترفع . المعطال : التى ليس فى جيدها حلى .

بهاجُلْ درس القوم طِبَّ وحَكَمَةً^(١) وفلسفة فيها لهم أَى إِيغال^(٢)
وكانت نفيسات الصنائع عندهم يحاولها ذو الفقر منهم وذو المال
وما كان هذا الحال في الرّى وحدها

بل الحال في البلدان طُرّاً كذا الحال
فإن هَدَى الإسلام أبهى فتوحه وأصلها للحد أحسن إيصال
وبدّل أبطال الحروب من الورى بأبطال علم للجبهة قتال^(٣)
فدارت رحي تلك العلوم وقُطِبها بينغداد مركز بربرة إجلال^(٤)
وكانت يد المأمون في ذلك أخجلت لسان العلى في شكره أَى إخبجال^(٥)
منشؤه :

تدرّج في تلك المدارس ناشئاً مترجماً يسعى بجدّ وإقبال^(٦)
تعلم فنّ الصوت بادىء بدئه ومارس تفصيلاً به بعد إجمال
فكانت بموسيقى اللّحون دروسه تغنى بأهزاج وتشدو بأرمال^(٧)
وقد جاوز العشرين سناً ولم يكن لشيء سوى فن الغناء بميال
فرام أبوه منه تحويل عزمه يجذب إلى شغل التّجار وإدخال
فقال له دعنى مع العلم إنتى إذا ما أمتّ الجهل أحييت أمالى
وهل يستطيع المرء شغلاً إذا غدا له شاغل بالعلم عن كل أشغال

(١) الإيغال : مصدر أوغل في الشيء ، بمعنى أبعده في الذهاب فيه ، وبالغ ، وأسرع .

(٢) قتال : جمع قاتل .

(٣) الرحي : أصل معناها الطاحون . والفطب : حديدة في الطبى الأسفل بدور عليها الطبى الأعلى .

(٤) المأمون : هو عبد الله بن هرون الرشيد صاحب الأيادى البيض فى نشر العلم وترجمة

السكتب العلمية بالغة العربية .

(٥) مترجماً : أى الذى نذكر ترجمته ، يعنى أباً بكر الرازى .

(٦) الإهزاج : مصدر أهزج المثنى إذا أنى بالهزج ، وهو نوع من الأغاني ، فيه ترنم . وأهزج

الشاعر : نظم شعراً من الهزج ، وهو بحر من بحور الشعر ، وزنه « مفاعيلن » أربع مرات .

الأرمال : مصدر أرمال المثنى : إذا أتى بالرمال ، وهو لحن من ألحان الموسيقى .

هناك استقى الرازي من العلم شربة^(١) فجاد بإعلان له بعد إنهال^(٢)
 متى سعيه نحو التمسك بأدنا^(٣) بعلم لدى أهل التفلسف ذى بال
 وقد كان مفتاح العلوم تنفس^(٤) تفك به من جهلهم كل أغلال^(٥)
 فزاول أنواع العلوم تنقلا^(٦) بأبين أوضاع لها غير أغفال^(٧)
 أيضا شمة في العلم مشحوة الشبا^(٨)
 جلت ما لحرب الجبال من ليل قسطل^(٩)
 وقد أكل الطب المفيد قراءة^(١٠) على الطبرى الخبر أحسن إكمال^(١١)

سياحته :

ومذ جاوز الرازي الثلاثين واغتنى^(١٢) مدلا على أقرانه أى إدلال^(١٣)
 رأى من تمام العلم المر أنه^(١٤) يسبح بضرب في البلاد ونحوال^(١٥)
 وما المسلم إلا بالسياحة إنها^(١٦) لمن عملوا في علمهم درس أعمال
 فقام وشد الرحل والفرز وامتطى^(١٧) لتقطع الفيافي متن هو جاء شمال^(١٨)
 فجاء بلاد الشام تورا وجازها^(١٩) إلى مصر في وخذ حثيث وإرقال^(٢٠)

(١) الإعلال : السقى بعد السقى ، الإنهال : السقى الأول .

(٢) الأغلال القيود .

(٣) الأوضاح : جمع وضوح ، وهو الضوء ، ورياض الصبح . الأغفال : جمع غفل ، وهو مالا علامة فيه توضحه وتبينه ، طريقا كان أو غيره .

(٤) أيضا : جرد . مشحوة : مسنونة . الشبا : جمع شبة ، وهى حد السيف . القسطل : الاعتبار ، أو هو خاص بغير الحرب .

(٥) الخبر : العالم .

(٦) أدل على أقرانه إدلالا ، فهو مدنى : بمعنى تاه عليهم وتعالى .

(٧) ضرب في البلاد : سافر .

(٨) الرحل : مركب البعير . الفرز : ركاب الرحل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب ، امتطى : ركب . الفيافي : الأراضي المقفرة . المتن : الظهر . الهوجاء : الناقة السريعة السير . الشمال : الناقة السريعة الخفيفة .

(٩) الوخذ : سير البعير السريع . حثيث : سريع . الإرقال : الإسراع ، أو هو نوع من سير الحبيب .

وخاض عُبَابُ البحر للغرب قاصدا
ففيها اجتلاه العز مذلاح طالعا
وحلَّ حلول البدر في السعد نائلا
وهب هبوب الريح ثمة ذكره
وودَّعها من بعد ذلك راجعا
ومنها إلى بغداد سافر قاطعا
فالتقى عصا التسيار من عرصاتِها
وبغداد كانت وهي إذ ذاك جنة
كأن رجال العلم في عُرفاتها
فكم تحمّل للكتب فيه خزانة
ولما غدا الرازي ببغداد باسطا
أقيم لما رستاتها عن كفاية
فرتب مرضاه وأصلح شأنه
وظلَّ به يسعى طبيباً ممرضاً

مواطن للإسلام لم يسألها السالى^(١)
لها كهلال يُجْتَلَى عند إهلال^(٢)
بقرطبة آباله ناعم البسال^(٣)
يطير على صيت من العلم جوال
إلى مصر لا توديع مُستكره قال^(٤)
إليها الفلا ما بين حل وترحال
بمغرس عرفان ومنبت إفضال^(٥)
بها العلم أجرى منه أنهار سائل^(٦)
بلايل تشدو غدوة بين أدغال^(٧)
وكم مرصد دان وكم مرقب عال^(٨)
من العلم أبواعاً له ذات أطوال^(٩)
رئيسا بتطبيب وتدير أحوال
بما كان لم يخطر لسابق أجيال^(١٠)
ويبذل جهدا لم يكن فيه بالآلى^(١١)

(١) يريد بقوله مواطن للإسلام : بلاد الأندلس .

(٢) اجتلاه : نظر إليه .

(٣) قرطبة : مدينة عظيمة بالأندلس (أسبانيا) وسط بلادها ، وكانت سريرا للسكر
وقصبتها ، وبها كانت ملوك بني أمية ، ومعدن الفضلاء ، ومنبع البلاء من ذلك الصقع ، بينها وبين
البحر خمسة أيام . وقد خرج منها كثير من أهل العلم والفضل والأدب .

(٤) قال : مبعوض .

(٥) عرصاتُها : ساحات ديارها .

(٦) السلسال : الماء العذب المنهل الدخول في الحلق ، لغزوبته وصفائه .

(٧) الأدغان : جمع دغل ، وهو الشجر الكثير الملتف .

(٨) المراد بالمرصد والمرقب هنا : المسكان الذي ترصد فيه النجوم وترقب .

(٩) الأبواع : جمع باع ، وهو قدر المد الزواجر ، ويكنى به عن الشرف والفضل ، كما هنا .
ذات أحوال : ذات أفضال ، وهو جمع طول .

(١٠) إن أبا بكر الرازي هو أول من وضع نظاما لترتيب المستشفيات وبنائها .

(١١) الآلى : المتقصر .

وَيُلْقِي السِّرِّيَّاتِ وَهِيَ مَسَائِلُ لَمَّى سُرُرَ الْمَرْضَى تُقَرَّرُ فِي الْحَالِ^(١)
فَقَدْ كَانَ يَلْقِيهَا عَلَى الْقَوْمِ نَاطِقًا بِأَوْضَحِ تَبْيَانٍ وَأَحْسَنِ إِمْلَالِ^(٢)
مَآثِرِهِ الْعَلَمِيَّةِ :

نَقَدَ أَشْغَلَ الرَّازِي بِبَعْدَادَ شُغْلُهُ عَدَا الطَّبَّ فِي الْكِمِّيَاءِ أَعْظَمَ إِشْغَالِ
فَقَضَى بِهَا أَيَّامَهُ فِي تَجَارِبِ وَوَاوَلَّ أَبْكَارًا لَهْنًا بِأَصَالِ^(٣)
فَلَقَبَ فِيهَا بِالْمُجَرَّبِ حَرَمَةً تَفَرَّدَ مَخْصُوصًا بِهَا بَيْنَ أَمْثَالِ
وَأَصْبَحَ مَشْهُورًا بِأَسْنَى مَآثِرِ مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا وَأَعْمَالِ
فَإِنْ أَبَا بَكْرَ لَأَوَّلُ مَفْصَحِ إِلَى النَّاسِ بِالدَّرْسِ السَّرِيرِيِّ مِقْوَالِ
وَأَوَّلُ مَنْ أَبْدَى لَهُمْ كَيْفَ يُبْتَنَى وَيُفْرَشُ مَارِسَتَانِهِمْ قَصْدَ إِبْلَالِ^(٤)
وَأَلَّفَ فِي الْمُسْتَشْفِيَّاتِ مُؤَلَّفًا تَقَصَّى بِهِ فِي وَصْفِهَا دُونَ إِغْفَالِ^(٥)
وَلَا تَنْسَ لِلرَّازِي الْكَحُولَ فَإِنَّهُ يَجِدُّ طَوْلَ الدَّهْرِ ذِكْرَاهُ فِي الْبَالِ
وَمَنْ عَمِلَ الرَّازِي انْعِقَادًا لِسَكَّرِ وَمَا كَانَ فِي مَحْصُولِهِ غَيْرَ سَيِّئَالِ
أَخْلَاقِهِ :

أَرَى الْعِلْمَ كَالْمَرْأَةِ يَصْدَأُ وَجْهُهُ وَلَيْسَ سِوَى حُسْنِ الْخُلَاقِ مِنْ رِجَالِ
أَخُو الْعِلْمِ لَا يَغْلُو عَلَى سُوءِ خُلُقِهِ وَذَوَا الْجَهْلِ إِنْ أَخْلَاقُهُ حَسَنَتْ ظَالِ^(٦)
وَلَوْ وَازَنَ الْعِلْمُ الْجِبَالَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنُ خُلُقٍ لَمْ يَزِنْ وَزْنَ مِثْقَالِ

(١) سرر : جمع سرير .

(٢) الإملال : الإملاء يقال : أملت الكتاب على السكاتب إملالاً ، وأملته إملاءً .

(٣) الابتكار : هو من طلوع الشمس إلى الضحى . الآصال : جمع أصيل ، وهو الوقت ما بين العصر إلى المغرب .

(٤) الإبلال : مصدر أبل المريض بمعنى شفى من مرضه .

(٥) تقصى المسألة : بالغ الغاية في البحث عنها .

(٦) يغلو : يكون غالباً . يقول : إن العالم السيئ الأخلاق لا يعاب به ، ولا نكون قيمته غالية . والجاهل الحسن الأخلاق غال ، معبوه به ، لحسن أخلاقه .

وإن المساوى وهى فى خُلُقٍ عالمٍ
ولكنما الرّازى قد ازدان علمه
خلائق غرّة إن أردتُ بيانها
فتى كانت مملوء الجوانح رحة
يزور بيوت البائسين بنفسه
ويأتيهم بالمال والعلم مُسعداً
وما كان يقنو المال إلا لئله
وكان حليف الجد لم يألُ جهده
فكم راح مخذولاً به متطبّب
وكان سليماً فى العقيدة قلبه
وخلّ تفاصيل الألى ينسبونه
عوده إلى الرى :

ولما قضى الرازى ببغداد برّة
فلما أتت تلك البلاد غدا بها
وألف للمنصور إذ ذاك باسمه
ولم تصفُ للرازى أواخرُ عمره
فقد عميت عيناه من بعد واغتدى
مضى قافلاً لارى شوقاً إلى الآل^(٧)
طبيباً لدى المنصور صاحبها الوالى
كتاباً حوى فى الطب أحسن أقوال
وعاد أخاهم شديداً وبليال
يجول من الفقر الشديد بأسمال^(٨)

(١) الجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر ، كالضلوع مما يلي الظهر . الاقلال : الفقر .

(٢) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف .

(٣) يقنو : يقتنى .

(٤) الهزال : الكثير الهزل ، وهو ضد الجد .

(٥) الالتاد : الطعن فى الدين ، والانحراف عنه . الختان : الخناع .

(٦) الزيع : الميل ، وكثير استعماله فى الضلال ، وهو الميل عن الحق .

(٧) البرهة : قطعة من الزمان طويلة ، واستعملها لاقطعة القصيرة منه كما درج عليه الكتاب

اليوم خطأ محض . قافلاً : راجعاً . الآل : الأهل .

(٨) الأسمال : الثياب البالية .

- وإن عِدَاءَ الدهرِ شَيْثَةٌ له يصول بها قهراً على كلِّ مفضال^(١)
 ولما انتهى نحرُ الثمانينِ عمرُهُ قضى نحبهُ من غيرِ مالٍ وأنسال^(٢)
 ولكنه في الناسِ خَلَّفَ بعده من العلمِ آثاراً قليلةً أمثال^(٣)
 فكُم كُتِبَ أبى بها الذكرُ في الرِّى وألقبها نسباً على غيرِ منوال^(٤)
 وما ضرَّ من أحياءِ له العلمُ بعده على الدهرِ ذكرُ أنه مَيِّتٌ بال^(٥)
 وإني وإن أطنبتُ في بحرِ علمه لمقتصرٌ منه على بعضِ أوशल^(٦)
 وهأنا أنهي القولَ لا تمامه ولكن مجزئاً عن نهوضِ بأجبال^(٧)
 وأجعلُ هذا الشعرَ مسكاً ختامه بما قال في بيتين معناهما حال^(٨)
 « لَعَمْرِي وما أدري وقد آذَنَ البلى بعاجلٍ ترَّ حالٍ إلى أينَ ترَّ حالٍ »
 « وأينَ محلُّ الروحِ بعدَ خروجها
 من الهيكلِ المنحلِّ والجسدِ البالي »^(٩)

(١) الشَيْثَةُ : العادة والطبيعة .

(٢) أنسال : جمع نسل ، وهو الولد والذرية .

(٣) يقول : ماذا يضر الإنسان موته وبلاؤه إذا أحياء علمه له ذكرٌ خالداً مدى الدهر .

(٤) الأوشال : جمع وشل ، وهو في الأصل : الماء القليل يتحبب من حبل أو سخرة ولا يتصل مطره ولا يكون إلا من أعلى الجبل .

(٥) الأحياء : جمع جبل .

(٦) الهيكل : يطلق على مكان ، منها الصورة والشخص .

الحرب في البحر (*)

أو وقعة ترشيا بين الروس واليابان

سَعَرَوْهَا فِي الْبَحْرِ حَرْبًا ضَرُوسًا تَأْكُلُ الْمَالِ نَارُهَا وَالنَّفُوسَا (١)
 قُرْبَ «جُوشِيم» قَدْ تَصَادَمَ أُسْطُو لِأَنَّ أَرْدَى الْيَابَانَ فِيهِ أَرُوسَا
 يَوْمَ «طَوُغُو» دَهَا بِأُسْطُولِهِ الرُّو سَ قِتَالًا وَكَانَ يَوْمًا عُبُوسَا
 فَمَدَّهَا بِوَارِجًا تَمَلُّ الْبَحْرَ وَقَارَا طُورًا وَطُورًا بُوسَا (٢)
 كُلَّ مَخَارِقٍ إِذَا حَرَّكَتْ دُفًّا عَمَّا خَضَخَضَتْ بِهِ انْقَامُوسَا (٣)
 مَذَبَنُوهَا لَهَا كَنَيْسَةً حَرْبٍ تَخَذَتْ كُلَّ مِدْفَعٍ نَاقُوسَا
 عَرْشُ بَلْقَيْسٍ فِي الْمَنَاقِعِ لَكِنْ قَدْ حَكَتْ فِي احْتِشَامِهَا بَلْقَيْسَا
 أَلْبَسُوهَا مِنَ الْحَدِيدِ وَشَاحَا فَتَهَدَّتْ عَلَى الْعُبَابِ عَرُومًا (٤)
 وَإِذَا تَنَشَّرَ الْبَنُودُ بَنُودَ النَّصْرِ فِيهَا تَخَالُمَا الطَّلُوسَا
 وَإِذَا جَنَّتْهَا عَلَى الْبَحْرِ لَيْلٌ أَطْلَعَ الْكُورِبَاءُ فِيهَا شُمُوسَا (٥)
 قَدْ أَبَى بِأَسْهَا الشَّدِيدِ سَوَى الْفَوْ لِأَذْ دِرْعًا لَجْسَهَا وَلَبُوسَا
 سَيَّرُوا الْبَرْقَ بَنِيهِنَّ رَسُولًا صَادِقًا لَيْسَ يَعْرِفُ التَّكْدِيلِسَا
 فَهُوَ فِيهَا لَسَانٌ صَدَقَ يُؤَدِّي دُونَ سِلَاحٍ كَلَامُهَا الْمَانُوسَا
 إِنَّمَا سِلَاحُهَا الْأَثِيرُ الَّذِي رَا حَ بَطْنٍ أَهْتَازَهُ مَدُوسَا
 جَمَّزُوهَا مَدَافِعًا فَغَرَّتْ أَفْوَءَهُ نَارٍ قَدْ التَّقَمَّنَ الشُّوسَا (٦)

(١) من الضروس : الأول .

(٢) الضروس : المهلكة .

(٣) حدها : سابقها .

(٤) المدافع : التي العظيم يدافع به مثله ، وأراد به ما يكون في مؤخر الباخرة ليندفعها لاسير ، وهو الذي تسميه العامة « الرافس » . خضخضت : هيجت وحركت . القاموس : البحر ، ومعظمه ، ووسطه .

(٥) العباب : معظم الماء .

(٦) جنها : سترها .

(٦) فغرت : فتحت . الشوس : جمع شوس ، يطلق على الذي ينظر بمؤخر عينه لتسكيرها أو تغيظها ، وعلى الجري على القتال الشديد .

دَلَعْتُ ألسنا من النار حُمْرًا وِيلَ من قد نَغدا بها مَلْحوسًا
تَرسِلُ الموتَ في قَنابِلَ كالشُّهْبِ ذَرِيْعًا مُستَأْصِلًا عِتريسًا^(١)
طَلَمًا بانفجارها انفلقَ البَحْرُ انفلاقًا مُذَكَّرًا عَهْدَ مُوسَى

بَثَّ أَسْطُولَهُ فَلَبَّسَهُ « طَوْ » غَوْ » بِأَسْطُولِ خَصْمِهِ تَلْبِيسًا
حَيْثُ قَدْ أَجْفَلْتَ مِنَ اللَّجْجِ الحِيسَ تَخْشَى من اللَّهِيبِ مَسِيسًا
وَعَلَا الْبَحْرَ مَكْفَهْرٌ غَمَامٍ من دُخَانِ هَمَى وَلَكِنْ بُوْسَى^(٢)
ثَارَ طَرَادُهُمْ بِمَحِيشِ بَنَسَا فَاتِ سُنَنِ لَهِمِ سَجَرَنَ الْوَطِيسَا^(٣)
كَجِبَالٍ تَرَى الْبَرَائِكِينَ فِيهَا تَقْذِفُ الموتَ جَارِفًا وَالنَّحُوسَا
فَأَبَاحُوهُمْ هُنَالِكَ قَتْلًا وَاعْتَنَامًا نَفُوسَهُمْ وَالنَّفِيسَا
فَسَلَّ إِلَيْهِمْ كَمِ تَضَمَّنَ مِنْهُمْ مُغْرَقًا فِي عُبَابِهِ مَغْمُوسَا^(٤)
هَاجَمُوهُمْ وَلِلْبِجَاجِ سَمِيرَ مَلَأَتْ وَاسِعَ الْخَضَمِّ حَسِيسَا^(٥)
فَكَسَوْهُمْ مِنَ الْهَوَاتِ لَبُوسَا وَسَقَوْهُمْ مِنَ الْمَنُونِ كُئُوسَا
صَرَعَتْ فِي الْوَغَى لُيُوثٌ مِنْ أُنْيَا بَانَ أَسْطُولَ خَصْمِهَا مَفْرُوسَا
فَأَتَتَصَوَّهَا عَزَائِمًا مَاضِيَاتٍ طَاطَأَ الرُّوسُ دُونَهُنَّ الرُّيُوسَا^(٦)
وَجَلَّوْهَا فِي الرَّوْعِ بَيْضَ فِعَالٍ أَقْرَأَتْهُمْ كُتُبَ الْفَخَارِ دُرُوسَا
إِنْ يَوْمًا لَهِمِ تَقْضَى بِجُوشِيَمَا لِيَوْمٍ بِالذِّكْرِ زَانِ الطُّرُوسَا
بَاتَ « طَوْغُو » يَجْنِي الْأَمَانِي إِذَا بَا تَ قَنُوطًا عَدُوَّهُ وَيَكُوسَا

(١) الذريع : من الخيل الخفيف السير . والواسع الخطو . ويقال : موت ذريع : أى قاس ، وقتل ذريع : أى فظيع . استأصله : قلع أصله . واستأصل القوم : قطع أصلهم . العتريس : من معانيه : الجبار الغضبان ، والنول الذكر ، والداهية ، والضابط الشديد .

(٣) البوسى : ضد التعمى .

(٢) سيجرن : أشعلن . الوطيس : التنور . يقال : حمى الوطيس ، كناية عن اشتداد الحرب .

(٤) اليم : البحر . (٥) الخضم : البحر .

(٦) اتقضى حسامه : جرده .

قائد لم يرد لظى الحرب إلا مُصدراً رأيه لها جاسوساً^(١)
 تاه أسطوله على اليم عجباً حين أضحي مثله مرءوساً^(٢)
 إن شهما تقلد العقل سيفاً لحرى بأن يكون رئيساً
 ومليكا ولي الأمور ذويها لجدير بمكة أن يسوسا
 وسل البر عنهم كم سَعَوْا فيه خيساً عرمرما فخميساً^(٣)
 رجلا يملأ الفضاء وخيالاً حملت نوغى الكُمة الشُّوساً^(٤)
 صوبوها بنادقا تطلق المو ت رصاصا به أبادوا النفوسا
 هكذا شيدوا بناء المعالي هكذا أحسنوا لها التأسيسا

(١) لظى الحرب : ناراها :

(٢) الضمير في أضحي : قائد للأسطول . وفي مثله : راجع لطونغو .

(٣) الخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير .

(٤) الكُمة : جمع كمي ، وهو الشجاع . والشوس : تقدم معانها .

هلاكو^(١) والمستعصم^(*)(٢)

هو الدهر لم يرحم إذا شدَّ في حرب
يُزجر أحياناً ويضحك تارة
فلا هوَ في سلم فئامنَ بطشه
يسالم حتى تأخذَ القومَ غيرةً
أرى الدهن كالميزان يصعد بالحصى
أدال من العرب الأعاجم بعدما
ولم أرَ للأيام أشنعَ سبةً
لعمرك من ملك العلوج على العرب^(٨)

ولم يتند إما تمخض بالخطب^(٣)
فيظهر في بُردين للجِدِّ واللَّعب^(٤)
ولا هو في حرب فتقعد الحرب
فيهم زحفا في زعارعه النكب^(٥)
ويهبط بالموزون ذو الثمن المربى^(٦)
أدال بني عباسها من بني حرب^(٧)

(١) هلاكو : هو هلاكو خان الطاغية الملعون ابن طلو بن جنكيز خان ملك التتر ، الذي أسر المستعصم بالحديعة ، ثم قتله وامتلك بغداد ، بعد أن قتل ما لا يحصى من العلماء والصلحاء وعامة الأهالي ، حتى فعل هو وجيوشه الجرارة الأفاعيل ، وضروب المنكر ، من قتل النساء والأطفال ، وشق بطون الحوامل ، وقتل الأجنسة ، وركوب الفواحش ، وقد دام القتل والنهب فيها أربعين يوماً ، ثم نودي بالأمان . والتتر شعوب من الترك ، مساكنهم بلاد الصين ، مما وراء نهر سيحون ، وهم أُمم كثيرة .

(*) من الديوان الأول .

(٢) المستعصم : هو آخر خلفاء بني العباس ؛ وكان ضعيف الرأي ، قد غلب عليه أمراء دولته ، لسوء تدبيره ، ولم تعلم كيفية قتل هلاكو له . وإنما يعلم أنه بعد أن انهزم جيش الخليفة ، خدع الخليفة بواسطة وزيره ابن العاقمي ، مدعياً أنه إن خرج إلى هلاكو ، فإنه يبقيه في الخلافة ، فخرج إليه المستعصم ، في جمع من أكابر أصحابه ، وفيهم العلماء والأماثل ، والسادة والمدرسون ، فلما تكامل جمعهم قتلهم التتر عن آخرهم .

وابن العاقمي هذا وزير المستعصم : هو الذي كاتب هلاكو بأن يحضر ويغزو بغداد ، انتقاماً من الخليفة وابته أبي بكر ؛ لسبب سبذكره في موضعه من القصيدة .

(٣) يتند : يتمهل : تمخض بالخطب : أتى به وأظهره ، كأنه من الخاض .

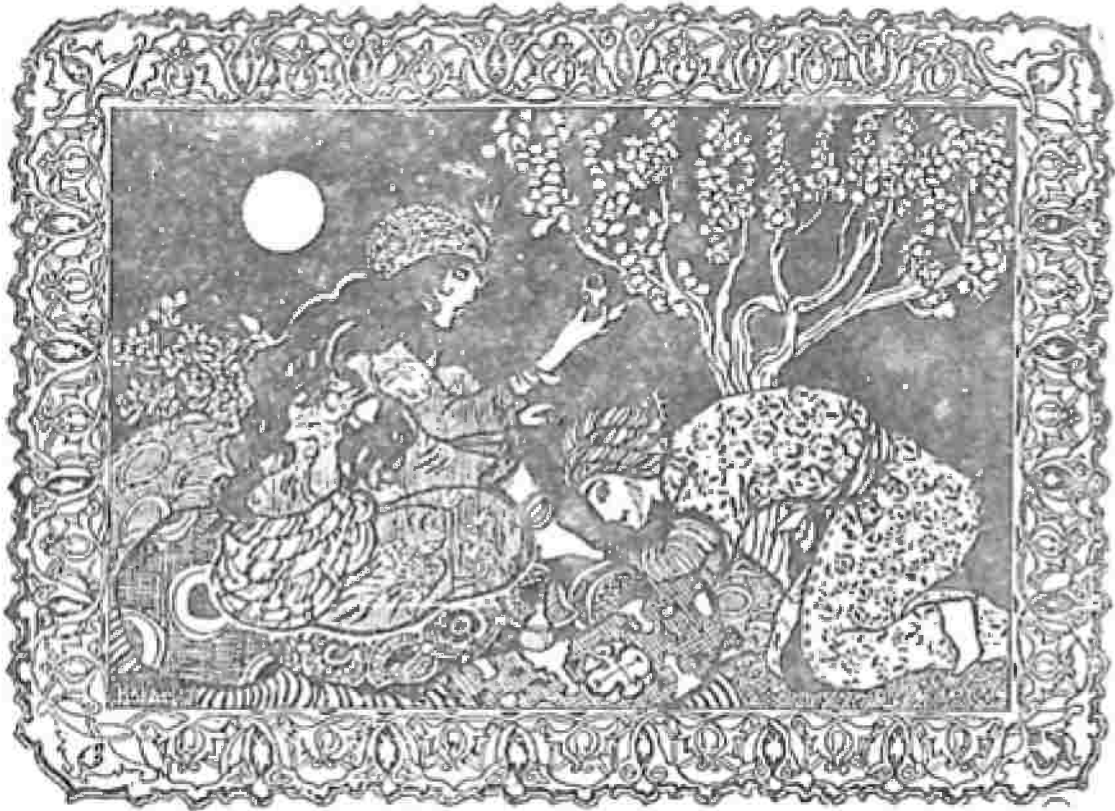
(٤) يزجر : يكثر الصخب والصياح والوَجَر . البرد : الثوب ...

(٥) غرة : غفلة . الزعازع : الشدائد من الدهر . النكب : جمع نكباء ، وهي ريح انحرفت عن مهاب الرياح ، ووقعت بين ريحين ، أو بين العبا والشمال .

(٦) المربى : الزائد .

(٧) يقال : أدال الله بني فلان من عدوهم : أي جعل السكره لهم عليهم ؛ وأدال الله زيداً من عمرو : أي نزع الدولة من زيد ، وحولها إلى عمرو . والمراد بالأعاجم : هم التتر . بنو حرب : هم بنو أمية ، وقد انتصر العباسيون عليهم ، وانتزعوا الملك من أيديهم ، كما انتصر التتر على بني العباس ، وأخذوا الملك منهم .

(٨) السبة : العار . العلوج : جمع علج ، وهو الرجل الضخم من كفار الأعاجم .



- صفت لبني العباس أخواضُ عزهم زمانا وعادتُ بعدُ مُخْلِبةُ الشُّربِ ^(١)
عَمَّتْ لهم الدنيا فساموا بلادها بعدلِ أضاء الملك في سالف الحُقبِ ^(٢)
فكانوا طِفاح الأرض عزًا ومنعةً
خلافَ ساسوا بالسيوف وبالكتبِ ^(٣)
لقد ملكوا مُلكا بكت أخرياته بدمع على المستعصم الشَّهْمُ مُنْصَبٍ
تشاغل بالذات عن حَوَوط ملكه
فدارت على ابن العاقبي رَحَى الشَّغْبِ ^(٤)
أطال هجوداً في مضاجع لهوه
على تَرَفٍ والدهر يقظانُ ذو أَلْبِ ^(٥)

(١) مُخْلِبة : فاسدة ذات حمأة ، يقال : أخلب الماء : إذا كان ذا خلب ، أي حمأة .

(٢) الحُقب : الدهر .

(٣) الطِفاح : الملء ، هو طِفاح الأرض : ماؤها .

(٤) الشَّغْب : تهيج الشر .

(٥) الألب : التدبير على العدو من حيث لا يعلم .

لقد غرّه أن الخطوبَ روايض ولم يدرك أن الليثَ يرْبُضُ للوثب^(١)
فكان كمروان الحمارِ إذ انقضتْ به دولة مدّت يدَ الفتح للغرب^(٢)

* * *

جَرَتْ فتنةٌ من شيعة الكرخ جَلَّتْ

على شيعة في الكرخ بالقتل والنهب^(٣)
فقامت لدى ابن العلقميّ ضغائنٌ تحجّرُن من تحت النياط على القلب^(٤)
فأضمر المستعصم الغدر وانطوى

على الحقد مدفوعاً إلى الغش والكذب

وخادعه في الأمر وهو وزيره مواربة إذ كان مستضعف الإرب^(٥)
فأبعد عنه في البلاد جنوده وشنتهم من أوب أرض إلى أوب^(٦)
ودس إلى الطاغى هلاكاً رسالة مغلغلة يدعوها فيها إلى الحرب^(٧)
وقال له إن جئت بغداد غازياً تملأكتها من غير طعن ولا ضرب
فأر هلاكاً بالمغول تؤمّه

كتائبٌ خُضِرَ تضرب السهل بالصعب

وقاد جيوشاً لم تهرّ بمخضبٍ من الأرض إلا عاد ملتهب الجذب

-
- (١) روايض : الربوض للفرس والسبع والبقر وغيرها : مثل البروك للابل .
(٢) مروان الحمار : هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وهو رابع عشر خلفاء بني أمية وآخرهم ، قتل في كنيسة في بوسير ، من أعمال مصر ، بعد أن انهزم في الزاب ، طعنه لإنسان برمج سنة ١٣٢ هـ وموته انقضى ملك بني أمية في المشرق .
(٣) جلع عليه : أي أقدم عليه إقداماً سديداً وكاشفه بالمداوة ، وخلاصة هذه الفتنة : أن وزير المستعصم كان شيعياً ، وكان أهل الكرخ شيعة أيضاً ، فجرت فتنة بين السنية والشيعة ، فأمر أبو بكر بن المستعصم ، وركن الدين الدوادار العسكر ، فتهبوا الكرخ ، وهتكوا النساء ، وركبوا منهن القواحش ، فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي ، وكاتب التتر ، وأطعمهم في ملك بغداد ، وسمى في تفريق جيش المستعصم عن بغداد إلى آخر ما ذكرناه في ترجمة المستعصم .
(٤) النياط : القواد ، وعرق نبط به القلب إلى الوتين ، فإذا قطع مات صاحبه .
(٥) الإرب : الدهاء .
(٦) الأوب : الجهة .
(٧) الرسالة المغلغلة : الحملة من بلد إلى بلد .

جُيُوشُ تَرْدِ الْمُضْبِ فِي السَّيْرِ صَفْصَفًا وَتَعْرُكُ فِي تَسْيَارِهَا الْجَنْبَ بِالْجَنْبِ
فَمَا عَتَمَتْ حَتَّى بَنَتْ بُغْيَارَهَا سَمَاءً عَلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ مِنَ التُّرْبِ
وَلَمَّا أَبَادَتْ جَيْشَ بَغْدَادَ هَالِكًا عَلَى رَغَمِ فَتْحِ الدِّينِ قَائِدَهُ النَّذْبِ
أَقَامَتْ عَلَى أَسْوَارِ بَغْدَادَ بَرْهَةً تَعَضُّ بِهَا عَضَّ الثَّقَافِ عَلَى الْكَمْبِ
تَقْضَاقُ عَلَيْهِمْ بِالْحِصَارِ خِنَاقُهَا وَغَصَّتْ بِكَرْبٍ يَا لَهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ
بَوَقْدِ حِمٍّ فِيهَا الْأَمْنُ بِالرُّعْبِ فَانْبَرَتْ

لَهُ رَحَضَاءٌ مِنْ عَيُونِ أُولَى الرُّعْبِ (١)
هَنَّاكَ دَعَا الْمُسْتَعَصِمِ الْقَوْمَ بِأَكْيَا بِدَمْعٍ عَلَى لَحْيَيْهِ مِنْهُمْ لِي سَكَبِ
فَأَبْدَى لَهُ ابْنَ الْعَلَقَمِيِّ تَحْزُنَا

طَوَى تَحْتَهُ كَشْحًا عَلَى الْمَكْرِ وَالْخَلْبِ
وَقَالَ لَهُ قَدْ ضَاقَ بِالْخَطْبِ ذَرْعُنَا وَأَنْتَ تَرَى مَا لِلْمَغُولِ مِنَ الْخَطْبِ
فَكَمْ نَحْنُ نَبَقَى وَالْعَدُوَّ مُحَاصِرُ نَذِلُ وَنَشْقَى فِي الدِّفَاعِ وَفِي الذَّيْبِ
وَمَاذَا عَسَى تَجِدَى الْحِصُونَ بِأَرْضِنَا وَهُمْ قَدْ أَقَامُوا رَاصِدِينَ عَلَى الدَّرْبِ
فَدَعِ « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » قِتَالَهُمْ عَلَى هُدُنَةٍ تَبْقِيكَ مِلْتَمَ الشَّعْبِ
وَلَسْنَا « وَإِنْ كَانَتْ كِبَارًا قُصُورُنَا » تَرُدُّ هُلَاكُو بِالْقِتَالِ عَلَى الْعَقْبِ
فَهَادِنُهُ وَاخْرِجْ فِي رَجَالِكَ نَحْوَهُ وَصَاهِرُهُ وَاشْدُدْ مِنْهُ أَرْكَ بِالْقُرْبِ
وِإِلَّا فَإِنَّ الْأَمْرَ قَدْ جَدَّ جِدُّهُ وَلَيْسَ سِوَى هَذَا لَصَدْعِكَ مِنْ رَأْبِ

• • •

فَلَمَّا رَأَى الْمُسْتَعَصِمُ الْخَرْقَ وَاسْعَا وَأَنْ لَيْسَ لِلدَّاءِ الَّذِي حَلَّ مِنْ طِبِّ
مَشَى كَارَهَا وَالْمَوْتَ يُعْجِلُ خَطْوَهُ يَوْمٌ لَفِيفًا مِنْ بَنِينَ وَمِنْ صَحْبِ

(١) الرَحَضَاءُ : عَرَقٌ يَنْصَبُ عَقِيبَ الْحِمَى . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَنَّ الْأَمْنَ لَمَّا صَارَ مَحْمُومًا بِالرُّعْبِ ،
كَانَتْ رَحَضَاؤُهُ الدَّمُوعَ الْمُنْسَكَةَ مِنْ عَيُونِ الْمَرْعُوبِينَ .

وراح بعقد الصلح يجمع شمله
فأمسكه رهنا وقتل صحبه
وأغوى بغداد الجنود كما غدا
فظلت بهم بغداد شكلى مِرْنَةً
وجاسوا خلال الدُّور ينتهبونها
وأمسى بهم قصر الخلافة خاشعا
وبانت به من واكف الدُّمْع بالبُكا
وراحت سبایا للغول عقائل
لقد شربوا بالهُمُونِ أوْشال عِزِّها
فقلص ظل كَن في الملك وارقا

كمن راح بين النون يجمع والخب^(١)
هَلَاكو ولم يسمع لهم قَطُّ من عَتَب
بأدماء يُفَرِّى كَلْبَهُ صَحْبُ الكَلْب
تفجَّع بين القتل والسبي والذهب
وصبوا عليها بطشهم أيما صب
مُتَهَيِّكَةً أَسْتَارَهُ خَائِفَ السُّرْب
عيونُ المهاشِراءِ منزوعةَ الهُدُب
من اللأء لم تُمدِّدْ لهن يد الثَّأْب
وما أساروا شيئا لعمرُك في القَعْب
وأُحْلَ ملك كان مغلوب العشب

• • •

لقد بات إذ ذاك الخليفة جاثما
وخارت قواه بالسَّعارِ لَمْنَه
فقال وقد نَقَّتْ ضفادعُ تَطْنَه
فقال هَلَاكو عاجِلُوهُ بقصعة
وقولوا له كل ما بدا لك إنْها
ألست لهذا اليوم كنتَ ادَّخَرْتَهَا
وكنتَ بها دون الممالك مُعْجَبًا

على الخَسَفِ مرقوبا بأربعة غُلَب
ثلاثة أيام عن الأكل والشُّرْب^(٢)
ألا كسرةً يا قوم أشفى بها سَعْبِي^(٣)
من الذهب الإبريز والؤلؤ الرطب^(٤)
لآلئ لم تعبثْ بهنَّ يد الثَّأْب
فدونك فانظر هل تنوب عن الحُب
وفاتك أن الملت من ثمر العُجْب

(١) النون : الحوت . والضب : حيوان يعيش في البر والمعنى : أنه راح يجمع بين الضدين .

(٢) السعار : الجوع .

(٣) نقت : صوت . والكسرة : اللقمة . والسغب : الجوع .

(٤) الإبريز : الخالص . والؤلؤ الرطب : أى المستخرج من البحار .

وَوُكِنْتَ فِي عِزِّ الْبِلَادِ أَهْنَهَا وَأُنْزِلَتْ مِنْهَا الْجُنْدُ فِي مَنْزِلِ خِصْبِ
لَمَّا أَكَلْتَكَ الْيَوْمَ حَرْبِي وَإِنْ غَدْتُ تَذِيبُ لُظَاهَا عِنْدَ صِرَاحِ الْجَبْرِ انْصَابِ
سَأْبِلُهَا دُونَ الْجُنُودِ أَزِيدُهُمْ صِيَالًا بِهَا فَوْقَ الْمَطْهَمَةِ الْقُبِّ (١)
وَسَوْفَ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا حَدِيثُنَا تَمِيزُ مَلُوكِ الْأَرْضِ دَأْبُكَ مِنْ دَأْبِي (٢)

° ° °

هَنَالِكَ وَأَنْطَوَيْتُ أَفْتَى بِقَتْلِهِ قَرَرَهُ يَقْتُلُ آدِبٍ أَفْجَعَ الْأَدْبِ
أَشَارَهُلَا كَوْنُ نَحْوِ عِلْجٍ فَتَلَهُ فَخَرَّ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجَنْبِ (٣)
فَأُدْرِجُ فِي لِبْدٍ وَدَيْسٍ بِأَرْجُلٍ إِلَى أَنْ قَضَى بِالرَّفْسِ نَمَّةً وَالضَّرْبِ (٤)
وَقَدْ أَتَخَنَتُ بَغْدَادَ مِنْ بَعْدِ قَتْلِهِ جُرُوحُ بَوَارٍ جَاءَ بِالْحِجَجِ الشُّهْبِ (٥)
وَمَا أُنْدَمِلْتُ تِلْكَ الْجُرُوحِ وَإِنَّمَا يَبْغِدَادُ مِنْهَا الْيَوْمَ نَدْبٌ عَلَى نَدْبِ (٦)

-
- (١) صيالا : شدة واستطالة . والمطهمة : يريد الخيل المطهمة ، وهي البارة الجمال . والقُب : جمع أقب ، وهو : الضامر ، وهو من صفات جياد الخيل ، وخاصة خيل الحرب .
(٢) الدأب : المادة والطريقة .
(٣) العليج : واحد العلوج ، وهو الرجل الضخم من كفار الأعاجم . وتله : صرعه .
(٤) أدرج : لف .
(٥) أتخنت : أوجعت فألمت . والحيجج : السنون . والشهب : جمع شهباء ، وهي البيضاء ، كناية عن سنة الجذب والتقطع والجوع .
(٦) الندب : أثر الجرح ، جمعه ندوب . واندمل الجرح : التأم وبرأ .

أبو دلالة والمستقبل (*)

قضت المطامع أن نطيل جدالاً وأبينَ إلّا باطلاً ومحالاً^(١)
 في كل يوم للمطامع ثورةً باسم السياسة تستجيش قتالاً^(٢)
 ماضراً من ماسوا البلاد لو أنهم كانوا على طلب الوفاق عيالا^(٣)
 أمن السياسة أن يقتل بعضنا بعضاً ليذكر غيرنا الآمالا
 لادرّ درّ أولى السياسة إنهم قتلوا الرجال ويتموا الأطفالا
 غرسوا المطامع واغتدوا يسقونها بدم هريق على الثرى سيالا
 شروا الدماء على البطاح شقائقها وتوهوها الروضة الحلالا^(٤)
 تقف الجيوش ولا ضغائن بينها سبت ولا ترة ولا أدحالا^(٥)
 قالوا كرهت الحرب قلت لأنها دارت لتغتصب الحقوق ألالا^(٦)
 وأجّلت فكري في الحروب فلم أجد أبدا لمن سوى الخمر مثالا
 طاشت منافعها الصغار عن الورى ورست مآثمها الكبار جبالا
 ما أجشع الحرب الضروس فإنها تحسو النفوس وتأكل الأموالا
 كمسح من رهج الحروب على الرّبا وبّل الدماء فزادها إحمالا
 لولا الحروب ومحرقات صواعق منها لأبقت الربا إبقالا

(*) من الديوان الأول .

(١) المحال : المكر والكيد والاحتيال .

(٢) تستجيش : أى تعد جيشا . أو هو من جيشان القدر إذا غلت واضطربت . وقتالاً : منصوب على أنه مفعول لأجله ، أى لأجل القتال .

(٣) عيالا : جمع عيل . يريد متسكبين .

(٤) الروضة الحلال : التى يحلها الناس كثيراً ، ويطلقونها ، وضدها روضة أنف : أى لم توطأ بعد .

(٥) الأذحال : جمع ذحل ، وهو بمعنى الترة .

(٦) الألال : كسحاب : الباطل ، وهو هنا نائب عن المفعول المطلق ، أى اغتصابا باطلا .

قُبِحت بنا الأرض النضا وماحوت في غير ما زمن الفِطْحَلِ جَمالاً^(١)

أبْنَى السِّيَاسَةِ إِنْ سَلَكَتُمْ بِالْوَرَى
إِنْ جَرَّتِ الْحَرْبُ الْكَيْلَ لَأَمَةٍ
إِنَّ الْحَيَاةَ كَثِيرَةٌ أَعْمَالُهَا
وَتَقَعُّمُوا حَرْبَ الْحَيَاةِ فَإِنَّهَا
وَاسْتَلَيْتُمْوَا زَرَدَ الْوَفَاقِ وَأَشْرَعُوا
وَاقْنُوا لَكُمْ بَيْضَ الْمَسَاعِي شُرْبًا
وَاعْلُوا عَلَى صَهَوَاتِهِنَّ رَوَا كَضًا
وَدَعُوا صِيَالًا فِي الْمَلَا حِمِّ إِنْ فِي
أَوْ كَلَّمَا طَمِعَ الْقَوَى شِرَاهَةً
لَا غَرَوْ أَنْ يَلِدَ الزَّمَانُ بِمَرٍّ
إِذْ رَاحَ يَقْتُلُ بِالْعَوَاطِفِ قِرْنَهُ
إِذْ جَهَّزَ «الْمَنْصُورُ» جَيْشًا قَادَهُ
فَضَى فِيهِ أَبْرَدُ لَامَةٍ مُكْرَهَا

طَرُقَ الرِّشَادَ فَعَمَّوَا الْجَهْلَا
فَالْعِلْمُ أَحْرَى أَنْ يُجْرَ كَمَالَا
فَدَعُوا الْأَنَامَ وَحَارَبُوا الْأَعْمَالَا
لِلْحُرِّ أَضِيقَ مَأْزِقًا وَجَمَالَا^(٢)
فِيهَا تَعَاوَنَكُمْ قَنًا وَنِصَالَا^(٣)
تَجْرَى رِعَالًا لِلْمُنَى فِرْعَالَا^(٤)
لِلْمَكْرُمَاتِ تُسَاقِ الْأَجَالَا
هَذِي الْحَيَاةَ مَلَا حِمًّا وَصِيَالَا^(٥)
أَكَلِ الضَّعِيفَ تَحِيْقًا وَاغْتَالَا^(٦)
كَأَبَى دُلَامَةٍ مِنْ بَنِيهِ رَجَالَا^(٧)
قَتَلَا أَدَامَ حَيَاتِهِ وَأَطَالَا
«رَوْحُ» يَرِيدُ مَعَ «الشُّرَاةِ» قِتَالَا^(٨)
لِلْحَرْبِ أَخْرَجَ كَيْ يُصِيبَ نَكَالَا

(١) زمن الفطحل : زمن قديم قبل أن يخلق الناس على الأرض .

(٢) تقعموا الحياة : خوضوا شدائد الحياة ومصاعبها . والمأزق : مضيق الحرب .

(٣) استلئتموا : البسوا اللأمة ، وهي الدرع . وأشرعوا : أرفعوا . القنا : جمع قناة ، وهي

الرمح . والنصال ، جمع نصل ، وهو حديدة السيف والرمح ونحوهما .

(٤) شربا : جمع شارب ، وهو الضامر من الناس أو الحيل من غير هزال . والرعال : جمع

رعيل ، وهو الجماعة من الحيل .

(٥) الملاحم : جمع ملحمة ، وهي الحرب ، والوقعة الشديدة .

(٦) تحيقا : جورا وانتقاصا . واغتيال حقه اغتيالاً : أخذه .

(٧) لا غرو : لا عجب ،

(٨) الشراة : هم الخوارج . وروح : قائد من قواد أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي .

حتى إذا ألتقت الجيوش وعُيِّنت
برز السكى من الشراة مجرّدا
فأجال رَوْحٌ في الجنود لحاظه
فدعا إليه أبا دلامة قائلا
فجری إليه أبو دلامة هازلا
فشكا لِرَوْحٍ جوعه فأزاده
فانصاع من عَجَلٍ وسمط زاده

صفّا وصفّا يَمْنَةً وشمالا
للسيف يطلب من يُضيق بزالا^(١)
والقوم ينتظرون منه مَقالا^(٢)
يا ليتْ دونك ذلك الرّبالا^(٣)
ثم استقال فلم يكن ليُقالا^(٤)
بدجاجتين ، وحنّه استعجالا^(٥)
ومضى يحبّ لقرنه مختالا^(٦)

o o o

فأتى وقد شهِر السكى بوجهه
فدنا إليه أبو دلامة قائلا
إني أتيت وما أتيت مقاتلا
فاسمع مقالة من أتناك ولم يكن
واعلم بأنى لا أخاف منيتى
لكن أرى سفك الدماء محرّما
أمن المروءة أبّ نريق دماءنا

سيفا يَرُوع غِارَه الأغوالا^(٧)
مَهْلا فأغمد سيفك القَصالا
من أَسْت أَظلب عنده أذحالا
فيما يقول مُخادعا مختالا
جُبنا ولا أتهيب الأبطالالا
وأعيذ رأيك أن تراه حلالا
سَفها لمطمع طامع وضلالالا

(١) الشراة : جمع شار ، وهم الخوارج ، أقب لهم ، وانزال : ملافة الأقران في الحرب .

(٢) لحاظه : نظره بإحاطة عينه ، وهو في مؤخرها .

(٣) الرّبال : الأسد .

(٤) استقال : طاب الإقالة ، أى الخروج من مأزق الحرب .

(٥) أزاده : زوده ، أى أعطاه زادا .

(٦) انصاع من عجل : انقضى راجعا . وسمط زاده : من التسميط ، وهو التعاقب . يريد أنه

علق الزاد على حصانه . والحب : ضرب من السير متقارب الخطو ، في سرعة خفيفة . والقرن : الذى ينال في الحرب . ومختالا : من الحيلة ، وهى العجب .

(٧) السكى : البطل . وشهِر السيف : رفعه . والفرار : حد السيف . والأغوال : جمع

غول ، وهو حيوان منكر الخلق ، تؤم العرب أنه يفتال الناس في الأسفار ونحوها .

هل كنت من قبل اللقاء رأيتني يوما وهل منى لقيت نكالا
أم هل طرقتُ خيام قومك جانبا أم هل خربتُ بحبيهم آبالا^(١)
ماذا جرى بيني وبينك قبل ذا مما بجرُ خصومةً وجدالا
حتى شَهَرْتَ على سيفك تبغى ضربا يقطع منى الأوصالا
فأربأ بنفسك أن تكون من الألى زحفوا جنونا للوغى وخبالا

• • •

فرأى الكمى مقالَه متعاليا حقاً وكل حقيقة تتعالى
فعنا وأذن للحقيقة مغمدا سيفاً أجادته القيون صقالا^(٢)
ولوى العنان من المطهم قائلاً رُح بالأمان فلا لقيت وبالا
فشى إليه أبو دلامة مُخْرِجا زادا تعلق بالشموط مُشالا
ودعاه يا بن أولى المكارم راشدا أكرم أخاك بوقفةٍ إمهالا
إني لأرجو أن تكون مؤاكلي فى ذا الشواء ألا تحب إكالا
فتدانيا متخالفين وأقبالا وهما على فرسيهما إقبالا
حتى إذا أكلا شواء أدبرا بعد الوداع ووليا الأكفالا^(٣)

• • •

رجعا فسار أبو دلامة ظافرا والمهر يجفل تحته إجفالا^(٤)
حتى إذا وفى الأمير وقام عن كُتب ترجلُ دونه إجلالا
وعدا يقول وكان رَوْحٌ ضاحكا إني كفيئتُك قرني الرئبالا
وقتلته بالقول لا يمهدي والحربُ أخرى أن تكون مَقالا

(١) خربت : سرت : والحارب : اللص .

(٢) عنا : خضع وانقاد . والقيون : جمع قين ، وهو صانع السيوف وكل شيء من حديد والصفال : الجلاء والصقل .

(٣) الأكفال : جمع كفل ، بتحريك الفاء ، وهو مؤخر الحصان عند ذيله .

(٤) يجفل : يسرع العدو .

وَأُخِذْتُ فِي الْمِيجَا عَلَيْهِ مَوَاتِقَا أَلَّا يَعُودَ يُنَازِلُ الْأَبْطَالَا

إِنْ الْهَوَاتِفَ لَا تَزَالُ بِمُسْمَعٍ مَنِّي تَقُولُ إِذَا شَكُوتُ الْحَالَا
لَا تَيَاسِّنُ فَلِلزَّمَانِ تَنْفُسُ فَارْقِبْهُ أَنْ يَتَبَدَّلَ الْأَبْدَالَا
وَالدَّهْرُ طَاهٍ سَوْفَ يُنْضِجُ أَهْلَهُ بِالْحَادِثَاتِ يَزِيدُهَا إِشْعَالَا^(١)
إِنْ الدَّهْرُ وَهْنُ أَمْرٍ سَابِكٍ سَتَرْدُ أَضْدَادُ الْوَرَى أَشْكَالَا
حَتَّى كُنَانِي بِالطَّبَاعِ تَبَدَّلَتْ غَيْرَ الطَّبَاعِ وَزُلْزَلَتْ زِلْزَالَا
وَكُنَانِي بِلِنَى الْمَلَاكِمِ أَصْبَحُوا لِأَبْنَى دُلَامَةِ كُلِّهِمْ أَمْثَالَا^(٢)

أطلال العلم*

أو المدرسة النظامية في بغداد

قَوَّضَ الدَّهْرُ بِالْخَرَابِ عِمَادِي وَرَمَتْنِي يَدَاهُ بِالْأَنْكَادِ
كَمْ أُنَادَى وَلَيْسَ لِي مِنْ مَحْيَبٍ وَاضْيَاعُهُ جَهْرَةً كَمْ أُنَادَى
ضَعُفَ الدَّهْرُ مِنْ بِنَائِي أَرْكَا نَا شِدَادًا طَالَتْ عَلَى الْأَطْوَادِ^(٣)
طَالَمَا رَفِيفْتُ مِنَ الْعِلْمِ رَايَا تَ فَخَارَ مِنِّي عَلَى بَغْدَادِ
كُنْتُ لِلْعِلْمِ رَوْضَةً بَاكَرَتْ أَزْ هَارَهَا الْغُرَّ بِالْعِهَادِ الْغَوَادِي^(٤)
وَجَمِيعَ الْأَنَامِ تَضْرِبُ أَكْبَا دَ الْمَطَايَا كِي تَجْتَنِي أَوْرَادِي^(٥)

(١) الطاهي : الذي يطهو الطعام ، وهو الطباخ ينضج الطعام .

(٢) يريد أن الزمان المستقبل كفيّل بأن يحمل من أبنائه من يأتي أن يرقّ الدماء ظاهراً وعدواناً ، فلا يجيب دعوة الحرب التي لا عدل فيها ولا رحمة .

(*) من الديوان الأوّل .

(٣) الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل العالي . (٤) الغوادي : جمع غادية ، وهي السحابة تنفث غدوة أو تمطر غدوة . والمهادة جمع عهد ، وهو المطر بعد المطر .

(٥) الأوراد : جمع ورد ، والمراد به هنا : الجزء الذي يقرؤه العالم من العلم ، أو القارىء من القرآن في المرة الواحدة .

فَالْغَزَالِيُّ سَلَهُ بِي وَأَبَا إِسْحَاقَ عَمَّا حَوَيْتُ مِنْ إِرْشَادٍ^(١)
 سَلَهُ إِذْ فِي طَالِبِي الْإِبِلِ النَّجَسُ تَحْفَى مَضْرُوبَةُ الْأَكْبَادِ
 فَرَمْتَنِي صَوَاعِقُ الدَّهْرِ فَانْهَدَّ بِنَائِي وَصَرْتُ بَعْضَ الْوَهَادِ
 فَبِكْتَنِي مِنَ السَّمَاءِ دَرَارِيهَا وَكَانَتْ تُعَدُّ حُسَّادِي

• • •

أَهْلَ بَغْدَادَ مَا لِأَعْيُنِكُمْ تُغْمِضُ عَنْي كَأَنَّكُمْ فِي رُقَادٍ
 أَهْلَ بَغْدَادَ هَلْ تَرِقُّ قُلُوبٌ مِنْكُمْ رَاعِيَا انْقِضَاضِ عِمَادِي
 رَقَّ حَتَّى قَلْبُ الْجَمَادِ لِفَقْدِي فَتَكُونَنَّ قُلُوبُكُمْ مِنْ جَمَادٍ
 أَفْلا تَنْجِدُونَ مَدْرَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَعَهْدِي بِكُمْ أُولَى إِنْجَادٍ
 أَيْنَ مَا شِيدَ مِنْ نِظَامِي رَبَّعِي فَلَقَدْ كَانَتْ نَجْمَةُ الْمُرْتَادِ
 أَيْنَ تِلْكَ الْعُلُومُ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ رَبَّعِي تُذَيِّعُهَا فِي الْبِلَادِ
 كَيْفَ قَضَّتْ خِيَامَهَا زَعَزَعُ الدَّهْرِ وَكَانَتْ رَصِينَةُ الْأَوْتَادِ^(٢)
 أَقْقَرْتُ سُوحَهَا وَقَدْ نَعِيَ الْعَالَمُ فَلَاحَتْ تَجَرُّ ثُوبَ الْحِدَادِ
 وَتَوَارَتْ بِالْجَهْلِ ظِلْمًا وَكَانَتْ خَافِقًا فَوْقَهَا لَوَاءُ الْإِشَادِ
 أَيُّهَا الدَّهْرُ كُلِّ مَا شِئْتَ فَافْعَلْ إِذْ حَادَا فِي رِكَائِي غَيْرُ حَادٍ
 وَرَعَانِي مِنْ رَاحٍ مِنْ ظِلْمِهِ الْعَدَا لَ فَقِيدَا مِيعَادَهُ فِي الْمَعَادِ
 فَرَّقُوا جَمْعَ أُمَّةٍ قَبْلَهُمْ كَانَتْ لِعَمْرِي وَحِيدَةً الْإِتِّحَادِ

(١) أَبُو إِسْحَاقَ : هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يُونُسَ الشَّيرَازِيُّ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ ، كَانَ مِنْ مَشِيخَةِ بَغْدَادَ ، وَإِمَامَ الْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ بِهَا ، تَوَلَّى النِّظَامِيَّةَ وَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَمِنْ تَأْلِيفِهِ : الْمَذْهَبُ وَالتَّنْبِيهُ فِي الْفَقْهِ ، وَاللَّعْمُ وَشَرْحُهَا فِي أَصُولِ الْفَقْهِ ، وَالنَّاسِكُ فِي الْخِلَافِ ، وَالتَّبَصُّرَةُ وَالْمَعُونَةُ ، وَالتَّلْخِيسُ فِي الْجِدْلِ . وَلَدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، أَوْ خَمْسَ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ (ابْنُ خَلِّكَانَ) .
 (٢) قَضَّتْ خِيَامَهَا : أَذْهَبَتْهَا ، مِنْ قَضَى . وَالْمَشْهُورُ فِي هَذَا : قَوَّضَ الْخِيَامَ أَيْ هَدَمَهَا .

في سلا نيك*

قالما عندما زحف جيش سلا نيك إلى الأستانة بقيادة محمود شوكت باشا،
وذلك لقمع الحركة الرجعية التي حدثت في ٣١ مارس سنة ١٩٠٨

لقد سمعوا من الوطن الأنيبا فضجُّوا بالبكا له حيننا
وناداهم لنُصْرته فقاوموا جميعاً للدفاع مسلّحيننا
ثاروا من مَرايضهم أسوداً بصوت الإتحاد مُزجِرينا^(١)
شبابٌ كالصوارم في مَضاء يروُن ، وكالشموس مُنَوِّرِينا
سلا نيكُ القناة حَوَتْ ثراءَ بهم فقصّتْ عن الوطن الديونا
لقد جمعوا الجوع فن نصارى ومن هُودٍ هناك ومسلمِينا
فكانوا الجيش أَلْف من جنود مجنّدة ومن متطوعِينا
تراهم فيه متّحدين عَزْماً وما هم فيه متّحدين ديننا
هي الأوطان تجعل في بنينا إخاء في محبتها رصينا
وتتركهم أولى أنفٍ كباراً يروُن حياه ذى ذل جنونا
وإن الموت خير من حياة يظلُّ المرء فيها مستكيناً^(٢)

* * *

مشوا والوالدتُ مُسَيَّعاتُ خرجن وراءهم والوالدونا
يقُلْنَ وهنَّ من فرح بواكٍ وهم من حزنهم متبسّمونا
على الباغين منتصرين سيروا وعُودُوا للديار مُظَفَّرِينا
ولا تُبقُوا الذين قد استبدوا وراموا كيدنا وتخونونا^(٣)
فإن لم تُنقذوا الأوطان منهم فلستم يا بنين لنا بنينا
فقد هاجوا على الدستور شراً بدار الملك كي يستعبدونا

(*) من الديوان الأول .

(١) الرجعة : صوت فيه غلظ وجفاء .

(٢) مستكيناً : خائفون ولم يرفعوا حقوقنا .

(٣) مستكيناً : خاضعاً ذليلاً .

هم الأشرار باسم الدين قاموا فعاثوا في المواطن مُفسدين
فما تركوا من الدستور (شُررى) ولا أبقوا لنغمته (طيننا) ^(١)

وكم قد قُذِن من قول شجى
ومذ حان الوداع دَنُون منهم
وما أنسى التى برزت وقالت
ألا يا راحلين لحرب قوم
خذونى للوغى معكم خذونى
وإن لم تفعلوا فخذوا رداً
لهم فتركهم متهيجين ^(٢)
فقبلن الصوارم والجفونا ^(٣)
وقد لقتوا لرؤيتها العيون
لئام ضيعوا الوطن الثمينا
ممرضة الجرحاكم خنونا
به شدوا الجروج إذا دَمينا

ولما جدَّ جدُّهم استقلوا
فطاروا فى مراكبه سِراعاً
وظلَّ الجيشُ صُبْحاً أو مساءً
فلم يتصرَّم الأسبوع إلا
هنا لك قتُّ مرتحلاً إليهم
على ظهر القطار مسافرين
بأجنحة البخار مرفرفينا
تسير جموعه متابعينا
وهم برُّبا فروعاً مخيمونا
لأبصر ما أوَّمل أن يكونا ^(٤)

وبأخرة علت فى البحر حتى
يؤثر جريها فى البحر إثرا
فتترك خلفها خطاً مديدا
ركبتُ بها على اسم الله بحراً
حكى بعُبابه الحصن الحصينا
تكادُ به تظن الماء طينا
بوجه البحر يمكث مستقيماً
غدا بسكون لجته رهينا

(١) يشير إلى ما حل بجريدة طنين إذ ذاك، وبمحل إدارتها، من الهدم والتخريب فى تلك الحادثة.

(٢) الشجى، يؤزن فعيل : ذو الشجر، وهو الحزن.

(٣) الصوارم : السيوف . والجفون : جمع جفن، وهو الغمد.

(٤) لما حدثت حادثة ٣١ مارس فى الآستانة، كان الرضا فى صلاتيك، فلذلك قال : هنالك

فرحنا منه ننظر في جمال يعز على الطبيعة أن يهونا
ومرأى البحر أحسن كل شيء إذا لبست غواربه السكونا^(١)
كأنك منه تنظر في سماء وقد طلعت كواكبها سفينا

أثينا دار قسطنطين صبحا وقد فُتِحَتْ لهم فتحاً مبينا
وظل الجيش جيش الله يشفي بحد سيوفه الداء الدينا
فأزهى أنفس الطاغين حتى سقاهم من عدائهم المنونا
ورد الخائنين إلى جزاء أحلهم المقابر والسجونا
وخطوا قصر يلدز عن سماء له فأنحط أسفل سافينا
وأصبح خاشع البنيان يغضي عيوننا عن تطاوله عمينا
خلا من ساكنيه وحارسيه فلم تر فيه من أحد قطينا^(٢)
هوى عبد الحميد به هوىاً إلى درك الملوك الظالمينا
وأُنزل عن سرير الملك خلعاً وأفرد لا نديم ولا قرينا
فسيق إلى سلايك احتباساً له كي يستريح بها مصونا
ولكن كيف راحة مستبدٍ غداً بديار أحرار سجيننا
يراهم حول مسكنه ساجداً ويعجز أن يُنيم له عيوننا
وموت المرء خير من مقام له بين الذين سقوه هونا

لقد نقض اليمين وخاف فيها فذاق جزاء من نقض اليمين
وقد كانت به البلدان تشقى شقاء من تجبره مميننا
فكم أذكى بها نيران ظلم وكم من أهلها قتل المميننا

(١) الغوارب : جمع الغارب ، وهو في ذوات الحف ما بين السنام والعنق ، وفي الكلام استعارة .

(٢) قطينا : أى قاطنا وساكنا .

وكان يدير من سفهِ رَحَاهَا بِجَعْجَعَةٍ ولم يُرْهَا طَحِينَا^(١)
وقد كانت به الأيام تمضي شُهُورًا والشهور مضت سفينَا
ولما ضاق صدرُ الملك يأسًا وصارَ يُردد الوطنُ الأَينَا
أتى الجيشُ الجليلُ له مُغِيثًا فصَدَّقَ من بنى الوطن الظنونَا
وأضحى سيفُ قائده المَفْدَى على الدستورِ محتفظًا أمينَا
حماه من العداة فكان منه مكانَ الليث إذ يحسى العرينَا
وأسقط ذلك الجبارَ قَهْرًا وأنبأه بصارمه اليقينَا
فقرت أعين الدستور أُمْنًا وشاَهِتْ أوجه المتمردينَا^(٢)

وقفه عند يلدز (*)

فالها عقب خلع عبد الحميد وإرساله إلى سلاطيك سجينَا

لَمَنِ القصر لا يجيب سؤالي أهلاتُ رَبُوعُهُ أم خوالي ؟
سُشْمَخِرَ البناء حيث تراءى باليَا مجده بَلَى الأطلال
لم تصبه زلازل الأرض لكن قد رمتـه السماء بالزلزال
وكسته الأيام بالصمت لما نطقت فيه حادثاتُ اللـ إلى
فقرأت أبقاره شاحباتٍ باكياتٍ بأعين الأصال

أيها القصرُ إِيهِ بعض جوابٍ لا تكن ساكنًا على تَسْأَلِي^(٣)
ليت شعري والصمت فيك عميق ذاكر أنت عهدهم أم سال ؟

(١) الجعجعة : صوت الرحي ونحوها . وفي المثال : أسمع جعجعة ولا أرى طحينًا ؛ يضرب
للرجل الذي يكثر الكلام ولا يعمل ، والذي يعد ولا يفعل .

(٢) شاَهِتْ : قَبِحت . والمتمردون : المنجبرون الظالمون .

(*) من الديوان الأول .

(٣) إِيهِ : هات .

ما تداعى منك البناء ولكن
كنت كلَّ البلاد في الطول والعرض
كنت مأوى العلى ، مثار الدنيا
كنت جبًّا وأىَّ جبٍّ عميق
مورد الخائنين كفت وكانت
قصر عبد الحميد أنت ولكن
أين خاقانك الذى كان يدعى
ما أرى اليوم ذلك المجد إلا
هل وقوفى على مبانيك إلا
قد تداعى بناء تلك المعالى^(١)
ض وكل العباد فى الأعمال
مهبط العز ، مصدر الإذلال
بالعا للنفوس والأموال
منك تدلى مطاعم العمال
أين يا قصر أين عرش الجلال
قاسم الرزق ، باعث الآجال
كخيال يمر بعد خيال
كوقوفى على الطلول البوالى^(٢)

قد تخونتنا ثلاثين عاما
تلك أعوام رفعة للأداني
تلك فيما جرت به نقطة سوء
يثب العدل طافرا كلما
ملأت خطة الزمان شناراً
وكأنى أرى اضطراب نفوس
أسمع الآن فيك ما كان يعلو
حاتمات على الذى فيك أبقى
تلك يا قصر أنف منك فطارت إلى سماء المعالى
وترقت إلى ذؤابة أعلى
جئت فيها لنا بكل محال^(٣)
تلك أعوام رفعة للأداني
تلك فيما جرت به نقطة سوء
يثب العدل طافرا كلما
ملأت خطة الزمان شناراً
وكأنى أرى اضطراب نفوس
أسمع الآن فيك ما كان يعلو
حاتمات على الذى فيك أبقى
تلك يا قصر أنف منك فطارت إلى سماء المعالى
وترقت إلى ذؤابة أعلى
جئت فيها لنا بكل محال^(٤)

(١) تداعى البناء : انهار وسقط بعضه فى أثر بعض .

(٢) الطلول : جمع طال ، وهو الشاخص البارز من آثار الديار عند العرب .

(٣) تخونتنا : تعهدتنا .

(٤) الشنار : العيب والمار .

وهي اليوم أحرقتك بشَّيب قدفتها عليك ذات اشتعال
لم يضع مجدُّها وإن هي أمست ضائعات الأشلاء والأوصال

كيف نسي تلك الخطوب اللواتي انقحَّت منك حرُّبها عن حِيال^(١)
يوم كنا وكان للجمل حكم خاذلٌ كلَّ عالمٍ مفضل
أمر من عتوه كلَّ أمر يغرس البغض في قلوب الرجال
أفأصبحت نادما أيُّها القصُّـرُ تبالى بالقوم أم لا تبالى؟
لم تغدك الندامة اليوم شيئا قضى الأمر فاصطبر باحتمال
وعزاء فليست أول قصير نكس الدهر من ذراه العوالى
قد تداعى من قبل إيوان كسرى بعد أن طال شاهقات الجبال^(٢)
وكأين من قصر ملك تراى ساقطا بالملوك والأقيال^(٣)
فابق يا قصر عابس الوجه كيا يصبح الملك باسم الآمال
وتعثر فلا لعا لك حتى ينهض العدل ناشطا من عقال^(٤)
إنما نحن أمة تدرأ الضيِّـمَ وتأبى أن تستكين لوانى
أمة سادت الأنام وطابت عنصرا من أواخر وأوالى^(٥)
فإذا ما غلا الغشوم نهضنا قدفناه — أفلا من عال
نملأ الأرض إن مشينا لحرب بزئير الغضنفرا لرئبال
وإذا ما غلا المليك ردونا ذيلا يقاد بالأغلال^(٦)

(١) انقحَّت الناقة : ضربها الفحل فحملت . والحِيال : عدم الحال . يريد إنك هيبت تلك الحرب
عد أن كانت ساكنة .

(٢) طال شاهقات الجبال : أى زاد عليها في الطول ولأرتفاع .

(٣) الأقيال : جمع قيل ، وهو الملك الصغير يتبع الملك الكبير ، كبعض ملوك الولايات في
إمبراطورية كبيرة .

(٤) لا لعا له : لأنعهه الله إذا سقط .

(٥) أوالى : أصلها : أوائل ، أخرت الهزيمة بعد اللام ، ثم سهلت .

(٦) غلا : تجبر وجاوز الحد في الظلم . وفي الأصل : غل ، بغين ولام . شدة ، ولا أراه إلا
محرفا عن غلا ، أو عن علا بمعنى تكبر .

نحن من شُعلة الجحيم خلقنا لأولى الجور لا من الصلصال
يا ملوك الأنام هلاً اعتبرتم بملوك تجور في الأفعال
ليس عبد الحميد فردا ولكن كم لعبد الحميد من أمثال
فاتركوا الناس مُطلقين وإلا عِشْتُمْ مُوثَقين بالأوجال^(١)
هل جنيتُم من التجبّر إلا كلَّ إنهم عليكم ووبال

تموز الحرية (*)

إذا انقضى مارتُ فأكسر خلفه الكوزا

واحفل بتموز إن أدركت تموزا^(٢)
أكرم بتموز شهرًا إن عاشره
قد كان للشرى تكريما وتعزيرا
شهر به الناس قد أضحت محررة
من رق من كان يفتقوا إثر جنكيزا
سل أهل باريتر عن تموز تلقى لهم
يوما به كان مشهوداً لباريرا
كانت لهم فيه لما ثار ثائرهم
بسالة هدّت البستيل مبزوزا^(٣)
وإن تموز شهر قام فيه لنا
على البقاع لواء العز مركوزا
في شهر تموز صادفنا لما وعدت
بيض الصوارم بالدستور تنجيزا
هي المساواة عمّتنا فما تركت
فضلا لبعض على بعض وتميزا
أدست لنا قسمة بالملك عادة
حكماً وكانت على علاّتها ضيزى^(٤)
كنا من الجور عيانا وليس لنا
من قائدين ولم نملك عكا كيزا

(١) يريد : إنكم إن لم تطعنوا المحكومين أحرارا من إفساد ظلمكم وجوركم ؛ فإنكم تعيشون أبدا على خوف وترس وانتظار للشر من ظلمتموهم .

(*) من الديوان الأول .

(٢) يشير إلى أن مارت شهر مشعوم ؛ لحدوث الحادثة الرجعية فيه ؛ وأن تموز شهر مبمون ؛ لأن إعلان الدستور كان في تموز .

(٣) مبزوزا : مغلوبا . وفي المثل . من عزير : أى من قوى تغلب وانتصر .

(٤) قسمة ضيزى : أى جائزة .

حتى نهضنا إلى العليا تقدمنا
 إن تلقهم تلق منهم في الوغى جبلا
 قوم إذا طعموا في حومة تحذوا
 قمنا على الملك الجبار نقرعه
 حتى تركناه في هيجاء معضلة
 إنا لنأبى على الطاغى نهضنا
 وأكل الموت دون العز تمضغه
 لا عاش من لا يخوض الموت مرتضيا
 راعت سلانك دارا أملك فانتبهت
 حتى غدت وهى في تموز ناكسة
 فالشاه في شهر تموز هوى وكذا
 يا شهر تموز لا راعتك رائعة
 يا شهر تموز قد زينت رايتنا
 من لى بأنجم هذا الأفق أنظمتها
 أو أنحت الماس أقلاما معرضة
 وأجعل الجو في تموز أمده

عصابة برزت في المجد تبريزا
 أوهجتهم للمنايا هجت راموزا
 قصاعهم من قحوف القوم لا الشيرى (١)
 بالسيف منصلتنا والرمح مهوزا (٢)
 ألقت ضربا ما على الطاغين مأوزا
 حتى نهوز في الهيجاء تهوزا (٣)
 كمضغنا التمر برنينا وسهريزا (٤)
 بقاءه بعضى الذل موكوزا (٥)
 من ذاك طهران تخشى أمر تبريزا
 رايات شاه رماء الخلع مجنوزا (٦)
 عبد الحميد هوى في شهر تموزا
 ولا تقيت من الأحداث إرزيزا (٧)
 بالعدل توشية فيها وتطريزا
 قصائدا فيك مدحا أو أراجيزا
 أمدها ذهباً في الطرس إبريزا
 طرسا أجادته كف النور ترزيزا (٨)

(١) الفخوف هنا : عظام الجناح . والشيرى : قوع من الخشب تصنع منه النجان .

(٢) قرعه : بالهاء : نعلو قرعه : وهو رأسه . وفي الأصل : نقرعه .

(٣) هوز نهوزا : مات ، وقتا .

(٤) البرقى : يفتح الباء : ضرب من التمر أصفر مدور . والسهريز بالسين والشين : بضمهما ويكسرهما : نوع من التمر : معرب .

(٥) موكوزا : مدفوعا مطعوننا .

(٦) الشاه : الملك في لغة فارس . والمجنوز : المحجوز المستور .

(٧) إرزيز : الرعدة .

(٨) يقال : رزرت لك الأمر ترزيزا : أى وطأته لك .

المجلس العمومي (*)

يا شرقُ بشر الكأبدى شمسك الفلكُ وزال عنك وعن آفاقك الخلكُ
أضغى بك القوم أحراراً قد اعتصموا

من النجاة بحبل ليس ينبتك (١)

ناد به القولُ عن أهليه مستمع والحق متبع ، والأمر مشترك
ناد إذا فرت عنا الأمور به لمن يمدد من نسج النهى شرك
يُسطاد فيه شرود الحق عن كُتب كالماء يُسطاد في صَحَضاحه السك
إن السحاب لم تظهر بوارقها ما لم يكن للقوى فيهن مُعترك
وللتدبير حرب لا يخيب بها قوم بمستنقع الآراء قد برأوا
هذا هو المجلس الرطب الذي وسعت

أحكامه الناس من عاشوا ومن هلكوا

هو السماء التي تعلو السماء بها تبدو من العدل في آفاقها حبك (٢)
دارت بها شمس عز الملك حيث هنا حرية العيش برج والنهى فلك
قد أصبح الأمر شورى بيننا فيه على الرعية لا يستأثر الملك
وأصبح الناس في قُرْبى وإن بُعدت أديانهم ، ما بهم جحد ولا حسك (٣)
هذا الذي جاءنا الدين الخفيف به وحيّاً من الله مبعوثاً به الملك
هذا به نهض الإسلام نهضته من قبل إذ قام يستولى ويمتلك
يا قوم قد حان حين تسخرون به

من بكم سخروا من قبل أو ضحكوا

مات الزمان الذي من قبل كان به يحيا امرو لم يكن في السعى ينهمك
هالا نظرت لما في الغرب من سنن كل به سائر طلقا ومُنسك

(١) ينبتك : ينقطع . (٢) حبك جمع حبيكة ، وهي الطريقة .

(٣) حسك الصدر : حشد العداوة ؛ يقال : إقته لحسك الصدر .

لم تَلَقِ للحق وجيهاً فيه مُحْتَقراً ولم تَجِدْ حُرْمَةً للعلم تُذَنِّبُكَ
 في الغرب أصوات علم يبعثون بها مَنْ في القبور فهل في سمعكم سَكَكَ^(١)
 فشمروا يارجال الشرق عن هِمَمٍ حجابها عند أهل الغرب مُنْهَبِك
 واستُأْطِلَ منكم فعل ما فعلوا ولا أحاول منكم ترك ما تركوا
 بل فاذكروا أوليكم كيف قد سلفوا ثم اسلكوا في المعالي أية سلكوا
 واستخلصوا عسجد المجد الذي بلغوا سبكا على قالب العلم لذي سبكوا
 لا عذر للشرق عند الغرب بعدئذ إن لم يَمَّ له شأوه الدرك^(٢)
 واستنجدوا العلم إن العلم شَكَّتْهُ في حومة العيش تبلى دونها الشك^(٣)
 أما المدارس فلترفع قواعدها حتى تقوم وطود الجهل مؤتفك^(٤)
 منابع العلم إن غاضت بمملكة فاضت بسيل الدواهي حولها برك^(٥)
 من شاد مدرسة للعلم هدَّ بها

سجنا لمن أفسدوا في الأرض أوفتكوا^(٦)
 وكم أثارت رياح الجهل من سحب تهاطن دم في الأرض منسفك
 فالعلم والجهل كل البون بينهما هذا الفسوق وذاك الفوز والنسك^(٧)
 ضد أن ما استويا يوماً ولا اجتمعا وهل تُرى يتساوى الثور والحناك
 نادوا اليـُـدار اليـُـدار اليوم إنكم ياقوم ساهون حيث الأمر مرتبك
 كم رُدَّتْ كلمات الناصحين لكم حتى لقد ملَّ من مَضْغ لها الحناك

(١) السكك ، بوزن سبب : الصمم . (٢) الدرك : الهاق .

(٣) الشكك : جمع شكة ؛ وهي السلاح .

(٤) مؤتفك : منقلب . يقال : انفضكت بهم الأرض : انقلبت .

(٥) ادواهي : المصائب .

(٦) يتضمن هذا البيت معنى الحكمة المشهورة : من فتح مدرسة أغلق سجنا .

(٧) النسك : العبادة . أي أن العلم هو العبادة الحق ، قال تعالى : (إنما يخشى الله من

عباده العلماء) .

يا قوم قد طلعت شمس الهدى وبها للناس قد وضحت من رشدهم سلك
وأشد الشرق مسروراً يؤرخها
« حرية الملك أهدى شمسها القلک »

يوم العروس

زفت إلينا العروس	وزوجها الأنسكيس ^(١)
زفت إلينا زفافاً	فيه الشقا والنحوس
المهر منا دماء	والعروس حرب ضروس
كم مزقت حرّمات	وكم أضيعت نفوس
وكم أدبرت علينا	من المنايا كئوس
وكل هذا لتخطي	بالبعل تلك العروس
يوم العروس لعمري	يوم كرية عبّوس

(١) الأنسكيس والأنقليس ، بفتح الهوزة : سمك شبيه بالحيات ، ردىء الغذاء .

السيد الشيرازي

إلى الأمة العربية^(١)

هو الليل يُغريه الأسى فيطولُ
أبيتُ به لا الغاربات طالعُ
وينشر فيه الصمت لبداء مضاعفا
ولى فيه دمع يلدغ الخدَّ حره
بكيت على كل ابن أروع ماجد
يليح من الضيم المذل بفرّة
من العرب : أما عرضه فهو فر
له سلف عزوا فبزوا نباهة
وساروا بنهج المكرمات ثقيلهم
ويُرخي وما غير الهموم سدول^(٢)
على ولا الطالعات أقول
فتطويه منى رنة وعويل^(٣)
وحزن كما امتد الظلام طويل
له نسب في الأكرمين جليل
لهما البدر ترب والنجوم قبيل^(٤)
مصون ، وأما جسمه فهزيل
ولم تعتورهم فترة وخيول^(٥)
قلأص من سعي لهم كخول

(١) مثل شبان العرب في الآستانة رواية وفاء السموءل في مسرح (تبه مائى) الكبير ، السكائن في حى (بك أوغلى) ، وطلبوا إلى الرصافى أن يحضر وينشدهم شعرا ، فقال هذه القصيدة يمارض بها لامية السموءل المشهورة وقد أنشدهم إياها في المسرح المذكور ، وكان الممكان غاصاً فمن كان في الآستانة من رجال العرب ، وكثير من رجال الترك .

(٢) يغريه : يحضه . أى أن الأسى يحض الليل على الطول فيطول .

(٣) اللبد : بكسر فسكون : كل شعر أو صوف متلبد . وتمهيداً لبيان معنى البيت نقول : إن الصوت إنما ينتقله إلى سمع السامع توج الهواء ؛ فإذا حال بين السمع وبين توج الهواء حائل يمنع وصول ذلك التوج إلى السمع ؛ انقطع الصوت ولم يسمع ؛ واللبد أمنع حائل لوصول التوج إلى السمع ؛ إذ ليس فيه على الحائل ما يمكن أن ينفذ فيه الهواء . وعليه فقد شبه الشاعر الصمت وهو عدم الصوت السكائن في الليل ؛ بلبد منشور على الأطراف ؛ قد حال بين السامع وبين كل صوت ؛ فلا ينتقل إليه الهواء بتموجه صوتاً ؛ لأن هذا اللبد المنشور قد أحاط به من جميع أطرافه ؛ فنع وصول كل صوت إليه . ووصف اللبد بكونه مضاعفاً ؛ ليسكون أبلغ في منع الصوت ؛ ثم قال : « فتطويه منى رنة وعويل » أى لأنه لا يسمع في الليل إلا صوت بكائه وعويله ؛ فكأن بكاءه يطوى ذلك اللبد المنشور ؛ فيعود يسمع صوت البكاء والرنين . وحاصل المعنى : أنه لا صوت في ذلك الليل سوى صوت بكائه فيه .

(٤) يليح : أى يخاف ويحاذر ؛ والباء في قوله بفرّة : المصاحبة ؛ أو هى التعمدية ؛ على تضمين

يليح معنى يحيد ويعدل ؛ فيكون المعنى : يحيد مليحاً من الضيم بفرّة .

(٥) عزوا فبزوا : أى غلبوا فسلبوا . ونباهة : تمييز للنسبة ، وهو محول عن الفاعل .

وكانوا إذا ما أظلم الدهر أشرقَتْ
أولئك قوم قد ذوى روضُ مجدهم
وقد أعطشته السحب حتى لقد عالت
رعى الله من أهل الفصاحة معشرا
ترامى بهم ريب الزمان كأنما
فأمت من العمران خلوا بلادهم
وعادت مغاني العلم فيها دوارسا
وقوّضت الأيام بنيان مجدها
به غرر من مجدهم وحجول
ولم تسر فيه نسمة وقبول
على الزهر منه صفرة وذبول
لم كان فوق الفرقدين مقبل
له عندهم دون الأنام دُحول
فهن حزون قفرة وسهول
تجربها للرامسات ذيول^(١)
فرجع المعالي بينهن نحول^(٢)

• • •

نظرتُ إلى عَرْض البلاد وطولها
ولم تبد لي فيها معاهداً عزها
نظرتُ إليها من خلال دوارف
فكنت كراء من وراء زجاجة
ولم أتبين ما هنالك من على
هناك حنيت الظهر كالقوس رابطاً
وأوسعتُ صدرى للكآبة فاغتمتُ
وأرسلت دمع العين فأنهل جارياً
أأمنع عيني أن تجودَ بدمعها
فما راقني عَرْض هناك وطول
ولكن رسوم رثة وطول
من الدمع طرقي بينن كليل
بعينيه كيا يستبين ضئيل^(٣)
لكثرة ما قد دب فيه نحول
بكفى على قلب يكاد يزول
بأرجائه تحت الضلوع تجول
له بين أطلال الديار مسيل
على وطني ، إني إذن له خيل

(١) تجر : بالبناء للمفعول . وذبول : نائب الفاعل . والرامسات : الرياح ، وسميت رامسات :
أى دافعات ؛ لأنها تدفع الآثار بهبوبها .
(٢) نحول : بفتح الميم : أى مجذب .
(٣) شبه نفسه وهو ناظر إلى الديار من خلال الدوارف ؛ برجل وضع على عينيه زجاجة
ينظر من ورائها ؛ والمراد بالزجاجة ما تسميه العامة اليوم بالنظرة أو بالمعونات .

فإن تعجبوا أن سال دمعى لأجله
وما عشت أنى قد تناسيت عهدى
وإن امرأاً قد أثل الهمُّ قلبه
أفى الحق أن أنسى بلادى ساوةً
أقول لقومى قول حيران جازع
متى ينجلي يا قوم بالصبح ليلكم
وينطق بالمجد المؤئل سعيكم
تريدون للعليا سبيلاً وهل لكم
أنشيدكم أين المدارس إنها
وأين الغنى المرتجى فى بلادكم
بلادٌ بها جهل وفقير كلاهما
أجل إنكم أنتم كثير عديدكم
ولو أن فيكم وحدةً عصبيةً
ولكن إذا مستمض قام بينكم
وأى فريق قام للحق صدّه
وإن كان فيكم مصلحون فواحد
على أن لى فيكم رجاء وإن أكن
ألستم من القوم الألى كان علمهم
لهم هم ليس الطباعة تفلها

فإن دعى من أجله سيسيل^(١)
ولكن صبرى فى الخطوب جميل^(٢)
كقلبي ولم يلق الردى لحمول
ومالى عنها فى البلاد بديل
تهيج به أشجانه فيقول
فتذهب عنكم غفلة وذهول ؟
فيست عنكم لأئم وعذول
إليها وأنتم جاهلون سبيل
على الكون فيكم والحياة دليل
يجود على تشييدها ويطول^(٣)
أقول شروب للحياة قتول
ولكن كثير الجاهلين قليل
لهم عليكم للمرام وصول
تلقاه منكم بالعناد جهول
فريق طلوب للمحال خذول
فقول وألف فى مداه قتول
إلى اليأس أحيانا أكاد أميل
به كل جهل فى الأنام قتيل^(٤)
وإن كان منها فى الطباعة فلول

(١) أن فى البيت : مصدرية ؛ وهى وما بعدها مجرورة بلام محذوفة ؛ هى صلة تعجبوا ؛
والقدير : فان تعجبوا لأن سال دمعى .

(٢) وما عشت أنى : أى لآنى ؛ حذف الجاز ؛ وحذفته قبل أن وأن قياس .

(٣) يطول . من الطول . بفتح الضاء : أى يندم ويتفضل .

(٤) به : صلة قتيل . وكل جهل : مبتدأ . وقتيل : خبره . والجملة فى عمل نصب خبر كان ..

ألا نهضة علمية عربية فتُنشأ أرواح بها وعقول
ويشجع رعيده ويعزز صاغر وينشط للمسعى الحثيث كسول^(١)
فإن لم تقم بعد الأناة عزائم فعتبي عليكم والملام فضول

شكوى إلى الدستور^(٢)

شكاية قلب بالأسى نابض العرق إلى قائم الدستور والعدل والحق
ملوك على كل الملوك ثلاثة لها الحكم دون الناس في الفتق والرتق^(٣)
وأقسم أني لا أكون لغيرها مطيعا ولو من أجلها ضربت عنقي
فهل أيها الدستور تسمع شاكيا بك اليوم يرجو أن يرى نهضة الشرق
لقد جئت من أفق الصوارم طالعا علينا طلوع الشمس من منتهى الأفق^(٤)
فصادفت منا أمة قد تعشقت لقاءك حتى جاوزت مبلغ العشق
ولم تبد عنفا حين جئت وإنما هتفنا جميعا بالوفاق وبالرفق
وظلنا نرجى منك للخرق راقعا ولكن تراخى الأمر متسع الخرق
بك اليوم أشقانا الألى أنت مسعد لديهم فيا لله المسعد المشتقى^(٥)
نراك بأيديهم على الخلق حجة وأنت عليهم حجة لا على الخلق
قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به وسدوا على من حولهم منبع الرزق

(١) الرعيده : الجبان ، والصاغر : الدليل .

(٢) نشرت هذه القصيدة في المؤبد بمصر سنة ١٣٢٧ هجرية . قالها لما سقطت وزارة حلمي باشا ، وقامت بعدها وزارة حقي باشا ، ينتقد بها خطة الاتحاديين عقب الدستور ، أيام كانوا يؤلفون الوزارات من غير رجالهم . ويحملونها نايمة في أعمالها لما يصدره مركزهم العمومي من الأوامر والنواهي . فرجال الوزارة هم المسئولون تجاه الأمة . والأمر فيا يفعلونه للاتحاديين .

(٣) أي لا طاعة إلا لهذه الأمور الثلاثة : الدستور . والعدل . والحق . فهي الملوك على كل الملوك . ولها الحكم في كل أمر .

(٤) يريد بطلوع الدستور من أفق الصوارم : أنه أعلن حكمه بقوة السيف . على ما هو معلوم من ثورة الاتحاديين في سلانيك .

(٥) قوله « بك اليوم أشقانا الخ » . أي اتخذوك آله لاستنثارهم بالحكم . فكأنك آله بأيديهم لسعادتنا وشقائنا . واللام الأولى في قوله « فيا لله للمسعد » : مفتوحة . وهي لام المستغاث به . والثانية : مكسورة . وهي لام المستغاث له .

- كأنّا لهم شاء فهم يجلّبوننا
وهم يأخذون الزُّبْدَ من بعد مَخْضِها
أترضى بأن تختص بالحسك مَعْشَرًا
وهم يَرِدُونَ الصّفوفَ منك ولم نَرِدْ
فما نحن إلّا كالظَّمَاءِ وإِنهم
ألم تر أنّا طَوَّلَ عَهْدَكَ لم نَقْمُ
ولم لك نَدْرِي لاهتضام حقوقنا
ولم نستغفد إلّا مسقوط وزارةٍ
وماضٍ هم لو أسقطوا مَهْجَ سِيرِهِمْ
ألم يُبصروا للعدل غيرَ طريقهم
وماذا عسى يُجدي سقوط وزارةٍ
مضى كاملٌ من قبل حلمي وإن جرى
وما الهمُّ عندي بالذي قد ذكرته
ولكن وراء السّترِ كفٌّ خَفِيَّةٌ
ولولا يدٌ شدّت لساني بِلِسْعَةٍ
- وكم مَخْضُوا أوطاننا مَخْضَةَ الرِّقِّ (١)
ولم يتركوا لساكنيها سوى المَذْقِ (٢)
وتَصَبَّحَ للباقيين حَبْرًا على رِقِّ (٣)
سِوَى نَغْمَةٍ من بعض سِوَرِهِم الرِّقِّ (٤)
كساقٍ يُرِينا الماءَ عذبا ولا يَسْقِي
نسابقُ أهلَ الجَدِّ في حَلْبَةِ السَّبْقِ (٥)
أنحن من الأحرار أم نحن في رِقٍّ ؟
وتأليفُ أخرى مثل تلك بالفرقِ
وساروا بمنهاجِ التبصّرِ والحِذْقِ
فإن طريقَ العدل من أوضحِ انطُرُقِ
إذالم نَقْمُ أخرى على العدل والصدقِ
كما جَرَّيَا حَقِّي فمثلهما حقٌّ (٦)
وإن كان يشجيني ويدعو إلى الزَّعَقِ
تزعزعُ من شاء عن الأمر أو تبقى (٧)
لُبَّحت بِسِرِّ كالشجاء هو في حَلْقِي (٨)

(١) قوله « مَخْضُوا أوطاننا » : أي استندروا خيرها بمَخْضِها . وتقلب الأمور فيها . كما يَمْخَضُ الرِّقُّ ، وهو السقاء ، ومَخْضُ الرِّقِّ : تحريكه بعد وضع اللبن فيه . لاستخراج الزبد .

(٢) المَذْقُ : هو اللبن الممزوج بالماء . المستخرج منه زبدته .

(٣) الرِّقُّ . بفتح الراء : الصحيفة البيضاء . وأخبر : المداد . والمراد بكونه حبراً على رِقِّ : أنه لا حكم له . وأنه غير معمول به .

(٤) النغمة . بفتح النون وبضمها : الجرعة . والسور . بالضم : بقية الماء التي يَبْقِيها الشار في الإناء . الرِقِّ . بفتح فسكون : السكر .

(٥) حلبة السبق : هي الدفعة من الخيل في الرهان خاصة . يقال : هو يركض في كل حلبة من حلبات الجَدِّ .

(٦) كامل وحلمي وحق : أسماء وزراء في الدولة العثمانية .

(٧) يشير بهذا البيت إلى ما كان عليه الاتحاديون إذ ذاك . من تسييرهم الأمور من دون أن يتقلدوا المناصب . فهم العاملون . وغيرهم المشغول . فهم في ذلك كالعامل من وراء ستار .

(٨) اللسعة . بالكسر : حبل بنت آدم . والشجاء : عظم يعترض في الحلق . وهو عندهم مثل للأمر المزعج .

فيايها الدستور فاقض بما ترى
واسننا نريد اليوم حكماً عليهم
تعالوا إلى أمرٍ تساويه بيننا
فإن يفعلوا هذا فيأمرحبا بهم
سنطلب هذا الحق بالسيف والقنا
بكل ابن حرب كلما شدّ هزّها
تراه إذا ما عبس الموت وجهه
من العرب مطبوع الطباع على العلى

وأبرق ولكن لا تكن خلب البرق
ولكن نناديهم وندعو إلى الحق
وبينكم في الجلل منه وفي الدق^(١)
وإلا فيأسحق المعاند من سُحق
وشيب وشبان على ضمير بلق^(٢)
بعزم من السيف المهند مشق
بوجه يلاق الموت مبتسم طلق^(٣)
بديع معاني الحسن في الخلق والخلق

في معرض السيف^(٤)

هي المنى كنفور العيد تبسم
دع الأمانى أو رمهن من خطبة
والجد لا تنبه إلا على أسس
لو لم يك السيف رب الملك حارسه
من سلة في دجى الآمال كان له

إذا تطربها الصمصامة الخدم^(٥)
فإنما هنّ من غير الظبي حلم
من الحديد وإلا فهو منهم
ما قام يسعى على رأس له القلم
فجرا تحلّ حباها دونه الظلم^(٦)

- (١) الجل والدق . وكلاهما بالكسر : الجليل والدقيق . أى العظيم والحقير .
(٢) أى على خيل ضمير بلى ، جمع ضامر ، وهو القليل اللحم ، الدقيق ، وجمع أبلق ، وهو الذى فيه سواد وبياض .
(٣) تراه : تبصره . وقوله « بوجه » فى موضع الحال من ضمير المفعول فى تراه ، والباء : للمصاحبة ، فكأنه يقول : تراه مصاحبا لوجه مبتسم عندما يعبس الموت .
(٤) لما قام الإصلاحيون فى بيروت يطالبون الدولة العثمانية بالإصلاح ، قال الرصافى هذه القصيدة يؤيدهم بها ، ويدعو جميع العرب إلى الانضمام إليهم . ثم لأنهم لما عقدوا مؤتمرهم المشهور فى باريس ، تبين للرصافى أنهم ليسوا على هدى من أمرهم ، فرد عليهم بقصيدة كتبها تحت عنوان (ماهكذا) . وستأتى هذه القصيدة .
(٥) تطربها : حملها على الطرب ، قال الشاعر : « ولم تطربنى بنان مخضب » .
(٦) « تحمل حباها » بضم الحاء : جمع حبة . وهى اسم بمعنى الاحتباء . وتطلق على ما يحتبى به الرجل من ثوب أو عمامة . لم ويقال « حل فلان حبوته » : إذا نام ، كما يقال : عقد حبوته : إذا قعد . والمراد بكون الظلم فى هذا البيت تحمل حباها ، أنها تزول دون ذلك الفجر .

- والعلم أضع من بذر بمسبحة^(١) إن الحقيقة قالت لى وقد صدقت
والحق لا يجتنى إلا بذى شطب^(٢) إن أسمع ألسن الأفلام ظالمها
فللحسام صليل يرتى شررا^(٣) هب اليراعة ردء السيف تآزره^(٤)
فالعلم ما قارنته البيض مفعرة^(٥) وإنما العيش للأقوى فن ضعفت
والعجز كالجلل فى الأزمان قاطبة^(٦) والمجد يأتى حيث البأس يدعاه^(٧)
وإن شأوا المالى ليس يدركه^(٨)
- إن لم تجلله من نوء الظبى ديم^(١) لا ينفع العلم إلا فوقه علم^(٢)
ماء المنية فى غريبه منسجم^(٣) بعض الصرير كمن يبكى وينظم^(٤)
مفتقا أذن من فى أذنه صمم^(٥) فهل على الناس غير السيف محنكم^(٦)
والحق ما وازرته السمير محترم^(٧) أركانه فهو فى الثاوين مخترم^(٨)
داء تموت به أو تمسخ الأمم^(٩) حتى إذا زال زال المجد والكرم^(١٠)
عزم تسرب فى أثائه السام^(١١)

* * *

- أها فأها على ما كان من شرف^(١) أيتام كانوا وشمل المجد مجتمع^(٢)
كانوا أجل الورى عزاً ومقدرة^(٣) وأربط الناس جأشاً فى موافقة^(٤)
قرم إذا فاجأتهم غمة بدروا^(٥) للعربيين قد ألوى به القيد^(٦)
والشعب ملتئم والملك منتظم^(٧) إذا الخطوب بحبل البغى تحترم^(٨)
من شدة الرعب فيها ترجف اللم^(٩) وأوفرتههم إلى تكشيفها الهم^(١٠)

(١) قوله « بمسبحة » : صفة لمخدوف ، أى بأرض مسبحة ، وهى التى تكون مسبحة ، أى ذات سباخ ، وهى الأرض التى تحث ولا ينمو فيها زرع . « إن لم تجلله » : أى لم تعمه . يقال : جال المطر الأرض : إذا عمها وطبقها .
(٢) « بذى شطب » : صفة لمخدوف ، أى بسيف دى شطب . والشطب : جمع شطبة ، وهى طريقة السيف فى مننة . وقوله « فى غريبة » أى فى حديد . والضمير : يعود إلى السيف .
(٣) الصليل : صوت وقع السيف .
(٤) الردء : العون والناظر ، وتآزره : تقويه .
(٥) يأتى : أى يتأصل . ومنه يقال : مجدأئيل : أى أصيل . وقوله (يدعاه) : أى يسند . ويقويه .
(٦) شأوا المالى : أى مداها وغايتها . وتسرى : دخل .
(٧) بدروا : أسرعوا . وأوفرتههم أمجلتهم .

على الحصافة قد ليثت عماثمهم^(١) وقضوا أعراباً أقحاحاً وأعقبهم^(٢)
جار الزمان عليهم في تقلبه^(٣) دبّ التباغض في أحشائهم مرصاً^(٤)
فأصبح الذلّ يمشى بين أظهرهم فأكثر القوم من ذلّ ومسكنة^(٥)
كم قد نحت بهم في اللوم قافية^(٦) وكمن نصحت فما أسمعت من أحد

• • •

يارا كباً متن منطادٍ يطير به^(١) كما يطير إذا ما أفرغ الرخم^(٢)
يمرّ فوق جناح الريح مخترقا^(٣) عرّض الفضاء ويعدو وهو معتزم^(٤)
يعلو إلى حيث يستجلى النعيان له^(٥) مانعه الأفق أو ما وارت الأكم^(٦)
حتى إذا حطّ منقضاً على بلد^(٧) ينقض والبلى الأقصى له أمم^(٨)
أبلغ بنى تاطى عنى مغاللة^(٩) في طيها كلم في طيها ضرّم^(١٠)
ما بالهم لم يفتقروا من عمايتهم^(١١) وقد تباج أصبح المنى لهم^(١٢)
إلى متى يخفرون المجد ذمته^(١٣) أليس للمجد في أنسابهم رخم^(١٤)
ومن يعيش وهو مضىاع لفرصته^(١٥) ذاق الشقاء وأدى كفه الندم^(١٦)
وكل من يدعى في المجد سابقة^(١٧) وعاش غير مجيد فهو متهم^(١٨)

(١) قد ليثت ، بالبناء المجبول : أى قد لفت .

(٢) أفرغ : جمع قح ، بالضم ، وهو الخالص من كل شيء . يقال : هو أعرابي قح ، أى خالص .
والخلف : يسكون اللام : الجبل ، بعد الجبل ، ولا يستعمل إلا في السوء . يقال : هؤلاء خلف سوء ،
فإذا كان صالحاً قيل خلف ، بفتح اللام .

(٣) ونم الذباب ينم : إذا سنج . ومصدره الوائم .

(٤) المنطاد : آلة تركب ، ويطار بها في الهواء ، ويسمى بالبالون . والرخم : طائر أبيض يشبه
النسر في الحلقة . والواحدة منه رخمة .

(٥) خفر فلاناً : أى انقض عهده ، وغدر به ، يقال : خفرت ذمة فلان ، وذمته في البيت :
بدل اشتغال من المجد ، فكأنه قال : إلى متى تخفرون ذمة المجد .

ما هكذا (*)

أصبحت أوسعهم لوما وتشريبا
وأهبت منهم الأهواء جارية
وأرسلوهن مِرْحَاةً أَعْتَبَهَا
فَارْتَهَجُوا الشر حتى إن هَبوته
رأوا الصلاح وقد جاءوا بلائحة
قد كلفوا شَطَطًا فيها حكومتهم
عدوا النصارى وعدوا المسلمين بها
قد حكموا الدين فيها فبنى مُعَرِّبة
مَنْ مَبْلَغُ القوم أن المصلحين لهم
ما بالهم وطريق الحق واضحة
لَمَّا امْتَطَوْا غارب الإفراط مركوبا
إلى التفرق أهوبا (١) فأهوبا (١)
يُوغَانُ في الأمر إحضارا وتقريبا (٢)
مدت سُرَادِقَهَا في الألوح مضروبا (٣)
خرقاء تترك شمل الشعب مشعوبا
وخالفوا الحزَمَ فيها والتجاربيا
ونحن نعهدهم طُرًّا أعاريبا (٤)
عَمَّا يكون لدعوى القوم تكذيبا
أَمَسُوا كمن لبس الجلباب مقلوبا (٥)
لا يسلكون إلى الإصلاح ملحوبا (٦)

(*) لما أطاع الشاعري على لأئحة الإصلاحين في بيروت ، ورأى فسادها ، قال هذه القصيدة يؤنبهم ويفند رأيهم في ذلك ، وفي عهدهم مؤتمرا في باريس .

(١) ألهبت منهم الأهواء : في الكلام استعارة بالكناية ، حيث شبه الأهواء بالخيال العادية . ومعنى ألهبت : اجتهدت في عدوها حتى أثارت الغبار . والأهوب : اسم بمعنى الإغراب .

(٢) الضمير في أرسلوهن : يعود إلى الأهواء التي شبهها بالخيال في البيت المتقدم . ويوغان يسرعن ويعمدن . والإحضار والتفريب : ضربان من عدو الخيل ، وفي البيت كله تخيل الأهواء المشبهة بالخيال .

(٣) أرهجو الشر : أى أثاروا رهب الشر ، أى غباره . والمهبة : الغيرة . واللوح ، بضم اللام لهواء بين السماء والأرض .

(٤) يقول : نحن نعهدهم عربا متمسكين بالعربية ، فلم جاءوا في لأئحتهم هذه بأحكام تختص بالمسيحيين ، مع أن كلا الفريقين عرب .

(٥) أى أمسوا ضجكة للناس ، حيث فعلوا ما أضجك منهم الناس ، إذ أفسدوا وهم في طلب الإصلاح ، فصاروا كمن لبس جلبابه مقلوبا . جاعلا أسفله أعلى . وأعلاه أسفل . فصارت الناس نهزا به . وتضجك منه .

(٦) ملحوبا : أى واضحا . وهو صفة وصوف مخدوف . أى طريقا ملحوبا .

أَفِي مَصَالِحِ دُنْيَاهُمْ وَهُمْ عَرَبٌ
 مَا ضَرَّهُمْ لَوْ تَحَوُّوا فِي الْأَمْرِ جَامِعَةً
 لَكُنْهُمْ أُمَّةٌ تَأْتِي مَشَارِبُهُمْ
 قَدْ حَاوَلُوا الْحَقَّ وَاشْتَطَوْا بِمُطْلَبِهِ
 قَدْ يَطْلُبُ الْحَقُّ طَيَّاشٌ فَيُبْطِلُهُ
 قَالُوا يَرِيدُونَ إِصْلَاحًا فَقَمَتَ لَهُمْ
 وَرَحْتَ احْتِثْمَهُمْ حَدُّوْا بِقَافِيَةٍ
 حَتَّى إِذَا تَحَضُّوْا آرَاءَهُمْ ظَهَرَتْ
 سَارُوا وَسَرَتْ فَكَانَ السَّيْرُ مُخْتَلِفًا
 كَانُوا أَحَقَّ الْبَرَايَا مَطْلَبًا فَغَدَوْا
 زَامُوا انْشِقَاقَ الْعَصَا بِالشَّعْبِ مَلْتَمَبًا
 إِلَى الْأَبْصَرِ فِي يَبْرُوتَ قَائِمَةً
 أَوْ أَكْرَةً مِنْ «دِينَامِيَّتٍ» إِذَا انْفَجَرَتْ

فَنَارُهَا تَنْسِفُ الشَّجَرَاتِ وَالشَّجَرَاتِ
 وَقَدْ رَأَيْتَ أَنْفَاسًا وَاصِلِينَ بِهَا وَهُمْ يَبَارِيزُ مِابَارُودِ أَنْبُوبَا (٦)
 وَآخَرِينَ بِمَصْرِ يَطْلُبُونَ لَهَا تَفَرُّقًا يَجْعَلُ الْمَغْمُورَ تَحْرُوبًا

- (١) اشتطوا : تبعادوا عن الحق . وجاوزوا القدر . والغريب : الأسود .
 (٢) يشير بهذا البيت والذي بعده إلى قصيدة « في معرض السيف » التي كتبها قبل هذه القصيدة يدعو القوم إلى الانضمام إليهم في طلب الإصلاح .
 (٣) التأني : الضعف ، والركاكة . والتخبيب : الغش والإفساد .
 (٤) الشعب : بفتح فسكون . وقد تحرك العين : تهيج الشر .
 (٥) القائبة : البيضاء . والقوب : القرح . والمعنى ظاهر .
 (٦) مِابَارُود : أصله من البارود . فحذفت نون من الجارة . وانصلت بالمجرور خطأ . وقد جاء استعمالها كذلك في شعر الأقدمين . وجملة : « وهم يباريز مِابَارُودِ » معترضة . وأنبوبا : مفعول لواصلين . ومِابَارُود : حال من أنبوبا .

ويترك الناس في دهياء مظلمة
قليل للعريسي والأنباء شائعة
علام تعقد في باريز مؤتمرا
وهل تعمّد «حقى العظم» فعلته
إذ راح يستنجد الإفرنج منتصفاً
يرتد منها بياض الشمس حليوبا^(١)
والصُّحُف تروى لنا عنه الأعاجيب
ما كنت فيه برأى القوم مندوبا
لما نعى خيراً «الطَّان» مكذوبا^(٢)
كأنه حمل يستنجد الدنيا

خافوا التذبذب في أعمال دولتهم
وكان خوفهم حقاً لو أنهم
لكنهم جاوزوا نهج الصواب إلى
ولم يبالوا بما أبدوه من جف
فهم كمن فر من قطر يبلله
لو كان في غير باريز تألبهم
لكن باريز ما زالت مطامعها
ولم تزل كل يوم من سياستها
هل يأمن القوم أن يحتل ساحتهم
من أن يحجر على الأوطان تخريباً
لم يعدلوا عن طريق الحق تنكيباً
وادی تهاكت فاستقصوا به الحوبا^(٣)
أن يمسى الوطن المحبوب محروبا
ثم انتحى السيل أو جاء الميازيبا
ما كنت أحسبهم قوماً مناكيبا
ترنو إلى الشام تصعيداً وتصويبا
تلقي العراقيل فيها والعراقيبا
جيش يدك من الشام الأهاضيبا

يأبىها القوم لا يغرركم نفر
جاءت رسائلهم بالشر مغرية
ضجوا بباريز إفسادا وتشعيبا
تفان في المكر أسلوبا فأسلوبا

(١) الحبوب : الأسود المالك . يقال : أسود حبوب وسحكوك وغريب .

(٢) لما عقد المتهوسون من العرب مؤتمراً في باريز . أرسل حقى العظم إذ ذاك عصر . تفرافا إلى جريدة الطان الباريزية . يطلب فيه من الحكومة الفرنسية أن تتدخل في أمر سورية . في هذا البيت وما بعده إشارة إلى هذا التلغراف الذى أرسله حقى العظم .

(٣) وادی تهلك . بضم التاء والهاء وتشديد اللام المكسورة : هو الباطل . ويستعمل ممنوعاً من الصرف .

فطالعوهن بالأيدى مطالعة تسطو عليهن تمزيقا وتأريبا^(١)
 إن يصدقوا إنهم لا يلبسون سوى تحضّ النصيحة في الدّعوى جلايبا
 فسوف يقرع كلّ سنّة ندماً ويسبلُ الدمعَ في الخدين مسكوبا

في ليلة نابغة^(٢)

خاض الدجى وظلام الليل مختلطاً صوت به الوجد مثل السيف مختلطاً^(٣)
 يبت في الليل حزنا لو أحس به لبان في لمتيه الشيب والشمط^(٤)
 أبديه منقبضا منه على شجن فيملاً الليل إرانا وينبسط
 أرسلت منه أنينا فأت أوله سمى وآخره بالقلب مرتبط
 والليل أرسل وحفا من غدائره كأنه بثريا الأفق يمتشط^(٥)
 وانجم في القبة الزرقاء تحسبه فرائداً وهي من فيروزج سقط^(٦)

(١) قوله « فطالعوهن بالأيدى » المطالعة : إنها تسكون بالعبون لا بالأيدى . واسكنه أراد أن يقول : مزقوهن . فنزل التمزيق منزلة المطالعة . تهكما واستهزاء . وقال طالعوهن بالأيدى . نفى الكلام استعارة تبعية مصرحة . حيث حذف المشبه . وذكر المشبه به . وأثبت له ما يلائم شبه . وهو قوله بالأيدى . ثم أوضح مراده بقوله مطالعة إلى آخره .

(٢) لما نعر الرصافي قصيدته « ما هكذا » التي انتقد بها دعاة الإصلاح واللامركرين ، صج له ضجيج القوم ، وأخذت صفهم تشنع عليه الأمر ، وترميه بما هو منه براء وخلاء ، فبلغه الخبر وهو إذ ذاك في الآستانة ، فبات له قلق الحشا ، فكتب هذه القصيدة وكأنه كان في ليلة نابغة ، ولنا عنوان القصيدة بهذا العنوان .

(٣) مختلط : أي معسكر شديد السواد ، فاختلاط الظلام : شدة سواده ، كأنه كرمضه على بعض ، وامتزج حتى تضاعف . والوجد : الحزن . ومختلط : بصيغة المفعول : أي مسلول .

(٤) يبت : ينشر . وضمير الفاعل المستر في يبت يعود إلى الصوت ، وضمير الفاعل في أحس يعود إلى الليل . والشمط : بياض الشعر ، فعطفه على المشيب من قبيل عطف التفسير .

(٥) قوله « وحفا من غدائره » : الوحف ، بفتح فسكون : الشعر الكثير الأسود الحسن . والغدائر : جمع غديرة وهي اللؤابة . وأراد بغدائر الليل سدول ظلامه ، فشبه الليل بحسنة أرسلت ذوائبها ، لنسرح شعرها وتمشط ، وجعل الثريا كالمشط في يدها .

(٦) الفيروزج : حجر كريم ، يكون بلون السماء . وهو المعروف بالفيروز (مغرب) . والسقط فنجتين : وعاء مقرر مستدير كالقفة . أكثر ما تستعمله النساء لوضع حلينها . ومنه قولهم : « يوجد في الأسقاط . ما لا يوجد في الأسقاط » .

كَمْ قُلْتُ وَاللَّيْلُ جَبَلُ الشَّعْرِ فَاجِئُهُ شِعْرًا بِهِ كَادَ فَرَعُ اللَّيْلِ يَنْمِطُ^(١)
يَنْجَابُ لَيْلُ الْعَمَى عَنْ قَلْبِ سَاءِ مَا كَالْفَجْرِ إِنْ لَاحَ فَالظَّالِمَاءُ تَنْكَشُطُ^(٢)
لَهْفِي عَلَى حِكْمٍ مَا زِلْتُ أَنْثَرُهَا دُرًّا ثَمِينًا وَمَا فِي الْقَوْمِ مَانِقُطُ^(٣)
ضَاعَ الدَّوَاءُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أُوجِرُهُ مَنْ لَيْسَ بِشَرْبِ أَوْ مِنْ لَيْسَ يَسْتَعِطُ^(٤)
تَقُولُ لِي أَنْ غَبَطْتُ الْقَوْمَ تَجْرِبَتِي لَا تَغْبِطَنَّ فَمَا فِي الْقَوْمِ مَغْتَبَطُ^(٥)

قُلْ لِلَّيْلِ نَظَقُوا بِالضَّادِ مَدَّعَمًا لَمْ يُدْغِمِ الضَّادَ آبَاءُ لَكُمْ فَرَطُوا^(٦)
أَيَحْسُنُ اللَّحْنُ إِذَا آبَاؤُكُمْ فَصَحُّوا أَمْ يَحْسُنُ السَّجْزُ إِذَا آبَاؤُكُمْ نَشِطُوا
فِيكُمْ غُلُوٌّ وَتَقْصِيرٌ وَبَيْنَهُمَا ضَاعَ الْمَرَادُ أَأَنْتُمْ أُمَّةٌ وَسَطُ
إِنِّي ابْتُلِيتُ بِقَوْمٍ يَبْعَرُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، وَإِذَا عَنَقْتَهُمْ ثَلَطُوا^(٧)
شَطُّوا بِأَقْوَالِهِمْ حَتَّى لَقَدْ غَضِبُوا إِذْ قُلْتُ يَا قَوْمُ فِي أَقْوَالِكُمْ شَطَطُ^(٨)
فَبَدَّلُوا الْقَوْلَ إِنْ صَحَّتْ عِزَانُكُمْ فِعْسًا وَإِلَّا فَإِنِّي يَأْسُ قَنْطُ
قَدْ حَرَّتْ فِي الْأَمْرِ : إِنِّي حِينَ أُسْخِطُهُمْ
يَرْضَوْنَ عَنِّي وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ سَخِطُوا

قَارَ الَّذِي كَانَ فِي أَحْوَالِهِ وَسَطًا فَالْمُرُّ يُعْقَى وَإِنْ الْحَاوِ يُسْتَرْطُ^(٩)

- (١) الجبل ، يفتح فسكون من الشعر : الكثير اللين ، والفاحم : الأسود ، والفرع : الشعر النام . وينمط : يتساقط ويتمرط . والمراد بفرع الليل : ظلامه ، وبانمطه : انجلاؤه وإضاءته .
(٢) ينجاب : أى يندشق وينجلي . وتتكشط : تنكشف وتزول .
(٣) قوله « أوجره » . تقول : أوجرت المريض الدواء : إذا صببته في فيه . ويستعط : يدخل السعوط في أنفه . والسعوط : الدواء الذى يستعط .
(٤) المراد بكون الضاد مدغمًا : النطق به كالدال المدغمة المدغمة ، وكذلك تنطق به العامة اليوم في سوربة . وقوله « فرطوا » : أى سبقتوا وتقدموا .
(٥) يبعرون : أى يرمون رجيعهم بمرأ ، وهو رجيع ذات الحف . وقوله « ثلطوا » : أى سلحوا سلاحاً رقيقاً . يقال للإنسان إذا رقى نجوه : هو يثلط ثلطا . ومعنى البيت : إني إذا اتهم على خطيئهم الصغير ، فبدل أن يكفوا عنه يأتون بخطأ أكبر .
(٦) شطوا بأقوالهم : أى جاروا وأفرطوا . والشطط ، محركة : مجاوز القدرة والحد .
(٧) يعق ، بالبناء للمفعول : أى يكره ويماف ويلفظ . وهذا الشطر من البيت يتضمن المثل المشهور : « لا تسكن حلوا فتسترط ، ولا مرا فتعق » .

قل للأعاريب قد هانت مكارمكم
 برئت للعرب العرباء من فئة
 أين المكارم إن هم أصبحوا عرباً
 إن يغمطوني لآتي جئت أنفسهم
 ثم كالضفادع فاسمعهم إذا رطنوا
 يستنثرون صغارا من معاطسهم
 العار يرحل معهم أينما رحلوا
 من كل أشوه لاحت من مغامرته
 قد رث عرضا وإن جدت مآزره
 تراه يشخر عند الأكل من جشع
 الخلق كالخط لا تقرأ لئامهم
 إن رمت تشبع من مجد فكل همما
 نفسى تجيش لأمر لو صدعت به
 حتى ادعاهم أناس كلهم تبط^(١)
 ينمون للعرب إلا أنهم سقط^(٢)
 فإنها في طباع العرب تشتبط
 فأى مستفيض ذى نجدة غمطوا^(٣)
 فما هنالك إلا اللغو واللغط^(٤)
 ولا يبالون أن قالوا وأن ضرطوا
 والخزى يهبط معهم أينما هبطوا
 في وجه كل حياة حوله نقط
 من كل نخزية في وجهه شرط^(٥)
 كأنما هو عند الأكل يمتخط
 واشطب عليهم بنعل إنهم غلط
 كأكلك السم ملهوكا به الأقط
 لزلزلت دونه البلدان والخطط

(١) التبط ، بالتجريك : جيل من العجم ، ويستعمل أيضا في أخلط الناس وعوامهم .
 (٢) قوله « إلا أنهم سقط » السقط بالتجريك : ما لا خير فيه ، والحسب الرذل من كل شيء .
 (٣) إن يغمطوني : أى يستحقروني ويزدروا بى .
 (٤) رطنوا : أى تكلموا بالأعجمية . ومراده بالأعجمية هنا : اللغة العامية ، فإنها أعجمية بالنسبة
 إلى الفصحى . واللغو : ما لا يعتد به من الكلام . واللغط ، بالتجريك : أصوات مبهمه غير مفهومة .
 (٥) الشرط : بالتجريك : العلامة .

آل السلطنة

ثُمَّ يَعْتَدِرُونَ بِالْمِثَالِ ذُكُوراً وَإِنَاثاً لَهُمْ قُصُورٌ مُشَاهِلَةٌ^(١)
وَلَهُمْ أَعْبِدٌ بِهِمْ وَإِمَاءٌ وَنَعِيمٌ وَرَفْعَةٌ وَجَلَالَةٌ
تَرَكُوا السَّعْيَ وَالتَّكْسِبَ فِي الدُّنْيَا وَعَاشُوا عَلَى الرِّعْيَةِ عَالَةً^(٢)
يَتَجَلَّى النَّعِيمُ فِيهِمْ فَتُبْكِي أَعْيُنُ النَّاسِ مِنْ نَعِيمِ الْبَطَالَةِ
يَأْكُلُونَ اللَّبَنَ مِنْ كَدِّ قَوْمٍ أَعْوَزَهُمْ سَخِينَةٌ مِنْ نَحَالَةٍ^(٣)
فَكَأَنَّ الْأَنَامَ يَشْقَوْنَ كَدّاً كِي تَنَالِ النَّعِيمَ تِلْكَ السَّلَالَةُ
وَكَأَنَّ الْإِلَهَ قَدْ خَلَقَ النَّاسَ لِمَحْيَا آلِ السَّلَاطِينِ آلَةً
نَعِمُوا فِي غَضَارَةِ الْمَلِكِ عِشَاءً وَحَمَلْنَا مِنْ دُونِهِمْ أَثْقَالَ
فَإِذَا صَاوَلَ الْعَدُوَّ خَرَجْنَا دُونَهُمْ لِلْوَعْيِ نَزْدُ صِيَالَةً^(٤)
وَإِذَا هُمْ جَرَّوْا الْجُرَائِرَ يَوْمًا فَعَلِينَا تَبْكَونَ فِيهَا الْحِمَالَةَ^(٥)
وَإِذَا مَا اسْتَهْلَ فِيهِمْ وَلَيْدٌ فَعَلِينَا رَضَاعَهُ وَالْكَفَالَةَ^(٦)
قَدْ رَضِينَا بِذَلِكَ لَوْلَا عَتُوٌّ أَظْهَرُوهُ لَنَا عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
مَا بِهِمْ مَا يُمَيِّزُهُمْ عَنْ بَنِي السُّبُوقَةِ إِلَّا رَسُوخُهُمْ فِي الْجَهَالَةِ^(٧)
هُمْ مِنَ النَّاسِ حَيْثُ لَوْ غُرِبَ النَّاسُ لَكَانُوا نُفَايَةً وَخِثَالَةً
وَمِنَ الْجَهْلِ حَيْثُ لَوْ صُوِّرَ الْجَهْلُ لَكَانُوا بَيْنَ الْوَرَى تِمْنَالَةً
تَحْمَلُونَا مِنْ عَيْشِهِمْ كُلِّ عِبَاءٍ ثُمَّ زَادُوا أَصْهَارَهُمْ وَالْكَفَالَةَ^(٨)

(١) مشالة : مرفوعة عالية . (٢) العالة جمع عائل ، وهو الفقير . والمراد به هنا : الكل الذي يعتمد على غيره ، ولا يسعى لنفسه . (٣) سخينه : طعام أو حساء يتخذ من دقيق وتمر ، يؤكل أيام الجهد . والنخالة : ما يبقى في المنخل بعد نخل الدقيق من قشر الحب .
(٤) المصاولة : المواجهة . وفي الأصل : وإذا ما صال . تحريف
(٥) الحماله : ما يتجمله المحاربون من ديات القتلى .
(٦) استهل : صاح عند الولادة . (٧) السوقة : من عدا الملك من الرعية .
(٨) الكلالة : ذوا القرابة غير الوالد والأولاد . يريد من ليسوا بشديدي القرابة .

فكفينا أصهارهم مؤنة العيش فكانوا ضغنًا على إباله^(١)
تلك والله حالة يقشعر الحلق منها منها وتشمئز العدالة
هي منهم دناءة وشنار وهي منّا حماقة وضلالة
ليس هذا في مذهب الإشتراكية إلا من الأمور المحالة
وهو في الملة الحنيفية اليأساء كفرًا ربنا ذي الجلالة

الوطن والأحزاب^(٢)

مقى نرجو لغمتنا انكشافا وقد أمسى الشقاق لنا مطافا
ملأنا الجو بالجدل اصطخابا وكنا قبل نملؤه هتافا^(٣)
وما زلنا نهم بكل وادٍ من الأقوال نرسلها جزافا^(٤)
ونزجف في البلاد بكل رعب يهز فرائص الأمن ارتجافا^(٥)
وتتهم الحكومة باعتساف ونحن أشد ظلما واعتسافا
ويك من ناعب في القوم يدعو بوشك البين تحسبه الغدافا
تبا كينا على الوطن اختداعا فأندبنا بأدمعنا « الخلافا »^(٦)

(١) الضغث : ما علا الكف من فضبان أو حشيش أو شماريح . والابالة : الكرامة الكبيرة منه .
(٢) قال الرصافي هذه القصيدة عند ما سقطت وزارة الاتحاديين ، وقامت وزارة أحمد مختار باشا
الغازي ، وذلك قبل الحرب البلقانية ، وكان الخلاف بين الاتحاديين والائتلافيين في أشد حالاته .
(٣) الجدل ، بالتجريك : شدة الخصومة . والاصطخاب : اختلاط الأصوات واشتدادها .
والهتاف : الصياح . وأراد بالاصطخاب : الصوت في البحر ، وبالهتاف : الصوت في الخير . وفي
الجملة الثانية حذف ، دل عليه قوله بالجدل في الجملة الأولى ، وتقدير الكلام : وكنا قبل نملؤه
بالوفاء هتافا .

(٤) قوله « نرسلها جزافا » : أي معدولا بها عن منهج الصواب ، كالبيع الذي يكون بمجازفة ،
بلا كيل ولا وزن .

(٥) نرجف : أي نخوض في الأقوال السيئة ، والأخبار المرعبة ، التي تيجل فرائص الأمن مهتزة
مرتجفة . وارتجافا في البيت مفعول مطلق ، سلبط عليه عامل من معناه ؛ أو هو نائب عن المفعول
المطلق ، على حذف مضاف . وفي قوله « فرائص الأمن » استعارة مكنية .

(٦) الاختداع : بمعنى الخدع ، وهو في البيت مفعول لأجله . وفي قوله « فأندبنا بأدمعنا الخلافا »
تورية ، فإن الخلاف هو التخالف . والخلاف أيضا : شجر ، وهو صنف من الصفصاف .

أَجَاعَتْنَا الْمَطَامِعُ فَاخْتَلَفْنَا لِنَمْلَأَ فِي مَوَائِدِنَا الصَّحَافَا
وَلَكِنَّا مِنَ الْوِطَنِ الْمَغْدَى نَخِيطُ عَلَى مَطَامِعِنَا غِلَافَا^(١)

* * *

أَرَى أَنْفَ الْحَوَادِثِ مُشْمَخِرَا غَدَا يَتَشَمُّ الْحَدَثَ الْجُرَافَا^(٢)
وَيُوشِكُ أَنْ يَمْزِقَ مَخْرِيهِ عُطَاسٌ يَمْلَأُ الدُّنْيَا رُعَافَا
فَهَلْ لِمُوزَارَةِ « الْغَازِي » اقْتِدَارٌ تَرَدُّ بِهِ الْهَزَاهُزُ وَالنَّقَافَا^(٣)

• • •

أَقُولُ وَلَوْ يَسُوءُ الْقَوْمَ قَوْلِي بَيَانًا لِلْحَقِيقَةِ وَاعْتِرَافًا
قَدْ اخْتَلَفَ الْبَرِيَّةُ وَاخْتَلَفْنَا فَكُنَّا نَحْنُ أَسْوَأَهَا اخْتِلَافَا
فَلَا تَغْرُرْكَ أَحْزَابُ شِدَادٍ بَأَنَّ لَمْ أَقْلُوبِيلاً لِطَافَا
فَإِنْ بَوَاطِنُ الْقَوْمِ اخْتِرَاصٌ وَإِنْ أَبَدَتْ ظَوَاهِرُهُمْ عَفَافَا
وَمَا اخْتَلَفُوا لِمَصْلَحَةٍ وَلَكِنْ لِيَأْكُلَ أَقْوِيَاءُهُمُ الضُّعَافَا
هُوَ الدِّينَارُ مُنِيَّةُ كُلِّ رَاجٍ وَبُعْثِيَّةُ كُلِّ مِنْ دَابَّ احْتِرَافَا
نَحْجُجُ لِأَجَلِهِ بَيْتَ الْخَازِي وَنَكْثِرُ حَوْلَ كَعْبَتِهِ الطَّوَافَا
تَرَى كُلَّ الْأَنَامِ بِهِ سُكَارَى وَغَيْرَ هَوَاهُ مَا ارْتَشَفُوا سُلَافَا
خُبٌّ سِوَاهُ فِي الْأَفْوَاهِ جَارٍ وَلَكِنْ حَبَهُ بَلَغَ الشُّغَافَا
هُوَ الْحَرْبُ الَّتِي زَحَفَتْ إِلَيْهَا كِتَابٌ كُلِّ مَنْ طَلَبُوا الرِّحَافَا
وَكَمْ قَدَّرَتْ فِي أَمَلٍ مُخَافٍ فَأَمِنْ صَوْتُهُ الْأَمَلُ الْخُفَافَا
إِذَا خُطِبَ الْوَضِيعُ بِهِ الْمَعَالَى أَقَامَ لَهُ بَنُو الشَّرَفِ الرِّفَافَا
أَرَى الْأَحْزَابَ مِنْ طَمَعٍ وَحِرْصٍ قَدْ اخْتَرَقُوا إِلَى الْفِتَنِ السَّجَافَا

(١) يريد : إنا اختلفنا للمطامع ، ولكننا نغطي مطامعنا بغطاء من حب الوطن ، ونجعلها في غلاف منه ، نتمويهها وسترنا لمطامعنا .
(٢) الجراف : الجارف . يقال : سيل جراف .
(٣) الهزاهز : الحروب والفتن التي تهز الناس . والنفاق : هو المضاربة بالسيوف على الرؤوس .
ووزارة الغازي : هي وزارة أحمد مختار باشا الغازي . وفي هذا البيت وما قبله كناية وتنبؤ عن المستقبل ، بالأخبار عن وقوع حروب وفتن ، وقد وقعت بعد ذلك حرب الأمم البلقانية مع الدولة العثمانية .

يخاف بعضهم في الرأي بعضاً وبئس الرأي ما التزم الجتافاً^(١)
 ابن خطأت من راموا «اتحاداً» فاصوبت من راموا «اتحاداً»
 غارت مشارب العدوان منها كلاً الحزين يرتشف ارتشافاً
 وهم كانوا الديانة كل حزب يراه أحق بالحق اتصافاً^(٢)
 وماذا نفع أقوال سمان إذا أفعالهم كانت عجافاً
 وأنى يصلح الأوطان قوم بها أشتى تدابرهم وصافاً
 فكن منهم على طرف بعيدا وحاذر أن تكون لهم مضافاً
 فهم كالبحر يهلك راكبه ويسلم منه من لزم الضمافاً

عند سياحة السلطان^(٣)

قل للحكومات في البلقان هل علقَت آمالكم من مواعيد إنجاز
 إن الذي تضمرون اليوم من طمع أمسى لأشعب يعزوا مثله العازي
 لم تعرفوا منذ كنتم عرق نخوتنا إذ قد كنتم بكف ذات قفار
 إنا نعرف لغزاً في سياستكم وما السياسة إلا بيت الغار
 ألم ترؤا أننا مستوفزون لكم إذ نحن منكم على حذر وأوفاز^(٤)
 زار المليك بلاد الروم حيث غدا يلقي الدسائس منكم كل هماز^(٥)

(١) قوله « يخاف بعضهم في الرأي بعضاً » : أى يفصل بعضهم عن بعض ، انفصلاً منظوياً على بعض وعداوة .

(٢) أى أن هذه الأحزاب السياسية بشاهون أهل الأديان المختلفة ؛ إذ كل منهم يرى نفسه على الحق ، غيره على الباطل ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

(٣) أخذت حكومات البلقان تشتعل بإيقاد الفتن السياسية في مقدونية وبلاد الألبان ، وخرج السلطان رشاد إلى البلاد المذكورة سائحاً سياحة سياسية ، وقال الرصافي هذه القصيدة ، وقد رفعها إلى السلطان ، فأجازه عليها بساعة من ذهب ، ذات سلسلة ذهبية .

(٤) مستوفزون : متهبون للوثوب عليكم . وفسر ذلك بقوله « إذ نحن منكم إلح ... » . يقال : نحن على أوفاز أى حد عجلة . أو على سفر قد أشخصنا ، والأوفاز : جمع وفز ، وهو العجلة .

(٥) الهماز ، كشداد : الغياب الطعان

فسرنا كل فساد كان مُنتشراً
حتى اطمأنت قلوب الناس هادئة
وأصبح المخرج من مظالمهم
ولاعبت كسبات الحب ألوية
بأيها الملك انساني بحكمته
قد عني في وصف ما أوتيت من حكم
غزوت غزو سلام دون غايته
ملكك بالعمو والإحسان أفئدة
وأنت لو شئت إرهاباً لجنتهم
لكما جنتهم بالعمو تأخذهم
فأخذ سيوفك إن العمو منصت
بالترك بالروم بالآلبان قاطبة
أما بنو العرب فالإخلاص يرفعهم
إذ هم عماد لعرش أنت ماسكه
ورض بهم كل صعب ، إنهم فئة
وهم ركاز العلى لو زرت أرضهم
إن يعجز الأمر عن شئ فهم سفلة
وإن خشيت على البلاد أن جنتها

من عنتكم بين إغراء وإعزاز
وكل قلب لكم من غيظه نازي^(١)
يرنو إليكم بطرف سنخر هازي
من الرئاد أقيمت فوق أنشاز^(٢)
والمبدل الناس من ذل بإعزاز
كلاً كلامي إطنابي وإيجازي
غزو الحروب فأنت الفاتح الغازي
كانت إلى السيف فيها بعض إعزاز
بصارم لنواصي القوم جزاز^(٣)
والعمو أفضل ما يجزي به الجازي
واهناً بشعب محب غير منجاز^(٤)
بالأرمنيين بالبلغار باللاز
إلى مقام على الأقوام ممتاز
فاضرب بغات العدا منهم بأبواز
تبغي الصدور ولا ترضى بأعجاز
يوماً لأركزت فيها أي إركاز^(٥)
لو كنت مسندة منهم بعكاز
فقطب بها من سهاهم بعض أحرار^(٦)

- (١) نازي : أي وائب ، اسم فاعل من نزا ينزوا ، بمعنى وثب .
(٢) أنشاز : جمع نشر ، بالتحريك ، وهو المكان المرتفع .
(٣) جزاز : فعال من الجز ، بمعنى انقطع ، والنواصي : جمع ناصية ، وهي مقدم الرأس . وجز الناصية في كلامهم : كناية عن القبر والإدلال .
(٤) غير منجاز : أي غير عادل ولا حائد . ونقدير الكلام غير منجاز عنك . فحذف الصلة من الجار والمجرور لضيق المقام ، ولدلالة الكلام عليها .
(٥) الركاز : ما ركزه الله في المادن من ذهب وفضة . يقال : أركز الرجل : إذا وجد الركاز ، ومعنى البيت ظاهر .
(٦) أحرار : جمع حرز ، وهو العوذة التي تكتب ، وتعلق على الإنسان من امين والقرع والخنون .

وسيفُ ملكك إن رئتُ جمائله أغنوك في رأسها عن كل خراز^(١)
 زر أيها الملكُ المحبوب موطنهم ولو زيارة عجلان ومجتاز
 وانظر إليه بعين منك شافية ما نابه اليوم من جهل وإعواز
 أشتم وأعرق وروح بعد محتجزا وأيمن بعزم غير هزهاز^(٢)
 ماذا على ملك الدستور من وطن لو جال منه بأطراف وأجواز

الحق والقوة

أرى الحق لم يغش البلاد وإنما مشى ضارباً في الأرض تلفظه الطرُق
 فيصبح في أرض ويمسى بغيرها وحيداً فما يؤويه غرب ولا شرق
 توطن قفر الأرض مبتعداً بها إلى حيث لا إنس ولا طائر يزقو
 وقد يهبط الأمصار وهو محجب ويظهر أحيانا كما أومض البرق
 ومن عجب أن الورى يدعونه وهم من قديم الدهر أعداؤه الزرق
 أعدوا له في البر والبحر قوة إذا ظهرت ينسد من دونها الأفق
 وطاروا بطياراتهم يمتطرونه قذائف من نار كما أمطر الودق^(٣)

• • •

يقولون إن الحق في الخلق قوة تذلل لها الأعناق قهراً وتندق
 فما باله يسمى ويصبح شاكياً ولا يتحاشى عن ظلامته الخلق
 إلى الله نشكو الأمر من مدنية

تعارض في أوصافها الكذب والصديق

وكم قد سمعنا ساسة الغرب تدعى بأشياء من بطلانها ضحك الحق

(١) في رأسها : أى في إصلاحها . والضميز يعود إلى الجمائل . والخراز : فعال من الحرز ، وهو خياطة الجنود .

(٢) احتجز الرجل : أتى الحجاز . وأيمن : أتى اليمن . وكذلك أشأم وأعرق : أتى الشام والعراق . وقوله « بعزم غير هزهاز » أى غير مضطرب .

(٣) الودق المطر كله : شديد وهينه .

فهم منعوا رِقَّ الأسير وإنما
ألم تر في القطار العراقي أمة
قد اختلط فيه السيف للقوم خِطَّة
وأوجرهم مما من الذل ناقما
فدجاجة من وقع الشوائب أصبحت
وإن الفرات الغمر أمسى وماؤه

° ° °

رعى الله بين الواديين مواطننا
قضيت بها عصر الشباب فلي بها
فلا تعجبوا من أننى عند ذكرها
وأنى إذا أبصرتها مستضامة
ألم ترها قد أصبحت من إسارها
تجر قيود الذل راسفة إلى
ويحلب شطريها العدو ضرائباً
سلام على وادى السلام الذى به
سنفديه حتى لا حياة عزيزة
ونذكر فيه ثأرنا بكتائب
وإن الليالى بالخطوب حوامل
فتنتج حرباً ما يبوخ سعيها
بكل أخى عزم كأن مضاءه
تلفف رايات العلى بسواعد
فأما المنايا نستطب بطبها
إذا نحن لم نملك على الدهر أمره

إذا ذكرت يهزّ بي نحوها عشق
خواطرم لم يسمح بإفشاءها النطق
أنوح عليها مثلما ناحت الورق
يكاد لها قلبى من الحزن ينشق
تليح بطرفى فى لوحظه العتق
تكاليف حكم فى سياسته الحق
ويمخضها درّاً كما يمحض الرق
تفاقم هول الخطب واتسع الخرق
ونبذل حتى لا نفيس ولا علق
لها نسب من صلب يعرب مشتق
ولا بد يوماً أن سيأخذها الطلق
وتستن فى ميدانها اللثم والبلق
مُشطبة بيض ومسنونة زرق
لهن بتصرف الفنا فى الوغى حذق
وإما منى فيها يتم لنا سبق
فلا دام فينا نابضا للعلى عرق

صبيح الأمانى (١)

تَبَلَّجَ أَفْقُ الشَّرْقِ مِنْ بَعْدِ مَا اغْتَبَرَا وَكَثُرَ عَنْ صَبِيحِ الْأَمَانِ مُفْتَرَا (٢)
 وَلَوْ كَانَ صُبْحًا نَاصِعَ الْوَلَوْنَ سَرَّيْ وَبَرَدَ حَرًّا كَانَ فِي كِبْدِي الْحَرَى
 وَلَكِنَّهُ صَبِيحٌ يَلُوحُ لِنَظَرِي بِحَاشِيَةِ الزَّرْقَاءِ كَالْدَمِ مُحْمَرَا
 أَرَاهُ كَوَجْهَ الْغَادَةِ الْخُودِ رَاقِي بِحَسَنِ وَلَكِنْ قَدْ تَجَهَّمُوا زَوْرَا (٣)
 لَحِثْتُ تَبَاشِيرَ الْمُتَى مِنْ خِلَالِهِ ضَيَالًا كَهَبُولِكَ غَدَا يَشْتَكِي الضَّرَا (٤)
 وَلَمْ أُدْرِ لِمَا اسْتَقْبَهْتُمْ أَخْرِيَانَهُ أَطْلَعْتُ أُمَّ أَسَدِشَّعْرِ الْيَاسِ مَضْطَرَا
 وَلَوْ كُنْتُ أُدْرِى مَاورَاءَ أَحْرَارِهِ لَسَرَّيْ عَنْ النَّفْسِ الْكَثِيْبَةِ مَا سَرَى (٥)
 وَلَسَكُنْهُ وَرَى عَوَاقِبَ أَمْرِهِ

فَزَادَتْ شَكْوَاكَ النَّفْسِ مِنْ أَجْلِ مَاوَرَى

يَهَامِسُنِي بِالْوَعْدِ قَوْلًا مُجْمَعًا كَأَنْ هُوَ يَخْشَى أَنْ أَذِيعَ لَهُ سِرًّا (٦)
 وَأَنْى لِأَخْشَى أَنْ أَكُونَ بِوَعْدِهِ وَإِنْ أَسْفَرْتَ أَوْضَاحَهُ الْغُرْمُغْتَرَا

(١) نشرت الجرائد مقالا لشكري غانم يبارس ، صرح فيه بالتبرؤ من الأمة العربية ، قائلا : اننا معاشر السوريين أو اللبنايين لسنا بعرب ، وإن تكلمنا بالعربية ، وإنما نحن فينيقيون . فقال الرصافي هذه القصيدة يرد على شكري غانم .

(٢) يشير بقوله « تبلاج أفق الشرق » إلى حكومة دمشق العربية وكفى عنها بالفرار الشرق عن صبيح الأمانى .

(٣) شبه هذا الصبح في عدم وضوحه وصدقه ، بوجه الغادة الحسناء ، الذى فيه تقليب ويسور ، فهو على حسنه متجههم لناظرين ، أى كالح . ومزور عنهم : أى منحرف .

(٤) تبشير المتى : أوائلها التى تبشر بها . وضئال : جمع ضئيل ، وهو الدقيق الحقيق ، والمتهوك : المنضى الذى أضطه المرض .

(٥) قوله « لسرى عن النفس » : أى لكشف عنها الهم . وقوله « ولسكنه ورى » فى البيت الذى بعده : أى ولسكنه أخفى عواقب أمره .

(٦) يهامسنى بالوعد : أى يكلمنى به محسرا . والهمس : الصوت الخفى . وقوله « قولاً مجمعاً » : أى قولاً غير مبين . وهو منصوب على أنه مفعول مطلق ، مسلط عليه عامل من معناه ، وهو يهامسنى .

وما كل صبح يرتجى الناس خيره
ولا كل ليل مظلم يضمم الشرأ
فإن كنت يا صبح الأمانى صادقا
بوعد فحيا الله طلمعتك الغرا

• • •

خليلي هل من عاذر في قصيدة
أرى هبوة سوداء في الجوا أسبلت
وأرخت بأرض الشام منها على الربا
ومدّت على بيروت منها غيابة
وما هي إلا عارض من تناكر
ترى القوم فيه نوعهم متخاذل
أقول بها حقا وإن قلت مرأ
حجابا بأفاق العراقين ممترا (١)
سُدولاً بها جو السماء قد اغبرا
بها عاد وجه الأفق أسفع مكذرا (٢)
به مَرَبَع الآمال أقفر واقورا (٣)
وآماهم أمست كتيبته فرى (٤)

• • •

عجبت لقوم أصبحوا ينكرونا
هم أسمعونا نعوة عربية
فكم من خطيب قام فيها مثرثرا
وكم شاعر قد أرخص الشعر دونها
وكنا أجبناهم إليها إجابة
رجاء اتحاد في طريق سياسة
وقد عرفونا في الزمان الذي مرأ
فدوى صداها في المسامع مضطرا (٥)
فطرى لنا من يابس القول ما طرى (٦)
وكم قلم فوق الطروس بها صرا (٧)
بها قد تركنا جانب الدين مزورا
تعم مراميها بنى يعرب طرا

- (١) المهبوة : الغيرة . وأسبلت حجابا : أى أرسلته وأرخته . وغوله ممترا : أى مارا بأفاق العراقين ، وهو اسم فاعل من امتر ، افتعل من المرور ، يقال امتر به أى مر به .
(٢) الغيابة : كل ما أظل الانسان من فوق رأسه . كالغبرة والسحابة ونحو ذلك . وأسفع : ذو سواد وشحوب . ومكذر : أى كدر . وهو اسم فاعل من اكذر كاجر . بمعنى كدر .
(٣) أقفر : خلا من السكان . واقور : ذهب ثباته .
(٤) قوله « نوعهم متخاذل » : أى ضعفاء غير متففين ولا متناصرين : وقوله « أمست كتيبته فرى » يضم الغاء . وتشديد الراء : أى منهزمة .

- (٥) النعوة : الصوت بالخيشوم . ودوى صداها : أى سمع له دوى . ومضطرا : مصطخبا .
(٦) مثرثرا : أى مكثر الكلام . وطارى : من التطرية : أى جعله طريا .
(٧) صر القلم صريرا : سمع له صوت عند الكتابة .

فخذ حان أن يَحْضَلَ غَضَنَ اعْتَزَانَا ويرجع بعد اليأس رطباً ويَحْضُرَا
نصبنا خيائهم الرجاء ليريجهم فهبت لنا نكباء عاتية صِرَا^(١)

* * *

لعمرى لقد ساء الكرام ابنُ غانم بهاريس إذ قد قال ما يُحْجِلُ الحرَا
نقى عن مناميه العروبة وادعى جزافاً وخلى منهمج القوم وابترَا^(٢)
وهل حسبوا أن العروبة في الورى من العرّ حتى أفكروا ذلك العرَا^(٣)
كأن لم يقيم من بينهم ناعراً بها ولم يكْضُرْنَا بها أمس من ضرَا^(٤)
فما أحدٌ منهم وفى بعهوده ولا أحدٌ منهم بما قال قد برَا
وكان غروراً كل ما حالفوا به وشر الحليفين الذى خان أوغرا
وعاد الذى كنا نؤمل منهم إلى غير ما كنا نؤمل مُنْجِرا
وقد صوّحت تلك الأمانى كلها

فما كنت نبات الأرض إذ هاج مصفراً^(٥)
وأصبح فينا شامتاً كل من غدا لأبناء قنطوراء يغضب مُقَرَّرا^(٦)

(١) نكباء منجرفة عن مهاب الرياح ، وعاتية : شديدة العصف ، مجاوزة الحد ، وصرا ، بكسر الصاد ، وتشديد الراء : أى شديدة البرد .

(٢) نقى عن مناميه : أى عن مناسبه . والعروبة : العربية . ابتر : من الإبتار ، وهو الاعتزال والافتراد عن الأصحاب .

(٣) العر بالفتح : العيب .

(٤) قوله ضراننا بها : أى أغراننا ، يقال : ضراها بكذا تضرية : أى ألحقه به ، وأغراه ، وعوده إياه .

(٥) قوله صوّحت تلك الأمانى : أى يبست وجفت .

(٦) أبناء قنطوراء : الترك . وقوله سقرأ : أى نأثما عرقه ، يقال امقر الرجل امقرا : إذا نأ عرقه ، ويكون ذلك عند الغضب .

نواح دجلة

قالها بعد سقوط بغداد في أثناء الحرب العامة ، جواباً

عن قصيدة للشاعر التركي الكبير سليمان نظيف بك :

هِيَ عَيْنِي وَدُمْعُهَا نَضَّاحٌ . كُلُّ حُزْنٍ لَمَامُهَا يَمْتَّاحُ
كَيْفَ لَا أَذْرِفُ الدَّمْعَ وَعِزِّي بِيَدِ الذِّلِّ هَالِكُ مُجْتَاكِ
قَدْ رَمَتْنِي يَدُ الزَّمَانِ بِخُطْبٍ جَلَلٍ مَا لِلْيَلِّ إِصْبَاحُ
حَيْثُ غَمَّتْ عَلَيَّ وَجْهَ سَمَائِي ظُلُمَاتٌ تَخْفَى بِهَا الْأَشْبَاحُ
وَتَوَارَى عَنِ أَعْيُنِي مَضْمُجِلًا شَرَفٌ فِي مَوَاطِنِي وَضَّاحُ
يَوْمَ أَمْسَيْتُ لَا نُحَاةَ تَذُودِ الضَّيِّمِ عَنِّي وَلَا ظُبِّي وَرَمَاحُ
فَأَنَا الْيَوْمَ كَالسَّفِينَةِ تَجْرِي لَا شِرَاعَ لَهَا وَلَا مَلَّاحُ
ضَيَّقْتُ ذُرْعًا بِمَحْنَتِي فَتَرَاءَتْ قَيْدَ شِبْرِ لِي الْفِجَاجُ الْفِسَاحُ
أَخْرَسَ الْحُزْنَ مَنْطِقِي بِنَحِيبِ أَلْسُنُ الدَّمْعِ فِيهِ ذُلٌّ فِصَاحُ
نُحْتُ حَتَّى رَأَيْتُ الْعَدُوَّ لِحَالِي وَاعْتَرَانِي مِنَ الْعَوِيلِ بُحَاكِ
فِيَا هِيَ هِيَ انْسِكَابُ دُمُوعِي وَخَرِيرِي هُوَ الْبُكَاءُ وَالنَّوْاحُ
أَوْ مَا تَبَصَّرْتُ اضْطِرَابِي إِذَا مَا خَفَقَتْ فِي جَوَانِبِي الْأَرْوَاحُ
لَيْسَ ذَا الْمَوْجِ فِيَّ مَوْجًا وَلَكِنْ هُوَ مِنْ تَنْهَدٍ وَصِيَاكِ
إِنْ وَجَدْتَنِي هُوَ الْجَحِيمُ وَلَوْلَا أَدْمَعِي أَحْرَقْتَنِي الْأَتْرَاحُ
لَوْ دَرَى مَنبَعِي بِمَا أَنَا فِيهِ مِنْ أَسَى جَفَّ مَاؤُهُ الضَّحَضُضُ (١)
عَلَّه قَدْ دَرَى بِذَلِكَ فَهَذَا هُوَ بَاكِ وَدُمْعُهُ سَفَّاحُ .

* * *

أَيْنَ أَهْلُ الْخِيفَازِ هَلْ تَرْكُونِي نَهْبَةً فِي يَدِ الْعَدُوِّ وَرَاحُوا
بَرِّحُوا وَادِي السَّلَامِ عِجَالًا أَفْجِدُ بَرَّاحَهُمْ أَمْ مُزَاحُ

(١) الضحضض : الذي ليس بعميق .

ما هم يَبْعِدُونَ عَنِ انْتِزَاحٍ^(١) وعزير منهم على انتزاح^(١)
 أو ما يعلمون أن حريمي للمعادين بعدهم مستباح
 فلئن يبعثوا فإن فؤادي لآليهم^(٢) بوده طمّاح
 تركوني من الفراق أقاسي ألمًا ما تطيقه الأرواح
 لو رأوني سببًا بأيدي الأعادي لباكوا مثلما بكيت وناحوا
 لا مسائي بعد البعاد مساء يوم بانوا ولا الصباح صباح
 أتمنى بأن أطيّر إليهم بجناح وأين مني الجناح
 أنا أدري بأنهم بعد هجري لم يذوقوا غمضًا ولم يرتاحوا
 بل هم اليوم عازمون على الزحف بجيش به تغص البطاح^(٢)
 إن تأنّوا فربضة الليث تأتي بعدها وثبة له وكفاح
 كيف يغضون عن إغاثة واد زانه من ودادهم أوضاح
 فعليه من فخر عثمان تاج وله راية الملل وشاح
 أنا باقي على الوفاء وإن كا نت بقلبي ممن أحب جراح
 فإليهم ومنهم اليوم أشكو بأنهم شكايتي يا رياح

(١) الانتزاح : النأي والبعد .

(٢) تغص : تمتلئ . والبطاح : جمع بطحاء ، وهي الأرض المنيعة السهلة .

بعد براح الشـام

- قد صحَّ عزيمتك والزمانُ مريضُ حَتَّامٌ تذهبُ في المني وتلييضُ^(١)
 ما بال هَمِّك في القواد كأنه عَظُمَ يَقلُّقل في حشاك مهيضُ^(٢)
 كم بت مُعتلِّجَ الهموم بليلاً ما لظلام بقجرتها تقويضُ^(٣)
 طنت بمسمعك المواجسُ في اللجى
 فنفت كراك كما يَطينَ بعوضُ^(٤)
 تنبو جنوبك عن فراش ناعم فكأن مضجعتك الدميث قضيضُ^(٥)
 وكأن جنبك بالجوى متقرِّحُ وكأن قلبك بالهموم رضيضُ^(٦)
 كبرت لنفسك في الحياة لبانة ضاقت سماءات بها وأروضُ^(٧)
 ما زلت تقتحمُ المهالك دونها فالهول تركبُ والصَّعاب تروضُ^(٨)
 لله أنت فأى هول تمتطى أم أئى مُعترك الخطوب تخوض

* * *

- ولرب قافية كؤُتلق السنا يحلو الشكوك يقيمها المححوضُ^(٩)
 صرحت في إنشادها بحقيقة فات الأنام بمثلها التعريضُ^(١٠)

(١) آض يثيض أيضا : رجع .

(٢) هيض العظم : كسر بعد الجبور ، فهو مريض .

(٣) محتاج الهموم : شديدتها . تقويض الخيمة ونحوها : هدمها . شبه الظلام بالحمة .

(٤) الطنين : صوت الدبابة ونحوه . كأن المواجس من كثرة معاودتها له ، صارت ذات طنين ،

فأزالت عنه النوم .

(٥) نبا جنبه عن الفراش : لم يوافقه فتركه . والدميث : الوثير اللين . والفضيض : الحصى الصغار .

(٦) الجوى : الحزن . ومتقرح : ذو قروح ، وهى الجروح . والرضيض : فعيل بمعنى

مفعول ، أى مرضوض ، أى مكسور .

(٧) كبرت : عظمت . واللبانة : الحاجة . والأروض : جمع أرض .

(٨) تقتحم المهالك : تلقى نفسك فيها . وتروض : تسوس وتدلى .

(٩) السنا : الضوء . والمححوض من المحض ، وهو الخالص .

(١٠) تعريض : أن تشير إلى الشيء من طرف خفى ، تبهجه ولا تصرح .

- ولقد أَجَرْنِي القَرِيضُ عِنَانَهُ (١)
وَأَتَى المَدَى يَوْمَ السَّبَاقِ مَجْلِيَا
قَد كُنْتُ أَنْبِطُ للقَرِيضِ قَرِيحَةً
وَلَكُم وَقَفْتُ مِنَ السِّيَاسَةِ مَوْقِفَا
مُسْتَنْهَضَا بِالشَّعْرِ قَوْمِي لِلْعَلَى
أَيَّامٌ لَمْ يَنْطِقْ بِذَلِكَ شَاعِرٌ
حَتَّى إِذَا دَارَ الزَّمَانُ مَدَارَهُ
وَعَدَا يَنَازَعُنِي الحَرُورَةُ شَاعِرٌ
وَيَبْزَنِي ثَوْبَ الأَمَانَةِ خَائِنٌ
كَمْ مَدَّعٍ دَعَاوَى فِي وَطَنِيَّةٍ
مَنْ كُلِّ عَبْدٍ فِي السِّيَاسَةِ بَاعَهُ
تَعَسَّ المَخَاصِمُ إِنَّ لِي لِقَصَائِدَا
فَإِذَا ادَّعَيْتُ فَمَنْ فِي دَعَاوَى لِي
- وَنَحَا بِي المِضْمَارَ وَهُوَ مَرُوضٌ (١)
يَجْرِي سَبُوحٌ خَلْفَهُ وَرَكَوْضٌ (٢)
بِمَفَاخِرِ العَرَبِ الكِرَامِ تَفْضِيضٌ (٣)
نَحْيَايَ فِيهِ عَلَى التَّوَى مَعْرُوضٌ (٤)
إِذَا كَانَ فِيهِمْ فَتْرَةٌ وَرُيُوضٌ (٥)
قَبْلِي وَلَمْ يَنْشُدْ هُنَاكَ قَرِيضٌ
خَابَ القَرِيضُ وَعَادَ وَهُوَ جَرِيضٌ (٦)
مَا كَانَ حُرًّا شَعْرُهُ المَقْرُوضُ (٧)
كَأَبَى بَرَاقِشَ طَبَعَهُ المَرْفُوضُ (٨)
أَنَا كُنْتُ أَبْنِيهَا وَكَانَ يَقُوضُ (٩)
وَشَرَاكَ هَذَا الدَّرْهَمُ المَقْبُوضُ
طَرَفَ المَعَانِدِ دُومَهَنٍّ غَضِيضٌ (١٠)
حُجْجٌ دَوَامُغٌ مَا لَهْنٌ دُحُوضٌ (١١)

- (١) أَجَرْنِي القَرَسُ عِنَانُهُ : أُلْسِنِي لِي قِيَادَهُ . وَالْمِضْمَارُ : المِيدَانُ مَحْضَرٌ فِيهِ خَيْلُ السَّبَاقِ .
وَالْمَرُوضُ : المَدْرَبُ عَلَى الحَرَى فِي السَّبَاقِ .
(٢) المَجْلَى مِنْ خَيْلِ السَّبَاقِ : السَّابِقُ المَتَقَدِّمُ . وَالسَّبُوحُ : القَرَسُ الخَفِيفُ فِي عَدْوِهِ ، كَأَنَّهُ
يَسْبِجُ فِي الهَوَاءِ . وَالرَكَوْضُ : الشَّدِيدُ العَدْوِ .
(٣) أَنْبِطُ البَثْرَ : حَقَرَهَا . وَتَفْضِيضٌ : يَنْزِرُ مَائِهَا حَتَّى يَسِيلَ عَلَى الجَوَانِبِ .
(٤) تَوَى يَقْوَى تَوَى مِنْ بَابِ فَوَّحَ : هَالِكٌ . يَرِيدُ : وَقَفْتُ فِي السِّيَاسَةِ مَوَاقِفَ كَثِيرَةٍ
تَعَرَّضْتُ فِيهَا حَيَاتِي لِلْحَمَامِ .
(٥) فَتْرَةٌ : فِتْنَةٌ . وَرُيُوضُ النِّعَمِ : بَرُوكُهَا عَلَى الأَرْضِ ، يَرِيدُ الكَسْلَ وَالْفُتُورَ عَنْ
السَّاعَى الشَّرِيفَةِ .
(٦) الجَرِيضُ : غَضَصُ المَوْتِ . وَفِي المَثَلِ « حَالُ الجَرِيضِ دُونَ القَرِيضِ » .
(٧) الحَرُورَةُ ، بَفَتْحِ الحَاءِ ، كَالْحَرِيَّةِ وَالْحَرُورِيَّةِ ، وَالْحَرَارَةُ وَالْحَرَارُ : وَهِيَ العَتَقُ وَالنَّفَاسَةُ .
(٨) يَبْزَنِي : يَسْلُبُنِي . وَأَبَى بَرَاقِشَ : حَيَوَانٌ لَا يَزَالُ جَلْدُهُ يَتَلَوَّنُ أَلْوَانًا فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ .
(٩) يَقُوضُ : يَهْدِمُ . وَالَّذِي فِي مَعَاجِمِ اللُّغَةِ : يَقُوضُ بِتَشْدِيدِ الواوِ .
(١٠) غَضِيضٌ : مَغْضُوضٌ ، أَيْ مَكْسُورٌ . (١١) دَحَضْتُ حُجَّتَهُ : بَطَلْتُ

- وَسَلَّ الْيَرَاعَ يُجَبِّكَ عَنِ نَاطِقًا بِمَقَالٍ صِدْقٍ لَيْسَ فِيهِ غَمُوضٌ ^(١)
- لَمَّا تَكَرَّهْنِي الْأَرَاذِلُ سَرَّ نِي * * *
- وَلَقَدْ بَرَّتَ إِلَى الْوَفَاءِ مِنْ أَمْرِي عَهْدَ الصَّدَاقَةِ عِنْدَهُ مَقْمُوضٌ ^(٢)
- وَجَزَيْتُ كُلَّ صَنِيعَةٍ بِمِثْلِهَا إِنْ الصَّنَائِعُ فِي الرِّجَالِ قُرُوضٌ ^(٣)
- وإِذَا مَحَضْتَ مِنَ اللَّيَالِي صَرْفَهَا لَا نَاطِلِينَ مِنَ الزَّمَانِ حَقِيقَةً ^(٤)
- وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ مِثْلُ نِسَائِهَا أَبْدَى الْعَجَائِبِ صَرْفَهَا الْمَخُوضُ ^(٥)
- وَلَرُبَّمَا أُنتَجَنَ كُلُّ كَرِيمَةٍ فِي الْحُكْمِ تَطَهَّرَ تَارَةً وَتَحْمِضُ ^(٦)
- قَدْ سَاءَ مُتَقَلِّبُ الْبِلَادِ بِأَهْلِهَا سُودَاءُ تَقْنَأُ فِي وَغَايَا الْبَيْضِ ^(٧)
- ذَهَبَ الْحَيَاءُ فَكَمْ رَأَيْنَا صَاغِرًا فَانْحَطَّ أَوْجٌ وَاشْمَخَرَّ حَضِيضٌ ^(٨)
- وَوَقَّحَ تَعَامَى عَنْ مَدَانِسَ عَرْضِهِ قَدْ جَاءَ وَهُوَ لِمَذْرُوبِهِ نَفُوضٌ ^(٩)
- غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى الْأَنَامِ فَخَيْرُهُمْ فَرْهَاهُ عُجْبًا ثُوبُهُ الْمَرْحُوضُ ^(١٠)
- غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى الْأَنَامِ فَخَيْرُهُمْ دَثٌّ وَقَطَرٌ شُرُورُهُمْ إَغْرِيبُضُ ^(١١)

(١) (اليراع : جمع يراعة ، وهي القصة التي تبرى للكتابة .

(٢) (تَكَرَّهْنِي : كرهني . وَأَمِيمٌ : مرخم أميمة ، نصير أم .

(٣) (نقض الشيء ، المقول كالجبل : إذا نكثته وحله .

(٤) (الصنعة : المروء . والصنائع قروض : لأن المارة لا بد أن يجزى بعمله ، فكأن الجليل رن يرد إليه ولو بعد حين .

(٥) (المحض : وضع اللبن في السقاء وتحريكه لاستخراج الزبد منه . يريد إذا اعتبرت بحوادث الدهر رأيت ما دهشتك ، فكلمة نعمة في ثوب نعمة ، وكلمة نعمة في ثوب نعمة .

(٦) (تقنأ تحمر . والوغى : الحرب ، وأصله أصوات الأبطال ، في ساعات النزال . والبيض : السيوف ، جمع أبيض .

(٨) (الأوج : أعلى الشيء . والحضيض : أسفل الجبل . واشمخر : علا وارتفع .

(٩) (الصاغر : الدليل الحقير . والمقروان : مثني مذري ، وهو طرف الأليسة . ونفوض : يحرك . أي كم حقير ذليل جاء يستطيل على غيره ويهدده .

(١٠) (الوقح : الجريء الشيء الأدب . ونعاه : تظاهر بأنه أعمى وليس كذلك . والممانس : جمع مدنس ، وهو الدنس . وزهاه : ملأه . والمرحوض : المقسول .

(١١) (الدث : أشد المطر وأخفه . جمعه دثاث . والاعريض : قطر كبار .

كيف السعادة في الحياة والورى
 أم كيف تبتدع المعالي أمة
 لن تعدم الدنيا الشئ بأهلها
 ويح النكاح فقد تأخر أهله
 أخرى البلاد مفسداً بلده
 وإذا القتي قعدت به أفعاله
 والمرء إن عدمت سجيته العلى
 في قوس كل ضغينة تنفيض^(١)
 في السلم قل نصيبها المفروض
 ما دام ملك في البلاد عضوض^(٢)
 حتى تقدم من قفاه عريض
 مقيت الأديب وأكرم العربى
 أتيه بالنسب الرفيع مهوض
 لم يبتشه إلى العلى تحريض

تجاء الریحانی

شکوائی العامة

هذه هي القصيدة التي أنشدتها الرصافي في حفلة أقيمت في المعهد العلمي تكريماً
 لأمين الريحاني ، عند قدومه بغداد في أيلول سنة ١٩٢٢

إن العراق بعرضه وبضوله
 يهتز بتهيجا بمقدم ضيفه
 ومرحبا بالشكر في ترحيبه
 بربيب أبنسان ، بريحانية
 بالعبرى ، بفيلسوف زمانه ،
 بأصح أحرار الأنام تحرراً
 إننا نبجل منه خير مبعجل
 أمين جئت إلى العراق لكي ترى
 وبرافديه وبنسقات تحييه
 ويكبش مبتسماً بوجه نزيه
 ومؤهلاً والحمد في تأهيله
 بكبير معشره ، بفخر قبيله
 بأديب أمته ، بداهي جيله
 في فكره ، وبغاله ، وبقيله
 تبجيل كل الفضل في تبجيله
 ما فيه من غرر العلى وحيوله

(١) الضغينة : الضغن والمقد . والتنفيض : يقال نبض قوسه نبضا : إذا جذب وترها ثم أرسله لترن وتصوت . وهذا من قول المتنبي :

كلما أنبت الزمان قننا ركب المرء في القننا سنانا

(٢) ملك عضوض : أى يعرض عليه بالخواجذ ، حرصا عليه ، يقتل في سبيله الابن أباه والأب ابنه .

عَفَوا فِذَٰلِكَ النِّجْمُ أَصْبَحَ آفَلا
أَوْ مَا تَرَى قَطْرَ المَرَارِقِ بِحَسَنِهِ
أَمَّا الحَيَا فِيهِ فَذِيكَ الحَيَا
وَرَبِيعُهُ ذَاكَ الرَّبِيعُ وَإِنْ شَكَ
فَأَقِمَّ بِهِ ذَٰلِكَ الغِنَى بِفُرَاتِهِ
وَأَنْزَلَ عَلَى وَادِي السَّلَامِ مَمْتَعًا
وَالْحَمْدُ بِهِ تَفَرَّ الطَّبِيعَةُ بِاسْمَا
وَتَرْقُبُنْ أَسْحَارَهُ حَتَّى إِذَا
وَانْظُرْ مُحَاسِنَ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
فَالْجَوَّ فِيهِ مُنِيرَةٌ أَوْضَاحُهُ
وَاللَّيْلُ فِيهِ مَكْلَلٌ بِمَرْصَعٍ
وَتَرَى النَّهَارَ بِهِ كَذَهْنِكَ وَقَدْ
وَتَرَى ضِيَاءَ الشَّمْسِ فِيهِ مَغْلَقًا
وَإِذَا وَقَفْتَ بِدَارِسٍ مِنْ تَجْدِهِ
وَأَتَّخَبَ كَأَتَّخَبَ الحَزِينُ مُكْتَفٍ كَفًا
فَلَقَدْ عَفَا المَجْدُ القَدِيمُ بِأَرْضِهِ
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى قُلُوبِ رِجَالِهِ
تَجِدُ الرِّجَالَ قُلُوبُهَا شَقَى الهَوَى

وَالْقَوْمُ مُحْتَرِبُونَ بَعْدَ أَقُولِهِ (١)
قَدْ فَاقَ مَقَرَّهُ عَلَى مَا هُوَ (٢)
لَكِنْ مَسِيلُ المَاءِ غَيْرُ مَسِيلِ
مَنْ جَوَلَ سَاكِنَهُ اشْتِدَادَ مُحُولِهِ (٣)
عَنْ قَطْرٍ مَصْرٍ وَعَنْ مَوَارِدِ نَيْلِهِ
رَغِيدَ عَيْشٍ تَحْتَ ظِلِّ نَخِيلِهِ
يَشْفِي مِنَ المِشْتَاكِ حَرًّا غَلِيلِهِ (٤)
هَبَّ النِّسِيمُ فَجَسَّ نَبْضَ عَلَيْهِ (٥)
وَانشَقَّ أَرْيَحُ شَمَالِهِ وَقَبُولِهِ
وَالْحَسَنُ فِيهِ دَقِيقَةُ كَجَالِيلِهِ
وَكَوَاكِبُ الإِكْلِيلِ مِنْ إِكْلِيلِهِ
بِالشَّمْسِ تَشْرِيقُ فِي وَجْهِهِ سَهُولِهِ
بِنَظِيرِهِ وَمُسَاسَلًا بِمِثْلِهِ
فَكَوَقِفَةُ البَاكِينَ بَيْنَ طُلُوعِهِ
غَرْبِ الدَّمُوعِ بِجَانِبِي مَبْدِيلِهِ
وَعَلَيْهِ جَرَّ الدَّهْرُ ذَيْلَ خَمُولِهِ
فَانْظُرْ حَدِيدَ الطَّرْفِ غَيْرَ كَلِيلِهِ
مَدَّ السَّقَاكِ بِهَا حَبَالَةَ غُولِهِ (٦)

(١) محترِبون : يحارب بعضهم بعضاً ، لذهاب نور العز الذي كان يهديهم . والأقول غروب الكواكب .

(٢) أى أن إناليم العراق يقل فيه العمران ، بحيث إن الأراضى البور فيه أكثر من الأراضى الخصبة الغامرة

(٣) المحول : الجذب . (٤) حر غليله : شدة عطشه .

(٥) أى المسألة عن علته ، والبحث فى مظاهر تأخره .

(٦) الحباله الشبكة ينصبها الصائد فى طريق الصيد ليقنصه بها . والغول : شىء توهمه العرب كأنه حيوان يشع يسكن القفار ، ويهلك من يظفر به من الأناسى .

متناكرين لدى الخطوب تناكراً
فالجار ليس بأمنٍ من جاره
والدينُ فيه يقولُ ذو قرآنه
وإذا تأوّل قولهم متأوّلٌ
وإذا تكلمَ عالمٌ في أمرهم
حالٌ لو افترَكَ الحكيمُ بكنهه
من ذا يبدّله فإن قوارعي
والجهل لا يُبقى على أربابه
أأمينٌ لا تغضبُ على فإنتي
من أينَ يَرْجى للعراقِ تقدّمُ
لا خير في وطن يكون السيفُ عند جبانته ، والمال عند بخيله
والرأى عند طريده ، والعلم عند غريبه ، والحكم عند دخيله
وقد استبدّ قلبه بكثيرة
إني إذا جدّ المقال بموقف
وإذا المخاطب كان مثلك واعياً
يا من يكمّمُ فضله متواضعاً
شكواي بحت بها إليك وليس في
إن المريض ليستريح إذا اشتكى
وكذا الحزين إذا نهج حزنه
إني لأنف أن أبوح بمضمري
ولدى إن وصل الحبيب تمسكٌ

يعيا لسان الشعر عن تمثيله
والخيل ليس بواثق بخيله
قولاً يحاذر منه ذو إنجياله
صرفوه بالكفر عن تأويله
خفروا ذمام العلم في تجهيله
طول الزمان لعيّ عن تعليله^(١)
يئست لعمر الله من تبديله^(٢)
كالسيف ليس براحم لقتيله
لا أدعى شيئاً بغير دليله
وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خير في وطن يكون السيف عند جبانته ، والمال عند بخيله
والرأى عند طريده ، والعلم عند غريبه ، والحكم عند دخيله
وقد استبدّ قلبه بكثيرة
إني إذا جدّ المقال بموقف
وإذا المخاطب كان مثلك واعياً
يا من يكمّمُ فضله متواضعاً
شكواي الزميل غضاضة لزميله
مما به لطيبه وخليله
يبكي فيسكنُ حزنه بعويله
إلا لتقدر على تحصيله
بالعز يمنعُ فأي من تعويله

(١) كنه الشيء : حقيقته .

(٢) قوارعي : جمع قارعة ، وهي الكلمة الشديدة ، تفرع الآذان بشدها .

بعد التزوح

فلما في برب سنة ١٩٢٢ كان قد خرج من بغداد على ألا يعود إلى العراق

- هي للمواطن أدنيها وتقصيني
قد طال شكواي من دهر أكا يده
كأنني في بلادى إن نزلت بها
حتى متى أنا في البلدان معترب
فتارة في المواصي فوق موقرة
كم أغرقني الليالي في مصائبها
أنا ابن دجلة معروف بها أدبي
قد كنت بلبلها الغريد أنشدها
سحيث الفصون أقلتني مسكلة
فبينما كنت فيها صادحا طربا
إذ حل فيها غراب كان يؤحشني
حتى غدت طريدا للغراب بها
فطرت غير مبال عند ذلك بما
- (١) مثل الحوادث أبلوها وتبليني
أما أصادف حرا فيه يشكيني
نزلت منها بيت غير مسكون
نوايب الدهر بالأنياب تدميني
(٢) وتارة في الطواصي فوق مشحون
فعمت فيهن من صبرى بدلفين
(٣) وإن يك الماء منها ليس يوريني
أشجي الأناسيد في أشجي التلاسين
بالورد ما بين أزهار البساتين
أستنشق الطيب من نفح الرياحين
(٤) وكان تنعابه بالبين يؤذيني
وما غدت طريدا للشواهين
(٥) تركت من نرجس فيها ونسرين

ويل لبغداد مما سوف تذكره عني وعنهما الليالي في التواوين

- (١) أبلوها : اختبرها . وتبليني : نال مني وتضعفني .
(٢) المواصي : جمع موصاة ، وهي الصغارى المفردة . والموقرة : الناقة التي حلت عليها الأوقار ، وهو الأعمال الثقيلة . والطواصي : جمع طاي ، وهو البحر . والمشحون : صفة لمخدوف ، أى انفلت المشحون .
(٣) الدلفين : حيوان بحري ، يحمل القرني إلى الشواطىء . ولعله هنا يريد سفينة تشبه الدلفين في صورتها .
(٤) تنعابه : صياحه . والبين : الفراق .
(٥) الشواهين : جمع شاهين ، وهو من جوارح الصيد .
(٦) النرجس : زهرة جميلة ، والنسرين : ربحان عبق الرائحة .

لقد سَقَيْتُ بَفَيْضِ الدَّمْعِ أَرْبَعَهَا
 ما كنت أحسب أنى مذ بكيتُ بها
 أفى المروءة أن يعترَّ جاهلها
 وأن يعيش بها الطُّرْطور ذا شمم
 تالله ما كان هذا قطُّ من شيمى
 ولست أبذل عرضى كي أعيش به
 أغنت خشونة عيشى فى ذرى شرفى
 عاهدت نفسى والأيام شاهدة
 ولا أصادق كذاباً ولو ملكاً
 أمّا الحيساة فشئ لا قرار له
 سيان عندى أجراء الموت مُحْتَرِماً
 ما بالسنين يُقاس العمر عندى بل
 لو عشت ستين عاماً لاستعصت بها
 فإمّا أطول الأعمار أجمعها
 إنَّ اللثيم دفينٌ قبل ميته
 وليس من عاش فى ذلٍّ يمتعبط
 على جوانب ودٍ ليس يسقينى
 قوى بكيت على سوف من يسكينى
 وأن أكون بها فى قبضة الهون
 وأن أسام بعيشى جدع عرينى^(١)
 ولا الحياة على النكراء من دينى
 ولو تأدمت زُفوماً بخسائين^(٢)
 عما أرى بخسيس العيش من لين^(٣)
 ألا أقرَّ على جور السلاطين
 ولا أخالط إخوان الشياطين
 يحيا بها المرء موقوتاً إلى حين
 من قبل عشرين أم من بعد تسعين
 بما له فى المعالى من تحاسين
 ستين مكرمةً بل دون ستين
 المكرّمات من الأبكاء والعون
 وما الكريم وإن أودى بمدفون
 ولا الذى مات فى عزٍّ بمغبون

• • •

ما كنت أحسب بغداداً تحلّنى
 عن ماء دجلتها يوماً وتظمينى^(٤)
 حتى تقلّد فيها الأمر زعنفة
 من الأناس بأخلاق السراحين^(٥)

- (١) أسام : أكلف . والجدة : القطع . والعرين : مقدم الأنثى .
 (٢) تأدمت : اتخذت لإدامى . والادام : ما يؤكل بالخبز والزقوم : شجرة يطعم منها أهل النار
 المذبذبون . والغسلين : ما يسيل من أجسام أهل النار من صديد ونحوه .
 (٣) ذرى شرفى : بفتح الذا : ظله وجانيه .
 (٤) تحلّنى : تمنعنى وتطاردنى .
 (٥) الزعانف جمع زعنفة ، وهم أراذل القوم . والسراحين : جمع سرحان ، وهو الذئب .

ما ضرّني غير أُنّى اليوم من عَرَب
تالله ما ضاع حقّي هكذا أبداً
علام أُمكث في بغداد مُضطرباً
لأجعلنّ إلى بيروت مُنتسباً
خابت ببغداد آمال أوّلها
فليت سوربة الوطناء مُرتبها
قد كان في الشام للأيام مُدّ زمن
إذ كان فيها النشاشيبيّ يُسعّني
وكان فيها ابن جبر لا يقصّر في
إن كان في القدس لي صَحْب غطارفة

لا يعضّبون لأمر ليس يرضيني
لو كنتُ من عجم صُهب الغنّانين^(١)
على الضراعة في مُحبوحة الهون^(٢)
لعلّ بيروت بعد اليوم تُؤوِّيني^(٣)
فهل تخيب إذا استدّرت بصنّين^(٤)
عن العراق وعن واديه تُغنيّني^(٥)
ذنبٌ محته الليالي في فلسطين^(٦)
وكنت فيها خليلاً نلسكا كيني
جبر انكسار غريب الدار محزون
فكمّ بيروت من غر ميامين

(١) الصهب : جمع أصهب ، وهو أصفر اللون . والمثانين : جمع عشّون ، وهو شعر الدقن .
(٢) الهون : الهوان والذل .
(٣) تؤوِّيني : نصمّني وتسكنّني .
(٤) صنّين : اسم جبل في لبنان .
(٥) الوطن : استرخاء في جوارب السجاية ، لكثرة الماء . ومزنة وطفاء : كثرة الماء .

إلى هرب صموئيل

ألقى يهودا محاضرة تاريخية ، ذكر فيها مدينة العرب في الغرب والشرق .
ولما أتمها قام هرب صموئيل ، المندوب السامي من قبل إنكلترا في فلسطين ،
وألقى على القوم خطاباً مؤثقاً . وعندهم فيه مواعيد سياسية سر بها الحاضرون
الذين كانوا قد حضروا بدعوة من راجب بك المشاشي رئيس بلدية القدس .
فقال الرصافي في هذه القصيدة مسجلاً بها ما قاله المندوب . وشاكراله على ذلك .

خطابُ يهودا قد دعانا إلى الفكرِ وذكّرنا ما نحن منه على ذكّرِ
ومجد ما للعرب في الغرب من يد وما لبني العباس في الشرق من فخر
لسى يحفل في القدس بالقوم حافل تبوأه هرب صموئيل في الصدر
دعاهم رئيس القدس ذو الفضل راجبٌ

إليه فلبّوا دعوة من فتى حرٍ
فأمسوا وفي ليل الحاق اجتماعهم
فباليلة كادت وقد جلّ قدرها
تكون على علاقتها ليلة القدس
ولما تنهى من يهودا خطابه
وقد سرّنا من حيث ندرى ولا يدرى
تصدى له هرب صموئيل ناطقاً
بسحر مقال جلّ عن وصمة السحر
فصدق ما للعرب من تالد العلى
وما لهم في العلم من خالد الذكر
وزاد بأن أو ما إلى ما لصنعهم
على صخرة البيت المقدس من أثر^(١)
وقال وقد أصغى له القوم إننا
سنرأب ما أثنأته منكم يدُ الدهر^(٢)
وننهضكم في منهج العلم نهضةً
مقومة ما اعوج فيكم من الأمر
فكانت لهذا القول في القوم هزة
سرورية من دونها هزة السكر

(١) أوما : أصله أوما : أشار برأسه . والأثر : الأثر .

(٢) نرأب : نصلح . وأصله من الرؤية ، وهي القطعة من الخشب أو الخرف يصلح بها
الإناء المكسور . وأثنأته : أفسدته .

- حنانيك ياهر بر صموئيل كم لنا
لنا قلب الدهر الخئون مجننه
وأغرى بنا الأحداث مبتكراً لها
وقد أفنت الأيام كل عنادنا
فلسنا وإن عضت بنا اليوم نابها
فمن سامنا قسراً على الضيم يلقنا
لنا أنفس تحيا بثروة عزها
إذا نحن عاهدنا وفينا ولم تكن
فإن شئت ياهر بر صموئيل فاختبر
- (١) على الدهر من حق مضاع ومن وتر
(٢) وكر علينا لأبساً جلدة النمر
فلم بأننا إلا بمحادثة بكر
(٣) سوى ماورثنا من إباء ومن صبر
(٤) نقر على ذل وننقاد عن دعر
(٥) مصاعيب لا نعطي المقادة بالقسر
(٦) وإن نشأت بين الخصاصه والفقر
(٧) إذا ما اتئمتنا جانحين إلى الختر
خلائق منا لا تميل إلى القدر

* * *

- وعدت فأمسى القوم بين مشكك
فكذب وأنت الحر من ساء ظنه
ولسنا كما قال الألى يتهمونا
وكيف وهم أعمامنا وإليهم
وإني أرى العربي للعرب ينتمى
ها من ذوى القربى وفي لغتهم
واسكننا نخشى الجلاء ونتقى
وهل تثبت الأيام أركان دولة
وها أنا قبل القوم جئتكم معلناً
- ومنتظر الإنجاز منشرح الصدر
فقد قيل إن الوعد دين على الحر
نمادى بنى إسرائيل في السر والجهر
يمت بإسماعيل قدماً بنو فهر
قريباً من العبري ينمى إلى العبر
دليل على صدق القرابة في النجر
سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر
إذا لم تكن بالعدل مشدودة الأزر
لك الشكر حتى أملاً الأرض بالشكر

(١) حنانيك : تحنن مرة بعد مرة . والوتر : الذحل .
(٢) الخئون : النمر يتقى به المحارب قرنه . وقلب المجن : كناية عن الاستعداد للمنازلة في الحرب . ويقال أيضاً : نمر فلان لفلان . أو أبس له جلدة النمر : إذا كاشفه بالعداوة .
(٣) العناد : ما يمدد الإنسان للشدائد من وسائل المقاومة . والاباء : الأثمة من الضيم والذل .
(٤) نقر نسكن ونظمئن . والذعر : أشد الخوف .
(٥) مصاعيب : جمع مصعاب . وهو الذي لا ينقاد . والقسر : القهر والاذلال .
(٦) الخصاصه : الفقر والحاجة .
(٧) الختر : الخيانة .
(٨) يتهمونا . بسكون التاء : يخفف من يتهمونا بتشديدها . لأجل الشعر .

مظاهر التعصب في عصر المدنية

قالها بعد ما أتى الجنرال غورو على المسلمين خطابه المشهور في بيروت

رؤيدك «غورو» أي هذا الجنيرال
أتيت بلاد الشرق من بعد هدنة
فجاء إليك ابن «الدنا» وهو مسلم
وقام خطيباً معرباً عن عواطف
فقت له في محفل القوم خاطباً
فذكرته أهل الصليب وحربهم
وقلت عن الإفرنج قومك إنهم
فخرت حزنًا كان في الشرق ساكنًا

وجددت عهداً منه في الشرق أوجال
أسأت إلينا بالذي قد ذكرته
ذكرت لنا الحرب الصليبية التي
وتلك لعمري قرحة قد نكأتها
فيا عجبا من أمه قدت جيشها
ولو أننا قلنا كما أنت قائل
وقالوا لنا أنتم أولو جاهلية
فلا تصمن الحرب بعد انقضائها
ولا تنس فضل الشرق إذ كان ناصراً

لقومك فيما أحرزوه وما نالوا

(١) القرحة : الجرح . ونسكأتها أزالت ما عليها من قشرة . فدميت ثانية .

(٢) والبلبال . الخاطر . فلا تصمن : فلا تحدث وصمة وهي العيب .

فقد قادت الأعرابُ نحو عدوكم خيولاً لها في حومة الحرب تجوال
وقامت لكم منهم بمكة راية لكم فتحت فيهما من القدس أقفال
لقد أغضبوا البيت الحرام وربّه وهم بمقام البيت لا شك جهال
ولو أن عهد المسلمين كعهدهم قديماً لحالت دون ذا النصر أهوال
ولكنهم باعوا الديانة بالدنا خالت لعمري منهم اليوم أحوال
لذلك قام ابن «الدنا» عن دناءة يحاييك فيما فيه للقوم إذلال
ولا تحسبته مخلصاً في مقاله ولكنه في مكسب المال محتال
فكان قتيلاً بالمطامع عزّه فذل وإن الحرص للعزّ قتال

خليليّ قوماً بنى نطأطىء^(١) رءوسنا لدى جدث تعنولن ضمّ أجبال
لدى الجدث الفرد الذي فيه قد ثوى

من الملك الفرد ابن أيوب^(٢) ربّال^(١) فنبي على الأوطان حول رجائه
كما قد بكت من فقدتها الأمّ أطفال^(٢) ونستنزف الدمع الغزير لتربه
كما استنزفت دمع الحبين أطلال حنانيك يا قبر ابن أيوب فانصدع
لينهض ثاور في مطاويك مفضال إليك صلاح الدين نشكو مصيبة
أصيب بها قلب العلى فهو مغتال ودارت رءوس القوم فيها توجعاً
وحزنا كما دارت بسكران جرّيال^(٣) وقطبت الأيام حتى تشابهت
بها غدوات كالحات وأصال وأمسى حمى الإسلام تنتاب روضه
فترعاه من سرج المتأدين آبال^(٤)

(١) الجدث : القبر . وثوى : نزل وأقام . والربّال : الأسد .

(٢) الرجاء : جمع رجة . وهي الأحجار توضع على القبر ليعرف بها .

(٣) الجرّيال : الحمر . (٤) آبال : جمع لابل .

ولسون

بين القول والفعل

قال قولاً به استحقَّ احتراماً وتعدّاه فاستحقّ ملاماً
 رجلٌ قد تنكَّب الحقَّ قوساً ومن البطل ظلٌّ يرى سهاماً^(١)
 كان منه المقال نورا فلما حان حين الفِعال كان ظلّاما
 خاض حرب العدا بمقول حرٍّ فاق فيها المهند الصمصاما
 وبذا عرّف الورى أنّ قول المرء في الحرب قد يفوق الحساما
 إذ غدا ناطقا بمرّقد واشنطون نطقاً شفى به الأسقاما
 معربا عن مبادئ محكماتٍ ساميات تحرّر الأقواما
 قال حرّية الأنام هي الغا ية لى فى الوغى فغرّ الأناما^(٢)
 فاشرب الورى إليه وظفوا أنهم سوف يبلغون المراما^(٣)
 واطمأنت له القلوب بفوز يغتدى فى فم الزمان ابتساما
 شام منه الورى بوارق غيمٍ من وراء البحر المحيط ترامى
 فتصدّى لغيثه كل قومٍ قد شكوا غلةً بهم وأواما
 ثم خابت ظنونهم فيه لما مرّ فى الجرّ خلّبا وجهاما

* * *

مدّ ولسون فى السياسة حبلاً جمع النقض فيه والإبراما
 فلبعض الأنام كان عصاما ولبعض الأنام كان خصاصا
 ملأ الدهر فى فيومة فخرّا وبأزمير أخجل الأياما

(١) تنكّب الفوس ، وضعها على منكبيه . استعداداً للحرب .

(٢) غر الأنام : خدعهم وغشهم .

(٣) اشرب الورى إليه : مدوا أعناقهم تطلعا إليه .

إِنَّ أَرْمِيرَ صَيَّرَ مَا لَوْلَا ن مَنْ الْفَخْرَ فِي فَيَوْمَ ذَامَا^(١)
 فَهَلِ الْحَقُّ عِنْدَهُ فِي سَوَى الْغَرِّ ب حَقِيرٌ أَقْلٌ مِنْ أَنْ يُحَاجَى^(٢)
 أَمْ هَلِ الشَّرْقُ وَحْدَهُ فِي الْأَقَالِيْمِ مُبَاحٌ أَنْ يُسْتَبَى وَيُضَامَا^(٣)
 أَمْ هَلِ الْقَوْمُ عَاهَدُوا اللَّهَ فِي أَنْ لَا يُرَاعُوا لِلْمُسْلِمِينَ ذِمَامَا^(٤)
 مَا لَمْ أَرْهَقُوا بَنِي الشَّرْقِ ظَلَامَا وَعَلَى التُّرْكِ أَشْلَوْا الْأَرْوَامَا^(٥)
 فَاسْتَبَاحُوا حَرِيمَ أَرْمِيرَ نَهَبًا وَاسْتَحْلَوْا مِنَ الدَّمَاءِ حَرَامَا
 حَيْثُ جَاسُوا خِلَالَهَا بِجُنُودٍ رَكِبَتْ فِي عَتُوِّهَا الْآثَامَا

أَيُّهَا الْمَجْلِسُ الرَّبَاعِيُّ مَهْلًا فَلَقَدْ جُرْتُ فِي الْأُمُورِ احْتِكَامَا
 أَنْتَ سَكْرَانٌ خَمْرُكَ النَّصْرَ فَاحْذَرِ حِينَ تَصْحُو نَدَامَةً وَلِوَامَا
 لَكَ عَيْنٌ تَرَى السُّهَاءَ فِي الدِّيَاجِي وَعَنِ الشَّمْسِ فِي الضَّحَى تَتَعَامَى^(٦)
 أَوْ لَمْ تَدْرِ أَنْ لِلدَّهْرِ عَيْنَا إِنْ تَنْمَ عَيْنُ أَهْلِهِ لَنْ تَنَامَا
 لَا تَكُنْ تَابِعَا هَوَى النَّفْسِ فِيمَا أَنْتَ فِيهِ تَقَرَّرُ الْأَحْكَامَا
 فَهَوَى النَّفْسِ قَدْ يُضِلُّ ذَوِيهِ فَيَطِيشُونَ فِي الْوَرَى أَحْلَامَا
 وَيَرُونَ الْجُسَامَ أَمْرًا صَغِيرًا وَيَرُونَ الصَّغِيرَ أَمْرًا جُسَامَا
 لَا يَغْنَمُكَ الزَّمَانُ إِذَا مَا لَكَ أَبَدِي بِشَاشَةٍ وَابْتِسَامَا
 كَمْ أَشْأَلُ الزَّمَانَ أَعْلَامَ قَوْمٍ فِي الذُّرَى ثُمَّ نَكَّسَ الْأَعْلَامَا^(٧)
 مِثْلَمَا دَارَ لِلْفَرْنَجِ عَلَى الْجُرِّ مَنِ حَرَبَا فَأَدْرَكُوا الْإِنْتِقَامَا

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لَسْتُمْ مِنَ الْغَرِّ ب بِحَالٍ تَسْتَوْجِبُونَ احْتِرَامَا

- (١) الدَّامُ : الْعَيْبُ .
 (٢) مُحَاجَى : أَيُّ مُحَاجَى عَنْهُ وَيُدَافِعُ .
 (٣) يُسْتَبَى : يُجْعَلُ سَبِيحًا . وَيُضَامُ : يَذَلُ .
 (٤) الذِّمَامُ : الذِّمَّةُ وَالْعَهْدُ . (٥) أَشْلَى السَّكَابَ عَلَى الْعَمِيدِ : سَلَطَ عَلَيْهِ لِبَيْعِهِ .
 (٦) السُّهَاءُ : نَجْمٌ صَغِيرٌ لَا تَكَادُ تَرَاهُ الْعَيْنُ لِبَعْدِهِ .
 (٧) أَشْأَلُ : رَأَيْتُ . وَنَكَّسَ الْأَعْلَامَ : خَفَضَهَا وَبَلَّغَهَا .

إنما أنتم لدى الغرب قومٌ خُلِقُوا عن سوى الشرور نياما
 فإذا ما وسَّعتمُ الناسَ حِلماً عدّه الغرب شِرَّةً وعُراماً^(١)
 وإذا ما ملأتم الأرض عدلاً عدّ جوراً أو مفخراً عدّ ذاماً
 وإذا ما فعلتم الخير يوماً حسبوه جنابةً وأناماً^(٢)
 وإذا زلّةً لكم دَفَنَ الدهرُ أملاً بنبشها الأفلاما
 وإذا ما افترى عليكم عدوّ أيدوه وصدقوا الأوهاما
 وإذا ما جنى عليكم أناسٌ سكنوا عنهم ومروا كراما
 كم بأرض البلقان منكم قتيلٌ وأيامي مُضاعةً ويتاني
 نثر الظالمون في الأرض منهم جثثاً تملأ الفضاء وهاما
 لو أتينا تلك البلاد رأينا اليوم منهم جحاجحا وعظاما
 ما نضاً للدفاع عنهم بنو الغر ب حُسناً ولا أचारوا كلاما
 إن تكن هذه السياسة عدلاً فإلى الظلم نشتكى الآلاما
 رحم الله أمة أصبح الغر ب يرى كل ذنبها الإسلاما

يا محب الشرق

أنشدت في حفلة كبيرة أقامها الحزب الوطني في بغداد
للكريم المستر كراين الثرى الأمريكى الشهير . بمناسبة مجيئه
إلى بغداد سنة ١٩٢٩ .

يا محب الشرق أهلاً بك يا مستر كراين
مرحباً بالزائر المشهور في كل المدن
مرحباً بالقدام المشكو ر في هذى المواطن
فضلكم باد على الشر ق وشكر الشرق عالن
كم لكم من وقفات دونه ضد المشاحن

جئت يا مستر كراين فانظر الشرق وعائين
فهو للغرب أسير أسر مديون لدائن
إن هذا الشرق والغرب لمعبون وغابن
فترى الشرق تجاه الغرب يسعى سعى ما هن
وترى الغرب عليه واقفا موقف خائن
منكرا منه المزايا موجدا فيه المطاعن
غاصبا منه الموانى شاحنا فيه السفائن
حافرا فيه المعادن نابشا فيه الدقائن^(١)
فهو يتص دماء الشرق من كل الأماكن
باذرا من كيده فى أهله يذر الضغائن
حاكما فيه على أهليه حاكم المتهاون
جاعلاً فى رجله قيد الوثى والقيد شائن^(٢)

(٢) الوثى : الفتور والحوول .

() المعادن : المناجم .

فترى الشرق لهذا ماشيا مشية واهن
أفبذى يا محبَّ الشَّرْقِ أفعال المهادن^(١)
أين ما قد قاله وإستسنُ يا مستر كراين^(٢)

لم يكن ولن فردا إن فى الغرب ولاسن
فعلام الغرب لا ينفك للشرق مضاعن
كم يسوم الغرب أهل الشَّرْقِ خسفا ويخاشن
وإلى كم ساسة الغرب تداجي وتداهن^(٣)
كم وكم نسمع منهم قول خداع ومائن^(٤)
إن فى الشرق ثجاء الغرب نيرانا كوامن
سوف ينشق حجاب الدهر عنها بالدواخن^(٥)
وإذا قامت حروب من بنى الشرق طواحن
فمن المسئول عن ذاك يا مستر كراين

وإذا تسبَّأل عمّا هو فى بغداد كائن
فهو حكم مَشْرِقِ الضَّرْعِ غربي الملائن^(٦)
وطنى الاسم لكن إنكليزى الشَّـنْـنَاشن^(٧)

-
- (١) المهادن : السالم الذى بينك وبينه هدنة .
(٢) الرئيس ولسن : كان رئيس حكومة الولايات المتحدة الأمريكية عند ما وضعت الحرب العظمى الأولى أوزارها . وله شروط خاصة لدخول أمريكا الحرب ضد ألمانيا . قبلتها دول الحلفاء قبل نهاية الحرب . ولكنها لم تنفذ بعدها .
(٣) داجي فلان فلانا بالعداوة : سآثره بها . وأخفاها عنه . وتداهن : تظهر خلاف ما تضرر .
(٤) مائن : كذاب مخادع . (٦) الدواخن : جمع دخان على غير قياس .
(٦) الملائن : قال بوضع فيه اللبن . يريد أن الحكم فى بغداد تنفذه رجل من الشرق ، ولكن أعماه غريبة أجنبية .
(٧) الشناشن : جمع شنشنة . وهى الطبيعة والخلقة السجية .

عربي أعجمي — ميّ معرب اللهجة راظن
فيه الإيعاز من لندن بالأمر مكامن
هو ذو وجهين وجه ظاهر يتبع باطن
قد ملكنا كل شيء نحن في الظاهر لكن
نحن في الباطن لا نملك تحريكاً لساكن
أهَذَا جَائِزٌ فِي الْغَرْبِ يَا مُسْتَكْرِمِينَ

إلى بطل الشرق الأكبر

قالها عقب انتصار الغازي مصطفى كمال على اليونان سنة ١٩٢٣

سَمِي الْمِصْطَفَى لَا زِلَّاتَ تَعْلُو إني أَوْجُ يطاول كلَّ أَوْجٍ
فَذُرْ كَالشَّمْسِ فِي قَلَّكَ الْمَعَالِي وحُلَّ من الكمال بكل بُرْجٍ
نُصِرْتَ عَلَى بَنِي يُونَانَ نَصْرًا أقام الغربَ في هَرَجٍ وَمَرَجٍ^(١)
وَأَطْلَعَ فِي سَمَاءِ الشَّرْقِ شَمْسًا تَفِيضُ عَلَيْهِ أَنْوَاعَ التَّرَجِيِّ^(٢)
فَسَرَّ الْخَلَصِينَ وَكَلَّ حَرًّا وساء الخائنين وكل سَمَجٍ^(٣)
وَمَا الْيُونَانُ كُفُؤُكَ فِي نِزَالٍ وَإِنْ مَلَكُوا السَّهُولَ وَكَلَّ فَجَجٍ
وَلَكِنْ قَدْ غَلِبَتْ جِيُوشُ قَوْمٍ أَذَلُّوا بِالْبُورَاجِ^(٤) كُلَّ لُجَجٍ
تَرَكْتَ جِيُوشَهُمْ مِنْ فَرْطِ رُغْبٍ تَعَاهَدُوا لِلْهَزِيمَةِ كُلَّ نَهْجٍ^(٥)
إِذَا ذَكَرُوا سُمَاكَ وَلَوْ مِنْامًا تَحَامَوْا ذَكَرَهُ بِسَوَى التَّهْجِيِّ^(٦)
لَسَلَا يَسْمَعُوهُ فَيَعْتَرِيهِمْ ضَنَى دَائِينَ مِنْ شَلَلٍ وَفَلْجٍ
هُمْ الْيُونَانُ الْأُمُّ كُلُّ قَوْمٍ وَأَخُوفٌ فِي الْوَعْيِ مِنْ فَرْخِ قَبْجٍ^(٧)

(١) هرج ومرج : فتنه واختلاط واضطراب .

(٢) أنواع الترجى : أى الرجاء . وهو ما يتوقع له من الخير الكثير بعد النصر .

(٣) السمعج والسميج : الفبيج .

(٤) البوارج : السفن الحربية الكبيرة .

(٥) النهج : الطريق الواسع الواضح .

(٦) سماك ، بضم السين : اسمك .

(٧) القبج : نوع من الطير يسمى الحجل والكروان .

أَرْقُ سَجِيَّةً مِنْهُمْ وَأَرْقُ
فَلَا تَغْرُكْ أَوْجُهُمْ بَيَاضًا
وَجُوهٌ قَدْ حَكَّيْنِ الشَّلَجَ لَوْنًا
فِيَا أَمْضَى الْوَرَى رَأْيَا وَسَيْفَا
لَقَدْ أَنْقَذْتَ مِنْ أَرْمِيرٍ خَوْدًا
وَقَمْتَ عَلَى الْبِلَادِ مَقَامَ عَيْسَى
فَعَالَجْتَ الْفَتَوَى بِحَسَنِ رَتَقِ
وَرَحْتَ إِلَى التَّجَدُّدِ فِي الْمَعَالَى
وَتَخَطَبَ فِي الْجُمُوعِ يَوْمَ حَقْلٍ
وَتَأْتِيكَ الْوُفُودُ مِنَ الْأَفَاصَى
فَقُودُكَ نَالِقُولَ يَوْمٍ سَلَمٍ
لَقَدْ جَدَّدْتَ لِلْأُوطَانِ عَهْدًا
لَتَبْدُرَ الشُّعُوبُ إِلَى الْمَعَالَى
وَتَنْهَجَ مَنَهِجَ الْعُمَرَانِ فِيهَا
وَأَنْتَ الْيَوْمَ حَارِسُهَا الْمُفَقِّدَى
وَتَبْدُرُ الْمُلَمَّ إِذَا عَرَاهَا
إِذَا ذَكَرَ الْمَهْبُوطَ فَأَنْتَ مُعَلٍ
وَتَشْرَبُ أَنْتَ كَأْسَ الْجَدِّ صِرْفًا

حَيْرُ الْوَحْشِ سَارِحَةً بِمَرْجٍ^(١)
فَإِنْ طِبَاعَهُمْ كَطِبَاعِ زَنْجٍ
وَلَكِنْ فَاتَمَنَّى نَقَاءَ ثَلَجٍ
وَأَعْرِفَهُمْ بِمَصْعَدِ كُلِّ أَوْجٍ
تُسَامِ الْخُسْفَى فِي يَدِ كُلِّ عَنَجٍ
عَلَى مَرَضَاهُ مِنْ عُمَى وَعُرْجٍ
وَلَاءَمَتْ الْخُرُوقَ بِحَسَنِ نَسَجٍ^(٢)
تَقُودُ النَّاهِضِينَ بِهَا وَتَرْجَى
كَأَنَّ خُطْبَ النَّبِيِّ يَوْمَ حَجٍّ
لَتَسْمَعَ قَوْلَ مِذْرَهِيهَا الْمِثْجِ^(٣)
كَقُودِكَ لِلْجِيُوشِ يَوْمَ هَيْجٍ^(٤)
تَجَارِي فِيهِ أَوْطَانُ الْفَرْنَجِ
وَتَبْلُغَ مَا تَرِيدُ وَمَا تَرْجَى
بِهَا لِلنَّاسِ مِنْ دَخْلٍ وَخُرْجٍ
تَحُوطُ أُمُورَهَا مِنْ كُلِّ هَرْجٍ
فَتَعْرِوِي الْجَوَادَ بِغَيْرِ سَرْجٍ^(٥)
وَإِنْ خِيفَ الْحَبُوطُ فَأَنْتَ مُنْجٍ
وَيَشْرَبُهَا سَوَاؤُكَ ذَاتَ مَرْجٍ

(١) المرج : المر أرض ذات كلاً ترعى نية الدواب .

(٢) الفتوى : جمع فتى . وهى الأحداث والفتن والغلافل .

(٣) مدره القوم : الحامى عن أحسابهم . والمثج : الفصيح الغزير المادفة كلاماً الغزير . الذى

لخصب كلامه صبا .

(٤) الهيج : الحرب . (٥) تعروى الجواد : تركبه عرباً من غير سرج ولا أداة .

تجاه الرياحاني (هي النفس)

أنشدتها في حفلة أقيمت في بيروت لأمين
الريحاني ، بعد رجوعه من سياحته في بلاد العرب :

هي النفس أغشى في رضاها المعاطب ^(١)	وأهل منها بين جنبي قاضباً ^(١)
تُكَلِّفُنِي أَنْ أُخْبِطَ اللَّيْلَ بِالسَّرَى	وَأَنْ أَمْتِطَ فِيهِ مِنَ الْهَوْلِ غَارِباً ^(٢)
وَتَنْهَضُنِي لِلْمَجْدِ بِالْعَزْمِ مَاضِياً	وَبِالْهَمِّ مِتْلَاقاً وَبِالرَّأْيِ صَائِباً
وَلَمْ تَرْضَ إِلَّا كَالْجِبَالِ مَعَزَّةً	وَلَمْ تَهْوَ إِلَّا كَالشَّمْسِ مَنَاقِباً
إِذَا أَنَا أَنْزَلْتُ النُّجُومَ لِأَرْضِهَا	أَبْتَهَنَ إِلَّا أَنْ يَكُنَ ثَوَاقِباً ^(٣)
وَتَرْفُضُ مِنِّي كُلَّ عَيْشٍ مُنْعَمٍ	إِذَا أَزُورُ ذَاكَ الْعَيْشَ بِالذَّلِّ جَانِباً
وَلَمْ تَبْغِ لِي إِلَّا الْحَقِيقَةَ بُعْيَةً	وَلَمْ تَرْضَ لِي إِلَّا الْكَرِيمَ مُصَاحِباً
تَقُولُ إِذَا أَوْرَدْتُهَا مَاءَ مِذْنَبٍ	رَدَّ الْبَحْرَ بِي غَمراً وَخَلَّ الْمَذَانِبَ ^(٤)
وَإِنِّي لِأَشْكُوهَا إِلَيْهَا تَظَالِمًا	فَارْجِعْ عَنْهَا بَعْدَ شِكْوَايَ خَائِباً
عَلَى أَنْ لِي مِنْهَا حِصَاةٌ رَوِيْنَةً	قَتَلْتُ بِهَا كُلَّ الْأُمُورِ تَجَارِباً ^(٥)
لَقَدْ تَعَبْتُ فِيمَا تَرُومُ مِنَ الْعَلَى	كَذَلِكَ نَفْسُ الْحَرِّ تَلْقَى الْمُتَاعِبَ
أَلَمْ تَرَ مَا لَاقَى ابْنُ لُبَّانٍ فِي الْعُلَى	مِنَ الْأَيْنِ لِمَاسِحٍ فِي الْأَرْضِ ضَارِباً
تَيْمَمَ مِنْ بَعْدِ الْحِجَازِ تِهَامَةً	وَرَاحَ إِلَى صَنْعَاءَ يُزْجِي الرِّكَابُ
وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ مُبْجَرًّا	وَكُرَّ إِلَى نُجْدٍ يَحْبُوبِ السَّبَّاسِبِ ^(٦)

(١) المعاطب : الممالك . وأصل القاضب : السيف القاطع ، شبه نفسه بالسيف في مضاعفها .

(٢) خبط الليل : سار فيه على غير هداية . والسرى : سير الليل . وغارب البعير : ما بين

سنامه وعنقه .

(٣) ثواقب : جمع ثاقب . وهو المضىء .

(٤) المذائب ، جمع مذنب كبير : وهو كهيفة الجدول .

(٥) الحصاة : العقل .

(٦) السباسب : جمع سبب . وهو القفز والنفازة .

ليجمع من أبناء يَرْبَ شملهم
أخوهم لو مدَّ بَاءً إلى العلى
له قلمٌ عزَّ القرائحَ شاعرا
ويقضى حقًا للمواطن واجبا
لأوشك منها أن ينال الكواكبا
كما ابتزَّ فُرسان البلاغة كاتباً^(١)

* * *

لقد زُرتَ نجداً يا أمينُ قتل لنا
فما حالة الإخوانِ فيها فإننا
فهل كفروا من ليس يُرسل لحيةً
وما أنا من قوم يدينون باللاحى
ودعْ عنك أخبار العراق فإننى
فويحاً لأهل الرافدين إذا انطووا
ألا عدَّ عما فى العراق فإننى
معايبُ لو أنى هتكت سِتارها
فلا تحسبْنه أنه ذو حكومةٍ
لئن ألفوا بالكذب فيه وزارةً
وإنى لأهوى الفجر إن كان صادقاً
أتذكر من أخبار نجد جواثبا^(٢)
نرى الناس عنهم يذكرون الغرائب
وهل فسقوا من ليس يُخفى الشواربا^(٣)
ولم يقبلوا إلا من الحلق تائباً
لأعلم منها ما يفوق العجائب
على اليأس من نور يشق الغياهبا^(٤)
أراه بأخلاق الزمان معاييباً
لأرسلت منها للمعاند حاصباً^(٥)
ولو ضربوا ظلماً عليه الضرائب
فإن بها للكاذبين مآرباً
وتنكر عيني الفجر إن كان كاذباً

• • •

تبسمُ لبنانُ بعود أمينه
أخا الفضل قد آنست لبنان حاضرا
وما أنت إلا البدرُ يبهج طالعا
مُحييتك فى بغداد إذ جئت قادما
وأضحى لأذيال المسرة ساحبا
كما كنت قد أوحشت لبنان غائبا
ويحزن آفاق المواطن غاربا
يُحييتك فى بيروت إذ جئت آتيا

(١) عز القرائح : غلبها . وابتز : فاق وغلب .

(٢) الجواثب : جمع جاثبة . وهى الأخبار تجوب الأرض من بلد إلى بلد .

(٣) لإخفاء الشارب : الأخذ منه .

(٤) فويحاً : رحمة . والرافدان : دجلة والفرات . والغياهب : جمع غيب ، وهو الظلمة .

(٥) الحاصب : الريح تحمل الحصباء . وهى صغار الحجارة .

في المدرسة الحزبية

أيُّها القومُ مالكمُ في جُهودِ (١) أو ما يَسْتَفْزِزُكُمْ تَفْنِيدِي (١)
 كلما قد هزرتكم لنهوضِ عُدْتُ منكم بقسوة الجُهودِ (٢)
 طال عَتْبِي على الحوادثِ فيكمُ مثلاً طال مَطْلُها بالوعودِ
 ففتى سعيكم وما ذا التواني وإلى كم أَحْكُمُ بالانشيدِ
 أنا غرَّيدُ شارداتِ القوافي أفلَمْ يُشْجِكُمْ بها تغريدِي (٣)
 كنت قبلاً أَثْنِي عليكم لأنِّي أبتغى الحثَّ بالثناء الحميدِ
 فاتَّقوا اليومَ صولةً من يَرَاعِ واقف في مواقف التَّنْديدِ (٤)
 أيُّها القومُ نحن في عصرِ علم جعل الحرب في طِرازِ جديدِ
 جعل الحرب تُدرَسُ اليومَ فنَّا مغنيا عن شجاعة الصنديدِ
 إن للعلم في حروبِ بنى العَصْرِ كِبَاساً يفوقُ بأسَ الحديدِ
 إذ بدا بأسه الأشدَّ فأنسى كل بأس من الحديد شديدِ
 أيُّها القومُ فادخلوا العهدَ الحَرَّ بِيَّ طَوْعاً وانضُّوا ثيابَ الجُودِ (٥)
 واستعدوا لردِّ كل عدوِّ أنكر الحق ناقضاً للعهودِ
 وأعزِّوا الملكَ الذي نبتغيه بجُودِ مَبْثُوثَةٍ في الحدودِ
 قد دعمتكم أوطانكم فأجيبوا دعوةَ الأُمِّينَ بالتجنيدِ
 نحن لا نقصد الحروبَ ولكن نبتغى الدَّودَ عن تراثِ الجدودِ
 أرايتم مُلْكَاً بغيرِ جنودِ إنما الملكُ قائمٌ بالجنودِ
 فاجمعوا الجيشَ في العراقِ ليرعى ما به من طريفكم والتلبدِ (٦)

(١) يستفزكم : يزعجكم ويحرككم . والتنفيذ : اللوم وتضعيف الرأي .

(٢) الجُهود : الصخر القوي .

(٣) تغريدِي : غنائِي . والقوافي الشاردة : السائرة في الآفاق .

(٤) تددت به تنديداً : أسمته القبيح ، وشتمته ، وشهرته ، وسمعت به .

(٥) انضُّوا : اخلعوا .

(٦) الطريف والظارف : الحديث . والتلبد والتلبد : القديم الموروث .

ويرد العدو عنكم ويحمي
لا تقرُّوا على الهوان وأنتم
يكرهون الحياة إلا حياة
أشرف الموت عندهم هو موت
وأعزُّ الأعمار عمر قصير
وأذلُّ الحياة عندي حياة
عيشكم من شوائب التنكيد
عرب من بنى الاباة الصيِّد^(١)
ذات عزٍّ بيأسهم صيهود^(٢)
في صها الخيل تحت خفق البنود^(٣)
تحت ظلٍ من السيوف مديد
قد أهينت حقوقها بجحود

العلم والعلم

لواعجُ الهمِّ في جنبي تضطرمُّ
كم قد أذاقتني الأيامُ من حرقٍ
أكلما قلت شعرا قال سامعه
ما بال شعرك مثل النار ملتهبا
إننا لنعجب من شعرك تؤججه
لا تعجبوا فالأسمى في النفس ملتهب
استبرد النار من حرَّت عزائمها
وكيف يصبح من دنياه في دعة
والهمُّ مقداره من أهله الهمم^(٤)
من فوقها أسفٌ من تحتها ألم
نارٌ تفوه بها للناس أم كليم ؟
يذكو ، على أنه كالماء مُنْسَجِم
نارا ولم يحترق في كفك القلم
والعزم مُنْقَدٌّ والهمُّ محتدم^(٥)
واستصغر الخطب من في نفسه عظيم
من بات في نفسه الآمال تزدهم

* * *

- (١) الأباة : جمع آب ، وهو الذي يأبى الضيم . والصيِّد : جمع أصيد ، وهو الذي يرفم رأسه عن الناس كبرا .
(٢) أصل الصيهود : الشديد الحر ، والمراد هنا الحياة القوية .
(٣) صها الخيل : جمع صهوة ، وهي الظهر .
(٤) اللواعج : جمع لاعج ، وهو الذي يتحرك في النفس . ويضطرم : يتقد ويشتمل . بقول : إن الهموم بتدر الهمم .
(٥) احتدمت النار : انتقدت .

أما المُعْزَّانِ في الدنيا فإيهما
كلاهما ضامن للنَّاسِ حُرْمَتَهُمْ
من لم يك العلم الخفَّاق شارَتَهُمْ
وليس ينفع قومًا لا علوم لهم
فالعلم في أُمَّة ليست بحاكمة
والعلم أوهن من أن يُسْتَظْلَّ به
ما أحسن العلم الخفَّاق منتصبا

هما على ما أراه العلم والعلم
هذا له الحكم أو هذا له الحكم
فليس يُجَدِّيهما العلم الذي علموا
أن يُنْشَرَّ العلم الخفَّاق فوقهم
كالسيف يحمله في الحرب منهزم
إن لم تقم من سيوف تحته دَعَمُ^(١)
به تشير إلى استقلالها الأهم

قد علمتني الليالي في تقلُّبها
وأن أصدق برق أنت شأمة
وأخصب الأرض أرض لا تسحُّ بها
من كان يكذبُ بني أن الحياة مئى
وأنه في كلا الخالين منبعها
وأنه وهو فوق الأرض منتثر
إني أرى المجد في الأيام قاطبة
فالجد يَنْبُت حيث العلم منتشر
والجد أعطى الظبي ميثاق معترف

أن الموفق فيها السيف لا القلم
برق تبسم عنه الصارم الخدم
إلا من النقع في يوم الوغى ديم
فليس يكذبني أن الحياة دم
يدور في الجسم أو في الأرض ينسجم
كمثله وهو تحت الجوف منتظم
إلى عبيط دم الحيا به قرم
من حيث تعترك الأبطال والبهم^(٢)
أن ليس يضحك إلا حين تبتسم

فليذهب اليأسُ عني خاسئًا أبدًا
ولست ممن إذا يسعى لحادثة

إني بحبل رجائي اليوم معتصم^(٣)
يسعى وأرجله بالخوف تصطدم

(١) دعم : جمع دعمه : بمعنى الدعامة .

(٢) البهم : جمع بهمة ، بوزن غرفة ، وهو البطل الذي لا يعرف قرنه من أين يناله ، لقوته
وشدة حنره .

(٣) خاسئًا : مبعدا طريدا .

لا تسأمن إذا حاولت منزلةً فيها يرفّ عليك المجدُّ والكرّمُ
فالعيش تستبشع الأذواق مطعمه إذا تسرّب في أثنائه السّامُ
وكن صليلاً إذا عصّتك حادثة تعضُّ منك بعود ليس ينفعج^(١)
إن الخصال التي تسمو الحياة بها عزم ، وحزم ، وإقدام ، ومقتحم^(٢)
لا يكسب النفس ما ترجوه من شرفٍ

إلا الإباء وإلا العز والشّمم
لا يؤنسك أن الحرّ محترق^(٣) عند اللّثام وأن الوغد محترم^(٤)
فالعقل يتهم الدهر المسىء بذا وما يعيبك أن الدهر متهم
هذي ملامتكم يا قوم فاستمعوا منها إلى كليم في طيها حكّم
قد أنشد الشعر تعريضاً سامعه فهل وعى ما أردت السامع الفهم

السجاياء فوق العلم وفوق العلم

وقد نظم الشاعر الكبير الأستاذ الرصافي هذه القصيدة الاجتماعية
الجبارة ، جواباً عن قصيدة الشاعر الأمير عادل أرسلان : وقد كان
الأمير عادل أرسلان اطلع على قصيدة الأستاذ الرصافي في العلم
والعلم ، التي ينصح بها الأمة العربية ، ويحضها على الجهاد في سبيل
الحرية ، فنظم قصيدة يعارضها بها .

علمٌ يُعزّزه من دولة علم في كل عصر به قد سادت الأممُ
ودولة القوم لم تثبت قواعدها إلا بأن سجاياهم لها دعم^(٤)
فليس للعلم مهما اعتز جانبه نفع إذا ما السجاياء الغرّ تنعدم
إذا استحالَت سجاياء القوم فاسدة فليس ينفعهم علم ولا علم
وليس يَحْتَلُّ حبلُ الملك مضطرباً إلا إذا اختلّت الأخلاق والشّم
لولا سجاياء على حُب العلى جيلت ماسادت الناس لا عرب ولا عجم

(١) ينعجم : يتأثر بالعجم ، وهو الغرض من الأسمان . (٢) مقتحم : اقتحام الصعاب .
(٣) الوغد : اللّثم الحفير . (٤) دعم : جمع دعمه ، وهي الدعامة .

لاخيرَ في العيش يغدو فيه صاحبه
ما بال قومي على الارهاق قد صبروا
قد أنهضتهم إلى العلياء وحدثهم
كان التعاون غرزا في غرائزهم
ثم اغتدوا بعد حين في جوانحهم
قد زال روح التغاды منهم ونما
ألقى التخاذل ضعفا في عزائمهم
تعاضوا اعظام يفخرون بها

وأنفه باحتمال النذل مُزْدَلِم^(١)
كأن أشهر قومي كلها حُرْم^(٢)
واليوم أقعدهم عنها أن انقسموا
حازوا به الشرف الوضاح واغتموا
نارُ التخاذل بالشحناء تضطرم^(٣)
روح التغاды إلى أن ماتت الهمم
فالأجنبي عليهم ظل يحتمكم
وهل يكون بعظم رمة عظم^(٤)

* * *

داء التأخر منا في خلائقنا
كانت خلائقنا للعز ضامنة
وأصبحت عندنا الغايات تابعة
تمشى من الجول في ظلماء ظالمة
حرية الفكر فينا غير جائزة

فقد فشا الداء حتى استفحل السقم
حتى فسدن فزال العز والشم^(٥)
إلى هوى النفس فيما شأنه عم^(٦)
بليتاتها علينا الظلم والظلم
والحر منا مهان ليس يحترم

* * *

لأدر دَرُّ رجال الدين إهمهم
واستعملوه كما نهوى مآربهم
تالله ما كان في الإسلام من حرج
بل كله جاء تيسيرا ونهيرة

قد أظهروا فيه منهم غير ما كتبوا
كأنه ليس إلا آلة لهم^(٧)
على الأنام ولا في نهجه غم
للعاملين وأحكاما بها حكم

(١) مزدلم : متطوع .

(٢) أشهر الحرم : التي حرم العرب فيها القتال وهي ذو القعدة ، وذو الحجة ، والحرم ، ورجب .

(٣) الشحناء : العداوة والحصام . وتضطرم : تنقد وتشتعل .

(٤) عظم رمة : أى عظم بال .

(٥) أصل الشم : ارتفاع في قصبة الأنف . والمراد : العز .

(٦) أمر عمم ، تام عام .

(٧) الغم ، بالتحرير : أن يسيل الشر حتى يضيق الوجه والفقا . والمراد هنا : ضيق الطريق .

لكنما القوم ظلوا جامدين على
إذا سلكت إلى الإصلاح مسلكه
وإن تصادمت بالعادات تُنكرها
وإن أتيت ببرهان فأعجزهم
وإن تقل لهم قولاً لتقنعهم
خلائق كظلام الليل من يرها
ما منه قد وهوه بئس ما وهوه
فأنت في رأيهم بالكفر مُتهم
فأنت في زعمهم بالدين تصطدم
لم يحسنوا الرد بل من عجزهم شتموا
شدوا عليك وردوا قبلاً فيهموا
يقول بأمثال هذى تمسخ الأمم

لله درّ بني معروف إذ صبروا
أخلوا منازلهم للكرّ ثانية
ولازموا الفقر ، عاشوا في مجاهله
بذاك حبهم الأوطان يأمرهم
باتت دمشق لهم ترنو نواظرها
أيام لم يبق من بيت بغوطتها
ثم انضوى بعدما اجتاحت معالمها
فاستقتلوا في سبيل الذود عن وطن
كانوا أشد مضاء من صوارمهم
عند الهجوم كعوج البحر تبصرهم

وكالجبال الرؤاسى هم إذا التحموا
صالت سيوف بأيديهم يسيلان كما
حتى حكين الغواذى حين تهتم (١)

(١) صلت صليلاً : صوتت . والغواذى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ فقط غدوة . وتهتم :
من الهزيم ، وهو صوت الرعد .

من مُبْلِغِ الْأَمِيرِ الشَّيْخِ مَالِكَةَ
إِلَى فَتَى آلِ رَسُلَانِ الْأَثَلَى رَسِخَتْ
لبعضهم شهرة بالسيف واحدة
كعادِلٍ وشَكِيبٍ فِي أَكْفِهِمَا
صَبْرًا فِدَيْتِكَ فَالْعُقْبَى وَإِنْ بَعْدَتْ
وَلَمْ يَقْنُتْكَ نَجَاحٌ فِي مَحَارِبِهِ
يَاعَادِلًا كَأَسْمِهِ لَا تَنْسَ مَظَالِمِي
كَالشَّمْسِ تُشْرِقُ إِلَّا أَنبَاهُ كَلِمٍ^(١)
فِي مَعْدِنِ الْمَجْدِ مِنْ قَدَمٍ لَهُمْ قَدَمٌ
وَبَعْضُهُمْ شَهْرَتَاهُ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ
جَالِ الْبِرَاعِ وَصَالِ الصَّارِمِ الْخَذَمِ^(٢)
لِلصَّابِرِينَ وَعُقْبَى الْخَائِنِ النَّدَمِ
أَقْلَ مَا حَزَتْ فِيهَا الْمَجْدُ وَالْكَرَمُ
عِنْدِي خُصُومٌ وَمَا عِنْدِي لَهُمْ حَكَمٌ^(٣)

الحرية في سياحة المستعمرين

يَاقَوْمُ لَا تَتَكَلَّمُوا
نَامُوا وَلَا تَسْتَيْقِظُوا
وَتَأْخِرُوا عَنْ كُلِّ مَا
وَدَعُوا التَّفَهُّمَ جَانِبًا
وَتَثْبِتُوا فِي جَهْلِكُمْ
أَمَّا السِّيَاسَةُ فَاتْرَكُوا
إِنَّ السِّيَاسَةَ سِرًّا
وَإِذَا أَفْضَيْتُمْ فِي الْمُبَا
وَالْعَدْلَ لَا تَتَوَسَّمُوا
مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَعْيشَ الْيَوْمَ وَهُوَ مُكْرَمٌ
فَلْيُمْسِ لَا سَمْعٌ وَلَا
إِنَّ الْكَلَامَ مُحَرَّمٌ
مَا فَازَ إِلَّا النُّوْمُ
يَقْضَى بَأَنٍ تَتَقَدَّمُوا
فَالْخَيْرُ إِلَّا تَفْهَمُوا
فَالشَّرُّ أَنْ تَتَعَلَّمُوا
أَبَدًا وَإِلَّا تَنْدَمُوا
لَوْ تَعْلَمُونَ مَظَالِمَكُمْ^(٤)
خَ مِنْ الْحَدِيثِ فَجَمَعُوا
وَالظُّلْمَ لَا تَنْجَهُمُوا^(٥)
بَصْرًا بِيَدِهِ وَلَا فَم

(١) مَالِكَةُ وَالْأَثَلَةُ : الرسالة يؤدِّيها الرسول بلسانه .

(٢) سَيْفٌ خَذَمٌ وَمُخَذَّمٌ ، بِكَسْرِ الْمِيمِ : أَيُّ فَاطِمٍ .

(٣) مَظَالِمَةٌ ، بِكَسْرِ اللَّامِ : أَسْمَاءُ مَا أَخَذَ مِنْكَ مِنَ الْحَقُوقِ ظَالِمًا .

(٤) مَظَالِمٌ : أَيُّ مَكْرُومٍ . (٥) تَنْجَهُمُهُ : نَلْقَاهُ بِالْعَاطِلَةِ وَالْوَجْهَ الْكَرِيمَةَ .

لا يستحق كرامةً إلا الأصم الأبكم
ودعوا السعادة إنما هي في الحياة توهم
فالعيش وهو منعم كالعيش وهو مذموم
فارضوا بحكم الدهر — ما كان فيه تحكم
وإذا ظلمتم فاضحكوا طرباً ولا تنظموا
وإذا أهنتم فاشكروا وإذا أطمتم فابسموا
إن قيل هذا شهدكم مر ، فقولوا : علقم
أو قيل إن نهاركم ليل ، فقولوا : مظلم
أو قيل إن ثمادكم سيل ، فقولوا : مقعم^(١)
أو قيل إن بلادكم ياقوم سوف تقسم
فتحمّدوا ، وتشكروا وترنّخوا ، وترنّموا^(٢)

غادة الانتداب

دع مزعج اللوم وخلّ العتاب^(٣) واسمع إلى الأمر العجيب العجّاب^(٤)
من قصة واقصة غصة تضحك بل تدعو إلى الانتداب^(٥)
في الكرخ من بغداد مرّت بنا يوماً فتاة من ذوات الحجاب
لبنها موقرة بالحلي وكفها مشبعة بالخضاب^(٦)
ووجهها يطمس سحناء عنا ظلام من سواد النقاب^(٧)

(١) الثماد : جمع ثمّد ، بالتحريك ، وهو الماء القليل . والمنعم بكسر اللعين : المائي .
وبفتحها : الملوّه .

(٢) الترنخ : التمايل على الجافين ، من سكر أو فرح . والترنم : رفع الصوت بالغناء .

(٣) العجّاب : صفة كالعجيب .

(٤) واقصة : اسم فاعل من وقصه : إذا دق عنقه . والمراد أنها مؤلمة أشد الألم والنصّة : ما يعترض
في الخلق من طعام أو شراب أو عظم ، فيسده . والانتداب والنجيب : البكاء بصوت
طويل ممدود . (٥) اللبة : موضع القلادة . وموقرة : محمّلة .

(٦) سحناء الوجه وسحنته . يفتح السين فيهما : لونه وحاله وهيئته .

تمشي العرَضَى في جلابيبها مشية إحدى المومسات القحباب^(١)
تختاب الناس بأوضاعها وكل ما يصدر منها خلاب
قد وضعت تاجاً على رأسها يلمع في الظاهر كنع الشهاب
يحسب من درٍ بعمويته وهو إذا حققته من سخاب^(٢)
كاسية الجسم أرقى الكسَى موشية الثوب بوثى كذاب
قد غولط الناس بأثوابها في أنها من معمل الانتخاب
وهي كعمري دون ما ربية منسوجة في منسج الإغصاب
قالعش في لُحمتها والسدى وكل ما يدعو إلى الارتياب
قال جليسى يوم مرّت بنا من هذه الغادة ذات الحجاب ؟
قلت له تلك لأوطاننا حكومة جاد بها الانتداب
تحسبها حسناء من زيبها وما سوى (جنبول) تحت الثياب^(٣)
ظاھرها فيه لنا رحمة والويل في باطنها والعذاب
مصائبنا أمسى فظيماً بها يارب ما أفضع هذا المصاب
تالله قد حق لنا أننا نحشو على الأروس كل التراب^(٤)

(١) مشي العرضى : أى لم يستقم فى مشيه ، وإنما سار فى ميل واعتراض من فرط نشاطه وبغيه .
والمومسات : جمع مومس ، وهى البغى . والقحباب : جمع قحبة ، وهى المومس . وأصل القحبة :
السعلة . وهى من السكنايات ، لأن المومس تسعل ، كما أنها تدعو إلى نفسها بذلك .
(٢) السخاب : كسكتاب : خيط ينظم فيه خرز . تلبسه الصبيان والجوارى .
(٣) جنبول : علم على جنس الانجليزى .
(٤) حشا التراب يحشوه حثوا ، ويحشيه حشياً : هاله ورماه .

الفيل والحمل

أنشدما يخاطب بها الزعيم الهندي محمد علي ، وقد كان مدعوا .
في مأدبة أُنْشِدَها له الأستاذ الفاضل عند مروره ببغداد سنة ١٩٢٩ .

إليك زعيم الهند أُورِدُ ههنا	سُؤالا له أرجو أجوابَ تفضلا
فنحن هنا في مجلس ذى أمانة	فلم يخشَ فيه الحرُّ أنْ يثقلوا
إذا ما سمعتُ الهند في قول قائل	تخيلاتُ فيلاً بالحديد مُكَبَّلا
ترجيه كف الأجنبي مُسَخَّرَا	فيمضى بأعباء الأجانب مُثْقَلَا (١)
ويبرك أحيانا على الأرض رازحا	له أنه من ثقل ما قد تحملا (٢)
وينخس أحيانا فتعلوه رجفة	فيمضى على رغم القيود مُهْرَولا (٣)
وإني أظن الفيل صاحب قوة	تكون له لو شاء من ذاك مؤثلا
فلوقام هذا الفيل واستجمع القوى	لهز بها شم الجبال وقَلَقَلَا (٤)
ولو لم تكن بالفيل عندي علاقة	لما رمت عن هذا جوابا مفصلا
لنا حمل وهو العراق نظنه	غدا من وراء الفيل للذئب مأكلا
فإن ينبج هذا الفيل من قيد أسرهِ	نجوبا وإلا أصبح الأمر معضلا (٥)
فإن لم يكن هذا صحيحا فما الذى	ترون سوى هذا عليه للمعولا
ومن بعد هذا يا محمد إننى	أحييك باسم الناهضين إلى العلا

(١) ترجمه : تسوقه وتوجهه .

(٢) رزح تحت الحمل يرزح رزحا : أن من ثقله .

(٣) النخس : الشك بالايه ونحوها . والمهزول : الذى يعنى الهزولة ، وهى مشية سريعة .

(٤) شم الجبال : الجبال العالية .

(٥) أعضاه الأمر : غلبه .

دمشق تندب أهلها

أُنشدتها في حفلة أقيمت في بغداد لجمع الاعانات
لنكوبى سورية سنة ١٩٢٦

بصوت له الصخر الأصمَّ يَلِينُ	بكت في ظلام الليل تندب أهلها
لها في ضواحي الغوطتين أنين	وباتت وقد جل المصاب حزينه
وخيم صمت في الدُّجى وسكون ^(١)	تئن وقد مدَّ الظلام رواقه
تميد له في الغوطتين غُصون ^(٢)	إذا هي مدت في الدُّجى صوتها
فتبصرها في الرافدين عيون ^(٣)	وتلهب منه في الفضاء شرارة
أبو الهول منها واجد وحزين ^(٤)	وتهبوله في ساحل النيل هبوة

* * *

فأسفر منها عارض وجبين ^(٥)	ومن بعد وهن أشرق البدر طالعا
بحدَّيه مرر للجمال مصون	فأبصرت منها الوجه أزهَر مُشرقاً
له سبب في المكرمات متين	جمال بديع بالجلال متوج
مكان من الحسن المهييب مكين	وبرقعها حزن فكان لوجهها
صريع على وجه الثرى وطعين	فتاة جثت في الأرض نبكي وحو لها
تقاذف منها بالدموع شئون	فضمت إلى الصدر اليدين وعينها
لها كل آن زفرة وحنين	وقد شخّصت نحو السماء بطرفها
تورم منها بالبكاء جنون	وما أنس لا أنس العشية أنها
فلاحت من الأشجان فيه فنون	وأن غزير الدمع خدد حدها

(١) الرواق : بضم الراء وكسرها : الفسطاط والقبّة وموضع الجلوس .
(٢) الدجّة : الظلام . تميد : تميل . والغوطتان : أرض تضاف إلى دمشق ، وهي من بساتين الدنيا .
(٣) بلاد الرافدين : هي العراق .
(٤) هبا يهود ، كملا يعنو : سطم .
(٥) العارض : جانب الوجه . والجبين : من منبت الشعر الرأس إلى الحاجبين .

ولما انقضى صبرى تراميتُ نحوها
وقلتُ لها : مَنْ أَنْتَ رُحْمَاكِ إِنِّى
فَقَالَتْ وَقَدْ أَلَقْتُ إِلَى بِنَظَرَةٍ
أَنَا الْبَلَدَةُ الشَّكْلَى دِمَشْقُ ابْنَةِ الْعُلَى
أَلَمْ تَرَ أَبْنَاءى يُسَاقُونَ لِلرَّدَى
فَإِنَّ أَبَاةَ الضَّمِيمِ مِنْ آلِ يَعْرُبَ
فَقُلْتُ لَهَا لِيَبْكُ يَا أُمَّهُمُ إِنَّهُمْ
سَنَدْرِكُ فَيْكَ الثَّأْرَ مِنْ أَنْفُسِ الْعِدَا

كَمَا تَرْتَمَى بِالْعَاصِفَاتِ سَفِينِ
لَكَ الْيَوْمَ خِلٌّ صَادِقٌ وَأَمِينِ
عَنِ الْقَصْدِ فِيهَا مَعْرَبٌ وَمُبِينِ
أَمَّا أَنْتِ فِي مَعْنَى دِمَشْقٍ قَطِينِ^(١)
فَمِنْهُمْ قَتِيلٌ بِالظُّبَا وَسَجِينِ^(٢)
أَلَمْ يَأْتِ مِنْهُمْ نَاصِرٌ وَمُعِينِ
سَيَأْتِيكَ مِنْهُمْ بَارِزٌ وَكَهِينِ^(٣)
وَنُوقِدُ نَارَ الْحَرْبِ وَهِيَ زَبُونُ^(٤)

* * *

فِيَذَى دِمَشْقُ يَا كَرَامَ وَهَذِهِ أَحَادِيثُ عَنْهَا كَلَّهِنَّ شُجُونُ^(٥)

(١) الشكلى من النساء : التى فقدت زوجها : أو أولادها . وقطين : قاطن .
(٢) الردى : الخلاك ، ردى يردى : من باب فرح . والظبا : جم ظبية ، وهى حذو السيف .
(٣) بارز وكين : أى ظاهر وحقى .
(٤) الزبون : الدفع . يقول نازقة زبون ، وحرب زبون ، أى تدفع الناس إلى الهلاك كما
تزينهم الناقة بحفها .
(٥) الشجن : الهم والحزن . والجمع : شجون وأشجان . والشجون أيضا : تطريب الحمامة ونوحها .

مما ترك الأهواء

فالها يمثل حالة الصحف في الآستانة عقب الهدنة للحرب العامة :

- | | | |
|-----|---|--|
| (١) | تَمَادَوْا فِي الْخُصُومَةِ وَالسُّخَافَةِ | أَرَى الْأَتْرَاكَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ |
| (٢) | مِنَ الْقَوْلِ الْمُخَالِفِ لِلشَّرَافَةِ | غَدَاوًا يَتَطَاعَنُونَ بِكُلِّ هُجْرٍ |
| (٣) | كَمَا عَمَلَتْهُ أَقْلَامُ الصَّحَافَةِ | فَمَا عَمِلَتْ رِمَاحُ الْخَطِّ فِيهِمْ |
| (٤) | وَشَمَّرَ عَنْ سِوَاعِدِهِ لِحَافَهُ | تَرَى كَلًّا تَهِيًّا لِلتَّرَامِي |
| (٥) | لِيُطْلَخَ وَجْهُهُ مِنْ يَبْدَى خِلَافِهِ | وَأَتَرَعَ كَفَّهُ حَمًّا نَتِينًا |
| (٦) | كَشَدَّقَى حَالِبَ شَرِبِ النَّشَافَةِ | تَرَاهُمْ مُزْبِدِينَ لَهُمْ شَدُوقٌ |
| (٧) | وَقَدْ شَرَبُوا الْمَطَامِعَ كَالسُّلَافَةِ | لَهُمْ صَخَبٌ كَعَرَبْدَةِ السَّكَارَى |
| | يَذِيْقُهُمُ الْمُسْذَلَّةَ وَالْمُخَافَةَ | عَلَى حِينِ الْعَدُوِّ بِهِمْ مُحِيطٌ |
| (٨) | وَهُمْ لَا يَحْسَنُونَ لَهَا الْقِلَافَةَ | سَفِينَةٌ مَلِكُهُمْ فِيهَا خُرُوقٌ |
| (٩) | وَلَمْ تَأْمَنَ مِنَ الْمَوْجِ انْقِذَافُهُ | وَقَدْ وَقَفْتُ بِدُرْدُورٍ شَدِيدٍ |
| | يُقَوِّمُهَا بِسَكَّانِ الْعَرَافَةِ | وَأَيْسَ لَهَا هُنَاكَ مِنْ عَرِيفٍ |
| | بِكُونِ الْإِخْتِلَافِ عَلَيْهِ آفَةٌ | عَجِبْتُ لَهُمْ إِذَا اخْتَلَفُوا بِمَلِكٍ |

- (١) السُّخَافَةُ : أن يكون نسج الثوب رقيقاً واهياً .
 (٢) الشَّرَافَةُ : الشرف ، وكلاماً مصدر شرف الرجل : إذا علا في الدين أو الدنيا .
 (٣) الْخَطُّ : بلد في البحرين تصنع فيه الرماح الجياد .
 (٤) الْأَجَافُ هُنَا : ما يلتحف به المرء من ثوب فوق الثياب ، كالمعطف والكساء ونحوهما .
 (٥) الْحَمَّا : الطين .
 (٦) الْمَزْبِدُ : البعير الذي خرج الزبد حول فمه ، وهو الرغوة ، من شدة الهياج . وَالنَّشَافَةُ : الرغوة التي تعلو لبن الأبل والغنم إذا حلب .
 (٧) الصَّخَبُ : ارتفاع الصوت في الجدال ونحوه ، وعَرَبْدَةُ السَّكَارَى : سوء خلقه وحركته المضطربة . وَالسُّلَافَةُ : الحجر .
 (٨) قَلْبُ السَّفِينَةِ خَرَزُ أَلْوَاحِهَا بِاللَّيْفِ . وَجَعَلَ فِي خِلَافِهَا الْقَارَ . وَالْقِلَافَةُ : اسم تلك الصناعة .
 (٩) الدُّرْدُورُ : موضع في وسط البحر يجيش مائؤه ، لا تسكاد تسلم منه سفينة ، يقال : الْجُجُورُ قَوَّيَعُوا فِي الدُّرْدُورِ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : هُوَ الْمَاءُ الَّذِي يَدُورُ وَيَخَافُ مِنْهُ الْغُرَقُ .

كأنى إذ أراهم فى احتراب بملاكٍ يطلب الغرب انتصافه
أرى كبشين ينتطحان جهًّا لَّا لدى الجزار فى دار الضيافه
خِصامٌ يضحك السفهاء منه ويبكى منه أربابُ الحِصافه
وإنَّ تدابرَ الأقوامِ شيء يثول إلى الندامة والأسافه

نَفْثَةُ مَسْدُورٍ (١)

خَلِيلِيَّ هَلْ مِنْ مُنْصَتٍ فَأَبْنَهُ شَجُونٌ فَتَى يَشْكُو الْأَلِيمَ مِنَ الْبَثِ (٢)
فَأِنِّي سَمُتُ الْعَيْسَ فِي عُنْفَوَانِهِ وَبِسَامٍ مِثْلِي كُلُّ مُحْتَرَثٍ حَرَّتِي
أَقُولُ وَلَيْلَ الْغَرْبِ لَيْسَ بِنَأْمٍ أَمَا لَنِيَامِ الْقَوْمِ فِي الشَّرْقِ مَنْ بَعَثَ
لَقَدْ جَاحَ هَذَا الشَّرْقَ بَعْدَ اعْتِزَاذِهِ

جَوَائِحُ أَوْدَتٌ مِنْهُ بِالْكَرَشِ وَالْفَرْتِ (٣)
فَسَاءَ مِنَ الْإِمْلَاقِ وَالْجَهْلِ خُلُقُهُ وَصَارَ سَمِينُ الْقَوْمِ يَبْطِشُ بِالْعَثِ (٤)
وَعَادَ هَزِيلًا تَجْدُهُ مُتَلَفَعًا بِسَحْقٍ دَرِيسٍ مِنْ مَفَاقرِهِ رَثِ (٥)
وَهَبَّتْ هُوجُ الرِّيحِ فَلَمْ تَدْعُ مِنْ الْعِلْمِ جِذْرًا فَوْقَهُ غَيْرَ مُجْتَثِ (٦)

- (١) قال الرصافي هذه القصيدة وهو فى الآستانة ، وأنشدتها شبان العرب فى المنتدى الأدبى .
(٢) البث : أشد الحزن . وقوله فأبْنَهُ شجون فتى : الضمير : مفعول أول ، وشجون : مفعول ثان ، أى فأطلعه على شجون فتى .
(٣) جاح هذا الشرق : أى استأصله . وجوائح : فاعل جاح ، وهى جمع جائحة ، وهى النازة العظيمة التى تفتح كل شيء . والكرش : لكل مجنن من ذوات الحب والظلف : بمنزلة المدة للإنسان . والفرت : السرجين ما دام فى الكرش . ومعنى قوله « أودت منه بالكرش والفرت » : أنها ذهبت منه بما عز وبما هان ، فضرب الكرش والفرت مثلاً للجليل والحقير .
(٤) الإملاق : الفقر . وأراد بسمين القوم : قويمهم . وبالث : ضعيفهم .
(٥) متلفعا : ملتفعا . وسحق فى قوله « بسحق » صفة لمخدوف ، أى بثوب سحق : وهو البلى من انشياب . والدريس : الخلق ، وكذلك الرث . والمفاقر : وجوه الفقر ، لا الواحد لها . وقيل : واحدها فقر ، على غير قياس .
(٦) هوج الرياح : هى التى لا تستوى فى هبوبها ؛ وتقلع البيوت ؛ واحدها : هو جاء . وجذر الشيء : أصله . ومجثت : أى مقننم .

أرى غشياناً في النفوس وهل ترى
 فيما قومنا أين المساواة عندهم
 وأين موافيق الأخوة إنني
 وإن بصدري للقريض لفورة
 أراكم فأهجوهم أطرق ذاكراً
 وأبكي على الجدة الذي كان دونه
 يقولون إن الإرث في الخلق سنة
 فهلا ورثتم ثلث ذلك الذي بنوا
 قعدتم وقاموا واستكنتم وفاخروا
 وما أتعب المستنضيكهم فإنهم
 أما والعلى واهاً لها من أليّة
 لأحتقرن الموت في معرك المني
 وأركب من الهول دون لبانتى
 وأجرى بمستن الخطوب مشمراً
 ولولا إبانى أن أخاطب ماجناً

نفوساً على خبث المطاعم لا تغشى
 فقد طال عنها في مواطنكم بحى
 أرى حبايى كل يوم إلى النكث
 يزيد بها من طول غفلتكم نفى^(١)
 أوائلكم قبلاً فأندب أو أرتى
 على ريتيه ندهر من خشية يجشى
 فهل بطلت في خلقكم سنة الإرث
 من الجدة لا، لا، بل أقل من الثلث
 بعز على وجه البسيطة منبت
 يحشون منكم للعلى غير محتب
 عدمت العلى إن بت منها على حث
 وأسئر أفق اليأس بالرهج الكث^(٢)
 ولست أبالى بالكوارث^(٣)
 وأخبط ليل المزجمات بلا لبث
 كتبت هجاء الدهر بالقلم الثلث^(٤)

(١) افورة : أى حدة وغضباً . وقوله نفى : أى نفخى من الغضب : تقول : هو ينفخ
 على غضباً : أى كأنه ينفخ من شدة الغضب .
 (٢) الرهج : الغبار . والكث : الكثيف .
 (٣) الكوارث : الشدائد . وكرثها : اشتددها .
 (٤) القلم الثلث : أصله قلم الثلث وهو الذى يكتب به فى ثلث الطومار ، والطومار : نوع
 من الورق ، متفق على مقدار طوله وعرضه وهذا من اصطلاح كتاب الدواوين . وقد جرى
 الشاعر على أسلوب عامة المتكلمين . فجعل الثلث وصفاً للقلم . يريد أقلم . العريض .

إخفا. الذمم

أو عبد العزيز شاووش

فالها في الآسنانة عند ما أسلمت وزارة أحمد مختار باشا
الغازي الشيخ عبد العزيز شاووش إلى الحكومة المصرية :

إني عهدتك لا تكون يئوسا مهما لقيت مصائباً ومُحوسا
كم قد صدمت النائبات بهمةٍ جعلت لها الصبر الجميل لبوسا
غدروك يا عبد العزيز وإنما غدروا الشهامة فيك والناموسا^(١)
ما أساموك إلى الخديو وإنما قد أساموا شرفاً لهم قدّموسا^(٢)
هدموا بأيديهم قواعدَ مجدهم فهو وأصبح رسمه مطموسا
وأحق شيء بالثناء لدى الورى شرف بأرجل أهله قد ديسا
وأقل أبناء الزمان حمية من كان بيت نزيلهم مكبوسا^(٣)
قد أخجلوا علم الهلال بفعالهم هذا فأصبح رأسه منكوسا
وغدا بنوه وإن تقادم فخرهم عند الفخار يطأطئون رهوسا
ماهنت أنت وإنيهم بفعالهم هانوا لدى أهل الحفاظ نفوسا
جارت سياستهم عليك فأغضبت أهل العدالة سائساً ومسوسا
لو كان هذا الشعب يعرف نفسه لأقام حرباً من جرّاك ضروسا^(٤)
ولو أن أخلاق الرجال صحيحة ما كن حقتك عندهم مبنوسا
إن العلى همست إليك بسرّها ولقد فهمت كلامها المهنوسا
فنهضت بين المسلمين تلمهم وتجدد منهم تخلقا ودريساً^(٥)

(١) الناموس : وعاء العلم .

(٢) المكبوس : الذى يهجم عليه ويفتس .

(٣) من جرّاك : من أجلك .

(٤) تلمهم : تجمعهم حول غرض واحد . وتجدد : تبتدئ . والتخلق : البالى . الدريس :

الدراس البالى .

فرماك منهم حاسدوك بتهمة
 إن يمتنوك فإن حبك لم يزل
 والشمس تشهد أن فضلك مثلها
 ياليت شعري أي كأس مروة
 وبأي سلسلة رموك مكبلا
 قد بت من جزعى عليك منجما
 إن يسجنوك فإن ذكرك مطلق
 أو يوحشوك بقعر سجنك مفردا
 ولئن أقيمت أذى فكم من مصلح
 ضحكك وجوه الترهات ولم يزل

مأثوا الفضاء بزورها تدليسا
 في قلب كل مؤحد مغرورا
 يحبي النفوس ويقتل الحنديسا^(١)
 لك أدهقوا إذ جرعوك البؤسا^(٢)
 وبأي سجن غادروك حبيسا^(٣)
 في الليل عك أسائل البرجيسا^(٤)
 يحبي الثناء ويقطف التقديسا
 فالحق عندك قد أقام أنيسا
 لقي الأداة مفعجا متعبوسا
 وجه الحقيقة في الأنام عبوسا^(٥)

(١) الحندس : الظلام : والحنديس : الحندس ، وقد أشبع كسرة الدال ، فوجدت الياء ،
 كقول الآخر : « نفى الدراهم تنقاد الصياريف » . والأصل : الصيارف .
 (٢) ليت شعري : ليتنى أشعر وأعلم . وأدهقوا : ملأوا ، وكأس دهاق : مملوءة .
 وجرعوك : سقوك شيئا في لئرشى . والبؤس : البؤس .
 (٣) غادروك : تركوك . حبيسا : أي محبوسا .
 (٤) البرجيس نجم ، قيل : هو المشتري .
 (٥) الترهات : زجاج ترمة ، وهي الباطل .

يا سيدن باشا

قالها باسان أحد المتظاهرين ، وكان إذ ذاك في دمشق ، لا دبرت حكومة الشام العربية بواسطة رجال الانكليز مكيدتها المعلومه لياسين باشا الهاشمي ، فأخذوه واعتقلوه في الرملة ، وكان ذلك قبل دخول الفرنسيين بلاد الشام .

ياسينُ إنك بالقلوب مُشيعٌ	أفأنتَ للوطن العزيزِ مُودّعٌ
أخذوك يا بطلَ المعامع غيلةً	بيد الخداع ومثلهم من يُخدعُ ^(١)
ولو أنهم تركوا الخداع وحاولوا	لثقيك أعجزهم إليك المطلعُ
أو ليس يدرى أخذوك بأنهم	هاجوا بمأخذك الخطوبَ وزرعوا
أين الذمام ونحن من حلفائهم	سرعان ما نقضوا العهود وضيعوا
أفيجهلون بأننا من أمةٍ	في المجد تأمر من تشاء فيسمع
لا تجزَعَنَّ فإنَّ خلقك أمةٌ	تمشى كمشيك للعلاء وتبَعُ
إن أخرجوك من المواطن مُكرِّها	فالشعب خلقك هائج لا يهجعُ
أو غيبوك فإنَّ أمرك حاصر	أو تبطوك فإنَّ جيشك مُسرِعُ
فلنملاًنَّ بك البلادَ هزاهزاً	حتى يضيق بها الفضاء الأوسعُ ^(٢)
ولننهضنَّ إلى الهياج بهمةٍ	شماء يبصرها الجبان فيشجعُ
ولنسعرنَّ معامعاً يصلونها	وزءوسهم فيها لسيفك رگمُ
ولنزمينهم بمعضلةٍ إذا	ترمى الجبال بمثلها تتصدعُ
ونقودها خرساء يُنطقها الردى	فيصِلُ صمصامٌ ويصرُخ مدفعُ ^(٣)
ياراحلا عنا بكيد عدونا	أبشر فإنك عن قريب ترجعُ

(١) المعامع : جمع مععة ، وهي المعركة . والغيلة : الخيانة والغدر .

(٢) الهزاهز : الفتن والثورات التي تهز الناس وتقلقهم .

(٣) خرساء : كتيبة خرساء .

كيف نحن في العراق؟

أبـكفينا من الدُّولات أنا تعلّق في الديار لنا البُنودُ
وأنا بعد ذلك في افتقار إلى ما الأجنبيُّ به يوجد
تجوز سيادة الهندى فينا وأمّا ابن البلاد فلا يسود
إذن فالهند أشرف من بلادى وأشرف من بنى قومي الهندودُ
وكم عند الحكومة من رجال تراهم سادة وهم العبيد
كلابٌ للأجانب هم ولكن على أبناء جلدتهم أسود
وليس الإنكليز بمنقذيننا وإن كُتبت لنا منهم عهد
متى شفق القوى على ضعيف وكيف يعاهد الخرفان سيد
ولكن نحن في يدهم أسارى وما كتبوه من عهد قيود
أما والله لو كنا قرودا لما رضيت قرابتنا القرودا

في طريقى إلى حلب

جئت إلى الدير ضحى يوم الأحد أقصدُ منه حلبا فيمن قصدُ
فاعترضتنى شرطة ذات رصدٍ تطلب تصديق جوازى فى الصدد^(١)
فعاقتنى ذاك من اليوم لغدٍ كأننى والغيط فى قلبى اتقدُ
سفينة أمسكها ماء بجدٍ حتى لقد يئست من فتح السدد^(٢)
وقلت من يأسى وقد قل الجلدُ كأن من يمر من هذا البلدُ
يمر زحفا بين أشداق الأسد لولا كرامٍ أدركنى بالمددُ
لكننى أبقي زمنا من غير حد يا صاحب الشرطة ما هذا اللدد^(٣)

(١) الشرطة : رجال النظام والحفظ . وارصد : المسكان ترصد فيه الداخلون إلى البلد والمخرجون منه ، أى يرقبون ويفتشون . والصدد : الطريق .
(٢) السدد : مجارى الماء .
(٣) اللدد : شدة الخصومة والجدال .

لَمْ أَدْرِ حَيْثُ فَعَلْتُمْ أَمْ هُوَ دَدٌ فَإِنْ أَجْنَادُكَ جَاءُوا بِالْفَنَدِ^(١)
 إِذْ فِيَّ عَاثُوا عَيْثَ ذُئِبَ فِي نَقْدِ تَعَاوَرَتْنِي مِنْهُمْ يَدٌ فَيَدٌ^(٢)
 أَفَادُ كَالْقَاتِلِ قَيْدَ الْقَوْدِ حَتَّى ثِيَابِي قَتَّشُوهَا وَالْجَسَدِ^(٣)
 كَأَنْتِي سَارِقُ مَالٍ مُفْتَقِدُ مَا أَنَا مِنْ جَرٍّ جُرْمًا فَشَرَدُ
 وَلَسْتُ مِمَّنْ سِيمَ حَقًّا فَيَجِدُ كَيْلًا وَلَسْتُ جَانِيًا عَلَى أَحَدُ
 نَكَمًا الْأَمْرُ لَدَيْهِمْ قَدْ فَسَدُ وَالْحَكْمُ قَدْ جَارَ عَلَيْهِمْ وَاسْتَبَدُ
 فَالْقَوْمُ : أَمَا حَظُّهُمْ فَقَدْ رَقْدُ عَنْهُمْ ، وَأَمَا سَعْدُهُمْ فَقَدْ خَمْدُ
 مِنْهُمْ ، وَأَمَا نَحْسُهُمْ فَقَدْ وَقْدُ وَقَدْ أَضَاعُوا مُحْدَهُمْ إِلَى الْأَبَدِ
 وَقَدْ وَقْدُ ، وَقَدْ وَقْدُ ، وَقَدْ وَقْدُ

حكومة الانتداب

أَنَا بِالْحُكُومَةِ وَالسِّيَاسَةِ أَعْرِفُ أَلَا أَلَمْ فِي تَنْفِيدِهَا وَأَعْنَفُ^(٤)
 سَأَقُولُ فِيهَا مَا أَقُولُ وَلَمْ أَخْفُ مِنْ أَنْ يَقُولُوا شَاعِرٌ مُتَطَرِّفُ
 هَذِي حُكُومَتُنَا وَكُلُّ شُمُوزِهَا كَذِبٌ ، وَكُلُّ صَنِيعِهَا مُتَكَلِّفُ
 غَشَّتْ مَظَاهِرُهَا وَوُجُوهُهَا فَجَمِيعُ مَا فِيهَا بِبَهَارِجِ زُيْفُ^(٥)
 وَجْهَانُ فِيهَا بَاطِنٌ مُتَسَرِّفُ لِلْأَجْنَبِيِّ وَظَاهِرٌ مُتَكَشِّفُ
 وَالْبَاطِنُ الْمُسْتَوْرٍ فِيهِ تَحْكُمُ وَالظَّاهِرُ الْمَكْشُوفُ فِيهِ تَصَلِّفُ^(٦)

عَلِمَ وَدُسْتُورٌ وَمَجْلِسُ أُمَّةٍ كُلُّ عَنِ الْمَعْنَى الصَّحِيحِ مُحَرِّفُ
 أَسْمَاءُ لَيْسَ لَنَا سِوَى أَلْفَاظِهَا أَمَا مَعَانِيهَا فَلَيْسَتْ تُعَرِّفُ

(١) الدد : الذئب والبهو . والفند : ما يلامون عليه .
 (٢) عاثوا : أفسدوا . والنقد : ضرب من صغار الغنم ؛ كالغز .
 (٣) القود : القصاص .
 (٤) تنفيدها : لومها ومعانيبها . والتعنيف : أشد اللوم .
 (٥) البهارج : الذي يروى لك مظهره . ولا تسرك حقيقة .
 (٦) تصاف : تكبر .

مَنْ يَقْرَأَ الدِّسْتُورَ يَعْلَمُ أَنَّهُ وَقَفًّا لَصَكِّ الإِنتِدَابِ مُصَنَّفٌ
 مِنْ يَنْظُرِ الْعِلْمَ الْمَرْفُوفَ يَلْقَاهُ فِي عِزِّ غَيْرِ بَنِي الْبِلَادِ يُرْفَرَفُ
 مِنْ يَأْتِ مَجْلِسُنَا يَصْدَقُ أَنَّهُ لِمُرَادِ غَيْرِ النَّاخِبِينَ مُؤَافٍ
 مِنْ يَأْتِ مُظَرَّدَ الْوِزَارَةِ يُلَافِيهَا بِقِيُودِ أَهْلِ الإِسْتِشَارَةِ تَرْسُفُ^(١)

* * *

أَفْهَكَذَا تَبَقَّى الْحُكُومَةُ عِنْدَنَا كَلِمَاتُ تَمَوَّهِ الْوَرَى وَتُزْخَرْفُ
 كَثُرَتْ « دَوَائِرُهَا » وَقَلَّ فَعَالُهَا كَالطَّبِيلِ يَكْبُرُ وَهُوَ خَالِ أَجُوفِ
 كَمْ سَاعَاتُهَا مِنْهَا وَمِنْ وَزَرَائِهَا عَمَلُ بِمَنْفَعَةِ الْمَوَاطِنِ مُجْحَفُ^(٢)
 تَشَكُّو الْبِلَادِ سِيَاسَةَ مَالِيَةٍ تَحْتَاجُ أَمْوَالَ الْبِلَادِ وَتُتَلَفُ^(٣)
 تُجْبَى ضَرَائِبُهَا التَّقَالُ وَإِنَّمَا فِي غَيْرِ مَنْفَعَةِ الرِّعْيَةِ تُصَرَّفُ
 حَكَمَتْ مُشَدَّدَةً عَلَيْنَا حَكْمُهَا أَمَا عَلَى الدُّخْلَاءِ فَهِيَ تُخَفَّفُ^(٤)
 يَأْقُومُ خَلَا الْفَاشِسِيَّةِ إِنَّهَا فِي السَّائِسِينَ فِظَاظَةً وَتَعَجَّرَفُ^(٥)
 لِلْإِنْكَالِيزِ مَطَامِعِ بِلَادِكُمْ لَا تَنْتَبِهُ إِلَّا بِأَنْ تَنْبَلِشَفُوا^(٦)

* * *

بِاللَّهِ يَا وَزَرَائِنَا مَا بِالْكُمُ إِنْ نَحْنُ جَادِلُنَا كُمُ لَمْ تَنْصِفُوا
 وَكَأَنَّ وَاحِدَكُمْ لَفَرَطُ غُرُورِهِ كَمَلِ تَمِيلُ بِجَانِبِيهِ الْقَرَقَفُ^(٧)
 أَفْتَقْنَعُونَ مِنَ الْحُكُومَةِ بِأَسْمِهَا وَيَفُوتُكُمْ فِي الْأَمْرِ أَنْ تَنْصَرَفُوا

-
- (١) المطرد : مكان الاطراد ؛ وهو الجرى والتتابع . يريد الميدان أو الطريق الذي تجرى فيه .
 الوزارة . وترسف : تهمى متى المقيد .
 (٢) مجحف : جائر على منفعة أهل البلاد .
 (٣) تحتاج : نهلك . والجائحة : الآفة المهلكة .
 (٤) يريد بالدخلاء : الأجانب النازلين بأرض العراق من غير العرب .
 (٥) تعجرف : خشونة .
 (٦) نبلسف يتبلسف ، فعل أخذه الشاعر من لفظ البلشفية ، وهي مذهب سياسي واقتصادي ينافي الرأسمالية ، وهو النظام السائد الآن في روسيا وشرق أوروبا .
 (٧) القرقف : الحُر .

هذه كراسى الوزارة تحتكم
أتم عليها والأجانب فوقكم
أبعد فخرا للوزير جلوسه
كادت لفرط حياءها تتقصف
كل بسلطته عليكم مشرف
فرحا على الكرسي وهو مكتف

* * *

إن دام هذا في البلاد فإنه
لا بد من يوم يطول عليكم
فمنالكم لم يغن شيئا عنكم
الشعب في جزع فلا تستبعدوا
وإذا دعا داعي البلاد إلى الوغى
أيذل قوم ناهضون وعندهم
كم من نواص للعدا سنجرها
إن لم نضاحك بالسيوف خصومنا
بداومه لسيوفنا مستترعف^(١)
فيه الحساب كما يطول الموقف
نسن تقول ولا عيون تذرّف
يوما تنثور به الجيوش وترحف
أتظن أن هناك من يتخلف
شرف يعزّز جانبيه المرهف^(٢)
ولحي بأيدي الثائرين ستنتف^(٣)
فالمجد بالك والعلّى تتأفف^(٤)

* * *

زُر ردهة التاريخ إن فناءها
قد كان للعرب الأكارم دولة
عاش الأديب منعمًا في ظلها
أيام كان المساعون من الورى
ثم انقضى عهد العروبة منذ غدا
عنهما الزمان بسعده يتحرف^(٥)
المجد من أبناء يعرب متحف^(٥)
من بأسها الدول العظيمة ترّجف
والعالم التحرير والمتفلسف
في ظلها لهم الحلّ الأشرف
عنها الزمان بسعده يتحرف^(٦)

(١) مستترعف : مسبب لارعاف ، وهو سيلان الدم من الأنف ومن حدة السيوف .

(٢) المرهف : السيف أو السنان المشحوذ .

(٣) النواصي : جمع ناصية ، وهى الشعر فى مقدم الرأس . ونجز : تقطع .

(٤) نضاحك خصومنا بالسيوف : أى نمازحهم بالسيوف ، وفى الكلام استعارة .

(٥) الردهة : المكان المنسج بين البيوت ، وهى ما نسمه الآن بالسان العصر « صالة »
يريد أن المكان الذى يدرس فيه التاريخ يحوى من أخبار العرب ومفاخرها ما تحويه المتاحف

ودور العاديات من مجد الأمم القديمة . (٦) يتحرف : ينحرف .

حتى تقلص بعدد من سلطاتها ظل بأقصى المشرقين مؤرف^(١)
وغدت ممالكها الكبيرة كلها لسهام كل دويلة تستهدف^(٢)
فبنو العروبة أصبحوا في حالة منها العروبة لا أبالك تأنف
والمسلمون بحالة من أجلها تالله ضج بما حواه المصحف

الوزارة المدنية

دار ذا الدهر مداره فرأى الناس ازوراره^(٣)
كل فعل الدهر فعل فيه للجر إثارة
أهل بغداد أفيقوا من كرى هذى الغرارة^(٤)
إن ديك الدهر قد با ض ببغداد وزاره
شأنها شأن عجيب قصرت عنه العبارة
هى للجاهل عز ولدى العلم حقاره
ملك البدو بها الأمر على أهل الحضاره
كم لها من هفوات تسلب الطود وقاره
حببت للوطنى الحجر أن يهجر داره
بيع للأطاع فيها حقكم بيع الخساره
فكان الحكم والعد ل بها قط وقاره
كم وزير هو كالوزر ر على ظهر الوزاره
مقحم لو كان لفظا شخصه كان استعاره
ووزير ملحق كالد يل فى عجز الحماره^(٥)

(١) مؤرف : متسع .

(٢) تستهدف : تصير هدفا وغرضا .

(٣) ازوراره : اعوجاجه .

(٤) الغرارة : الغفلة وقلة الانتظة للشر ، وعدم البحث عنه . والمراد الجهالة بشئون السياسة والحياة .

(٥) عجز ، يسكون الجيم ، مخفف من عجز بضمها ، وهو المؤخر .

ذَنْبٌ أَصْبَحَ لِحُكْمٍ بِهِ أَقْبَحُ شَارِهِ
 ذَنْبٌ يَسْتَوْجِبُ الْإِخْلَاصَ وَالصَّدْقَ انْبِتَارَهُ ^(١)
 قُلْ لِلرَّبِّابِ الْوِزَارَ عَذْلًا أَضْرَمْتُ نَارَهُ
 أَنْتُمْ الْأَصْنَامُ لَوْلَا نَزَقَاتُ مُسْتَطَارِهِ ^(٢)
 أَحْلُومُ كَفَرَاشِ وَقُلُوبُ كَحِجَارِهِ ^(٣)
 أَمْ جُيُوبُ زَرْهَا الدَّهْرِ عَلَى كُلِّ دَعَارِهِ ^(٤)
 أَمْ وَجُوهُ لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ مَسْ لَمْ تَتَشَرَّ حَرَارِهِ
 أَمَعَ الذَّلَّةُ كَبُرَ أَمْ مَعَ الْجُبْنِ جَسَارِهِ
 كَيْفَ لَا تَحْشَوْنَ لِلْأَحْرَارِ فِي الْبَطْشِ مَهَارِهِ
 يَا بَنِي الْأَوْطَانِ هُبُوا وَانْفَضُوا هَذِي انْفَرَارِهِ
 إِنْ وَجْهَ الْحَقِّ بَادَ كَسْرَاجِ فِي مَنَارِهِ
 أَدْرَكُوا الْحَقَّ فَقَدْ شَلَّتْ عَلَى الْحَقِّ الْإِغَارِهِ
 لَا تَسْلُ عَنْهُ وَزِيرُ الْقِسُومِ وَاسْأَلْ مُسْتَشَارِهِ
 فَوْزِيرُ الْقَوْمِ لَا يَمَلُ مِنْ غَيْرِ إِشَارِهِ
 وَهُوَ لَا يَمْلِكُ أَمْرًا غَيْرَ كُرْسِيِّ الْوِزَارَةِ
 يَأْخُذُ الرَّاتِبَ إِمَّا بِنِعْمِ الشَّهْرِ سِرَارِهِ ^(٥)
 ثُمَّ لَا يَعْرِفُ مِنْ بَعْدُ خَرَابُ أَمْ عِمَارِهِ
 حَدَّثَ النَّاسَ الْقِسْمُ عَنْ هَذِي الْخُشَارَةِ ^(٦)
 فَلَعَلَّ الدَّهْرَ مِنْهُمْ بَدَمٌ يَغْسِلُ عَارِهِ

(١) انبتاره : بتره ونقطه .

(٢) النزقات : جمع نزقة ، وهي المرة من النزق . وهو الطيش والخفة .

(٣) حلوم كفرأش ، أى طائشة ، لا تعرف ، كما لا تعرف القراشة ، ما يضرها وما ينفعها لأنها تنهاقت في النار ، فتحرق نفسها .

(٤) الدعارة : الفجور والخيانة .

(٥) السرار : الأفلام الذي لا يظهر فيه القمر آخر الشهر .

(٦) الخشارة والخشار : الردىء من كل شيء ، وخص الخشيانى به ردىء المناع .

يوم الفلوجة

أيها الإنجليز لن نناسي
ذاك بغى لن يشفى الله إلا
بالمواضى جريحه وشجيجه^(٢)
هو كرب تأبى الحمية أنا
هو خطب أبكى العراقيين والشام
وركن البتية المحجوجة^(٣)

• • •

حلها جيشكم يريد انتقاماً
يوم عاثت ذئاب آثور فيها
قاستهنتم بالسامين سفاهاً
وأدرتم فيها على العزل كاساً
واستبحتم أموالها وقطعتم
أفهدا تمدت وعلاء
أم سكرتم لما غلبتم بحرب
قد نتجنا لقوحها عن خداج
هل نسيتم جيشا لكم مبدعراً^(٤)
وهوى بانهمزاه حصن أقریط
سوف ينأى بحزیه وبعار
وهو مفر بالساكنين علوجه^(٥)
عينة تحمل الشنار سميجه^(٦)
واتخذتم من اليهود وليجه^(٧)
من دماء بالغدر كانت مزيجه
بين أهل الديار كل وشيجه^(٨)
شعبكم يدعى إليه عروجه
لم تكن في انبعاثها بنضيجه
فلذاك انتهت بسوء النتيجة^(٩)
شهدت جيشه سواحل إيجه^(١٠)
وأمسى قذى على عين فيجه^(١١)
عن بلاد تريد منها خروجه

(١) الفلوجة : قرية على الفرات . وقريتان عند بغداد : الفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى ، وأصل معنى الفلوجة : القرية من قرى السواد .

(٢) الشجيج : المشجوج .

(٣) مفر : مسلط معرض . والعلوج : جمع علج ، وهو الرجل الضخم من كفار العجم .

(٤) الشنار : العجيب والعار . والسميج : القبيح .

(٥) وليجه : بطانة .

(٦) الوشيجه : العلاقة التي تربط بين أبناء الأسرة أو البلدة ، من دين أو لغة أو دم أو وطن .

(٧) نتج الناقة : ولدها . واللقوح : الحامل . والخداج : نزول المولود قبل استكمال مدة الحمل .

(٨) المبدع : المنفرد . وسواحل إيجه : أى بحر إيجه ، وهو بين بلاد الأناضول وبلاد اليونان .

(٩) أقریط : يريد أقریطش ، جزيرة جنوبى بلاد اليونان .

لا تغرّنكم شيباك كبارٌ أصبحت لاصطيادنا منسوجة
استمّ اليوم في الممالك إلا جعلاً تحت صدره دُحروجة^(١)

* * *

وطن عشت فيه غير سعيد عيش حرّ يأبى على الدهر عوجه
أتمنى له السعادة لكن ليس لي فيه ناقة منتوجة^(٢)
أخصب الله أرضه ولو أنى لست أرعى رياضه ومُروجه
كل يوم بعزه أتغنّى جاعلاً ذكره عزّه أهزوجه^(٣)
ما حياة الإنسان بالذل إلا مرّة عند حسوها بمجوجه
فتنأى للراقدين وشكراً وسلاماً عليك يا « فلوجه »

الانكاي في سيمائتهم الاستعمارية

لقد جمع الدهر المكاييد كلها بقدر كبير صيغ من معدن الخبيث
وصب عليها من بثار صروفه سجالاً من الكذب الموه والحش
وأنتع فيها ما يعادل ثلثها من المكر بل ما قد يزيد على الثلث
وفتت أوطالا من الغدر فوقها وعالجيا بالدق والدالك والدث^(٤)
وأوقد ناراً للخديعة تحنّها تزيد على نار الغضى أو على الرمث^(٥)
فغارت ملياً فيه ثم تصعدت بخارا بأنبيق من السحر والنقث^(٦)
فصاغ طباع الإنكاي من الذي تقاطر في الأنبيق كالمطر الدث^(٧)

(١) الجمل : ذكر اخنافس . والدحروجة : كرة يكورها من خرّيه ، يدحرجها ويجرى وراءها .

(٢) منتوجة : والدّة .

(٣) الأهزوجة : واحدة الأهازيج ، وهى نوع من نظم القريض يتغنى به .

(٤) الدث : مصدر دث أى دقق الغراب على وجه الأرض بالقدم أو باليد .

(٥) الغضى : شجر جزل ، ناره قوية . والرمث : شجر يشبه الغضى لا يطول ، ولكن ينبت وورقه .

(٦) الأنبيق : جهاز معروف يستعمل في التقطير .

(٧) المطر الدث : الضعيف الخفيف .

دع اللّومَ واسمع ما أقولُ فإنّي
 كأنهم والناس عثّ وصوفةٌ
 فكم حرثوا في أرض مستعمراتهم
 وكم أبقظوا والناس في الدُّور نومٌ
 وهم يأكلون الزُّبد من مُنتجاتها
 فيحظون منها بالتفائس دونهم
 زُر الهند إن رمت العيان فكم تَرى
 على الأرض من عُبرٍ هناك ومن شُعث

* * *

يقولون إنا عاملون لسعدكم
 فكم بعثوا في الشرق حرباً ذميمة
 وكم أرسلوا دساً جواسيس مكرهم
 وهم سلبوا أرض العراق سمينها
 إذا ما رأيت القوم في فتح مكرهم
 فلا ترج في الدنيا وفاء لعهدهم
 وما الحكم إلا عندنا كِمِطَّة

ولم يعملوا غير الكوارث والكرث^(١)
 تمثّل في أهوالها ساعة البعث
 على الناس يشتدون بالنش والنبث
 ولم يتركوا للقوم فيها سوى الغث^(٢)
 رَقَمَتْ لهم تبكى على القوم أو ترثي
 فلا بد في الأيام للعهد من نكث
 رَمَوْهَا إلينا كي يَرَوُا لعبه الطث^(٣)

(١) العث : حشرة تلحق الصوف .

(٢) الدجن : الغيم . الوعث : المكان السهل الكثير التراب ، تغيب فيه الأقدام .

(٣) القرث : السرجين ما دام في الكرث .

(٤) السقيط : سقط المتاع . والخُرثى : أردأ متاع البيت .

(٥) كَرِهَ الأمر كَرِهًا : اشتد عليه .

(٦) الذث : المنزول ، وهو ضد السمين .

(٧) الططنة : لعبة للصبيان ، يرمون بخشبة مستديرة عريضة ، يدقق أحد رأسها نحو القلة .

بين الانتداب والاستقلال

سَلِّ الْإِنْكَازِيَّ الَّذِي لَمْ يَزَلْ لَهُ
أَنْتَ وَزِيرٌ أَمْ عَمِيدُ وَزَارَةٍ
فَهَا أَنْتَ مُلْقَاةٌ إِلَيْكَ أُمُورُنَا
وَتَأْخُذُ مِنَّا رَاتِبًا كَمَوْظَفٍ
أَتَحْمِلُ مِنْكَ الْيَوْمَ عِبَاءَ تَحْكُمِ
وَمَا شَأْنُ ذِيكَ السَّقْفِيرِ الَّذِي لَهُ
وَكُنْتَ لَكُمْ مِنْ قَبْلِ فِينَا اسْتِشَارَةٌ
تَبَدَّلْتُمْ اسْتِقْلَالَنَا بِانْتِدَابِكُمْ
خَلَقْتُمْ لَنَا مِنْ كُلِّ عَمِيدٍ مَمُوءَةً
إِلَى أَنْ غَدَا اسْتِقْلَالُنَا ضُحْكَةً الْوَرَى
وَصَارَ كَسِيفٌ قَاطِعٌ فِي أَرْكَفِكُمْ
غَرَرْتُمْ بِهِ الْأَغْرَارَ وَاللَّهُ شَاهِدٌ
وَهَلْ يَسْتَقِلُّ الشَّعْبُ فِي حَكْمِ نَفْسِهِ
فَمَا هُوَ إِلَّا الْمَيْنُ فِيكُمْ أَغَانِكُمْ
وَمَا سَكَتَ الْأَحْرَارُ عَنْ نُحْزِيَاتِكُمْ
وَلَا تَعْجَبُوا أَنْ يَتَمَثَّلَ الشَّعْبُ دَائِبِكُمْ

فيظهر وهو السـاخط المتمرد

رُويْدًا فَإِنْ رَمَيْتُمْ مِنَ الشَّعْبِ وُدَّهُ
وَكُونُوا لَهُ عَوْنًا عَلَى مَا يُهْمُهُ
وَالَا فَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ وَإِنَّمَا
أَخُو الظُّلْمِ مَاخُوذٌ بِمَا يَتَعَمَّدُ

(١) البست : صدر البيت ، وعند المتأخرين ، الديوان ومجاس الوزارة والرياسة .

(٢) معبد : مذل .

(٣) لفظ مجرد : أى خال من المعنى .

بنی وطنی

بنی وطنی ماذا أؤمل بعد ما
أقول لمن قد لآمنى فى تشدّدى
لو اسود وجه المرء من قُبْح فعله
ولو نال بالإخلاص مثر ثراءه
نحاول عزّا بابتذال نفوسنا
ومن جهلنا استكرهنا فى معاشنا
سأرحل عنكم الذى قد أقامنى
أبيت لنفسى أن تحلّ مكانه
ولو أن هذا الصبح كان انبلاجهُ
فلا أبتغى بالذل عيشاً مرفهاً
وما أنا كابن العبد إذ عاتق الرّدى
إذا ابتسمت لى عفتى وزاهتى
أقابل أخلاق الرجال بمثلها
فأغوى لمن يغوى وأفسو لمن قسا
ولست أجازى المعتدى باعتدائه
وما أنا من أهل الدعارة والخنّا
ولكنّ لى فيكم يراعاً إذا شدا

تفشّت سعايات لىكم بالتجسّس
على كل تدليس آتى من مدّلس
لما كنت تلقى عندنا غير مدّفس^(١)
لما كنت تلقى بيننا غير مفلس
فتشّرى خسباً بالتمين المقدّس
شقاء نزيها^(٢) للنعيم المدّلس
على موحش من أمرهم غير مؤنس
من العيش إلّا فوق عز مؤسس
بغير شروق الشمس لم يتنفّس
ولو عشت فى العزّى بقول مدّس^(٣)
لجدوى أبتها رغبة المدّلس^(٤)
فلمست أبالى بالزمان المعبس
وأعرف منهم وجهها بالنفّس
وأظهر كالغطريس المتغطرس
ولسكن بصفح القادر المتحمّس
ولا من أولى حل السلاح المسدّس
أناكم بكاف من علاه ومخرّس

(١) المدّس : الذى اسود وجهه من غير علة . (٢) كذا بخط الشاعر : يريد شقاء خالصاً .
(٣) القول للمدّس : معروف فى مصر . واشتقاقه من دمس الشيء فى الأرض : إذا دفنه
وجباه ، وإنضاج القول بدفنه على مستوقد الحمايات طريقة معروفة فى مصر .
(٤) ابن العبد : طرفة بن العبد البكرى الشاعر العربى الجاهلى المشهور ، والمدّلس : جرير بن
عبد المسيح شاعر معروف ، ولهما قصة فى وفادتهما على عمرو بن هند ، ومنادتهما أخاه فابوس
(أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة) .

وما خالق الأكوان إلا المهندس
تجلى على أكوانه بصفاته
وأقبسهم نوراً شديداً جلاؤه
وألبسهم حمر العرائز فاغتنوا
وما مقبس عند النهى غير قابس
فأيان جال الطرف لم ير غيره
حقيقة مخلوقاته لم تكن سوى
إلا أننى للكائنات موحـد

وإن جلّ عن تعريفه بالمهندس^(١)
وأغلس فيهم كنهه كل مغلس^(٢)
فساروا به كالعمى فى كل حنـدس
بحمرتها عن كل ثوب مؤرّس^(٣)
ولا لابس عند النهى غير ملبس
إذا كان فى الملاحظة غير مبلس^(٤)
حقيقته دع عنك حدس الحدس
ولو أرغمت كل المذاهب معطسى^(٥)

يوم سنغافورة

أطالوا الحرب طاحنة ربونا
وقد زحفت لهم فيها جيوش
لقد خربوا البلاد ودوخوها
ولم تزد الشعوب لها اتقادا
أولاك هم الجناة بها علينا
إذا ذكر الورى جشعا وحرصا
وما رزقت فيها غير جانٍ
أتان على الهياج وقال حيدى

فعدوا بالشهور لها السنين
تجاوزت الألوف مع المثينا
وجنّوا فى تنأحرهم جنونا
فأوقد نارها المسترّسونا
أولاك هم البغاة الطامعون
فشرشل أكبر المنجشعينا
يزور فى إطالته الميونا^(٦)
حياد فأعجب المتكذبين^(٧)

- (١) الأيات من هنا إلى آخر القصيدة فى الفلسفة ، وليست من السياسة فى شيء .
(٢) أغلس : أبهم وأخفى .
(٣) حمر العرائز : كذا بخطه ، ولعله يريد العرائز المعجبة ، فإن الحمرة شعار الحسن .
والورس : المصبوغ بالورس ، وهو الزعفران .
(٤) الملبس : من الابلّاس ، وهو الخيرة .
(٥) المعطس : الأتف .
(٦) يزور : يعد ويهين . والميونا : جمع مين ، وهو الكذب .
(٧) الهياج : الحرب والشر . وحيدى حباد : كلمة يقولها المأرب من شيء يخافه .

فما دعواه في الحَيَوَانِ إلا كدعوى العِقة المتهتكونا
كذلك ساسة الأقوام فيما به عن رأيهم يتفوهونا
خداع لا يراه ذوقه شَيْنًا ولا يمسى به أحد مَشِينًا

o o o

بسغاورة اليابان شَبُّوا على أعداثهم حرباً طحونا
لم فيها طوائر صواعقات لها قَصَفٌ تذكُّ به الحصونا
رواعدُ تملأُ الآفاق رعباً وترسل في نهزُّها المنونا
ترزلت الحصون بها وكانت تطاول في مناعتها القرونا
حصون تستخف بكل طودٍ وتستعشى بروعتها العيون^(١)
لقد سككت مدافعها وجوماً لجيش حل مرَّصتها الحصينا^(٢)
على بحر بلجته أقاموا لعلق البحر من نار كرىنا
وقد بثوا البوارج فاسبطرت تجول به فوارِد أو بُيُننا^(٣)
ترى الحيات فيه قد اشْرأبت تردد فوقه نظراً شَقُوننا^(٤)
وتطفو نارةً وتغوص أخرى وتبدى من تماقِلها فتونا^(٥)
وتضرب بالزعانف جانبيها فتقلب الظهور بها بطونا^(٦)
بحيث يقول من يدنو إليها لعل بهنَّ صرَعاً أو جنونا^(٧)

o o o

وبحر الهند أصبح في اضطراب يُرجم في عواقبه الظنون^(٨)
أيفتح بابه فيكون حراً لمن يزجي بلجته السفينا

- (١) تستخف : تهرأ ، والطود : الجبل العالي . وتستهشى : تنسها إلى المشاء وهو سوء البص
يد أنها لندة أرماها لا تكاد تراها السيون . فكأنها صارت عشيلاً لا تبصر .
(٢) المرصف : رصيف الميناء . حيث ينزل المسافرون . وتفرغ السفن وتشعن .
(٣) اسبطرت : استطلعت ، وفوارِد : مفردات ، وبُيُن : جماعات .
(٤) الفشعون : النظار إلى الشيء . نظار للمعجب منه .
(٥) يقال : تماقل التوريلان في الماء : إذا تماقلا . (٦) الزعانف : أجنحة السمك .
(٧) كذا بخط الشاعر ، وفي نسخة أخرى بغير خطه : بحيث يقول ثمة من يراها .
(٨) يرمم الظنون : يرى بالظنون على غير ثبوت ، ودون نظر صحيح .

وَيَمْسِي الْهِنْدُ عِنْدَهُ طَلِيقًا من الأثر الذي قطع الوَتِينَا^(١)
فَبُشِّرَى لِلْبِلَادِ إِذْ ذَنْفٌ وَبُشْرَى لمصر والعراق بما هَوَيْنَا^(٢)
فَسَوْفَ تَكْفُ عَنْهُنَّ اللَّيَالِي مطامعَ ساسةٍ مَتَحَكِينَا

* * *

هَذَاكَ حَفْرَةُ الْأَطْمَاعِ يَمْسِي خِدَاعُ الْإِنْكَلِيزِ بِهَا دَفِينَا
وَتَحْتَدِمُ الْحَفَائِظُ فِي الْبَرَائِيَا فَتَضْرِمُ فَوْقَ مَدْفَنِهِ أَتُونَا^(٣)
وَتَتَسَعُّ السِّيَاسَةُ لِلتَّصَافِي فَيَسْتَصْنِي الْخُلْدِينَ بِهَا الْخُلْدِينَا
وَيَصْبِحُ كُلُّ تَمْوِيهِ وَغَشٍّ لِأَنْظَارِ الْبَرِيَّةِ مُسْتَعِينَا
وَيَصْبِحُ كُلُّ خِدَاعٍ كَذُوبٍ رَجِيًّا فِي سِيَاسَتِهِ لَعِينَا
وَيَصْبِحُ كُلُّ شَعْبٍ مُسْتَقْلًا عَزِيزًا لَنْ يَذُلَّ وَلَنْ يَهُونَا^(٤)
وَيَمْسِي النَّاسُ قَاطِبَةً سَوَاءً بَدِينِ أَخَوَةٍ مَتَدِينِينَا
يُعَاوَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُؤْوِي قَوِيَّهُمُ الضَّعِيفَ الْمُسْتَكِينَا^(٥)
تَسِيرُ بِهِمْ شَرَائِعُ عَادِلَاتٍ إِلَى أَوْجِ السَّعَادَةِ مُرْتَقِينَا
سَوَاءً لَا يَفْرَقُهُمْ لِسَانٌ وَلَا دِينَ بِهِ يَتَعَبَّدُونَا^(٦)
فَمَا مِنْ سَائِدٍ أَوْ مِنْ مَسُودٍ وَلَا مِنْ دَائِنٍ يُرْبِي الدَّيُونَا
وَيَصْبِحُ كُلُّ مُحْتَرَثٍ مُشَاعًا لِمَنْ فِيهِ نَوَا تَوَاتُفُ مَوَاطِنِينَا^(٧)
وَمَا أَهْلُ الْبِلَادِ سِوَى عِيَالٍ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي هُمْ يَحْسِنُونَا^(٨)

(١) الوتين : عرق في القاب إذا انقطع مات صاحبه .

(٢) في نسخة : « مصر والعراق » .

(٣) الحفائظ : جمع حفيفة ، وهي الغضب . والآتون : موضع النار .

(٤) في نسخة : « كل قطار » في موضع كل شعب .

(٥) في نسخة : المستعينا وفي موضع ، المستكينا . (٦) في نسخة جاء هذا البيت قبل سابقه .

(٧) جاء هذا البيت في نسخة بغير خط الشاعر ، متقدما على موضع هذا بخمسة أبيات ،

وبالرواية الآتية :

وَيَصْبِحُ كُلُّ مَزْدَرَعٍ مُشَاعًا لِمَنْ هُمْ أَرْضُهُ مَتَوَطَّنُونَا
وَالْمُحْتَرَثُ وَالْمَرْدَرَعُ : موضع المراث والزروع . والمشاع : الشائع بين الناس لا يختص به أحد .
ونوى بالمسكان : أقام وتوطن .

(٨) في نسخة : « وليس بنو البلاد سوى عيال » . . . الخ

نحن والحالة العالمية

صاح إن الخطوبَ في غَلِيَانٍ فماذا يُطَرِّقُ الْمَلَوَانِ^(١)
 جلَّ رب الأنام في كل يوم هو من كبريائه في شان
 خالق الكون ذو الجلال قديم واحد عنده القرون ثوانى
 كل ما ضمَّ ملكه كلمات وإليه انتهت جميع المعانى
 نسمع اليوم للخطوب أزيزا كأزيز التمور في الفوران
 إننى مُبَصِّرٌ تبشير صبح مستفيض على ظلام الأمانى
 ليس تلك الدماء في الحرب إلا شفا من ضيائه الأرجوانى
 إننى أَسْتَشْفٍ من غير الدهر انقلابا يعم كل مكان
 سيلوح الدانى به وهو قاص ويلوح القاصى به وهو دان
 ويكون المعزَّ غير معزَّ ويكون المهان غير مهان
 وسيغدو الضعيف محترم الحق ويُمسِي الظلوم في خسران
 والثريا ستعتلى في أمان من عداة العيوق والدبران^(٢)
 وستبدو أم النجوم رهوما يتدانى من ثورها الفرقدان
 يتجلى رب السماوات والأر ض علينا بعذله والحنان
 فيبوء « المستعمرون » بخسر وتضىء البلاد بالعُمران

• • •

معشر العرب أين أنتم من القو م إذا ما تم انقلاب الزمان
 أنيامٌ والدهر يفتح فيكم من جديديه مقلتي يقظان
 تقض القوم عهدكم قبل هذا واستخفوا بحفظه في حوانى^(٣)
 واستهانوا بالوعد إذ أحلفوه واستغلوا دفائن الأوطان

(١) يطرق : أصل الطرق : الاتيان ليلا . ولم أجد في المعاجم التطريق بهذا المعنى الذى يريد الشاعر . والمَلَوَان : الليل والنهار .

(٢) الثريا ، والعيوق . والدبران : أسماء نجوم ، وكذلك الثور والفرقدان .

(٣) الحوانى : الضلوع ، جمع حانية .

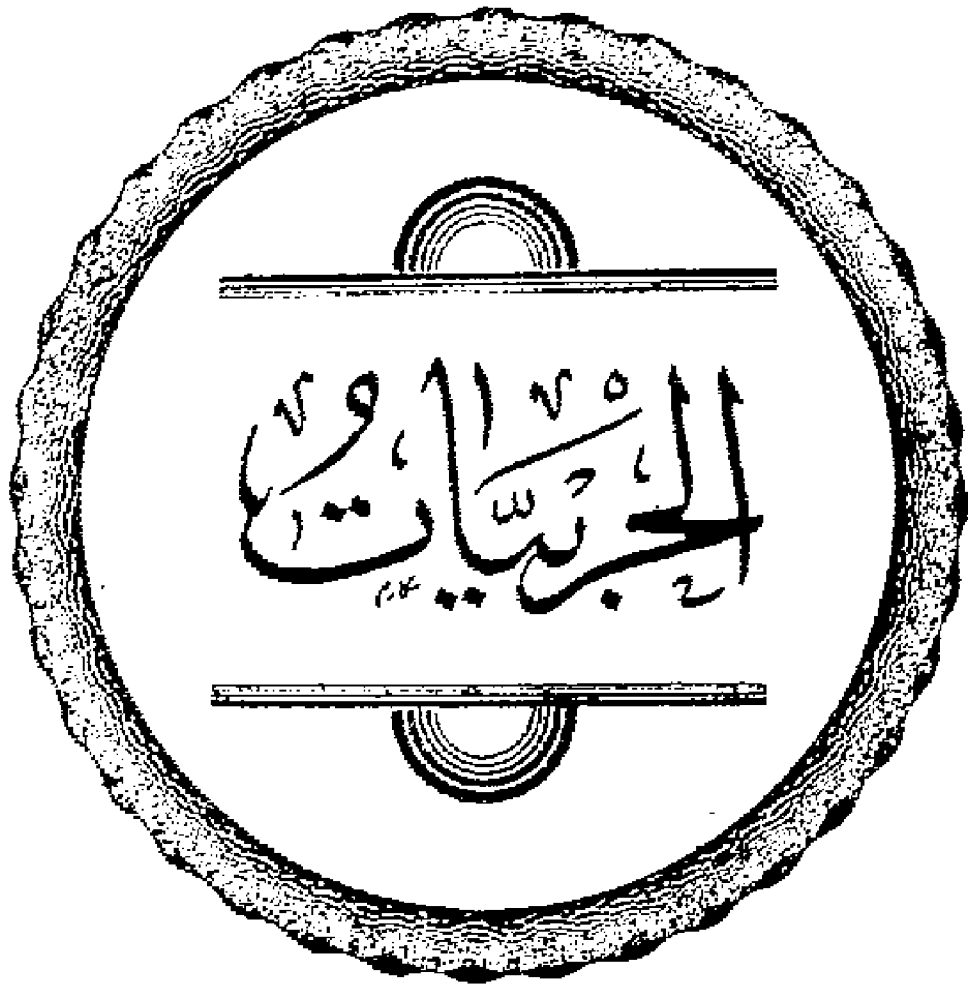
وأقاموا بها قواعد جَوٍّ
ثم بثوا بها العيون يَعِشُو
ثم ساروا بحكمها سِيرُ فُلْكَ
كل هذا وأنتمُ مستقلو
تَقِيدُوكم لنفعهم بعهود
أوثقوكم بها إسارا وقالوا
ليس تلك العهود ياقومُ إلا
أفلا تذكرون في أوليكم
يوم ساروا والعز فيهم يمشي
وتعانت راياتهم خافقات
فانهضوا اليوم مستجدّين مجدًّا
إن للمجد في المساعي محلا

لاحتشاد الجنود والطيران
ن فسادا في سُوحِها والمباني^(١)
هم بها آخذون بالسُّكَّان
ن بَرَعَمٍ من عندهم وامتنان
ناطقات من أمركم بلسان
ليس هذا لكم سوى إحسان
كعهود الذئاب للحُمَلاَن
أَنفًا من مَسِيسِهِم بهوان
حزبهم بالمُشَطَّبِ الهندواني^(٢)
في جيوش عنا لها الخافقان
كالذي كان دونه القَمَران
عاليا لا يُحله المتواني

• • •

قل لمن رام صَدْعَنَا بشقاق أنت كالوعل ناطح الصَفْوَان^(٣)
وَيْلَكَ إن الإسلام أوجد فينا وحدة مثل وحدة الرحمن
فاعتصمنا منها بحبلٍ وثيق هو حبل الإخاء والإيمان
ليس معنى توحيدنا الله في الملّة إلا اتحادنا في الصّكيان
فلهذا نعم ! لهذا ، لهذا نحن دِنًا بوحدة الدِّيان
وحدة لا يَفُكُّها المتوالي من صروف الدهور والأزمان
وحدة جاءنا من الله فيها مرسل بالكتاب والفرقان
فهدانا بها إلهٌ قديم واحد ، عنده القرون ثواني
مانرى سلطنة علينا خلّاق غير سلطان خالق الأكوان

(١) سوحها : جمع ساحة ، وهى الأرض الفضاء لا بناء به تكون بين الدور .
(٢) المشطّب : السيف ذو الشطّب ، وهى الطرائق . والهندوانى : المنسوب إلى الهند .
(٣) الصفوان : الحجر الشديد الأملس .



وجدنا للرصاصى عدة قصائد قالها فى حروب مختلفة ، كحرب الظليان
فى طرابلس الغرب ، والحرب البلقانية ، والحرب العامة ، فرأينا أن
نثبتها هنا على حدة ، تحت عنوان الحربيات .

إلى الحرب

ألا انهض وشمر أيها الشرق للحرب

وقبل غرار السيف ، واسل هوى الكتب^(١)

ولا تغتر أن قيل عصر تمدن

فان الذي قالوه من أ كذب الكذب^(٢)

أبا حواحي الإسلام بالقتل والتهب

ولكن جميع الغرب يؤخذ بالذنب^(٣)

يعد «وهم يغرونه» منزل الكلب^(٤)

ولا ضاع حق في طرائس الغرب

فتبكي وتستبكي بنى الترك والغرب

قد اغتالها الطليان وهي بمضجع

من الأمن لم يقض برعب على الجنب^(٥)

(١) شمر: فعل أمر من شمر الرجل تشميرا إذا مر جانا ، أو هو من شمر للأمر : إذا أراحه .
وغرار السيف : حده . والمراد من قوله « وقبل غرار السيف » : أى عول على السيف ،
لأنه أصدق أبناء من الكتب .

(٢) قوله « أن قيل » : أى بأن قيل .

(٣) قوله جميع الغرب أى : جميع أمم الغرب .

(٤) أغرى الكلب بالصيد : أى حاضه عليه وأرسله . والمعنى : أن منزلة الأمة الطليانية من
سائر أمم الغرب ، كمنزلة الكلب من الصيد الذى يغريه ، ويحاضه على الصيد . وتحرير المعنى : أن
أهل الغرب لو لم يوافقوا الطليان على ما أرادوا ، لما هجموا علينا . وقد أوضح هذا المعنى البيت
الذى بعده .

(٥) قوله « يقض » يقال : أفض عليه المضجع يقض إفضاضا إذا خشن وترب ، وتعقيق معنى
قولهم أفض المضجع : أنه صار فيه القفض ، وهو فتات الحصى والتراب ، وإذا أفض المضجع امتنع
النوم ، ومعنى البيت أن الطليان قد أخذوا طرائس الغرب على غرة ، فهجموا عليها وهي نائمة في
مضجع الأمن ، الذى ما أفض على جنبها بالرعب . وتحرير المعنى : هى فى مضجع مدمت بالأمن لم
يخشوشن بالرعب .

فما انتبهت إلا لصرخة مدفع
فأمست وأفواه المدافع دونها
صواعق من سحب الدخان تدكها
غدت ترمى فيها عشيا وبكرة
وما إن شكك من عضة الحرب أهلها
فما خفقت عند الهياج قلوبهم
ولكن جرت نكب الرياح بأرضهم

فجرت عليها كلكل الحجج الشهب^(٢)

يعجز علينا أهل برقة أنكم
وأنا إذا ما تستغيثون لم نجد
وقد علم الأعداء أن سيوفنا
ولكن هو البحر الذي حال بيننا
ولولاه فاجأنا العدو بفيلق
فياجر فاجد أو فغر إن جيشنا
وياسحب هـلاً نزلين فتحمل

إلى الحرب جيشا ينشر النفع كالسحب

(١) عضة الحرب : شدتها ، على الحجاز . وكذلك عضة الجذب ، أى المحل . ويجوز أن تروى الثانية غصة ، بمعجمة فهامة . يشير بهذا البيت إلى ما كان في طرابلس الغرب من الجذب والقحط في تلك الأيام . وقد أوضح هذا البيت بالبيتين اللذين بعده .

(٢) قوله « نكب الرياح » : جمع نكباء ، وهى الريح المائلة عن مهبها ، ونكب الرياح عندهم من دواعي الجذب والمحل . والحجج : جمع حجة ، وهى السنة . والشهب : جمع شهباء : يقال سنة شهباء ، أى مجدية لا خضرة فيها .

(٣) الضمر : جمع ضامر ، وهو من الخيل : القليل اللحم ، اللاحق البطن . والقب : جمع أقب ، وهو الدقيق الخصر من الخيل .

ويارمِجُ قد ضيقنا فهل لك طاقة
بحمل منابنا إلى الممرِّك الرَّحْبِ
إلى خير أرض داسها شرُّ مَعْشَرِ
بأرجائهم قُطُنْ من أرجلِ جُرْبِ

أَمَّا وَالْعُلَى يَا أَرْضَ بَرَقَةٍ إِنَّمَا
نُرِكَ عَلَى بُعْدِ نُسَامِينَ ذِلَّةٌ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا الْإِثْ شَدَّتْ قِيودُهُ
يَرَى الشَّبَلُ مَا كَوَلَا فَيَزَارُ مَوْتَهَا
فَلَا يَسْتَطِيعُ الْوُثْبَ إِلَّا تَمْطِيًا
وَبِأَهْلِ بَنْغَازِي سَلَامٍ فَقَدْ قَضَتْ
حَيَاتُهُمْ حِمَى الْأَوْطَانِ بِالْمَوْتِ دُونَهَا
وَمَنْ مُبْدِعٌ عَنَا السَّنُوسَى أَنَّهُ
فَيَانَا لَنَرْجُو أَنْ يَقُودَ إِلَى الْوَعَى
فِيحْمَى بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعِدَا
فَإِنَّ حَنَا الْإِسْلَامِ أَصْبَحَ دَامِيَا
فَقَمَّ أَيُّهَا الشَّيْخُ السَّنُوسَى مَدْرَكَا
وَكُنْ أَنْتَ بَيْنَ الْجَنْدِ قُطْبَ رَحَى الْوَعَى

وَهَلْ مِنْ رَحَى إِلَّا تَدُورُ عَلَى قُطْبِ

وَيَا مَعْشَرَ الطَّلِيَّانِ قُبِّحَتْ مَعْشَرًا
وَلَا كُنْتَ يَا شَعْبَ الْخَانِيثِ مِنْ شَعْبِ
تَوَكَّتْ وَرَاءَ الْبَحْرِ مَزْخَفَ جَيْشِنَا
وَأَجَّجَتْ نَارًا فِي طَرَأِ بُلْسِ الْغَرْبِ

(١) من جراك بنشدريد الرء : أى من أجلك .

(٢) بهذا البيت وما بعده ضرب الشاعر مثلاً لحالة الأمة العربية تجاه حرب الطليان في طرابلس الغرب ، فشبّه حالتها بحالة الليث الذى وصفه في الأبيات .

أَتَحْسِبُ هَاتِيكَ الدِّيَارَ وَقَدْ خَسَّاتُ^(١) من الجند تَخْلُو من ضِرَاحِمَةٍ غُلَب^(٢)
فَمَا هِيَ إِلَّا أَرْضُ أَكْثَرِ مَقَرٍّ

من العَرَبِ لَمْ تُنَبِّتْ سِوَى الْبَطَالِ النَّدْبِ

مَتَرَجِعَ عَنْهَا بِالْفَضِيحَةِ نَاكِصًا وَتَذَكَّرُ الْأَيَّامَ بِاللَّعْنِ وَالسَّبِّ
تَشَيَّتُمْ إِلَيْنَا مُعْجِبِينَ بِجَمْعِكُمْ تَظُنُّونَ حَرْبَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ اللَّعْبِ
فَلَمَّا حَلَّتْكُمْ أَرْضُنَا ذَقْتُمُ الرَّدَى بِأَسْيَافِنَا حَتَّى صَحَوْتُمْ مِنَ الْعُجْبِ
سَنَلْبِسُكُمْ ثَوْبَ الْإِثْمِ الْكَافِيَا وَنَحْمِلُكُمْ مِنْهَا عَلَى مَرْكَبِ صَعْبِ
وَنَسْتَمْطِرُ الْأَهْوَالَ حَتَّى تُخَيِّضَكُمْ بِسَيْلِ دَمٍ فَوْقَ الْبَسِيطَةِ مُنْصَبِّ
وَمَا دَعَا «الْبَابَا» لَكُمْ مُسْتَجَابَةً فَقَدْ أَغْضَبَتْ طُغْوَاكُمْ غَيْرَةَ الرَّبِّ
أَجَلْ لَكُمْ أَنْكُمْ أَغْضَبْتُمْ اللَّهَ فَاتَّقُوا

وَإِنْ رَضِيتَ تِلْكَ الْحُكُومَاتِ فِي الْعَرَبِ

أَيَا زَعَمَاءِ الْعَرَبِ هَلْ مِنْ دَلَالَةٍ لَدَيْكُمْ عَلَى غَيْرِ الْحَدِيعَةِ وَالسِّكِّدِ
تَقُولُونَ إِنْ الْعَصْرُ عَصْرٌ تَمْدُنْ أَمِنْ ذَلِكَ قَتْلِ النُّفُوسِ بِلَا ذَنْبِ
أَلَمْ تَبْصُرُوا الْقَتْلَى تَمَجَّ دِمَائُهَا

عَلَى الْأَرْضِ وَالْجُرْحَى يَثْنُونَ فِي الْحَرْبِ

أَفَى الْحَقِّ أَمْ فِي الْعِلْمِ الْإِسْوَاءُكُمْ وَيُخْجَلُكُمْ شَنْ الْإِغَارَةِ لِلْعَصَبِ
وَهَلْ أَغْلَفْتَ هَذِي الْعُلُومَ قُلُوبَكُمْ بِأَغْطِيَةٍ قُدَّتْ مِنَ الْحَجَرِ الصُّلْبِ^(٣)
كَذَبْتُمْ فَإِنَّ الْعَصْرَ عَصْرٌ مَطَامِعُ تُقَدُّ لَهَا الْأَوْدَاجُ بِالصَّارِمِ الْعَضْبِ
فَلَا تُغْضِبُوا الْإِسْلَامَ إِنْ سَيُوفُهُ مَوَاضٍ كَمَا قَدْ كُنَّ فِي سَالِفِ الْحُقُبِ^(٤)

(١) الضِرَاحِمَةُ : جمع الضِرْغَامِ ، وهو الأسد . وَالْعُلَب : جمع الْأَغْلَابِ ، وهو من صفات الأسد ، ومعناه الغالبُ على العنقى .

(٢) أَغْلَفْتَ قُلُوبَكُمْ : أى جمعت لها غلانا ، والأغطية : جمع غطاء . وَقُدَّتْ : أى قطعت واشتقت . وَحَاصِلُ الْمَعْنَى : مَا بَالُ هَذِهِ الْعُلُومِ الَّتِي تَوْصَلُكُمْ بِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ قَدْ جَمَعْتَ قُلُوبَكُمْ فِي غُلْفٍ مِنَ الْحِجَارَةِ ، حَتَّى أَصْبَحَتْ غُلْفًا لَا تَعْنَى وَلَا تَرْفَعُ .

(٣) الْحُقُبُ : أصناف الحقب بضمهم ، ثم تخففة الشاعر . ومعناه : الدهر .

في طرابلس

هو النصر معقود برايتنا الحمر^(١) على أنه في الحرب آيتنا الكبرى
 حليفان من نصر مبين وراية به وبها نعلو على غيرنا قدرا
 ابن أدبر «الطلليان» عند كفاحنا فإن لهم في بطش شجعاننا عذرا
 فإننا لقوم^(٢) إن نهضنا لحادث من الدهر أفزعنا بنهضتنا الدهرا
 ندك هضاب الأرض حتى تثيرها غباراً على أعدائنا يكشح الذعرا^(٣)
 ونأكل مر الموت حتى كأننا نلوك به ما بين أضراسنا تمرا^(٤)
 فسلك جيش «كانينا» بنا كيف قوم^(٥)

شفار مواضينا خدودهم الصعرا^(٦)
 وكيف هزمناهم فولوا كأننا وإياهم أسد الشرى تطرد الحمر^(٧)
 وكم قد نثرنا بالسيوف جاجها نظمنا بها فوق الثرى للعدا شعرا
 وما جزعى للحرب يحمى وطيسها ولكن لأرواح بها أزهقت صبيرا^(٨)

لك الله يا قتلى طرابلس التي بها حاكم الطليان أسيافهم غدرا
 أداموا بها قتل النفوس نكاية إلى أن أصاروا كل بيت بها قبرا
 ولما أحاط المسلمون بحيشهم فعاد الفضاء الرحب في عينه شبرا
 تفهقر يبغي في الديار تحصنا ففر بها من خشية الموت واستدري^(٩)

(١) يكشح الذعر : أى يسفيه ويندوه ، فيرميه عليهم .

(٢) نلوك : أى نمضع ونملك .

(٣) الصعر : جمع أصعر ، وهو ذو الصعر ، وهو الميل ، يقال : صبر خداه إذا أماله عن النظر إلى الناس ، تنهأنا وكبرا .

(٤) قوله « يحمى وطيسها » : أى تشدد . والوطيس : التنور ، ويطلق على المعركة ، وحتى الوطيس : كناية عن اشتداد الحرب . وقوله « أزهقت صبيرا » : أى قتلت صبيرا . يقال للرجل قتل صبيرا : إذا شدت يده ورجلاه ، وأمسك رجل آخر حتى يضرب عنقه ، أو حبس حتى يقتل . يشير بهذا البيت إلى ما فعله جنود الطليان في مدينة طرابلس ، من الفتك بأهلها الضعفاء .

(٥) استدري : استتر واختبأ .

وأصبح يُنسِكى أهلها من تَفِيطٍ
فأوسعهم بالسيف ضرباً رقابهم
وما ضرب « كانيفاً » اللعين لو أنه
أُيْحِجِمُ عنا هارباً بعُجُوجِه
وهل حسبوا قتل النساء شجاعةً
لقد شجعوا والموت ليس له يد
يعزّ على أسيافنا اليوم أنهما
ولم تك لولا الحربُ تعلو سيوفنا
ومن مُبكِيات الدهر أو مضحكاته
لدى الناس حرٌّ لم يكن خصمه حرّاً

* * *

أَيْنُ « أيها القتلى » أُرِقت دماؤكم
ستثار حتى تسأم الحربُ ثأرنا
وإني لتغشاني إذا ما ذكركم
فما ذهبت عند العدا بعدكم هدرًا
ونقتل عن كل امرئ أنفاسًا عَشْرًا
لواعجُ حزنٍ ترتبى في الحشا جُجْرًا^(٨)

- (١) ينسكى أهلها : أى يقهرهم بالقتل والجرح ويرهقهم عسرا : يكلفهم إياه .
(٢) أوسعهم ضربا : أى أكثر ضربهم ، فضربا : تمييز محول عن المفعول . وأصل الكلام :
أوسع ضربهم ، أى أكثره ، ووقابهم بدل من الضمير ، بدل بعض من كل . وآناهم جدعا :
مطوف على ما قبله ، أى وأوسع آناهم جدعا . والجذع : قطع الأنف . والبقر : شق البطن .
(٣) تقحم عسكرنا : أى هجم عليه ، وهو مأخوذ من تقحم الفرس النهر : إذا دخله ، ورعى
نفسه فيه بشدة . والجحر : الكثير .
(٤) الاحجام : ضد الأقدام . والمالوج : جمع عالج ، بكسر فسكون ، وهو الرجل الضخم من
كفار العجم .

- (٥) يطعنهم شزرا ، وهو الطعن من جانب اليمن أو الشمال .
(٦) قوله « قرعهم بالعصا أخرى » : أى ليسوا بأحرار ، بل هم عبيد وقد قيل :
العبد يقرع بالعصا والحجر تكفيه الملامة .
(٧) القحوف : جمع قحف ، وهو عظم الرأس المجوف . والعهر : النجور .
(٨) اللواعج : جمع لاعج ، واللاعج من الحزن : الشديد منه الحرق .

على أن تُرْص الشمس عند غروبها يذكرني تلك الدماء إذا أحوا
فأبكي تُجَاهَ الغَرْبِ والبدر لا تُخ

من الشرق حتى أبكي الشمس والبدر
ويأهل هاتيك الديار تحية توفيقكم الشكر الذي يرأس الشكر
فقد قتم للحرب دون بلادكم تذودون عن أحواضها البغي والنكر
ورثتم أسودا في الوغى يعربية غدا كل سيف في برائنها ظفرا (١)
تراها لدى الحرب العوان مشيخة همهم حتى تنطق الفتكة البكر (٢)
ولو أن كفى تستطيع تناوشا فتبلغ في إبعادها الأنجم الزهرا
لرتبت منها في السماء قصيدة لكم واتخذت البدر في رأسها طغرا
وخلدتها آيا لكم سرمدية مدائحها تستوعب الكون والدهرا

يقولون إن العصر عصر تمدن فما باله أمسى عن الحق مزورا
إلى الله أشكو في الورى جاهلية يعدون فيها من تمدنهم عصرا
أنتنا بثوب العلم تمشى تبخرا إلى الخير لكن قد تأبطت الشررا
فلا تلتقط في مدحها متمطعا فإن أظهرت حلوا فقد أبطنت مررا
لقد ملك الإفريج أرض مرا كشي وقد ملكوا من قبلها نؤيس الخضررا

(١) البرائن : جمع برثن ، وهو من السبع بمنزلة الاصبع من الانسان .

(٢) مشيخة : أى جادة ، أو مقابلة على الحرب ، مانعة لما وراء ظهرها ، وهمهم : أى تردد
زئيرا في صدورها . يقل همهم الأسد : إذا سمعت له دويا . والفتكة البكر : التى لم تسبق بعلتها .

(٣) قوله « فلا تلتقط » : الالتقاط كاللحظ ، تتبع الطعام والتذوق . وقوله متمطعا : من التمتع
وهو أن يصوت الآكل باللسان والغار الأعلى ، وذلك عند استطابته المأكول ، فيلصق لسانه بنطح
فيه مع صوت .

فما جأنا الصَّليان من بُعد مُكبرهم لَكى يسأبونا في طرابُلس الأُمرا
وقالوا ألم تأتِ الفرنجة تُونِساً وهذى جيوش الإنكيز أنتِ مضراً
فخلُّوا لنا ما بين هذى وهذه وإلا قسرناكم على تركها قسراً
فقلنا هم إنّا أحقَّ بِمِلْكِها فقاتلوا: ولكن زَنَد قوتنا أورى
أهذا هو العصر الذى يدعونه فسُحِّقا له سُحِّقا ودَفِّرا له دَفِّرا^(١)

أدرنة^(٢)

أدرنة مهلاً فإبْ انظي سترعى لك العهد والمؤثقا
وداعاً لمغناك زاهى الربا وداعاً ولكن إلى الملتقى

* * *

عزاء لمسجدك الجامع أفارق محرابه المنبرا
وهل فى مُصَلَّاه من راحم يجيب المؤذن إن كبرا
فيا نسقوطك من فاجع به فجع النهر أم القرى^(٣)
وقبر النبوة فى يثربا ومثوى ضجيعيه مثوى التقي
ومن فى البقيع ومن فى قبا ومن شهدوا افتتح والخندق^(٤)

* * *

رُويداً أدرنة لا تجزعى وإن قد أمضاك هذا الأذى^(٥)

(١) سحِّقا له : أى بعدا . ودَفِّرا له : أى نكرا .

(٢) هذه القصيدة قالها المرصفي لما سقطت « أدرنة » ، وأخذها البلغار ، وذلك فى الحرب

الباقانية العثمانية .

(٣) قوله يا نسقوطك : النداء هنا للعجب ، واللام فيه منووحة كلام المستغاث ، ولا مانع من جعل النداء للاستغاث ، وحينئذ تكسر لامه على أن تكون لام المستغاث لأجله ، والمستغاث محذوف .

(٤) البقيع : مقبرة بالمدينة المنورة ، دفن فيها كثير من الصحابة ، ومنهم عثمان بن عفان . وقبا : موضع قرب المدينة نزل به النبي صلى الله عليه وسلم عند ما هاجر إليها ، وبني فيه مسجداً يعرف بمسجد قباء ، وقوله ومن شهدوا الافتح : أراد بالافتح فتح مكة . وبالخندق : يوم الخندق فى المدينة ، وهو يوم مشهور .

(٥) رويداً : أى مهلاً . وأمضاك : أى أوجعك وآلك .

إذا أنتِ بالسيفِ لم تُرجعي فلا حَبِذاً العيشُ لَحَبِذاً
ألا أنتِ «أَلزاسُنا» فاسمعي ونحنُ الفرَنسييسُ مِنْ بَعْدِ ذَا^(١)
سَلامٌ على قُطْرِكَ المُجْتَبَى سَلامٌ على أَفْقِكَ المُنتَقَى
أَيُّمَسِي لِسِرِّكَ العِدا مَلْعَبَا وَكَانَ لِتَوْحِيدِنَا مَعْبَقَا
* * *

لَقَدْ حَلَّ فِيهَا لَوَاءٌ مُرِيبٌ . حُلُولَ الحَقَارَةِ بَيْنَ الجَلَالِ^(٢)
فَظَلَّتْ بِأَدَمِهَا وَالنَحِيبُ تَنَوَّحُ عَلَى نَجْمِهَا وَالهِلَالُ
أَنزَنِي أُدْرَنَةَ عَمَّا قَرِيبُ إِذْنُ لَا بَلْغَنَا العُلَى وَالسَّكَالُ
فَسَوْفَ عَلَى الرِّغْمِ مِنْ أَوْرُبَا نَقُومُ لَهَا فَيَلْقَا فَيَلْقَا
فَتُبْكِي هَزَاهِرُنَا المَغْرِبَا وَتُضْحِكُ أَسْيَافُنَا المَشْرِقَا^(٣)
* * *

أَرَى الدَّهْرَ أَنَّهُضَ كُلَّ العِدا عَلَى حِينٍ قَدْ قَعَدَ المَسَامُونُ
فَكَمْ جَرَّعُونَا كُثُوسَ الرَّدَى وَنَحْنُ عَلَى كَيْدِهِمْ صَابِرُونَ
أَيُّحْسُنُ يَاقُومُ أَنْ نَقْعُدَا وَقَدْ آنَ أَنْ يَنْهَضَ القَاعِدُونَ
فَسِيلُ المَصَائِبِ غَطَى الزُّبَى وَغَيَمُ النُّوَابِ قَدْ طَبَّقَا^(٤)
وَأَوْشَكَتِ الأَرْضُ أَنْ تُقْلِبَا وَصَبَحَ القِيَامَةُ أَنْ يَفْلِقَا
* * *

دَعِ الغَرْبَ يَنْعَمِ فِي بَالِهِ وَإِنْ لَقِيَ الشَّرْقُ مِنْهُ الكُرُوبُ
وَلَا تَسْأَلْنِهِ بِأَفْعَالِهِ فَعَهْدُ التَّمَدُّنِ عَهْدُ كُذُوبُ
فَنَحْنُ اغْتَرَبْنَا بِأَقْوَالِهِ وَلَكِنَّا بَعْدَ هَذِي الحُرُوبُ

(١) «أَلزاس» : مقاطعة من بلاد فرنسا ، كانت قبل الحرب عند الألمان . يقول مخاطب أدرنه : أنت أَلزاسنا ، أي أنت عندنا بمنزلة الأَلزاس عند الفرنسيين ، لا ننساك كما لم ينسوها .
(٢) لواء مرِيب : أي مقلق ومزعج . (٣) هزَاهِرُنَا : أي وفائنا وحروبنا .
(٤) قوله « فسيل المصائب غطى الزبي » : أي اشتد الأمر ، حتى انتهى إلى غاية بعيدة . والزبي ، بالزاي المعجمة ، كالزبي بالراء المهملة : وزنا ومعنى .

سنأبى عليه أشدَّ الإبا فإما الفناء وإما البقا
ونركبُ من عزمنا مرَّكبا ونرقى وإنَّ صعب المرتقى

لقد آنَ يا قومُ تركُ الونى وتركُ الشَّقَّاق وتركُ الدَّدر^(١)
إلى كم نكابد هذا العنا ونخبِطُ في جهلنا الأسود
وبالعلم من قبل نلنا المنى وفزنا من العيش بالأرغد
ولكنما العلمُ قد غربا فلا عيش إلا إذا شرقا
فهبوا إليه هبوب الصَّبا عسى أن يسحَّ ويغدو دقا

الجيش بقائده^(٢)

أوهزيمة «لولا برغاز»

ياموطننا ما انتصيناها مُهنَّدةً إلا لردع الأعادي عن إهانتها
ولا ركبنا منايانا مُطهَّمةً إلا لنكسب عزاً من صيانتها
سقى ورعيا لروض منك ذى أنقى

قد كادت الحربُ تَدْوى غصنَ بانته^(٣)

تالله لم ينكسر في الحرب عسكرنا من أجل قَلَّتْهُ أو من جَبَانَتِهِ
وكيف وهو تفوق الطَّيْسَ كثرته وتستعيرُ الرَّوَاسِي من رَزَانَتِهِ^(٤)

(١) الدد : الهم واللعب .

(٢) قال الرصافي هذه القصيدة لما انكسر الجيش العثماني في معركة «لولا برغاز» وذلك في الحرب البلقانية العثمانية ، وكان قائد الجيش العثماني إذ ذاك ناظم باشا ، الذي قتله الاتحاديون في الآستانة .

(٣) قوله « ذى أنقى » بفتحين : أى ذى نبات حسن معجب . وهو فى الأصل مصدر ، فسمى به النبات المذكور . وتدوى : تذبل .

(٤) الطييس : كل ما فى وجه الأرض من التراب والقمام ، والكثير من الرمل وغيره . والراد به هنا مجرد الكثير .

لَكِنْ قَائِدُهُ مَا كَانَ يَمَانَهُ وَلَا يَبَالِي بِأَمْرِ مِنْ مَعَانَتِهِ ^(١)
 حَتَّى لَقَدْ نَفِدَتْ فِي الْحَرْبِ عَيْنَتُهُ بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ سَهْمٌ فِي كِفَانَتِهِ ^(٢)
 فَظَلَّ يَرْسُفُ فِي النَّيْرَانِ مُرْتَبِكًا مُسْتَفْرَغًا كُلَّ جُهْدٍ مِنْ مِتَانَتِهِ ^(٣)
 حَتَّى غَدَا جُنَّةً لِلنَّارِ مَا كَلَّةً وَمَا تَرْحُزُحَ شِبْرًا عَنْ مَكَانَتِهِ
 وَلَا اسْتَكَانَ لَهْوِ الْحَرْبِ مِنْ فَرْقٍ بَلْ كَانَ يَفْرُقُ مِنْ هَوْلِ اسْتِكَانَتِهِ ^(٤)
 فَخَاضَ عَمَرَ الْمَنَابِيَا صَابِرًا وَأَبَى عَلَى التَّرَارِ انْفِجَارًا فِي مَهَانَتِهِ
 لَيْسَ الْفِرَارُ لِلْجُنْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا إِنَّ الْفِرَارَ لَكُفْرٌ فِي دِيَانَتِهِ
 وَكَيْفَ يَغْلِبُ جَيْشُ كَانَ قَائِدُهُ يَحْفُهُ بِجَمِيُوشٍ مِنْ خِيَانَتِهِ
 فَالْجَيْشُ تَلْتَهُمُ النَّيْرَانُ أَنْفُسَهُ وَقَائِدُ الْجَيْشِ لَاهٍ فِي مَجَانَتِهِ ^(٥)
 أَقَامَ فِي الْقَصْفِ وَالْأَجْنَادِ طَاوِيَةً مُعَاقِرًا يَهْنَأُ بِنْتَ حَانَتِهِ ^(٦)
 صَبَحَانَ غَبَقَانَ فِي أَقْصَى مُعَسْكَرِهِ مُحَرَّورًا بَيْنَ رَهْطٍ مِنْ بَطَانَتِهِ
 تَلْقَاهُ مِنْ بَيْنِ ذَاكَ الرَّهْطِ فِي مَرَحٍ كَأَنَّهُ الْجَابُ يُنْزَوُ بَيْنَ عَاتَتِهِ ^(٧)
 لَهْفِي عَلَى الْجَيْشِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ قَضَى وَلَمْ يَقْضِ شَيْئًا مِنْ لُبَانَتِهِ

(١) قوله « ما كان يمانه » أى ما كان يقوته . يقال ماأن القوم يمانهم ماأنا : إذا احتمل مؤنتهم أى قوتهم . والمأنة : المعون كالمعونة .

(٢) قوله « نفدت عينته » المينة بالسكسر : مادة الحرب ، وهى ما تسميه العامة اليوم بالمهمات الحربية .

(٣) يرسف : أى يعمى متناقلا مشى المقيد . وقوله « فى النيران مرتبكا » : أى تاشبها فيما مضطربا .

(٤) استكان : ذل وخضع . « ومن فرق » بفتحين : من خوف . ومعنى البيت أنه ما ذل ولا خضع لهول الحرب ، بل كان يرى الاستكانة لذلك هولا ، فهو يخاف من هذا الهول لا من هول الحرب .
 (٥) فى مجانته : أى فى لهوه ولعبه .

(٦) أقام فى القصف : أى فى الأكل والشرب واللهو .

(٧) الجاب : الفجل الغليظ من حمر الوحش ، والعانة : القطيع من حمر الوحش .

الوطن والجهاد^(١)

يا قومُ إنَّ العِداَّ قد هاجموا الوِطَنَ

فانضُّوا الصَّوَارِمَ واحمُوا الأهلَ والسَّكَنَ^(٢)

واستنفِروا لعدوِّ الله كُلِّ قَتَى ممن نأى في أقاصى أرضكم ودنا

واستنهضُوا من بنى الإسلامِ قاطبةً من يسكنُ البدو والأريافَ والمدُنَا

واستقتلوا في سبيلِ الذودِ عن وَطَنٍ به تقيمون دينَ الله والسُّنَنَا

واستلثموا للعدَا بالصبرِ واتخذوا صدقَى العزائمِ في تدميرهم جُنُنَا^(٣)

واستنكفوا في الوغَى أن تلبسُوا أبَدَا

عارَ المَهِيمَةِ حتَّى تلبسُوا الكَفَنَا

إن لم تموتوا كراماً في مواطنكم مُمَّ أذلاءً فيها مِيتَةً الجَنَنَا

لا عذرَ للمسلمينَ اليومَ إن وهنُوا في هَوَاشَةٍ ذلَّ فيها كلٌّ من وهنَا^(٤)

ولا حياةَ لهم من بعدُ إن جَبُنُوا كلاً وأى حياةٍ لاذى جَبُنَا

عارَ على المسلمينَ اليومَ أنهم لم ينقذوا مصرَ أو لم ينقذوا عَدَنَا

قلْ لِحُسَيْنَيْنِ في مصرٍ رُوِيَ كَمَا قد خنما الله ولإسلامٍ والوطنا^(٥)

شايعاً الإنكليزَ اليومَ عن سَفَهٍ تالله ما كان هذا منكما حسناً

قد بعثا الدينَ بالدنيا مُجَازِفَةً فكنتما في البرايا شَرَّ من غُبِنَا

(١) قال الرصافي هذه القصيدة عند دخول الدولة العثمانية في الحرب العامة الكبرى يستنهض

المسلمين إلى الجهاد في سبيل الذود عن الوطن .

(٢) السكن ، بالتحريك : كل ما يسكن إليه وفيه ، ويستأنس به .

(٣) استلثموا : تدرعوا . وقوله : « جنتا » جمع جنة ، بالضم ، وهي كل ما وقى من سلاح .

(٤) في هوشة : الهوشة : الفتنة والهيج والاضطراب . وأراد بها الحرب العامة .

(٥) يعني بالحسينين : حسين كامل ووزيره حسين رشدى .

لا نفرحاً بالوسامين الذين هما
قد مثلاً منكاً للناس قاطبةً
ما ازدان صدرا كما شيئاً بحملهما
إن الحية لم تنظر بمقلتها
ما كان أغلاها إذ قد غدت لها
ستندمان ولا يُجديكما أبداً
هذى جيوش بنى التوحيد زاحفةً
اترسلن عليكم كل راعدةٍ
حتى تعودَ إلى مصر كرامتها

طَوْقاً إِسَارَةً مِصْرٍ فَيْكَمَا اقْتَرَنَا^(١)
عَجَلًا أَضَلَّ الْوَرَى مِنْ قَبْلُ أَوْ وَثْنَا
بَلْ أَصْبَحَا فِي كَلَا صَدْرِيكَمَا دَرْنَا
إِلَى وَسَامِيكَمَا إِلَّا بَكَتْ حَزَنَانَا
خَزَائِنُ النَّيْلِ فِي أَيْدِي الْعَدَا ثَمْنَا
أَنْ تَقْرَعَا السِّنَّ أَوْ أَنْ تَقْبِضَا الذَّقْنَا
عَلَى الْعَدَا وَعَلَى مَنْ ضَلَّ مَفْتَنَانَا
تَهْمِي الدَّمَاءَ وَتَمْرِيهَا ظُبِّي وَقْنَا
وَيَطْهَرُ النَّيْلُ مِنْ مَاءٍ بِهِ أَجْنَانَا

لازلت يا وطن الإسلام منتصرًا
يرد عنك يد الأعداء خاسرةً
سعدياك من وطن جلت مفاخره
تالله إن معاليك التي سلفت
كم قد أقيمت على الأيام من شرف
إننا نحبك حباً لا انتهاء له
نفديك منا بأرواح مطهرة
إذا دهمت من الأيام داهيةً
وإن فتنت بإحدى المزعجات نرق
فقرر عينا وطب نفسا وعش أبداً

بالجيش يزحف من أبنائك الأمانا
ويكشف الغم عن أفتيك والمحننا
عن الزوال فلا تخشى بلى وفنا
تعي الفصاحة والتبيان واللسنا
لنا وأنت من نبع العلى غصنا
يستغرق الأرض والأكوان والزمننا
أخلصن الله فيك السر والعلنا
فلا رعى الله عينا تألف الوسنا
منا الدماء إلى أن نخمد الفتننا
وفز بما شئت من حديد وطيب ثنا

(١) يشير إلى الوسامين الذين أهدتهما الحكومة الانكليزية إذ ذاك إلى حسين كامل وحسين رشدي .

وَرُبَّ مُسْتَصْحَبٍ لِي قَالَ بَخِرْنِي
فَقُلْتُ : دَعْ عَنْكَ هَذَا ، إِنَّهُ خَيْرٌ
إِنْ صَحَّ أَنَّ الْعَدُوَّ الْيَوْمَ مُقْتَرِبٌ
إِنْ الْعِرَاقَ لِعَمْرٍُ اللَّهُ مَسْبُوعَةٌ
دُونَ الْوَصُولِ إِلَيْهِ كُلُّ مُشْعَلَةٍ
فَإِنْ فِيهِ رَجَالًا مِنْ بَنِي مُضَرٍّ
قَوْمٌ لِقَاحُ آبَاءٍ أَنْ يَخْضَعُوا أَبَدًا
تَحْمَلُوا كُلَّ عِبٍّ فِي حَيَاتِهِمْ
لَوْ أَنَّ أُمَمَاتِهِمْ مَنَّتْ عَلَى أَحَدٍ
هُمْ الْمَغَاوِيرُ إِنْ صَالُوا بِمَلْحَمَةٍ
بَنَوْا فَأَعْلَوْا بِنَاءً الْمَجْدُ فَارْتَفَعُوا
فَكَيْفَ تَقْعُدُ عَنْ حَرْبِ الْعَدَا فِتْنَةٌ

إِنَّ الْعَدُوَّ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ دَنَا
سِوَاهُ يَبْعَثُ فِي أَحْشَائِنَا الشَّجَنَاءَ
إِلَى الْعِرَاقِ فَقَدْ أَكْدَى وَقَدْ أَفْنَأَ (١)
تَوَاشَبُ الْأَسَدُ فِيهِ مِنْ هُنَا وَهُنَا
شَعَوَاهُ تَتْرَكَ وَجْهَ الشَّمْسِ مَكْتَمًا (٢)
إِذَا تَحَارَبُ لَا تَسْتَفِيعُ الْهَدَنَاءُ
إِلَى الْمُلُوكِ وَإِنْ أُعْطَوْهُمْ الْمَوْنَاءُ (٣)
إِلَّا الصَّغَارَ وَإِلَّا الضَّيْمَ وَالْمَمِينَاءُ
مَنْهُمْ بِالْبَانِيَاءِ لَمْ يَشْرَبُوا اللَّبْنَاءُ
فَلَا يَرَوْنَ لَهُمْ غَيْرَ الْمَوْنِ مَنَى
بِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ قَدْ شَادَهُ وَبَنَى
أَبَتْ سِوَى الْعِزِّ مَأْوَى وَالْعُلَى وَكُنَّا (٤)

(١) أَكْدَى : أَخْفَقَ ، وَلَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ . وَأَفْنَى : ضَعَفَ رَأْيَهُ وَطَاشَ .
(٢) مُشْعَلَةٌ : بِصِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ : صِفَةُ الْمَوْصُوفِ مَحْذُوفِ أَيْ غَارَةِ مُشْعَلَةٌ ، وَهِيَ الْغَارَةُ الْمَتَفَرِّقَةُ
الَّتِي تَنْصَبُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ شَعَوَاهُ : أَيْ مَتَفَرِّقَةٌ . وَالْمَكْتَمُ : الْخَتْمُ .
(٣) قَوْمٌ لِقَاحُ : أَيْ لَا يَدِينُونَ الْمُلُوكَ ، أَوْ لَمْ يَصْبِهِمْ سِبَاءٌ ، فَقَوْلُهُ « أَبَوُ أَنْ يَخْضَعُوا » الْح :
بِمَنْزِلَةِ التَّفْسِيرِ لِقَوْلِهِ قَوْمٌ لِقَاحُ .
(٤) قَوْلُهُ وَالْعُلَى وَكُنَّا : أَيْ وَأَبَتْ سِوَى الْعِزِّ مَأْوَى ، وَهِيَ مَأْوَى الْعَائِزِّ .
وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْمَأْوَى مُطْلَقًا .

رؤياى الصادقة

حيّاكم الله أيها العربُ فاستمعوا لى قصصى عجب
 قد بتها ليلةً مطوّلة يعقد جفنى بنجمها الوصب^(١)
 أنجمها الزهر غير سائرة كأنما كل نجمة قطب
 تحسبى فى مضاجعى حاكّ يتقلبى وخزّه فأقلب^(٢)
 أمشى إلى النوم وهو منهزم مشى ديب ومشيّه حَب
 حتى بدا الفجر لى وقد طفقت تغرق فى فيض نوره الشهب
 عندئذ خدر الأسى عصبى فمت والنوم جرّه التعب
 فطاف بى طائف لرؤيته يرتجف القلب وهو مرتعب
 رأيتنى قائما على نشز من ساحل البحر وهو مضطرب^(٣)
 والأفق محمّرة جوائبه كأنما الجوّ ملؤه لهب
 وفى عنان السماء قد طلعت أهلة فى إزائها صلب
 والأرض قد بعثت ضرائحها مكشوفة لا تغمها التراب
 والموت كالكبش فى جوائبها يرعى نفوسا كأنها عشب
 وبين تلك القبور غانية ياعم فى حرّ وجهها الحسب^(٤)
 لها جبين كأنه قمر تحت شعور كأنها الذهب
 ووجنة باللطام دامية تحملها دون سوقها الركب
 قد أذبل الجوع ورد وجنتها فاصفرّ وامتنص ماءه اللب^(٥)
 شاخصة الطرف وهى جائية تحملها دون سوقها الركب

(١) الوصب : المرض والوجع الدائم .

(٢) الحسك بالتجريك : عشبة شوكها مدحرج . والمراد به هنا مطلق الشوك . وقوله « فى

مضاجعى » خبر مقدم . وحسك : مبتدأ مؤخر . والجملة : مفعول ثانٍ لتحسبى .

(٣) الذئز ، التجريك : المسكان المرتفع .

(٤) حر الوجه : ما بدا من وجنتيه أو ما أقبل عليك منه . (٥) اللب : بفتحين أشد الأعياء .

حاسرة الرأس غير ناطقة
فلحظها فوق رأسها صعد
مكتوفة الساعدين منكسر
قد وتدوا القيد في مخاضها
ترى خدوشا على مقلدها
وحولها أنفاس مضرعة
واحتوشتها كلاب مجزرة
تنهشها تارة وآونة
وفوقها الطير وهي حائمة
بيض المناقير ذات أجنحة
يقدمها طائر قوادس
تضطرب الأرض والسماء له
وقفت أرنو إلى ملاحها
حتى تعلمت أن سجنها
وبينا كنت ممعنا نظري
إذ هاتف في السماء يهتف بي
يقول لي إنها « طرابأس »
وهذه الطير حيث تبصرها
فتلك رؤياي غير كاذبة

إلا بدمع لسانه ذرب^(١)
ودمها تحت رجلها صبب
من حزن طرفها ومكتئب
ومددوه كأنه طنب^(٢)
كأنها في صفيحة شطب^(٣)
يسرح فيها ويمرح العطب
مهترشات يهيجها الكلب^(٤)
تنبح من حولها وتضطرب
تبعد من رأسها وتقرب
خضر وریش كأنه العطب^(٥)
تلمع كالبرق حين يلتهب
إذا غدا بالجنح يضطرب
ووجهها بالدموع مُنتقب
للعراب الأكرمين تنسب^(٦)
فيها وقلبي كقلبها يحب
كأنه في الغمام محتجب
تبكي على أهاها وتنحب
محمد والصحابة الثجب
فيل تغيثون أيها العرب

(١) ذرب : بفتح فكسر : أى حديد ، يقال : هو ذرب اللسان : أى حديده .

(٢) وقد وتدوا : أى ثبتوا . ويجوز أن يقرأ بتشديد التاء أيضا .

(٣) العذبة : السيف العريض ، والشطب : جمع شطبة ، كظلمة ، وهي طريقة السيف في مقناه .

(٤) قوله « واحتوشتها » : أى أحاطت بها ، فجعلتها في وسطها ، والمجزرة : موضع إجتزار

الجزور ، ومهترشات : متوانبات ، متحرشا بعضها على بعض .

(٥) العطب ، بضمين ، وبضم فسكون : القطن . (٦) السحنة ، بفتح السين : الهيئة واللون .

يا شيخ روما ومن لرايته وتاجه يُنتمى ويُنسب
 لست ولا قومك اللام بمن تعرف أم لشلم وأب
 وإنما أنتم بنو زمن إذا ذكرناه تمجل الحقب
 بروية قبل وهي مبالغة بالسكم الدهر وهو مغرب
 فعشتم في الورى سواسية لا حسب عندكم ولا أدب^(١)
 ما أوقد الدهر نار محزية إلا وأنتم لتارها حطب
 أغسل شعري إذا هجوتكم لأنه من هجاءكم جنب

أنشودة الحرب

نحن للحرب العوان ولإدراك الأماني
 لا نعد العرس إلا يوم ضرب وطعان
 يوم نحسو من دم ال أعداء لا بنت الدنان
 ما صليل السيف إلا عندنا صوت المثاني
 شغنا الحب لبيض السهند لا لبيض الحسان^(٢)
 نشتهي غممة الأبطال لا عزف القيان^(٣)
 نحن لا نفخر إلا بلسان من سينان
 شيم ينظر من تحت إليها الفرقدان
 وبها قد شهد النجوم لنا والقمران
 مل بنا كل زمان سل بنا كل مكان
 هل بنينا المجد إلا بالحسام الهندواني

(١) سواسية : أى متساوين في الحسة والثؤم .

(٢) شغنا الحب : أى هزلنا وأوهنا .

(٣) غممة الأبطال : أصواتها عند القتال . والعزف : الصوت في الغناء . والقيان : جمع قينة وهي الجارية المغنية .

كم جلونا عُمّة الهيجاء ذات المَعَمَّان^(١)
 بسيف أضحكت في الرّوع وجه الحدّثان
 وكاة نبتت حيثُ تزلُ القدمان
 كل رَحَب الباع صعب المتّقى ثبت الجنان
 رابط الجأش وقور النفس جوال العنان
 حيث شخص الموت في المأزق بادٍ للعِيان^(٢)
 * * *

يا علوج الصّرب والبُدغار أولاد الزواني
 لم يكن إبعادكم بالحرب غير الهذيان
 إنما الحرب لدينا من تمام الحيوان^(٣)
 فاتركوا الإبعاد يا أببناء حمراء العجان^(٤)
 ودعوا الحرب فليس الحرب من شأن الجبان
 وتزيّوا يا مخايبيث بأزياء الغواني
 إنما أنتم تيموس أولعت بالنزوان
 سوف ترمون من الرّعب بدء البرقان
 وستدمون بقرع السنّ أطراف البنان
 وتذوقون من الموت الزّوام الأرجواني
 حين تلقون أسوداً طافحات الهيجان
 ذات بأس يترك الصخر قرين الذّوبان

(١) ذات المعمان : أي ذات الحر الشديد .

(٢) المأزق ، كجلس : موضع الحرب .

(٣) قوله « من تمام الحيوان » : أي من تمام الحياة .

(٤) قوله « يا أبناء حمراء العجان » : أي يا أعاجم ، يقال : يا بن حمراء العجان . أي يا أحمري ؛ وهي كلمة شتم ، كانت تجري على ألسنة العرب . وفي حديث علي أن أحمرياً عارضه فقال : اسكت يا بن حمراء العجان .

وزئير تأخذ الأرض ضلله بالرَّجَمَانِ
 وقلوب طبعت من حدة السيف اليماني
 جهت في غير ما الراية معنى الخققان
 إمام نحن كرام عزنا غير مَهَان^(١)
 تنفاني في سبيل الله ود عن هذى المعاني
 تشتري الموت بنقد الروح في الحرب العوان
 إذ نقيم الموت معرا جأ إلى أعلى الجنان
 سوف نكسو الحرب ثوبا لونه أحمر قان
 فتكون الأرض منها وردة مثل الدهان^(٢)
 قد أظلمت سماء من شواظ ودخان
 ترسل الموت عليكم في شأيب الهوان
 فيقيم النل فيكم ملقيا كل جران^(٣)

(١) أى أن هذه القلوب لا تخفق من الخوف ، فهي تبجل معنى الخققان ، ولا تعرفه يكون إلا في راياتها في الحرب .

(٢) وردة : أى وجرء . الدهان : الأديم الأحمر .

(٣) الجران : من البعير مقدم عتقه ، من مذبحه إلى منحره ، ومعنى كونه ملقيا كل جران : كونه ثابتا مقيا .

الشيطان والطيّان

قالها بمناسبة دخول إيطاليا في الحرب العامة

رأيت إبليسَ عدوَّ البشرِ	يخطب في جمع له قد حضر
قد لبسَ الوشَى على قبحه	وخضبَ الشيب وقصَّ الشعرَ
وهو يهتّي حزبه قائلاً	يا مَنْ عصى الله ومن قد كفرَ
اليومَ قد طابت لنا لعمنة	جاءت من الله بحكم القدرَ
واليومَ قد هان الخلود الذي	قدّره الله لنا في سقرَ
إذ أمة الطليّان قد أصبحت	أكبرَ مَنْ خان ومن قد غدرَ
زلّت إلى العار بها زلة	شنعاء لا تُمحى ولا تُغتفرَ
فهي التي هان بكفرانها	كفران من زاع وأبدى البطرَ
لو ألقى الصخر بمخزاتها	لأنفت من فرط الحيا وانفطرَ
ولو أصاب البحر من عارها	لغار منه ماؤه وانحسرَ

* * *

نحن الشياطين على أننا	جئنا من اللوم بإحدى الكبر
عسرنا إلى جنب بني رومة	تَنفُرُ من نافرنا وافتخر
فلا نبالي اليوم من لامنا	في رفضنا آدم أو من عذر
إذ في بني رومة عذر لنا	يستسلم السمع له والبصر
فهم على الله لنا حجة	في أننا أفضل هذا البشر
وأن يوماً تقضوا عهدهم	فيه ليوم خزيه مبتكر
فلنتخذ خيراً عيداً لنا	نذكر فيه فوزنا والظفر
ونجعلنه يومَ أفراحنا	نجنى به الأنس ونقضى الوطر

* * *

ثم انشأ الشيخ أبو مرة
حتى إذا أكمل أشراطه
ثم دعا من بينهم واحدا
وقال يا « خنزب » باهر إلى
واذهب إلى « عماويل » الذي
وقل له إن أبا مرة
فإن يقل أين ؟ فقل : إنه
مقعد خزي كتبوا حوله

يرقص فيما بين تلك الزمر
رنا إليهم وأحد النظر
مشوه الوجه كثير القدر
رؤمة وأدخلها قبيل السحر
دب البلي في مجده فاندثر
أحاك يدعوك إلى المستقر
في دركة سافلة من سقر
بأحرف النيران : أين المفر ؟



وتشمل بعض قصار القصائد

قصر الحمراء

قِفْ عَلَى الحمراءِ وَأَنْدُبْ مُضَرَّ الحمراءِ فِيهِ (١)
 وَاسْأَلْ الْبَنِيَانَ يُتَبَّئُكَ بِأَنْبَاءِ ذَوِيهِ
 وَيُحَدِّثُكَ حَدِيثَ الْمَجْدِ وَالْعِيشِ الرَّفِيهِ
 بِكَلَامٍ مُحْزَنٍ اللَّهُمَّ جَعَلْهُ يُبْسِكِي مِنْ يَعِيهِ
 فَيَقُولُ الْقَلْبُ آهًا وَتَقُولُ الْأُذُنُ إِيهِ (٢)
 صَاحٍ لَوْ كَانَ لَذَا الدَّهْرِ حِيَالًا يَقْتَنِيهِ
 مَا رَمَى الْعُرْبَ أَبَاةَ الضَّيْمِ بِالْخَطْبِ الْكَرِيهِ
 لَا وَلَا جَرًّا بَغَرْنَا طَةً أَذْيَالَ سِنِيهِ
 حَيْثُ هَذَا الْقَصْرُ أَمْسَى خَالِيَا مِنْ مَبْتَنِيهِ
 فَازْدَرِ الدَّهْرَ وَسَفَّهُ كُلِّ مَنْ لَا يَزْدَرِيهِ
 وَإِذَا كُنْتَ حَلِيمًا فَابْكِي مِنْ دَهْرِ سَفِيهِ

ياضاربا بالسكان

ياضاربا بالسكان يَفْتَنُ كُلَّ افْتَتَانِ
 سَحَرَتْ سَمْعِي وَعَقْلِي بِصَوْتِ تِلْكَ الْمَثَانِي (٣)
 ضَرَبْتَ لَحْنًا يَدِيْعَا حَوَى بَدِيْعَ الْمَعَانِي
 فَكَانَ شَيْئًا عَجِيْبًا إِذْ سَرَّتْنِي وَشَجَانِي

(١) مقصورة مضاف إلى الحمراء ، والمراد بالخرءاء الذهب .

(٢) إِيهِ : اسم فعل ، للاستزادة من حديث أو فعل .

(٣) المثنى : جمع مثنى ، وهو الوتر الثاني في العود .

يَا دَهْر

أُطَلَّتْ يَا دَهْرُ نَحْسِي مَتَى تَجُودُ بِسَعْدِي
فَقَدْ تَضَاءَلُ صَبْرِي كَمَا تَعَاظَمُ وَجْدِي
إِذَا تَعَشَّقْتُ هَنَدًا مَنَحْتَنِي وَصَلَ دَعْدِي
وَإِنْ تَعَشَّقْتَ دَعْدًا مَنَحْتَنِي وَصَلَ هِنْدِي
أَمَّا تَعَوَّدَتْ إِلَّا بِأَنْ تَجُودَ بِضِدِّي
إِنِّي أُرِيدُ عِدْوِي فَهَاتِ بَعْضَ أَوْدِي
وَجُدْ عَلَيَّ بِوَصْلٍ فَقَدْ رَضِيتُ بِصَدِّي
كَلًّا ، فَإِنْ مَقَالِي هَزَلٌ وَلَيْسَ بِمَجْدِي
بَلْ أَنْتَ أَحَقُّرُ عِنْدِي مِنْ أَنْ تَجُودَ وَتُجْدِي
إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَشَقِي بِأَوْجُهُ مِنْكَ رَبْدِي^(١)
رَبَّاتُ عَنْكَ بِذِمِّي كَمَا رَبَّاتِ بِمَحْمَدِي^(٢)
إِذْ لَسْتَ أَنْتَ بِكُفِّي وَنَسْتَ أَنْتَ بِبِنْدِي
لَوْ كُنْتُ يَا دَهْرُ حُرًّا وَجِئْتُ تَخْدُمُ عِنْدِي
لَمَا ارْتَضَيْتُكَ عَبْدًا وَلَا خُوَيْدِمَ عَبْدٍ
وَكَيْفَ أَرْضَاكَ عَبْدًا وَأَنْتَ أَوْغَدَ وَغَدِي^(٣)

الحقائق الملعنة

لُقِنْتُ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ حَقَائِقًا فِي الدِّينِ تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَفْهَامُ
نَحْمُ انْقَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَطَيْشُهُ فَإِذَا الْحَقَائِقُ كُلُّهَا - أَوْهَامُ

(١) رِبْدٌ : جَمْعُ أَرْبَدَ وَهُوَ الَّذِي تَغْيِرُ مِنَ الْغَضَبِ .

(٢) رَبَّاتٌ : تَرَفَعْتَ عَنْكَ . (٣) الْوَغْدُ : اللَّيْثُ الْمُقْبِرُ الْأَصْلُ

الخطوة الأولى

قدم السيد عادل جبر إلى الرضا تصويراً شمسياً به صورة
ابنه الصغير ، لأول عهده بالثقى ، ومطلب إليه أن يكتب عليه
شيئاً من الشعر ، فكتب الأبيات الآتية :

يَا عَمْرُكَ اللَّهُ مِنْ وَلِيدٍ يَسُرُّهُ اللَّعْبُ بِالنَّصِيرِ^(١)
لَا زِلَّ فِي طَالِعٍ سَعِيدٍ فِدَى لَكَ الْبَدْرُ مِنْ قُمَيْرٍ

لَمْ تَرَهُ مُقْلَسَايَ إِلَّا أَحْسَسْتُ فِي النَّفْسِ بَانْتِعَاشٍ
فِي الْعَيْنِ أَمِ الْقَوَادِ أَحْلَى مُرَاهُ مَذْقَامٍ وَهُوَ مَاشٍ

مَشَى عَلَى الْأَرْضِ بَارْتِعَاشٍ ثُمَّ حَبَا وَاضَعَ الْيَدَيْنِ
إِذْ لَمْ يَزَلْ لَيِّنَ الْمَشَاشِ أَفْؤِدِهِ بِالرُّوحِ مِنْ غُصَيْنِ^(٢)

وَيْسَكَ دَاوُدُ مِنْ شَبِيلٍ نَوَالِدٍ مِنْجِبٍ هِرَزَرِ^(٣)
بَدْرُكَ بِكَ انْجَابَ كُلُّ لَيْلٍ عَنْ أَيْكَ الْعَادِلِ بْنِ جَبْرِ

وجه نعيم

أَسْبَغَ اللَّهُ نَعِيمَ الْحُسْنِ فِي وَجْهِ نَعِيمٍ
قَرُّهُ أَغْنَى فِي الْإِشْرَاقِ عَنْ لَيْلٍ بِهِمْ
عَلَّمَ النَّاسَ صَحِيحَ السَّحْبِ بِالطَّرْفِ السَّقِيمِ
يَرْجِعُ السَّحَرُ بِعَيْنِيهِ إِلَى عَهْدِ الْكَلِيمِ

(١) الصغير ، بصيغة التصغير : الببليل الصغير ، أو فرخ العصفور .

(٢) المشاش : جمع المشاشة ، وهي رأس العظم الالين .

(٣) ويسك : كلمة ترحم وتعجب مثل ويحك . والشبل : ولد الأسد . والهرز : الأسد .

المغربي

بما كتبه تحت صورة شمسية له أهداها إلى العالم النحرير ،
والكاتب الشهير ، الشيخ عبد القادر المغربي :

إلى المغربي الحبر أهديتُ صورتي تذكّره مني صداقةً صادقِ
وتؤذنه بالودّ وهي خيالة وربّ خيالٍ مؤذِنٌ بالحقائقِ
وإنّ لعبد القادر الفضلَ كلّهُ بما أوضحت أعلامه من دقائقِ
ففي العلم زائنه العلومُ بنورها كما زانها منه بحسن الخلائقِ

وبما كتبه تحت صورة فتوغرافية أيضا ، أهداها إلى
الأديب الكبير إسحاق التاشيبي المقدسي ، قوله :

صفاً لك فيّ يا إسحاقُ ودُّ صميمٌ ما لصحتّه اعتلالُ
فخذُ تمثالٍ خلّ ذى ودادٍ يمثّل صدقه لك ذا المِثالُ
خيالٌ حقيقةً ولربّ شئٍ يدلّ على حقيقته الخيالُ
ولست ممادّقا في الودّ خلّ إذا مدّقت مودّتها الرجالُ^(١)
ومثلك من تُجاد له القوافي ويحمد في فضائله المقالُ

وبما كتبه أيضا تحت صورة شمسية أهداها إلى صديقه
الفاضل عادل جبر المقدسي ، قوله :

إليك عادل جبرٍ رسمَ ذى مِقَّةٍ من أصدقاؤك حيّادٍ عن القنَدِ^(٢)
لو تدرك الشمسُ ما في القلب من شَغَفٍ

لصوّرتُ لك ودّاً جلّ في خَلَدِي

لكنّها خلّقت عن ذاك عاجزةً فصوّرتُ لك مني ظاهر الجسدِ
فأقبله تذكّرةً في الدهر باقيةً بقدر حبّيك حتى آخر الأبدِ
فأنت أكرم من صداقته خلّقا وأبعد الناس عن غلٍّ وعن حسدِ

(١) مذاق : خاط .

(٢) المقة : المحبة ، والقند : الكفر بالنعمة ، والكذب .

واستعار وهو في القدس كتابا من إسعاف النشاشيبي ،
ثم أعاده وقد كتب عليه هذين البيتين :

آل النشاشيبي إن الله أسعفكم على التقدّم للعليا بإسعاف
ذاك الذي أشرفت بالعلم همته على سماء المعالي أي إشراف

من هذا !

نُحَاصُّ مُنْكَشِفٌ إِخْلَاصُهُ عَنْ رِيَاءٍ فِيهِ تُخْفِيهِ الْأَنَانَةُ (١)
وَأَمِينٌ قَدْ جَرَتْ أَطْمَاعُهُ بِسِمُولِ الْغَشِّ فِي وَادِي الْحَيَاتِهِ
لَوْ دَرَّتْ كُلُّ خَيَانَاتِ الْوَرَى بِالَّذِي فِيهِ تَسَمَّتْ بِالْأَمَانَةِ
تَرْكَبُ الْفُجْشَ رُجُولِيَّتُهُ بَعْنَانَيْنِ : نَعُوْظُ وَعَنَانُهُ

من مطبخ الدستور

معربة عن التركية بتصرف ، للشاعر التركي توفيق فسكرت بك .

كلوا يأيها السادة كما تُنْكَرُهُ الْعَادَةُ
كلوا من مطبخ الدستور رَأْكَلِ السَّاسَةِ الْقَادَةُ
كلوا بالسبعة الأمعا ء حَتَّى تُنْفِذُوا زَادَهُ
كلوا لا تَخْشَوْا النَّاسَ فَإِنَّ النَّاسَ مُنْقَادَهُ
كلوا لا تَخْشَوْا الدَّهْرَ قَامَ الدَّهْرَ قَوَادَهُ

الوزارة عندنا

إِنَّ الْوِزَارَةَ « لَا أَبَالِكُ » عِنْدَنَا ثَوْبٌ يَفْصَلُ فِي مُعَامَلِ لَدُنَّا
لَا يَرْتَدِيهِ سِوَى أَمْرٍ أَضْحَى لَهُ طَبْعًا وِدَادُ الْإِنْكَلِيزِ وَدَيْدَنَا (٢)

(١) الْأَنَانَةُ وَالْأَنَانِيَّةُ : لَفْظَانِ صَاغَهُمَا الْمُحَدِّثُونَ مِنْ لَفْظِ أَنَا ، لِمَعْنَى الْأَثَرَةِ .

(٢) الْوَيْدَانُ : الطَّبْعُ وَالْعَادَةُ .

عبد اللطيف بإشبا المنديل

عبدُ اللطيفِ بفضلِهِ جعلَ الوري
ورثَ المكارمَ عن أبيه وجدّه
في الوجهِ منه ملامحٌ عربية
في البصرةِ الفيحاءِ مدّ لبيته
فطريده فيها أذلُّ مُطرَد
حرُّ الضميرِ مؤيَّد بقطانة
إن قال حقًّا قاله بصراحة
لم يخش لومة لائمٍ وعذول

إلى السباعي

وقال وهو في دمشق جواباً عن كتاب أنابه به ابن سني
السباعي الدمشقي من أبيه ، يتضمن أبياناً من الوزن والروي :

إلى الرجل أنكرت إلى السباعي
فتى أحبته قبل التلاق
ونكنى رأيت له سليلاً
ويحسب من دماثته جباناً
فقلت وقد رأيت به إباء
فشكراً يا سليم على نظم
فأنس غربتي وأسا جروحي
وما أنا للثناء بمستحق
ولكن حسن ظنك بي دليل
فدمت بحسن معيكت المعالي
كتاب أخ نعهد أخيه راع
وكم حبّ تولد من سماع
كريم سجيّة وطويل باع
على ما فيه من خلق الشجاع
كذلك تكون أشبال السباع
بعثت به مغترب مضاع
ونفس كُرْبتي وشفى صداعي
وإن أعطيت ملكة انيراع
على ما فيك من كرم الطباع
قريب العين مشكور المساعي

عفو بعد نفي

أُنشدَها عمر الصالح أحد أصدقائه في القدس ، وذلك
عند قدوم عمر من مكة بعد أن نفي إليها سياسة :

أحرزت يا عمرُ المفاخرَ كلها فالبسُّ من العلياء ما تختارُ
أما البلادُ فقد حَمَيْتَ ذِمَارَها لما أضاع ذِمَارَها الأشرارُ
ولقد رعيتَ عهودَها فتَنَوَّلْتَ في الناس عن رعيانك الأخبارُ
فإذا جرى ذكر الحمية بعد ذا أثنت عليك مواطن وديارُ
ولئن نفوك فإن نفيك لم يكن عارا عليك وأين منك العارُ
بل قد نفوك لأنَّ أبيتَ هوانهم والنفي من دار الهوان فخارُ
هاجت لمَنفأك الحفايظُ فاعتمدت كالبحر هاج بلجَه تيسارُ
شرفٌ لعَكة أن رأيت بك ما جِدا بعلاه تفخر حميرٌ ونزارُ
فالتقدس حاسدة عليك ربوعها والمسجد الأقصى عليك يغارُ
ولقد عفوا وهم الجُنَّة وإن عفا عنك المسيء فعموه استغفارُ
ندموا فسُميتِ الندامة عندهم عفوا وذلك منهم استكبارُ
أهلاً بمَقْدَمِكَ الذي بسروره سيء اللثامُ وسرَّت الأحرارُ

الترامواي في الاستانة

سنة ١١٩٠

مرَّ الترام فقليل أركب فقلت لهم ذل امرؤ كان مرْكوباً له الكسَلُ
أما ترى وضعاف الخيل تسحبُه كأنه جبل في الأرض ينتقل
يَحْكِي السُّلْحَفَاءُ في عَرَض الطريق وقد

أُمسَتْ بها في التَّائِي يُضْرَب المَثَلُ

ترى به أوجهَ الرِّكَّاب عابسة من فوقها ضجر من تحمُّها مَلَلُ
في جانبيه وفي أعلاه قد كتبوا بيتاً تمثِّل في إنشاده الأولُ
« قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزَّلَلُ »

لقيتها في الطريق

لقيتها في الطريق عابرةً يَهْضِرُ من قدّها تَبَخُّرُها
أعجبتها مَنْظري وأعجبنى بالحُسْنِ عند اللقاء مَنْظَرُها
فصار قلبي بالحبِّ يأمرني وقلبيها بالغرام يأمرها
وحين مرّت والشوق يُسَكِّرني بخمرة تارةً ويُسَكِّرُها
لَفْتُ جِيدي أرى أَتَنْظُرُني والتفتتُ لي ترى أأنظُرُها
فقلت والشوق فيّ ملتهب إن عذرتني فسوف أعذِرُها

الدين والوطن

لا يَحْدَعُنْكَ هِتَافُ القومِ بالوطن فالقوم في السرِّ غيرُ القومِ في العلنِ
أُحْبِوْهُ الدينَ رَكَّتْ من تقادِمْها فاعتاض عنها الوريَّ أحيوْهُ الوَطَنَ^(١)
فما لهم غيرَ صيد المال من غرض في اليوم والغدِ والماضي من الزمنِ
لم يقصدوا الخيرَ بل يستدرعون به رميا إلى الشرِّ أو قصداً إلى الفتنِ
فإن تهاون قومٌ فانهظر شغباً إذ ليس هدنتهم إلى على دخنِ

الحياة والأداة

وَطَنُ حَيَاتِكَ للمكارِهِ وارْتَقِبْ كَدَرَ المَوَارِدِ إن صفا لك مَشْرَبِ
كل الأماكِنِ للأداةِ مِظَنَّةُ حتى السماء تدبُّ فيها العقربِ

قالها لما أفتى بكفره بعض من يدعى العلم في بغداد ، وذلك لإنشاده قصيدة
« في مسرح التمثيل » أذكر فيها تشديد القوم على النساء في الحجاب .

يأيها المفتي بكفيري	مهلاً فقد جئت بأمر نكير
بأى جهل فيك مستأصل	علمت يا جاهل ما في الضمير
وذاك أمر ليس تلتأشه	إلا يد الله العليم القدير ^(١)
لو كنت ذا مجد لأصأتك من	هجاننا الأيام نار السعير
بل أنت وغد لا تبالي الهجا	وهكذا كل لثيم حقير
وإنما تغتاز من هجوننا	يفدر ما تغتاز منه الحمير

في معرض الشكر

لقد جرّبتُ أصدق أصدقائي	فلم أرَ قطُّ أصدق من صلاح
فتىً أمّا نداهُ فصوبُ مزن	وأما خلقه فشذا الأقاليم ^(٢)
به آل الباييديّ باهوا	كما باهى بهم هو في السماح
أشدُّ من الحضمّ يده مدّا	وأقذف منه بالدرر الصّحاح ^(٣)
نقى العارضين له جبين	أغر كأنه فلق الصباح ^(٤)
سديدُ الرأي طلق الفكر حرّ	طلوب للعلى سهل النجاح
كريم ما اقترحت عليه إلّا	وقد غلبت فواضله اقتراحى
أيا من شدّ في بيروت أرزى	وآنس غربتي وشفا جراحي
سأبلغ فيك غاية كل شكر	وإن قصّرتُ نحوك بامتداحى

(١) انشاهه : جذبه واستخرجه .

(٢) الصوب : المطر . والمزن : السحاب . المطر . والشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة .

(٣) الحضم : البحر العظيم .

(٤) العارضان : صفحتا الحد .

عند لعبة البيلارد

وفي الألعاب لم ترَ قطَّ عيني
تجول بمسّطيل الشكل عال
فبيضاوان تندفعان جسرياً
ينال الضربُ إحداها فتجري
فتنبعث الثلاث مُدحرجات
يُدحرجهنَّ أغلّة ظراف
بأيديهم عصيّ مُشرعات
فكان إذا انحني للضرب منهم
ورُبّة ضربةٍ لما تَنَنَّى
وكانت توبةً لي عن مجون
فلستُ وقد تجدد لي غرام

كمثل اللَّعب بالأكبر الثلاثِ
لطيف صنّعه حسنُ الأنثا
إلى حمراءِ بادية اللّهاثِ
لضرب الآخرين بلا لِيَاثِ^(١)
وقد حصل اصطدام بانيعات
نسيتُ بهم مُغازلة الإناثِ
مُهَيَّاةً لضرب واحتِثاثِ
غلامٌ هاج شوقى وهو جاثِ
ليُضربها تَنَنَّى بانحناثِ
فعادت من هواه إلى انتكاثِ
أبلى لوم السّنة رِثاثِ

السما الوطني

قالها لما أُنديء السما الوطني ببغداد :

لو جعلنا كلَّ شيءٍ وطنياً
ولعشنا اليوم في أوطاننا
ولأضحى ناهياً خاملنا
يا بني بغداد هل من بقظة
إن بغداد قضت واجبها
سِنماً أظهر للرائين من

لَقَطَفْنَا ثمر الجَد جَنِيّاً
مستقلين بها عيشاً رَخِيّاً
ولأَمْسَى كلّ ذى فقر غَنِيّاً
لأُمُور تَكسِب القوم رُقِيّاً
مذ أرتكم سِنماها الوطنياً
صور الآداب ما كان خَفِيّاً

(١) اللّياث ، بفتح اللام : اللبث والسكث .

ولقد صوّر في رُقعته غير الأيّام تصويراً جلياً
ولقد قرّب للأُنظار من خِطاط البلدان ما كان قصيًّا
يُبرّج الناظر فيه أنه يُقرأ المكتوب فيه عربيًّا
يا بني بغداد لا عُذر لكم إن أتيتم بعد هذا الأجنبيًّا

عند نشر المعاهدة

نَشَرُوا المعاهدة التي في طيِّها قِيدٌ يَعَضُّ بأرجلِ الآمالِ
قد أبلعونا حبة استعبادنا لكن مموّهةً بالاستقلال^(١)
والعهد بين الإنكايِز وبيننا كالعهد بين الشاة والرُّبَّال^(٢)
من ذا رأى ذنب الذئب مصافِحاً بتودُّدٍ حملاً من الأحوال
لكنهم خافوا انفكّاك قيودنا فاستوثقوا منهم^(٣) بالأقوال
كتبوا لنا تلك العهود وإنما وضعوا بها قفلاً على الأغلال
شأت أكف موقَّعها إنهم حلّت عليهم لعنةُ الأجيال
هب أنهم أمِنوا انفكّاك قيودنا أفيأمنون تقلّب الأحوال

وزراء المعارف عندنا

وَمَحَّ المعارف لا يَسْتَوِزُونَ لها إلا الذين لَوِزَ الجهل قد وَزَرُوا
فأى حرمة علمٍ هم قد انتهكوا بذأ وأى زمام للعلی خَفَرُوا
هَبهم قد احتفرونا في مواطننا سياسةً فَعَلَامَ العلمِ يُحْتَقَرُ
يا قومُ ما بالكم لا تغضبون له أليس فيكم فتى للعلم ينتمصر
تالله قد أنزلونا شرَّ منزلة لا الزنج ترضى بها منهم ولا النور

(١) مموّهة : مخلوطة ، أو مطبوعة ، أو مزينة . (٢) الرُّبَّال : الأسد ، أو الذئب .

قيصر معلوف

في آل معلوف الكرام خلأني
ولم مآثر في البلاد جلية
يأبى الزمان دوال دولة مجدهم
رجل رأيت به الفضائل تغلى
وحيت في بيروت منه ميذا
صغرت به عندي الكرام لأنه
إني لأشكره على إفضاله
أما حليته الفتاة فإنها
ما أحسن الحسنين إذ جمعا بها
غرث يضيء بها الزمان الأكد
أيدى المطاول عن علاها تقصر
ما دام فيهم ذوالسكارم قيصر
والجد ينمو والعالى تكثر
ما إن تصور مثله المتصور
في كل مكرمة أجل وأكبر
والحر للهدب يشكر
بدر بأفاق الجبال منور
نفس مهذبة ووجه أزهر

إلى أمين كاملة

وكتب له أمين كلمة أحد أدباء بيروت فأجابه :
حيّ الأمين الذي طابت مغارسه
مشهورة في ربا لبنان غرته
قد جاء بالشعر يطربني فقلت له
أوسعتني منك ترحيبا وتكرمة
وتلك شيمة من كانت خلأته
قل للألى يقصدون اليوم تخطتي
من مت منكم إلى قوم بنسبته
ونسبة العلم والآداب لحنها
أليس لبنان بالآداب مشتهرا
فإن نزلت بواد منه منتجعا
في منبت النبع لاني دنبت العرب (١)
من آل كاملة صيابة العرب (٢)
شكرا لفضلك إذ أحسنت ظنك بي
لما خططت لديكم رحل مغترب
مصوغة من صميم الجدد والحسب
مستغربين إلى لبنان مننسبي
فقد متت إلى لبنان بالأدب
أقوى لمنسب من لحنمة النسب
من العلوم وقول الشعر والخطب
فقد نزلت بواد ممرع خصب (٣)

(١) النبع : شجر صلب تتخذ منه السهام والقيس ، والعرب : شجر ضعيف .
(٢) صيابة العرب : خيارهم . (٣) اتجمع الرعي : ارتاده باحثا عن البكلا ، والمعرب : الخصب .

إلى عبد الوهاب النائب

أنشد حضرة العلامة عبد الرهاب أفندي النائب في بعض
مجالسه ببغداد البيت الآتي ولم يكن الرصافي حاضرا :

إن فاخترت بلدة يوما بشاعرها فإن شاعرنا في الشرق «معروف»
فبلغ ذلك الرصافي ، فكتب إليه الأبيات الآتية :

قل لعبد الوهاب النائب العلاء مة الخبر مُنجِب النجباء
إن أكن شاعرا فذلك من يد عى ببغداد أعلم العلماء
أى فضل للشعر لولا علومهم قومت من قناته العوجاء
إن بين الشعر المَقُول وبين العلم بونا كأرضنا والسماء
ما ادعى الشعر عالم قط لكن يدعى العلم أشعر الشعراء

إلى أولى الأمر

وقال يخاطب رجال الحكومة ببغداد سنة ١٩٢٢ :

يا مُبْعِدِيَّ بظلم عن مناصبهم	وقاطعين إلى ما أبتغى طرقي
علمت كل خفي من ضمائرهم	وما علمت الذي ترضون من خلق
ماذا يوافقكم من شأن صاحبكم	حتى يكون لديكم نائز السبق
إن كان عقل فإني عاقل فطين	أو كان حق فإني أحق الحق
فجربوني تفوزوا عند تجربتي	بما تريدون من طيش ومن نزق
وإن أبيتم سوى من عرضه دنس	فلمست معكم على شيء بمشفق
لا أبعد الله غيري عن مناصبكم	إني بتدنيس عرضي غير مرتزق



العدل — يا مبعدى بظلم عن مناصبهم

المصور البارع

إن فنَّ التصوير قد صار فيه أسعدُ بارعاً بغير نظير
حمل الشمس للأنام بكفٍّ وبأخرى صناعة التصوير
وأنى يُبدع البدائم للناس من بفتن من الرسوم خطير
لم يفته من صورة المرء حتى ما بها من علائم التفكير
فتراها كأنها ذاتُ فكرٍ هي عنه تهمّ بالتعبير
وترى عند حزنها ذات حزنٍ وترى في السرور ذات سرور
لك يا أسعدُ الفخار ولا زلت جديراً بالفخر جدّ جدير

الأغنياء والفقراء

أرى أغنياء الناس كالعمى لم يروا شقاء بني غبراء من كل بائس^(١)
كأن الغنى والفقير نور وحندس ولم يروا في النور من في الحنادس^(٢)

(٢) الحندس : الظلام الشديد .

(١) الغبراء : الأرض ، وبنوها : الناس .

الجهل فضاح

ما أقبح الجهل يُبْدَى عيب صاحبه للناظرين وعن عينيه يُخْفِيهِ
كذلك الثوم لم يَشْمَمَهُ آكله والناس تشتم نثنّ الريح من فيه

حمام الوزارة

ألا بلغوا عنى الوزير مقالةً له بينها لو كان ينجل تَوْبِيخُ
أراك بحمام الوزارة نُورَةً وأما جناب المستشار فزَرْنِيخُ

رخص المناصب

نحن قوم من الدراويش نَغْنَى عندنا عن مدارس بِتَكِيهِ
رَخُصْتُ عندنا المناصبُ حتى قد شَرَوْهَا بِسُبْحَةِ وَبَلْحِيهِ

الناس والملوك

عجبتُ للناس فى الدنيا فحالتهم مع الملوك صريحُ العقل يَجْدُّهَا
إنّ الملوك لكالأصنام ماثلةً الناس تَنْحِتُهَا والناس تَعْبُدُهَا

منزلة المعلم في المجتمع الإنساني

إذا كان جهلُ الناس مدعاةً غيِّهم	فليس سوى التعليم للرشد مُلِمُّ
فلو قيل من يستنهض القوم للعلم	إذا ساء محيَّاهم لقلتُ للمعلم
معلمُ أبناء البلاء طيبهم	يداوى سقام الجهل والجهل مُسَقِّم
وما هو إلا كوكب في سمائهم	به يهتدى السارى إلى المجد منهم
فلا تبخسنَّ حقَّ المعلم إنه	عظيم كحق الوالدين وأعظم
فإن له منك الحِجَا وهو جوهر	وللوالدين العظم واللحم والدم
ألا إنما تعلِّمنا الناس واجب	وإن على الجهَّال أن يتعلَّموا
وما أخذ الله العهود على الوري	بأن يعلموا حتى قضى أن يعلموا

أم سرى

زار الرصافي صديقه السكاكيني في القدس ، فارتجل
عنده هذين البيتين يخاطب بهما قريبته السيدة سلطنة :

أطاعك منه ما عصى الناس أجمعًا	أم سرى أنتِ سلطنة البهّا
سوى أن كلَّ الحُسن فيه تجمعا	ولم ير نقصاً في مُحْيَاك ناظري

الحزب الحر العراقي

لما تهي بعض أعضاء الحزب الوطني وحزب النهضة ، وسدت
نوادي هذين الحزبين ، قال الرصافي مخاطب الحزب الحر الموحد :

قولوا للحزب تسمى الحرّ معتدلاً هل أنت من بعد نفى القوم معتدلاً
وهل لما حلّ بالحزبين باكية عيناك أم أنت مسرور به جدلاً
تالله ما أنت حرّ في مظالبة وإنما أنت للحكّام معتدلاً^(١)
وما سعت إلى حقّ لتذكره بل أنت للامر في مسعاك ممثلاً^(٢)
قد احتملت من التاريخ لعنته لله درك ماذا أنت تحتمل

وبلغ الرصافي أن رئيس الحزب الحر قال إذ سمع بهذه الأبيات :

• نحن لا نبالى بمثل هذه الأقوال القارعة • . فقال الرصافي :

قال ذو الحزب إذ أتاه مقالي نحن لسنا بما يقال نبالي
صادق في الذي أدعاه وأنى يألّم الميث من جروح النضال
إنما تجزع الكرام من الدّم وتخشى الأجداد لدعّ المقال

المسلم المصلح

قالها في صديقه الشيخ عبد القادر المغربي ، أحد أركان
الحزب الوطني بدمشق ، وأتخذها إليه من زحالة :

للمعربي بأرض الشام منزلة ممتازة في نوادي العلم والأدب
المسلم المصلح الهادي بفكرته إلى الحقيقة أهل الشك والريب
قد غاص في لجج الأديان مجتهدا فاستخرج الدرّ لم يعياً بمخشك^(٣)
وجال جولةً حبر في منابتها فاستخلص النبع حياً داعن الغرب
لوسار كلّ بني الإسلام سيرته لما شكوا في حياة سوء منقأب
أوجال كلّ أولى الأديان جولته لما تكون باسم الدين من شغب
إني لأمدحه بالحق عن ثقة والمدح بالحق غير المدح بالكذب

(٢) ممثّل : مطيع .

(١) معتدل : مصطنع .

(٣) المخشك والمخشك : بفتح الميم : كلمة عراقية نبطية ، وهي اسم لما يشبه الدر من حجارة البحر ، يعمل منه خرز أبيض يشاكل اللؤلؤ ، وهو أردؤه وأقله قيمة (عن شفاء الغليل ونجاح العروس) .

نجل عبد اللطيف

كتب عبد اللطيف باشا المنديل إلى صديقه جناب المستر « منك » مضمون
الشكر في بغداد ، كتاباً وصف به له حالة ابنه الصغير ، وأنته بفتح عين
العمر أن صار يشر بيده ، ويتكلم بكلام لا يفهم إلا هو ، فطلب المدير
المشار إليه إلى الرضا أن يقول على لسانه آياتاً في المعنى ، فقال :

نجل عبد اللطيف وهو نجيب	كيف لا يظهر النجابة طفلاً
إن يكن غير واضح القول لفظاً	فكلام التعجب يفهم عقلاً
كلما قال أو أشار فمعنى	قوله أنه عاقل سمعني
إن آل المنديل قوم كرام	قد زكوا في الأنام فرحاً وأصلاً
نجل آل المنديل غير عجيب	أن يكون النجيب طفلاً وكهلاً
أيها النجل عش لتجديد مجد	قد بنته لك الأوائل قبلاً

عبد الوهاب النائب

على لربنا الوهاب أتى	أواصل شكره وأديم حمده
وذاك إذا يعاملنا بلطف	فيشفي « النائب » الفضل عبده
ليُرشدنا إلى سبيل المعالي	فنقصده في ابتغاء المجد قصده
هو الخبر الذي وجدت منهاها	بغاة مكارم الأخلاق عنده
تردى المجد من أدب وعلم	وطرز بالمعالي العز برده (١)
يودك في الرخاء وداد حر	ولا ينسأك إن دهمتكَ شدة
أطال بقاءه الرحمن فينا	وأكثر فضله وأدام سعده

(١) تردى المجد : اتخذته رداء .

إلى أمير الكمنجة

صاح قم بي إلى أمير الكمنجة أصدق النابغين في الفن لهجة
قم بنا نستمع إلى نغمتي تملأ الأنفس انتعاشاً وبهجة
ولحون كالصبح إن هي فاضت تغرق الروح من سرور بلجة
ذاك سامي الشوا الذي قد سما في فلك الفن بالغاً منه أوجه
هو في فنسه الرفيع إمام موضح للأنام منه المحجة^(١)
كل من سار في طريق الأغاني يقتفي إثره وينهج نهجه
ما أمراً الأنامل الخمس بالأو تار إلا ألقى على القوم رجة
نعمة منه تجعل القوم كالبحر — ر يمجون موجه بعد موجه
ويميلون باتجاه إليه — أينما مال ضارباً أو توجه
بطل الفن هز رمح ابتداغ راكزا فوق هضبة المجد رجة
وبكأس الفخار أسقى صرفاً من كمال تعود الناس مَرَجَه
فلتفاخر بلاد يعرب فيه سادة الفن في بلاد القرنجة
يا أميرا في الفن صار مليكا حامل الصولجان وهو الكمنجة
شهد الله أن كل حياة لم تزنها بدائع الفن سمجة

(١) المحجة : جادة الطريق أي وسطه .

(٢) الزجاج : الحديدة التي في أسفل الرمح ، وفي الكلام استعارة لا تخفي .

إلى محمد الرضا

إني لأشكر من محمد الرضا
 شعرا غدت على «جرير» فأخرا
 قد دبجته براعةً لمحمد
 هي في التفنن ريشةً لمصور
 لو كان في كف «الرضي» نظيرها
 وكأنما يومَ الفخار هديرها
 وكأنما يومَ الرثاء صريرها
 أما ذكاء ابن الخطيب «محمد»
 وافق جواهره على يد «جواهر»
 يأبى الرجل الذي بكتابه
 إني لأشكر منك خلافاً فضلاً
 وقريحة ما زدت في استنباطها
 ولقد نظرت إلى منك بنظرة
 شعراً ذكرت به زماناً قد مضى
 فيه ورحلت عن «الفرزدق» معرّضا
 أخذت تقيم من القريض مقوّضا
 ولدى القراع هي الحسام المنتضى^(١)
 حسد الرضي بها أخوه «المرتضى»
 صوت الرعود لها دوى في الفضا
 صوت الحمام ينوح في وادي الغضا
 فشيء برق لاح أو نجم أضأ
 وبها رأيت مذهّباً ومفضّضاً
 للود منى بالقريض تعرّضا
 يدني أحبته ويقصى المبعضا
 إلا وزادت بالقريض تفيضاً
 فيها الثناء وهكذا عين الرضا

(١) القراع : المضاربة في الحرب بالسيوف ، والمنتضى : المسلول .

خاتمة الرئيس ووسام الرافدين

أُنشِدت في الحفلة التي أقيمت في البلاط الملكي ، بمناسبة ما أنعم به
جلالة الملك على خاتمة رئيس الوزراء ، من وسام الرافدين ، من
الدرجة الأولى ، وذلك يوم ٢٦ آذار ١٩٣٢ :

تَهْ يَا وَسَامَ الرَّاغِدِينَ بِصَدْرٍ مِنْ هُوَ فِي الْعُلَى الرَّاغِدِينَ وَسَامُ
نُورِي السَّعِيدِ أَبُو صَبَاحٍ مِنْ بِهِ سَعِيدُ الْعِرَاقِ فَتَعَرَّهْ بَسَامُ
قَدْ أَنْعَمَ الْمَلِكُ الْمُطَاعُ بِهِ لِسُكَى يَزْدَانُ فِيهِ وَزِيرُهُ الضَّرْغَامُ^(١)
يَا حَبِذَا ذَاكَ الْوَزِيرُ وَحَبِذَا أَنْتَ — مَلِكُ الْمُطَاعِ وَحَبِذَا الْإِنْعَامُ
زَيْهِ الْوَسَامِ بِصَدْرِهِ فَكَأَنَّهُ تَاجُ الْمَلِكِ يُحْمِلُهُ الْإِعْظَامُ
صَدْرُهُ إِذَا الْخُطْبُ أَدْلَمَ تِلْكَ الْأَتُّ فِيهِ السَّجَايَا الْغَرَّ وَالْأَحْلَامُ
وَإِذَا تَنَهَّدَتْ الصُّدُورُ لِحَادِثٍ بَدَتْ الشَّجَاعَةُ مِنْهُ وَالْإِقْدَامُ
لَيْسَ التَّفَاخُرُ بِالْوَسَامِ بِهِمَّةً وَلَوْ أَنَّه افْتَخَرَتْ بِهِ الْأَقْوَامُ
بَلْ هُمُّهُ أَنْ تَسْتَقِلَّ حُكُومُهُ وَيَتِمَّ فِي أَمْرِ الْبِلَادِ نِظَامُ
فَعَلَى الْبِلَادِ مِنَ الرَّئِيسِ تَحِيَّةً وَعَلَى الرَّئِيسِ تَحِيَّةً وَسَلَامُ

في بيروت

في مجمع كوكب الشرق

وَمَجْمَعُ جَامِعِ ضَاعِ الْغَنَاءِ بِهِ ضِيَاعُ شَعْرِي فِي قَوْمِي وَأَوْطَانِي
تَلَاطَى الْمَوْجُ فِيهِ وَهُوَ مِنْ لَفْطٍ حَتَّى أَصَمَّ عَنْ الْأَلْحَانِ آذَانِي
فَقُلْتُ أَسْمَعُ فِيهِ بِالْعَيْنَيْنِ فِيهِ وَقَدْ يُغْنِي عَنِ الْأُذُنِ طَرْفُ الْفَتَى رَانِي
كُلَّا تَرَاهُ عَلَى عَرْفِ الْقِيَانِ غَدَاً بِالزَّهْدِ يَلْعَبُ مَشْغُولاً مَعَ الثَّانِي
فَلَمَّ هَارِكٍ بَيْنَ الْقَوْمِ فِرْقَةً كَالْمَلِيحِ يُحْرِقُ مَذْرُوراً بَنِيْرَانِ^(٢)
كَانَ الْغَنَاءُ كَرَأْيِي حِينَ أُعْلِنَهُ وَسَامِعُوهُ كَقَوْمِي عِنْدَ إِعْلَانِي

(١) الضَّرْغَامُ : الْأَسَدُ .

نهاد قرّة الأعين

إلى حضرة الفاضل نور الدين يهيم

كان مذ قال واهب الأولاد	لهم باد	كن
فاستمرت بحمدّها المزداد	تنطق	الأسن
لاح بدرًا له بأفق النّادي	طلعة	تخصن
أولد النور منه الوفاة	بهجة	الأعين
نهر بيروت منه باليلاد	فاخر	الأردن
هو في آل بيهم الأعجاد	نعمة	الأعصن
كان عيدًا لهم من الأعياد	في مدى	الأزمن
إنّ تاريخه « حياة نهاد	قرّة	الأعين »

سنة ١٣٤١

ذات الشعر الأبيض

ومليحة أوصافها	تدعو القلوب إلى التصابي
بيضاء أمّا شعرها	قبّلات أنوار الشباب
قد لاح يصرب للبيا	ض وذا من العجب العجاب
كشعاع أنوار النجوم	م إذا تلالاً باضطراب
يمتد فوق جبينها	كضياء متقضّ الشّهاب
فكان غرة وجهها	بدر تكلل بالسحاب
أو قرص شمس قد تجلّل	بالرقيق من الضباب

رقة قولى

وغرّرت رقتى فى القول قومًا فعادونى وكنت لهم صديقًا
وما علموا بأنّ رقيقَ قولى يكون لدى التّماحكِ مِنْجَنِيْقًا^(١)
وما موجُّ البحار يكون إلا لكون الماء سَيّالًا رقيقًا

جو بيروت

جوّ بيروت فى الشتاء دَفِيٌّ مانع من نوازل الأسقام
فإذا ما تَوَاتَرَ الغيثُ فيه خِلْتَنِي فى مَغاسِلِ الحَمَامِ
وعلى القرب من مغانيه جوّ ثغره من ثلوجه فى ابتسام
يجعل الجسم فى ارتجاف فيُمسِي فيه نطق القصيح كالْتَمْتَامِ^(٢)
وكذا الحسن فى الأماكن بالأضداد تبدو أوصافه للأنام

على مقابر الشهداء

حيّ هذى القبور إن كنت حيًّا عاملاً بالفضيلة الغراء
إنما الميت كل من لا يُحيّ باحترام مقابر الشهداء
واحترامُ الأموات حتم وإن كانوا بعادا فكيف بالقرباء
لا تقل هذه الرّجَامُ قبورٌ بل تماثيلُ نَجْدَةٍ وإباء
إنما هذه القبور تُرينا كيف حب الأوطان فى الأحياء

(١) التّماحك : النزاع فى الكلام . والمنجنيق ، بفتح الميم وكسر ها : آلة ارى الحجارة على الحصون .

(٢) التّمّام : الذى لا يحسن نطق الحروف ، وخاصة التاء ، فيلجج فيها .

منيرة^(١)

هل سمعتم «منيرة» مذ أفاضت من بديع الغناء في كل فن
 مذ أقرت برقصها كل عين واسترقت بصوتها كل أذن
 رقصها يُرقيص القلوب على أن غناها عن الزامير يغنى
 هي إن أقبلت بثنية عطف^(٢) أقبلت بالمهفف المظمن^(٣)
 وهي إن أدبرت بهزة ردف^(٤) أدبرت بالمرجرج المرججن^(٥)
 خلق الله صوتها العذب كيا يعرف الناس كيف حُسن التغنى
 وبرها مشوقة القد كيا يعرف الناس كيف حسن التثني
 بنت فن غنت لنا فسقتنا من أفانين لحنها بنت دن^(٦)
 سحرتني مذ أقبلت تنني فكأن مذ أقبلت لست مني

يطلب جلنارا

وظي جاء يطلب جلنارا يحاكي لون وجنته احمرارا^(٧)
 وقد ملك الخلائق ملك أسر وأوثق في قلوبهم الإسارا
 بقدر أخجل السمر اعتدالا وطرف أوجل البيض اقتدارا
 فقلت وما انكليم سوى فؤادي وقد آنست في خديه نارا^(٨)
 فديتك كيف تطلب جلنارا وفي خديك أبصر جلنارا

(١) هي مغنية عراقية .

(٢) العطف : جانب العنق ، ويقال مرثاني عطفه : إذا أعرض عن الناس متكبها ،
 والمهفف : الدقيق الحصر .

(٣) الردف : العجز . المرجرج : المتحرك المهتز . والمرججن : المهتز أيضا .

(٤) الردف : إناء الحمر . (٥) الجلنار : زهر الرمان .

(٦) السكليم : المجروح . والسكليم أيضا موسى عليه السلام .

اسمعى لى كلاما

اسمعى لى قبل الرحيل كلاما ودعيني أموت فيك غراما
هاك صبرى خذيه تذكرة لى وامنحى جسمى الضنى والسقاما
لست ممن يرجو الحياة إذا فا رق أحبابه ويخشى الجلاما^(١)
لاك ياظبية الصريمة طرف^(٢) شد ما أوسع القلوب غراما^(٢)
حب ماء الحياة منك بشعر طائر القلب حول سمطيه حاما^(٣)
شغل الكاتبين وصفك حتى لادويا أبقوا ولا أقلاما
كلا زاد عاذلى فيك عذلا زدت فى حسنك البديع هياما
أفأخطى برورة منك تشفى صدع يلبي ولو تكون مناما
رب ليل بالوصل كان ضياء ونهار بالهجر كان ظلاما
قد شربت الشهاد فيه مداما وتخذت النجوم فيه ندأى^(٤)
ما لقلبي إذا ذكرتك يهفو ولعيني تدرى الدموع سجاما
إن شكوت الهوى تلعثمت حتى خلعتني فى تكلمى تمناما

وقال فى عود انكسر

قلبي عليك حليف الوجد ياعود كم شنت أذنى منك الأغاريد
كنت أفتديتك لو يفدى الندى حكمت
فيه المقادير أن يلقاه تنكيد
فكم بدت نعات منك مطربة هزت بها طربا حتى الجلاميد^(٥)
تعيد ياعود بالأوتار إن نطقت ميت المسرة حيا وهو ملحد
كأن أرواحنا عند استماعك من لطف لمن عن الأجساد تجريد
فكيف نالتك أيدى الدهر كاسرة وأنت فى الدهر بالأذان معبود

(١) الحمام: الموت . (٢) الصريمة : قطعة ضخمة من الرمل تنقطع عن سائر الرمال
(٣) العقد : السمط . (٤) المدام : الخمر .
(٥) الجلاميد ، جمع جلمود ، وهو الصخر الشديد .

ضاق الخناق

أقول لهم وقد جدَّ الفراقُ رويدكم فقد ضاق الخناقُ
رحلتم بالبدور وما رحتم مشوقاً لا يَبُوحُ له اشتياقُ^(١)
فقلبي فوق أروسيك مُطار ودمعي تحت أرجلكم مُراق
أقال الله من قودٍ لحاظاً دماء العاشقين بها نراقُ^(٢)
وأبقى أعيناً للغيدِ سوداً ولو نُسيتُ بها البيض الرقاقُ^(٣)
متى يصحو الفؤاد وقد أدبرت عليه من الهوى كأسٌ دهاقُ^(٤)
وليس الناس إلا من تصابٍ وإلا من يشوق ومن يشاق
مررنا بالنازل موحشات لهوج الرامسات بها اختراقُ^(٥)
كأن لم تُصنني فيها كعاب ولم يُضرب بساحتها رواق
فعجبتُ على الطاول بها مكباً أسائلها وقد ذهب الرقاق
كأنى بين أطلال المغان أميرٌ عضَّ ساعده الوثاق
حديد بارد في اللوم قلبي فليس له إذا طُرِق انطراق

وصف البدر عند الاقتراب

كأن البدرَ صحن من لجينٍ بدا فجلاً برؤته الهوما
به ارتقت الملائكُ الأعلى وراحت فيه تلتقط النجوما

(١) باخ : فتر وسكن .
(٢) القود : إعطاء الدية .
(٣) البيض الرقاق : كناية عن السيوف .
(٤) كأس دهاق : ملائ .
(٥) الرياح الهوج : الشديدة ، والرامسات : التي تأتي بالتراب ، فتدفن الأشياء تحته .

إلى أم كلثوم

أم كلثوم في فنون الأغاني أمة وحدها بهذا الزمان
 هي في الشرق وحدها ربة الفن فما أن للفن رب ثاني
 ذاع من صوتها لها اليوم صيت عم كل الأمصار والبلدان
 ما تفتت إلا وقد سحرتنا بافتتان لها وأي افتتان
 في الأغاني تمثل الحب تمثيلا صريحا بصوتها الفتان
 يتجلى في لحنها مشهد الحب ولون الوصال والهجران
 فتريك الحب عند التئاني وتريك الحب عند التذاني
 وتريك الحبيب عند افتراق وتريك الحبيب عند اقتران
 كل هذا في صوتها يتجلى من خلال الأنغام والألحان
 صفحات من الغرام تراها ظاهرات في صوتها للعيان
 تنشد الشعر في الغناء فتأتي بلحون مطابقات المعاني
 فاذا أنشدت عن الوصل أبدت فيه لحن السرور والجدلان
 وإذا أنشدت عن الهجر جاءت بلحون تدعو إلى الأحزان
 كم سقتنا كأس السرور بلحن وبلحن كأسا من الأشجان
 تفهم الروح منطق الحب مما تنغني به بلا ترجمان
 فكأن الأنغام في الصوت منها ناطقات لنا بغير لسان
 قد سمعنا غناءها فعرفنا كيف فعل الغناء في الانسان
 حسن صوت يزينه حسن لحن فيه للسامعين حسن بيان
 نبرات في صوتها مشجيات تترك السامعين في هيجان
 تسترق القلوب منا بصوت نعيد الحسن منه بالأذان
 كل لحن إذا سمعناه منها دب فينا ديب بنت الحان

في وقار الخليم تجعلنا طورا وطورا في خفة النشوان
نتفانى في الاستماع إليها ونرى لذة لنا في التفانى



أمير الشعر الرصافي مع أميرة الغناء أم كلثوم

وترانا نهتز حين تغنى وكأن الأرواح — إذ تتعالى
هي في مرتقى الأغاريد تعلو حين تشدو ونحن في خطران
يشعر المرء حين يصغى إليها بغير من صوتها روحاني
بنت فن غنت لنا فسقتنا من فنون الغناء بنت دنان
هكذا فلتكن يد الفن عليا هكذا فلتكن على الفنان

أيتها الكعاب

فتنتِ الملائك قبلَ البَشَرِ وهامتُ بكِ الشمسُ قبلَ القمرِ
وسُرَّ بكِ السَّمْعُ قبلَ البَصَرِ وغنَّى بكِ الشَّعرُ قبلَ الوترِ
فأنتِ بحسبكِ بنتُ العِبرِ
تَرِفُ لِمَرَآكِ رُوحُ الغرامِ ويَهْوَى طُلُوعَكَ بَدْرُ النَّامِ
ليطلعَ مثلكِ بالإحتشامِ ويرقُبَ خَطَرَةَ هذا القِوَامِ
لكيما يَهْبُ نَسِيمُ السَّحَرِ
تميلُ بِقَدِّكَ خمرُ الدَّلَالِ فيضحكُ في مَيْلِهِ الاعتدالُ
وفيكِ ارتقى الحُسنُ عرشَ الجلالِ ومنه العقولُ غدت في عِقَالِ^(١)
وكم قد نَهَاها وكم أَمَرَ
إذا الوجهُ منك بدا للغيانِ له سَجَدَ العشقُ يَرجو الأمانِ
ويَجْجَلُ من نُورِهِ النَّيرانِ ويَعْنُو له جَبُوتُ الزَّمانِ^(٢)
ويَخضعُ حتى القضا والتقديرُ
بكِ الحُسنُ أُلِيسَ ثوبَ الكَمالِ فأنتِ الحَقِيقَةُ وهو الخيالُ
وأنتِ مَلِيقَةُ ملكِ الجِمالِ ونو صَوْرُوكِ بَلُوحُ المِثَالِ
لكنكِ مَلِيقَةُ كلِّ الصُّورِ
يروحُ الشِّتَاءُ وتَصْحو السَّما ويأتِي الرِّيعُ بِمِثْلِهَا تَمَنَّا^(٣)
فيطلعُ فوقَ الشَّرى أَنجُمَا ويبتسمُ الزَّهَرُ بَعْدَ النِّمَّا
فأنتِ ابتسامَةُ ذاكِ الزَّهَرِ

(٢) يعنو : يخضع .

(١) العقال : القيد .

(٣) نغم : زخرف .

فَطَرَفَكَ بِالْفَتْرِ كَمْ قَدْ رَوَى نَشِيدَ غِرَامٍ يَهْدُ الْقَوَى ^(١)
وما أنت شاعرة في الهوى ولكنما الشعر فيك انطوى
قَايَةَ حَسَنِكَ إِحْدَى الْكُبَرِ
لِسَانِكَ بِسَحَرٍ فِي ظَرْفِهِ وَجَفْنِكَ يَفْتِنُ فِي ضَعْفِهِ
وَقَدُّكَ يَحْظُرُ فِي لَطْفِهِ فَيُطْبِئُ رِدْفَكَ فِي وَصْفِهِ
وَيُوجِزُهُ خَصْرُكَ الْمُخْتَصِرِ
سَقَتِكَ الْكَعَابَةُ صَفْوُ الشَّبَابِ وَغَطَّى مَحْيَاكَ مِنْهَا نِقَابِ ^(٢)
فَأَنْتِ إِذَا قَمْتَ لِلْإِنْسِيَابِ تَبَخَّرْتَ فِي خَفَرِ وَالْكَعَابِ ^(٣)
تَضِيءُ كَعَابَتِهَا بِالْخَفَرِ ^(٤)

وقال يهجو بعض المرائين من المشايخ

سَوَّدَ اللَّهُ مِنْكَ يَا شَيْخَ وَجْهًا غَشَّ حَتَّى بِاللَّحْيَةِ السُّودَاءِ
لَوْ تَنَفَّنَا مِنْ شَعْرَهَا وَغَزَلْنَا لَنَسْجُنَا خَمْسِينَ ثَوْبَ رِيَاءِ

جاهل متكبر

وَشَامَخَ الْأَنْفَ مَا يَنْفَكُ مُكْتَسِبًا ثَوْبَ التَّكَبُّرِ فِي مُجْبُوحةِ النَّادِي
قَدْ لَازِمَ الصَّمْتِ عِيًّا فِي مَجَالِسِهِ كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ نُوَابِ بَغْدَادِ

الطفل الملتحي

مَعَارِفُ بَغْدَادَ قَدْ جَاءَهَا مَدِيرٌ مِنَ الطُّلُوشِ فِي مَسْرَحِ
حِمَارٍ وَلَكِنَّهُ نَاطِقٌ وَطِفْلٌ وَلَكِنَّهُ مُلْتَحِي
فِي أَيِّهَا الْعِلْمِ عَنْهَا ارْتَحِلْ وَيَأْيِهَا الْجَهْلُ فِيهَا اسْلُخْ ^(٥)

(١) افتقر : الكون والضعف . (٢) الكعابة : بروز ثدي الفتاة .
(٣) الخفر : الحياء . (٤) سلخ : تغوط وتبرز .

فاسق مرء

أو جاهل يدعى العلم

- أيوسف ما إن أنت من فحل هجمة^(١) وليكن من الشؤل الطؤالب للفحل^(١)
 لأن كنت تنمى للبطاء فإنه عطاء الذى تزكو الورى فيه بالبحل
 وإن كنت قد كفرتنى بجهالة قبلتهت كم كفرت من مسلم قبل^(٢)
 وإنك فى تكفيرك الناس كافر تهلون بالله الذى جلّ عن مثلى
 رؤيدك قد كفرت يا وعد مؤمنا وكذبت فيما تدعى سيد الرسل
 وأنت امرؤ لم تجهل العلم وحده بل الجمل أيضاً بل وجهلك بالجهل
 وأنت من الإسلام فى كل حالة بمنزلة الظلم الصريح من العدل
 نطقته ببطل القول تهذى ممخرقا ومثلك من يهذى وينطق بالبطل^(٣)
 ألسنت الذى أعطى اللثام كرامة وكشرف فيه الأصل عن أربع عصل^(٤)
 وكقرطست فىك الرماة ووترت عليك القسي الملس يا جعبة الذبل^(٥)
 فباعلج أقصر عن مهيقك إنه أضل كإضلال الخوار من المعجل^(٦)
 أنزه عنك السيف فى قنلك الذى تحتم لكن يا مخنث بالنعل

الأرض

- كأنى بهذى الأرض قد حان حينها فطاحت بأبعاد الفضاء شظايا^(٧)
 ونادت بأصوات الفناء فجأجها وناحت على أطودهاها حملايا^(٨)

(١) الهجمة : ما بين الأربعين أو السبعين إلى المئة من الإبل ، والشؤل : النوق التى رفعت أذيالها طلباً للفحل .

(٢) البهت : الكذب والافتراء . (٣) مخرق : كذاب .

(٤) العصل : الأنابيب الصلبة الموجهة . (٥) قرطس : أصاب الهدف .

(٦) العالج : الرجل الضخم القوى من كنفار المعجم .

(٧) الحين : الملائكة .

(٨) الفجاج : جمع فجج : وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلتين ، والأطواد : جمع طود

وهو الجبل العظيم . وحملايا ، ويقال حملايا : أعلى جبال الدنيا . فى الشمال من الهند .

أيها المشنوق

وقال قيس بن خنق في الاستبانة من أول الثورة الرجعية ،
التي حدثت في ١٢ مارس سنة ١٣٢٥ :

يا ما كنا وهو مشنوق على عهد	لأنت أبلغ من نادى ومن خطبا
كم فيك بأيها المصلوب من عبر	للناس حزن من أملى ومن كتبها
إذ قتت تطلب شيئا أنت جاهله	طوعا لمن خان أو سمعا لمن كذبا
طالبت بالشرع حتى قد قتلت به	كذلك من جهل الشيء الذي طلبا
ولو أجبته إلى ما أنت طالبه	لأصبح الشرع يدعو الويل والحرابا ^(١)
يا ظالم الشعب مظلوما بفعلته	عليك أم منك يبكي الشعب منتحيا
قد قتت للشر لا للشرع منتصبا	حتى علوت به في الجو منتصبا
فاشكر علوك إذ علو به وطن	قد كدت تورد من فعلك العظبا
يا مفسدا قام تحت الدين مستترا	ليجعل الأمر في البلدان مضطربا
أنظر إلى ذلك المصلوب متعظا	فإنما قتله في الشرع قد وجبا
وآية الله في التنزيل قائلة	من كان يفسد في أوطانه ضلعا

بين اليأس والرجاء

ترى مقتلتي ما ليس تملكه يدي	وما زلت أسعى منفض الكف محوجا
أرى باب رزقي من بعيد مفتحا	فأنتيه ولاجأ فألقيه مرتجا
وأيأس أحيانا وأرجو فلم أكن	لأملك من شيء سوى اليأس والرجا

(١) الحرب ، بفتح الراء : الهلاك والويل .

جواب عن كتاب

قَسَمًا بِالْإِلَهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ قَلْبِي عَنْ حُبِّكُمْ مَا تَحْتَلِي
لَا وَلَا عَنْ هَوَاكَ لِي مِنْ سُلُوبٍ طَرَدْتُ مُهْجَتِي السَّوَاءَ فَوَلَّى
أَنْصُرُ الْعَازِلِينَ ثَابِتَ حَبِي وَكَفَى شَاهِدًا بِدَمْعِي عَدْلًا
مَا عَسَى أَنْ يَضُرَّ إِنْكَارُ شَيْءٍ وَهُوَ كَالشَّمْسِ فِي الْعِيَانِ تَجَلَّى
عَذَلُونِي فَمَا سَمِعْتُ قَقَالُوا : أَنْتَ سَأَلِي عَنْ حُبِّهِمْ ؟ قُلْتُ : كَلَّا
كَيْفَ يَسْأَلُونَ عَنْ حُبِّكُمْ ذُو قُوْدٍ قَدْ تَلَا شَيْءٌ فِي حُبِّكُمْ وَاضْمَحَلَا
لَمْ يَزَلْ فِي الْوَدَادِ يَرْقُبُ قَلْبِي ذِمَّةً فِيكُمْ وَعَهْدًا وَإِلَّا^(١)
أَيُّهَا الْمُنْطَلِقُ مَوْنُ الْمَعَالِي فَائِزًا مِنْ قِدَاحِهَا بِالْمَعَالِي^(٢)
نَسِمَاتٌ مِنَ الْمَسْرُورَةِ هَبَّتْ وَهَلَالٌ مِنَ السَّعَادَةِ هَلَا
يَوْمَ وَافَى إِلَيَّ مِنْكَ كِتَابٌ فِيهِ آيَاتُ فَضْلِكَ الْجَمُّ تَسَلَّى
قِيلَ لِي : هَاكَ مَا يَزِيدُكَ شَوْقًا قُلْتُ : أَهْلًا بِمَا أَتَيْتَ وَسَهْلًا
قَالَ : نَلْتَ الْمُنَى، فَقُلْتُ : جَمِيعًا قَالَ : لَوْلَا فِرَاقُهُمْ : قُلْتُ : لَوْلَا

الغنى عنى النفس

لَا تَشْكُ النَّفْسُ يَوْمًا عُسْرَةَ الْحَالِ وَإِنْ أَدَامَتْكَ فِي هَمٍّ وَبَنَابَلٍ
وَجَانِبِ الْيَأْسِ وَأَسْلُوكِ الرَّجَا طَرِيقًا فَالْدَهْرُ مَا بَيْنَ إِدْبَارِهِ وَإِقْبَالِ
وَارَكِبْ عَلَى صَهَوَاتِ الْجَدِّ مَغْتَرِبًا فَمَا تَحَاوَلِ ذَا حَلٍّ وَتَرَحَّالِ
وَاطْلُبْ عَلَى عِزِّهِ بَيَاضَ الْأَنْوَقِ وَلَا تَطْلُبْ لَعَمْرُكَ أَنْ تَحْظِيَ بِمُفْضَالِ
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الَّذِي غَلَّتْ أَنْعَامُهُ إِمَّا بِأَغْلَالِ شُحٍّ أَوْ بِإِقْلَالِ

(١) الإل : العهد .

(٢) الذنون جمع منى ، وهو الظهور .

كم قد غدوت على الأيام منتدباً
أفعلهم دون أن يغري الرجاء بها
من كل هي بن بي لا ثبات له
كم بات ذو الحق خلوا في مضاجعه
هذا يَمِيس بأبراد مفوَّقة
قوماً أضعت بهم شعري وآمالى
لكن أقوالهم أقوال أقيال^(١)
جعد اليدين قشول غير مفعَّال^(٢)
وبات ذو العقل فيها كلف البال
وذا يخيط شظايا طمره البالى^(٣)

وقال

شوقى إليك قريب لا ينائبنى
ياراحلاً وفؤادى فى حقييته
تركنتى فى شجونى للورى مثلاً
أقفوا الملاح لكى أسلو هواك بهم
والصبر عنك بعيد لا يدانى
رهنأ لديه ولكن غير مضمون
يُميتنى الوجد والأشواق تُحيينى
فيرجع الحُسن منهم فيك يغرينى^(٤)

شكر على صنيع

شكراً لفضل ممجد أهدى إليه نظم شعري
فاق الأماجد وامتطى بالعز صهوة كل فخر
إنى اختبرت بنى الزمان جميعهم فى كل أمر
وسبرت غورهم لدى السحَّالين من عسر ويسر
وبكفت تجربتى لهم قلبتهم بطنا اظهر
فَوَحَقَّ من أرجوه فى دفع الخطوب وكل ضر
ما إن رأيت بهم فتى حسن السريرة مثل (شكرى)
المرتقى فى المسكر ما ت إلى المقام المشمخر

(١) الأقيال : جمع قبال ، وهو لقب للملك الصغير دون الملك الأعظم فى بلاد اليمن .

(٢) رجل هي بن بي : أى مجهول لا يعرف هو ولا أبوه .

(٣) ماس : مسمى فى اختيال . مفوفة مقوشة بنقوش بيض . الطمر : الثوب البالى .

(٤) أقفو : أتبع .

برعى الذمار على كلاً الحائنين من سر وجهه
 إذا الإخاء المستقيم — ر — وذا الوفاء المستمر
 جاء الكتاب إلى منك به شفقت غليل صدرى
 فإليك يا (شكرى) على هذا الصنيع عظيم شكرى
 وقال

(١) لَبِيتُ بِهِنَّ رَوَامِسُ الْأَرْوَاحِ	لَمَنِ الدِّيارُ يَبْحَثُ فِي الصَّحْصَاحِ
(٢) فِي الْعَيْنِ أَخْفَى مِنْ دَرِيسِ نَصَاحِ	عَبَثَتْ بِهَا أَيْدَى الْبَلَى فَتَرَكَنَهَا
(٣) شَجَرَاتٍ وَادِيَهَا وَهْنُ ضَوَّاحِ	وَلَقَدْ وَقَفْتُ بِهَا الْمَطَى مُسَائِلًا
(٤) كُنْتُ إِلَيْهَا غُدُوْتُ وَرَوَّاحِ	أَقْتَفَى آثَارًا لَهَا مِنْ دَوَارِسًا
هَطَلَتْ مَدَامِعُ طَرْفِ السِّفَاحِ	لَمَّا تَبَيَّنْتُ الْمَعَالِمَ هُمْدًا
(٥) غَدَقًا بِكُلِّ عَشِيَّةٍ وَصَبَاحِ	فَسَقَاكَ مَرْتَكِزُ الْغَلَامِ صَوْبَهُ
عَنْهَا وَأَمْسَتْ مَوْحِشَاتُ بَطَاحِ	حَيَّ الدِّيارِ وَإِنْ تُحْمَلْ أَهْلُهَا
وَالشَّمْلُ تَجَمَّعَ يَدُ الْأَفْرَاحِ	عَهْدِي بِهَا وَالْعَيْشُ أَخْضَرَ نَاعِمِ
نَبَتَتْ بِكُلِّ رَوْضَةٍ وَأَقَاحِ	مَعْنَى أُنَيْقًا لِلْحَسَنِ وَرَرْضَةٍ
بِهَضِيمِ خَصِرِ جَالٍ تَحْتَ وَشَاحِ	كَمْ قَدْ لَثَمْتُ بِهَا الْمَرَاشِفَ آخِذَا
(٦) لَمِيَاءُ تُرْشِفُنِي شَمُولُ الرَّاحِ	وَلَكُمْ لَهَوْتُ مِنَ الْحَسَنِ بَغَادَةٍ
مَا شِئْتُ مِنْ لَعَبٍ بِهِ وَمَزَاحِ	هَلْ عَائِدٌ زَمَنٌ أَتَيْتُ مَعَ الْمَهَا
(٧) رُؤْدُ الشَّبَابِ مِنَ الْخَرَادِ رَدَّاحِ	قَدْ بَتَ فِيهِ ضَجِيعُ كُلِّ غَرِيرَةٍ
فَرَسُ الشَّبَابِ وَهِيَ ذَاتُ جِمَاحِ	أَيَّامَ تَحْضُرُنِي بِمَضَارِ الصَّبَا

(١) الصحاح : المستوى الأجرد من الأرض . والروامس . التي تأتي بالتراب فتدفن فيه ما تقابله والأرواح : الرياح .

(٢) الدريس : البالي . والنصاح : ما يخطأ به الثوب من خيط ونحوه .

(٣) الضواحي : البارزات للشمس . (٤) أقتاف : أتبع .

(٥) المرتكز : المقيم الثابت . والصوب : المطر . والندى : الكثير .

(٦) اللمياء : السوداء الشفة ، وهي محبة لدى العرب . ترشفي : تسقيني . والشمول : الباردة .

(٧) الغريرة : غير المجربة . والرؤد : الشابة الحسنة . والخراد : الأبكاء . والرداح : الثامة الخاق .

ومنها في وصف بعضهم :

رَكَّضُوا بِمِيدَانِ التَّحَايُودِ خَيْلَهُمْ	وَسَبَّوْا مِنَ الْأَعْرَاضِ غَيْرَ مُبَاحٍ
لَبَسُوا النِّفَاقَ لَهُمْ دُرُوعًا وَاعْتَدُوا	يَتَطَاعَنُونَ مِنَ الْخَنَاءِ بِرِمَاحٍ
أَضْحَوْا كُفَاةً وَشَايَةً وَسَعَايَةً	وَمِنَ الضَّغَائِنِ هُمْ شُكَاةٌ سِلَاحٌ ^(١)
كَالْجَاهِلِيَّةِ غَيْرَ أَنَّ مُغَارَهُمْ	فِي نَهَبِ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَجُنَاحٍ ^(٢)
إِصْلَاحُهُمْ أَغْيَا الْعُقُولَ لَأَنَّهُمْ	خُلِقَتْ مَفَاسِدُهُمْ لغير صَلاحٍ
مِنْ كُلِّ مَرْتَكَبِ الشَّنِيعِ وَلَمْ يَكِدْ	يَنْتَنِيهِ عَنْهُ إِذَا لَحَاهُ اللَّاحِي
أَهْدَى بِطَرُوقِ الْمُخْزِيَّاتِ مِنَ الْقَطَا	وَأَضَلُّ مِمَّنْ آمَنُوا بِسَجَاحٍ ^(٣)

ليالى الأانس

ذَكَرْتُ وَأَسْتُ فِي الذِّكْرِ بِنَاسٍ	لِيَالِي بَيْتَيْنِ بَيِّنَتَيْنِ حَاسٍ
بِنَادٍ تَزْدَهِيكَ بِهِ انْتِظَامًا	مُقَابِلَةً الْأَسْرَةِ بِالْكَرَاسِي
بِهِ اجْتَمَعَتْ غَطَارِفَةُ كِرَامٍ	أَبْوَا شَيْمِ التَّخَالُفِ وَالشَّمَّاسِ ^(٤)
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ رَشَاءٌ رَخِيمٌ	يُغَازِلُ مُقْلَتَيْهِ قَمُ النَّعَّاسِ ^(٥)
بِرَاحٍ فِيكَ تَبْتَعُ ارْتِيَا حَا	وَتَنْسِفُ طَوْدَ هَمِّكَ وَهُوَ رَاسِي
يَسِيبُ لِمَرْجَبِهَا بِالمَاءِ وَقَدْ	تَسْكَدُ تَهَمُّ مِنْهُ إِلَى اقْتِبَاسِ
تُمِيتُ هُمُومَ شَارِبِهَا سُرُورًا	فَتَقْدِرُنَّ فِي حُفْرِ النَّعَّاسِي

- (١) الكفاة : جمع كفى ، وهو البطل الشجاع يلبس الدروع ، والشكاة بضم الشين : جمع شاك ، أى شاكى السلاح ، وهو من الشوكة والحدة .
- (٢) المغارة : الاغارة ، والجناح : الأثم .
- (٣) القطا : نوع من الطير اشتهر عند العرب بمعرفته الطريق ، وسجاح : هو ممن تبتثوا كذبا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .
- (٤) الغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد الكريم ، والشماس : المخالفة والعناد .
- (٥) الرشأ : ولد الظبي ، والرقيم : الرقيق .

وصاحِ وَجَّهَ الندماءَ كَأَسَا إليه فقال : لست لها بحاس
وغالى فى الإباءِ فَمَارَسُوهُ فَلَانَ أَيْبُهُ بعد الميراس
فقال وقد مشت فيه ودبت ديبَ الماءِ فى وَرَقِ الغراس^(١)
لَعَمْرُكَ إِنْ فى الصَّهْبَاءِ معنًى دَقِيقًا ليس يُعرَفَ بالقياس

الشمس

كَأَنَّ الشَّمْسَ باخِرَةً تَخُورُ تُجِدُ السَّيْرَ فى بحرِ الفضاء
ستغرق بعد حين باصطدام يمزق جِرمها أو بانطفاء^(٢)

رئيس الدائنية

الشيخ محمد أبو عبيد الدائني

الدهرُ بينَ فى كتابِ شهادةٍ بالنورِ فوق جبينه مكتوب
إِنْ السَّاحَةِ والشَّجَاعَةِ والعُلَى جُمِعَتْ لَعَمْرَى فى أبى عُبُوب
شَهْمٌ تَوَلَّعَ بالعطاءِ بَنَانُهُ مثلُ الرياحِ تولَّعتْ بهُبوب
أَسَدٌ نَمَّتْهُ لآلِ قَيْسٍ فى العُلَى آباءِ مجدٍ ليس بالمكذوب
ورث المكارم عن أبيه ولم يزل يسمو بصارمِ عَزْمَةِ المرْهُوب
ما زال يُوقِدُ كلَّ يومٍ فى الورى نارَيْنِ نارِ قِرَى ونارِ حروب^(٣)
يَهْدِيْ جَمْعَ المُدْلِجِينَ لَسَبِيهِ فى الليلِ ضوءٌ لهيبتها المشُوب^(٤)
خُلِقَتْ من الحسبِ الصِّمِيمِ أَكْفُهُ لعنانِ سَابِقَةٍ وكشفِ كروب
تَحَدَّثَ وَقَائِعَهُ السِّیُوفُ بِكُفِّهِ والخيلُ كلُّ مُطَهَّمٍ يَعْبوب^(٥)

(١) الغراس : النبات مغروسا فى الأرض . (٢) الجرم : الجسم .

(٣) القرى : ما يقدم للضيف . (٤) المدجج : السائر الليل كله أو آخره .

(٥) المطهم : التام الحسن ، اليعبوب : الفرس السريع الطويل .

إنَّ شَنَّ فوق ظُهورهنَّ إغارة
يَبْقَى الفوارسَ والسكينةُ دِرْعُهُ
فخرُ الكرامِ على المكارمِ والنَّدَى
للجُودِ مغلوباً تراه ولم يكن
يتفقد الأضيافَ ملءَ دياره
كالعبدِ يخضع للضيوفِ وإنه
عمَّ الأراملَ واليتامى سَيِّبُهُ
خُلِقَ الكريمُ ابنُ الكرامِ محمدٌ
تالله لو كان الكرام بلاغة
ترك العدوَّ بلوعة المَحْزُوبِ^(١)
ويخوض نَحْرَ الموتِ غيرَ هَيُوبِ
قامت دعائمُ بيته المضروبِ
للجيشِ في الغزواتِ بالمغلوبِ
عند الصباحِ وعند كلِّ غروبِ
في القومِ أكبرُ سَيِّدٍ مَعْصُوبِ^(٢)
فغدَّتْ تعيشُ بماله الموهوبِ
لسرورِ محزُوبٍ وجَبْرِ قلوبِ
كان الكريمُ المُعْجَزُ الأسلوبِ

راقم

وما أدراك ما راقم

أَقِمُ في الأرضِ صَرْحاً من ضياءِ
وبعدُ فجَسَمَ العرفانَ شخصاً
وفي يُسْرَاهُ ضَعَّ لَوْحَ المعالي
وأجْلِسَهُ على الكرسيِّ يَمْحُو
وقفَ وارْفَعْ إليه الطَّرْفَ وانظرْ
بِحَيْثُ يَمَسُّ كُرْسَى السَّماءِ^(٣)
تردِّي المجدَ فَضْفاضَ الرِّداءِ
وفي يُنْمَاهُ ضَعَّ قَلَمَ الذِّكَا
وبُثِّتَ ما يَشَاءُ من العلامِ
فذلك راقمٌ رَبُّ الدَّهَاءِ

• • •

أَلَا يَا كَعْبَةَ الفضلاءِ يا من
أهمُّ بأنَّ أُحِيطَ بهنَّ وصفاً
وأُقَدِّمُ أنْ أُنَمَّ عَلاكَ مدحاً
فضائلُهُ عَظُمْنَ بلا انتهاءِ
ومن لى بالإحاطة بالفضاءِ
فيرجعني عَلاكَ إلى التوراءِ

(٢) معصوب : متوج .

(١) المحروب : المصاب بالشمه .

(٣) أصرح : البناء الدالي .

وَمَا تَقَدَّتْ ذِكَاكَ بِنَا يَدَانِي
لَأَنْتَ فَوْقَ تَوْفِيَةِ الثَّنَاءِ
وَلَوْ كَانَتْ أَشْعَثُهَا تُحَاكِي
ذِكَاكَ يَا إِمَامَ الْأَذْكِيَاءِ^(١)
بِفِكَرِكَ دَوْحَةُ الْعِرْفَانِ تَنَمُو
شِعَاعُكَ مَا انْكَسَرْنَ مِنَ الْهَوَاءِ
وَأَقْسَمَ لَوْ تَكُونُ مِنَ الدَّرَارِي
كَذَا الْأَدْوَاخِ تَنَمُو بِالضِيَاءِ^(٢)
وَلَوْلَا الصَّبْحُ يَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ
لَكُنْتَ الشَّمْسُ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ
لَقَلْتُ الصَّبْحُ أَنْتَ بِلَا مِرَاءٍ

نقش على الماء

أَرَى عَيْشَنَا تَأْتِي الْمُنُونُ امْتِدَادَهُ
كَأَنَّا عَلَى كَيْسِ الْمُنُونِ نَعِيشُ
وَمَا زَالَ وَجْهُ الْأَرْضِ يُوَسِّعُهُ الرَّدَى
لَطَامًا وَهَاتِيكَ الْقُبُورُ خُدُوشُ
كَأَنَّ انْقِلَابَ الْأَرْضِ مَاءٌ كَأَنَّا
عَلَى الْمَاءِ مِنْ رِيحِ الْحَيَاةِ نَقُوشُ
لِحَا اللَّهِ دُنْيَا كُلَّ يَوْمٍ بِأَهْلِيهَا
يَهْدُ حَصُونٌ أَوْ تُثَلُّ عُرُوشُ
تَرْوِحُ سَهَامِ الْعَيْشِ فِيهَا طَوَائِشُ
وَالْمَوْتُ سَهْمٌ لَا يَكَادُ يَطِيشُ
تَمُدُّ إِلَى قَطَافِ الْمُنَى وَهِيَ جَمَّةٌ
مِنْ الْعُمُرِ كَفًّا لَا تَكَادُ تَنْوِشُ^(٣)
وَنَرْجُو مِنْ سَيْفِ الرَّدَى رَجَائِنَا
جَرَاحَاتُ يَأْسٍ مَا لَهْنُ أُرُوشُ^(٤)
وَأُجِلهُ يَوْجِهِ الْعَيْشُ لَوْلَا يَكُنْ بِهِ
حَتَانِيكَ مِنْ ظُفْرِ الْخَطَرِ نُخُوشُ
دَهَانَا لِرَايِ الْمَوْتِ سَهْمٌ مُقَرَّطَسٌ
تَجْجِيفُ بِأَدْوَاءِ الْحَيَاةِ مَرَبِشُ^(٥)

(١) ذِكَاكَ : الشمس .

(٢) الدَّوْحَةُ : الشجرة العظيمة .

(٣) تنوش : تمتد .

(٤) الأروش ، جمع أرش : دية الجراحة

(٥) المقرطس : المسدد للهدف ، التجفيف : السهم العريض النصل ، المرش ذو الرش .

لَعَمْرُكَ إِنْ الدَّهْرَ تَغْلِيْ خَطْوُهُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا لِلْخَلَائِقِ مَنْضُجٌ
كَأَنَّ جِيُوشَ الْمَوْتِ رَافِقَةٌ بِنَا
وَمَنْ نَظَرَ الدُّنْيَا بَعَيْنِ اعْتِبَارِهِ
وَإِنْ عَوِيلَ الصَّارِخِينَ نَشِيشٌ^(١)
لَهُ مِرْجَلٌ بِالْحَادِثَاتِ يَجِيشُ
فَتَزْحَفُ مِنَّا لِلْحُرُوبِ جِيُوشُ
تَسَاوَتْ مُهُودٌ عِنْدَهُ وَنُعُوشُ

هوة الموت

كَأَنَّ حَيَاتِنَا جِبَلٌ مُّطَالٌ^(٢)
مَشِينًا فَوْقَهُ عُيَا فَظَلَّتْ
كَأَنَّ فُضَاءَ هَذَا الْكَوْنِ بَحْرٌ
وَنَحْنُ لَدَى تَمَوُّجِهَا كَأَنَّا
تَبَيَّنَ تَارَةً وَتَغَيَّبَ أُخْرَى
فَشَأْنَاهَا التَّفَرُّقُ وَالشَّتَاتُ
عَلَى مَهَوَاتِهِ وَهِيَ الْمَمَاتُ^(٣)
تَهَاوَى نَحْوَهُ هَوَاتِهِ الْمَشَاةُ
تَمَوَّجٌ فِيهِ هَذِي الْكَائِنَاتُ
فَوَاقِعُ ظَاهِرَاتٍ خَافِيَاتٍ^(٤)
فَشَأْنَاهَا التَّفَرُّقُ وَالشَّتَاتُ

وقال

رَقَّتْ بِوصفِ جَمَالِكَ الْأَقْوَالُ
وَهَبَ إِلَهِهُ بِكَ الْجَمَالَ تَجَمَّلًا
كُلَّ الْعَيُونِ إِذَا بَرَزَتْ شَوَاحِصُ^(١)
وَإِذَا الْخَلَى رَأَى عَادَ بِمُهْجَةٍ
كَمْ قَدْ سَفَرَتْ فِي الْقُلُوبِ تَوَلَّهُ
فَرَمَوْكَ بِالْأَبْصَارِ وَهِيَ كَلِيلَةٌ^(٢)
رَبَطُوا الْأَكْفَ عَلَى ضُلُوعِ تَحْتَهَا
لَوْ كُنْتَ فِي أَيَّامِ يُوسُفَ لَمْ تَكُنْ
وَرَأَيْتُكَ فَأَفْتَدَيْتُ بِكَ الْعُدَالَ
حَتَّى كَأَنَّكَ لِلْجَمَالِ جَمَالٌ
كَيْفَا تَرَكَ وَغَضَّيْنِ مَحَالٍ^(٣)
لَا وَجَدَ مَخْتَرَقٌ بِهَا وَجَمَالٌ
لَمَّا رَأَوْكَ فِي الْعُقُولِ خَبَالٌ
مِنْ نُورِ وَجْهِكَ نُورَهُنَّ مُدَالٍ^(٤)
بَيْنَ النَّوَاضِرِ وَالْقُلُوبِ جِدَالٌ
بِجَمَالِ يُوسُفَ تُضْرِبُ الْأُمَثَالَ^(٥)

(١) النشيش : صوت الماء وغيره إذا غلى .

(٢) المهوى : موضع الهوى ، أى السقوط .

(٣) والفواقع : الفقايع .

(٤) شواخص : ناظرات .

(٥) الكليلة : المنعبة ، ومذال : مهان .

وَأَقْطَعْتَ دُونَ الْأَكْفِ قُلُوبَهَا شَوْقًا إِلَيْكَ مَعَ النِّسَاءِ رِجَالُ
كَمْ قَدْ يَجُورُ عَلَى جَهْوَنِكَ سَقَمُهَا كَسْرًا وَتَجْهِدُ خَصْرَكَ الْأَكْفَالُ
عَجَبًا لَطَرَفِكَ وَهَوَا ضَعْفِ مَا أَرَى يَرْنُو فَتَرْهَبُ فَتُكْه الْأَبْطَالُ

وقال

قَامَتْ تَمِيسُ بِأَعْطَافٍ وَأَوْرَاكِ رَقِصًا عَلَى نَعَاتِ الْقَوْلِ الْحَاكِ
حَوْرَاءُ جَاءَتْ وَكَلُّهُ فِي مَسَرَّتِهِ لَاهٍ وَرَاحَتُ وَكَلُّ طَرْفُهُ بَاكِ
شَكُوتٍ مِنْ خَصَرِهَا ضَعْفًا وَقَلْتُ لَهَا

مَلِيكَةَ الْحُسْنِ هَلْ عَطَفْتُ عَلَى الشَّاكِي
فَاسْتَضَحَكْتُ وَهِيَ تَجْنِي الْوَرْدَ قَائِلَةً

مَا أَحْسَنَ الْوَرْدَ قُلْتُ : الْوَرْدُ خَدَاكِ

وَقُلْتُ : أَهْوَى قُمَا لِدَالٍ وَمِنْ تَهْوَى ؟ فَقُلْتُ لَهَا : إِيَّاكَ إِيَّاكَ
وَاسْتَحْلَفْتَنِي عَلَى قَلْبِي فَقُلْتُ لَهَا : يَهْوَاكِ ، إِي وَجَلَالَ الْحُسْنِ يَهْوَاكِ
سَحَرْتُ بِعَيْنِيكَ يَسْتَهْوِي الْقُلُوبَ وَمَا يَنْفَكُ فِي هَتِكَ عُبَادٍ وَنُسَاكِ
يَارَبَّةَ الْحُسْنِ هَلَّا تَعْطِفِينَ عَلَى مِنْ بَاتَ سَهْرَانٍ مَشْغُولًا بِذِكْرَاكِ
مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ فِي الدُّنْيَا لَوِ انْتَصَلَتْ أَسْبَابُ دُنْيَايَ مَعَ أَسْبَابِ دُنْيَاكِ
الْحُسْنُ يَفْتَنُ وَالْأَلْحَاطُ فَاتِكَةُ وَاحْيَرْتَنِي بَيْنَ فِتْنَانٍ وَفِتْنَاكِ
تَهْفُو بِقَلْبِي أَشْوَاقِي فَأَمْسِكِهِ لَمَّا أَرَاكِ وَهَلْ يَشْفِيهِ إِمْسَاكِ
إِنِّي وَعِنْدِي بَكْنِهِ الْحُسْنُ مَعْرِفَةُ مَا رَاقَنِي قَطُّ مِنْ شَيْءٍ كَمَرَاكِ
أَمْسَى غَرَامُكِ يَجْرِي فِي عُرُوفِ دَمِي كَالْكَهْرِبَاءِ الَّتِي تَجْرِي بِأَسْلَاكِ

المسكتب

تَصَوَّرْ حَدَائِقَ فِي بَهْجَةٍ	تَرَوْقُ فِي نَضْرَةٍ تَعْجَبُ
تَرَقَّرَقُ فِيهَا مِيَاهُ الْعُلُومِ	جَدَاوِلَ تَجْرَى وَلَا تَنْضُبُ
وَهَبْ عَلَيْهَا نَسِيمَ الْغَمُونِ	يَرْوَحُ وَيَغْدُو بِهَا يَلْعَبُ
فَأَضْحَتْ وَأَرْضَ كَمَالَاتِهَا	بَنَيْتِ الْحَقَائِقَ تَعْشَوْشِبُ ^(١)
وَأَمْسَتْ وَإِنْ ثَمَارَ الْعِلْمِ	لَأَشْجَارِ عِرْفَانِهَا تَنْسَبُ
وَطَارَ الْفَخَارُ بِأَرْجَائِهَا	بِلَالٍ تَغْرِيدُهَا مَطْرَبُ
فَلِمَجْدُ وَجْهِ طَلِيقِ بِهَا	وَالسَّعْدُ ثَغْرِ بِهَا أَشْنَبُ
غَذَاءُ النُّفُوسِ وَطِبُّ الْعُقُولِ	وَحَفْظُ الْجُسُومِ بِهَا يُطْلَبُ
فَتَلِكْ إِذَا مَا تَصَوَّرَهَا	جَلِيًّا كَعَمْرِى هِيَ الْمَسْكَبُ

أُقْبِلْتُ فِي غَلَائِلِ

سَيُوفُ الْحَاطِ أَمْ قَسِيٍّ حَوَاجِبِ	تَرِيشُ إِلَى قَلْبِي سِهَامَ الْمَعَاطِبِ ^(٢)
وَرُبَّ كَعَابٍ أُقْبِلْتُ فِي غَلَائِلِ	وَقَدْ لَاحَ لِي مِنْهَا حُلِيٌّ الْتَرَائِبِ ^(٣)
لَهَا جِيدٌ ظَبِي وَاعْتِدَالٌ وَشَيْجَةٌ	وَعَيْنٌ مَهَّاءٌ وَائْتِلَاقُ الْكَوَاكِبِ ^(٤)
وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنْ أُولَى الْهَوَى	يُنَادُونَهَا فِي الْحَسَنِ بِنْتَ الْعَجَائِبِ
نَضَّتْ عَنْ مُحَيَّاهَا النَّقَابَ عَشِيَّةً	فَأَسْفَرَ صَبْحَ الْحُسْنِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَمَذْنُورَتْ سُودَ الذَّوَائِبِ أَوْ لَجَّتْ	نَهَارَ مُحَيَّاهَا بَلِيلِ الذَّوَائِبِ
تَنَاسَبَ فِيهَا الْحُسْنُ حَتَّى رَأَيْتُهَا	تَفُوقُ الدُّمَى فِي حَسَنِ ذَلِكَ التَّنَاسَبِ

(١) تمشوشب : يذكر فيها العشب .

(٢) ريش الهم : عمل له ريشا . والمعاطب : المبالك .

(٣) الترائب : وهى جم تريبة ، أعلى الصدر حيث يوجد العقد .

(٤) الجيد : العنق ، والشيجة : الرمح ، والمهارة : البقرة الوحشية .

مَمْتَرَةً الْأَجْفَانِ تَدْمِي بِأَحْظَمِهَا قُلُوبَ أَسْوَدٍ مَذْمِيَاتِ الْكِتَابِ
فَلَمْ أُنْسَهَا وَاللَّهِ يَوْمَ تَمَرَضْتُ لَنَا بَيْنَ هَاتِيكَ الظُّبَاءِ السَّوَارِبِ^(١)
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا الصَّبَابَةُ قَبَايَا وَلَا هَمُّتُ يَوْمًا فِي الْحِسَانِ الْكَوَاعِبِ
فَأَصْبَحْتُ فِيهَا ذَا غَرَامٍ وَلَوْعَةٍ وَوَجَدْتُ وَتَهِيَامَ وَهَمٍّ مُوَاطِبِ
وَمَا الصَّبْرُ إِلَّا غَائِبٌ غَيْرُ حَاضِرٍ وَمَا الشُّوقُ إِلَّا حَاضِرٌ غَيْرُ غَائِبِ

كل امرئ وصديقه

تَحَرَّ إِذَا صَادَقْتَ مَنْ وَدَّهَ مَخْضُ يُصَانُ لَدَيْهِ الْمَالُ وَالْدِينُ وَالْعَرَضُ
فَكُلُّ خَلِيلٍ مُنْبِيٍّ عَنْ خَلِيلِهِ كَمَا عَنْ شُثُونِ الْقَلْبِ قَدْ أَبَا النَّبِضُ
وَبِالْعَدَقِ عَامِلٌ مَنْ تُحِبُّ مِنَ الْوَرَى وَإِلَّا فَذَاكَ الْحُبُّ آخِرُهُ بَغْضُ
وَسَامِحٌ صَدِيقًا قَدْ أَسَاءَ بِفَعْلِهِ ثَلَاثًا عَسَى عَنْ ذَلِكَ الْفَعْلُ يَنْقُضُ
وَبَعْدَ ثَلَاثٍ دَعَاهُ غَيْرُ مُسَارِحٍ فَرَقَضُ الَّذِي دَامَتْ إِسَاءَتُهُ فَرَضُ
وَقَوَّ أَسَاسَ الْوَدِّ بِالنَّصِيقِ فَالَّذِي عَلَى جُرْفٍ هَارٍ يُؤَسِّسُ يَنْقُضُ^(٢)
وَإِنْ وَمَضَتْ لِلخَلِّ مَذْكُ سَحَابَةٍ فَلَا يَكُ مِنْهَا خُلُوبًا ذَلِكَ الْوَمُضُ

النفس الأمارة

هَيْتِكَ عَنْ هَوَاكَ فَمَا انْتَهَيْتِ وَلَكِنْ قَدْ فَعَلْتِ كَمَا اسْتَهَيْتِ
فِيَا نَفْسِي عَنْ الشَّهَوَاتِ كَفِي فَأَنْتِ عَلَيكِ يَا نَفْسِي جَنَيْتِ
وَمَا أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ يَوْمًا سَعَتْ فِي الْمُنْكَرَاتِ كَمَا سَعَيْتِ
إِذَا مَا حَكَبَةُ الْحَسَنَاتِ جَامَتْ رَأَيْتُكَ أَنْتِ صَاحِبَةُ السُّكَيْتِ^(٤)
فَإِنْ أَسَدَى إِلَهُ عَلَيْكَ عَفَوا وَإِلَّا يَا فَجَارٍ فَقَدْ هَوَيْتِ

(١) السوارب : جمع سارية ، أى الناهبة ، أى المرعى .

(٢) الجرف : الجانب الذى أكله الماء من حاشية النهر ، الهارى : المنهار .

(٣) ومض البرق : لمع خفيفا ، والحلب : الخادع . (٤) السكيت : آخر خيل الحفبة .

الأنس في غير موقعه كسدر

وصاحب قد دعانا أن نُسلمَ به
في ليلةٍ كانت فيها الحرُّ مُتَقَدِّداً
وكان ذلك في دار يضيق بها
كأنها مفحصٌ تأوى القطة له
فما عهدت طرُّوا قبل زورتيها
ومطربات الأغاني وهي واقعة
مستأنسين بضرب العود والوتر
ترى جهنمهُ الأجسام بالشرر
صدر الأغار يدمن ضيق ومن صغر
أو جحر ضب بأرض صلبة الحجر^(١)
تلقاه من نغمت العود في صجر
في غير موقعها ضرب من السكدر

وقال

إلى كم تصب الدمع عيني وتسكب
أبيت ولي وجد يشب ضرامه
وهل لمشوق خانه الصبر عنكم
ألا إن يوماً جرّد البين سيفه
فيا ليت شعري هل أفوز برؤيتي
وعينيك لأسلوك أو يصبح السهم
فإني كما شاء الهوى بك مغرم
أحنّ إلى رؤياكم كلما سرى
وأذكركم للشمس عند طلوعها
لقد بان صبري يوم بينك إذ قضى
تبصر خليلي في الزمان فهل ترى
ومن نظر الدنيا وجرب أهلها
وحتّام نار البين في القلب تلهب
ودمع له في عارضتي تصب
سوى دمه فهو الدواء الجرب
على به يوم شديد عصب^(٢)
محيّا له كل الحاسن تنسب
وشمس الضحى في ضوئه تتمحجب
وأنت كما شاء الجمال محجب
نسيم وأبكي كلما لاح كوكب
ويعزّب عني الصبر أيا ن تغرب
به صرف دهر لم يزل يتقلب
صفافيه من وقع الشوائب مشرب
رأى القدر من أصدقها يتحلب^(٣)

(١) مفحص القطة : بيتها ، والقطة : نوع من الطيور يشبه الحمام .

(٢) عصب : شديد .

(٣) يتحلب : يسيل .

البصرة

إِيَّاكَ وَالْبَصْرَةَ الْمُضَيَّ تَوَطَّنَهَا (١) فَلَا تَمُرَّنَّ فِيهَا غَيْرَ مُظْلَمِينَ (٢)
لَا تَعْجَبَنَّكَ بِالْأَشْجَارِ خُضْرَتُهَا حُسْنًا فَمَا هِيَ إِلَّا خُضْرَةُ الدُّمَنِ (٣)
مَا إِنْ أَقَامَ صَحِيحٌ فِي مَسَاكِنِهَا إِلَّا وَسَافِرٌ عَنْهُ صِحَّةَ الْبَدَنِ
مَاءٌ زُعَاقِي وَجَوْ غَاثِمٍ وَهُوَ نَبَنٌ وَشِدَّةٌ حَرٌّ غَيْرُ مُؤْتَمِنٍ (٤)
انْظُرْ تَجِدْ كُلَّ أَهْلِيهَا كَأَنَّهُمْ

من السَّقام استحقوا الدَّرَجَ فِي الْكَفَنِ .
صَفَرُ الْوُجُوهِ قَدْ امْتَصَّتْ دِمَائُهُمُ السَّحْمَى وَقَدْ حَرَمَتْهُمْ لَذَّةُ الْوَسَنِ (٥)
وَمِنْهَا فِي هِجَاءٍ بَعْضُهُمْ :

يَلْقَى النَّزِيلَ بَوَّجَهُ قَدْ مِنْ حَجَرٍ لَوْلَا الْعُبُوسَةُ لَمْ يُفَرَّقِ مِنَ الْوَتَنِ
وَمِنْهَا :
أَفِيكَ يَا غَمْرُ بَلَقَى الشَّعْرُ مَأْدَلَهُ يَا خَيْبَةَ الشَّعْرِ بِلِ يَاضِيعَةِ اللَّسَنِ (٦)
بَالِي أَرَاكَ عَلَى الْكَرْسِيِّ مُنْتَفَخًا إِنْ كَانَ فِيكَ اخْتِبَاسُ الرِّيحِ فَاحْتَقِنِ

الحر في أغسطس

قَدْ كَادَ بِالْحَرِّ هَذَا الْيَوْمُ يَصْهَرُنَا إِذْ قَدْ بَدَأَ فِيهِ لِلرَّمْضَاءِ تَسْعِيرُ
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ جَاعَتْ فَهِيَ مِنْ سَعَبٍ تَشْوِي الْجُسُومَ لَهَا وَالْأَرْضَ تَنْمُورُ (٧)

(١) المظلمين : المسافرين .
(٢) الدمن : جمع دمنة ، وهي المذبذبة .
(٣) الزعاقى : الماء الغمر لا يطاق شربه .
(٤) الأمل : الأمل ، واللسن الفصاحة .
(٥) الوسن : النوم .
(٦) السقب : الجوع .

البرد في كانون

لله يومٌ جاء يَلسعُ برْدُهُ فكانَ ذرَّاتِ الهواءِ عَقاربَ
لم تَلقَ شيئاً فيه ليس بجامدٍ إلا احتمالَ البردِ فيه فذائب

معلقة

وقد قالها ارتجالاً

انظُرْ إلى تلكِ المَعْلَقةِ التي سترتْ ظلامَ الليلِ بالأضواءِ
قِطْعٌ مِنَ البَوارِ مُحْدِقةٌ بها يَحْكِيَنَّ شَكْلَ أصابعِ الحِشاءِ
فكانَها بدرٌ تَلالُأٌ في الدُّجى وكأنَّهنَّ كواكبُ الجَوَراءِ
بل قد يُمَثِّلُها الخيالُ كأنَّها قمرٌ أُحيطَ بهالةٌ بيضاءِ

وقال من قصيدة

قد يَطْفَحُ المؤمُّ حتى إن صاحبه يَنسَى الحياءَ فيغدو يدعى الكرمَ
إن الجَهالةَ إن كانت قَدَى بَصَرٍ
رَأَى الضلالَ هُدًى واستَسَمَنَ الورما
ما لِلْعَوَاةِ ارعوا عن غَوَايَتِهِم إن لم يكِ السيفُ يعلو منهم القِصَمُ
كم من أراذلٍ أَطْعَمَهَا سَفَاهَتُهَا حتى ادَّعَتْ وهى أذئابٌ لها الشِّعَمُ
إن عُدَّتِ الوحشُ ما كانت ولا بقرا أو عُدَّتِ الطيرُ ما كانت ولا رخما
ومنها :

وَالنَّاسُ كَالنَّاسِ فِي خَلْقٍ وَبَيْنَهُمُ

فِي الْخُلُقِ بَوْنٌ فَذَا أَرْضٌ وَذَاكَ سَمًا
مِثْلُ الْجَدِيدِ وَمَا امْتَارَتْ حَقِيقَتُهُ وَالْقَيْنُ يَطْبَعُ مِنْهُ السِّيفُ وَالْجَلَمُ (١)

(١) القين : الحداد . والجلم : المقص .

وقال

يهجو بعضهم بقصيدة جاء مطلعها

اللاؤم داء في النفوس عيَاء لم يشف منه سوى الحمام دواء^(١)
ومنها :

لو كان في الدأماء كل عيوبه بل بعضن لأنتن الدأماء^(٢)
ولو أن في كرة الهواء طباعه فسدت فمات بنتها الأحياء
ألفت عليه يد الزمان مخازيا منها تلوح بوجه الفخشاء
وجه أقام الدهر فيه من الخنا سمة فعاد وليس فيه حياء
يا ماشيا يحتال في غلوائه «أطرق كرى» ماهذه الخيلاء^(٣)
هب غفلة الجهلاء عنك طويلة أفلست تعلم خزيك العقلاء

وقال في بعضهم

تجنب من مقيم الرأي قريبا ولا تغتر بالبدن الصحيح
ولا ترض الصديق لحسن خلق إذا ما كان ذا خلق قبيح
ومنها :

وذى سفه أكب على المخازي وما قبل النصيحة من نصيح
تروج المخزيات لديه حتى تباع إليه بالثمن الربيع
أطاف بغيه وأباح شتمى وكان الشتم أجدر بالمبيع
وأغراه الضلال فكان منى كما كان اليهود من المسيح
ومنها :

فئت في نار غيظك مستشيطا فلست من الهجاء بمستريح
سأضرم فيك بالكع الأهاجي كيدان تشب تجاء ربح^(٤)
تجمعت المخازي فيك حتى يعد الهجو فيك من المديح

(١) داء عياء : لا يبرأ منه . والحمام : الموت . (٢) الدأماء : البحر .
(٣) الكرى : مرخم الكروان . وأطرق كرى : أى خفض من اختباك وكبريائك أيها الكروان
وهذا مثل يضرب لمن تسكبر وقد تواضع من هو أفضل منه . (٤) الكع : الشيم .

في المسرح

بدت في مسرح رَحْبِ البَلاطِ بقَضبانٍ مَشْبَكَةٍ مُحاطِ
فجالت من ضفائرها بَنَاجِ وماسَتْ غَيْرَ حَافِيَةِ الرِباطِ^(١)
ولا أنسى تَوَرُّدَ وَجَنَّتِيهَا وقد برزت تَمْسِيسَ على البساطِ
فقلنا وهي تَحْظَرُ في وَقَارِ مَلِكُ الحُسْنِ يَحْظُرُ في البَلاطِ
وقد سجدت لها الأنظارُ لما أرَتنا الحُسْنُ يَرِفُلُ في القَباطِ^(٢)
وكبرنا المُهَيَّمَنَ حينَ راحت تَصُولُ على الضِّياعِمِ بالسِّياطِ^(٣)
سقت أعصابنا خَدَرا وطارت مَرَفِقةً بأجنحة النشاطِ
مشت مشى الحمامة فوق سِلْكِ تَهَوَّلُ عليه أن تخطو الخَوَاطِ
وبارت فوقه خَفَقاتُ قَلْبِي بحالتى ارتفَاعِ وانحِطاطِ
فَخَلَّناها وقد خَلَبَتْ نُهَانا تُعَلِّمُنا الجَوَارَ على الصِراطِ

شكر ووداع

أَعِزَّنِي لسانًا أيها الشعرُ للشُّكْرِ
وإن لم تُطِقْ شُكْرًا فلا كُنْتَ من شِعْرِ
وَجَنَّتِي بنور الشمس والبدرِ كى أَرى
بِمَعْنَاكَ نورَ الشمسِ يُشْرِقُ والبدرِ
وَحُمُّ حَوْلِ أَزْهَارِ الرِّياضِ تَطْيِيبًا بها مِثْلُما حَامِ الفِراشِ على الزَّهرِ
وَقَمُّ في مَقامِ الشُّكْرِ وانْشُرْ لَواءَهُ برَأْسِ عَمُودِ خَذَهُ من غُرَّةِ الفَجْرِ
فإن لِيَبْرُوتَ حَقوقًا جَلِيلَةً على فَنَبٍ ياشِعُرُ عَنى في الشُّكْرِ

(١) الرِباط : جمع رِبطة ، وهي الملادة إذا كانت قطعة واحدة ونسجا واحدا .

(٢) القَباطى : جمع قَبْطية بالضم ، وهي ثياب من السكتان ، منسوبة لقبط مصر .

(٣) المُهَيَّمَن : المَسيطر ، والضِّياعِم : جمع ضَيْغِم ، وهو الأسد .

فإني ببـيروت أقمتُ لياليما
وقضيتُ أياما إذا ما ذكرتها
لئن تك في بغداد يادهرُ مَدَنِيَا
قرأتُ بها درسَ المكارمِ مُعْجَبَا
فكنتُ بهامن بادخ العِرَّ في الذُرَا
وداعاً وداعاً أيها القوم إني
لئن أَرَفَ التَّرحالُ عنكم فإن بي
أودَّعكم والشوقُ بالصبر فانك
أحبكم قلبي اعترافاً بفضلكم
ولا غرو أن أكرمتم الضيف شيمَةً
أَلَسْتُمْ مِنَ الْعَرَبِ الْأَلَى طارِصِيهِمْ
أطاريبُ نَهَاضُونَ فِي طَلَبِ الْعَلَى
سأذُكرُكم ذكرَ الْحَبِّ حَبِيبَهُ
فلا تحرموني من رضاكم فإنني

وربَّك لم أحسب سواه من عمرى
غفرتُ الذنوبَ الماضياتِ من البهر
على ففى بيروتَ كم لك من عذر
بكل كبير النفس ذى خُلُقٍ حر
ومن سرَّواتِ القومِ في أَنجُمِ زُهِر^(١)
مُفَارِقِكم لآعن صُدُودٍ ولا هجر
إليكم لأشواقاً أَحَرَّ من الجِبر
كفتك الملوكِ المستبدين بالأمر
وأنكر في يوم النوى حكمة الصبر
توارثتموها عن جدود لكم غرَّ
إلى حيث يَبْقَى تحته طائر النسر
غَطَّارِيفُ سَبَّاقُونَ فِي حَلْبَةِ الْفَخْرِ
وأشكرُكم شكرَ الجُذُوبِ إِلَى الْقَطَرِ^(٢)
إليكم إليكم ما حيتُ لذو فقر

إلى إيناس الوزير

إيناسُ إن مزاياك التي عَظُمَتْ
إِخَالُ بَيْتِي لَمَّا جِئْتَ زَائِرَهُ
آأَسْتَنِي بِخِصَالِ فَيْسِكَ طَيِّبَةٍ
كَمْ أَوْحَشْتَنِي اللَّيَالَى فِي تَصْرِفِهَا
أَدَامَكَ اللَّهُ يَا إِيناسَ تَذَكُّرَةً
قَدْ كَانَ يَأْسُو جُرُوحًا فِي دَامِيَةٍ

صارت بها تُضْرِبُ الْأَمْثَالَ فِي النَّاسِ
كَأَنَّ وَجْهَكَ فِيهِ نُورُ نَبْرَاسِ
بَحْسَنَهَا أَنْعَشَتْ فِكْرِي وَإِحْسَاسِي
فَوَالِ إِحْشَاشِهَا عَنِّي « يَا إِيناس »
لَوَالِدِ فَاتِ فَضْلًا كُلِّ مَقْيَاسِ
وَالْيَوْمِ عِنْدِي جُرُوحٌ مَا هَلَا آسِ

(١) سرَّواتِ القوم : ساداتهم . (٢) الجُذُوب : جمع جذب ، أى الأرض الماخلة . والقطر : المطر

في مآدبة آل لطف الله

مما أشهد ارتجالاً في المآدب التي أقيمت للوفد
العراقي بمصر سنة ١٩٣٦ :

في آل لطف الله لطفٌ ساحرٌ في أنخلق والأنظار والأفواه
لله فيهم رفعة قدرهم فلذا تسموا آل لطف الله

في مآدبة عبد الرحمن عزام بحلوان

المجد والفضل منشوران في علم على بيوت بناها آل عزام
لما حللنا ضيوفاً في مراتبهم نلنا بها كل إعزاز وإكرام
فسوف نشكرهم شكراً نخط به لمجدهم سطر إجلال وإعظام

في مآدبة حافظ عفيفي باشا

إن العفيف حافظ على العلاء محافظ
لسانته وهو طلق للدر في القول لافظ
وطرقه للمعالي مدى الحياة ملاحظ
له شمائل غر بها تزول الحفائظ
بها تنال المعالي بها تطيب المواعظ

في مآدبة نظلة الحكيم

نحن ضيوف لذات مجد مؤنل خالص صميم
لها طباع مهذبات أرق من خطرة النسيم
والحسن في خلقها العلوي كالحسن في وجهها الوسيم

إلى أبي ماجد المنديل

في معرض الشكر والوداع

أبا ماجدٍ إني عهدتك مبصرًا سرائرَ دهرٍ أعجزت كل مبصرٍ
إذا خفيتُ يوما عليك حقيقة نظرت إليها من ذكاءٍ بمجهرٍ
وإن ليلة الخطب ادلهمت كشفها بأوضح صبح من فعالك مُسفرٍ
وتلك مزايا فيك أعلمت الورى بأن بنى المنديل أكرم معشرٍ
فهل خفيتُ حالى عليك وقد بدا « على غير شكوى » أنها حال مُقترٍ
أتيتك من بغداد لم أدر ما الذى أتى بى إلا أننى فى تحيرٍ
وأحل فى جنبى نفسا غنية وإن شقيت منى بجمانٍ مُعسرٍ
ولو كنت فى بغداد أَرْضى بذلةٍ لما جئت إلا ساحبا فضل مئزرٍ
ولكنني قد عفت أن أرد الغنى ونفسي فى قيد من الذل مُفقرٍ
وما عدل السعدون بى عن وفائه ولكن جرى مجرى القضاء المقدرٍ
وإن حديثى عنك غير مرجمٍ وإن مقالى فيك غير مزورٍ
ولو أننى بعث الثناء بنائلا لما رضيت نفسى بغيرك مشترى
سأرحل عن ديوانك اليوم أو غدا بعزمة لا وانٍ ولا متقهقرٍ
أودع منك اليوم حرا وإنما أسافر عن مغناك غير مُحيرٍ
وسوف ترى منى لفضلك شاكرا وإن كنت أعيا عن تمام التشكر
وأكتب للتاريخ ما أنا كاتب

الكرخي ومن كذب في منعه

أَعْبُدْ إِنَّكَ ذُو فَطْنَةٍ	تعيش بها عيش حر سعيد
قَرِيحَةً شَعْرَكَ فَيَاضَةً	لها في الأناشيد مَرَمًى بعيد
أَتَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ بِالْمُضْحَكِ	وبالمبكميات التي لا تنبذ
فَأَعْرَبْتَ لِلنَّاسِ عَنْ قُدْرَةٍ	لها قد عتينا كل خصم عنيد
تَقَدَّمْتَ فِيهَا عَلَى السَّابِقِينَ	فمن ذا زهير ومن ذا البيد
فَكَمْ لَكَ فِي الْمَدْحِ أَنْشُودَةٌ	مدحت بها كل شهيم مجيد
وَكَمْ لَكَ فِي الْمَهْجُو أَعْجُوبَةٌ	صَفَعْتَ بها كل غاوٍ بليد
يَبَاهِي بِكَ الْكَرْخُ أَبْنَاءَهُ	ويذني عليك بما لا مزيد
وَلَكِنْ حَسَادُكَ الْخَاسِرِينَ	يَكْبِتُونَ مِنْكَ بَغِيظَ شَدِيدٍ
أَشَاعُوا نَعِيكَ مِنْ غِيظِهِمْ	يريدون للشعر ما لا يريد
وَلَمَّا تَبَيَّنَ إِخْفَاقُهُمْ	لدى الناس عادوا بغيط جديد
فَعَشَّ وَادَعَا رَغْمَ آثَافِهِمْ	بعمر جديد وعيش رغيد

من خواطر الماضي

تَعَوَّدْتُ إِشَادَى الْقَرِيضِ الْمَهْدَبَا	وتزهت نفسي فيه أن أتكذبا
وَمِنْ أَجْلِ حَبِيٍّ لِلْحَقِيقَةِ لَمْ أَكُنْ	مع الزمن الغاوى إذا ما تقلبا
وَمِنْ أَجْلِ جُهْدِي فِي اسْتِقَامَةِ مَنْطِقِي	أَبَيْتُ لِرَأْيِي أَنْ يَكُونَ مُذْذَبَا
وَسَافَرْتُ فِي الْبُلْدَانِ طَوْرًا مَشْرِقًا	أرود العلى فيها وطورا مغربا
وَصَاحِبْتُ مِنْ عُرْبٍ وَعُجْجَمٍ أَفَاضِلَا	بهم كنت في شتى المواطن مُعْجَبَا
فَلَمْ أَرِ فِي عَرَبٍ وَعَجَمٍ لَقِيَتِهِمْ	ككردٍ على في الرجال مُهْدَبَا
هُوَ الْعَالَمُ الْخَبَرُ الَّذِي كُنْتُ مَغْرَمَا	بآدابه منذ الشيبية والصبا

فقد كان في مصر صريرُ براءه
وكم كنت في الآداب والعلم كاشفا
إلى أن أنار الشام بالعلم عندما
إذا معجبات العلم عنت فلا نرى
يؤانسني بالمتع الغضُّ مطربا
بمقتبسٍ من نوره ما تحجبنا
لجمعها أمسى الرئيس المرتبنا
سواك إليها يا محمد معربا^(١)

صورة

زهرة قد بدت من الأكمام
وتراءت منها الحقيقة حسنا
إن تجريدها من الثوب يحكى
هي كانت قبل التجرد منه
إن قدس الأقداس يغضب من أن
وأشد الكفر الذي هو رجس
ضلة جاهلية أنكرتها
فتجلى منها الجمال السامى
لم يدنس طائف الأوهام
أفسمنا جردت من الآثام
كوكبا غم نوره بغمام
تتوارى وسامة الأجسام
كفر هذا الجمال بالأهدام
رسل الفن في هدى الإسلام

* * *

انظر الصورة التي انتزعتها
تلق فيها الجمال يضحك ضحكا
وترى نفسك الكئيبة منها
أنت منها في نشوة المتحسى
منظر يترك الجـواـحـم منا
(ويرد الوجوه مستبشرات
(يبهج النفس إذ يحرك منها
من يد العرى ريشة الرسام
يمتري الدمع من عيون الغرام
في سرور مهاجم متراحم
بنت كرم ولوعة المستهام
في هياج من الهوى وهيام
ويرد الثغور ذات ابتسام
وتر الشعر مطرب الأنعام

* * *

(١) عنت : عرضت وظهرت .

خلعت ثوبها وأغضت حياءً فأرتنا خلاعة في احتشام
جلست جلسة الحبي وأبدت بالتعري بداعة في الوسام
ما احيلى اغضاءً جعلتها كغريق في لجة الأحلام
يتعامى عنها الحياء حياءً ليراها بحيلة المتعامى
لستقوط الرداء عن منكبيها نهض الفن قائماً باحترام
(وغدا الحب راقصاً بابتهاج وجرى الشعر شادياً بالنسجام)

* * *

(ان هذا الجمال شئ عجيب حيرة في العقول والأفهام)
(بين ألوانه وبين قلوب النا س جذب ذو حرقة واحتدام)
(وهو في الحب صادق الأمر والنهي مطاع في النقص والإبرام)
(إن يشأ فالصغار غير صغار وعظام الرجال غير عظام)
(هو نور يضيء في أوجه الحب ويهدي إلى طريق الغرام)

عصاى الفتية

أنا شيخ وذى عصاى فتية قد أتدنى من «مظهر» لى هديه
صاغة «الصائبين» قد ألبسوها حلية ذات صانعة عبقرية
وشحوها من «مظهر» بكلام مغرب عن مودة أخوية
هى تحكى عصاه «ابن عمران» قد را فلذا صيغ رأسها رأس حيه
فسأمشى بها قوياً سويًا بعد ما كنت ماشياً كالحنية^(١)
وستبقى الذكرى بها لإخاء مؤثق بالوشائج الأدبية
ألبستنى كرامة ياخانى لكريم من أسرة خيريه

الأغظمية : شباط سنة ١٩٤٥ .

(١) الحنية : المحبة ، أى القوس المعوجة .

النشيد الوطني

نَحْنُ حَوَاضُو غَمَارِ الْمَوْتِ كَشَافُو الْحَنِّ
مَا لَنَا غَيْرُ اكْتِسَاءِ الْعِزِّ أَوْ لُبْسِ السَّكَنِ
نَبْذِلُ الْأَرْوَاحَ نَفْدِيهَا لِأَحْيَاءِ الْوَطَنِ
هَلْ سِوَى الْأَرْوَاحِ لِلْأَوْ طَائِفٍ فِي الدُّنْيَا ثَمَنٌ
يَا ضَلَالُ الْآلَى لَمْ يَكُونُوا الْفِدَى
إِنْ تَبَيَّنَتْ نَحْنُ فَلْتَحْيِ أَوْطَانُنَا

إلى عبد الستار القرغولي

هاك عبد الستار حَقَّكَ إني لست من منكرين ثابت حَقَّكَ
غير أني ذهلت عنه وصدق في ادعائي هذا مقيس بصدقك
إن تسكن قد عشقت شعري فإني عاشق شعرك البليغ كعشقك

دمعة على قبر الزهاوى

أيها الفيلسوف قد عشقت مضني مثل ميت وصرت بالموت حيا
ما حياة العظيم إلا خلود بعد موت يكون للجسم طيا
سوف يبقى بين الوري لك ذكر ناطق بالبقاء لم يخش شيئا
أنت في الفضل فرد حيا وميتا حزت في الحالتين ذكرا عليا
سوف أبكي عليك شجوا وإني كنت أبكيك في الحياة شجيا



تجميع هذه الصورة بين طائفة من أدباء الطريق في حفلة أدبية أقامها السيد محمود سبجي الذي على أثر جنازة جده الزهاوي والرفاعي وقد تصافح فيها الشاعران وظهرا في وسط الصورة يحيط بهما بعض المدعوين من أدباء البلد وسامنته .

في مدرسة الامام الأعظم

مما كتب إلى العلامة الشيخ سعيد النقشبندی
مهنئاً له بتعيينه مدرسة إلى مدرسة الامام الأعظم
أبو حنيفة هـ

قد ازدهى للعلم تدريس	وزال عن طلابه البوس
واتضحت معالم العلم لا	يوجد رسم منه مدرّوس
بعالم الآفاق من ربه	له على كيوان تأميس
سعيد الذي له السعد قد	طأطأ رأساً وهو مرموس
العالم العليم من لم نزل	تحدى إليه النجب العيس
يولج أهل الفضل في قصده	ويعقب الادلاج تفليس
ويطرد الجهل به مثما	يطرد بسم الله إبليس
فلا تسل عد معاليه إذ	تضايقت عنها القراطيس
وقل لمن حاول تعدادها	عقلك في جهلك مطموس
يحصي الحصى عدّاً ولكنها	لها عن الاحصاء تقديس
القدم الغطريف لاشك في	رؤيته للكرب تنفيس
يبسم إن جئت وإلكنه	ذو هيبة تحذرهما الشوس
وليس للقاص علماء سوى	محله الخافل ناموس
كم أذعن الخصم له طائغاً	وانقاد للايمان قسيس
ما واصل في العلم الا له	أنت له رئيس وهو مرؤس
وليس للبرهان في حاجة	ان ضياء الشمس محسوس
أنت سليمان العلا وانهى	أصف والآداب بلفيس
أنت ولا غيرك في خطه الـ	علم لداء الجهل قريس
ونور أقمار سماء العلا	من شمس عرفانك معكوس

وإن يكن للفظ دراً فلا نعجب إذ صدرك قابوس
لو لم يكن مدحك في الشعر لا يزدان تشطير وتخميس
ومدحوى مدحك شعري له بالعقد ذى الترصيع تجنيس
قلت وفي روضة انشاده روح النهائي لك مغروس
أرخ ودام لسعيد لدى أمامنا النعمان تدريس

١٣١٨ هـ

شكر وهدى

وكتب الى حسين فوزى النائب بعد تناوله الكتاب
الذى استعاره منه :

أهدى إليك يا عظيم الجناح شكراً لفضلك المستطاب
فيا حسين صح عند الورى أنك غيث نائل ذوانسكاب
قد جمع الله جميع الندى فيك بحال عنفوان الشباب
فأنت في أفق سماء العلا شمس علا ما حجت في ضباب
واننى أشكر طول المدى شكراً لارسالك ذاك البكتاب
جردتنى عن ثوب فقرى له كما تسلم مرهماً في قراب
ناب أبوك عن علوم الهدى وأنت نبت عن هموع السحاب
علامة العصر جميع الورى قد هديت بعلمه للصواب
نكمم وكم معضلة أعجزت أباط بالفطنة عنها الحجاب
وصكم جلا غامض علم لنا بفكره الثاقب مثل الشهاب
قد بهر الناس بعرفانه حيث أتاهم بالعجيب العجاب
وفاق في الآراء أهل النهى وأوتى الحكم وفصل الخطاب
لم يقطع الأمر لنا حاكماً برأيه الصائب إلا أصاب

فهو لعمري الله في قطعه كالصارم المشحوذ منه الذباب
فكيف لا أمدحك اليوم إذ أنك فرع أصل ذاك المهاب
وأنتمو أنجاد هذا الوري وقد زكى العنصر منكم وطاب
وأنتم الرأس وما غيركم من شرف المختد إلا الذئاب
ومنكم الفضل وأنتم له وما سواكم فيه إلا سراب
والله ذو الفضل من المجد قد ألبسكم في الناس أبهى نقاب
فاشهد الله وكل الوري إني إلى أحسابكم ذو انتساب

القدوم المبارك

وكتب للعلامة الشيخ سعيد النقشبندی عند عوده من
سامراء إلى بغداد للتدريس بمدرسة الإمام الأعظم .

ألا قد سر طاب كل علم ومن بذل النفائس في طلابه
صبيحة شرف الزورا سعيد بمقدمه المبارك من غيابه
وتدريس العلوم الطالبيها لدى النعمان عاد إلى جنباه
هو البحر الخضم بغير حد فرائد كل علم في عبابه
فقلت بمعرض التاريخ بشرى وأمر الدرس عاد إلى نصابه

١٣١٨ هـ .

إلى حسين النائب

وكتب إلى حسين فوزي النائب يستعير منه كتاباً :

رفعت أكتفي محو فضلك سائلاً سؤال الوري الوهاب يابن الأماجد
ومن قبل هذا يابن أعلم عصرنا وحققك لم أمدد لغيرك ساعدي
فقد عرضت لي يا حسين لبانة بديوان شعر بن الحسين فساعد
وجد لي به بعض الزمان إغارة فلي فيه ياذا الفضل بعض المقاصد
ولا زلت مأوى للعفاة ومرجعاً لكل بني الغبراء ياذا الحمد

إلى الدكتور زكي مبارك

إذا أطرى الأنام فتى أدبياً	فلا بن مبارك أدب غزير
وعلم لا أشبهه ببهر	فقد نضبت بحبائه البحور
لقيت به أخاً أدب وعلم	له شبيه وليس له نظير
زكى نفساً فقيلاً له زكى	وبورك فالبارك منه خير
يمج يراعه فى الطرس ليلاً	يشق دجاء صبح مستنير
أقام (بنثره الفنى) جسراً	لمن فى الفن أعجزه العبور
جلاً بذكائه سدق المعانى	كأن ذكائه للفهم نور
وخاض عباب بحر من بيان	تحوم عليه من بدع نسور
إذا قرع المنابر يوم حفل	رأيت الناس من فرح تمور
أصاخوا نحوه وقد اشرأبوا	أكفهم تصقق أو تشير
إذا اغتخرت به مصر وتاهت	فكل فى العراق به فخور

تخليد العظماء ١

قالوا نخلد ذكره بحديقة	غناء فيها تنبت الأزهار
ونضيفها فى التسميات إلى اسمه	حتى يكون له بها تذكـار
لهذا لعمر الله جهل تضحك	العقلاء منه وتهزأ الأحرار
إن الحداثق لا تخلد باسمها	من لا تخلد ذكره الآثار
مانفع تسمية الأماكن باسم من	خلت الضمائر منه والأفكار
من فاته غير المساعى فاته	بعد الممات بغيرها الانشار
إن المعالى ما لمن مآثر	مثل الليالى ما بها أقمار
هل تذكر الأشجار من بعد البلى	إلا بما انتضدت بها الأثمار

والذكرىات إذا أتت بشهودها حسن السماع وأحمد التكرار
من سار في دنياه سيرة مصلح لهجت بخالد ذكره الأمصار
من عاش في خطط البلاد مؤثرا أحيته بعد مماته الآثار

بين الرصافي والشيخ الراوى

أرسل المرحوم الشيخ إبراهيم الراوى قصيدة إلى المرحوم
الرصافي من جملتها البيت الآتى :

وأشعر أهل العصر عندى بلامرا جميل الزهاوى والرصافي المقدم
فنظم الرصافي القصيدة التالية وأرسلها إلى الشيخ الراوى :

السيد الراوى إبراهيم	فضل أضل الخافقين عينا
ومناقب لهج الرواة بذكرها	وبها استحق من الورى تعظيما
شيخ إذا جالسته فى مجلس	جالست منه مرشدا وحكما
وإذا نظرت لشخصه متأملا	أحسست فيك لشخصه تعظيما
داوى قلوب ملازميه بهديه	فاصح منها ما رآه سقيا
يا أيها الشيخ الذى قد أدرك	المجد المؤثل حادثا وقديما
أرسلت مألكة إلى كريمة	ضمنتها الدر النضيد نظيما
أحسنْتَ ظنك بي وحسن الظن من	تلقاء مثلك يوجب التقديما
شكرا على شعر إلى بعثته	فشفيت من قلبى الكلوم كلوما
شيم الكرام ورثتها من هاشم	تركت فيخار مفاخرىك هاشما
أدنى احترامك أن تخصص بالعلى	وأقل مدحك أن تعد كريما

إلى الشيخ قاسم القيسي

إذا قاسم القيسي مر بحساطرى
تذكرته إذ كنت للعلم طالبا
فقد كنت أحيانا أزور فنائه
وكم زرته في جامع الفضل راجيا
إذا زرته يوما ثلت كمناتي
وعدت صحيح الفهم منه قد انجلت
هو العالم الخبر الذي من يلذ به
بما شاء في التوضيح من واقد الذكا
بقية أعلام مضوا وكفى به
له نظر في غامض العلم شامل
إذا ما نحا في العلم قتل عويصة
نماه أبوه الشيخ أحمد للعلا
فقد كان فردا كآبته في ذكائه
وكان بتقسيم المساريف عالما
فيارمسه اهنا بالذي أنت رامس

تذكرت عهدا في الصبا مر كالحلم
بفكرى ومعى مجهد النفس والجسم
وانتابه للرشف من منهل العلم
شفاء لما في مدنف الفهم من سقم
فتقف منها كان ما اعوج من سهم
ببقياه عنى غمة الغرم والغم
يكن فائزا بالعلم والأدب الجم
وما شاء في التقرير من صادق الحكم
من العلم طودا فوق أطواذه الشم
ورأى سديد لا يحوم على الوهم
رماها بسهم من فطائنه مصمم
فبورك في الآباء من والد شهم
فجاء ابنه قرما تولد من قرم
ينيف بها رأيا على ثاقب النجم
سقاك السحاب الجون بالوابل السجم

تقرىض كتاب القيسي

هذا كتاب قد تبدا جامعا
كشفت فوائده وهن فرائد
أبدت بدائع براءة قاسم
بحر تلاطم بالفنون وبدره
هذا العمر أبى سحاب علومه

حكما تبين للنجاة التابعا
عن وجه غانية المرام براقعا
من راح في طرق المعارف بارعا
لا زال في برج السعادة طالعا
قد سح للطلاب غيثا نافعا

الرصاصي يحيى وفد مصر الشقية

أتى من مصر طلعها بن حرب فاهلا بالمدال كل صعب^(١)
وأهلا بالذى ادخرته مصر لدفع مائة ولقرع خطب

هو الرجل الذى فى مصر قامت له هم تنفس كل كرب
تعهد بالمساعى العز مصر فبدل جذب تربتها بخصب
أحب بلاده فسمعت منها له شكر الحبيبة للمحب

* * *

لقد شاهدت مبتهجا بعينى له فى مصر آثارا كبارا
فى (الكبرى) له متحركات تخلد فى البلاد له الفخارا^(٢)
معامل ما رست غزلا ونسجا فأغنت فى صناعتها الديارا
وفى الاسكندرية باخرات له فى البحر تبتسدر السفارا
وأما بنك مصر فذاك أمر به قد جل طلعت أن يبارى

* * *

إذا ما مصر فى المال استقلت فلا تخشى التأخر فى السياسة^(٣)
فان المال أكبر ما يرجى به نيل السعادة والرئاسة
إذا ما الشعب كان أسير فقر فما تجدى السياسة والحماة
أيصبح فى سياسته ظليقا أسير أوجب الفقر احتباسه

* * *

(١) زار العراق سنة ١٩٣٦ وفد مصرى يرأسه المرحوم طلعت حرب زعيم مصر الاقتصادى ومؤسس بنك مصر وشركاته العديدة التى عادت على مصر بنتائج طيبة ما زالت تذكر فتشكر .

(٢) يريد بالكبرى « المحلة الكبرى » وهى مدينة مزدحمة بالمعامل وعود الفضل فى تصنيعها إلى المرحوم طلعت حرب باشا .

(٣) يشير إلى أن الاستقلال الاقتصادى هو أهم من الاستقلال السياسى

رجال النيل حيثهم رجالا	بما للعرب فيكم من سمات
بكم طرب انقرا وقال جهرا	لوادى النيل أنك من لدانى
كلانا جاربان على سهول	بابناء العـروبة أهلات
كلانا فى الأخاء له مواضى	ضمن لنا النجاح بكل آت
وتجمعنا جوامع كبريات	وأكبرهن سيدة اللغات ^(١)
لقد زرناكم قبلا فكنا	على نشر التجارة والكرامه ^(٢)
فمن بيت يمد به سباط	ومن وجه تضىء به ابتسامه
وما هذا لعمر الحق منكم	بيدع بل لكم فيه استقامه
وما زرناكم لكبير ملك	ولكن للأخوة والشهامه
ألا فلتحى مصر فنحن نرجو	لكم فيها السعادة والسلامه

• • •

وكم فى مصر من بطل سواكم	يسير بها على خطوات سعد ^(٣)
وكم راق بها فى جو علم	فيستهدى لأنجمه ويهدى
وكم ساع لها بخطى بن حرب	ليسهدها بما يقنى ويجدى
ولكن ابن حرب فى دجاها	كبدل الأفق حل ببرج سعد
فكيف تكون مصر فى اسار	وفيهما اليوم من يحى ويفدى

(١) يريد بسيدة اللغات اللغة العربية كما قال شوقي :

إن الذى ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وسره فى الضاد

(٢) يشير إلى زيارته مصر ممثلا العراق فى آذار سنة ١٩٣٦ وإلى الحفاوة التى تقبها وزميله

الأخرى من المصريين الكرام كما أشار إلى ذلك فى قصيدته (التى حيا بها مصر هنالك) .

(٣) هو زعيم مصر سعد زغلول مؤسس حزب الوفد وباعث النهضة السياسية .

١ - فهرس موضوعات القصائد

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
مقدمة الطبعة الثالثة . . .	(ز)	في المعهد العلمي . . .	٧٤
و الثانية . . .	(ل)	في منتدى التهذيب . . .	٧٦
١ - التكوينية		في رحلة . . .	٧٨
		الفنون الجميلة . . .	٨٠
		الحياة الاجتماعية والتعاون . . .	٨٢
في مشهد الكائنات . . .	٢	في سبيل الوطنية . . .	٨٤
العالم يشعر . . .	٦	في المدرسة (دار التفيض) . . .	٨٥
تجاه الانهيار . . .	١٢	المدارس ونهجها . . .	٨٧
من أين وإلى أين . . .	١٣	العلم والاجازة فيه . . .	٨٨
نحن على منطاد . . .	١٧	العلم . . .	٩١
كلمة معتبر . . .	٢١	دار الأيتام . . .	٩٣
الكنى يا ضياء . . .	٢٤	الفقر والسقام . . .	٩٤
الأرض . . .	٢٧	تنبيه النيام . . .	١٠٣
٢ - الاجتماعيات		سوء المنقلب . . .	١٠٥
		العادات قاهرات . . .	١١٠
نحن والماضي . . .	٣٤	بعد الدستور . . .	١١٣
معتك الحياة . . .	٣٦	إيقاظ الرقود . . .	١١٦
أم اليتيم . . .	٣٩	الصديق المضاع . . .	١٢٢
السجن في بغداد . . .	٤٢	بعد الدين . . .	١٢٦
الدهر والحقيقة . . .	٤٧	يقولون ا . . .	١٢٧
في سبيل حرية الفكر . . .	٥٠	في سبيل الوطن . . .	١٣١
إلى أبناء المدارس . . .	٥٢	بين تونس وبغداد . . .	١٣٤
المطرفة . . .	٥٤	في حفلة شوقي . . .	١٣٦
البيتم في العيد . . .	٥٨	الأمة العربية . . .	١٣٩
سياسة لا حماسة . . .	٦٤	في إيلياء . . .	١٤٠
إلى الشبان . . .	٦٥	تجاه الریحاني . . .	١٤٢
الدهر . . .	٦٩	بني الأرض . . .	١٤٣
إلى أبناء الوطن . . .	٧١	الحمد للمعلم . . .	١٤٦
		عرس مصر . . .	١٤٧
		من مضجكات الدهر . . .	١٤٨

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠٠	الغروب	١٥٠	الشارع الكبير ببغداد
٢٠٣	ليلة في ملهى	١٥١	على الجوان
٢٠٦	في القطار	١٥٣	تحية سركيس
٢٠٨	الأرملة المرحمة	١٥٤	إلى البلاغ
٢١٠	عهد الصبا أو نهر الحياة	١٥٥	في حفلة الزهاوى
٢١٣	سفر في التومبيل	١٥٦	إلى صاحبة الحياة الجديدة
٢١٥	من ويلات الحرب	١٥٧	إلى المنظم
٢١٨	على جسر مود	١٥٨	اليتم المندوع
٢١٩	على البسفور	١٦٠	بيت الأحياء وحى الأموات
٢٢٠	إلى غرة آل سعدون	١٦١	نحن في بغداد
٢٢٢	النوسام ونخامة رئيس الوزراء	١٦٢	رقية الصريع
٢٢٣	نحن في يوم حادثة الرئيس	١٦٤	مشفيات شعرية
٢٢٤	في ملعب كرة القدم	١٦٧	إلى المتفاعدين
٢٢٥	الاحسان	١٦٨	دار تربية الطفل *
٢٢٧	الجرائد	١٦٩	شكواى من الدهر *
٢٢٩	وقفة في الروض	١٧١	خزانة الأوقاف *
٢٣١	ما رأيت في بك أوغلى	١٧٣	التعصب الوطنى للأدب *
٢٣٤	السد في بغداد	١٧٣	عتاب وولاء *
٢٣٧	الساعة	١٧٧	مناجاة وشكوى *
٢٣٨	ذكرى لبنان	١٧٨	في حفلة الميلاد النبوى
٢٤٢	لبنان	١٨٠	إلى العمال
٢٤٤	في مكتبة الأوقاف		
٢٤٦	آل الجبل		٣ — الفلسفيات
٢٤٧	البلبل والنورد	١٨٤	خواطر شاعر
٢٤٨	أغرودة العنديل	١٨٦	وجه ابن آدم
٢٤٩	الصيف	١٨٨	ما وراء النهر
٢٥١	الشتاء	١٨٩	لو
٢٥٢	التلغراف	١٩١	حقبتي السلبية
٢٥٣	بيروت والتباريس	١٩٢	حياة الورى
٢٥٤	في المستشفى الملكى	١٩٣	حيذا النوم
٢٥٥	إلى عبد اللطيف باشا المنديل	١٩٤	بين الروح والجسد
٢٥٦	يا دار قسطنطين	١٩٦	من نوابس الحياة *
٢٥٧	فلكس فارس		
٢٥٨	مليكة غناء العرب		٤ — الوصفيات
٢٥٩	إلى جميع الغوانى	١٩٨	أنا والشعر

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٣٠٨	في موقف الأسى	٢٦٠	قصر البحر
٣١٠	ذكرى الرجال من حياة الأمم . .	٢٦١	محاسن الطبيعة
٣١٢	ذكرى الشيخ الخالصي	٢٦٤	ليلة في دمشق
٣١٤	على ضريح النائب	٢٦٥	حول النيسفور
٣١٦	دموع الصداقة	٢٦٦	تأثير التربية
٣١٨	هلم فبك	٢٦٧	ينظرة الشرق
٣١٩	دمعة على صديق	٢٦٨	إلى القرويني
٣٢٠	مينسة البطل الأكبر	٢٧٠	إلى حماة الأطفال * . . .
٣٢٢	مينسة البطل الأكبر (منظر الرافدين)	٢٧١	شاعر البشر *
٣٢٦	ذكرى فتي السعدون	٢٧٥	ذكرى المآثر التيمورية * . .
٣٢٨	ابن جبران	٢٧٦	أبو الطيب المتنبي
٣٢٩	جبر ضومط	٢٧٩	إلى الجواهري *
٣٣٠	أبو الملوكة	٢٨٢	النساء الخلد *
٣٣٢	الشيخ فاسم	٢٨٣	الرصافي يقرض كتاباً لزهراوى
٣٣٢	غريق دجلة	٢٨٣	الأفول المشرق
٣٣٢	شهداء الطيران *	٢٨٤	وفال هذه الأبيات مترجما
٣٣٥	إلى أمن نخلة *	٢٨٤	إلى طه الراوى
٣٣٦	في يوم أبي غازى *	٢٨٥	إلى البطل عبد الكريم الرقيق
٣٣٩	ذكرى السكاظمى *	٢٨٥	بداعة وخلاعة
٣٤١	رثاء شوقي شاعر مصر الأكبر	٢٨٧	في دار النقيب
٧ — النسائيات		٢٨٨	الحق المنتصب
٣٤٤	المرأة في الشرق	٢٨٨	تحت تصوير النائب
٣٤٦	نساؤنا	٢٨٨	إلى عبد الكريم العلاف . . .
٣٤٧	حرية الزواج عندنا	٥ — الحرب بقيات	
٣٤٩	المرأة المسفة	٢٩٠	وقفة عند شراغان
٣٥١	الترية والأمهات	٢٩٢	أم الطفل في مشهد الحريق . .
٣٥٤	المنهجورة أو مشهدا الحسن في الحزن	٢٩٥	ثلاثة الأثافي
٣٥٦	إلى الحجابيين	٦ — المرأى	
٣٥٦	هوان المرأة عندنا *	٣٠١	واصدىقه
٨ — التاريخيات		٣٠٢	في الملكوت الأعلى
٣٥٨	ضلال التاريخ	٣٠٥	وإمجداه !
٣٦١	جائينوس العرب أو أبو بكر الرازى	٣٠٦	واشيخاه
٣٦٩	الحرب في البحر		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٥٣٦	تقال	٥٠٦	من هذا ؟ من مطبخ الدستور ،
٥٣٧	لإلى الأوس		الوزارة عندنا
٥٣٨	الشمس ، رئيس المذنبية	٥٠٧	عبدالحاميد باشا المذنب ، إلى السيفي
٥٣٩	رائد		عفو بعد أن
٥٤٠	نقى على ماء	٥٠٨	الترامواي في الآستانة
٥٤١	هوى الموت	٥٠٩	القيمتا في الصديق ، الدين ولوطان ،
٥٤٢	وقال		الحياة والأذلة
٥٤٣	المسكتب ، أثبات في غلائل	٥١٠	أيها الفتى ، في معرض الشكر
٥٤٤	كل امرئ وسدرة ، النفس الأمازة	٥١١	عند لعبة البيلارد ، لسونا الوطني
٥٤٥	الأوس في غير موقعة كدر	٥١٢	عند نشر المعاهدة ، وزراء المعارف عندنا
٥٤٦	البصرة ، الحر في أغسطس	٥١٣	قيصر معلوف ، إلى أمين كاملة
٥٤٧	البرد في كانون ، معلقة ، وقال	٥١٤	إلى عبد الوهاب النائب ، إلى أول الأمر
٥٤٨	مجز ، وقال في بعضهم	٥١٥	المصور البارح ، الأغنياء والفقراء ،
٥٤٩	في المسرح ، شكر ورداع	٥١٦	الجهن فضاخ ، حمام الوزارة ، رخص
٥٥٠	إلى إلهاس الوزير *		النائب ، الناس والملوك
٥٥١	في مادية آل نطف الله * في مادية	٥١٧	معرفة العلم في المجتمع ، الأناسي ، أم سري
٥٥٢	عبد الرحمن عزام * في مادية حافظة	٥١٨	الحرب الحر الرافق ، السهم المصاح
٥٥٣	عقبي باشا * في مادية نظافة الحكيم *	٥١٩	نجل عبد الحاميد ، عبد الوهاب النائب
٥٥٤	إلى أبي ماجد المنديل *	٥٢٠	إلى أمير السكينة
٥٥٥	النكرخي ومن كذب في مناهشة	٥٢١	إلى محمد الرضا
٥٥٦	من خواطر الماضي *	٥٢٢	نظامه الرئيس ووسام إبراهيم في بيروت
٥٥٧	سورة *	٥٢٣	نهاد قرة الأعين ، ذات الشعر الأبيض
٥٥٨	عصاي الفتية *	٥٢٤	رقعة قولي ، جو بيروت ، على مقابر
٥٥٩	النشيد الوطني ، إلى عبد الستار		الشمدة
٥٦٠	الفرغولي ، دمه على ثوب الزهاري	٥٢٥	متيرة ، يطالب جناراً
٥٦١	في مدرسة الامام الاعظم	٥٢٦	اسمى إلى كلاماً ، في عود انكسر
٥٦٢	شكر ووديع	٥٢٧	ضاق الحناق ، وصف البدر عند الافرخ
٥٦٣	المقدم المبارك ، إلى حسين النائب	٥٢٨	إلى أم كلثوم
٥٦٤	إلى الدكتور زكي مبارك ، تخليد العطاء	٥٢٩	أيها السكباب
٥٦٥	بين الرصافي والشيخ الزاوي	٥٣٠	هجو بعض الرائيين من المشايخ ، جاهل
٥٦٦	إلى الشيخ قسم القوي	٥٣١	متكبر ، العاقل الماتجى
٥٦٧	الرصافي يحيى واند مصر الشقيقة	٥٣٢	فلسفي مرأ ، الأرض
٥٦٨	فهرس موضوعات القصائد	٥٣٣	أيها المشوق ، بين الرأس والرجاء
٥٦٩	الذواقي	٥٣٤	جواب عن كتاب ، التي عن النفس
		٥٣٥	في المشوق شكر على صديق

٢ - فهرس القوافي

المطلع	القافية	صفحة	المطلع	القافية	صفحة
حرف الهمزة					
ليس في غاية الحياة البقاء ...	الرجاء	٣٣٩	لعمرك إن قصر البحر قصر	القافية	٢٦٠
قضوا شهداء ليس لهم بواء	البقاء	٣٣٣	شاع كالبرق في المراقين يوما	كأبه	٢٢٣
أى قدس يضم هذا البناء	السماء	١٦٨	تمودت في شادي القريض المنهدبا	أتكذبا	٥٥٢
اللوم داء في النفوس عياء	دواء	٥٤٧	عيد الصبا سقيا لأيام الصبا	الربا	٢١٠
جاء المصيف لجفت الأنداء	الأشياء	٢٤٩	حي النفس أغشى في رضاها المعاطبا	فاضبا	٢٤٢
قل لعبد الوهاب النائب العلامة	النجباء	٥١٤	ياسا كتنا وهو مشنوق على عمد	خطبا	٥٣٢
أعبد المحسن السعدون إني	الرجاء	٢٢٠	تذكرت في أوطاني الأهل	سكبا	٢٠٦
سود الله منك يا شيخ وجما	السوداء	٥٣٠	أصبحت أوسعهم لوما وتثريا	مركوبا	٤٠٤
حي هذي القبور إن كنت حيا	الغراء	٥٢٤	ظهورك أيتها الفساة بجملهم	باشيا	٣٤٥
كأن الشمس بالخرة مخور	الفضاء	٥٢٧	طرب الشعر أن يكون أسيا	أرطيا	٢٠٣
ألا ما لأهل الشرق في برحاء	شقاء	٣٤٢	سر في حياتك سير نابه ...	تجابه	٧١
أقم في الأرض صرحا من ضياء	السماء	٥٣٨	من جور مصر عن العروبة أنها	آدابها	١٧٣
من أين من أين يا ابتداء	انتهائي	١٣	ومليحة أوصافها ...	التصابي	٥٢٣
أنظر إلى تلك العلفة التي	بالأضواء	٥٤٦	أى مضي يمدد باكتئاب	التهاب	٩٤
أحب صراحتي قولا وفعلا	الرياء	١٩١	ألا انفض وشم أيتها الشرق	الكتب	٤٨٠
حرف الباء					
حيا كم الله أيتها العرب ...	عجب	٤٩٤	إن فلانكس بن فارس رجل	أدبه	٢٥٧
نصور حقائق في بهجة ...	تعجب	٥٤٢	المعربي بأرض الشام منزلة	الأدب	٥١٨
هل الدهر إلا أعجمي أخاطبه	أجاذبه	٦٩	حي الأمين الذي طابت مغارسه	العرب	٥١٢
لله يوم جاء يوسع برده ...	عقارب	٥٤٦	سيوف لحاظ أم قسي حواجب	العاطب	٥٤٢
وطن حياتك المكاره وارثب	مشرّب	٥٠٩	هو الدهر لم يرحم إذا شد	بالخطب	٣٧٢
يا دار قسطنطين أنت فريدة	الزقاب	٢٥٦	لمن تركت فتون الهم والأدب	العطب	٣٠٨
إلى كم نصب الدمع عيني وتسكب	تأهب	٥٤٤	إنيك ما شاهدت عيني ..	التعب	٢٦٦
بدت كالشمس يحضن الغروب	الشجوب	٥٤	لا يبلغ المرء منتهى أربه ...	طلبه	٩١
جمالك يا وجه الفضاء عجيب	رحيب	٢	الدهر بين في كتاب شهادة	مكتوب	٥٣٧
لهذا اليوم في التاريخ ذكر	طيب	١٤٢	وفدقد قائم الأعمام متسع	المكتاتيب	٢١٣
			سمعت شعرا ناعندليب ...	الرطيب	٢٤٨
			دع زرعج اللوم واخل العتاب	العجاب	٤٥١
			وقنت عليك قلبي الذي ...	السحاب	٢٥٩
			سلم إلى ذوق طعم الأدب	الأدب	٢٥٨
			لقد جمع الشيخ هذي الكتب	المعطب	٢٤٤

الطالع	القافية	صفحة	الطالع	القافية	صفحة
حرف التاء			حرف الخاء		
بغداد حسبك رقدة وسبات	النكبات	١٠٥	ألا بلنوا عنى الوزير مقالة	توييح	٥١٦
كأن حياتنا جيل مطل ...	المات	٥٤٠	حرف الدال		
أيا سائلنا بغداد إنا ...	النبت	١٦١			
كل شيء من عالم الدرر	كالنبات	١٩٦	عجبت للناس فى الدنيا خالهم	يجتدها	٥١٦
كل ابن آدم مقهور بمادات	الارادات	١١٠	لعمرك لو كانت حديدنا جسومنا	مبارد	٣١٠
هى الأخلاق تنبت كالنبات	المكرمات	٣٤٩	عقل وتجربة وجد زائد ...	التقاعد	١٦٧
يا موطنا ما اتضيتها مهتدة	إهانتة	٤٨٩	سل الإنكليزى الذى لم يزل له	مفعد	٤٧١
نهيتك عن هواك فإنتهيت	استهيت	٥٤٣	لعمرك إن الحر لا يتقيد ...	المفند	٧٤
حرف الشاء			أما أن أن يمشى البلاد سعودها	هجودها	١٠٣
وفى الأنعام لم تر قط عيني	الثلاث	٥١١	أيكفينا من الدولات أنا ...	البود	٤٦٢
لقد جمع الدهر المكابد كلها	الحيث	٤٦٩	قاي عليك حليف الوجد يا عود	الأغريد	٥٢٦
خليلى هل من منصت فأبته	البث	٤٥٧	كلوا يأبها الساده ...	العاده	٥٠٦
حرف الجيم			تريد لى الأيام أن أتقيدا ...	المجددا	٧٦
صاح قم بى إلى أمير الكنجة	لهجه	٥٢٠	على لوبنا الوهاب أنى ...	حمده	٥١٩
ترى مقلتي لا ليس تملك بدى	محوجا	٥٣٢	حق للمدم أن يكون نشيدا	رشيدا	٣٣٥
أيها الانجليز لن نقناسى ...	انفلوچه	٤٦٨	عهدك شاعر العرب للجيدا	النشيدا	٣٤
سمى المصطفى لا زلت تملو ...	أوج	٤٤٠	هلم يا قوم نسعى ...	سعيده	١٥٦
حرف الحاء			أنوار إن فى بغداد قوما	بالوداد	١٣٤
هى عيني ودمعها نضاح ...	يتاح	٤٢٠	نحن من أرضنا على منطاد	الأبهاد	١٧
قعدت بقارعة الطريق تنوح	يصبح	٢٩٥	قوض الدهر بالحراب عمادى	بالأنكاد	٣٨٢
قل لنجلا نجيلا أبى اللع لى	الوضاح	١٩٢	وشامخ الأنف ما ينفك مكتسيا	الزادى	٤٣٠
لقد جربت أصدق أصدقائى	صلاح	٥١٠	أرى بعد نوم طال فى انشراق نقطة	المجد	٢٣٦
لمن الديار يلحن فى الصبح	الأرواح	٥٣٥	لقدبت مطروف الدواظر بالسهد	الوجد	٣٠٢
معارف بغداد قد جاءها ...	مسرحة	٥٢٩	إذا شئت أنت تسرى ...	الرواعد	٢٢٧
تجنب من سقيم الراى قريبا	الصحيح	٥٤٧	أطلت يا دهر نحسى ...	يسعدى	٥٠٣
مرت تقول ألا يارب خذ روحى	تباريحى	٢١٥	سكنا ولم يسكن حراك التبدد	غد	٤٢
			تقط فإ أنت بالخالد ...	بالرائد	١٦٠
			ألا بلنوا عنى رسالة منشد	مخد	٢٨٢
			إليك عادل جبر رسم ذى مقلة	الفند	٥٠٥
			من كان فى المجد المؤئل راغبا	البارودى	٨٤
			إلى كم أنت تهتف بالنشيد ...	الرفود	١١٦

الطالع	القافية	صفحة	الطالع	القافية	صفحة
أيها القوم ما لكم في جود	تفنيدي	٤٣٤	أيها ماجد إلى عهدتك مبصراً	مبصر	٢٥٥
جئت إلى الدير ضحى يوم الأحد	قصده	٤٦٢	أيها ماجد إلى عهدتك مبصراً	مبصر	٥٥١
أعبود إليك ذو فطنة ...	سميد	٥٥٢	أعزني لساناً أيها الشعر لشكر	شعر	٥٤٨
حرف الراء					
أعزرت يا عمر الفلخر كلها	تختار	٥٠٨	قرأت وما غير الطبيعة من سفر	الشعر	٦
بكي الفضل لما أن قضى نفيه جبر	جبر	٣٢٩	شكراً لفضل محمد ...	شعري	٥٣٤
لتيتمها في الطريق طابرة ...	تبخترها	٥٠٩	وبضاء أغناها عن الحلى ثغرها	الثغر	٣٥٢
في آل معلوف الكرام خلائق	الأكدر	٥١٣	الشعر مفتقر متى لمبتكر ...	بمفتقر	٦٤
ويح المعارف لا يستوزرون لها	وزروا	٥١٢	خطاب يهودا قد دعانا إلى الفكر	ذكر	٤٣١
لعمرك ما كل انكسار له جبر	الجمهر	١٨٤	خبر في الأرض أوحته السما	الفكر	٢٧
ناح الحمام وغرد الشجرور	مسرور	٢٢٩	تفكرت في كنه الحياة فلم أكن	تفكرى	٣٠١
قد كاد بالحر هذا اليوم يصيرنا	تسير	٥٤٥	من كاث يأرق بالهموم ...	المسرور	٢٦٤
نكب الشارع الكبير بيفداد	اضطرارا	١٥١	إن فن التصوير قد صار فيه	نظير	٥١٥
وطفي جاء يطلب جنانا ...	أجرارا	٥٢٥	يا عمرك الله من وليد ...	بالتغير	٨٠٤
دار ذا الدهر مداره ...	ازوراره	٤٦٦	للبرق أسلاك تؤدى الأخبار	الأوتار	٢٥٢
نعمت الدار للتفيض دارا ...	منارا	٨٥	رأيت لميلس عدو البشر	حضر	٤٩٩
هو النصر موقود برايتنا الجرا	الكبرى	٤٨٤	حيهل يا أبا مضر ...	مذكر	٢٧١
شب الأسى في فلوب الشعب	انتعرا	٣٢٢	فلمت الملائك قبل البشر	القمر	٥٢٩
تبليج أفق الشرق ...	مفترا	٤١٧	بأيها المفتي بتكفيريا ...	نكير	٥١٠
حرف الزاء					
أبعد الدهر في القضاء مكره	بالجيرة	١٢			
بك الشعر لابي أصبح اليوم	شاعرا	٢٧٩	إن من حاز في العلوم إجازة	ممتازة	٨٨
أمارس دهرنا من جديدي داهرا	ساهرا	١٣٦	إذا انقضى مارت فاكسر خلفه	تموزا	٣٩٠
كتبت لنفسى عهد تحريرها	الدهر	٥٠	قل للحكومات في البلقان	بالنجاز	٤١٣
كفى بالعلم في الظلمات نورا	الأمررا	٥٢	أبو غازى قضى فأقيم غازى	التعازى	٣٣٦
وليل به قد بت أختلس الكرى	يتغورا	١٤٦	حرف السين		
خليلى قوما بى لنشهد للربا	أسررا	٢٦٥	أرى الحسن في لبنان أيتع غرسه	لمسه	٢٤٢
هو الدهر لم يترك مشن غواره	نهاره	٣٦	زفت لآلينا العروس ...	لأنكليس	٣٩٤
حياة الورى جسر مديد وإنما	عابر	١٩٢	أدهق الدهر بالمنية كاسه	أناسه	٣١٢
أقول لرب الشعر مهدى الجواهرى	السواحر	١٧٧	إلى عهدتك لا تكون يثوسا	نموسا	٤٥٩
وصاحب قد دعانا أن نلم به	الوتر	٥٤٤	سعروها في البحر حرا بضر وسا	النفوسا	٣٦٩
أشر فعل البرايا فعلى منتجر	مفتخر	١٦٤	إت لبيروت بعمرانها ...	التباريسا	٢٥٣
حببت العلى منذ الصبا حب شاعر	قادر	٧٨	كم ناضل أكبرته قبل الما	وطيسا	١٥٣
مضى عبد وهاب الهبات لربه	حر	٣٦٩	كرت ولست في الذكرى بناس	حاس	٥٣٦
مضى تطلق الأيام حرية العسكر	الأسر	١٨٨	لبناس إن مزيك التى عظمت	الناس	٥٥٣

الصفحة	القافية	المطلع	الصفحة	القافية	المطلع
٥١٧	أجما	أأم سرى أنت سلطنة البها	٥١٥	بأس	أرى أغنياء الناس كالعمى لم يروا
٥٠٧	راع	إلى الربيل السكرم إلى السباعي	٤٧٢	بالجسس	بني وطني ماذا أقول بعدما
٨٢	انتفاع	يعيش الناس في حال اجتماع			حرف الشين
٣٤٤	الطبع	ألا خلياتي في الكلام من السجع			تأري عيشنا تأبي المنون امتداده
		حرف الغين	٥٣٩	نريش	
١٥٤	البلاغ	أباقر لم تدع للقوم عذرا ...			حرف الصاد
		حرف الفاء	٢١٩	متخلص	وقفت على البسفور والريح عاصف
٤٦٣	أعنف	أنا بالحكومة والسياسة أعرف			حرف الضاد
٤٥٦	السخافة	أرى الأتراك في دار الخلافه			تجر إذا صادقت من وده محض
٤١١	مطافا	متى نرجو لغمتنا انكشافاً	٥٤٣	العرض	قد صبح عزمك والزمان مريض
١١٣	عزفا	سقتنا المعالي من سلاقتها صرف	٤٢٢	تثيض	إني لأشكر من كمد الرضا
٢٥٤	بمستشفى	أطلت أيا سعدون مكثك ههنا	٥٢١	مضى	
٣١٨	متصفا	هلم نيك النهى والعلم والشرفا			حرف الطاء
٥٠٦	باسعاف	آل الانتاشيب إن الله أسعفكم			خاض الدجى وظلام الليل مختلط
١٧١	الأوقاف	للمسلمين على نزورة وفرهم	٤٠٧	مختلط	بدت في مسرح رحب البلاط
٦٥	الشرف	أدب العلم وعلم الأدب ...	٥٤٨	مخاط	
		حرف القاف			حرف الظاء
٥٢٧	الحنان	أقول لهم وقد جد الفراق			إن العفيفي حافظ ...
٤١٥	الطرق	أرى الحق لم يغش البلاد وإنما	٥٤٠	مخافظ	
٣٥٨	أولق	أقول وطرفي في المحال محقق			حرف العين
٤٨٧	الموتفا	أدرنة مهلا فان الطي ...			أطل صباح العيد في الشرق
٢٣١	الخلقا	ذهبت لحي في فروق تراحت	٥٨	ترجع	قد كانت الأغصان مخضرة
٣٢٢	حريقا	يا من قضى بين المياه غريقا	٢٥١	تسجع	ياسين إنك بالقلوب مشيع
٥٢٤	صديقا	وغرت رقتي في القول قوما	٤٦١	مودع	أقوى مصيف القوم والمرج
٨٠	طريقا	إن رمت عيشا ناعما ورقيقا	٢١	بلقع	ما أهون الأنثى على ذكرانا
٥٠٥	صادق	إلى المغربى الجبر أهديت صورتي	٣٥٥	خضوعها	لقد طوحنتي في البلاد مضاعا
٥١٤	طرق	يا مبعدي بظلم عن مناصبهم	١٢٦	تباعا	عبد المجيد قضى نوا أسفا
٢٣٤	الفرق	نجيت بالسد بغداداً من الفرق	٣١٦	جزعا	
٤٧	يقاسق	أرى الدهر لا يألو بستر الحقائق			

الطالع	الفاشية	صفحة	المطالع	الفاشية	صفحة
أرى الدهر لا يلبس بستر خفافتي	بأسقى	١٦٩	فار السلام تفاخرت برجال	الأطفال	٢٣٠
شكايه قنب بالأسى نابض العرق	الحق	١٩٩	أشروا المعامدة التي في طيها	الأميل	٥١٢
قالوا نحا شقة قصوى وما علموا	الشقيق	٢١٦	إن النضر لا يجب سؤالي	خوالى	٣٨٧
حرف الكف					
يا شرق بشراك ...	الحاكم	٣٩٢	يا عدل طال الانتظار فعجل	فأقبل	١٦٢
قامت تيمس بأعطاف وأوزاك	الحاكي	٥٤١	أيوسف ما إن أنت من فعل	الفعل	٥٣١
سأبدى الدهر نأجذ النضجك	مهاكي	١٤٨	إن بلبلًا من نسيم السحر	المحمل	٢٤٧
بد وجه العروبة في حلوك	الموك	٣٣٠	إن العراق بعرضه وبطوله	نخيله	٤٢٥
حرف الميم					
حرف اللام					
هكذا يدرك في الدنيا الكمال	الرجال	٣٢٠	قصدوا الرياضة لأعين وبينهم	الأجسام	٢٢٤
ما للديار تراءى وهي أطال	ترحال	٢٩٢	ته يا وسام الرافدين بصدورهم	وسام	٢٢٢
رفت بوصف جمالك الأقوال	اعتدال	٥٤٠	أطربتهم بلحنها الأنغام ...	الآلام	١٤٧
صفاك في يا إسعاف ود	اعتدال	٥٠٥	أقنت في عصر الشباب حقائقها	الأفهام	٥٠٣
روبتك غورو أبهذا الجيران	أقوال	٤٣٣	أكب على الإخوان وكان خفا	القبام	١٥١
قولوا لحزب تسمى الحر مقتدا	معدل	٥١٨	لله سر في الأنام مطمسم	الأحجم	١٨٦
مر الترام فقبل اركب فقلت لهم	السكسل	٥٠٨	يا قوم لا تتكلموا ...	محرم	٤٥٠
لأحمد تيمور ما أثر لم تزل	الأنامل	٢٧٥	على فاسم شيخ الطريفة قد بكت	قامم	٣٣٢
هو المليل يغربه الأسى فيطول	سدول	٣٩٦	بذ كان جهل الناس مدعاة غيهم	سلم	٥١٧
هي دنيا بقاؤها مستحيل	التأميل	٣١٤	عليه يعززه من دولة علم ...	الأمم	٤٤٧
لاتباك أربهم رلا الأطالالا	خبالا	٢١٨	لواجع الهم في جنبي تضطرم	الهمم	٤٤٥
قضت المضامع أن طيل جدالا	مجالا	٢٧٨	أرى الروح بالبدن اتصالا	رسوم	١٩٤
أزمت عنا إلى مولاك ترحالا	أرحالا	٣٠٦	فضى والليل معسكر بهم	حميم	١٥٨
هم يعدون بالثبات ذكورا	مشاله	٤١٠	نفار شمر في القدس فضل	اليتامى	٩٣
ابنو المدارس واستنصروا	رحلا	٨٧	اسمعي لي قبل الوحيل كلاما	غراما	٥٢٦
إليك زعيم الهند أورد مهنا	تفضلا	٤٥٣	قال فولا به استحق احتراما	ملاما	٤٣٥
نجل عبد اللطيف وهو نجيب	طقالا	٥٢٠	قد يطفح الزؤم حتى إن صاحبه	السكرما	٥٤٥
قسما بالاله عز وجل ...	تخلي	٥٣٢	لم أر بين الناس ذا مظهله	مسلمه	٣٤٧
ترلت تبحر إلى افروب ذبولا	متبولا	٢٠٠	كأن البدر صحن من لبن	العموما	٥٢٧
لأنك للناس يوم عسرة الحال	بالال	٥٢٢	أي خطاب دهي ربوع الشام	دام	٣٠٥
قال ذو الحزب إذ أناه مآلى	نبالى	٥١٦	المجد والفضل منشوران في علم	رام	٥٤٩
ألا لفته منا إلى الزمن الحالى	مفضل	٣٦١	جو يروى في الشداء دفي	الأسقام	٥٢٤
			هي التي كثر غور الفيد نبيهم	الحذم	٤٠١
			يقولون في الاسلام ظلمنا يافه	التقدم	١٢٨

الطالع	القافية	صفحة	الطالع	القافية	صفحة
زمت مسمعى ليلا بأنة مؤلم	ضيق	٣٩	هل سمعتم منيرة قد أفاضت	فن	٥٣٥
بنى الأرض هل من سامع فأبته	عالم	١٤٣	أرى انشمر أحيانا يمحى بخاطري	مصونة	١٩٨
أخص في العلم إن أردت كمالا	الآثم	١٥٧	قل لأحبابي كيف ترواكم	مبين	٣٥٤
أسبغ الله نعيم الحسن ...	نعم	٤٠٥	آل الجليل سرور كل حزين	المسكين	٢٤٦
نحن ضيوف ذات مجد ...	صمم	٥٥٠	هى المواطن أدنيها وتقصى	تبلنى	٤٢٨
زهرة قد بدت ...	السامى	٥٥٣	شوقى إليك قريب لا يثابنى	يداننى	٥٣١
البحر رهو والسما صاحبة	الستيم	٢٦١	أطالوا الحرب طاحنة زبونا	السنينا	٤٧٣
حرف النون			يا حبب الشرق أهلا ...	كرابن	٤٣٨
أما أن أن تنسى من المقوم أضعان	بنيان	١٣١	كان مذ قال واهب الأولاد	كن	٥٢٣
بكت في ظلام الليل تندب أهلها	يلين	٤٥٤	نحن خواضو غمار الموت	الحن	٥٥٤
أصبحت أعذل نوابا وأعيانا	شراغنا	٢٩٠	حرف الهاء		
مخلص منكشف إخلاصه ...	الأناقة	٥٠٦	وخر سام لم ينطق بحرف لسانها	بحشاها	٢٣٧
إن الوزارة لا أبالك عندنا	لندنا	٥٠١	لنيتنى ليتنى ما كنت ألقاها	ممشاها	٢٠٨
لو كنت أعبد فانما في ذى الدفا	الحسنا	٢٢٥	في آل لطيفة لطف ساحر	الأفواء	٥٥٠
لذاما الفتى في دهره أحسن انظنا	المعنى	٢٢٦	قف على الحمراء وانذب ...	فيه	٥٠٢
يا قوم إن المداقدها جوا الوطن	السكنا	٤٩١	ما أذبح الجبل ببدى عيب صاحبه	يخفيه	٢١٦
أجذك يا كواكب لا تريننا	اليقيننا	٢٤	حرف الواو		
لقد سمعوا من الوطن الأنينا	حنينا	٣٨٤	أرى بغداد من بعد اغبرار	الزهاوى	١٥٥
برزت تميس كخطرة النشوان	البان	٢٣٨	حرف الياء		
لو أسكر الانسان باطل أمره	سكران	١٨٩	كأنى بهندى الأرض قد حان حبها	شظايا	٥٣١
همم الرجال مقيسة بزمانها	عمراتها	١٣٩	علام حرمنا منذ حين تلافيا	لاهايا	١٢٢
ويجمع جامع ضاع الغناء به	أوطانى	٥٢٢	أنا شيخ وذى عصا فتية	هدية	٥٥٤
نحن لا تجرب العوان ...	الأماني	٤٩٦	أرى الأيام ظامئة وليست	ربا	١٤٠
من سامع قصة لي كنت شاهدا	لبنان	٣٢٨	نحن قوم من الدراويش نغنى	بتكية	٥١٦
يا ضاربا بالمكان ...	افتنان	٥٠٢	لو جعلنا كل شيء وطنيا	جنيا	٥١١
أشربت حب بلاد ما نشأت بها	عدوان	١٧٣	قف بالديار الدارسات وحيها	حيها	٢٦٨
صاح إن الخطوب في غليان	الموان	٤٧٦			
حسن الوسام بصدرة عبد المحسن	سوسن	٢٢٢			
لما لك والبصرة المضى توطنها	منظطن	٥٤٥			
لا ينفذ عنك هتاف القوم بالوطن	العلن	٥٠٩			